العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

ج ٣ و ٤ س ٥٧

رجب وشعبان ١٤٤٢ هـ

آذار-نيسان/مارس-أبريل ٢٠٢١م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــــــــدد

arab@hamadaljasser.com

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الأول والثاني – السنة ٥٧

رجب وشعبان ١٤٤٢ هـ

آذار–نيسان/ مارس – أبريل ٢٠٢١م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ – شارع أبي دجانة – حي صلاح الدين – وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ – ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) – **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر – حي الورود – الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ – المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) – **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخـلاً ضمن اهتمامات المجلة، وهي الموضوعـات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكـد الكاتب من سلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤١٨

ردمد (ISSN) : ٢٦٧١- ١٣١٩

الفهرس

الافتتاحية

تواصل بلاد الحرمين المملكة العربيّــة السعوديّة أعمالها الرياديّة التي منها الإعلان عن «مجمع الملك سلمان العالميّ للُّغة العربيّة» الهادف –وفاق إعلان وزارة الثقافة– إلى أن يصبح مرجعيّة عالميّة في مجالات اللُّغة العربيّة وتطبيقاتها.

إنّ هــذا الهدف العــامّ يفسح أفق انتظــار مبادرات تعنــى بترسيخ الاعتزاز اللّغــويّ الــذي يعــدّ أحــد أركــان الهُويّــة الوطنيّــة، ويعِــد بمســاعٍ حيّــة تصغــي إلى الواقع، وتفقه السبل الناجعة لمغالبة تحدّياته التي لن تبدّدها عبارات احتفائيّة، أو مناسبات احتفاليّة تلقّاها الوعي الجمعيّ بمنظور الجلال تارةً، والملال تاراتٍ.

لعــلّ أوّلَ مــا يُكرِّس العلاقــةُ بين اللّســان والإنســان؛ ليتّسع المتصــوّر العامّ عــن اللُّغــة العربيّــة مستوعبًا مجالات تجــاوز مشاغــل تدريس علومهــا وفنونها إلى مجالات علميّة أرحب بما أنّها مِحْمل العلوم؛ فتنشأ حقول علميّة بينيّة ترسّخ مكانة اللُّغة العربيّة، وتعزّز حضورها.

إنّ مجــال الاكتســاب اللُّغــويّ وحــده ثَــرٌّ بالفرص الثقافيّــة والحضاريّــة والاقتصاديّــة؛ من ذلــك إتاحة السياحة اللُّغويّة التي تحقّــق –إلى جانب ما سبق مــن مكاســب– عالميّةَ اللُّغة العربيّة، وشيوعَ لسانهــا لا سيّما إذا استحضرنا كثرة الإقبال على تعلّمها لدواعٍ مختلفة.

وثمّة مجالات عمليّة أخرى تحقّـق الاعتزاز اللُّغويّ، وتسمو بواقعه؛ من ذلك إقرار إجازة علميّة (لغويّة) تمنح لمن يجتاز تقويمًا معياريًّا على غرار ما هو جارٍ في اختبارات قياس اللُّغة الإنجليزيّة؛ ليُفسح له العمل في قطاع التعليم، والإعلام والاتّصال، وأعمال الترجمة، والمرافعات والمحاماة، والهيئات العامّة، والمؤسّسات الخاصّــة التــي يُؤمـل إلزامهــا بتوظيـف مدقّق لغـويّ في إطار ما هــي ملزمة به في منظومة مواردها البشريّة.

لقد ألحّ اليوم العالميّ مؤخّرًا في شعاراته الحوليّة على لفت اهتمام المختصّين إلــى نطــاق أوسع؛ فنــدب إلــى اللُّغــة العربيّة والعــالم الرقمــيّ عامًــا، والذكاء الاصطناعيّ واللُّغة العربيّة عامًا آخر، واستنهض أخيرًا المجامع اللّغويّة بمواجهة وجوديّة سافرة مأتاها: ثنائيّة الضرورة والترف.

إنّ «مجمــع الملك سلمان العالميّ للُّغــة العربيّة» يجيء في ظرف تاريخ حاسم؛ ليشــرع السبيل نحو وعيٍ جديدٍ يرصــد التحدّيات، ويقترح الحلول، وينتج آفاقًا يتّســع بها المتصــوّر الذهنيّ عن اللّســان والإنسان، وليؤكّـد أنّ الإرادة السياسيّة هي الإطار الضامّ الضامن.

رئيس التحرير

د.عبدالعزيز بن عبدالله الخراشيّ

المَصُونُ والزِّمام

لعليّ بن عُبيدة الريحانيّ (ت نحو ٢١٩هـ)

دراسة وتحقيق

أ.د.عبدالله بن سُلَيم الرُّشَيد

مقدمة التحقيق:

هاتان رسالتان أو كتابان لعلي بن عُبيدة الريحاني الكاتب البليغ الذي طمر الزمان تراثه الغزير، مع ما كان يُنعَت به من البلاغة والبيان، حتى قُرن بالجاحظ.

والوقوع على بعض تراثه الضائع أشبه بلقاء بعد يأس (كأنيَ قد لقيتُ به الشبابا)، والفضل، بعد فضل الله وتوفيقه، في خروج هاتين الرسالتين إلى الضوء إلى أستاذين كبيرين فاضلين، للأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع الذي هتف بي يومًا –وقد عرف عنايتي بتراث الريحاني، وأفضلَ مشكورًا بنشر تحقيقي لـ(جواهر الكلم) المنسوب إلى الريحاني في عام ١٤٣٧هـ- هتف مبشِّرًا بوجود الرسالتين، و للأستاذ الدكتور عبدالعزيز الساوري الذي عُني بهما ونَسَخهما قديمًا، وتفضّل بتصويرهما وإرسالهما إلى الدكتور عبدالعزيز، الذي أحظاني بهما، محسنًا بي الظنّ، محمِّلًا إياي عبء إخراجهما، فطفقتُ

أطالعهما مطالعة من رأى أهله بعد غياب، وظللت أكرّ عليهما بين الفينة والفينة، حتى يسّر الله خروجهما على هذا النحو، الذي أرجو أن يكون على وجهٍ مَرْضِيّ.

تحقيق نسبة الرسالتين إلى الريحاني:

نسبَ جمهرة من المصنفين إلى الريحاني كتابين بالعنوانين المذكورين (المصون)، و(الزمام)، منهم النديم، وياقوت الحموي، والصفدي[١]، ومن المتأخرين إسماعيل باشا البغدادي[٢].

ولم يُصرَّح في النسخة التي بين يديّ بأنهما للريحاني! ولكن بدا فيها علائم تقوّي أنهما كتاباه اللذان ذُكرا في المصادر، أو أنهما جزآن مختصران منهما. وأهم العلائم أن فيهما نصوصًا كثيرة وردت في اختيار الوزير المغربي من كتب الريحاني، وقد نصّ على اختياره من (المصون)، ومن كتب أخرى للريحاني. وبعض الفقر التي قال المغربي: إنه انتقاها من المصون، واردة هنا.

ومنها اشتراك هذين الكتابين (المصون والزمام) في إيراد نصوص كثيرة مع (جواهر الكلم) المنسوب إلى الريحاني، وكنتُ قلتُ في مقدمة تحقيقي لهذا الكتاب: إن الكتاب -أي جواهر الكلم- ليس للريحاني برمّته، ولكنه يحوي نصوصًا معروفة منسوبة إليه في مصادر أخرى، ومما قلته في مقدمة التحقيق: «لا يبعُد أن بعض ما فيه منقول من مؤلفات أخرى للريحاني؛ إذْ فيه عدة نصوص منسوبة إليه في بعض الكتب»[٣]. فالمرجّح أن أصل الكتاب (أي جواهر الكلم) له، ولكنه أضيف إليه ما قيل بعد زمانه. وكذلك أقول هنا؛ فإن لغة الرسالتين مقاربة بل مماثلة في مواضع عدّة لكثير مما ورد في (جواهر الكلم). ومن ذلك أن بعض الفقر منسوبة إلى الريحاني في كتب أخرى ذكرتها في حواشي التحقيق.

وينبغي التنبّه إلى أن بعض ما في هذين الكتابين ورد في (اختيار الوزير

المغربـي) منقولاً من كتـب أخرى غيرهما، فهـل تداخل النقلُ مـن الكتب؟ وهل مـا بـين أيدينا كتابان منفـردان، أو أُدرج فيهما قصدًا أو سهـوًا بعضُ الفقَر من غيرهما؟ كل ذلك وارد، ولا سبيل إلى التحقق من هذا؛ لأنه ليس بين أيدينا سوى (اختيار الوزير المغربي) وهذه المخطوطة.

تعريف موجز بالريحاني:

كنـت أسهبـتُ في التعريف بالريحـاني في مقدمة تحقيقي للكتـاب المنسوب إليـه (جواهر الكلم)[٤]؛ ولهـذا لم أر داعيًا إلى الإطالة هنا، فاختصرت ما قلته هناك، على هذا النحو:

هـو علـي بن عُبيدة الريحـاني، كاتب بليغ[٥]، يعدّه كثير ممـن ترجموا له أو نقلـوا كلامه من الظرفـاء[٦]، وكثير من أخباره تصدّق هـذا، ففيها ما يدلّ على الظـرف والبديهـة الحسنـة والذكاء الحاد[٧]. ومـن ظرفه كثرة روايتـه للنوادر والأخبار الطريفة، ولاسيّما ما كان منها مشتملاً على فنون من البيان[٨]، وروايته لبعض الجمل البليغة عن بعض الفصحاء[٩].

أمـا صلاته برجال عصره فيذكر التاريخ أن له اختصاصًا بالمأمون[١٠]، وقد صحبـه في خراسان[١١]، ولـه معه أخبار[١٢]، ورثاه ببعضـ الشعر[١٣]. وأما وفاته فـلا يبعُـد أنه أدرك منتصف القرن الثالث، والقول بأنـه توفي سنة ٢١٩هـ ظنّـي لا يقيني[١٤].

مادة الكتابين وأسلوب المصنف:

الكتابـان في تهذيـب النفوس، والحضّ على اكتسـاب الأخـلاق الحسنة، والتوجيـه إلـى طرائـق في معايشة الخاصـة والعامـة؛ وبعضها يلائـم مقامات الكـبراء، وبعضها يندرج في التعاملات الشخصية مع النـاس إخوانًا كانوا أم غير

ذلــك، ويُسلك بعضهــا في العادات الشخصيــة الحميدة أو الذميمــة، حضًّا على الأولــى، ونهيًا عن الأخرى؛ ولهذا قال التوحيدي عن (المصون): إنه «يحوي آدابًا حسنــة، وألفاظًا حلوة»(١٥)، وقــال في موضع آخر: «وكلامــه في المصون يدلّ على عقــل رزين، وأدب ظاهر، وليس فيه من العلــم إلا قليل»(١٦). وهذا وصف صحيح دقيــق، علــى أنه لم يكن ليُنتظَر من الريحاني أن يقدّم العلم، فهو في كتابيه أشبه بالمربّي أو المؤدّب، الذي يدلّ على محاسن الأخلاق ويحضّ عليها.

والأقوال الــواردة فيهما هي من المنقول والمَقُــول، فثمّ كلمات سائرة وحكم ذائعة، بعضها معروف القائل، وثمّ كلمات للريحاني نفسه، نُسِبت إليه في مصادر أخرى.

وقــد سار الريحاني في كتابيــه على طريقة الكتاب المترسّلــين، وأطلق نفسه علــى سجيتها في تطلب المعنى، والتعبــير عنه بلغة سهلة مأنوسة، ولكنها لم تنفكّ عــن المؤثرات البيانيــة، وعن التيار الشائــع في زمانه، من عنايــة بالتعبير الفني العــالي، ولذلك وجد من يُكــبِر أدبه، ويُشغَف به، حتى بلــغ بأحدهم أن يقول عن كتابــه (المصون) على ما نقل التوحيــدي: «مَصُونكم خيرٌ من قرآنكم»(١٧)، وهذه جملة غريبة المنزع، ورواية التوحيدي لها تجعلني شاكًّا في حقيقتها، فهو لا يبالي باختلاق الأخبار، ولهذا الأمر موضع آخر.

ومــن مظاهر انطلاقه على سجيته هذا الترسّــل الظاهر، الذي استعان فيه بضــروب من البيان اللطيف، كقوله: «ولا تستعذبوا التمنّي؛ فإنه من أضغاثِ فكرِ الحمقــى، وإذا استحكم في الضميرِ بتسويلِ النفسِ الضعيفة له، جاشتْ به، فَعَلا إلــى اللسانِ، وفارَ من القلب، كما يفورُ الماءُ من الإنــاء إذا احتدمتْ تحته النار»، وربما جنح إلى تحلية الكلام ببعض السجع، فيأتي به سمحًا غير متكلّف، كقوله: «فبعيد من القبول، غيرُ متفهّم لما أقول»، وقوله: «حَرِجَ بالرُّزْءِ صدرُه، وتفاوتَ عليه

أمـرُه»، وقولـه: «والدهرُ يرميك كلَّ يوم بسهامِه، ويتخرَّمُـك بلياليه وأيّامِه». وفي هذا الأسلوب مَشابهُ من أسلوب ابن المقفّع، ويبدو من هذين الكتابين والنصوص الأخرى الباقية للريحاني أنه تأثر به، وسلك طريقته.

النسخة المعتمدة في التحقيق:

ليس لهذين الكتابين سوى نسخة واحدة معروفة، مُدرجة في مجموع محفوظ في المكتبة الوطنيـة للمملكة المغربية بالرباط، ورقم حفظها (٣٢٨ق)[١٨]، ويضم المجمـوع كتبًا أخرى، هي: (الإكليـل في تفضيل النخيل) لأبـي الحسن الجُذامي البُنّاهـي المالقـيّ المتوفى نحو ٧٩٤هـ، و(الرسالة اليتيمـة في آداب الملوك) لابن المقفع. وجاء كتابا الريحـاني في الصفحات ١٩٤-٢١٦ بالترقيم الحديث. وليس في خاتمـة المجموع بيان للناسخ، ولا تاريخ النسخ، وعليه تملّك بخط محمد المكي بن محمد بن محمد بن محمد بن ناصر الدرعي.

والنسخـة مكتوبة بخط أندلسي، قال الدكتور الساوري: إنه يرقى إلى القرن التاسع الهجري، ومن مظاهر الكتابة عند ناسخها أنه يفصل الكلمة في سطرين أحيانـًا، كمـا فعل في كلمـة (التماسها) فقد جاء (التمـا) في سطر، و(سها) في السطـر الذي يليـه. ويكتب التاء المربوطة في بعض المواضـع مفتوحة (مُدَارات= مُـداراة)، وتأتي الدال شبيهة بالـراء، والهاء المتطرفة شبيهة بالفاصلة، والشدة بحركتـين تحت الحـرف مثل حركة تنوين الجـرّ. ويسهّل الهمـزة كثيرًا (البوس موضـع البؤس). وبعض هذه السمات شائع في الخط الأندلسي. أما الضبط ففي كثير منه خلل، منه أنه ضبط (ولا تُقَعِ) وهو من الإقعاء، هكذا (تُقَعِ)!

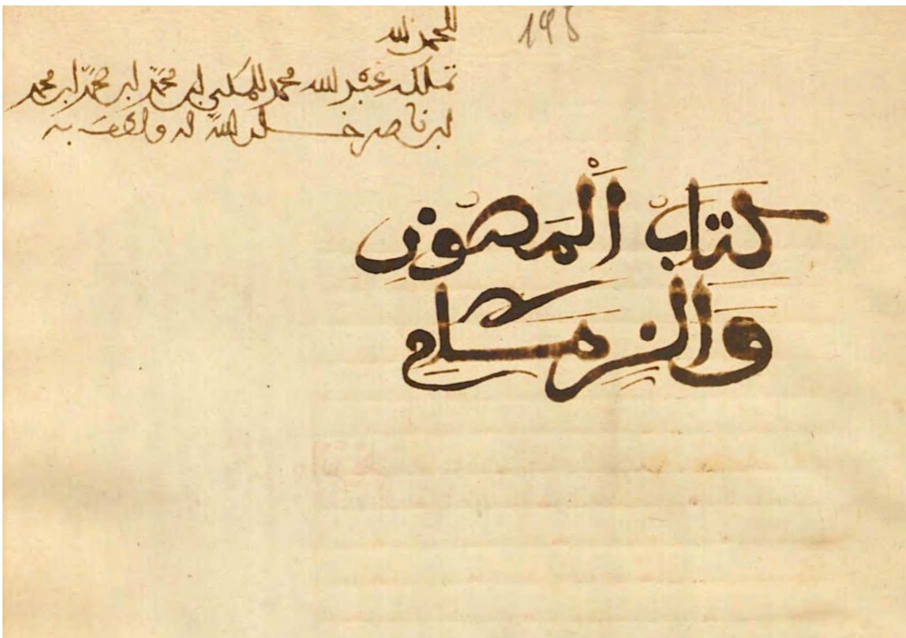
عملي في التحقيق:

١. رتبـت النصوص فقرًا ورقمتُهـا، مستعينًـا على ذلك باكتمـال المعنى، أو بانتقال المصنّـف إلى فكرة أخرى بلا عاطف، أو بتغيير الناسخ نمط الخط أو لونه.

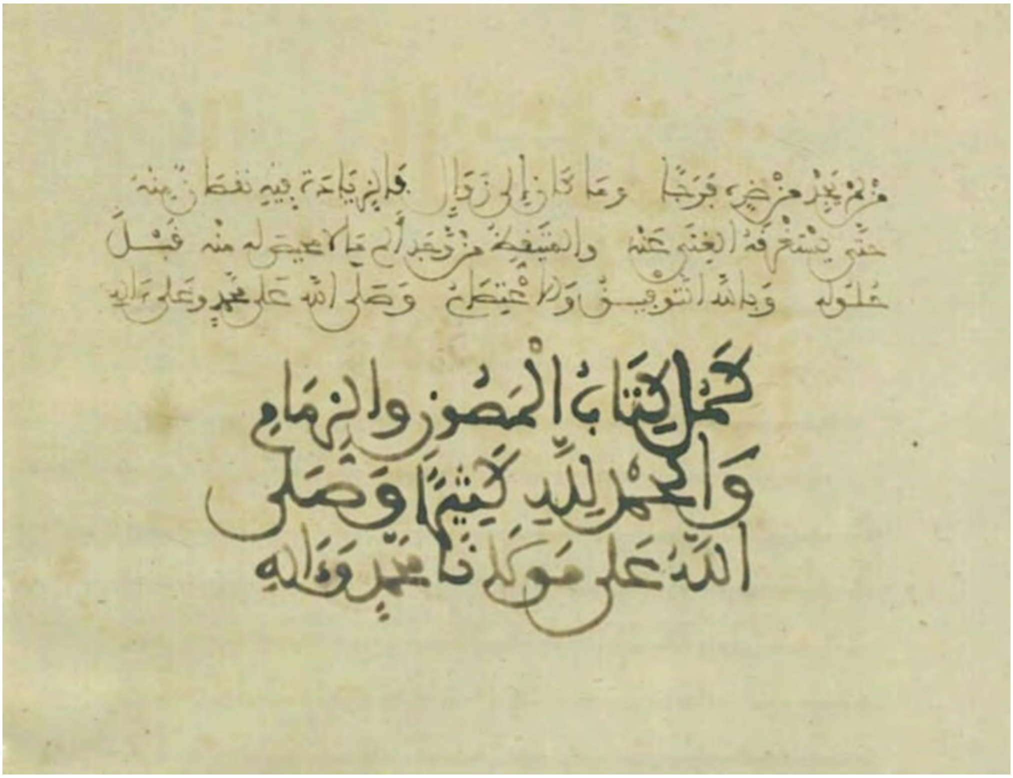
٢. عـزوت الآيـات، وخرّجـت النصوص مـن مظانّهـا. ولم أطِـلْ رغبة في الإيجـاز، وجنوحًـا إلى التخفيـف عن القـارئ، مكتفيًـا بتخريجها من المصادر المتقدّمـة ما أمكن. وجرّأني على تقليـل الإشارات أن التخريج من (جواهر الكلم) أو من (اختيار الوزير المغربي) كافٍ في الدلالة على مظانّ أخرى، ففي حاشيتي هذين الكتابين تخريجات نافعة.

٣. عدّلـتُ ما رأيته خطأ يحرف المعنى، وما كان تصحيفًا وتحريفًا، وجعلت ما أعدّله بين معقوفتين، وأشرت إلى ذلك في الحواشي.

صور من المخطوط:



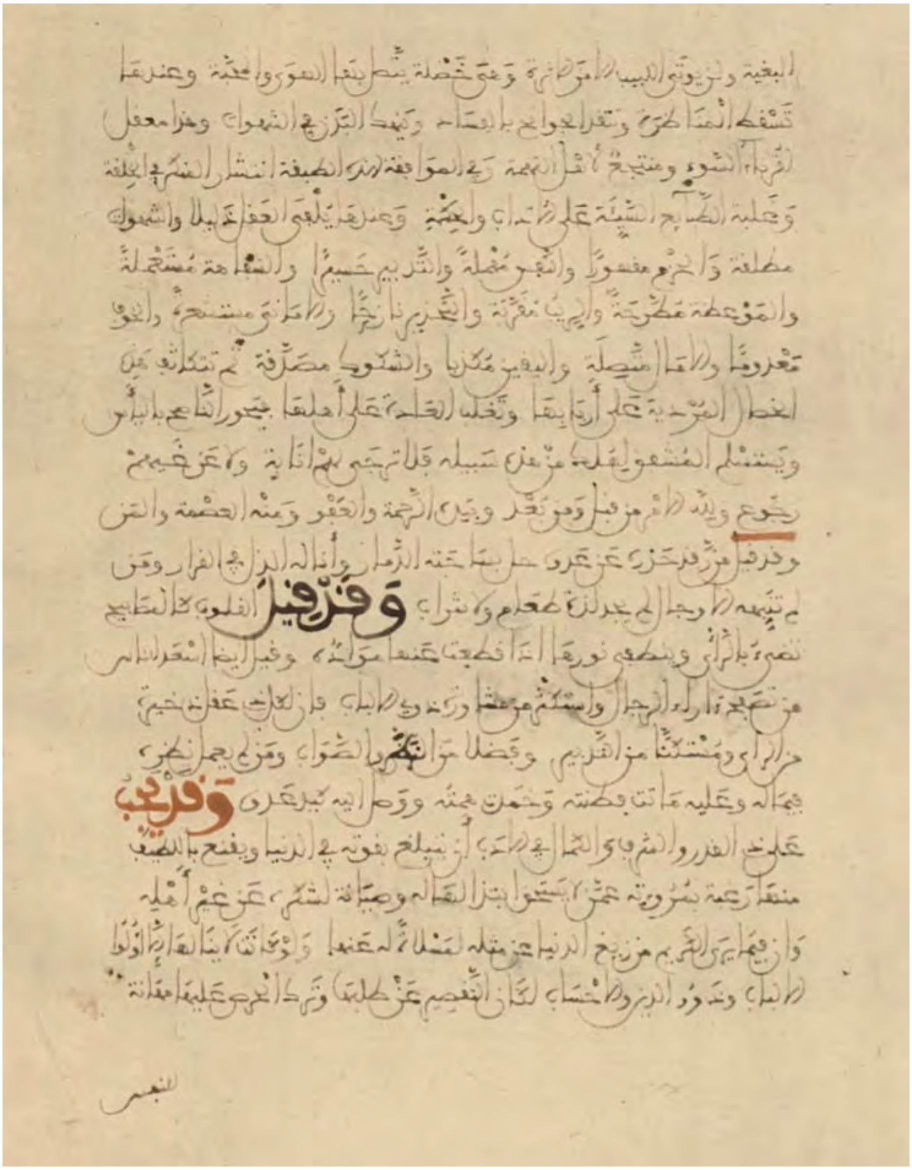

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
الزهد
فإذا
ولولا غباوة العقول


من لم يجد من ضيق فرجا وما كان إلى زوال فلابد زيادة فيه نقصان منه
حتى يشغفه الغنى عنه والمشفق من تجد أن ما لا يحصل له منه قبل
حلوله وبالله التوفيق وبه أعتصم وصلى الله على محمد وعلى آله

كمل كتاب المصون والزمام
والحمد لله كثيرا وصلى
الله على مولانا محمد وآله



انتهى المقصود بعون الله تعالى
الزمام



الكتاب الأول

المَصُون

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

١. الدهرُ أنصحُ المؤدّبين، وأفصحُ الواعظين، وكفاك من كلِّ يوم خبرٌ يُورِدُه عليك، ونبأٌ ينقلُه إليك، وعِبرةٌ يكشفُها لك، وإنما الأيامُ مَراقٍ في الأدب، ودرجاتٌ إلى العلمِ الأكبر، فمن فهم عنها غِيَرَها[١٩]، وتفكّر في صروفِها ومحنتِها، سَعِد بعلمه، ولم يفتقرْ إلى غيرِ نفسه[٢٠]، وعلى حسَبِ إحاطة عقلِه بذلك، وإعانةِ فهمِه له عليه، يكونُ إشراقُه على الدهر، وإحكامُه لُمعضِلِ ما كُلِّفَ فيه، ولو صحبَ ذو الغفلةِ أيّامَ الدنيا، بعجائب[٢١] ما تصرّفت به على القرونِ، لم يزلْ جَزِعًا[٢٢] في الغِرّة، متَدَلِّهًا في الحوادثِ النّازلة، لأن الغفلةَ ظُلمةٌ زائدة، والمعرفةَ مصباحٌ للقريحة، فإذا رأيتَ ذا العمرِ الطويل كثيرَ التعجُّبِ ممّا يرى ويسمعُ، فذلك لقلّةِ حفظِه للتجرِبة، ولسهوِه عمّا مرّت به صروفُ الليالي الخالية[٢٣]، ولولا غباوةُ العقولِ عن عجيبِ فطرةِ المخلوق، لكان فيما يقفُ عليه المرءُ من نفسه، في رضاه وسخَطه، وضيقِه وسَعَته، وإمساكه وبذلِه، وقصدِه وإسرافه، وسكونِه وحركتِه، وحزمِه وتفريطه = مَشْغَلَةٌ له عن التعجُّبِ من غيرِه، حين اختلف الضدّانِ فيه، وعنده العلمُ بفضيلةِ أحدِهما على صاحبِه، فمال إلى الأخَصِّ منهما، (ص ١٩٦)[٢٤] وقد تقدّمتْ معرفتُه بسوءِ عاقبتِه.

١. أمَا في هذا ما يمنعُ المنصفَ من ادّعاءِ الحكمة، ويردعُه عن الاستطالةِ

بالفطنـة، ويُوجِـبُ عليـه النقصَ في النفسِ والتركيب؟ لكنـه نظر إلى نفسِـه بغفلتِه وسَهوِه، فسقط عنه ما بلاه من أمره، وثبَتَ عنده ما عاينَ في غـيرِه، فمـن لم يقهرِ الدنيّ مـن أخلاقِه، وما تُنازِعُـه نفسُه إليه من همّتـه وشهواتِـه، لم ينتفعْ بما يعلـمُ، ولم يبلغْ سهمُه الغرضَ الذي إليه يقصد[٢٥].

٢. ومن أراد أن تنقـادَ له القلوبُ بالطاعة، ويُشعِرَه سامعُه بقبولِ ما يودِعُه من الموعظة، فلْيتوَلَّ ذلـك من نفسِه، فإن قدَرَ على رياضتِها، ووقف بها حيـثُ يجبُ من مصلحتِها، فلْيثـقْ عند ذلك بسرعةِ نفاذِ أمرِه في غيرِه، وقبـولِ ما يـراه، ويأمرُ به سـواه، فإن المهـذَّب مطـاعٌ[٢٦]، والعاجزَ عن مصلحتِه لا يحظى غيرُه بعظَتِه.

٣. خُـذْ من نفسِك عُدّةً لما تحبُّ دَرَكَه، بصدقٍ غيرِ مدخولٍ، وعدلٍ لا يشُوبُه جَورٌ، ورُمْ ما شئتَ بالإنصاف، وأنا زعيمُك بالظفر[٢٧]، فإنّما أُتِي الناسُ من طلبِهم ما يحبّون بالتعسّف، وسعيِهم إلى جَسيمِ الأمورِ بالهُوينى[٢٨]؛ ولذلك لم يهتدوا إلى مقصِدِهم، ورجعوا آسفينَ على تفريطِهم.

٤. لا تسَـلْ غـيرَ نفسِك عـن أمـرِك، ولا تسمعْ منهـا إلّا ما يزَكّيـه علمُك، ويحقّقُه فعلُك؛ فإنك بك أعلم، فإن قضيتَ خفيّاتِ أمورِك المستورة، فلا تدخُلَنَّـك الشُّبهةُ في صحّة ذلك عند الناس، وتبجيلهم لك عليه[٢٩]، ولا يغُرَّك القولُ الذي تُلقَى به عند الحاجةِ تُعرَضُ إليك، بأن يستدرجَك ذو مَلَق[٣٠] ليعطفك إليه بالغـرور، فإن أنقصَ الناسِ حظًّا من صدّقَ بغيبٍ يكذِّبُه عِيانُه[٣١]، وتنفيه أفعالُه.

٥. اجعـلْ عقلَك أمينـًا على خصالِك ونفسِـك[٣٢]؛ ليعرّفَك ما تعملُ به، ثم انظرْ مـا تحمدُ من غيرِك، فاقبلْه منها، ومـا تذمُّه من (١٩٧) سواكَ،

فـلا ترضَـى به لها، ولا تأنسْـ بما يخفى على الناسِ مـن عيوبِك، وإن لم ينتشـرْ عنك، فإنّ أُنسَك بذلك ضَراوةٌ على المُعاودة، وإذا تمادى القبيحُ بدا وغلبَ على صاحبِه، حتى ينكشفَ منه ما كان مستترًا عليه.

٦. حافـظْ على أحسنِ ما عُرفتَ به، ورضيتَه مـن نفسِك، وزِدْ فيه كلَّ يوم، وإيّـاك والتعرّضَ لمذموم تفعلُـه بدالّةِ ما سمعتَ فيك ممّا تحبُّ، أو لقولٍ يستغرقُ متقدّمَ الحسناتٍ، فإنّ قليـلَ الإساءةِ يمحقُ كثيرَ الإحسان(٣٣)، مـع الحسـدِ الموكَّلِ بأهـلِ النّعَم، فقـد يذْكُرُك بالجميلِ مـن عرفك به، فيعترضُـ في قولِه حاسدٌ بقبيحٍ منك عثر عليه، فيهدمُ به ما شيّد المُثني عليك، معَ أنّه لا يسلمُ أحدٌ من تُهَمة توجّهتْ نحوه، وقبيحٍ قيلَ فيه، وليس هـذا أخافُ عليك، ولا هو الذي يبلغُ ما كرهت من الفسادِ لجميل فعلك، ولكن ما صحّ عندك من منكرٍ أتيتَه، فمنه فأشفِقْ على صالحِ أمرك.

٧. وإن أردتَ زينــةً وجمالًا لا تغيِّرُهما الأيّام، وطاعةً فيما تسألُ، وثناءً فيما ينتشـرُ في الآفاق، وشرفًا تليدًا مع الدهر، فاصحب المروءةَ، واصبر على صيانةِ نفسِك من الشَّين، وليست تمتنعُ المروءةُ ممّن أرادها بالاشتطاطِ في السَّـوم، ولا الحَيـفِ في الشـراء، ولـو كانـت لا تُنـالُ إلّا بذلك، كان مـا تُفيـدُ منها أكثرَ من قيمةِ ما تبذلُ فيها، ولو لم تكن توجد إلا في البلد النـازح، وبالمؤَنِ العظام، وجب على من عـرف قدرَها التماسَها على كلِّ حـال، فكيف وهي عنـدك محبوسةٌ، وفي أخلاقـك مُسْتَكنّـةٌ، فاقدحْها بزنـادِ عقلِـك، يُنشَرْ عليـك رونقُها، وتظهـرْ فيك جلالتُهـا ونُبلُها، بأن تـدعَ مـا لا تحتاجُ إلى ذِكْـرِه، وتحسنَ فيما ملكتَ من الأمـور، وإن صغُر قدرُه، وترفضَ الشائنَ لأهلِه، وتتحرّى القصدَ فيما تأتي وتذر، ولا يجبُ عليك حقٌّ إلّا أدّيتَ فرضَه، بحسَبِ الإمكان، ولا يقولنّ قائلٌ: إنّما المروءةُ

بالمـال، فإنّ المـالَ يكـادُ (١٩٨) يمحقُ المـروءةَ، ويعسّـرُ انقيادَها على صاحبِـه بتوابعِ المالِ وغلَبَتِه على أهلِه، وأنـه ربّما أفسد الخُلُقَ الصالح، وثلَـمَ في الكرمِ والحُرّيـة، فالمروءةُ في كلِّ طبقةٍ موجـودة، إذا التُمِستْ، وليسـت تُباعُ بثَمـن، إنّما هو حسنٌ تفعلُه قـولًا، إن لم يكن فُعِل صَمتًا إن ضرّ القولُ، فتستحقّها بهذا الخلُق، وعلى حسَبِ التزيُّد فيما تجدُ السبيلَ إليـه، يكونُ التقدُّم، فقـد أطلعتُك على كُنهِهـا، وأشرفتُ بك على معنى المرادِ منها، فإن قصدتَها اتّضحَ لك أمرُها، وسهُل عليك سبيلُها(٣٤).

٨. داوِ الحسـدَ منـك إذا وجدتَ حسَّه بقَمعِـه، وصغّر قدرَ من عُرِف به، واعلم أنك لا تدفـعُ النعمةَ عن المحسود بحسدِك إيّاه، ولا تصلُ إليك لو زالت عنه، وعلى كلّ مخلوقٍ نعمةٌ وإن خَفِيَت عليه، فالنّعمُ أنواعٌ وضروب، وما يبتلي اللّه به في النفسِ من السلامة، ويهَبُ في الجوارحِ من العافية، أفضـلُ من عرَضِ الدنيا. ورُبّ حاسدٍ هو أعظـمُ نعمةً من المحسود، فلو تشاغـل بشكرِ ما أُعطِي، كان أجدى عليه في المزيد، وفي الحسد نقمتان: كمَدٌ يثلمُ في القلب، وشرَهٌ إلى كلِّ ممتنع(٣٥).

٩. رأيـتُ البغـيَ من جهـلِ المرءِ بسرعةِ نصـرِ اللّه لمن بَغَـى عليه، وهو من فـروعِ الحسـد، فإيّاك أن تضَيِّفَـه قلبَك ليلةً، وأن يقيمَ بـه يومًا واحدًا؛ فإنّ صَرعـةَ صاحبِه لا تُقال، وكاد يكونُ بمعزِلٍ من حفظِ اللّه(٣٦)، وغير مصاحَبٍ بالصُّنع.

١٠. وتنكَّـب العجَلةَ قولًا وفعلًا، وتفهّم ما قيل فيمن عُرِف بها، واحذرها قبل أن يقـعَ بـك ما ذُمَّ منها. واستعدّ لحريقِ الغضـبِ بالأناة، قبل أن تلتهبَ نـارُه في لحمِـك ودمك؛ فإنّ إطفـاءَه قبل انتشاره يسـيرٌ، وعند اشتعاله عسيرٌ، وإذا تمكّـن قبَّحَ منك محاسنَ كنتَ تُحمَدُ بها، فإن كنتَ سلطانًا

فعقوبتُـك بأكثرَ من قدْرِ الذنبِ تجاوزٌ لا وجهَ له[٣٧]، وإن كنتَ سُوقةً فما قدرُ كلمةٍ، وإن بلغتْ منك، في جنبِ ما تفوزُ به في عاجلِ الحمد، والطَّولِ على من نازعك بالعفو[٣٨].

١١. واعلـم أنـه (١٩٩) لا يسقـطُ مكرمـةٌ[٣٩]، ولا تَخفَى حسنـةٌ عن حاملٍ يحملُهـا، ينشرُها عنك، فتكسبُ نفسَك[٤٠] جمـالًا بها، وتروح في نسيم حمـدِك عليها، وتُبْرِدُ اللهبَ الواصـلَ إليك، وليس في وقتِ الرِّضا وُصِفَ الحليم، ولا عند الإمساك حُمِد الجواد، وإنّما ذُكر بالشجاعةِ من مارس الحروبَ[٤١].

١٢. إن أنجحَ الناسِ عقلًا، وأكملَهم أدبًا وفضلًا من صَحِبَ أيامَه بالموادعة، وإخوانَـه بالمسالمة[٤٢]، وتجافى عن بعضِ ما يجـبُ له، وقبل من الزمانِ علـى حسَب ما يمكنُ وجودُه فيه من الناس[٤٣]، فإن الثُّكْلَ الذي لا تُجبَرُ مصيبتُـه، والـرُّزْءَ الذي لا عِوَضَ منه أن توحشَ ناحيتُـك من ثقة كنت تستريحُ إليه من غمومهـا، وتأتمنُه على ذاتِ نفسك. وإن كُمونَ الأحقادِ والتهابَ الغضب، يوقدان البدنَ، ويُشعلان الفكْر، ويَهيجان السواكنَ من الطبائـع، فربّمـا كان من وراءِ ذلـك أَدْواءٌ تحدثُ علـى النفس، وأوجاعٌ غامضـةٌ تنشئُها الفكرة، حتـى يَنتقِضَ الاعتدال، ويفسـدَ المزاج، فعلى ذي اللـبِّ أن يتلطّف لصرفِ ما ابتُلِيَ به، من منازعة إخوانِه، بالاحتمال لمُسالمتهـم. ولا راحةَ لنفسِه من مناقضتِهم، فإنـه حين يعودُ إلى عهدِه الأول مـن معاشرتِهـم، يرجعُ إليه ما فقده من السُّـرور، ويظعنُ عنه ما خامـره من الوحشة، ونعم العوضُ أفاد، وبئس القرينُ فارق، إذ استدفعَ مـا عرضَ له من الأنَفَة والحميّة، واختار مَغَبّةَ السلامة والعافية، ولستُ أطمعُ في هذه الخصالِ إلّا من أهلِ العفو والآداب، الذين سلمت أخلاقُهم مـن الآفـات، وأمّا من أفسدتْـه معاشرةُ المنقوصـين[٤٤]، ولم يفهمْ أدبَ

الحكمـاء، فبعيـد من القبول، غـيرُ متفهّم لما أقول، فكـن ممّن تعاشرُه علـى حسَبِ يومِه، فإذا تحوّل ذلـك اليوم، فاستأنفْ به ما تجدُه عليه في اليوم الثاني، ولا تَقسْ ما رأيتَ منه في يومِك الماضي على ما لم يأتِ بعدُ؛ فإن في كلِّ وقتٍ لكلِّ خَلْقٍ خُلُقًا يشاكلُه، ويجري معه على ما يوافقُه[٤٥].

١٣. واطّرحْ عن نفسِك العنايةَ بطلبِ الوفاءِ من الناسِ، وتعليقَ قلبِك (٢٠٠)، بحفاظِهـم لعهدِك، إن كبا بك الدهرُ، أو عثرت بك الأيّام، فقد صرّحوا باليأسِ من ذلك لمن حسُن ظنُّه بهم، فإن الحزمَ ما أمرتُك به، وبالحَرَى ألّا تمـوتَ أسفًـا عند إعراضِـ الثقاتِ عنـك، وإفرادِهم إيـاك بهمّك، وانصرافِهـم عمّا بك إلى لهوِهم، واختداعِ آخرَ بزُخرُفِ غرورِهم، حتى يحلَّ محلَّك عندهم[٤٦]، فإنهم أبناءُ الدنيا الغَرّارة، وقد عاشروا النَّكْثَ قديمًـا[٤٧]، فـإذا استحكم يأسُك مـن وفائهم، فكن أنـت محتمِلًا على مـا كنتَ ترغبُه منهـم، وتطلبُه عندهم، تكـنْ حصنًا يُلجَـأُ إليه، وركنًا يُعتَمَدُ عليه، ومفزَعًا عند النوائب، ومَفخَرَ الأعقاب.

١٤. وإيـاك والاستئناسَ بشـيءٍ من الأعمال، وقبيحِ الفَعـال، وإن رأيت ذلك قـد كثُر مـن النـاس، فالسيّـدُ إنّمـا استحقّ هـذا الاسمَ بصـبره على الجميـل[٤٨]، واحتماله وظائفَ المروءة، وصيانةِ نفسه عن دَنيِّ الأخلاق، ومن عُـرِف بالكرمِ فله الفـوزُ بالسَّبْقِ يومَ تُمتَحَـنُ الخصالُ، ولا تُحمّل النـاسَ فـوقَ وُسعِهم بعِظَتِك؛ فتثقلَ عليهم نصيحتُـك، فإن المتطبّبَ[٤٩] إنمـا يأمـر بالـدواءِ على قـدرِ احتمـالِ النَّحيـزة[٥٠]، إذا كـان رفيقًا. والقياسُ على الناسِ بالوفاءِ قبل الامتحانِ خطرٌ، وإيجابُ الحكم عليهم عَسِرٌ، والامتحانُ يُبدي جواهرَ الإنسان، فلا تَسْتَنِمْ[٥١] إلى غيرِ ثقة، ولا تمدحَنَّ امرأً بلا تجربة[٥٢].

١٥. رأيـت صلاحَ الأخـلاقِ إنّما هي بمعاشـرةِ الكـرام، وفسادَها بمخالطةِ اللئام[٥٣]، ورأيت الخلق إنما يجري على أحوالِ القَرين، فربّ طبعٍ صالحٍ أفسدتْه عِشْرةُ السِّفْلة ومصافاةُ أهلِ السُّخف، على أنّ الجوهرَ يعودُ إذا كـان صالحًا إلى أهلِه، حين يُنَبَّـهُ من غفلته، ويُعالَجُ من أَدْواءِ الأغراضِ وسُقْم الغريزة، بلطفِ الأدبِ، ورقّةِ الوعظ، والرِّفْقِ في الرّياضة، فذلّلوا أخلاقَكم للمحاسن، وقُودوها إلـى المحامد، وعوّدوها المكارمَ، وعوّدوها الجميـلَ، واصـبروا علـى الإيثـارِ على أنفسـكـم، تجدوه فيمـا تحمدون عاقبتَـه قليـلاً مـن كثـير. ولا تَدانَوا إلـى النـاسِ وزنًا بـوزن، وتكرّموا بالغَنـاء عن الاستقصـاء، وعظّموا أقدارَكم بالتغافلِ عـن دَنـيِّ (٢٠١) الأمـور، وأمسكوا رمَقَ الضعيفِ بالمعونةِ منكم له، وصِلوا من رغبَ إليكم بجاهكـم، إن عجَزتم عمّا رجاه من رِفْدِكم، ولا تكونوا بحّاثين عمّا غاب عنكـم[٥٤]، فيكثرَ عائبُكـم، وتحفّظوا من الكذبِ؛ فإنــه أسقطُ الأخلاقِ قـدرًا، وهو نوعٌ من الفحش، وضربٌ من الدّنــاءة، ولا تستعذبوا التمنّي؛ فإنه من أضغاثِ فكرِ الحمقى، وإذا استحكم في الضميرِ بتسويلِ النفسِ الضعيفــة لــه، جاشتْ به، فَعَلا إلــى اللسانِ، وفارَ مــن القلب، كما يفورُ الماءُ من الإناءِ إذا احتدمتْ تحته النار، واستشعروا السلامةَ من الناس، والبسوا لهـم اللِّينَ، والقَوهم بالبشاشة، وعاشروهـم بالتودُّد، وتفضّلوا عليهـم بحسنِ الاستماعِ إذا حدّثـوا، وإن كان ما يأتون به نَزْرًا، فإن لكلّ امـرئٍ عند نفسـه قـدرًا، والقَوهم بمـا يبسطُهم إليكـم، وقاربوهم في عقولهـم؛ ليألفوكم وتأمنوهم، وروّضوا عقولَكم بأدبِ كلِّ زمان، واجرُوا مع أهلِـه في منهاجِهم، يقلَّ من يُناويكم، وتسلمْ لكم أعراضُكم، وضعوا عنهم مؤونةَ الخـلاف والمنازعة، فربّما أورثت السَّخائمَ، ونقضتْ مُبرَمَ الأمـور[٥٥]، واتّسعـوا لعِشْرةِ العـوامّ، فإنّها أكثر مـا يريدون ممّن صبر عليها[٥٦].

١٦. وكلُّ وصيّــةٍ فهمها المنصوحُ، وقَبِلها مــن الواعظ، ووفّق للعمل بها، فبعد احتمالِ المضَض، والصبرِ على فراقِ ما كان يألفُ، حتى تنقادَ له نفسُه، وتعتادَ ما أُمِر به(٥٧).

١٧. وإياكـم والكِبْرَ؛ فإنه داعيةُ المَقْت، ومن بابِـه تدخلُ النِّقَمُ على صاحبِه، فما أقلَّ مقامَ النعمةِ عنده، وأسرعَ انصرافَها عنه!(٥٨).

١٨. استقبلـوا الأمورَ بالفحصــ، وتصفّحوا وجوهَها بالحــزم، واستبرِئوها بالأناة، يَبْـدُ لكم مكنونُها، ولا تَملّوا ما في أعجازها بتَردادِ النظرِ فيها، ولا يغرَّكـم الهوى بسرعتِه إلى مراتعِه الوَخيمــة، وتوهّموا اطّلاعَ الناسِ عليكم فيما تدعوكم إليه الشهوة، ترتدعوا عنها، فقد رأيتم صرعى تلك المواطن، وما يحفُّهم من النّدامة.

١٩. اعلمــوا أن كلَّ يــوم يمــرُّ [عليكم](٥٩) يحمــلُ ما أودعتموه مــن حسنٍ أو قبيــح، ثــم يمضي فلا يعــودُ، فإن قــدَرتم (٢٠٢) أن تحظَــوا في كلِّ يوم يمــرُّ بمكرُمة، وتتيمّموا فيه حسنةً تبتهجــون بذكرِها، ولو بعد حين، فلا تؤخّروا ذلك فتُغبَنوا حظَّكم من يومِكم، فإن الأيّامَ صحائفُ فخلّدوا فيها الجميـلَ، فقد رأيتم حفظَنا لما استُودِعَتْ من المحامدِ وأفعالِ الكرام، في قديم الدهــر، وأوّلِ الزمان، ثم لا يدرُسُ(٦٠) ذلك معَ ذهابِ القرون، ولا يدرُسُــ على تصرُّفِ الأحــوال. ولْيصدقِ المرءُ نفسَــه، ويعرفْ أين يضعُ قدمَه، فإنّ عليه عيونًا تحصي خطاياه، ومسامعَ تعي عيوبَه.

٢٠. واعلــم أنّ الناسَ يحفظون أعمالَــك عليك، فربّما ذكّــروك بما نسيت، وأتــاك عنهم ما قد سقط مــن علمك، فعلى حسَبِ ذلــك فليكنْ حذَرُك منهــم، وقهرُك لهــم بصيانةِ نفسِك عندهم، إن كنــتَ ذا رغبةٍ في العلوِّ وهِمّــةٍ في الشــرف، فــلا تخلطْ يقينَــك بالظــنّ؛ فيفسُدَ عليــك العزم،

ولا تُوقِفْ علمَك على الشكّ؛ فيدخلَ عليك الوهَن، ولا تُخلِقْ نفسَك بالحرص؛ فتذهبَ عنك بهجةُ الوقار[٦١].

٢١. ارفعْ عن نفسِك المسألةَ، فإنّها فقرٌ حاضر[٦٢]، ولن يستوحشَ العقلاءُ في حالِ المنع، ولن يَستجلِبوا بالحرصِ تعجيلَ ما أحبَّ اللّه تأخيرَه، فسكنوا إلى القُنوع، وجرَوا في ميدانِ السّرور، واستراحوا من عذابِ الطمع، ولم يتدرّعوا ذُلَّ المسألةِ لغيرِ وليِّها[٦٣].

٢٢. عاملِ الناسَ بلِينِ الجانب، وخفضِ الجناح، وسلامةِ الصدر، وذَرِ الإلحاحَ في المطالبِ ما وجدتَ التجَمُّلَ يمكنُك، فإنّ لكلِّ يوم خبرًا جديدًا، والإلحاحُ في المطالبِ يسلُبها، ولن تبقى المروءةُ إلّا مع الصبر، فاجعل القُنوعَ ذُخرًا تتلفّعُ[٦٤] به، حتى يُفتَحَ لك بابٌ تُحسِنُ به الدخولَ منه[٦٥]، فإنّ القُنوعَ إنّما تمكّنَ في نفسِ العبد، من معرفتِه باختيار اللّهِ له، وحُسنِ العزاءِ عمّا سواه، والتجمُّلُ من أكرم ما اعتصم به ذو الحاجة، فإنّ النفسَ من القانعِ لا تُخذَل، وعونُ اللّهِ معَ ذي الأَناة، وما أقربَ الصُّنعَ من الملهوف! وربّما كان الفقرُ نوعًا من أدبِ اللّهِ وخُبْرِه[٦٦] في العواقب. والحظوظُ مراتبُ، فلا تعجَلْ على ثمرةٍ لم تُدرِكْ، فإنّك تنالها في أوانها عَذْبةً، والمدَبِّرُ أعلمُ بالوقتِ الذي تصلحُ فيه (٢٠٣) لما تؤمرُ به، فثقْ بقضاءِ اللّهِ في أمورِك[٦٧]، ولا تجعلْ حوائجَك في عمرِك كلِّه مستجلَبَةً في يومِك الذي أنت فيه؛ فيضيقَ عليه صدرُك، ويسلُبَك القنوطُ جميلَ صبرِك[٦٨].

٢٣. سالمِ الزّمانَ بحسنِ القَبولِ له، ولا تحمِّلْه شطَطًا؛ فتعصفَ عليك ريحُه، وأخِّرْ معاتبتَه لا يُكاشفْك بالمكروه، ووَادِعْه بالرّضا عنه، فإنّه إن اعتسفَك لم تنتصرْ منه، ولم يَدفعْ عنك ضيمَه[٦٩].

٢٤. اجعلْ بينك وبين المحبوبِ حجابًا مـن ترقّبِ زوالِه، لا يفدحْك فقدُه يومَ تنقلُـه عنـك الأحداث، فإنّ مـن لم يتقدّم بالتعزيةِ قبـلَ المصيبة، حرِج بالرُّزْءِ صدرُه، وتفاوتَ عليه أمرُه(٧٠)، وقد قسّم اللّه الزمانَ نِعَمًا، وجعل لها وقتًا وأجلًا، ولم يعِدِ الخلودَ فيها أحدًا، وقد أخذها من قوم، وأودعها آخريـن، فكلُّ منبترٌ ما عنده لا محالة، وليسـ في شرطه حينٌ أفاءَها ألّا يعـودَ في أخذِها، ولا ذلك قائمٌ في أمـلِ العاقل(٧١)، وإنّما هي متعةٌ وأيّامٌ معـدودة، وما كان لآخرِه نهايـةٌ، وكانت أيّامُه مُحصـاةً، فعن قليلٍ نفادُ مدّتِه، وفناءُ آخرِ عدده.

٢٥. اصحـبِ الملـوكَ بالهيبةِ، وإن طال أُنسُك بهـم، فإنّهم إنما احتجبوا عن العـوامِّ لتبقـى هيبتُهـم عندَهم، فـلا تَدَعْ تعاهـدَ ذلك مـن نفسِك لمن اتصلتَ به منهم(٧٢).

٢٦. لا تيأسْ من الزمانِ وإن مطَلَ آمالَك، فإنّ جميعَ من يُغبَط بما أوتيَ فبعد تقتيرٍ منه عليه واتاه(٧٣).

٢٧. لا تأمُـلْ ما تتمنّاه ممّن هو فوقَ قـدرِك في الدنيا في جاهِه ومالِه، وانظرْ مـا تصيرُ إليه عواقبُ من كان في مثلِ حالِه، فربما كان ذو العقلِ معّ قلّةِ ذاتِ يـدِه، أرخى بالًا، وأسلمَ عاقبةً، وأنعَـمَ عيشًا من ذي المال، وليست تكاد الدنيا تسقي صِرْفًا، إذْ في صفائِها الظاهرِ كدَرٌ باطن، وفي كلّ رائقٍ ما ينكرُه. وعلى كلِّ منظرٍ حسنٍ رقيبٌ يغيّرُ بهجتَه(٧٤)، ويُؤذِنُ بزوالِه مع عوارضِ الآفاتِ فيه، والذي يشوبُه من التنغيص، ويلحقُه من الانتقاض مـن خفـيٍّ محجوب، وشجًا للقلـبِ مستور أكثرُ وأجلّ، ومـن ضاق خُلُقُه فبمعزِلٍ من الخفضِ، وإن أسعفه الدهرُ بما سأل وأعطاه ما تمنّى، وما كمالُ الفضلِ إلّا بالدَّعـةِ، وحُسْنِ الخُلُق. وإنّ قيمةَ الخلقِ الصالحِ لأكثرُ من قدرِ (٢٠٤) الدنيا ولو صحبتّه أبدًا(٧٥).

٢٨. اعلمْ أنّ الأيّامَ سهامٌ، والناسَ أغراضٌ، والدهرُ يرميك كلَّ يوم بسهامِه، ويتخرَّمُك بلياليه وأيّامِه، حتى يستغرقَ جميعَ أجزائِك، فكم بقاءُ السلامةِ لك، مع إيقاعِ الأيّام بك؟ وسرعةُ مَمَرِّ الليالي من يديك؟ فلو كُشِفَ عمّا أحدثتْ فيك من النقص، وما هي عليه من هدم ما بقي منك؛ لاستوحشتَ من كلِّ يوم يأتي عليك، واستثقلتَ ممَرَّ الساعاتِ بك، ولكنّ تدبيرَ اللهِ ألْهَى الأنفسَ عن الاعتبار(٧٦)، وشغَلَها بالآمال، وبالسُّلُوِّ عن غوائلِ(٧٧) الدنيا، وُجِد طعمُ لذّاتِها، وأنّها لَأَمَرُّ من العلقم إذا عجمها الحكيم، وأقلُّ من كلِّ شيءٍ قليلٍ إذا تدبّرها اللبيب، وقد أغنت الواصفَ لعيوبِها بظاهرِ أفعالِها. وما تأتي به من العجائب، أكثرُ ممّا يُحيطُ به قولُ الواعظ(٧٨)، ولا قوّةَ إلّا باللّهِ العظيم.

انتهى (المَصُون) بحولِ اللّه تعالى.

الكتاب الثاني

الزِّمام

١. إنّ يقَظَةَ الفهمِ لموعظةِ الواعظِ، تدعو النفسَ إلى الحذَرِ من الخطأ، والعقلَ إلى تصفيتِه من القَذى. وللقلوبِ خواطرُ إلى الهوى، والعقولُ تزجُرُ عنها وتنهى. وفي التجاربِ علمٌ مستأنَف(٧٩)، والاعتبارُ يفيدك الرّشادَ(٨٠)، وكفاك أدبًا لنفسك ما كرهتَه من غيرك، وعليك لأخيك مثلُ الذي عليه لك(٨١). والغضبُ يثيرُ كامنَ الحقد(٨٢)، والصبرُ يناضلُ عنك الحدَثانَ، والجزَعُ من أعوانِ الزمانِ على الإنسان(٨٣)، والجودُ حارسُ الأعراض، والحلْمُ فِدامُ السَّفه، والعفوُ زكاةُ العقل، والوفاءُ أُنسُك ممّن نكث، والسُّلُوُّ عوَضُك ممّن غدر، وأنفعُ الكنوزِ مُخَبّآتُ العقول، وفي

الاستشــارةِ عينٌ من الهداية، وقد خاطرَ من استغنى برأيه[٨٤]، والتدبيرُ قبـلَ العمـلِ يؤمِّنُك النــدمَ (٢٠٥)، وقد استقبل وجـوهَ الآراءِ من عرف مواقــعَ الخطــأ[٨٥]، ومن أمسك عن دَنِـيِّ الفُضــول، عزّ في ذوي العقول، ومن عُرِف بالحكمةِ لحظتْه العيونُ بالوقار[٨٦].

٢. أشــرفُ الغِنــى تــركُ المُنــى[٨٧]، ومــن عـرف الأيّــامَ لم يغفُـلْ عـن الاستعداد[٨٨].

٣. كم من عاقلٍ أسيرٍ عند جاهلٍ أمير[٨٩].

٤. أكْدى راجي البخيل.

٥. الحقُّ ظلٌّ ظَليل[٩٠]، والسَّفَهُ فـرعُ المَعْجَزة، واحتمالُ الضَّيم أوفرُ حظًّا من الجِـدَة، ومن التوفيقِ حسنُ التجرِبة، والصــبرُ جُنَّةٌ من الفاقة[٩١]، والخضوعُ علامةُ الحاجـة، والبخلُ جِلبابُ المَسْكنة[٩٢]، والمودّةُ قرابةٌ مستفادة[٩٣].

٦. ثمــرةُ الاشتياقِ الحركة، وغِبُّ الزيارةِ أمانٌ من المَلالة[٩٤]، والطُّمأنينةُ قبلَ الخِبرة ضدُّ الحزم[٩٥].

٧. أولُ القطيعةِ التجنّي[٩٦].

٨. لا تأمنَنَّ مَلولًا، وإن تحلّى بالصلة[٩٧].

٩. فارقْ شِدْقَ المستطرِف قبل رِيِّه منك.

١٠. ليس في البرقِ اللامع [مُستَمتَعٌ][٩٨] لمن يخوضُ الظُّلْمة[٩٩].

١١. وَصولٌ معدِمٌ خيرٌ من جافٍ مُكثر[١٠٠].

١٢. فقدُ بعضِ أصفيائِك كقطعِ [عضوٍ][١٠١] من أعضائك.

١٣. من أغضى عن القَذى كان مكْفيًّا أبدًا.

١٤. أقبحُ المجازاةِ المكافأةُ بالإساءة[١٠٢].

١٥. الهِجْرانُ من سُقْمِ المودّة، والسُّلُوُّ حاصرٌ للشوق.

١٦. عُجْبُ المرءِ بنفسِه أوّلُ خُسرانِ عقلِه، ومن أطلق طرْفَه كثُرَ أسفُه[١٠٣].

١٧. من ملك شهوتَه صان قدرَه[١٠٤].

١٨. ربَّ صبابةٍ غرستْها لحظة، وربّ حربٍ أثارتْها لفظة[١٠٥].

١٩. من لان عُودُه، كثُرت أغصانُه[١٠٦].

٢٠. من خشُنت عريكتُه ملّه أهلُه[١٠٧]، وأدنسُ شعارِ المرءِ جهلُه[١٠٨].

٢١. من الفراغِ والصحّةِ تكون الصبوة[١٠٩].

٢٢. الخلافُ يهدمُ الرأي[١١٠].

٢٣. ربّما أدرك الظنُّ الصوابَ[١١١].

٢٤. في تقلّبِ الأحوالِ تبدو جواهرُ الرجال[١١٢].

٢٥. ربّ كلمة سلبتْ نعمة[١١٣]، والشكرُ عِصمةٌ من النّقمة.

٢٦. من ركِبَ العجَلةَ لم يأمنِ الكبوة[١١٤].

٢٧. العدلُ مألوف، والهوى عَسُوف[١١٥].

٢٨. صحّة المحنة أجدى عليك من الفطنة.

٢٩. الشّهوةُ حِلفُ الصَّبابة، والعقولُ مطايا الرغبة، والكذِبُ معدِنُ كلِّ تُهَمة، وأنت عبدٌ ما طمعتَ نحوَ كلِّ مُخيلة.

٣٠. الفظاظةُ أذَمُّ خصالِ الحيلة، والهِجرانُ عنوانُ القسوة، والتواضعُ يكسوك المحبّة[١١٦].

٣١. لا تعجَبْ من قدرٍ محتومٍ حلَّ بمخلوق.

٣٢. اعمـلِ اليومَ لما ليس منه غـدًا مَحِيصٌ (٢٠٦)، فبحسَـبِ السُّرورِ يكونُ التنغيص[١١٧].

٣٣. إنّ مجـرى القدرِ يغلبُ الحذر، وابنُ آدمَ غرضٌ للدهر، ومدةُ [الأبد][١١٨] اليومَ أوغد[١١٩].

٣٤. مضـى أمسُك، وعسـى غدُك لغـيرِك[١٢٠]، فربّ هالـكٍ في يومِه، وساعٍ لغيرِه.

٣٥. القلبُ رهـينٌ للأمل، وفَكاكُه حسمُ الطمع[١٢١]، وهيهاتَ منك الغنى [إن لم][١٢٢] يقنعَك ما حويت[١٢٣]. وفي سعةِ الأخلاقِ، كنوزُ الأرزاقِ[١٢٤].

٣٦. احـم نفسَك القنوطَ، واتّهم الرّجاء، وأحسـنِ الظنَّ برحمةِ اللّه لخلقِه، ولا تيأسْ لمذنب، وبابُ التوبةِ مفتوحٌ له.

٣٧. ربّ عَجُـزِ يـوم مباين لصـدره، وربّ ليلٍ غادر بأهلِه، ومـن ذا له يدانِ بغوائلِ الزمانِ؟

٣٨. بئس الزادُ إلى المعاد، التعدّي على العباد[١٢٥].

٣٩. ويلٌ للباغين من أحكمِ الحاكمين.

٤٠. اللطافةُ في الحيلة، أجدى من الوسيلة[١٢٦].

٤١. من كساه الحياءُ ثوبَه، أخفى عن العيونِ عيبَه[١٢٧].

٤٢. هاجـرْ إلـى الراغـبِ فيـك، واكسُ المذنـبَ صَفحَـك، وعاشـرْ أخاك بالحُسنى[١٢٨] و[تَحَرّ][١٢٩] القصدَ؛ تخِفَّ عليك المُؤَن، وقاربِ الناسَ في عقولِهم تسلمْ من غوائلِهم[١٣٠].

٤٣. إزالةُ الرواسي أيسرُ من تأليفِ القلوب[١٣١].

٤٤. امـرآنِ مثواكَ بينهما: راضٍ يمنحُك أكثرَ ممّا يجبُ لك، وساخطٌ عليك ينقُصُك من حقّك.

٤٥. خُذْ على خلائقِك ميثاقَ الصبرِ(١٣٢) في المُلِمّات، فإنّه يهابُك من ناواك، و[اقْرِ](١٣٣) حرصَك بالقنوع، كما تنتصرُ من عدوِّك بالقصاص.

٤٦. بإجالةِ الفكرِ والرأيِ تستدركُ الصواب، وتفوزُ بالحزم.

٤٧. مـع كـثرةِ الصمـتِ تكـونُ الهيبـةُ(١٣٤)، وبعـد المنطـقِ تكـونُ الجلالة، وبالإنصافِ يكثرُ الواصلـون، وبالإفضالِ تعظُمُ الأقدار(١٣٥)، وبالتواضع تتـمُّ النِّعَـم، وباحتمـالِ المُؤنِ يكـثُرُ السـؤدد، وبالسيرةِ العادلـةِ يُقهَرُ المُنـاوي، وبالحِلم عن السفيهِ يكثُرُ الأنصـارُ عليه(١٣٦)، وبحسنِ اللقاء يألفُـك الثنـاءُ الجميـل، وبإيثـارك علـى نفسـك تستحقُّ اسـمَ الكرم، وبالصـدقِ والوفاءِ تكونُ للناسِ معقِلًا وحصنًا(١٣٧)، وبنفيِ العُجْبِ عنك تأمنُ الحاسدين لك، وبتركِ ما لا يعنيك من الأمرِ يتمُّ لك الفضل.

٤٨. الدهـرُ مـوكَّلٌ بتشتيتِ الأُلفة، ولأهـلِ الاعتبارِ يضربُ الزمـانُ الأمثال، وكلُّ يـومٍ يفيدُك علمًا، وأحقُّ الناسِ بالرِّضا من عرف نقصَ الدنيا(١٣٨) (٢٠٧).

٤٩. العاقلُ من اتّهم رأيَه، ولم يثِقْ بكلِّ ما سوّلتْ له نفسُه(١٣٩).

٥٠. هممُ العبادِ أطوارٌ مختلفة، وكلُّهم راضٍ عن منهاجِه الذي سلكه، ومغتبطٌ بمـا طُبِع عليه خُلُقُه، وبتقديرِ أقسامِ اللّه عزّ وجلّ للعباد في الأرزاقِ قام وزن العالَم، وتمّت مدّةُ الدنيا لأهلها، (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ)(١٤٠)، واستغنـى بعضُهـم عـن بعض، وفسد المعاشُ، وبَطَل التسخير، وللّهِ مصالحُ في مكارهِ الناس(١٤١).

٥١. إنّمـا دنيـاك كلُّها وقتُك الذي أنـت فيه، وإنّما عمـرُك أنفاسُك، وعليها

رقيبٌ يحصيها، والشهواتُ أدواءُ الإنسان، وأكبرُ علاجِها حَسمُها، ومن سامح نفسَه فيما تشرَهُ إليه، أتعب جوارحَه في المكابدة، وفقد حظَّه من الراحة، والحريصُ أسيرُ مهانة، ومن وُهِبَ القناعةَ صانته عن المذلّة، والمالُ يُبدي جواهرَ الخصال.

٥٢. إنّما أباد القرونَ تعاقبُ الحركاتِ والسكون[١٤٢].

٥٣. الصدقُ قائدٌ للحقّ، والحقُّ قائدٌ للسعادة، والسعادةُ خاتمةُ العفو، والعفو مفتاحُ الرِّضا، والرِّضا منالُه الفوز، والفوزُ داعيةٌ إلى الجنّة، والجنّة منتهَى الغاية.

٥٤. اليقينُ رأسُ الإيمان، والنّزاهةُ عن الآفاتِ أفضلُ الفضائل، وأكرمُ الشمائل، وأزينُ في المحافل.

٥٥. من عرف قدرَه كمل أدبُه، ومن سما فوقَ خُطّتِه استحقّ الحِرمان من ذوي النّعمةِ عليه[١٤٣].

٥٦. اللسانُ أنفذُ من السهام[١٤٤].

٥٧. الضعيفُ مقهور، والمُوسِرُ مستطيل، ومن اكتنفه البؤسُ نبَتْ عنه العيون، ومن حسُن ظنُّه باللّه قرّتْ عيناه، ومن جزع على ما ذهب منه، كان كمن جزع على ما لم يصلْ إليه.

٥٨. من حسد من فوقَه أتعب نفسَه[١٤٥].

٥٩. الزّلَلُ مع العجَل، والخوفُ شرٌّ لحافِ الرجل، والمُزاحُ مفتاحُ الضغينة[١٤٦].

٦٠. لا دَعَةَ إلّا في سعة، ولا قرارَ إلّا على أمن.

٦١. الصدقُ مع الإقتار، أجملُ من الكذبِ مع اليسار.

٦٢. كُفرُ النّعمةِ لؤم، وصحبةُ الجاهلِ شُؤم(١٤٧).

٦٣. مجالسةُ أهلِ الفضلِ زيادةٌ في العقل.

٦٤. ربّما أخطأ البصيرُ قصدَه، وأصابَ الأعمى رشدَه(١٤٨).

٦٥. أقبحُ الغَيِّ النَّزَق، وأعضلُ الأدواءِ الحمق.

٦٦. إذا تلاحت الخصوم، طاحت الحُلوم (٢٠٨).

٦٧. بعضُ الياس خيرٌ من الطلبِ إلى الناس(١٤٩).

٦٨. كثرةُ الاعتذارِ مذَلّة، ورضا الناسِ غايةٌ مُعجزة.

٦٩. أفضلُ الأعمالِ ما أُكرِهَت عليه النفوس(١٥٠).

٧٠. من حلُم ساد، ومن تفهّم ازداد(١٥١).

٧١. لا عقلَ كتفكير، ولا رأيَ كتدبير.

٧٢. ما أقبحَ الخضوعَ عند الحاجة، والبطرَ عند الغنى!(١٥٢)

٧٣. من استغنى كرُم على الناس، ومن افتقرَ هان عليهم(١٥٣).

٧٤. من عُرف بالحكمةِ لحَظَتْه العيونُ بالوقار، ومن صحب الزمانَ رأى الهوان(١٥٤).

٧٥. إنّما المودّة بحسنِ التعامل.

٧٦. من استرعى الذيبَ ظلم(١٥٥)، ومن عتَبَ على الدهرِ ندم(١٥٦).

٧٧. الغريبُ بكلِّ مكانٍ مظلوم، ومع الغُربةِ الذلّة(١٥٧)، ومن أخلاقِ الأشرافِ الأخذُ بأوسطِ الأمور، وقد قيل: إذا مشيتَ فلا تخبِطْ برجليك، ولا تخطِرْ بيديك، ولا تنظرْ في عِطْفيك، ولا تقفْ على الجماعات، ولا تُطِلِ المِراء، ولا تنازعِ السُّفهاء، وإذا مدحتَ فاختصر، وإذا ذمَمْتَ

فاقتصـر[١٥٨]، وإياك وتشبيـكَ الأصابع، والتعبُّـثَ باللحية، أو الخاتم، أو القَلَنْسُـوة، أو ذُؤابـةِ السيـف، أو إدخالِ الإصبعِ في الأنـف، أو التعبُّثِ بعـودٍ، أو شـيءٍ تأخذُه من الأرض، وإيّاك وكثرةَ التثـاؤب، وأشباهَ ذلك، ممّـا يستخفُّه الناسُ منك، ويَغْتَمِزون به فيك، وإذا أصغيتَ إلى الكلام، فلا تُظهِرْ منه عجبًا، ولا تسألْ إعادتَه مرةً أخرى، وأَغْضِ عن الفكاهات، والضحكِ على الحكايات، ولا تُحدِّثْ بإعجابِك بولدِك، ولا صاحبِك، ولا جاريتِـك، ولا دابّتك، وإياك وأحاديثَ الرؤيـا؛ فليس لأكثرها معنى، ولا تلبسْ من الثيابِ مشهورًا، ولا تركبْ من الـدوابِّ نَكِيرًا[١٥٩]، ولا تتصنَّعْ تصنُّعَ المرأة، ولا تتبذّلْ تبذُّلَ العبد، ولا تُحْفِ لحيتَك، ولا تُطلقْها، ولْيكنْ كُحلُك ودُهنُك غِبًّا، واستعمالك لهما ليلًا، ولا تُلِحَّ في الحاجة، ولا تخضعْ في الطِّلْبة، ولا يعلم أهلُك وولدُك كم مالُك؛ فتهونَ عليهم إن كان قليلًا، ولا تبلـغْ رضاهم منه (٢٠٩) إن كان كثـيرًا، وأدِّبْهم في غيرِ عُنف، ولِنْ لهـم لِينَ عَطف، ولا تُرِ زوجَك إفراطًـا في حُبِّها فتفسدَها، ولا بغضًا لها فتنفِّرَها، وإياك ومُهازلةَ الأمةِ، ومفاكهةَ العبد[١٦٠].

٧٨. إذا خاصمـتَ فاتّقِ الحِدّة، وفكّر في الحُجّة، واحذر العجَلةَ، واصبرْ على جهلِ خصمك، وأَرِ الحاكمَ بينكمـا حلمَك، وإذا سخُف الخصمُ فتوقَّرْ، وإذا صمَتَ فتكلّم، وإذا قرّبك السلطانُ، فكنْ منه على حدِّ السِّنان، وإذا استرسلَ إليك، فلا تأمنِ انقلابَه عليك، وكلّمه بما يشتهي، ودارِه مُداراةَ الصبيّ، ولا يحملْك ما ترى من إلطافِه إياك على الدخولِ بينه وبين أحدٍ من أهلِـه أو ولدِه أو عبيدِه أو حشَمه، وإن كان لذلك مريدًا، ولقولك فيه مطيعًـا. واعلم أنّ زينَ الملـكِ حاجبُه، ولسانَه كاتبُـه، وصاحبَ شرطته يدُه، وحشَمَه واقيتُه، فدارِهم بعقلك، واسْتَبْقِ ببرِّهم حُسنَ حالك، وإذا حدّثـتَ فاصـدُق، وإذا وعدتَ فحقّق، وإذا طلبـتَ فارفُق، ولا تُحدِّثْ بما

لا تحفظ، ولا تخبرْ بما لم ترَ. وإياك وكلَّ حديثٍ يُنكرُه القلب، ويستَرِيبُه السامــع، وارْعَ حقَّ جارِك، ولِنْ لأهلِك وأصهارِك، وأحسِنْ قِرى ضيفِك، وأكـرِمْ مثواه، وإيّــاك والاشتهارَ بكـثرةِ الوضوء، والإسـرافَ في إهراقِ الماء، وإياك وقصَّ الأظفار بالأسنان، وشمَّ الطعام، وعضَّ الإبهام، فإنّ ذلك طرفٌ مـن الوسواس، واستَغْنِ بالحيــاء، ودُمْ على الوفاء، وانصحْ ذا الإخاء، وتوَقَّ مناكحةَ الحمقى، وإذا تكلّمتَ فقدِّر، وإذا صَمَتَّ ففكِّر، وتعاهدْ شاربَك وأظفــارَك بالقصّ، وإذا تنوّرتَ[١٦١] ففي كلِّ شهر، وإذا رأيــتَ فرصةً فانتهزْهــا، وإذا همَمْتَ في مُشكلٍ فابتــدئْ به، والبس لكلِّ دهــرٍ لباسَــه، ولا تَــردْ حتى ترى [مصــدرك]ً[١٦٢]، ولا تمسـكْ إمساكَ الشّكِسِ[١٦٣]، ولا تبذِّرْ تبذيــرَ السّفيه، واعرفْ في مالك حُرمةَ الحقوق، واقضِ واجبَ الصديـق، واستَغْنِ عن الناسِ يحتاجـوا إليك، واعلم أنّ التعّفُّـفَ خلُـقٌ كـريم، وأنّ القُنوعَ مــالٌ جسيم، ومعرفــةَ (٢١٠) الرجلِ قــدرَه تُعلي ذِكرَه، ولسانَ المرءِ أمكنُ مقاتلِه، وسَجنَه أفضلُ من إطلاقِه. والصدقُ زينٌ، والكذِبُ شَينٌ، ولزومُ الكريم على الهوان، خيرٌ من صحبة اللئيم على الإحسان، وزوجُ السوءِ من كبارِ الأدواء، ونكاحُ العجوز وطاعةُ النساءِ يُزري بالدُّهاة. وكان يُقال: الإخوانُ اثنانِ: فحافظٌ لك في البلاء، وصديــقٌ لك في الرخــاء، فاحفظْ أخاك الذي يحفـظُ عِشْرتَك، ويحملُ مشاكلتَــك، وتصنَّعْ للشــرفِ تدركْــه، وتشبَّهْ بذوي الفضــلِ تكنْ منهم، والهوى أعدى الأعداء، والعقلُ أفضلُ الأولياء[١٦٤].

٧٩. احــذرْ دواعيَ الفساد، وإن كنت في غيرِ بــلادِ الأعاد، ولا تجهرْ بصوتك جهــرَ الأصــمّ، ولا تُخافتْ مُخافتــةَ الأخرس، ولا تُقْعِ علــى عَقبيك[١٦٥]، ولا تعتمــدْ علــى إحدى يديك، واعفُ عند القــدرة، وتعفّفْ عند العُسرة، واملِــكْ نفسَــك عند الجِــدَة، وصبّرهــا عند الشــدّة، وريــاءٌ بخيرٍ خيرٌ

مـن [مُعالنــة] (١٦٦) بشـرّ، ومن نقض عهـدًا، احتمل حقـدًا، ومنازعةُ السلطـانِ حمقٌ، والفِرارُ عــارٌ، والتقدُّمُ إلى ما رابـك خطرٌ، ومن أكرم عِرضَـه أكرمه الناس، ومن تقحَّـم تورّط، ومن عثر سقـط، والصَّنيعةُ وديعة، وقلّةُ الشكرِ طرَفٌ من الكفر، وتأديبُ الشيخِ عناء، وتأديبُ الغلامِ لـه دواء، والأيامُ ذواتُ نوائب، فكم راغبٍ كان مرغوبًا إليه، وطالبٍ كان مطلوبًا ما لديه، والزمانُ ذو ألوان (١٦٧).

٨٠. الحُرُّ كَتُومٌ للأسرار، واللئيمُ ناقضٌ للميثاق.

٨١. إذا أحببْتَ فلا تُفْرِطْ، وإذا أبغضتَ فلا تُشْطِطْ (١٦٨).

٨٢. لـكلِّ نجم أُفول، ولكلِّ إقبالٍ [التقـاءٌ] (١٦٩)، ولكلِّ شيءٍ غاية، وعلى قدرِ السُّمُوِّ في الرِّفعة، يكون وجوبٌ (١٧٠) الوقعة (١٧١).

٨٣. سرورُك بقليلِ التَّحَفّـي مع فراغ قلبك له، واستمتاعك به، أحسنُ موقعًا مـن الكثـير، مع شُغلك عنــه؛ فإنّه يُقـال: إنّ كثرةَ الأشغـالِ مَشْغَلَةٌ عن وجودِ (١٧٢) اللذّات، وليسـ بحكيم من ترك التّمييزَ (١٧٣). وقيل أيضًا: من جهةِ التواني وترك الرويّة، يكونُ وهَنُ العزم وخمولُ الهمّة (١٧٤)، وفي إجالةِ الفكرِ وحركةِ الذّهنِ نَباهةُ الرأي، ودَرَكُ (٢١١) البُغية. ولن يُؤتى اللبيبُ إلّا مـن الأَثَرة، وهي خَصْلةٌ يتّصلُ بها الهـوى والمحبّة، وعندهما تسقطُ المناظرة، وتتّقدُ الجوانحُ بالفساد، وينهك البدنُ في الشهوات (١٧٥)، وهذا معقِـلٌ لقُرنـاءِ السّوء، ومنتَجَعٌ لأهـلِ التُّهَمة، وفي الموافقــة لهذه الطبقةِ انتشارُ المنكـر في الخلْقة، وغلَبَةُ الطبائع السيّئـة على الآداب والحكمة، وعندهــا يُلفى العقلُ ذليلًا، والشّهواتُ مطلقةً، والحزمُ مقهورًا، والنّفسُ مهمَلةً، والتّدبيرُ حسيرًا، والسّفاهةُ مستعملةً، والموعظةُ مطّرَحة، والرِّيَبُ مقرَّبةً، والتّحذيرُ نازحًا، والأمانيُّ مستشعَرَةً، والخوفُ معدومًا، والآمالُ

متّصلـةً، واليقينُ مكَذَّبًا، والشُّكـوكُ مصدَّقَةً، ثم تتكاثفُ هذه الخصالُ المُردِيَة على أربابِها، وتغلبُ العادةُ على أهلِها، فيحورُ النّاصحُ باليأس، ويستسلـمُ المشفـقُ لهُلْكِ مَن هـذه سبيلُه، فلا تُرجَى لهـم إنابة، ولا عن غيِّهم رجـوع، ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ، وبيـدِه الرّحمةُ والعفو، ومنه العِصْمةُ والمَنّ.

وقـد قيل: من رقد حذَرُه عن عـدوِّه، حلّ بساحتِه الدَّمار[176]، وأنالَه الذُّلَّ في الفِرار، ومن لم تنبّهْه الأوجال، لم يجدْ لذّةَ طعامٍ ولا شراب.

وقـد قيل: القلوبُ كالمصابيح تضيءُ بالرّأيِ، وينطفئُ نورُها إذا قُطِعت عنها موادُّه.

وقيل أيضًا: أسعدُ النّاسِ من تصفّح آراءَ الرّجال، واستكثر من مشاورةِ ذوي الألبـاب، فإنّ لكلِّ ذي عقلٍ ذخـيرةً من الرّأي، ومُسْتَكَنًّا من التّدبير[177]، وفضلًا مـن النّظرِ والصّواب، ومن لم يُعمِلْ نظرَه فيمـا له وعليه، ماتت فطنتُه، وخمدتْ همّتُه، ووصل إليه كيدُ عدوِّه.

وقد يجبُ على ذي العقلِ والشّرف والكمالِ في الأدبِ أن يتبلّغ بقُوتِه في الدّنيا، ويقنـعَ باللّطيفِ منها؛ رغبـةً بمروءتِه عمّن لا يستحقُّ ابتذالَها له، وصيانةً لشكرِه عـن غـيرِ أهلِه. وإنّ فيما يرى الكـريمُ من زَيغِ الدّنيا عن مثلِـه لَمَسْلاةً له عنها، ولـو كانت لا ينالُهـا إلّا أولو الألباب، وذوو الدّينِ والأحسـاب، لكان التّقصيرُ عن طلبِهـا، وتركُ الحرصِ عليها مَهانـةً (٢١٢) للنَّفس، وغَضاضةً للقدر، ولكنّها لم تزلْ تهوي إلى من يعزُبُ عنه وجهُ الجميل، وتذرُ في أيدي النّاسِ من يجودُ بالمنع، ويبخلُ بالبخل، ولا يعبأ باكتسابِ المحامد، ويستوحشُ من اصطناعِ المكارم.

وقـد قيل: إنّ ذا القـدرِ في نفسِه، والأصيـلَ في رأيه يـزدادُ اتّساعًا للجميل، ونشاطًـا إلى المعروف، وتكرُّمًا في الأخلاق[178]. والإنسـانُ مَلُولٌ لما ظفر به، كَلِفٌ

بمـا مُنِع منـه، وكلّما استحدثـت النفسُ هـوًى، اختلقتْ[١٧٩] فيه البـدنَ، وأتعبت العنايةَ، واستسهلـت ابتذالَ القَدْر، وامتهانَ المروءة، في جنبِ الوَلوع به والإشفاقِ عليه. وليس كلُّ ما حنّت إليه النفسُ تستحقُّ هِبَتَه، ولا تُؤتَمَنُ على المؤانسةِ به[١٨٠].

٨٤. اِلبَسْ للناسِ الوحشةَ في الباطن، وعاشرهـم بالبِشْرِ في الظاهر، حتى تختبرَهم بالمِحَن، وتَلَقَّ الراغبَ منهـم فيك بالقبولِ، واكتُم الانقباضَ عنهـم[١٨١]، والوحشـةَ منهـم؛ فـإنّ النـاسَ منقوصـون عـن الكمـال، وقـد أحكمـوا المَلَـقَ، وأَلِفَتْـه ألسنتُهم، فهـم يستجلبونـك بعلانيَتِهم، ويدافعونـك عمّا في أيديهم، فأمسِكْ عليك قليلًا من قِيادك لهم، وتَلَبَّثْ عـن الطُّمأنينةِ إليهم، فقـد قيل: من جرى معَ هـواه طَلَقًا، جعل للّائمةِ والعَـذْلِ إليه طُرقًـا، ومن سعى بدليلٍ من التدبـير، لم يقعدْ به رأيُه عن دَرَك المرغـوب[١٨٢]، وربّمـا واصلك من كان يهواك في وقـتِ انفرادٍ من النّاسِ، وعُـدْمٍ من المال، فلمّا بلـغ الغنى، وارتقى إلـى ذِرْوةٍ من شرفِ الدّنيـا، وكثُفتْ حاشيتُه، وكثُر تابعـوه، أغفل تعاهُدَك بإفضالِه، وصرف وجـهَ عنايتِه إلى أمثالِه في الجاهِ واليَسـار، والمنـزلةِ من السّلطان، ولم تبقَ عنده بقيّةٌ لرعايةِ حقِّك، ولا حُرمةٌ تنبِّهُه عليك، ولا وفاءٌ يذَكِّرُه بك، فـإن تصرّفتْ به الأيّام، وتقلّبتْ عليه الأحوال، فلجأ إلى ثقاتِه في نفسه، والأمة الذين استفادهم بعدك لمشاركته، خذلوه عن الاحتياج، و[تلقَّوا][١٨٣] مسألتَـه بالـردِّ والحِرمان، ولم يجدْ عندك مـن الجميلِ ما يعودُ به إلـى ما كنتَ لـه عليه، وعرف من غـدرِه بك، ونقضِه لعهـدِك، ما منعه مـن الاعتضادِ برأيك، والاستعانـةِ بك (٢١٣) على ما حَزَبَه من المكروهِ بعدك.

وقد قيل: أشبهُ شيءٍ بزمانٍ أهلُه، ولا إخوانَ لمن لا وفاءَ له[١٨٤]، ومن أخذ عفوَ سلطانِه، استمتع بما يريدُ منهم، ومن كاشفَه قلّ استمتاعُه بهم، وكان أكثرُ حظِّه

مـن إخائِهم التعتُّـبَ عليهم. والناسُ طبقـاتٌ في الأخلاقِ والطّبائـع، ومذاهبُهم شتّـى وفنونٌ؛ فعاشـر كلَّ إنسانٍ بما يحتملُـه خلُقُه، ولا تتكَـرَّهْ سجيَّتَه، وتخلَّقْ له بموافقتِه على طبعِه، بعد دِلالتِه على حظِّه، وإلّا فلستَ بحكيم في رأيك، ولا لطيفٍ في تدبـيرِك، وإنّ اللّه، تعالـى ذِكْـرُه، إنّما وهـبَ الزّيادةَ في العقـول، ليرحمَ بها المنقوصَ، ويعـدلَ بها من ضعُفت خلقتُه[١٨٥]، فتطوَّلْ علـى من دونك؛ فإنّ الغنيَّ عنك في كفاية. ولولا الجُهّالُ لم يُعظَّم اللّبيب، ولم تقمْ للّهِ حجّةٌ على العلماء، بما خصّهم به من الفضل.

وقد قيل: امنع النّاسَ من عِرضِك بما لا يُنكرونَه من فعلِك، واطلب التّعظيمَ في قلوبِهـم بصيانةِ نفسِك، واستبْـقِ مروءتَك بالغنى عنهـم، وتألَّفْ وُدَّهم بالبرِّ لهـم، واحتجبْ من بغيِهم بتركِ الاستطالةِ عليهـم، واستترْ من الشّامتين بحسنِ العـزاءِ عنـد النّوائـب[١٨٦]، ومـن أحـبَّ أن يكتمَ فقـرَه، فلا يقبلَـنَّ معروفَ من يلتمسُ إرفاقَه[١٨٧]، وأنا زعيمٌ لمن ترك فضولَ القولِ بإجلالِ أولي النهى له[١٨٨]، والاقتباسِ منه، فإنّه قد قيل: من ترك ما لا يضـرُّه تركُه، ولا ينفعُه ذِكرُه، عظُم عنـد النّاسِ قـدرُه[١٨٩]. وقد قيـل: غضّوا الأبصـارَ عن المَسـاوي، وتجنّبوا هَتكَ مـا ستر اللّه، فإنّ كلَّ خَليقـةٍ تتمنّى الطّاعة، ولكنّ شهـواتِ النّفوسِ لا يملكُها إلّا السُّعَـداء، ومن نجا أقـلُّ ممّن هلك، ومن أقلـع عن السّوءِ فبعـد مجاهدةٍ وكَبَدٍ شديـد، ومن نظر بعينِ الإنصـاف إلى سرائرِه، ومستورِ قبائحِه، أعشاه ذلك عن عيبِ غيرِه[١٩٠]، وألزمَ نفسَه التّقصير، وصرف إليه الذّمَّ والتّأنيب.

٨٥. لا تُشعِـروا قلوبَكم الغُمومَ لما قد فات من الأشياء، فتَشْغَلوا الأذهانَ عن الاستعـداد لما هو آت، وكونوا مـن (٢١٤) حسنِ الظنِّ بما عند اللّه أوثقَ منكـم بما في أيديكـم، فإنّكم خَليقةٌ [تضنّـون][١٩١] بما تملكون، وذلك علـى اللّه يسير[١٩٢]، وبذلك وصفكم عزّ وجـلّ، إذْ يقولُ: (وَكَانَ ٱلْإِنْسَٰنُ قَتُورًا)[١٩٣].

٨٦. اعلمـوا أنّ في كلّ ساعـة، وعنـد كلّ حركـة، أمرًا حادثًا، وقـدَرًا جاريًا بتبـدُّلِ الأحوال، وانتقالِ الدُّول، وقد قيل: قتـل القَنَطُ[١٩٤] صاحبَه، وفي حسنِ الظنِّ باللّهِ راحةٌ للقلوب، وتجنّبوا الأمانيَّ؛ فإنّها تذهبُ ببهجةِ ما خُوِّلتُم، وتستصغرون لها مواهـبَ اللّهِ عندكم، وتُعقِبُكم الحسراتِ على ما [وَهّمْتُموه][١٩٥] منها أنفسَكم، وهي مكيدةٌ من الشّيطانِ للعبد، وخَتْلٌ له عن الشّكر، واستدراجٌ في الغنى، واستصغارٌ لما لديكم من النِّعَم[١٩٦].

وقد قيل: حاصلُ المُنى الأسفُ، وعاقبتُها الحسرةُ، وليس [للّبيبِ][١٩٧] بها مستَمتَع.

٨٧. الافتخـارُ[١٩٨] يمحقُ الأقـدار، والبطَرُ يمحقُ النِّعَـم، والإنصافُ يؤلّفُ القلـوب، و[الغدر][١٩٩] من صغَرِ القـدر[٢٠٠]، والوفاءُ من كرم السجيّة، والاستطالةُ لسانُ الجهالة[٢٠١]، وآفةُ الشّرفِ الصّلَف[٢٠٢]، والبَخلُ عارٌ، والجُـبنُ منقَصَة، والصّـبرُ شجاعـة[٢٠٣]، والقناعةُ ثـروة، والاقتصادُ غنًى، والمُقِلُّ غريـبٌ في بلدِه، ولم أرَ شيئًا هو أقطعُ للظّهورِ من الغُموم، والعلمُ ناصـحٌ شفيق، والاعتبارُ منارٌ واضح، وأعمالُ العبادِ في عاجلتِهم عليهم في آجلتِهم.

٨٨. ألا إنّ الدّنيا كلَّها غمّ، فإن كان فيها من سرورٍ فهو ريحٌ[٢٠٤].

٨٩. اعلم أنّ الحزنَ تبليدٌ للعقل، ومقطَعٌ للحيلة، فالعاقلُ من إذا ورد عليه ما يحتـاجُ إلى الحيلةِ فيه، قمع الحُزنَ بالحزم، وفرّغ العقلَ للاحتيال[٢٠٥]، وممّـا يدلّك على عقـلِ أخيك، ونصيحتـه لك، أن يقفَـك على عيوبِك، ويستـرَهـا عليك، و[يَعِظَك][٢٠٦] بالحُسنـى، ويتّعظ بها منك، ويزجرَك عن السّيِّئة، وينزجرَ عنها لك[٢٠٧].

٩٠. الصّـبرُ جُنّةُ الأشـراف، والمضطرُّ (٢١٥) من لم يجدْ مـن ضُرٍّ فرجًا، ومـا كان إلى زوالٍ فالزّيادةُ فيه نُقصانٌ منه، حتى يستغرقَه الغنى عنه،

والـمُتيَقّـظُ من وجد ألَمٍ ما لا مَحيصَ له منه قبلَ حُلولِه. وباللّهِ التوفيقُ والاعتصامُ، وصلى اللّه على محمّدٍ وعلى آلِه.

كمُل كتاب المصون والزّمام، والحمد للّه كثيرًا، وصلى اللّه على مولانا محمدٍ وآله.

الهوامش

(١) انظر: الفهرست، النديم، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ٣٧٢، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٣م، ١٨١٥/٤، والوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م، ٢١٠/١٧.

(٢) انظر: هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، إسماعيل البابانى البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ٦٦٨/١-٦٦٩.

(٣) جواهر الكلم وفرائد الحكم، المنسوب إلى علي بن عبيدة الريحاني، تحقيق عبدالله بن سُليم الرُّشيد، كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع، جامعة الملك سعود، الرياض، ط الأولى، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ١٢.

(٤) وكذلك أطال إحسان عباس في التعريف به. انظر: بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٠م ،١/ ١٣١.

(٥) ينظر: بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ،١/ ١٣١.

(٦) ينظر: البصائر والذخائر، التوحيدي، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ، ٣١/٧، والإعجاز والإيجاز، الثعالبي، تحقيق محمد ألتونجي، دار النفائس، بيروت، ط الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٨٥.

(٧) ينظر: الفهرست، ١٧٣، ومعجم الأدباء، ٥٤/١٤.

(٨) ينظر: البصائر والذخائر، ١٥٠/٤، والتذكرة الحمدونية، محمد بن حمدون، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٦م، ١٩٣/٧-١٩٤، ونثر الدر، الآبي، تحقيق: محمد علي قرنة وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١-١٩٩٠م، ٥٩/٤.

(٩) ينظر: الفاضل في صفة الأدب الكامل، الوشاء، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ، ١٠٨-١٠٩، والعفو والاعتذار، الرقام البصري، تحقيق: عبدالقدوس

أبو صالح، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط الأولى، ١٤٠١هـ، ٢/٥٢٣.

(١٠) ينظر: الفهرست، ١٧٣، ومعجم الأدباء، ١٤/٥١، و كشف الظنون، الحاج خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، (مصورة) ١٤١٣هـ، ١٤٦٨، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٢/٤٧٢.

(١١) ينظر: البصائر والذخائر، ٧/٣١.

(١٢) ينظر: الفهرست، ١٧٣، و: معجم الأدباء، ١٤/٥٢.

(١٣) انظر: تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط الثالثة، ١٩٧٩م، ٨/٦٥٥.

(١٤) وإلى هذا ذهب إحسان عباس مشكّكًا في دقة التاريخ المذكور. انظر: بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، ١/١٣٠، ١٣٢، الحاشية ٤.

(١٥) البصائر والذخائر، ٧/٣١.

(١٦) المرجع السابق، ٤/١٥١.

(١٧) المرجع السابق، ٤/١٥١. قال أبو حيان التوحيدي تعليقًا على هذا الكلام: "وهذا جهل بالله العظيم، وجرأة على حلمه الكريم".

(١٨) رمز (ق) يدلّ على أنها من الأوقاف، فقد جُلِبت المخطوطة من الزاوية الناصرية بتمكروت في جنوب المغرب الشرقي. من رسالة نصية بعث بها الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الساوري إلى الأستاذ الدكتور عبدالعزيز المانع، في ١ رجب ١٤٤١هـ، ٢ آذار ٢٠٢٠م.

(١٩) ضُبطت في الأصل (غيّرهَا)، والمراد الغِيَر أي الصروف. وقوله (إنما الأيام...) في اختيار الوزير المغربي، ١٣٩ (ضمن كتاب بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، إحسان عباس).

(٢٠) جواهر الكلم، ٦٢، وبعض هذه الجمل مقارب أو مماثل لما في لباب الآداب، أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب السلفية، القاهرة، د.ط، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٣٢٥، وفيه: "قالت الحكماء".

(٢١) بتسهيل الهمز في الأصل (بعجايب).

(٢٢) في لباب الآداب: "جَذَعًا"، ولكليهما وجه.

(٢٣) (ولو صحب...) لباب الآداب، ٣٢٥.

(٢٤) هذه نهاية الصفحة بالترقيم الحديث المثبت على صفحات المخطوط.

(٢٥) (من لم يقهر...) اختيار الوزير المغربي، ١٦٦.

(٢٦) اختيار الوزير المغربي، ١٦٦.

(٢٧) (رُم ما شئت...) جواهر الكلم، ١٤١.

(٢٨) اختيار الوزير المغربي، ١٦٦. و كُتبت (الهُوينى) في الأصل بألف قائمة.

(٢٩) (لا تسَلْ...) المجتنى، ابن دريد، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط الرابعة، ١٤٠٠هـ، ٣٣.

(٣٠) المَلَق: تكلّف التودد بخلاف ما يضمره القلب.

(٣١) (فأنقص...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٠.

(٣٢) اختيار الوزير المغربي، ١٤٠.

(٣٣) (إياك والتعرض...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٠.

(٣٤) (ولو لم تكن توجد...) بنحوه باختلاف وتصحيف وتحريف في اختيار الوزير المغربي، ١٤٠.

(٣٥) الفقرة في اختيار الوزير المغربي، ١٧١، باختلاف يسير. وجملة (في الحسد...) منفردة مختارةٌ من (المصون)، ١٤٠، وهي من وصية الريحاني للمأمون. ونحوه في جواهر الكلم، ٢٦٢.

(٣٦) (يكاد الباغي أن يكون بمعزِل...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٠. وبعضه من وصية الريحاني للمأمون، والجملة الأولى في جواهر الكلم، ٢٦٢.

(٣٧) نحو قوله: (فعقوبتك...) من كلام أكثم بن صيفي. كتاب المعمّرين، أبو حاتم السجستاني، تحقيق: عبدالمنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م، ٢٤.

(٣٨) بعض ما في هذه الفقرة في جواهر الكلم، ٩٣، ٦٣، ٣٧٣.

(٣٩) كذا (يسقط) بالياء، وهو صواب، لأن التأنيث مجازيّ.

(٤٠) يقال كسَبَه يَكسِبُه، فهو متعدّ، وقد ضُبطت (نفسَك) في الأصل بالنصب.

(٤١) الحكمة الخالدة (جاويدان خُرد)، مسكويه، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، دار انتشارات دانشكاه، طهران، ١٣٧٧هـ، ش، ٥٠.

(٤٢) (إن أنجح...) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢م، ٢٠/١٧٠.

(٤٣) (إن أنجح...) بنحوه في اختيار الوزير المغربي، ١٤١، وهو في جواهر الكلم، ٦٤.

(٤٤) (أفسدتْه معاشرة المنقوصين) جاءت في اختيار الوزير المغربي، ١٤١ فقرة مفردة! وهذا يرجّح نقص النسخة التي اعتمدها إحسان عباس.

(٤٥) (فكن ممن تعاشره...) جواهر الكلم، ٢٨١.

(٤٦) جواهر الكلم، ٦٤.

(٤٧) (عاشروا النكث قديمًا) اختيار الوزير المغربي، ١٤١. وجاء في فقرة مستقلة منقطعة عن السياق! وهذا يؤيّد ما قلته قبل حاشيتين.

(٤٨) أراد: (بصبره على فعل الجميل).

(٤٩) في الأصل (المتطيّب) تصحيف.

(٥٠) النَّحِيزة: الطبيعة.

(٥١) تستنم: تركن.

(٥٢) (لا تحمّل...) جاء بنحوه مفرّقًا في عدة فقَر، جواهر الكلم، ٢٥٩، ٢٩٤، ٣٧٣.

(٥٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: محيي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ٣٩.

(٥٤) (لا تكونوا...) اختيار الوزير المغربي، ١٤١.

(٥٥) (قاربوا الناس...) نحوه في اختيار الوزير المغربي، ١٤١، و(استشعروا السلامة...) في عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، ابن هذيل، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط الأخيرة (كذا!)، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ١٥٦، منسوبًا لبعض الحكماء، مع اختلاف غير يسير.

(٥٦) الفقرة كلها إلا قليلًا مقسّمة في فقر في جواهر الكلم، ٦٥، ٩٣، ١٤١، ١٦٨، ٢١٦، ٢٤٥. وبعضها في الحكمة الخالدة (جاويدان خُرّد)، ٥٠.

(٥٧) الحكمة الخالدة (جاويدان خُرد)، ٥٠.

(٥٨) ينسب لمحمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر رحمه الله. جواهر الكلم، ٥٩، ٩٨.

(٥٩) في الأصل: لكم، وقدّرتها محرّفة، فالمعنى لا يستقيم بها، والمثبَت من جواهر الكلم.

(٦٠) يدرُس: يمّحي ويزول.

(٦١) معظم هذه الفقرة والتي قبلها في جواهر الكلم مقسّمة في عدة فقَر، ٦٤، ٢٩٠، ٣٦٠.

(٦٢) ورد في الحديث: "وإياك والطمعَ، فإنه الفقرُ الحاضرُ". الترغيب والترهيب، قوام السنة الأصبهاني، اعتنى به: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى، د.ت. (٧٠١)، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، العجلوني، تحقيق: يوسف بن محمود الحاج أحمد، مكتبة العلم الحديث، د.ن، د.ط، د.ت. (٨٥٩)، وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، (٣٩٣٨).

(٦٣) يقارب بعض ألفاظه ما نُسب إلى الحارث المحاسبي. في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤ه/١٩٧٤م، ١٠/٧٧.

(٦٤) في لباب الآداب ومحاضرة الأبرار (تَبَلّغ).

(٦٥) (اجعل...) جواهر الكلم، ٥٢.

(٦٦) في محاضرة الأبرار (خِيرةً).

(٦٧) (إن القنوع...) نُسب لبعض الحكماء باختلاف في لباب الآداب، ١٧، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، ابن عربي، دار اليقظة العربية، دمشق، د.ط، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ١/٣٢١.

(٦٨) (الحظوظ...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٢.

(٦٩) جواهر الكلم، ١٨٤.

(٧٠) في اختيار الوزير المغربي، ١٤٢: "من ركب الهوى تفاوت أمره".

(٧١) في اختيار الوزير المغربي، ١٤٢: "ليس الثقة بالزمان في أمل العامل"، و (العامل) محرّفة عن (العاقل).

(٧٢) المجتنى، ٣٣، وجواهر الكلِم، ٦٦، ونحوه في اختيار الوزير المغربي، ١٤٢.

(٧٣) المجتنى، ٣٣، وجواهر الكلِم، ٣٧٤، واختيار الوزير المغربي، ١٤٢.

(٧٤) (على كل...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٢.

(٧٥) (من ضاق...) المجتنى، ٣٣.

(٧٦) في كتاب الزهد: (ولكن تدبير الله فوق الاعتبار).

(٧٧) في الأصل بالتسهيل (غوايل).

(٧٨) لبعض الحكماء. كتاب الزهد، ابن أبي الدنيا، تحقيق ياسين السواس، دار ابن كثير، دمشق، ط الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١٢٠-١٢١، وبعض الفقرة في شرح نهج البلاغة، ٢٩٦/١٩، وعن محقق كتاب الزهد: أخرجه أبو نعيم في الحلية، ١٥٠/١٠، وهو في إحياء علوم الدين، الغزالي، دار الشعب، القاهرة، د.ط، د.ت، ٢٢٧/٣. ويتخرّمك: يفنيك.

(٧٩) (في التجارب...) الإمتاع والمؤانسة، التوحيدي، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ١٥٠/٢، والتمثيل والمحاضرة، الثعالبي، تحقيق عبدالفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ٤٢٤.

(٨٠) (الاعتبار...) منسوب لعلي رضي الله عنه. المجتنى، ٣١.

(٨١) (عليك...) الإمتاع والمؤانسة، ١٥٠/٢.

(٨٢) (في التجارب...) شرح نهج البلاغة، ١٣٤/١٩، ونسبه إلى علي رضي الله عنه.

(٨٣) (الصبر...) نحوه منسوب إلى علي. أدب الدنيا والدين، الماوردي، نشر بعناية اللجنة العلمية بدار المنهاج، بيروت، ط الأولى، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ٤٦٨، وشرح نهج البلاغة، ٣٢١/١، ٤٨/٤، والإشارة في تدبير الإمارة، أبو بكر المرادي، محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، وأحمد فريد المزيدي، ط الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٥٠.

(٨٤) (خاطر...) الإمتاع والمؤانسة، ١٥٠/٢، والتمثيل والمحاضرة، ٤١٨، ونثر الدر، ٢٢٤/٤.

(٨٥) جُلّ هذه الجمل بدءًا من قوله: (الصبرُ يناضل...) ورد منسوبًا إلى علي رضي الله عنه. المجتنى، ٣١، وقوله (خاطر...) في جواهر الكلم، ١٣٨، وفيه تخريج أوسع من مصادره. وسترد هذه الجملة مرة أخرى.

(٨٦) (من عُرف...) نثر الدر، ٢٢٦/٤، وجُعل من كلام أفلاطون في عيون الأنباء في طبقات الأطباء،

ابن أبي أصيبعة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٨م، ٨٥، ونحـوه في التحفـة البهية والطرفـة الشهية، مجموعـة مختارة من عيـون الأدب العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت (مصوّرة عن نشرة الجوائب، الأستانة، ١٣٠٢هـ)، ٢٢.

(٨٧) لعلي رضي الله عنه. المجتنى، ٣١.

(٨٨) (من عرف...) جواهر الكلم، ٣٠٩.

(٨٩) المجتنى، ٣١: "كم من عقلٍ أسير عند هوى أمير"! وهو منسوب لعلي أيضًا.

(٩٠) الإمتاع والمؤانسة، ١٥٠/٢.

(٩١) (مـن التوفيق...) لعلي رضي الله عنه. المجتنى، ٣١. وفي الإمتاع والمؤانسة، ١٤٩/٢: "الضُرّ خير من الفاقة".

(٩٢) (البخـل...) المستجـاد مـن فعـلات الأجـواد، القاضي التنوخـي، تحقيق أحمد فريـد المزيدي، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط الأولـى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٢٣٦، ومحاضـرات الأدباء ومحاورات الشعـراء والبلغـاء، الراغـب الأصفهـاني، تحقيـق رياض مـراد، دار صادر، بـيروت، ط الثانية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٤٧١/٢.

(٩٣) (المـودّة...) لعلـي رضي الله عنـه. المجتنى، ٣١، وهـي للريحاني في تاريخ بغـداد (تاريخ مدينة السـلام)، الخطيـب البغدادي، تحقيـق: بشار عواد معـروف، دار الغـرب الإسلامي، بيروت، ط الأولـى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٤٦٥/١٣، وأنساب السمعاني، ٢١٤/٦ (هذا نقلًا عن إحسان عباس)، وهـي أيضًـا في الإمتـاع والمؤانسـة، ١٥٠/٢، والصداقة والصديـق ،التوحيدي، تحقيـق إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، د.ط، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٢٦٣، لأعرابي، والتحفة البهية، ٢٤.

(٩٤) (غبّ الزيارة...) المجتنى، ٣١، ومحاضرات الأدباء، ٦٦/٣، وشرح مقامات الحريري، الشريشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٦م، ١٩٠/٢، ونحوه في اختيار الوزير المغربي، ١٦٩.

(٩٥) (الطمأنينـة...) منسوب إلى عبدالملك بن مروان. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق علي أحمد معوّض، وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بـيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٧٣/٩، وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ١٤٥/٣٧.

(٩٦) الصداقة والصديق، ٢٧٤، ونثر الدر، ١٩٢/٤، ومحاضرات الأدباء، ١٧/٣.

(٩٧) لعلي رضي الله عنه. المجتنى، ٣١.

(٩٨) في الأصل (مستمع) والتصحيح من المصادر، والمعنى يقتضيه.

(٩٩) المجتنى، ٣١، ونسبه إلى علي رضي الله عنه، والتمثيل والمحاضرة، ٢٣٧، والمدهش، ابن الجوزي، ضبطه وصححه مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٨٤، ونهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٨٥/١، ونظمه إبراهيم الأحدب في فريد اللآل في مجمع الأمثال، إبراهيم الأحدب الطرابلسي، قدّم له إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢١٩/٢:

ليس ببرقٍ لامعٍ مستمتَعٌ فاطّرحِ الظَّلماءَ يا من يسمعُ

(١٠٠) المجتنى، ٣١ ونسبه إلى علي رضي الله عنه، والإمتاع والمؤانسة، ١٥٠/٢، والصداقة والصديق، ٢٦٣ لأعرابي، ونثر الدر، ٢٢٤/٤، والتحفة البهية، ٢٢.

(١٠١) في الأصل بالظاء (عظو).

(١٠٢) النهج المسلوك في سياسة الملوك، عبدالرحمن بن نصر الشيزري (طُبع مع كتاب الإشارة في تدبير الإمارة، الذي ذكرت بياناته أعلاه)، ١٠٥.

(١٠٣) لعلي رضي الله عنه. المجتنى، ٣١. و(من أطلق...) للحسن بن علي رضي الله عنهما في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، السفّاريني، ضبطه وصححه محمد الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ٦٥/١. ونحو الجملة الأولى في جواهر الكلم، ٢٤٤، ٢٤٦.

(١٠٤) لعلي رضي الله عنه. المجتنى، ٣١، وهو في نثر الدر، ٢١٩/٤، ٢٢٤، والإشارة في تدبير الإمارة، ٥٠.

(١٠٥) البصائر والذخائر، ١٧٠/٩، والتمثيل والمحاضرة، ٢١٠، ونثر الدر، ٤/ ١٨٧.

(١٠٦) لعلي رضي الله عنه. المجتنى، ٣١-٣٢. وهو في نثر الدر، ٢٢٢/٤.

(١٠٧) نحو (من خشنت...) نثر الدر، ٢٢٤/٤.

(١٠٨) (أدنس...) في التمثيل والمحاضرة، ٤٣٩: «بئس شعار...». ونسبه إلى الريحاني.

(١٠٩) الإمتاع والمؤانسة، ١٥٠/٢، وأدب الدنيا والدين، ١٠٠، والإشارة في تدبير الإمارة، ٦٧.

(١١٠) لعلي رضي الله عنه. المجتنى، ٣٢.

(١١١) منسوب إلى علي. المجتنى، ٣٢، وشرح نهج البلاغة، ١٥/١٩.

(١١٢) تُنسب إلى علي. المجتنى، ٣٢، وهي في جواهر الكلم، ٢٥٩، وأدب الدنيا والدين، ٣٨٥.

(١١٣) لأكثم بن صيفي. التمثيل والمحاضرة، ٣٦، وهي في جواهر الكلم، ١٦٥.

(١١٤) الإمتاع والمؤانسة، ١٥٠/٢، ونثر الدر، ٢١٩/٤، ٢٢٤، وشرح نهج البلاغة، ١٦٦/٢٠، والتحفة البهية، ٢٥، والإشارة في تدبير الإمارة، ٥٠، ونحوه في جواهر الكلم، ١٧٣.

(١١٥) أدب الدنيا والدين، ٦١.

(١١٦) في المجتنى، ٣٠ لبُزُرْجَمِهْر: «ثمرة التواضع المحبّة».

(١١٧) (بحسب...) المجتنى، وجواهر الكلم، ٨٩.

(١١٨) انطمس بعضها، فلم يبق سوى (الأ)، فأكملتها من البصائر.

(١١٩) (مدة...) البصائر والذخائر، ١/ ١٧٣.

(١٢٠) (عسى غدٌ لغيرك) مثل. مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ط (١٩٧٧م)، ٢/ ٣٨٠.

(١٢١) لعلي رضي الله عنه. المجتنى، ٣٢.

(١٢٢) في الأصل: (أن يقنعك)، والتصحيح من المصدر.

(١٢٣) (هيهات...) لبعض الحكماء في أدب الدنيا والدين، ٣٤٨.

(١٢٤) (في سعة...) محاضرات الأدباء، ١/٥٦٦، وأدب الدنيا والدين، ٣٨٧.

(١٢٥) يُنسب لعلي رضي الله عنه. المجتنى، ٣٢، وللشافعي. سير أعلام النبلاء، الذهبي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى والثانية، ١٤٠١-١٤٠٥هـ، ١٠/٤١، ولجعفر بن يحيى. التمثيل والمحاضرة، ١٤٦، ومحاضرات الأدباء، ١/٤٤٣، وهو في جواهر الكلم، ٧٩.

(١٢٦) يُنسب للشافعي. مناقب الشافعي، البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار النصر، القاهرة، ط الأولى، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ٢/٢٠٣، وتوالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، ابن حجر العسقلاني، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ٢٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ١٣٦، وآداب الملوك بالعدل وتبيين الصادق الكريم الرفيع بالعقل من المنافق اللئيم الوضيع بالجهل، المبارك الأرموي، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ١/٥٥٥، وتسهيل النظر وتعجيل الظفر، ٢٥٦.

(١٢٧) نُسب إلى يحيى بن معاذ وإلى أعرابي. العقد الفريد، ٤/٢٥، ونثر الدر، ٤/ ٢٢٢، والتمثيل والمحاضرة، ٤١٣، وبهجة المجالس، ١/٥٩٤، والتذكرة الحمدونية، ٢/٢٣١، وشرح مقامات الحريري، ٤/٤٠٥، وأدب الدنيا والدين، ٣٩٥.

(١٢٨) (عاشر...) الإمتاع والمؤانسة، ٢/١٥١، والصداقة والصديق، ٢٠٠، لأعرابي، والتحفة البهية، ٢٥ بنحوه.

(١٢٩) في الأصل (تحرّي) وهي -وإن كان لها وجه- ركيكة في سياقها، فثمّ أفعال طلب متوالية، وهذا أحدها.

(١٣٠) (قارب...) جواهر الكلم، ٢٦٧، والإمتاع والمؤانسة، ٢/١٥٠-١٥١، والصداقة والصديق، ٥٤، ونسبه إلى أبي بكر، والبصائر والذخائر، ٥/١٢، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري، تحقيق سليم النعيمي، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ١٩٨٢م، ١/٣٦٠، ونثر الدر، ٤/٢٢٤، واختيار الوزير المغربي، ١٤١.

(١٣١) الإمتاع والمؤانسة، ٢/ ١٥٠، والتحفة البهية، ٢٥.

(١٣٢) الإمتاع والمؤانسة، ٢/ ١٥١. والتحفة البهية، ٢٥.

(١٣٣) ما بين المعقوفين كلمة لم أتبيّنها لانطماس بعضها، ولعل ما أثبتُّ يقاربها.

(١٣٤) اختيار الوزير المغربي، ١٤٨. وقارنه بما في جواهر الكلم، ١٣٤.

(١٣٥) (بالإفضال...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٨.

(١٣٦) (بالحلم...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٨، وجواهر الكلم، ١٣٤، والعقد الفريد، ابن عبدربه، تحقيق: أحمد أمين وصاحبيه، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط الثانية، ١٣٦٧هـ، ٢/ ٢٧٩، والتمثيل والمحاضرة، ٤١٣، وبهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبدالبر القرطبي، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ١/ ٦٠٧، والإشارة في تدبير الإمارة، ٥٠، ونحو هذه الجمل منسوب إلى أفلاطون. عيون الأنباء، ٨٥.

(١٣٧) (بالصدق والوفاء...) نحوه في اختيار الوزير المغربي، ١٤١. وقارنه بما في جواهر الكلم، ٢٩٠.

(١٣٨) نحوه منسوب إلى أفلاطون. عيون الأنباء، ٨٥.

(١٣٩) نسب لسقراطيس الحكيم. مختار الحكم المبشّر بن فاتك، تحقيق عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٩٤.

(١٤٠) سورة الشورى، ٢٧.

(١٤١) انظر: سياسة النفوس ،سنان بن ثابت، تحقيق عبدالفتاح أحمد الفاوي، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، د.ط، ١٩٩٢م، ٧٠.

(١٤٢) نُسب إلى علي رضي الله عنه. عيون الحكم والمواعظ وذخيرة المتعظ والواعظ، علي الليثي الواسطي، تحقيق: حسين الحسني البيرجندي، دار الحديث، قم، إيران، ط الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ١٧٨، وغرر الحكم ودرر الكلم، عبدالواحد الآمدي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، ط الثانية، ١٣٧٧هـ.ش، ١١٥٠.

(١٤٣) كتبها الناسخ (عليك) ثم ضرب عليها، وكتب الهاء، وبقي رأس الكاف.

(١٤٤) نحوه في غرر الخصائص الواضحة وعُرر النقائص الفاضحة، الوطواط، نشرة بولاق، القاهرة، ١٢٨٤هـ، ١٠٧.

(١٤٥) محاضرات الأدباء، ١/ ٥٢٠. ونسبه إلى علي رضي الله عنه.

(١٤٦) نحوه في محاضرات الأدباء، ١/ ٥٨٢.

(١٤٧) جواهر الكلم، ٢٠٥.

(١٤٨) ينسب إلى علي. ربيع الأبرار، ١/ ٣٧.

(١٤٩) ينسب إلى علي. شرح نهج البلاغة، ١٦/ ٩٨.

(١٥٠) منسـوب إلـى عمر بن عبدالعزيز رحمـه الله. محاسبة النفس، ابن أبـي الدنيا، تحقيق مجدي السيـد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ط (١٩٨٧م)، ٨٢، وورد مرفوعًا إلى النبي ولا يصحّ. انظر: إحياء علوم الدين، ٦١/٤.

(١٥١) لعبدالملـك بن صالح الهاشمـي. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيـق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجـي، القاهـرة، ط الرابعـة، ١٩٧٥م، ٩٣/٤، ولعلي رضـي الله عنه. التذكـرة الحمدونية، ٣٣٠/٣، وأدب الدنيا والدين، ٤٠١، وهو في جواهر الكلم، ٣١٢، والإشارة في تدبير الإمارة، ٥٠.

(١٥٢) جواهر الكلم، ٣١٤، والتمثيل والمحاضرة، ٤٣، ولابن المعتز. زهر الآداب وثمر الألباب، الحُصري، مفصّـل ومضبوط ومشروح بقلم زكي مبارك، وحققه وزاد في ضبطه وشرحه محمد محيي الدين عبدالحميـد، دار الجيل، بيروت، ط الرابعـة، ١٩٧٢م، ١٠٨٠، وللملك الهياطلة. الإعجاز والإيجاز، ٤٠، وربيع الأبرار، ١٤٧/٤، وما في هذه المصادر مقارب لما هنا.

(١٥٣) ينسب إلى علي. عيون الحكم والمواعظ، ٤٥٨.

(١٥٤) (من صحب...) أمالي القالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٧٥م، ٢٢٥/٢ من وصية عبدالله بن شداد، ونثر الدر، ٢١٦/٤، ونسب فيه إلى أكثم بن صيفي.

(١٥٥) مجمع الأمثال، ٣١٤/٣، ومحاضرات الأدباء، ٦٠٥/١.

(١٥٦) نحوه في لباب الآداب، ٢٦.

(١٥٧) (إن الغريب...) من كلام أكثم بن صيفي، كتاب المعمرين، ١٨، وقوله: (مع...) ولباب الآداب، ٤٤٥، ونسبه لبرسين الحكيم.

(١٥٨) (إذا مدحت...) لبعض الحكماء بأوجز مما هنا، أسرار الحكماء، ياقوت المستعصمي، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط الأولى، ١٣٠٠هـ، ١١٩.

(١٥٩) (لا تلبس...) لبعض الحكماء، في أسرار الحكماء، ١١٩. وفيه (الحرون) موضع (نكيرًا).

(١٦٠) من وصية الخطّاب بن المعلّى المخزوميّ ابنَه. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم البستي، تحقيـق محمد محيي الديـن عبدالحميد، ومحمـد عبدالرزاق حمزة، ومحمد حامـد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧ه/١٩٧٧م، ١٩٨-٢٠١.

(١٦١) تنَوّر: اطّلى بالنُّورة، وهي ما يُزال به الشعر.

(١٦٢) في الأصل (مصرك)، وهي من سهو الناسخ.

(١٦٣) الشّكِس: سيء الخلق.

(١٦٤) من وصية الخطاب بن المعلى في روضة العقلاء، ١٨٨-١٨٩، ٢٠١، ومحاضرة الأبرار، ٢٣٤/١-٢٣٥. باختلاف في الترتيب وبعض الألفاظ وطول الجمل وقصَرها.

(١٦٥) في الحديـث: "لا تُقْـعِ علـى عقِبيك". شرح مشكل الآثار، الطحـاوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٤٧٩/١٥.

(١٦٦) في الأصل (رياء) وقدّرتها من سهو الناسخ، فالمعنى لا يقوم بها، والتصحيح من روضة العقلاء.

(١٦٧) أغلب ما جاء هنا مأخوذ من وصية الخطاب بن المعلى. روضة العقلاء، ١٩٩-٢٠٢، ومحاضرة الأبرار، ١/٢٣٥-٢٣٦.

(١٦٨) من وصية عبدالله بن شدّاد لابنه. أمالي القالي، ٢/٢٢٧، ولباب الآداب، ٢٥، وعين الأدب والسياسة، ٤٧. وأصله في الأثر المرويّ عن عمر رضي الله عنه: "لا يكن حبُّك كَلَفًا، ولا بغضُك تلَفًا". الجامع لشعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد ومختار الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٨/٥١٨، رقم الحديث (٦١٧٣).

(١٦٩) كذا بدت لي الكلمة! وكأن فيها تحريفًا.

(١٧٠) الوُجوب هنا صوت الارتطام ونحوه.

(١٧١) (على قدر...) المجتنى، ٣٥، ولباب الآداب، ٤٥٠، ونسبه لأفلاطون.

(١٧٢) في المجتنى (وجوه)، ولكليهما فيما أُرى وجه.

(١٧٣) لباب الآداب، ٤٥٠.

(١٧٤) في البصائر والذخائر، ١/١٥٤ لأكثم بن صيفيّ: "من جهة التواني وترك الرويّة يتلف الحزم".

(١٧٥) المجتنى، ٣٥.

(١٧٦) اختيار الوزير المغربي، ١٤٨.

(١٧٧) المجتنى، ٣٥، واختيار الوزير المغربي، ١٤٨.

(١٧٨) (إن ذا القدر...) المجتنى، ٣٦.

(١٧٩) في المجتنى (أخلقتّ).

(١٨٠) (الإنسان...) المجتنى، ٣٦. باختلاف.

(١٨١) المجتنى، ٣٦، ونحوه في اختيار الوزير المغربي، ١٤٨.

(١٨٢) (من جرى...) المجتنى، ٣٦.

(١٨٣) في الأصل (تلقّوه)، ولا وجه للضمير فيها.

(١٨٤) نحو هذه الجملة منسوب للريحاني في الصداقة والصديق، ٢٩٦.

(١٨٥) (إنما وهب...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٩.

(١٨٦) (استتر...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٩.

(١٨٧) في المجتنى (مكافأته).

(١٨٨) (امنع...) المجتنى، ٣٦-٣٧، و(أنا زعيم...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٩.

(١٨٩) (من ترك...) المجتنى، ٣٦.

(١٩٠) (من نظر...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٩.

(١٩١) كُتبت في الأصل بالظاء.

(١٩٢) (لا تشعروا...) المجتنى، ٣٧، وهو فيه بخطاب المفرد.

(١٩٣) سورة الإسراء، الآية ١٠٠.

(١٩٤) يُقال: قَنَط قُنوطًا، وقَنِط قَنَطًا. اللسان (قنط).

(١٩٥) في الأصل (وهبتموه) وقدّرتها محرّفة عن هذه، وهي من المجتنى.

(١٩٦) في الأصل (العُذر)، تصحيف، والتصحيح من المجتنى، ٣٨.

(١٩٧) في الأصل (اللبيب).

(١٩٨) في المجتنى، ٣٨ (الافتقار).

(١٩٩) في الأصل (العذر) وليست بشيء، والتصحيح من اختيار الوزير المغربي.

(٢٠٠) (الإنصاف...) اختيار الوزير المغربي، ١٤٩.

(٢٠١) (الافتخار...) المجتنى، ٣٨.

(٢٠٢) رُوي عن علي رضي الله عنه يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم: "آفةُ الظرْفِ الصَّلَف" الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، المعافى بن زكريا، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٣/٣٢٢، وهو حديث موضوع. انظر: السلسلة الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى، ١٤١٢-١٤٢٥هـ/١٩٩٢-٢٠٠٤م، (١٣٠٢)، ونحوه في جواهر الكلم، ٣٣٥، والزهد والرقائق، ابن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٦٣٣، وروضة العقلاء، ٢١.

(٢٠٣) نحو (الجبن...) منسوب إلى علي رضي الله عنه. شرح نهج البلاغة، ١٨/٩١.

(٢٠٤) من كلام الحسن البصري، أدب الدنيا والدين، ١٨١.

(٢٠٥) (العاقل...) جواهر الكلم، ١٢٢.

(٢٠٦) في الأصل (يعظّمك) ولم أر لها وجهًا، والتصحيح من الصداقة والصديق.

(٢٠٧) (مما يدلّ...) منسوب إلى سقراط. الصداقة والصديق، ١٩٣.

قراءة في نشرة
«تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب»
للدماميني

الدكتور: محمد عاطف التَّرَّاس

مقدمة الدراسة:

الحمد لله المعزِّ لمن أطاعه واتقاه، والمذلِّ لمن أضاع أمره وعصاه، وبعدُ:

فإن كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام الأنصاري المصري المتوفَّى ٧٦١ هـ يُعدُّ أنفس مصنَّفات ابن هشام قاطبةً، بل هو من أنفس كتب العربية قديمًا وحديثًا، ملأت شهرته الآفاق، وتكاثرت نسخه الخطية في مكتبات العالم، بحيث لا تعدم أن تقف على عشرات النسخ في كل بلد، وقد نشره غير واحد من المحقِّقين حتى جاوزتْ طباعته ثلاثين طبعةً، وتناوله القدامى والمحدَثون بالشرح والتحشية والاختصار والنظم.

ولعل أنفس شرح له هو شرح العلامة بدر الدين محمد بن أبي بكر الدَّمَامِيني المتوفَّى ٨٢٧ هـ، فلقد كرَّس الدماميني شطرًا من حياته لخدمة كتاب المغني تدريسًا وتأليفًا؛ فشرحه ثلاثة شروح:

الأول: هــو المسمَّى بـ«الحاشية المصرية»، وهــذه حاشية مختصرة، قيل: إنه تراجع عنها.

والثــاني: هو المسمَّــى بـ«الحاشية الهندية» أو «تحفــة الغريب في الكلام على مغني اللبيب».

والثالث: ذاك المسمَّى بـ«المزج»؛ مزجَ فيه بين شرحه ومتن المصنِّف في عبارة واحدة، لكنه لم يكد يصل إلى حرف الفاء حتى عاجلته المنية، رحمة الله عليه!

وقراءتنا الآن معنية بنقــد نشرة الشرح الثاني، فهو أوسع شروح المغني التي وصلتنا للدماميني، وقد حُقِّق الكتاب مجزَّأً وحُقِّق أيضًا كاملًا، والذي يعنينا هنا طبعته المحققة الوحيدة المنشورة إلى الآن، التي طالَ انتظارها سنين، وهي طبعة عــالم الكتــب الحديث بالأردن، بتحقيــق: الدكتورين: محمد بــن مختار اللوحي، ومحمــد عبد الله غنضور. وتقع هــذه النشرة في قسمين: أولهما: للحروف وكانت رسالة دكتوراه، وثانيهما: للتراكيب. وكل قسم منهما يقع في جزأين، وقد تسلسل ترقيــم صفحات كل قســم على حدة، وطُبعت هذه النشــرة الطبعة الأولى بتاريخ ٢٠١١م.

اعتمد المحقِّقان في هذه النشرة على أربع نسخٍ خطية غير جيدة:

الأولى: نسخة خزانة القرويين برقم ٥٢٢، بتاريخ ٩٧٣ هـ.

والثانية: نسخة الخزانة العامة بالرباط برقم ٧٠١ ج.

والثالثة: نسخة الخزانة العامة أيضًا برقم ٣٥٣٢ د، بتاريخ ١٢٢٠ هـ.

والرابعة: نسخة الخزانة الحسنية برقم ٢٠٤، وهي مبتورة. اعتمد المحقِّقان علــى النسختين الأولــى والثانية مع الاستئناس بالأُخريــين، ليتخذا منهج التلفيق بين النسخ سبيلًا للتحقيق.

عقد اللوحي وصاحبُه الغنضور دراسةً خاصة لكل قسم على حدة، وفي كل قسم وصفٌ للنُّسخ الخطية والمنهج المعتمد في التحقيق، ومع ذلك فإنكَ لن تجد فرقًا بين الوصفينِ والمنهجينِ، وهذه وإن كانت في ظاهرها ميزة فإنها معيبة بالتكرار.

والذي دفعني إلى كتابة هذه الدراسة أني جمعتُ أكثر من عشر نُسخ لكتاب «تحفة الغريب»، بعدما وقفتُ على أخطاء فاحشة في النص المطبوع بين تصحيف وتحريف وسقط، ثم توالت الأخطاء حتى غصَّت بها الأوراق، فهممتُ أن أجمع هذه الأوراق في دراسة بعدما انتهيتُ - بحمد الله - من تحقيق هذا الكتاب كاملًا على أنفس النسخ الخطية المعتمدة.

وستكون الدراسة في قسمين:

القسم الأول: النقد العام.

والقسم الثاني: النقد التفصيلي.

أولا: النقد العام:

بدايةً لم يكلِّف المحقِّقان المغرِبيان أنفسهما مشقة البحث عن نسخ جيدة للكتاب خارج قطرهما المغربي، فاعتمدا على نسخ غير جيدة مقارنةً بالنسخ المتوافرة في مكتبات العالم للكتاب، وعلى رأسها نسخة مكتبة قوين أوغلو بخط العلامة تقي الدين الشُّمُنِّي، برقم ١٠٩٣٨.

بدأ المحقِّقان بكتابة دراسة للكتاب في مطلع كل قسم كما أسلفنا، وهذه الدراسة كثُرت أخطاء المحقِّقينِ فيها، وسأقيم بعض الأدلة على هذا، ومنها:

في مطلع قسم التراكيب عقد الدكتور غنضور المبحث الثاني من الفصل الأول لشيوخ الدماميني وتلاميذه، فذكر أن من شيوخ الدماميني: الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن عرفة التونسي المالكي، وأنه توفي سنة ٨٠٣ هـ، وهذا يعارض

مــا نصَّ عليه هو نفسه في هامش ٦ من الجــزء الأول من قسم التراكيب ص٢١٧ حيث ذكر أنه مات سنة ٧٨٣ هـ، والثاني هو الصحيح الموافق لما في كتب التراجم مثل بغية الوعاة (١/ ٢٢٩).

وأشنــعُ من هذا ما وقع في هذا المبحث أيضًــا المخصَّص لشيوخ الدماميني، فقــد ذكر الغنضــور شيخ الدمامينــي أبا الفضــل النويريَّ، محمــد كمال الدين المتوفــى سنة ٧٨٦ هـ، ثم قــال: «ذكره السخاوي والشوكــاني ضمن شيوخه [أي: الدمامينــي]، وقــد أخذ عنه بمكة، وإذا علمنا أن النويــري توفي سنة ٧٨٦ هـ وأن الدماميني لم يغادر مصر إلا سنة ٨٠٠ هـ، فإن هذه المشيخة يحوم حولها الشكُّ، وأنــه لا أساسَ لأخذه عنه من الصحــة. والحقيقة أن كتــب التراجم الأخرى لم تذكر هذا الشيخ»! انتهى كلامه على ما فيه.

قلتُ: بل يُعدُّ النويري أبرز شيوخ الدماميني بنص كلام الدماميني نفسِه في كتابــه «تحفة الغريــب»[1]، بل إن الدماميني قد حصل علــى إجازة منه في المغني بخطــه، وليس بينه وبــين ابن هشام إلا شيخُــه النويري فقط. يقــول الدماميني في قســم الحــروف في مبحــث «نَعَمْ»: «أُخبِرتُ بمكــةَ في أواخرِ سنــةِ ثماني عشرَ وثمانمائــة، أوائــلَ سنــةِ تسعَ عشــرةَ، أنَّ مولانــا قاضــيَ القضاةِ كمــالَ الدين أبا الفضلِ النويريَّ الشافعيَّ، الناظرَ في الحكم العزيز بمكةَ المشرَّفةِ، سألَ الشيخَ جمــالَ الدينِ بنَ هشــام مصنِّفَ هذا الكتابِ رحمه الله عمــا جرى به العُرفُ في هــذه الأزمنــة من أنَّ الإنســانَ إذا طرقَ بــابَ صاحبِه يقول: (نَعَمْ نَعَــمْ)، مُريدًا للإعــلام بحضوره، وهل لهذا أصلٌ في كلام العرب؟ فقال: نَعَمْ. وقد ذكرتُ ذلك في كتابــي «مغني اللبيب». قال لي ذلك المخبِرُ: ولم أظفرْ بذلك في المغني، وسألتُ عنــه جماعةً، فلم يحصلْ جوابٌ. قلتُ[2] له: هو في موضعينِ من كتابه... وقاضي مكَّــة المشارُ إليه هو أحدُ أشياخي، أخــبرني بمغني اللبيب عن مصنِّفه، وأجازَني إجازةً عامةً، وكتبَ لي خطةً بذلك». انتهى كلام الدماميني.

لكن يبدو أن الذي سبَّب هذا السهو عند المحقِّقِ غنضورٍ أن هذا النصَّ الذي صـرَّح فيه الدماميني بإجازته في المغني من ابن هشام وقعَ في القسم الأول الذي حقَّقه زميلُه اللوحي، ويبدو أنه لم يطلع عليه.

وتلـك ثالثة الأثـافي وباعثة الموبقـات، ففي المبحث الثالـث الخاصِّ بشواهد تحفـة الغريب، من الفصـل الثاني، قسَّم الغنضورُ القـراءاتِ القرآنيةَ إلى ثلاثة أقســام هــي: المتواترة وهي السبــع. والآحاد وهي قراءات القــراء الثلاثة المتمِّمة للعشرة. والقراءات الشاذة وهي قراءة التابعين!!

وهــذا التقسيم لم يقل به أحدٌ؛ فالقــراءات العشرة كلها عند جمهور العلماء متواترة، والسبعة كانت فقط اختيارًا من ابن مجاهد واجتهادًا منه، بل إن بعض العلماء أنكر علــى ابن مجاهد تسبيعَه القراءات المتواترة، وأما القراءة الآحادية فهــي التي صحَّ سندها ولم تبلغ مبلغَ التواتر، وليس لها علاقة بالقراءات الثلاثة، وأما القراءة الشاذة فهي التي فقدت شرطًا من شروط القراءة المتواترة الثلاثة: موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية، وموافقة وجه من وجوه العربية، والتواتر.

فــإذا ما صُرِفتْ أبصارُنا عــن هذه الدراسة لنقفَ علــى منهج المحقِّقِين في اختيــار النصِّ المحقَّق، لم نجــد إلا منهج الاختيار غير المبنــي على منهج؛ فمرةً يختار نصّ النسخة الأصل، ومرةً يعدل عنه إلى ما سواه، وقد يكون النصُّ المختار خطأً باعتراف المحقِّق نفسه وقد صرَّح بهذا في بعض هوامشه.

وكما هو معلوم أن «تحفة الغريب» موضوع على كتاب «مغني اللبيب»، فالكتاب إذن مكــوَّن من متن وشــرح، والمتن مقتطَع من سياق نصِّ ابــن هشام، فكان على المحقِّق أن يربطَ النصَّ بسياقه في هوامشه؛ لأن النصَّ بهذه الصورة يبدو مبتورًا مــن سياقه غيرَ مفهوم، وهذا ما دعا أصحاب بعضِ النُّسخ الخطية النفيسة أن يعلِّقوا عليها بنقل نصِّ ابن هشام في غير ما موطن، فكيف يكون النصُّ المخطوط معتنًــى به أكثرَ من النصِّ المطبوع المحقَّــق؟! وليت أن الأمر كان قاصرًا على هذا

فـإن المحقِّقينِ لم يميِّزا نصَّ المغني في غالب الكتاب خصوصًـا قسمَ التراكيب، فقـد جاء متن ابن هشام غُفْلًا من أيِّ شيء يميزه، مقارنةً بغالب النسخ الخطية التـي ميَّزتْ كلامَ ابـن هشام والشارح، خصوصًا كلام ابن هشام، ففي مطلع كل فقـرة يكتبون كلمة «قـال» بالـحُمرة، وفي مطلع كلام الشـارح الدماميني يكتبون كلمة «أقول» بالـحُمرة أيضًا ليتميز النص للقارئ، فجاء النص المخطوط في غاية الوضوح لكل ذي عينين!

ولكون المحقِّقينِ قد استقل كلٌّ واحد منهما بقِسم فإن العمل بين القِسمين قد جاء منفصِمًا كلَّ الانفصام، وكأن بينهما جفوةً مُستحدَثةً من مَلالٍ؛ لذا لا تعجب أن تهولـكَ كميةُ التكرار في الهوامش بين القِسمـين في تخريج القراءات القرآنية والأحاديـث النبويـة والأبيـات الشعريـة والأمثال والحكـم والتعريـف بالأعلام وغيرهـا، ولا تسألني بعد كل هـذا أن تجد ربطًا للإحالات، لا أقول: بين القِسمين بل بين أجزاء القِسم الواحد، ونظرةٌ عجلى في فهارس القِسمين تُوقِفُكَ على أمثلة مـن هذا، ومن ذلك في الشعر ما وقع في قسم التراكيب ص١٩٧ حيث ورد تخريج بيـت الأخطل، وقد سبق تخريجه أيضًا في قسـم الحروف ص٢٧١، وتخريج بيت ساعـدة بن جُؤية أيضًـا في قسم التراكيب ص٥٧٣، وقد سبـق تخريجه في قسم الحروف ص٢١٧، وتخريج بيت كعب الغنوي أيضًا ص٢٤٣، وقد سبق تخريجه في قسم الحروف ص٨٨٢، وغير هذا كثير.

أمـا عن تخريج القراءات فهذه قـد أبعدَ المحقِّقان فيها النُّجعةَ، وماذا تتوقع بعـد تقسيم القراءات السالف الذِّكر؟! فكثيرًا ما تجـد القراءةَ المستشهَدَ بها في النصـ من غير حفصٍ كما هو ثابت في النُّسخ وكمـا هو ظاهر السياق، ومع هذا فـإن المحقِّقين يأبيـانِ إلا أن يثبتاها من حفصٍ، بل قد تكون قراءة شاذةً مخالفة لرسـم حفص، وهذا من أعجب العجب، ثم تجد التخريج فيها تخريجًا عشوائيًّا لا يقوم على منهج معتمد.

أما عـن تخريج الأحاديث النبوية فحدِّث ولا حـرجَ؛ إذ ليس له منهج أيضًا، وهـذه خاصةً يقع فيها كثـيرٌ من غير المتخصِّصين في العلـوم الشرعية؛ فتراهم يَعـزُون الحديث لأيِّ مصدر وقعَ فيه الحديث دون تقيُّد بمنهج، وقد يعزوه لمصدر مـن غـير مظانِّه، وأضربُ لـك أمثلة: وقـع في قسم التراكيب صـ٣٤١ هامش ٥ تخريجٌ لحديث سعد بن أبي وقاص: «لعلَّكَ أنْ تُخَلَّفَ حتى يَنتفعَ بكَ أقوامٌ ويُضرَّ بكَ آخَرون»، قال المحقِّق في هامشه: «لم أعثر عليه في أي مصدر». والحديث عند البخاري برقم ١٢٩٥، وأيضًا ما وقع في قسم التراكيب ص٣٨٢ هامش ٢ من عزو حديث لمسند أحمد، وهو في صحيح مسلم، فكيف يَعدِلُ عن مسلمٍ لأحمدَ؟! وتارةً يهمل التخريج كليةً مثل ما وقع في ص٤٠٤ من نفس القسم!

أمـا عن تخريج الأبيات الشعرية فقد كان كافيـه أن يخرِّج البيت من ديوانه بجانـب أحد كتب شـروح أبيات المغني مثـل «شرح الأبيات» للبغـدادي، لكنه أبى إلا أن يخـرِّج مـن غير مصدر ولا هـدفَ له إلا تكثيرُ المصـادر دون خدمة لموطن الشاهد الشعري المبهَم مثلًا.

أمـا عن التعريف بالأعلام فإنهما لم يلتزما بالمنهج المحدَّد في الدراسة، وهو التعريـف بالأعـلام غير المشهورين، فتراه معرِّفًا بابـن عباس وأنس بن مالك في قسـم التراكيب ص٥٨٠ هامش ١، ص ٧٦٨ هامش ٥، بينما أهملَ التعريف بعماد الدين الكرماني في ص٦٣٤ من نفس القسم.

أمـا عـن الضبط بالشكل فتارةً يضبـط الكلام ضبطًا شبهَ حـرفيٍّ، وأحيانًا يهمـل الضبـط إلا نادرًا، مثل ما وقـع في مطلع الباب الثالث مـن قسم التراكيب حيـث أهمل ضبط عشرات الصفحات إلا قليلًا، وفي كل هذا تراه كثيرًا ما يعتني بضبـط بنية الكلمة التـي لا حاجةَ لضبطها، ويهمل ضبط أواخر الكلِم التي وُضع الإعـراب من أجلها، هذا فضلًا عن الأخطـاء الفاحشة التي لا تكاد صفحةٌ تخلو منها كما سنرى، وإن كنتُ لم أقصد حصر أخطائه، وإنما كنتُ أجمع ما وقع عليه نظري حتى ملتُ كثرة الأخطاء!

أمــا عن استعمــال الأقواس فهــذا غاية في الخلــل، فتارةً يستعمــل الأقواس المزهَّــرة القرآنيــة لفــروق النُّســخ مثل مــا وقع في مطلــع الجــزء الأول من قسم التراكيب، وتارة يستعمل الأقواس التنصيصة، فلم يخصِّص شيئًا بشيء قطُّ.

أمــا عن تفقير النصــ فغالبه جيد، لكنــه أحيانًا يدعُ بعضـ الصفحات بلا تفقير مثل ما وقع في قسم التراكيب ص٥٥٤، ٥٥٥، ٥٦٧.

ثانيًا: النقد التفصيلي:

قسَّمتُ ما وقع لي من نُقُود تفصيلية إلى خمسة مطالب هي: القرآن، والشعر، والسقــط، والزيادة، ومسائل متفرقة. وفي غالب هذا أذكر رقم الجزء والصفحة والسطــر معًا، عدا الشعر فإني لا أنصّ فيه على ذكر السطر لسهولة الوصول له، ثــم أنقل الجملة أو العبــارة التي بها الخطأ، وأضعُ خطًّا تحــت الخطأ، ثم أقول: «وصوابه»، وأذكر عقِيبها الصواب مميَّزًا بخط آخر تحته.

الأول: نقد ما يتصل بالآيات القرآنية:

جــاءت أغلــب الآيات القرآنيــة في الكتاب مثبتــةً برواية حفصــ عن عاصم خلافًــا لما وقع في النُّسخ الخطيــة المعتمدة، وخلافًا لظاهر النصــ وسياقه، وقدْ آثرتُ أن تكون القراءات الشاذة محصورة بأقواس هلالية تمييزًا لها. ومن ذلك:

- ٢/٧٠٨ السطر الأخير، إثبات قراءة شاذة من حفص: قال: وأمَّا قراءةُ بعضِهم[٣]: ﴿الحَمدُ للّٰه﴾ [الفاتحة: ٢] بضمِّ اللام فهو عارضٌ للإتباع. أقــول: هي قــراءةُ إبراهيمَ بنِ أبي عبلةَ، حكــاه الزمخشريُّ. وحكى عن الحســنِ البصريِّ أنــه قرأ: ﴿الحَمدُ للّٰهِ﴾ بكسرِ الــدالِ لإتباعِها اللامَ. وصوابه في الموطن الأول: ﴿الحَمدُ لُلّٰهِ﴾. وفي الثاني: ﴿الحَمدِ للّٰه﴾.
- ٢/٧٠٩ الفقــرة ٣: والذي حملَ ابنَ عامرٍ على قــراءةِ[٤]: ﴿قَتلَ أَولَدِهِم شُرَكَاؤُهُــم﴾ [الأنعام:١٣٧] أنه رأى في بعضِ المصاحفِ (شركايهم)

مكتوبًا بالياء. وصوابه أن يثبت الآية كما هي عند ابن عامر هكذا: ﴿قَتلُ أَولَدَهِم شُرَكَائِهِم﴾. هذا فضلًا عن تعليقه بهامش ٦ الذي يدل على الجهل المطبق بعلوم القراءات.

- ٧١٨/٢ الفقرة الأخيرة: وأمَّا الكسائي فقرأ: ﴿لِتَزُولَ﴾ بفتح اللام الأولى وضمِّ الثانية، وعليه فاللامُ هي الفارقةُ بينَ «إنِ» المخففة و«إن» النافية، فيكونُ المعنى: ﴿إن كَانَ مَكرُهُم لِتَزُولَ مِنهُ الجِبَالُ﴾. وصوابه في الموضعين: لَتَزُولُ. مع إزالة الأقواس المزهَّرة من حول معنى الآية.
- ٧١٩/٢ سطر ٢: ويؤيدُه قراءةُ ابنِ مسعودٍ[٥]: (وَإن كَانَ مَكرُهُم). وصوابه: (وَمَا كَانَ مَكرُهُم)!
- ٧٣٩/٢ الفقرة ٢: يريدُ قراءةَ مَن قرأ[٦] ﴿هَيتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] بهاءٍ مكسورةٍ، وهمزةٍ ساكنةٍ، وتاءٍ مفتوحةٍ، كـ «جِئْتَ». وصوابه أن يثبت الآية هكذا: ﴿هِئتَ لَكَ﴾. مع تعليقه بهامش هزيل.
- ٧٥٣/٢ الفقرة الأخيرة: ولأنَّ النحويينَ قدَّروا مبتدأً بعد الواو في نَحو: «قمتُ وأصكُّ عينَه»، وبعد الفاء في نَحو: وَمَن عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنهُ [المائدة: ٩٥]وبعد اللام في نَحو لَا أُقسِمُ بِيَوم القِيَمَة [القيامة: ١]. وصوابه أن يثبت الآية على هذه القراءة: ﴿لَأُقسِمُ بِيَوم القِيَمَة﴾ [القيامة: ١][٧].
- ٧٦٠/٢ الفقرة قبل الأخيرة: كقراءةِ أبي رَجاءٍ[٨]: (وَإن كُلُّ ذَلكَ لِمَّا مَتَعُ الحَيَوةِ الدُّنيَا) [الزخرف: ٣٥] بكسر اللام؛ أيْ: «لِلَّذي». وصوابه أن يثبت الآية هكذا: (وَإن كُلُّ ذَلِكَ لِمَا مَتَعُ الحَيَوةِ الدُّنيَا).
- ٧٦٠/٢ الفقرة الأخيرة: فإنْ قلتَ: هل هو شاذٌّ كما في قراءةِ مَن قرأ[٩]: (تَمَامًا عَلَى الَّذي أَحسَنَ) [الأنعام: ١٥٤] بالرفع؟ وصوابه: (أَحسَنُ). مع تعليق بهامش ٧ ليس له صلة بكلام المؤلف.

- ٢/٧٦٤ فقرة ٢: وفي خبر «أنَّ» المفتوحة كقراءة سعيد بن جُبير[١٠]: (إِلَّا إِنَّهُم لَيأكُلُونَ الطَّعَامَ) [الفرقان: ٢٠]. وصوابه أن يثبت الآية هكذا: (إِلَّا أَنَّهُم لَيَأكُلُونَ الطَّعَامَ).

- ٢/٧٦٤ الفقرة قبل الأخيرة: وقُرِئَ في الشواذِّ[١١]: (وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأنفال: ٤٢]. وصوابه: (وَأَنَّ) بفتح الهمزة.

- ٢/٨١٤ الفقرة الأخيرة: تقولُ: «راءَهُ» مثلُ «راعَهُ»، نصَّ عليه في الصحاح، وقد قُرِئَ في الشواذّ[١٢]: (أَن رَّءَاهُ استَغنَى) [العلق: ٧] بألف بعدَ الراءِ، وهمزةٍ بعدَ الألفِ. وصوابه: أن يثبت الآية هكذا: (أَن رَّاءَهُ استَغنَى).

- ٢/٨٣٢ سطر ٣: ويَشهدُ للمُثبتِينَ قراءةُ بعضهم[١٣]: (وَدُّواْ لَو تُدهِنُ فَيُدهِنُونَ) [القلم: ٩] بحذف النونِ، فعطفَ «يُدهِنُوا» بالنصبِ على «تُدْهِنُ» لمَّا كانَ معناه «أنْ تُدهِنَ». وصوابه: (فَيُدهِنُوا).

- ٢/٩٢٧ السطر الأول: وقرأَ أبو عمرو في روايةِ الجُعفيِّ[١٤]: (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ) يعني: وأُتبِعُوا جزاءَ ما أُترِفُوا فيه. وصوابه أن يثبت الآية هكذا: (وَأُتبِعَ).

- ٢/٩٠٩ سطر ٢ إبدال آية مكان آية أخرى بسبب التباس قراءة النص عليه، فأثبتَ الآيةَ ٦٨ من سورة الأنفال، والصواب أن يثبتَ الآية ١٤ من سورة النور: ﴿لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. وصوابه: ﴿أَفَضتُم فِيهِ﴾ [النور: ١٤].

- ٢/٩٣٠ سطر ١٠: وقراءةُ بعضِ السبعة[١٥]: ﴿وَالخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيهِ﴾ [النور: ٩]. وصوابه: ﴿وَالخَمِسَةُ أَن غَضِبَ﴾. وكذا وقع هذا الخلط بين القراءتين في الهامش.

- ٢/٩٦٦ سطر ١٠: وقرأ مَن قرأ[١٦]: (هَذَا ذِكرُ مَن مَّعِيَ) بتنوين «ذِكْر» وكسرِ «مِنْ». وصوابه: وقراءة مَن قرأ: (هَذَا ذِكرٌ مِّن مَّعِيَ).

- ص٩٦٨ الفقرة الثانية: قال: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّاتِكُم﴾. أقول: في سورة البقرة: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾، فقرأ نافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ: «نُكَفِّرْ» بالنون والجزم، وقرأ ابنُ عامرٍ وحفصٌ بالياء والرفعِ، وقرأ الباقونَ بالنونِ والرفع(١٧)، والواوُ ثابتةٌ بالإجماع، والمصنِّفُ حذفَها. وصوابه كما في النسخ: ﴿نُكَفِّرْ﴾ بلا واو قبلها. وفي الموطن الثاني: ﴿وَنُكَفِّرْ﴾ بواو قبلها.
- ١٠٨٧/٢ سطر ٢ من أسفل: إنْ وَلِيهَا دعاءٌ كهذا البيت، أو أمرٌ نحوُ(١٨): ﴿أَلَا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ﴾. وصوابه: ﴿أَلَّا﴾ بلام مفتوحة مخففة.
- ٣٩٣/٣ السطر الأول: قال(١٩): ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١] وصوابه أن يثبت الآية كما هو في النسخ وكما دلّ عليه السياق هكذا: ﴿تَشۡتَهِي﴾.
- ٤٥١/٤ سطر ٢: وأمَّا قراءةُ مَن قرأ(٢٠): ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ رِجَالٞ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] بفتح الباء. وصوابه كما هو ظاهر: ﴿يُسَبَّحُ﴾.
- ٤٩٧/٤ سطر ٢ من أسفل: قرأ جماعةٌ(٢١): ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨]. وصوابه: ﴿فَلۡتَفۡرَحُواْ﴾.
- ٥٩٦/٤ السطر الأول: قوله تعالى(٢٢): ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]. وصوابه أن يثبتها هكذا: ﴿نُنشِرُهَا﴾.
- ٥٩٧/٤ سطر ٢ من أسفل: كقراءة جعفر الصادق(٢٣): ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩] بسكون الياء. وصوابه أن يثبتها هكذا: ﴿أَهَالِيكُم﴾.
- ٦٢٣/٤ السطر الأول: ولكن مجيء قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ

وَمُخـرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥] بالفعلِ فيهما يدلُّ على خلاف ذلك. وصوابه كما هو واضح من السياق: ﴿يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ [يونس: ٣١].

- ٦٢٣/٤ سطـر ٦: لقوله: ﴿فَالِقُ الحَبِّ﴾، ﴿فَالِـقُ الإِصبَاحِ﴾، ﴿وَجَاعِلِ الَّيـلَ﴾. وصوابه: كقوله – ﴿جَاعِلُ الَّيـلِ﴾[٢٤]. وليس قبل كلمة «جاعل» واو عاطفة كما في الآيات السابقة عليها.
- ٦٢٩/٤ سطـر ٦: هذا معارَضٌ بقوله تعالى[٢٥]: ﴿قُل مَـن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـتِ البَرِّ وَالبَحرِ تَدعُونَهُ تَضَرُّعا وَخُفيَة لَّئِـن أَنجَانَا مِن هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّـكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]. وصوابه: ﴿أَنجَيتَنَا﴾.
- ٦٩١/٤ السطـر الأول: وجـاءَ في غيرهنَّ نحو[٢٦]: ﴿فَـلَا خَوفٌ عَلَيهِم﴾ [البقـرة: ٣٨] فيمَن ضمَّ ولم ينوِّن. وصوابه كما هو ظاهر من السياق: (خَوفُ).
- ٧١٩/٤ سطر ١٠: كما قال موسى للسحرة[٢٧]: ﴿مَا جِئتُم بِهِ السِّحرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبطِلُهُ﴾ [يونس: ٨١]». وصوابه: ﴿ءَالسِّحرُ﴾.

الثاني: نقد ما يتصل بالشعر

- ٤٢٦/١ قدَّم الشطر الثاني على الأول من البيت الآتي:

لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنَّنِي رَجُلٌ

- ٤٨٢/١ سطر ٨:

أَكْـلاً تِـلِـقَّـاهـا وشُـرْبًـا قـأُبَـا

وصوابه: تِلِقَّامَا

- ٢/٧٢٣:

فللْموتِ تَغْدُو الوالِداتُ سِخَالَها   كمَا لِخَرَابِ الدُّورِ تُبْنَى المساكِنُ

وصوابه: تَغْذُو.

- ٢/٧٥٨:

فغَبَـرْتُ بعدَهُم بعَيْشٍ ناصِبٍ   وإخـالُ إنِّـي لاحِـقٌ مُسْتَتْبَعُ

وصوابه: بعدَهُمُ.

- ٢/٧٦٢ سقط ما تحته خط من البيت الآتي:

أنا ابنُ أُباةِ الضَّيمِ مِن آلِ مالِكٍ   وإنْ مـالـكٌ كانتْ كِـرامَ المعادِنِ

- ٢/٧٦٣ سقط ما تحته خط من البيت الآتي:

إنِ الحقُّ لا يَخْفَى على ذِي بَصِيرةٍ   وإنْ هـو لـمْ يَـعْـدَمْ خلافَ مُعانِدِ

- ٢/٧٨٤ سقط ما تحته خط من البيت الآتي:

نَصَـرْتُكَ إذْ لا صَاحِبٌ غيـرَ خاذِلٍ   فبُوِّئْتَ حِصْنًا بالكُمَاةِ حَصِينَا

- ٢/٨١٠:

طَـلَـبُـوا صُـلْـحًـا ولاتَ أوانٍ   ....

وصوابه: صُلْحَنَـا.

- ٢/٨٢٨:

ما كـانَ ضَـرُّكَ لو مَـنَـنْـتَ ورُبَّـمَـا   مَنَّ الفَتَى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ؟

وصوابه: ضَرَّكَ.

- ٢/٨٣٢:

ولُـبْـسُ عَـبـاءَةٍ وتَـقَـرَّ عَيْنِي   أَحَـبُّ إلـيَّ مِـنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

وصوابه: عَباءَةٍ.

- ٢/٨٣٣:

لَـبَـيْـتٌ تَـخْـفُـقُ الأرواحُ فيهِ أَحَـبُّ إلـيَّ مِـنْ قَصْـرٍ مُنِيفِ

وصوابه: تَخْفِقُ.

- ٢/٨٤٨:

لَوْ شِئْتَ قدْ نَقَعَ الفُؤادُ بِشَربَةٍ تَدَعُ الحَوائمَ لا يَجُدْنَ غَلِيلا

وصوابه: شِئْتِ.

- ٢/٨٥٧:

ولولا بنُوهَا حولَها لَخَطَبْتُهَا ....

وصوابه: لَخَبَطْتُهَا.

- ٢/٨٦٢:

في أيِّ يَوْمَيَّ مِنَ المَوْتِ أفِرْ؟ أيَـومْ لـمْ يُقْـدَرَ أمْ يَـوْمِ قُـدِرْ؟

وصوابه: أيَومِ.

- ٢/٨٧٦:

لـنْ تَـزالُوا كذالِكم ثُـمَّ لا زِلْـ ـتُ لكُم خَـالِـدًا خُـلُـودَ الجِبالِ

وصوابه: كذلِكم.

- ٢/٨٨٢ كلمة (فلم) كُررت مرتين:

وداعٍ دَعَا: يا مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى فلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذاكَ مُجِيبُ

- ٢/٨٨٧ سقطت كلمة قولاً مع تنوين اللام من «عويل»:

فقُولا لَهَا قولاً رَفيقًا لَعَلَّهَا ستَرحمُنِي مِنْ زَفْـرَةٍ وعَوِيلِ

- ٢/٨٨٨:

وكمْ مَوطنٍ لولايَ طُحْتَ كما هوى بأجرامِهِ مِنْ قُنَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي

وصوابه: قُلَّةِ. وكذا تكرر الخطأ في شرح البيت بعدُ.

- ٩٥٦/٢ سقطت كلمة (ذر) من البيت الآتي:

مِنا أَنْ ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حتى ... أَغابَ شَرِيدَهمْ قَتَرُ الظَّلامِ

- ٩٩١/٢:

فتُوضِحَ فَالمِقْرَاةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها ... .

وصوابه: فَالمِقْرَاةِ.

- ١٠٥٤/٢:

قلتُ إذْ أقبلتْ وزَهْرٌ تَهادَى ... .

وصوابه: وزُهْرٌ.

- ٧٦/٣:

.... ولا يَكُ مَوقِفٌ مِنْكَ الوَداعَا

وصوابه: منكِ.

- ٩٨/٣:

إنَّ سُلَيمَى، واللهُ يَكلؤُها، ... ضَنَّتْ بشَيءٍ ما كانَ يَرزَؤُها

أقول: هذا بيتٌ واحدٌ مُقفًّى من بحر السريع.

وصوابه: المنسرح.

- ١٠٣/٣:

وإنَّكَ واجِدٌ دوني صُعُودًا ... جَراثيمَ الأَقارِعِ والحُتَاتِ

وصوابه: صَعُودًا.

- ١١١/٣:

أَرَانِي، ولا كُفرانَ للَّهِ آيةٌ ... لِنَفْسِي، قد طالَبتُ غيرَ مُنيلِ

وصوابه هنا وفي شرح البيت: أيّةً.

- ٣/١٢٢:

فلمّا خَشِيتُ أظافِرَهُم ... نَجَوْتُ وأَرهَنُهُم مالِكًا

وصوابه: أظافِيرَهُم.

- ٣/١٤٢:

.... وإذا أتتك فلاتَ حِينَ مَناصِ

وصوابه: أتاكِ.

- ٣/١٧٤:

وإنْ مُدَّتِ الأيدي إلى الزَّادِ لمْ أكنْ ... بأعْجلِهِم؛ إذ أشجعُ القومِ أَعجلُ

وصوابه: أجشعُ.

- ٣/١٨٠:

وشَيخًا إلى حَدِّ الثامنينَ فادْعُهُ ... بِها ثُمَّ هَمًّا للمماتِ سَريعَا

وصوابه: الثمانينَ.

- ٣/٢١٢:

ومِنْ جُملةِ الإعجازِ كونُ اختصاصه ... بإيجازِ ألفاظٍ وبَسْطِ معانِ

وصوابه: كما في هامشه: اختِصارِه.

- ٣/٢٢٢ سقط حرف الواو من أول البيت الآتي:

ولولا بَنُوها حَوْلَها لَخَبَطتُها ... .

- ٣/٢٥٤:

لكَ العِزُّ إنْ مَولاكَ عَزّ، وإنْ يُهَنْ ... فَأنتَ لَدَى بُحْبُوحةِ الهُونِ كائِنُ

وصوابه: يَهُنْ.

- ٣/٢٦٩:

وأنتِ التي أحببت كلَّ قَصيرةٍ ... إليَّ، وما تَدْرِي بذاكَ القَصائرُ

وصوابه: حَبَّبتِ.

- ٣/٣٣٦:

فكَأنَّما يَبْغُونَ في تلْكَ الذُّرا ... إنْ باشَرُوا العَيُّوقَ والدَّبَرانا

وصوابه: والدَّبَرانِ.

- ٣/٤١٧:

المُستَجِيرُ بعَمروٍ عِنْدَ كُرْبَتِه ... كالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضاءِ بالنَّارِ

وصوابه: كُرْبَتِهِ.

- ٤/٤٥٨:

فأَدْنَتْ لِيَ الأسبابُ حتَّى بَلَغْتُها ... بنَهْضٍ وقَدْ كادَ ارتِقائي يَصُورُها

وصوابه: بنَهْضِي. (ثم زاد بعد البيت خلافًا للنسخ المعتمدة: «أي: يُقطِّعها. والصُّور: القطع»).

- ٤/٤٥٩:

فمَا صَيَّرَ الأعْنَاقِ فيهِمْ جِبِلَّةً ... ولَكِنَّ أطرافَ الرِّماحِ تَصُورُها

وصوابه: صَيَدُ.

- ٤/٤٥٩:

وفَرْعٍ يَصِيرُ الجِيدَ وَجْفٍ كأنَّهُ ... على اللِّيتِ قِنْوانُ الكُرومِ والدَّوالحِ

وصوابه: وَحْفٍ.

- ٤/٤٨٩:

أتقْرَحُ أكْبادُ المُحبِّينَ بالذِي ... أرَى، كَبِدِي مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَقرَحُ؟

وصوابه: كالَّذِي.

• ٤/٤٩٦:

لَلَبْسُ عَبَاءَةٍ وتَقَرَّ عَيْنِي ....

وصوابه: ولُبْسُ.

• ٤/٤٩٧:

لِتَقُمْ أنتَ يا ابْنَ خَيْرِ قُرَيْشٍ فَلْتُقَضِّي حَوائجَ المُسْلِمِينَا

وصوابه: فَلِتَقْضِي.

• ٤/٥١١:

ألا حبّذا لولا الحياءُ ورُبّمَا مَنَحْتُ الهَوَى ما ليسَ بالمُتقارِبِ

وصوابه هنا وفيما بعدُ: لوما.

• ٤/٥٥٦:

فلا وأبيكَ خَيْرٌ مِنْكَ إنّي لَيُؤْذِينِي التَّحَمْحُمُ والصَّهِيلُ

وصوابه: وأبيكِ خَيْرٍ مِنْكِ أنّي

• ٤/٥٨١:

إلى حُفَرِ أسافِلُهُنَّ جُوفٌ وأعلاهُنَّ صُفَّاحٌ مُقِيمُ

وصوابه: حُفَرٍ.

• ٤/٥٨٦:

ولَمَّا أتاها العِيرُ قالتْ: أبارِدٌ مِنَ التَّمْرِ أمْ هذا حَدِيدٌ وجَنْدَلُ؟

وصوابه: أتَتْها.

• ٤/٥٩٢:

وهَلْ رفَّتْ إليكَ قُرونُ ليلى رَفِيفَ الأُقْحُوَانَةِ في نداها؟

وصوابه: رَيًّا.

• ٤/٥٩٧:

ما أقدَرَ اللَّهَ أنْ يُدْنِيْ على شَحَطٍ مَنْ دارُهُ الحَزْنِ مِمَّنْ داره صُولُ

وصوابه: الحَزْنُ.

- ٤/٥٩٨:

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقتَهُ ذلكَ اليو ... مَ وأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أقيَالِ

وصوابه: مَعْشَرٍ.

- ٤/٦٠١:

لَعَمْري وما عُمْرِي عَليَّ بِهَيِّنٍ ... لَبِئسَ الفتَى المَدْعُوُّ باللَّيلِ حاتِمُ

وصوابه: عَمرِي.

- ٤/٦١٨:

لَمْياءُ فِي شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وفِي اللثَّاتِ وفِي أنيَابِها شَنَبُ

وصوابه: اللِّثاتِ.

- ٤/٦٣٨:

دارٌ لِمَيَّةَ إذْ مَيٌّ تُساعِفُنَا ... ولا يُرَى مِثْلُها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

وصوابه: يَرَى مِثْلَها.

- ٤/٦٥٤:

.... وأَخلَفُوكَ عِدَا الأمرِ الذي وَعَدُوا

وصوابه: عِدَ.

- ٤/٦٧٠:

يا أيُّها المائحُ دَلوِي دُونَكَا

وصوابه: أن ينشده مع حذف ياء النداء؛ فإثباتها يتعارض مع كلام الدماميني بعدُ.

- ٤/٦٨٠:

يا زَيدَ زَيدَ اليَعْمُلاتِ

وصوابه هنا وفيما بعدُ بدليل كلام الدماميني نفسه في الشرح بعدُ: اليَعْمَلاتِ.

- ٦٩٠/٤:

.... وبِتُّ كمَا باتَ السَّلِيمُ المُسَهَّدَا؟!

وصوابه: مُسَهَّدَا.

- ٦٩٦/٤:

إذا كانَ في صَدْرِ ابنِ عَمِّكَ إحْنَةٌ فلا يَسْتَتِرْها سَوفَ يَبدُو دَفِينُهَا

وصوابه: تَسْتَثِرْها.

- ٧٣٥/٤:

فأصْبَحْتُ فِيهمْ آمِنًا لا كمَعشَرٍ أَتوْني وقالوا: مِنْ رَبِيعةَ أو مضَرْ؟

وصوابه بدليل التقدير بعدُ: أم.

الثالث: السقط

وقع الكثير من السقط في هذه النشرة خلافًا للنسخ المعتمدة، وقد تنوَّع السقط بين حرف واحد أو كلمة أو جملة أو سطر أو فقرة كاملة. وهنا أذكر الجملة أو العبارة التي وقع فيه السقط وأضع خطًّا تحت السقط لتمييزه، ومن ذلك:

- ٤٤٧/١ سطر ٣: أُرَانِي إِذَا أَصْبَحتُ أَصْبَحتُ ذَا هَوًى
- ٤٥١/١ سطر ٢: وسيادةُ الأبِ سابقةٌ لسيادةِ الجدِّ.
- ٤٧٠/١ سطر ١١: ويستمرُّ على ذلكَ، حتَّى يكونَ...
- ٦٦٩/٢ سطر ١٠ سقط بسبب انتقال النظر: هذا هو الذي اختارَه صاحبُ رصفِ المباني، وادَّعى أنه قولُ أكثرِهم، واستدلَّ عليه بوجوهٍ:

منها: أن البساطةَ هي الأصلُ والتركيبُ طارئٌ. ومنها: أنه لو كان مركبًا لكانت الكاف حرفَ جرٍّ، فيلزمُ أنْ يتعلقَ؛ إذ ليست زائدةً، قلتُ: وجوابه يُعلَمُ مما في المتن. ومنها: ما يلزمُ على التركيبِ من صيرورةِ الكافِ مع ما دَخلتْ عليه جزءَ كلامٍ.

- ٦٧١/٢ سطر ١٠ بسبب انتقال النظر: فارتبطَ العجزُ إذنْ مع الصدرِ من حيث مفهومُه، ويكون البيت قد اشتمل على حذفِ العلة من الصدر، والمعلَّلِ من العجُزِ.

- ٦٧١/٢ سطر ١٤ لانتقال النظر: وحملوا عليه: «كأنكَ بالشتاءِ مُقبلٌ»، و«كأنكَ بالفرجِ آتٍ».

- ٦٧٢/٢ سطر ٢: قال الجوهريُّ: «النَّحيطُ: الزَّفيرُ، وقد نَحَطَ يَنْحِطُ بالكسرِ».

- ٦٧٧/٢ سطر ٤: كأنه قيلَ: كذلكَ يَطبعُ اللَّهُ على كلِّ قلبِ كلِّ متكبرٍ، فحُذِفَ المضافُ، وأُقيمَ المضافُ إليه مقامَه.

- ٦٨٤/٢ الفقرة الأولى: قال الزمخشريُّ: ﴿رَهينَةٌ﴾: ليستْ بتأنيث (رهين) في قوله تعالى: ﴿كُلُّ امرِي بِمَا كَسَبَ رَهِين لتأنيث﴾ (النَّفس)؛ لأنه لو قُصدتِ الصفةُ لقيلَ: (رهينٌ)؛ لأنَّ (فَعيلًا) بمعنى (مَفْعُول) يَستوي فيه المذكرُ والمؤنثُ، وإنما هي اسمٌ بمعنى الرَّهنِ، كالشَّتيمة بمعنى الشَّتمِ، كأنه قيلَ: كلُّ نفسٍ بما كسبتْ رهنٌ.

- ٦٩٢/٢ الفقرة ٣ بسبب انتقال النظر: قال: ونظيرُه ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِر بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١]، فإنَّ «كافرًا» نعتٌ لمحذوف، مفردٌ لفظًا، مجموعٌ معنًى؛ أي: أوَّلَ فريقٍ كافرٍ. أقول: إنما احتيجَ إلى التأويل؛ لأنَّ «أوَّل» أفعلُ تفضيلٍ، وهو إذا أُضِيفَ إلى نكرةٍ وجبَ تطابقُ صاحبِ «أَفْعَلَ» والمضافِ إليه.

- ٧٠١/٢ السطر قبل الأخير: والذي حسَّنَ من وضعِ اسمِ الإشارةِ مع إفرادِه موضعَ المتعدِّد، ومع تذكيرِه موضعَ المؤنثِ.

- ٧٣٨/٢ سطر ٣: فمَن لمْ يُثبِتْها قال: المعنى كافٍ في التفرقةِ بينهما. وعن عيسى بن عمرَ وحمزةَ[٢٨] أنهما كانا يرتكبانِ ذلك؛ أي يجعلانِ الضميرينِ للمطففينَ، ويقفانِ عندَ الواوينِ وُقَيْفَةً يُبيِّنانِ بها ما أرادا.

- ٧٧٧/٢ الفقرة الأخيرة: وقال قومٌ: «لا» زائدةٌ، و«جَرمَ» وما بعدَها فعلٌ وفاعلٌ.

- ٧٨٦/٢ الفقرة الثانية: فيمتنع نحو: «ما زيدٌ إلا شاعرٌ لا كاتبٌ»؛ إذ المعطوفُ بـ «لا» فيه كانَ منفيًّا قبلها بأداة النفي، قيل: ولذلك لم يوجدْ مثلُ هذا التركيبِ في كلام العربِ العَرْباءِ.

- ٨٠٦/٢ سطر ٨: ورجَّحَه الزجاج، وقال: إنهم أجمعُوا عليه.

- ٨٠٩/٢ السطر قبل الأخير: والزمخشريُّ قد صرَّحَ عن الأخفش بأنها عندَه «لا» النافيةُ للجنسِ زِيدتْ عليها التاءُ.

- ٨٥٤/٢ سطر ٣ من أسفل بسبب انتقال النظر: فتبقى مع دخولها على (لا) على ذلك الاقتضاء، ومعناها مع (لا) أيضًا باقٍ على ما كانَ، كما تبقى مع غير (لا) من حروفِ النفي.

- ٨٧٨/٢ سطر ٦ سقط ما تحته خط ووضع مكانه كلمة «ويقال»: قال الجوهريُّ: حَلِيَ فلانٌ بِعَيْنِي بالكسرِ.

- ٨٨٤/٢ سطر ١١: لا يُفسَّرُ ضميرُ الشأنِ إلا بجملةٍ مُصرَّحٍ بجزأيها، نصَّ عليه في التسهيل.

- ٩٠٣/٢ سطر ٥ سقط ما تحته خط: المرادُ بـ«الأشْرَم»: أبْرهةُ بنُ الصَّبَّاحِ، صاحبُ الفيلِ.

- ٩٥٩/٢ الفقرة الأولى ترك ما تحته خط، وهي آية مثبتة في النسخ: ﴿مَهمَا تَأتِنَا بِهِ مِن ءَايَة﴾.

- ١٠١٥/٢ الفقرة الثانية: ولو كانَ كذلكَ لمْ يُوجدْ في الرفعِ والجرِّ، ثم الفتحةُ قد عُوِّضَ عنها الكسرُ.

- ١٠٤٧/٢ سطر ١١ تركَ ما تحته خط، فانقلب المعنى: وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَستَوِي الأَعمَى وَالبَصِيرُ﴾.

- ١٠٥١/٢ سطر ٩ بسبب انتقال النظر: قال: ويُشارِكُها في هذا الحكم الأخير «حتى». أقول: يردُ على هذا ما ورد على الذي قبله، ولا يقال: الامتياز بمجموع الأمرين، و«حتى» لا تعطفُ العامَّ على الخاصِّ.

- ١٠٥٢/٢ سطر ٣١: ولا يجوزُ أنْ يكونَ صفةً لذَينكَ المعمولَينِ لاختلافِ العامل فيهما لفظًا ومعنًى.

- ١٠٧٠/٢ سطر ٤: هو إمامُ البراعةِ، وفارسُ اليراعةِ عبدُ الرحيم بنُ عليٍّ بنِ الحسينِ البيسانيُّ، كاتبُ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ يوسفَ بنِ أيوبَ، وُلِدَ بثغرِ عسقلانَ.

- ٦٣/٣ سطر ٤: واشتهرَ ذلكَ حتى صارَ كالحقيقةِ العرفيةِ، ومثلُ هذا لمْ يعرضْ في اللفظِ. واحترز بقيد «القَصد» من حديث النائم ونحوِه؛ فإنه عارٍ من القصد.

- ٧٩/٣ سطر ٨: أمَّا عن الأولِ فتعلقُ الحرفِ من جهة المعنى بلفظٍ آخرَ لا يقتضِي عملَه فيه.

- ١٠٨/٣ سطر ٣: والفصلُ بينَ الحرفينِ حسَّنَ التأكيدَ كما في قولك: «إنَّ في الدارِ إنَّ زيدًا قائمٌ».

- ١٢١/٣ سطر ٧ فعكس المراد: قال: الرابع: أن لا يجوزُ اقترانها بالواو مع تصديرها بالمضارع المثبت.

- ١٣٠/٣ سطر ٣: وصحَّ العطف في قوله... إذ لا يُعطف الإنشاء على الخبر.
- ١٣٩/٣ سطر ١٠: هذا هو الظاهرُ؛ لأنَّ الغرضَ المعاهدةُ على تركِ الخيانةِ لا المعاهدةُ على شيءٍ آخرَ.
- ١٤٠/٣ سطر ٣ من أسفل: فيه إدخالُ اللام على جواب «إنِ» الشرطية.
- ١٤٧/٣ سطر ٩: فكذا الحالُ فيما نحنُ فيه، لا ينبغي أنْ يُعدَّ هذا من النحاة، وإنْ كانَ ما قاله صحيحًا عندهم.
- ١٥١/٣ السطر قبل الأخير: وقولك: «ما تكلمَ فلانٌ إلا قال خيرًا»، كما تقول: «ما تكلمَ إلا قائلًا خيرًا».
- ١٨٥/٣ سطر ٥: لكَ في «قول زهير» الرفعُ عطفًا على المضاف من قولِه: «نحو: إنْ قمتُ أقومُ».
- ١٩٦/٣ سطر ١٣ بسبب انتقال النظر: وإنما ارتكبُوا هذا التقديرَ لأحدِ أمرينِ: إمَّا لقصدهم التقريبَ وإيضاحَ الاستئناف للسامع، لا لأنَّ تقدير المبتدأ شرطٌ للاستئناف، وإمَّا لأنه لا يُستأنفُ إلا بهذا الشرط.
- ٢٠٢/٣ سطر ٥ سقط ماتحته خط: هذا الحصرُ يَبطلُ بمثل قولنا: «زيدٌ قامَ أبوه، قامَ أبوه»، فإنَّ الفعليةَ الثانيةَ في محلِّ رفعٍ على أنها تأكيدٌ لجملة الخبر.
- ٢٠٤/٣ السطر الأخير بسبب انتقال النظر: وقد نَهِلَتْ منَّا المُثقَّفة: منصوب الموضع بقوله: (ذكرتُكِ)، إلا أنه بدل من قوله: (والخَطِّيُّ يَخْطِرُ بَيننَا)، وذلك منصوب بقوله: (ذكرتُكِ)، وجازَ إبداله منه لما في الثاني منَ البيانِ الزائدِ على ما في الأول.

- ٢٠٥/٣ سطر ٦ سقط ما تحته خط مع اضطراب الضبط: بل جوَّزَ الحاليةَ أيضًا، لكنْ في جعلِ صاحبِ الحالِ الضميرَ المضافَ إليه «بينَ» نظرٌ.

- ٢٢١/٣ سطر ٤ من أسفل: و«في الزُّبُرِ» الخبرُ؛ أي: كلُّ ما فَعلُوه مُثبَتٌ في صحائف أعمالهم بحيث لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً.

- ٢٢٣/٣ سطر ٩: قد يُمنَعُ تعيُّنُ الحاليةِ في هذينِ المثالينِ على تقدير زوال المانع.

- ٢٢٣/٣ السطر قبل الأخير: وقد يُجابُ عن الأخير بأنَّ «مهديًّا» وقعَ قيدًا للذَّهاب الذي فيه تنفيس، فيلزمُ أنْ يكونَ فيه أيضًا تنفيسٌ كالمقيَّد.

- ٢٣٩/٣ سطر ٣: إذ معنى قولك: «زيدٌ زهيرٌ شِعرًا»: زيدٌ الكاملُ شِعرًا؛ أي: شِعرُه، وكذا «زيدٌ حاتمٌ جُودًا»، معناه: هو الكاملُ جُودًا؛ أي: الكاملُ جُودُه.

- ٢٤١/٣: الثاني من وجهَي النظرِ: أنَّ دعواهُ امتناعَ جعلِ «أنتم» توكيدًا لضميرِ «صعاليك» من أجلِ تخالفهما بالحضورِ والغَيبةِ – غيرُ مُسلَّمةٍ. (مع غياب علامات الترقيم مثل الشرطة).

- ٢٨٥/٣ الفقرة الأخيرة: قال: ولا يُتبَعُ معمولها بصفة، قاله الزجاج. أقول: ومُستندُه في ذلك عدمُ السماعِ منَ العربِ على ما ادَّعاه.

- ٢٩٤/٣ سطر ١١: قلتُ: أمَّا إنَّ المعنى على الحالية فمُسلَّمٌ.

- ٣٠٤/٣ سطر ٣ من أسفل: وعلى الثاني: فانقسمُوا إلى فريقٍ صفتُه كذا، وفريقٍ صفتُه كذا. وعلى الثالث: فلم يخرجُوا عن فريقٍ موصوفٍ بكذا، وفريقٍ موصوفٍ بكذا.

- ٣٢٧/٣ سطر ١١: ولو قلتَ: «ضربتُ زيدًا في الدارِ ويومَ الجمعةِ» خرجتَ عن قانونِ كلام العرب؟! وهذا القدر كافٍ في الغرض، فلنقتصر عليه.
- ٣٣٣/٣ سطر ٣: واسمُ الفاعل أو المفعولِ المستمر يصحُّ أن تكونَ إضافتُه محضةً، كما يصحُّ ألا تكونَ كذلك.
- ٣٥٩/٣ بسبب انتقال النظر: وجوابُه: أنَّ محلَّ الاشتراطِ إنما هو حيثُ يتَّحدُ ما قبل المعطوفِ عليه، كما في: «زيدٌ يقومُ ويقعدُ». أما إذا تعدَّدَ كما في: «زيدٌ يقومُ وعمرٌو يقعدُ» فالشرطُ الاتحادُ في عموم الجهة[٢٩] لا في خصوصِها.
- ٣٦٤/٣ سطر ١١ بسبب انتقال النظر: قال الكسائيُّ: يُصحَّحُ بحذفِ الفاعل فرارًا مِنَ الإضمارِ قبلَ الذِّكرِ. قيل: وما فرَّ إليه أشنعُ مما فرَّ عنه؛ فإنَّ حذفَ الفاعل أشنعُ من الإضمار قبل الذِّكر؛ لأنه قد فُسِّر على الجملةِ بما ذُكرَ بعدَه.
- ٣٧٢/٣ السطر الأخير: لأنَّ الكوفيين يرونَ أنَّ الجامدَ الذي لا يُؤوَّلُ بمشتقٍّ يتحمَّلُ الضميرَ.
- ٣٨١/٣ السطر الأول: علَّله بعضُهم بأنَّه يقعُ مع ما بعدَه كالشيءِ الواحد.
- ٣٨٥/٣ سطر ١١: لا يصحُّ تعليقُ «على ما مرَّ» بقوله: «لم يجوزا»؛ لأنَّ الجزمَ بعدم الجواز ليس مبنيًّا على ما مرَّ من الاختلاف.
- ٣٩٤/٣ سطر ٦ بسبب انتقال النظر: قال في تعريفِ الموصول: «وهو مِنَ الأسماء ما افتَقرَ أبدًا إلى عائدٍ أو خَلَفِه، وجملة صريحة أو مؤولة غير طلبية ولا إنشائية». فأشار بقوله: «أو خَلَفِه» إلى نحوِ ما أنشدَه المصنِّفُ.
- ٤٣٥/٣: قال: أو حِليةٍ كـ: «دَعِجَ، وكَحِلَ، وشَنِبَ».

- ٤٤٢/٣ سطر ٥: «المعالي» جمعُ مَعلاة.
- ٤٦٦/٤ سطر ١٠: وإذا كان كذلك لم ينتهضِ(٣٠) الردُّ بالآية على أبي عليٍّ.
- ٤٨٣/٤ السطر الأول: فكان اللفظُ يتكرَّرُ، وهم مما يجتنبون كثرة تكرار اللفظ.
- ٤٨٣/٤ سطر ٣: وقد نصُّوا على أنه إذا جاءَ ذلك فشرطُه أنْ يكونَ المفصولُ به قَسَمًا، أو ظرفًا، أو مجرورًا.
- ٤٩١/٤ سطر ٢ من أسفل: فمعنى قولك: «أنتَ أعزُّ عليَّ مِن أنْ أضربَكَ»؛ أي: بائنٌ مِن أنْ أضربَكَ مِن فرطِ عزَّتِك عليَّ.
- ٥٠٨/٤ سطر ٤ من أسفل: لكنَّه قد يقال بعدم تأتِّيه في نحو قولك: «حبذا هندٌ...»؛ لأن «ذا» للمفردِ المذكَّرِ، وما ذُكِرَ من هذه الألفاظِ ليس كذلك.
- ٥٢٠/٤ سطر ١٠: و«الخيعلُ»: قميصٌ لا كُمَّ له. «والفُضُل»: قميصٌ تلبسُه المرأة في بيتها.
- ٥٣٠/٤ سطر ٦: يُرادُ أنَّ زيدًا نفسَ الأبِ كما في مسألتِنا.
- ٥٣١/٤ سطر ١٠: يعني أشدَّ منَ الأول و أشدَّ منَ الثاني... ومنَ الأسماءِ ما يلزمُ النصبَ على الحال، نحو: طُرًّا، و مثله: كافةً، وقاطبةً.
- ٥٤١/٤ سطر ٤ من أسفل: وهذا ربما يُرشدُ إلى أن (مِن ذرِّيتنا) في موضعِ المفعولِ الأول.
- ٥٤٥/٤ سطر ٢ من أسفل: إنما عُلِمَ الفسادُ باحتمالِ الوجهِ الثاني، وهو كونُ الفعلِ مضارعًا محذوفَ إحدى التاءين، لا باعتبارِ الوجهِ الأول.
- ٥٤٩/٤ سطر ١٢: بل هو من جهةِ دلالةِ الأداةِ على هذا المعنى.

- ٥٦٤/٤ سطـر ٨: وجُعلت هي ومعمولُها بمنزلـةِ مبتدأ، والخبرُ بعدهما على ما كان عليه مع التجرد.
- ٥٦٩/٤ سطـر ٢: بل ما الذي اقتضى كونَ قولِهـم صوابًا وقولِه هو غيرَ صوابٍ؟
- ٥٧٦/٤ السطـر الأخـير: وهـو مقـامُ تعديـد المحاسن وذكـرِ الصفاتِ المحمودة، وهذا خلاف الاشتغال.
- ٥٨٥/٤ السطر الأول: مُستدلِّينَ على جوازِ ذلك بقولِ الزبَّاء.
- ٥٨٩/٤ سطر ١٢ترك ما تحته خط من الآية: على أن هذا البعضَ القائلَ بما تقدمَ من أن ﴿بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]...
- ٥٩٦/٤ سطـر ٤: كأنهـم امتنعوا مـن ذلك لأجل اشتراطهـم في البدل صحةَ حلوله محلَّ المبدلِ منه.
- ٥٩٨/٤ سطـر ٦: يقال: هراقَ الماءَ يُهَرِيقُه – بفتح الهاء – هِراقةً؛ أي: صبَّه، وأصلُه: أراقَ يُرِيقُ إراقةً.
- ٥٩٩/٤ سطر ٩: ولا شك أن جمعَ «قَيْلٍ» المشتقِّ من القولِ على «أقيالٍ».
- ٦٠٠/٤ سطر ٤: ومرَّ أنه خالفَ في ذلك الأخفشُ والفراءُ والزجاجُ وابنا طاهرٍ وخروفٍ، و أنَّ وابنَ مالكٍ قال...
- ٦٠٤/٤ سطـر ١٢: فلو جُوِّزَ أن يجيءَ بعده مـا يُغيِّرُه لم يدرِ السامعُ إذا سمعَ بذلك المغيِّر.
- ٦١٤/٤ سطر ٨: وقد تقدَّم نظيرُ هذا الاعتراض في حرف اللام.
- ٦١٥/٤ السطـر الأول: على أنهم صرَّحوا في نحو: «ما قامَ وقعدَ إلا زيدٌ، وما قامَ وقعدَ إلا أنتَ» بأنه تركيبٌ صحيحٌ.

- ٦١٧/٤ سطر ٢: وعلى ما يُذكر في باب القَسم؛ يعني من جرِّ لفظِ الجلالةِ دون عوضٍ.
- ٦١٧/٤ سطر ٧: وهو أن الخبرَ يُفيدَ ما لا يفيدُه المخبَرُ عنه.
- ٦٢٠/٤ سطر ٣ من أسفل: وقضيةُ هذا امتناعُ عودِ الضميرِ من الجملة المذكورة إلى المضاف.
- ٦٢٤/٤ سطر ٧ ترك كلمة «كثيرًا» من قوله تعالى: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرا﴾ [البقرة: ٢٦].
- ٦٣٤/٤ السطر الأول: وإن كان مطلقًا إلا أنه في المعنى مقيدٌ بعدم التفاتِ أحدٍ من المُسرِي والمُسرَى بهم.
- ٦٣٨/٤ سطر ٤ من أسفل: يريدُ أنك إذا رفعتَ قدَّرتَ مبتدأً.
- ٦٣٩/٤ سطر ٢ من أسفل: و«الخَضِلُ» بفتح الخاء المعجمة وكسر الضاد المعجمة أيضًا: الندى الرطبُ.
- ٦٤٢/٤ سطر ٨: يقتضي أن الجمهورَ قائلون بأنَّ هذا التركيبَ غيرُ عربيٍّ من حيثُ إثباتُ الخبر الخاصّ في باب «لولا».
- ٦٤٣/٤ سطر ٨: ومجردُ وجودِ لفظةٍ في حديثٍ لا يثبتُ بها قاعدةٌ نحويةٌ، وكذلك مجردُ وجودِ لفظةٍ في كلام العرب.
- ٦٤٥/٤ سطر ٥ من أسفل: التنزُّلُ عن ادعاء القطع إلى دعوى غلبة الظنِّ.
- ٦٥٢/٤ سطر ٣: «المائحُ»: اسمُ فاعلٍ من ماحَ يَميحُ.
- ٦٥٣/٤ سطر ١٢: فليس لنا أن نقيس عليها غيرَها من النواصب.
- ٦٥٥/٤ سطر ١١: وإعمالُ العاملِ الضعيف، مع إمكانِ إعمال العامل القويِّ.

- ٦٥٧/٤ سطـر ٣: لأنه لو نصبَه مع تقدُّمه علـى ناصبه لأفادَ تخصيصَ النَّفيِ بالكلِّ.

- ٦٥٩/٤ سطـر ٤ مـن أسفـل: وشكُّ المصنـفِ في ثبوت روايـة الرفع مع تصريح ابن مالكٍ الإمامِ العدلِ الثقةِ بثبوتها غيرُ مناسبٍ.

- ٦٦٧/٤ سطر ١١ سقط ماتحته خط: لأنه قدّرَ مضافًا لا يُحتاجُ معه إلى تقديـرِ شيءٍ آخرَ يتعلّقُ به الظرفُ، والفارسي قدَّر شيئين يُحتاج معهما إلى تقدير أمر ثالث.

- ٦٧٩/٤ سطـر ٢ ترك كلمة «الموت» من قوله: ﴿وَلَقَد كُنتُم تَمَنَّونَ المَوتَ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

- ٦٩٢/٤ سطـر ١٠: فالربطُ على هذا بالضمير، وهو أمرٌ مجمعٌ عليه... فلزمَ الإتيانُ به متصلًا، وهذا لا حرجَ فيه.

- ٦٩٨/٤ السطر الأخير: بل عُدَّتْ قسمًا رابعًا من مبني الأصل.

- ٧٣٠/٤ سطر ٢ سقط ما تحته خط بسبب انتقال النظر: وإن أُريدَ النهي الذي هو إنشاءٌ فلا يُقبلُ تعليقه على المشيئة. وإنْ أُريدَ نفس النهي الذي هو إنشاء فلا يُقبل تعليقُه بالمشيئة. وإن أُريدَ دوامُه إلى أن يأتي نقيضُه.

الرابع: الزيادة

وردت مواطـن كثيرة زاد فيهـا المحقِّقان ما ليس في النسخ الخطية المعتمدة. وهنـا أذكر الجملة أو العبارة التي وقعـت فيها الزيادة، وأضع خطًّا تحت الزيادة لتمييزها، ومن ذلك:

- ٦٦٤/٢ سطر (٢-٦): بعدَهُ لِشيخِنَا (ث ع ل) حفظَه اللَّهُ.

بلْ جَنَّةُ الخلـدِ مأواهُم مزخرفةً   يَنعمـونَ بِهـا حقًّـا بمَـا صبرُوا

وبعدَه للشَّيخ أحمدَ العبدِ:

وَكيفَ لا وهُم صبُوا وَقدْ كتَمُوا مَعَ العفافِ بِهذَا يَشهدُ الأثرُ

- ٧١٩/٢ الفقرة الأخيرة: هذا الذي ذكرَ أنه ظهرَ له ليس من مخترعاته، بل هو كلام الزمخشريِّ، قال في الكشاف: ﴿وَقَد مَكَرُواْ مَكرَهُم وَعِندَ اللَّهِ مَكرُهُم وَإِن كَانَ مَكرُهُم لِتَزُولَ مِنهُ الجِبَالُ﴾.
- ٧٣٨/٢ الفقرة الأخيرة كلها زيادة ليست في النسخ المعتمدة: قالَ: وَليسَ تقديرُ المحذوفِ «أعني» كَمَا زعمَ ابنُ عصفورٍ. أقولُ: في الكلامِ علَى الجهةِ الخامسةِ منَ البابِ الخامسِ عندَ قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحيًا﴾... [الشورى: ٥١] جازَ أنْ يقدرَ ابنُ عصفورٍ متأخرًا، وتقديرُه كذلكَ لا يمنعُ منْ إدخالِ اللامِ علَى مفعوله المقدمِ، كما في قولك: «لزيدٍ ضربتُ»، بلِ الظاهرُ في هذا المقامِ أنْ يقدَّرَ مؤخرًا للاهتمامِ بشأنِ الظرفِ المذكورِ للتبيينِ.
- ٧٨٠/٢ الفقرة قبل الأخيرة فيها سطران فيهما تكرار وزيادة وهما ما تحته خط: وعندَ غيره يقدر الخبر بعاملين مختلفين، ولا يجوز، فيجب أن تقدر لكل منهما خبرًا على حياله، وعند غيره يقدر خبر بعاملين مختلفين، ولا يجوز، فيجب أن تقدر لكل منهما خبرًا على حياله، وعند غيرِه يُقدَّرُ خبرٌ واحدٌ لهما.
- ٨١٦/٢ السطر قبل الأخير: وكانوا يقولونَ: هذا عِلمُ سليمانَ، وما تمَّ لسليمانَ في ملكه إلا بهذا العلم.
- ٨٢٦/٢ سطر ٩ ما تحته خط مكرر مرتين: أنَّ انتفاءَ الهدايةِ إنما هو بسببِ انتفاءِ المشيئةِ، يعني أنها تُستعملُ للدلالةِ على أنَّ علةَ انتفاءِ مضمونِ الجزاءِ في الخارج هي انتفاءُ مضمونِ الشرطِ.

- ٢/١٠٠٨ سطر ٢ زاد هنا الواو العاطفة، فاختلَّ التركيب وظهرت العبارة كأنها ناقصة: لا يتأتَّى تقسيمُ نونِ التوكيدِ إليهما في هذا المحلِّ؛ لأَنَّ المُقسَّمَ أولًا وهو النونُ المفردةُ، ولا يَصدُقُ على الثقيلةِ.
- ٣/١٦٠ سطر ٨: وإذا وجبَ أن يكونَ القولُ هو في المعنى مُتعلَّقَه كان تقدير المثال: أولُ [مقولي] إني أحمدُ اللَّهَ.
- ٣/٢٢٢ سطر ١٠: أي: ولم أتأنَّ به، يقال: «تَلعثَمَ في الأمرِ» إذا تمكَّثَ فيه وتأنَّى.
- ٣/٣٠٨ سطر ٢: ألا ترى أنك لا تقول لمن قال: (كلُّ رجلٍ خيرٌ من جاهلٍ)، هل هذا فاسدٌ، من جهةِ أنَّ المبتدأَ غيرُ موصوفٍ؟!
- ٣/٤١٤: ويدلُّ على ما قلناه أنه لو كانَ التأنيثُ المجازيُّ يُجوِّزُ التذكيرَ مطلقًا لم يحتجْ إلى تأويلِ «الرحمة» بـ: الإحسانِ، و لكنَّ عطفَه عليه عطفَ العلَّةَ الثانيةَ على الأولى قد ينبُو عمَّا ذكرناه بعضَ نُبُوٍّ.
- ٣/٤٣٨ سطر ٤ زيادة حرف الواو قبل الضمير «هو»، فبدت العبارة مبتورةً بلا خبر للمبتدأ «وجه»: ووجْهُ ما ذهبَ إليه المصنِّفُ من أنَّ القولَ بذلكَ في «استَغفرَ» مردودٌ؛ و هو أنَّ صوغَ الفعلِ على «استَفعلَ» منَ الأمورِ التي يتعدَّى بها الفعلُ.
- ٤/٤٦٤ سطر ٢ من أسفل: و«البُنَى»: مقصورٌ، إمَّا بضمِّ الباءِ جمعُ بُنْيةٍ؛ كـ: غُرْفةٍ، أو بكسرِها جمعُ بِنيةٍ كـ: قِربةٍ، وهي البِناءُ بالمدِّ وكسرِ الباء كفِرْيَةٍ.
- ٤/٤٦٥ سطر ٤ من أسفل: يعني أنه لا حاجةَ في إجازة اختلافِ الحالِ، لا بالإفرادِ والجملةِ، إلى التعلُّقِ بشبهِها للنعتِ فتُحملُ عليه.
- ٤/٤٧٧ سطر ٧: بخلافِ ما ذكرنا، فإنه يُوهِمُ أنه للثاني وهو للأول، أو لاستقلالها للأول وهو للثاني.

- ٥٠٢/٤ سطر ٣ من أسفل: وأما ألِفُ ﴿ألم * اللَّهُ﴾ فكانَ مُقتضَى قياس الوقفِ...

- ٥٠٣/٤ سطر ٨ زادَ حرف الواو قبل الضمير «هو»، فبدتِ الجملة ناقصةً بلا خبر للمبتدأ «ما»: وما ذهبَ إليه الزمخشريُّ من ذلك في كشّافِه و هو نظيرُ ما ذكرناه.

- ٥٣٥/٤ سطر ٤: أخَّرتَ الحالين، وقدَّمتَ حالَ المفعولِ وأخَّرتَ حالَ الفاعلِ؛ إذ لا أقلَّ من أن يكونَ أحدُ الحالينِ بجنبِ صاحبِه...

- ٥٥٠/٤ سطر ٢ زيادة ما تحته خط باعتراف المحقّق نفسِه كما في هامشه: ولا يظهرُ أن المعنى يأباه انتهى...!!

- ٥٦٧/٤ سطر ٣ من أسفل: ولهذا اتفقَ النحاةُ على أن المذكورَ بعد «إلا» في نحو: «ما قام القوم إلا زيدٌ» معمولُ العاملِ الذي قبلها.

- ٥٦٩/٤ سطر ٨: وهو حيثُ يكونُ الفعلُ مسندًا إلى ضمير معرفةٍ كالضمير في الآية.

- ٥٨٨/٤ سطر ٤ من أسفل: لأن الثواني يُغتفرُ فيها ما لا يُغتفر في الأوائل، بل فقد قالوا: «رُبَّ رجلٍ وأخيه».

- ٦٠١/٤ الفقرة الأولى: تبعَ المصنفُ في ذلك ابنَ مالك حيث قال في التسهيل: ولا يؤكد فاعلهما توكيدًا معنويًّا وقد يُوصَفُ خلافًا لابنِ السّراج والفارسيِّ. وفي حاشية التسهيل لابنِ هشام المصنفِ ما نصُّه: «إنما المنعُ هو قولُ جمهور النحويينَ».

- ٦١٦/٤ سطر ٥: فتقول: أزيدِ بنِ عمرٍو؟ و حكاه الأخفشُ في كتاب المسائل الكبير.

- ٤/٦٢٨ السطر الأخير: فما معنى إدخال كلمة «نحو» في هذا الموضوع؟ ﴿فَمَا مِنكُم مِّن أَحَدٍ عَنهُ حَجِزِينَ﴾ قيل إنه ثالث.

- ٤/٦٤٠ سطر ٥: لكن يصدُّ عن ذلك وجودُ كلمة «قد» لامتناع دخولها في الشرط.

- ٤/٦٧٨ سطر ٣ من أسفل: ونصَّ في التسهيل أن المحذوف الأول في باب المضمر في الفصل المعقود لنون الوقاية.

- ٤/٧٠١ سطر ٥: وأجابَ ابنُ الحاجب عن ذلك بثلاثةِ أجوبة: أحدها: أن يكون ما ذكرَه المصنفُ من تقديرِ الصفة.

الخامس: نقد مسائل متفرقة:

وهنا أذكر ما وقع من خطأ في مسائل متفرقة، منها ما وقع في المتن، ومنها ما وقع في الهوامش، ومنها أخطاء في الضبط وأخرى تتعلق بقراءة النص من المخطوط، وثالثة تتعلق بتخريج الحديث النبوي... إلخ. وفي جميعها أذكر رقم الجزء والصفحة والسطر جميعًا، ثم أنقل العبارة التي وقع بها الخطأ، ثم أقول: «وصوابه» وأذكر عقيبه الصواب مميَّزًا بخط تحته.

- ١/٢٠٧ سطر ١٢: وإحسانٌ صيَّر السَّكَنَاتِ تجرِي لِذِي الحاجاتِ على حروفِها. وصوابه: التَّنَكاتِ.

- ١/٢١٨ السطر قبل الأخير: إنَّمَا يتمُّ جعلُ الهمزةِ للسَّلبِ مقيسًا أو مستودعًا في هذه الكلمةِ. وصوابه: مسموعًا.

- ١/٢٣٠ سطر ٩: لا نُسلِّم عدد الإمكانِ فيه لجوازِ أنْ تُجعلَ «من» مبتدأً. وصوابه: عدمَ.

- ١/٢٥٤ هامش ١: ذكر أن حمزة بن حبيب الزيات توفي ١١٦ هـ. وصوابه: ١٥٦ هـ.

- ١/٢٨٥ سطـر ٣: المعطوفُ جملةُ ﴿أَنَا خَير﴾ ووجهُ المعادلةِ بينَهما وبينَ الجملةِ قبلَها. وصوابه: بينها.
- ١/٣٨٣ هامش ٥: الشاهد فيه حذف صلة الموصوف. وصوابه: صفة.
- ١/٣٩٣ سطر ٨: وأَصْبَحَتْ بَعْدَهُ الأنفاسُ باكِيَةً. وصوابه: الأنقاسُ.
- ١/٤١١ سطـر ١٠: ويَتَخَـرَّجُ علـى هذا الخـلافِ في المُقـدَّرِ. وصوابه: خلافٌ.
- ١/٥٠٢ سطر ٢: «العَنَاجِيجُ»... واحِدُها «عُنْجُود». وصوابه: عُنْجُوجٌ.
- ١/٥٥٠ سطر ٥: وقوله: «لا تُهِيْنَ» على زنةِ «فاعِلُنْ». وصوابه: لا تُهِيَّ.
- ٢/٦٧٣ سطـر ٩: و«المحرَّفُ»: المقطوع لا على جهـةِ الاستواءِ؛ بل بحيث يكونُ أحدُ طرفَي الشَّقِّ أعلى من الآخرِ. وصوابه: المقطوط.
- ٢/٦٦٩ هامش ٢ يقـول معرفًا بابـن الخباز: هو أحمد بـن الحسن بن أحمد الإربلي. وصوابه: ابن الحسين.
- ٢/٦٧٥: قـال القاضي تاجُ الدينِ السُّبكيُّ في شرحِ منهاجِ البيضاويِّ(٣١): «ولِمعترضٍ أن يقولَ: وقد قال اللَّهُ تعالـى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاّ لِّبَنِي إِسرَءِيلَ﴾... قـال الشيخُ تقيُّ الدينِ السُّبكيُّ - رحمـهُ اللَّهُ -(٣٢): «وقد يُقـالُ بأنَّ الألـفَ واللامَ تُفيدُ العمومَ في مراتبِ مـا دخلتْ عليه، و(كلٌّ) تُفيدُ العمومَ في أجزاءِ كلٍّ من المراتبِ...
- عـرَّفَ المحقِّقُ في الموطنِ الأول بعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، وفي الموطـن الثاني عرَّف بعليٍّ نفسِه، والمقصود في الموطنَينِ هو علي بن عبد الكـافي، هذا فضلًا عن إهماله التخريج من شرح منهاج البيضاوي، مع وضـع «صدق الله العظيم» في المتن السطر ٤ و الحاشية ٥ مكان الصلاة على النبي!

- ٦٨٥/٢ سطر ١١: و«الـمَـتْنَـانِ»: جَنبتَا الظَّهرِ. وصوابه: الـمَـتْنَـتَانِ.
- ٦٨٩/٢ سطـر ٧: يريـدُ أنَّ الغيثَ لـمْ يكـنْ معه بعرٌ يُنقِصُ طِيبَ ريحِ الروضةِ. وصوابه: طِيبَ.
- ٦٩٠/٢ هامش ٤ تخريج حديث من معجم «لسان العرب» والحديث عند البخاري: ومنهُ قولُ أبي سفيانَ[٣٣]: «لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبي كَبْشَةَ».
- ٦٩٤/٢ هامـش ١٠ تخريج لحديث من «فتـح الباري» وهو عند البخاري كمـا نص عليـه الدماميني نفسه: وقع في صحيح البخـاريِّ[٣٤] في كتابِ الاعتصـامِ بالسُّنةِ في بابِ الاقتداءِ بسُنَنِ رسـولِ اللَّهِ - صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّـم - عن أبي هريرةَ: أن رسولَ اللَّـهِ - صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم - قال: «كلُّ أُمتي يَدْخُلُونَ الجنَّـةَ إلا مَن أَبَى»...
- ٦٩٩/٢ سطـر ٦: ولا مزيَّـةَ لأول علـى الثاني باعتبارِ الكـثرةِ. وصوابه: للأول.
- ٧٠٢/٢:

فـإذا مـا نَطَقْتَ كُنْتَ حَدِيثِي وإذا مـا سَكَتَّ كُنْتُ العَلِيلا

وصوابه: نطقتُ، سكتُّ، كنتَ.

- ٧٢٦/٢ الفقرة الأخيرة: لا تتعيَّنُ الزيادةُ فيه؛ لاحتمـالِ أنْ يكونَ «أجارَ» بمعنى: فَعَلَ الإجارةَ، واللامُ صلةً له. وصوابه: واللامُ صلةٌ له.
- ٧٣٥/٢ السطـر الأول: وقـد أُولِـعَ الشعـراءُ المتأخرونَ من أهـلِ مصـرَ بالتورية بـه، فحكى ابنُ سعيد[٣٥] في المُغرِبِ أنَّ الصاحبَ كمالَ الدينِ بـنَ أبي جرادةَ[٣٦] لمَّـا أرادَ الرحيلَ عن مصـرَ، حضـرَ عندَه أبو الحسنِ الجزارُ[٣٧]، الشاعرُ المشهورُ مُودِّعًا له. وصوابه: أبو الحسين الجزار.
- ٧٣٧/٢ السطـر الأول نسَّق ما تحته خط على أنـه شطر شعري: فإذًا لا

فـرقَ في لزوم المحذورِ الذي فرَّ منه بينَ أنْ يكونَ المجرورُ باللام في قول المتنبيِّ: «ويا لَـي»، مُستغاثًا أو مُستغاثًا لأجله.

- ٧٤١/٢ سطـر ٨ خلطَ بين الآية ومعناها: وإمَّا متعلقٌ بفعل مُقدرٍ مُؤخرٍ، أَي: ﴿وَلْيَحكُـم أَهـلُ الإنجيل بِمَا أَنـزَلَ اللَّه فِيه﴾ أنزلـهُ. وصوابه: أي: ولْيَحْكُمْ أهلُ الإنجيلِ بما أَنزلَ اللّهُ أنزلهُ.
- ٧٤٥/٢ الفقرة الأخيرة: قال: أحدها: للخليلِ وسيبويهِ أنه بنفْسِ الطلبِ لمَا تضمنَه من معنى «أن» الشرطيةِ. وصوابه: معنى «إنِ» الشرطية.
- ٧٦٩/٢ هامش ٥ فيـه تعليـق على نص منقول عن ابـن الحاجب أنه لم يوجد في الإيضاح: بل ادَّعى ابنُ الحاجب(٣٨) أن معنى قولك: «إنْ أتيتَني أَكرمتُكَ» وقولك: «أُكرمُكَ لإتيانكَ إلـيَّ» واحدٌ.
- ٧٧٢/٢ السطـر الأول: أحدهمـا: أنْ تكـونَ عاملةً عمـلَ «إنَّ». وصوابه: أحدها.
- ٧٧٣/٢ سطـر ٢: المجْدُ: نَيلُ الشَّـرَفِ والكَـرَم، ولا يكونانِ إلا بالإباءِ، أو كَرَمُ الإباءِ خاصَّةً. وصوابه: ولا يكونانِ إلا بالآَباءِ، أو كَرَمُ الآباءِ خاصَّةً.
- ٧٧٤/٢ السطر٤ من أسفل: ولـمَّا خُصَّتْ «لا» في هذا المقام بهذا الحكم أحبُّوا أنْ ينصبُوا دليلًا على الاختصاصِ؛ لتفصيل هذه الحالةُ من سائرِ حالاتِها. وصوابه: لتنفصلَ.
- ٧٧٦/٢ فقرة ٢: وفيه ردٌّ على السيرافيِّ والزجاجِ؛ إذ زعمَا أنَّ اسمَ «لا» غيـرَ العاملِ مُعرَبٌ، وأنَّ تركَ نونـه للتخفيفِ. وصوابه: وأنَّ تركَ تنوينه للتخفيف.
- ٧٧٧/٢ السطـر الأول: فركبُوا «لا» مع النكرةِ، كمـا أنَّ «مِن» مركبٌ معها تطبيقًا للجوابِ بالسؤال. وصوابه: مركبٌ مع «هل» تطبيقًا.

- ٧٨٠/٢ الفقـرة الأولـى: ويجوزُ أيضًا عندَهم أنْ تُقـدِّرَ لك منهما خبرًا على حيالِه. وصوابه: لكلٍّ منهما.
- ٧٨٦/٢ الفقـرة الثانيـة: فمـا أرسلناك إلا نذيرًا، لا حفيظـاً ولا مهيمنًا عليهم. وما كان ذلك إلى بغيًا وعنادًا، لا شبهةً في الإسلام. وصوابه: ما كان ذلك إلا بغيًا وعنادًا.
- ٧٨٩/٢ فقرة ٢: وإنما لمْ تتكررْ في: «لا نَـوْلَكَ أنْ تفعلَ». وصوابه: نَـوْلُكَ.
- ٧٩٠/٢ الفقـرة الأخيرة: و«علـى» للمصاحبـة؛ أيْ: اسلمِي معَ بلادك. وصوابه: معَ بلائكِ.
- ٧٩٥/٢ الفقـرة الأخـيرة: سـواءٌ كـانَ المطلـوبُ منـه مخاطَبًـا نحـو: ﴿لَا تَتَّخِـذُواْ عَـدُوِّي وَعَدُوَّكُم﴾ [الممتحنة: ١]، أو غائبًا نحو: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَفِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾. وصوابه: سواءٌ أكانَ.
- ٨٠٠/٢ سطر ٦: لأنه سَمَـارٌ فيه لونُ الوُرْقِ التي هي لونُ الذئبِ. وصوابه: لونُ الوُرْقَةِ.
- ٨١٠/٢ سطـر ٢: الـذي ذكرَه الرضيُّ عن الفراءِ أنهـا تكونُ مع الأرقام كلِّها، فبينَ النقلينِ تخالفٌ. وصوابه: مع الأوقات.
- ٨١٢/٢ سطـر ٤: فكـان السببَ في فـرارِ هؤلاءِ منَ القـولِ بالدلالةِ على الامتنـاعِ أنَّ جماعـةً منَ العلمـاءِ أوردُوا على قولِ الجمهـورِ أنها حرفُ امتناعٍ لامتناعٍ مواضعَ يسيرةً. وصوابه: فكأنّ السببَ(٣٩).
- ٨١٧/٢ سطـر ٢: قال الرضي بهاءُ الدينِ السبكيُّ في شرح التلخيص... وصوابه: قال القاضي.
- ٨١٩/٢ سطر ٧: وأتَى بالسينِ؛ لأنه لو أتَى بالمضارعِ مجردًا عنها احتملَ

أنْ يكـونَ واقعًا في الماضِـي، وليسَ مضمون «لو» كذلـكَ. وصوابه: وليسَ مصحوبٌ.

- ٢/٨٣١ سطـر ٨: وأمَّـا «الأشهادُ والأصحـابُ» فجمعُ: شاهـدٍ وصَحْبٍ. وصوابه: فجمعُ: شَهْدٍ.
- ٢/٨٣١ سطـر ٤ من أسفل: وحملُه على الإخفاءِ أولَى؛ لأن امرئَ القيسِ مَلِكٌ، والملوكُ لا يُقدَرُ على قتلِهم علانيةً. وصوابه: لأن امرأَ.
- ٢/٨٣٤ سطر ٢: والدُّفُوفُ: جم دُفٍّ بضم الدالِ وفتحِها، وهي الآلة التي يُضرَبُ بها. وصوابه: جمعُ دُفٍّ.
- ٢/٨٤٢ سطر ١٢: كما تُقدِّرُ في: زيدًا حَبَستُ عليه. وصوابه: حُبِستُ.
- ٢/٨٤٥ الفقرة الأخيرة زيادة حرف: ولم يَتنبَّه لها الزمخشريُّ، كما لم يَتنبَّـهْ لآيةِ لُقمانَ، ولا ابنُ الحاجِبِ، وإلا لَما لمنعَ من ذلك. وصوابه: وإلا لَما منعَ.
- ٢/٨٥٢ سطـر ٢: فـلا يجوزُ حملُهـا على التمني إلى حكايـةً على معنى أنهم بحالٍ يتمنى العارفُ إيمانَهم واتقاءَهم. وصوابه: إلا حكايةً.
- ٢/٨٥٥ سطـر ٣: أنَّ الفعـلَ بعدَ «لو» إذ أُضمِرَ وجوبًا، فلا بدَّ مِن الإتيانِ بمُفسِّرٍ. وصوابه: إذا أُضمِرَ.
- ٢/٨٨٤ سطـر ٩: والعجبُ مـنَ المصنفِ أنْ يردَّ القـراءاتِ السبعِ بأدنَى مخالفةٍ للقوانينِ المشهورةِ. وصوابه: السبعَ.
- ٢/٨٨٧ سطـر ٣: وفي الصحـاح: أنَّ الزفيـرَ إدخالُ النَّفْسِ، والشهيقُ إخراجَهُ. وصوابه: النَّفَسِ، والشهيقَ إخراجُه.
- ٢/٩٠٠ سطر ٢: وهذا هو الباعثُ على الالتزام فيه دونَ بابِ «عَلِمَ»، وهو ما عينُه حرفٌ صحيحٌ مكسوراً. وصوابه: مكسورٌ.

- ٩٠٠/٢ سطـر ٦ فيه سقط وتحريف ضبـط: وأجابوا عنه بما تقدَّمَ منْ فُعِـلَ ذلكَ لمفارقتِه أخواتِه بسببِ عدمِ التصـرُّفِ. وصوابه: مِنْ أنه فَعَلَ ذلكَ.
- ٩٠٠/٢ الفقـرة الأخـيرة: كمـا أُلْحِقَ الضمـيرُ بـ (هـات)، فقيلَ[٤٠]: (هاتيَا، هاتُوا، هاتِي) معَ كونِه اسمَ فعلٍ لقوةِ مشابهته الأفعال. وصوابه: أُلْحِـقَ الضمـيرُ بـ (هاءِ)، فقيلَ: (هائيَا، هـاءُوا، هائِـي) معَ كونِه اسمَ فعلٍ لقوةِ مشابهةِ الأفعالِ.
- ٩٠١/٢ سطر ٣ من أسفل: ما حكى المصنفُ هو الظاهرة. وصوابه: وما حكاه المصنفُ هو الظاهرُ.
- ٩٠٧/٢ سطـر ٤: وعلى هذا تكونُ الإشارةُ بقولِـه: «هذا»، إلى الشخصِ المعنوي. وصوابه: الشخصِ المُغوِي.
- ٩٠٧/٢ الفقـرة قبـل الخـيرة: أوردَ عليـه ابنُ مالـكٍ أنَّ «مـا» مساويةٌ للمصـدر في الإبهام، فلا تُميِّزه؛ لأنَّ التمييزَ لبيانِ جنْسِ المميَّزِ، وأُجيبَ بمنعِ «مـا» للمصدر. وصوابه: مساويةٌ للمضمـر - وأُجيبَ بمنعِ مساواة «ما» للمضمرِ.
- ٩٢٠/٢ سطـر ٥: وذلـكَ أنَّ الشرطَ ومـا شُبِّـهَ به يكـونُ الأولُ فيه سببًا للثاني، تقولُ: «اسلَمْ حتى تَدخُلَ الجنةَ». وصوابه: «أسلِمْ تَدخُلِ الجنةَ».
- ٩٢٠/٢ سطـر ٨: وأجـابَ ابـنُ الحاجبِ عن ذلكَ في شـرحِ المفصلِ بما تقديرُه: أنَّ جوابَ الشرطِ لا يكونُ إلا جملةً. وصوابه: تقريره.
- ٩٢٩/٢ الفقـرة الثانية: وفي القاموس: «وكشَدَّاد: المـرَّارُ الكَلبيُّ، وابنُ سَعيـد الفَقْعَسيُّ، وابنُ مُنقذ التَّميميُّ، وابنُ سَلامَةَ العِجليُّ، وابنُ بَشيرٍ الشَّيبـانيُّ، وابنُ مُعـاذٍ الـحَرَشيُّ: شُعَراءُ» وكذا قـال: ولا أدرِي الآنَ مَن هـو صاحـبُ هذا البيتِ من هـؤلاء. وصوابـه: أن يضعَ نقطـة بعد كلمة

«شعـراء»، وأن يحذف الواو التي قبـل كلمة «كذا»؛ لأنها ليست في النسخ وتفسـد النص، وأن يضـعَ نقطة بعد كلمة «قـال» لا نقطتين؛ لأنها نهاية الفقرة، وليس ما بعدها مقول القول كما ظنَّ المحقِّق.

- ٩٤٩/٢ سطر ٤ من أسفل: كيـفَ يكونونَ مُنذَرِينَ غيرَ مُنذَرِينَ لمناقضةِ هذا ما في الآي الآخَرِ؟. وصوابه: الآيِ الأُخَرِ.
- ٩٥٣/٢ السطـر الأول: وقيـل: نصـبٌ عطفًـا علـى «أنَّ» وصلتهـا؛ أيّ: ﴿أَلَم تَعلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُم قَد أَخَذَ عَلَيكُم مَّوثِقا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبلُ مَا فَرَّطتُم﴾. وصوابه: أيْ: ألـمْ تعلمُوا أخذَ أبيكُم الموثِقَ وتفريطَكم؟
- ٩٥٦/٢ سطـر ٢: ويقال: «مِنَا» بالألفِ في الآخـرِ، وهذه هي الأصلُ عندَ الكسائيِّ والقراء. وصوابه: والفرَّاءِ.
- ٩٥٨/٢ سطـر ٤ مـن أسفل: وحليمةُ بِنـتُ الحارِثِ بنِ أبِـي شِمْرٍ، وجَّهَ أبوها حبشيًّا إلى المنذِرِ بنِ ماءِ السماءِ. وصوابه: جيشًا.
- ٩٦٩/٢ السطر الأخير: كـذا رَوَينا في صحيح البخاري، في الشُّربِ، وفي الجهادِ، وفي علاماتِ النوبة. وصوابه: النُّبوَّة.
- ٩٧٠/٢ سطـر ٨: يُطوَّقُهُ يومَ القيامةِ، يَأخذُ بِلِهْزِمَتَه - يعني بشِدْقَيهِ -. وصوابه: بِلِهْزِمَتَيهِ.
- ٩٩١/٢ سطـر ١٠: والصحيـحُ أنَّه مـا مَهبَّتُهُ بينَ مَطلَـعِ الشمسِ وبناتِ نَعْشٍ. وصوابه: مَهَبُّه.
- ٩٩٣/٢ سطـر ٨: هـذا بيتٌ واحـدٌ مُقفًّى مِـنْ بحرِ السريعِ مِـن عرُضِه الأُولَى. وصوابه: عرُوضه.
- ٩٩٩/٢ سطر ٣ من أسفل: وأفتَى: أي الدهرُ، أو الموتُ. وصوابه: «أفنـى».

- ١٠٠٠/٢ السطـر الأول: واعلـمْ أنَّـه اختُلـفَ في حركةِ «مـعَ» إذا تُوَّنَتْ!! وصوابه: نُوِّنَتْ.
- ١٠٠١/٢ سطر ٣: هذا عجزُ بيتٍ لسُحَيم بنِ وَئيلٍ. وصوابه: وَثيلٍ.
- ١٠٠٥/٢ سطر ٣: و«أقوَيْنَ»: خَلَوْنَ مِنْ مكانهنَّ. وصوابه: سُكانهنَّ.
- ١٠٠٧/٢ السطـر قبل الأخـير فيه تحريف وسقط: يحتمـلُ أنْ يكونَ قد ضمَّ للإقناع كما مرَّ؛ لأنَّ أصلَ الكلمةِ «مُنْذُ». وصوابه: للإتباعِ كما مرَّ؛ لا لأنَّ.
- ١٠٠٩/٢ سطر ٤: يقـولُ: أَخْبِرْني إنْ جاءَتْ هذه المرأةُ بشابٍّ يتزوجُها، رَجِلَ الشَّعَرِ، حسـنَ اللباسِ، كالغصنِ الناعم، أتأمُـرُ بإحضارِ الشهودِ لعقدِ نكاحِها عليه؟! وصوابه: أآمرُ.
- ١٠١٦/٢ السطـر قبـل الأخـير: وقـد أشبعتُ الكـلامَ عليـه في شرحي للخَزرَجيـةِ المسمَّـى بـ«العُيـونِ الغامِزةِ علـى خفايا الرَّمِـزةِ». وصوابه: خبايا.
- ١٠١٨/٢ سطـر ٩: هذه صفةُ مكانٍ قَفْرٍ خالٍ منَ الأنيسِ في مغارةٍ بعيدةِ الأطرافِ. وصوابه: مفازةٍ.
- ١٠٢٦/٢ هامشـ ٢: ابـن هشـام الضريـر. وصوابه: هشـام الضرير، لا ابنه.
- ١٠٣٠/٢سطـر ٨: فتغمر وجـهُ الشيخِ محـبِّ الدينِ المذكـورِ. وصوابه: فتَمعَّرَ.
- ١٠٣٣/٢ سطـر ٩ فيه تحريف وسقط: فلما بناه علـى «جُفِيَ»، فانقلبتِ الواوُ ياءً فيما لم يُسمَّ فاعلُه، بُنِيَ المفعولُ عليه. وصوابه: فإنما بناه على «جُفِيَ»، فلما انقلبتِ.

- ١٠٣٨/٢ سطر ٨: فتخرجوا من الحنثِ وتجتنِّبوه. وصوابه: فتحرَّجوا.
- ١٠٤٧/٢ سطر ٩: ولا يجوز: «ما اختَصمَ زيدٌ ولا عَمرٌو»؛ لأنه للمعية لا غيرُ. وصوابه: ولا نحو.
- ١٠٥٨/٢ سطر ٤ من أسفل: قولهم: «تَسمَعُ بالمعيديِّ خيرٌ منْ أنْ تراه» فيمَنْ رفعَ الفعلَ، وقد سَبقَ في فصل «لو» من حرفِ اللام أنَّ ابنَ مالكٍ حكى الخلافَ في كونه ذلكَ مَقيسًا. وصوابه: وقولهم – كونِ ذلكَ.
- ١٠٦٠/٢ سطر ٤: ومن أمثلتِها داخِلةً على الجُملة الفصلية قوله... وصوابه: الفعلية.
- ١٠٦٢/٢ سطر ٥: نعمْ لو قال أولًا بأنها واوُ الصرفِ لا للعطفِ، ثم قال: «والحقُّ أنها واوُ العطفِ»، التَّامِ الكلامُ، واتسقَ النظامُ. وصوابه: التأمَ الكلامُ.
- ١٠٦٣/٢ السطر الأخير: قد أشارَ إلى وجوب ذلكَ في الحروفِ المشبَّهةِ بالفعل. وصوابه: جوابِ.
- ١٠٨٠/٢ سطر ٣: إذ قيلَ: «صَادٌ، جيمٌ» تُوِصِّلَ إليه باللام، كما تُوُصِّلَ إلى اللَّفظِ بلام التعريفِ بالألفِ حينَ قيل في الابتداء: «الغُلامُ» ليتعاوضَا. وصوابه: ليتقارضا.
- ١٠٨٥/٢ سطر ٥ من أسفل: لأن الكوفيينَ لا يرونَ الألفَ زائدةً اجتُلِبَتْ لتبيينِ الحركةِ في الوقفِ، بل يرونها من سِنْخِ الكلمةِ. وصوابه: نسج الكلمة.
- ٧٤/٣ سطر ٥: عبَّرَ هنا بـ «لا غيرُ»، مع تقديره فيما سبقَ أنه لحنٌ. وصوابه: تقريره.

- ٣/٧٧ سطـر ١١: ولمْ يذكرْه المصنفُ في المسألـةِ السابقةِ، وأحالَ عليه لشهرته في قولـه: وينبغي إشعارٌ بأنهم لمْ يصرحوا بإجراءِ الخلافِ في عاملِ المصدرِ. وصوابه: لشهرته. وفي قوله: «وينبغي» إشعارٌ.

- ٣/٧٨ سطـر ٨: قـال: الثاني: الجملـةُ المنقطعةُ ممَّا قبلهـا نحو: «ماتَ فلانٌ. رحمه اللَّه». أقول: مرادُه بـ «المنقطعةُ» التي قُطعَ تعلُّقُها مما قبلها لفظًا أو معنًى. وصوابه في الموضعين: المقتطَعة.

- ٣/٨١ سطر ٣: فهو كقولهم لم يقم الدليلُ على صحتِه، وإنْ كانَ صحيحًا في نفسِ الأمرِ. وصوابه: فهو كقولٍ.

- ٣/٨١ سطـر ٥، ٧: قـال: وقـد يُستشـكلُ قولُـه: صدَقُـوا، وهـو ضمير المذكورين... وإطـلاقُ مثلِه على المذكورين جائزٌ. وصوابه في الموضعين: المذكَّرينَ.

- ٣/٨٧ سطر ٣: ويجوزُ أنْ يكونَ ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ﴾ و﴿قَدۡ بَدَتِ﴾ [آل عمران: ١١٨] صفتينِ؛ أي: بطانةً غيرَ مانِعتِكُم فسادًا باديةً بغضاؤُهم. وصوابه: مانعِيكُم.

- ٣/٩٧ السطـر الأول: و«مُجمَـع»: معـزُومٌ عليـه مطبـوطٌ غـيرُ منتشرٍ. وصوابه: مضبوطٌ.

- ٣/٩٨ سطـر ٣ مـن أسفـل: لكـن في العُبـاب أنَّ الصَّغّاني قـال: «أنشد سيبويه هذا البيتَ لرؤبةَ، وليس لرؤبةَ، وهو مع ذلك تصحيفٌ. وصوابه: الصَّغَـاني، بتخفيـف الغين. ثم أرّخ لوفاته في الحاشيـة بتاريخ ٦٠٥ هـ، والحق أنه توفي ٦٥٠ هـ.

- ٣/١٠٠ سطر ٥: و«تبوَّأ»: اتخذ مباءةً؛ أي: مِيزَةً. وصوابه: منزلًا.

- ٣/١٠١ سطـر ٢ من أسفل: وكذا إذا قلـتَ: «ما جاءني زيدٌ ولا عمرٌو إلا أكرمتُه»؛ إن المعنى: ما جاءني واحدٌ منهما. وصوابه: إذ المعنى.

- ١٠٢/٣ سطـر ٣ من أسفل: وحاصل ما قـال فيها هو وشارحُو كلامه أنَّ الضمير وُجِدَ دلالةً على أن المقصودَ إرضاءُ الرسول. وصوابه: وُحِّدَ.

- ١١٠/٣ سطـر ١١: لأنـه إذا كانَ يُجبُّ مَن يُكثرُ التَّتـوُّبَ ويعودُ، فمَن لم يُكثر بالطريق الأولَى. وصوابه كما في الحاشية عن الأصل(٤١): الذنوبَ.

- ١١١/٣ سطـر ١٠: لاحتمـالِ أن تكونَ هذه الجملةُ المقـدَّرةُ مفعولًا ثانيًا لـ «أراني»، وقوله: «قد طالَبتُ غيرَ مُنيلِ»، حالٌ من فاعلِ «أرَى». وصوابه كما في هامشه: حالًا.

- ١٢٨/٣ سطـر ٥ من أسفـل: وذلكَ لأنه إذا كان التحقيـقُ أنَّ المفسِّر هو مجمـوعُ الجملتينِ، فكيف يقال: لأن المفسِّر هنا إنما هو المعنى المتحصِّلُ منَ الجواب؟. وصوابه: إنَّ المفسِّر.

- ١٣٩/٣ سطـر ٦: ولامُ الفعـلِ الذي كانَ حقُّهـا أنْ تُكسرَ قد سقطَت؛ إذ الأصل: تعاليي. وصوابه: تعاليين.

- ١٥٦/٣ السطـر الأخير: وفي القاموس: الجوى: الهواءُ، وما انخفضَ من الأرض. وصوابه: الجوُّ.

- ١٦٩/٣ سطر ٢: أي: لنُعلمكم الفريقَ الذين يقالُ في حقِّهم: أنُّهم أحسنُ عملًا؟. وصوابه: أي: ليَعلمَكم - أيُّهم.

- ١٦٩/٣ سطـر ٣: وقد أنصفَ صاحبُ الانتصافِ حيثُ قال: التعليقُ عن أحـدِ المفعولينِ فيه خلافٌ، والأصحُّ هو الذي أجـازه الزمخشري. وهذا النحـو عُشُّه فيه يُدرَجُ، ويُعرَفُ كيف يَدخـلُ ويَخرجُ. وصوابه: اختاره - يَدرُجُ، ويَعرفُ.

- ١٧٨/٣ سطـر ٦ مـن أسفل: اللُّبانـةُ بضمِّ الباء: الحاجـة. والعرَصَات: جمـعُ عَرْصَة، وهي كلُّ بقعةٍ بين الدُّورِ واسعـة ليس فيها بناءٌ. وصوابه: بضمِّ اللام - من الدُّورِ.

- ٣/١٨٢ السطـر الأول: وإنما الواقعُ مجمـوعُ الجملةِ التي هو مصدرُها. وصوابه: صدرُها.

- ٣/١٨٥ سطـر ٥ مـن أسفـل: أي: لا مـالي غائـبٌ ولا محـرَّمٌ، أو ولا ذُو حرمـانٍ، ويحتملُ أن يكون خبرًا عن مبتدأ محذوف هو ضميرٌ يعود على الحال. وصوابه: ولا محرومٌ - على المال.

- ٣/١٨٨ سطر ١٣، ١٤: كما تجزمُ سائرُ الجوازم شيئًا واحدًا كـ: لَم ولـمَّا ولام الأمر ولا النهي... قلتُ: وهو يُؤنسُكَ ويكسرُ سَوْرَةَ تكبُّرِكَ لما قدَّمنا. وصوابه: ولا النهي - نكِيرِكَ.

- ٣/١٩٠ سطـر ٤ من أسفل: يعني: وعلى هذا القولِ يُتركُ الاقتصارُ على قولِنا أو لاً: الواقعةُ بعد الفاء. وصوابه: أولا[٤٢].

- ٣/١٩٤ السطر الأول: جعلتِ كأنها تجشَّمَت من الفرح والسرور. وصوابه: تجسَّمتْ.

- ٣/١٩٤ سطـر ٦: ولكنَّه لـم يُصرِّح باحتمالٍ غـير الوصف، فكان ذلك لظهوره. وصوابه: فكأنَّ.

- ٣/٢٠٠ سطـر ٩، ١٠: الـذي ينبغـي اعتمـاده أنَّـا إذا وجدنـا جملتـينِ متعاطفتينِ بعد القولِ كالمثال الذي أوردَه المصنفُ، ثم ثبتَ القولُ بأنهما في محـلِّ نصبٍ؛ بناءً علـى أنَّ القولَ هو مجموعُهما؛ لأن هذا جزمٌ ثبَتَ. وصوابه: لم نثبتِ القولَ - جزمٌ بلا ثبَتٍ.

- ٣/٢٠٥ السطـر الأول: ألا ترى أنـه قد يخطِرُ الخطِّيُّ بينهم، ثم لا يكونُ مـع ذلك ناهِلًا، بأن يكونَ تَجـاوُلًا مِن غير تطاحُـنٍ. وصوابه: تَجاوُلٌ - تطاعُنٍ.

- ٣/٢١٣ سطـر ٥: أمَّا الثالثُ وهـو كونُه «استَطعما أهلَهـا» جوابَ «إذا»؛

فلأنـه تصـيرُ الجملـةُ الشرطيـةُ معناهـا الإخبـار باستطعامِهما عند إتيانِهما. وصوابه: كونُ.

- ٢١٦/٣ سطر ٣ من أسفل: والنقلُ في هذه المسألةِ من كلام العلماء، كما ذكرناه، قال وفيه نظرٌ. وصوابه أن يضعَ نقطة بعد كلمة «ذكرناه»؛ لأنها نهايـة فقرة، وأن يضعَ فاصلة بعد كلمة «قال» حتى لا يظن القارئ أن ما بعدها مقول القول.
- ٢١٧/٣ سطـر ٦: والمضافُ في كلٍّ من الآيتينِ كلمةُ «مَثل»، فيُشكِلُ المعنى في إحداهما والإجازةُ في الأخرى. وصوابه: المنعُ.
- ٢٢١/٣ سطـر ١٢: أمـا إذا جُعِـلَ صفةً له استقامَ المعنـى، فلا يتَّجهُ مع كونـه خبرًا؛ لأن المعنى حينئذٍ: وكلُّ شيءٍ مُثبَـتٌ في الزُّبرِ. وصوابه: منعُ كونه. وسقط منه «في الزبر».
- ٢٢٣/٣ سطر ٦: وهذا غيرُ مُتعيِّنٍ لجواز تعلُّق الظرف بالفعل. وصوابه: بالفضل.
- ٢٢٥/٣ السطـر قبـل الأخـير: والجعائـل جمـع جِعالة، بكسـر الجيم، أو جَعِيلـة كصَحِيفـة، وكلاهما بمعنى، والجعل هو مـا يقد للإنسان من شـيءٍ على أمـرٍ يفعلُه. وصوابـه: وكلاهما بمعنى الجُعْـلِ، وهو ما يُقدَّر للإنسان.
- ٢٢٨/٣ سطـر ٤ مـن أسفـل: وهـذا مُشـكِلٌ؛ لأنَّ فسادَ المعنـى بتقدير الاستئنـاف لا خصوصيةَ له بهذا الوجه الذي فرَّعَ عليه؛ إذا لو جُعِلَ «إلهٌ» خـبرَ مبتدأ محـذوف، و«في السَّماء» يتعلقُ به؛ أي: وهـو الذي هو إلهٌ في السماء، وجُعِلَ «وفي الأرضِ إلهٌ» استئنـافًا - لفسدَ المعنى أيضًا. وصوابه: إذ لـو. مع إهماله لأغلب علامات الضبط والترقيم في الفقرة، مثل هذه الشرطـة التي تربط بين طرفَي الجملة إذا تباعـدا، بل ليس لها ذِكر في

الكتاب كلـه، وليته استعاض عنها بفاصلة منقوطـة أو فاصلة فقط كما يفعـل بعض المحقِّقين، لكنه يتركها غفلًا مـن أيِّ علامة ترقيم، فيُشكل النص على القارئ.

- ٢٢٩/٣ سطر ٣: وتشديد واو و هو لغة همدان. وصوابه: واوِ «هُوَّ».
- ٢٣١/٣ سطـر ٤: إذ الإكلال الذي هو التعب لا يتصف به البرقُ حقيقةً. وصوابه: الكلال.
- ٢٣٤/٣ سطـر ٢ ما تحته خط وضعه بالحاشية وحقه أن يوضع في المتن: فكيـفَ يُجرَّدُ مـن المعنى الذي دلالتـه عليه أقوى، ويـترك المعنى الذي دلالته عليه أضعفُ؟!
- ٢٣٦/٣ سطر ٧: وما حالُ سعادٍ غداةَ البينِ إلا حالُ ظبي أغنَّ. وصوابه: حالُ سعادَ. (وكذا مرَّ اسم «سعادٍ» مع صرفه بلا وجه قبلُ).
- ٢٥٠/٣ سطـر ٩: دَرْجُ الـمِّيـتِ: طيُّه وتكفينُه. وصوابـه كما في هامشه: وتَلفيفُه.
- ٢٥١/٣ السطـر قبـل الأخير: يعني: لم يَقـمْ يتعينُ دليـلٌ يقتضي جوازَ ذلك. وصوابه كما في هامشه: بيقينٍ.
- ٢٥٣/٣ سطـر ٦: ونحوه مـا أورده سيبويه في باب ما يُبنـى من المستقَرِّ توكيدًا. وصوابه: يُثنَّى.
- ٢٦١/٣ سطـر ٥، ٨: ليس المانعُ الصناعـيُّ مع كلِّ متعدٍّ بالحرف، وليس المانـعُ المعنويُّ مـع كلِّ سببيّ ووجـود، لا - كما صنعَ المصنـفُ - مُقتضٍ لتصـوُّرِ المانعينِ معًـا. وصوابه أن يضـع نقطة بعد كلمـة «سببي»؛ لأنها نهاية فقرة، وأن يضبط كلمة «وجود» بالرفع؛ لأنها مبتدأ، وأن يضع كلمة «لا» بين قوسين هكذا.

- ٢٦١/٣ سطر ٨: نعم، يُمكِنُ تصوُّرُهما في المتعدِّي بالحرف، نحو: «زيدًا مررتُ بأخيه»؛ فإنَّ المانعَ الصناعيَّ قائمٌ – وهو عدمُ الفعل المتعدِّي بنفسه – والمعنويَّ كذلك؛ إذ المرورُ بأخي زيدٍ ليس ممرورًا بزيدٍ، فتأمَّله. وصوابه: المرورُ... مرورًا. (مع إهمال علامات الترقيم مثل الشرطتين الاعتراضيتين).

- ٢٦٤/٣ سطر ٤ من أسفل: لا يختلفُ أهلُ العلم باللسان: أنَّهم إنما يُخاطِبون إياهم بمسألةِ أهلِ القريةِ وأهلِ العيرِ. وصوابه: أباهم.

- ٢٦٦/٣ سطر ٥ من أسفل: إنْ كان اللَّهُ فيهما، وهو يعلمُ الغيب، فمنهما مَن يعلمُ الغيب؛ أي: استحالتُه كاستحالتِه. وصوابه: ففيهما.

- ٢٨٠/٣ سطر ٣: وقد نبَّهتُ عليه في ذلك المحلِّ نصًّا. وصوابه كما في هامشه: أيضًا.

- ٢٨٣/٣ سطر ١٣: هذا غيرُ ما حكاهُ أبو حيانَ عن بعض الناس. وصوابه: عينُ. (انظر إليه: كيف عكس المعنى)!

- ٣٠٥/٣ هامش ٩ إحالة على شرح المفصل ١٨٤/١. وصواب الإحالة: أمالي ابن الحاجب ٥٨٤/٢ وما بعدها. (وكذا وقع غير مرة يخلط بين كتب ابن الحاجب في التخريج خاصة كتابَيه: الإيضاح في شرح المفصل والأمالي).

- ٣١٨/٣ سطر ٧: وأراد بـ«كلّ شارق»: كلَّ كوكبٍ طالع، كأنه مأخوذٌ من قولهم: «شَرَقَتِ الشمسُ»؛ أي: طَلَعَتْ، ولا أذكرُ الآنَ مَن نصَّ عليه. على أنَّ ذلك يُستعملُ في غيرها من الكواكب. وصوابه: مَن نصَّ على أنَّ ذلك. (مع إهمال الأقواس التنصيصية واستعمال لعلامات الترقيم في غير موضعها مثل النقطة بعد كلمة: عليه).

- ٣١٩/٣ سطر ٦: إذ الظاهرُ يُبدلُ من ضمير الحاضر عند الجمهور، إذا كان بدلَ بعضٍ كـ: «أعجبني وجهُكَ»، أو بدلَ اشتمالٍ كـ: «أعجبني كلامُكَ». وصوابه في الموضعين: أعجبتَني. (فانظر إليه لله درُّه: كيف ضيَّع موطن الشاهد من المثالين؟! ثم إنه زاد الطين بلَّةً؛ إذ بدأ بكلمة «وجهك» فقرةً جديدةً، فأشكل المعنى على القارئ أيَّما إشكال).

- ٣٢٢/٣ سطر ٥: يعني أنَّ «رَجُلٌ» من قولنا: «النَّاسُ رَجُلان: رَجُلٌ أكرمتُه، ورَجُلٌ أهنتُه» لا يتعيَّنُ كونُه مبتدأً، بل يحتملُ أن يكونَ بدلًا من خبرِ «الناس»، فيكونُ خبرًان. وصوابه: خبرًا.

- ٣٣٢/٣ سطر ٨: وأما صلاحيتُه للإطلاقِ المفيد للاستمرار، فلأنَّ العادةَ جارةٌ منهم، إذا قصدُوا معنى الاستمرارَ، يُعَبِّرُوا عنه بلفظ المضارع. وصوابه: جاريةٌ - أن يُعبِّرُوا.

- ٣٣٢/٣ سطر ١٠، ١١: فإذا ثبتَ أنَّ اسمَي الفاعلِ والفعل يعملانِ في الأجنبيِّ، إذا كانا بأحد هذه المعاني الثلاثة فإضافتهما إذًا إلى ذلك الأجنبيِّ لفظةٌ؛ لأنَّ كونَ الإضافةِ لفظيةً مبنيٌّ على العمل، ولهذا أبنية المبالغة لمَّا كانتْ للاستمرار. وصوابه: والمفعولِ - لفظيةٌ - وهكذا.

- ٣٣٣/٣ سطر ٩: وإنْ كانَ أصلُه اسمَ فاعلٍ مِن: صَحِبَ يَصحَبُ، بل يُقدَّرُ كأنه جمادٌ. وصوابه: جامدٌ.

- ٣٣٥/٣ سطر ٣ من أسفل: أي: تَولَّوا وأعينُهم تَفيضُ مِنَ الدَّمعِ يَكُونَ حَزَنًا؛ لاتحادٍ موجودٍ على كلا التقديرَين. وصوابه: فالاتحاد موجودٌ.

- ٣٤٩/٣ سطر ٦: فإن قيل: اختلالُ الجملتينِ خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومعنًى فقط، إنْ أوجبَ كمالَ الانقطاعِ بينهما أوجبَه مطلقًا. وصوابه: اختلافُ - لفظًا ومعنًى أو معنًى فقط.

- ٣٥٩/٣ سطر ٩: وانظر تمثيلَ الشريفِ بقوله: «كانَ زيدٌ قائمًا، وعمرٌو قاعدًا» بصورة المسألةِ التي فرضَها. وصوابه: لصورة.

- ٣٧١/٣ سطر ٧: والتأويلُ بذلكَ في جزءٍ بعيدٍ جدًّا. وصوابه: والتأويلُ بذلكَ في «جَزَى بنوه» بعيدٌ جدًّا.

- ٣٧٦/٣ سطر ٦ من أسفل: قال الرضيُّ: «ومآلُ المعنيينِ إلى شيءٍ واحدٍ، إلا أنَّ تقديرَهما أحسنُ من تقديرهم». وصوابه: تقريرَهما – تقريرهم.

- ٣٧٧/٣ سطر ٤: وقدَّرَ ابنُ الحاجبِ في شرحِ المفصَّلِ وجهَ الأولوية على طريقةٍ أخرى. وصوابه: وقرَّرَ. (مع تضييعه للمعنى بإقحام نقطة قبل كلمة «وجه»).

- ٣٨٣/٣ السطر الأخير: و«الأرنب»: واحدُ الأرانبِ، دابَّةٌ معروفةٌ، وهذا اللفظُ قيل: يُطلقُ على الذَّكر والأنثى، وقيل: إنما يُطلَقُ على الأنثى، ويقال لذكرِها: خُزَزٌ بمعجماتٍ على زنةِ صُرَدٍ. وصوابه كما دلَّ عليه قوله «بمُعجمات»: خُزَزٌ.

- ٣٩٤/٣ سطر ٣: وقال بعضُهم: هذا يجيزه سيبويه في خبرِ المبتدأ فأحرى ألَّا يُجيزَه في الصلة. وصوابه: هذا لم يُجزْه.

- ٣٩٥/٣ سطر ٨: واحترَزْنا بقولنا: «مقدَّم» من أنْ يكونَ المخبَرُ عنه مؤخَّرًا، نحو: «قامَ الذي أنتَ». وصوابه: الذي قامَ أنتَ.

- ٣٩٨/٣ سطر ٥: ولا كذلك: جاءني زيدٌ هو فارٌّ كذا. قال اليمني: قلتُ: يَرِدُ أنَّه حكمَ بالشذوذ في قولهم: «كلَّمتُه فُوه إلى فيَّ». وصوابه: «جاءني زيدٌ هو فارس». كذا قال اليمني. (مع بدئه فقرة جديدة بعد كلمة «كذا»، وخطئه الظاهر في وضع علامات الترقيم، فضاع معنى النص).

- ٤٠٣/٣ سطر ٣ من أسفل: وهي مع صلتِها مؤوَّلةٌ بمصدرٍ معطوفٍ على المصدرِ المذكور؛ أي: تَقَضِّي لبناتٍ وسآمة سائم. وصوابه: لُباناتٍ.

- ٤٠٤/٣ سطر ٣ من أسفل: ومنه قولُه : «اجتنِبُوا السَّبعَ الموبقاتِ: الشرك،

والسِّحر»، فقد رُوِيَ بالرفع على القطع، وهو ظاهرٌ، ورُوِيَ بالنَّصبِ على البـدلِ، ونبَّه بمعطوفٍ محـذوفٍ. وصوابه كمـا في هامشه على تحريفه أيضًا: ونيَّةِ معطوفٍ.

- ٤٢٦/٣ سطـر ٩: وهـو الشيـبُ الذي لا يليـقُ بصاحبِه التَّلطُّـخُ بأدناسِ الشهواتِ؛ إنَّ البياضَ قليلُ الحملِ للدَّنسِ. وصوابه: إذ البياضُ.
- ٤٢٩/٣ سطـر ٥: «اللَّعـنُ»: الطـردُ والإبعادُ مـنَ الخيرِ، وهـذا النمط تستعملُـه العربُ كثيرًا في الدعاءِ للإنسـانِ بالشرفِ والعزِّ وعلوِّ المرتبة. وصوابه: اللفظ.
- ٤٣٠/٣ سطر ١١: هذا أمرٌ عجيبٌ يلزَمُ مَن فتحَ بابَه التطرُّقُ إلى القدح في كلِّ مـا يُستدَلُّ به؛ إنما قال: كـذا، ولكنْ حُذفَ، فقيل: كذا. وصوابه: حُرِّفَ.
- ٤٤٦/٣ سطـر ٢: «البؤسُ» بالهمـز: الشدَّةُ وخلافُ النَّعيـم، يقال: يومُ بؤسٍ، ويومُ نِـعَمٍ. و«الرنِقُ» بكسر النون: الماءُ الكَدِرُ. وصوابه: ويومُ نُـعْمٍ. و«الرنْقُ» بسكون النون.
- ٤٥١/٤ سطر ٥: أوردَ بعضُهم هنا سؤالًا فقال: إنِ اقترنت الآيةُ الشريفةُ والمثـال الذي حكمَ بامتناعِه، وهو: «ضُـرِبَ أخوكَ رجلًا»، ببناءِ «ضُـرِبَ» للمفعـولِ، باعتبارِ الوجهِ الذي ذكـرَه المصنِّـفُ - فقد اشتركا في تفسير المعـوَّل على اطراحه. وصوابه: إنِ افترقتِ الآيةُ الشريفةُ من المثال. (مع إهمال معتاد لعلامات الترقيم والضبط).
- ٤٦٠/٤ السطـر الأول: وقـد يُجابُ بـأنَّ المصنِّفَ استثنَـى فعْلَي فَقَدَ، وعَدِمَ أيضًا. وصوابه: استثنَى في «عَلَى»[٤٣]: «فَقَدَ، وعَدِمَ» أيضًا.
- ٤٦٧/٤ سطر ٧: فإذا قدَّمتَ المبتدأَ، أو ما هو من متعلَّقاته، كانَ التقديرُ: حِجُّ البيتِ المستطيعونَ حقٌّ ثابتٌ للَّهِ على الناسِ. وصوابه: وما هو.

- ٤/٤٦٨ هامش ٢ تخريج الحديث[٤٤]: «هُنَّ مِنْ تِلادِي» من معجم الفائق، والحديثُ في صحيح البخاري.
- ٤/٤٧٢ السطر الأخير: حُكيَ عسين اليزيدِيِّ أنه قال في قولِ العَرجيِّ... وصوابه: عن.
- ٤/٤٧٣ سطر ٨: لأنَّ مَن حيًّا أحِبَّتَه وتودَّدَ بإهداءِ السلام إليهم جديرٌ بألا يخفَى. وصوابه: يُجفَى.
- ٤/٤٨١ سطر ٣ من أسفل: قد مرَّ في الباب الأول في فصل «لو» من حرف اللام. وصوابه: لولا.
- ٤/٤٨٣ سطر ٢ من أسفل: والأصلُ في التقدير هكذا: ثُم إذ دعاكُم دعوةً مِنَ الأرضِ إذا أنتم تخرجون منها. وصوابه: إذا.
- ٤/٤٨٤ سطر ١٠: والفرقُ عندنا أنَّ الألفَ واللامَ لمَّا كانت صورتُهما صورةَ الحرف المنزَّلِ جزءًا منَ الكلمةِ صارتْ كغيرها منَ الأجزاءِ التي لا تمنعُ التقدُّمَ، ففُرِّقَ بينها وبينَ الموصولاتِ بذلك. وصوابه: صورتُها - بينهما.
- ٤/٤٨٦ سطر ٢ من أسفل: وهذا كلُّه من المصنفِ مبنيٌّ على رأيه في امتناعِ تعلُّقِ اللام بالمصدر، وامتناعِ حذفِهما. وصوابه: حذفِها.
- ٤/٤٨٨ سطر ٥: فتقول حينئذ: هندٌ الفُضلى، وفُضلى النساءِ، والهندانِ الفُضليانِ، وفُضليات النساءِ. وصوابه: فُضليا.
- ٤/٤٩٣ سطر ٢: يعني أنَّ خبرَ «إنَّ» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ هو ما انتظمَ منه المذكورُ والمحذوفُ. وصوابه: من المذكورِ والمحذوفِ.
- ٤/٤٩٤ سطر ٥: وإذا كان للحقيقة اعتبارُ أنَّ أحدهما عامٌّ يشمَلُها وغيرَها، والآخر خاصٌّ بها، فالبلاغةُ أنْ يُعبَّرَ عنها بما هو خاصٌّ

بهـا. كذا في الصحيح لجدِّي رحمه اللّه. وصوابه: اعتباران - الصحيح الصادع لجدِّي ابنِ المنيِّر. (مع إهمال علامات الترقيم المعتاد).

- ٤/٤٩٥ سطـر ٧: وكلاهما مُشكِلٌ؛ لأنَّ المحرَّمَ الإشراكُ لا عدمُه، فحَوِجَ ذلك إلى التأويلِ بادِّعاءِ أنَّ «لا» زائدةٌ لا نافيةٌ. وصوابه: فيُحوجُ.
- ٤/٤٩٦ سطـر ٦: وهــي مَيسُونُ زوجُ معاويةَ بنِ أبي سفيــانَ، ولكن أرادَ: على حدِّ قولِ مَن قال. وصوابه: ولكنَّه.
- ٤/٤٩٦ سطر ٢ من أسفل: ونظيرُ حملِ الكِرمانِي «النفسَ» على التوكيدِ في موضعٍ لم يَحسُنُ فيه ذلك... وصوابه: لم يَحسُنْ.
- ٤/٤٩٨ السطـر الأول: قلتُ: مَن قرأ بالتاء الفوقية في تلك الآية يعقوبُ، وليست قراءةً شاذةً. وصوابه: ممن قرأ - وليست قراءتُه بشاذةٍ.
- ٤/٥٠٠ سطر ٤ من أسفل: وقد يرى كثرٌ منَ الناسِ قولَ الزمخشريِّ في هذه المواضعِ متناقضًا. وصوابه: كثيرٌ.
- ٤/٥٠٢ هامشـ ٥ ترجــم على هــذا النص: «لكنْ أطبقَ القــرَّاءُ - إلا في روايــة يحيى عن أبي بكرٍ عن عاصــم - على فتحِ الميم وطرْحِ الهمزة» = بـأن يحيى هنا هو «يحيى بن يعمر»، واستطرد في ذكر خبره، والحقُّ أنه «يحيى بن آدم العُليمي» راوي شعبة.
- ٤/٥٠٤ سطـر ٥: لأن قولَـه: «وهو أرجحُهــا» يقتضِي رُجحــانَ الوجهينِ الآخَرَينِ وأرجحيةَ الفصلِ. وصوابه: الأخِيرَينِ.
- ٤/٥٠٤ سطر ٨: على أن الابتداءَ إنما يضعُفُ حيثُ تكونُ صيغةُ الضميرِ متعينةً لا أن تكونَ فصلًا. وصوابه: لأن تكونَ.
- ٤/٥٠٤ سطـر ٤ من أسفل: فإنْ قلتَ: فبمــاذا يقولُ البصريون إذا وقع التنـازعُ في مثلِ هذا الضميرِ..؟ وصوابه: فماذا.

- ٤/٥٠٦ سطـر ٩: وقـد استبـانَ لـك أنَّ قـولَ الغَجْـدَواني... وصوابـه: الغُجْدُوانيِّ.
- ٤/٥٠٧ السطـر الأول: أمَّـا الآيـةُ فيُحتمَلُ تعلُّقُ الجـارِّ فيها بمحذوفٍ. وصوابه كما في هامشه: فتحتملُ تعلُّقَ.
- ٤/٥١٠ سطـر ٢: والأصـلُ فيه «يمنيَّـةٌ» بتشديد الياء نسبـةً إلى اليمنِ. وصوابه: بتشديدِها.
- ٤/٥١٠ سطـر ٣ مـن أسفل: جـاءَهُ التعريفُ من جهةِ أنـه من تأويلِ ذي الأداة. وصوابه: في تأويل.
- ٤/٥١٣ سطـر ٩: أي إنْ كانـتِ الأحـوالُ المقـدَّرةُ في التفريـغ من فاعل «يُكلِّمه»... وصوابه: التفريع.
- ٤/٥١٦ هامش ٤: علَّق المحقق هنا بذكر تمام بيت للشَّنفَرى، والبيت في الصفحة الآتية مباشرة بما يُغني عن التعليق بتمامه هنا.
- ٤/٥٢١ سطر ٦: لا يُشترطُ اتحادُ فاعلَي الحالِ والمصدرِ المعلَّل. وصوابه: الفعلِ – المعلِّل.
- ٤/٥٢٣ سطـر ٢: لأنهما ليسَا بفعلِ الفاعل المعلَّـل إلا على تقديرِ حذفِ المضـاف. وصوابـه كما في هامشه لكنه أيضًا محـرَّف: ليسَا بفعلِ فاعلِ الفعلِ المعلَّلِ.
- ٤/٥٣١ السطـر الأخـير: فلا وجهَ إلى التخطئـةِ والاستهجانِ. وصوابه: فلا وجهَ للتخطئةِ.
- ٤/٥٣٢ سطـر ٤: قال: نحو: ﴿وَهَذَا بَعلِـي شَيخًا﴾ [هود: ٧٢]. وصوابه كمـا في النسـخ المعتمدة «هـذا» بلا واو قبلهـا، لكن المحقِّـق يعتمد على المصْحَـف ويُهمِـل النُّسخ، ويظنُّ أن ترك الواو هنـا قبيح لذا أدرجَها في كثـير من الآيات. وجوازُ حذفها لا يخفى على مثله وقد ناقش الدماميني

المسألـةَ في أكثرَ من موطنٍ مبينًا جوازَ حذف الواو والفاء العاطفتين من مطالع الآيات المستشهَد بها[٤٥].

- ٥٣٤/٤ السطـر الأول: التداخلُ أنْ تكونَ الحـالُ الثانيةُ حالًا من ضمير الأولى. وصوابه: من ضمير في الحال الأولى.
- ٥٤٠/٤ سطر ٣: و«ما» لا تُزاد بعد الباءِ إلا إذا كانت للسببية فيما علمتُ. وصوابه كما في هامشه: عَلِمَه.
- ٥٤٣/٤ سطـر ٢: واللَّه تعالى قد تعبَّدنـا بالأمرينِ جميعًا، ولم يَقبَلْ من الإيمانِ إلا ما كان قولًا باللسانِ، واعتقادًا بالجَنانِ. وصوابه: يتقبَّلْ.
- ٥٤٣/٤ هامش ٦: نصٌّ لم يقف عليه المحقِّق في شـرح عمدة الحافظ، والنص فيه ٥٤٣/١.
- ٥٤٤/٤ سطر ٢: وقدَّرَ الدليلَ بأنَّ المنعوتَ أخصُّ من النعتِ أو مساوٍ له. وصوابه: وقرَّرَ.
- ٥٤٤/٤ سطـر ٦: مـع أنـه صريـحٌ في أكثرِ نسـخِ التسهيلِ بمـا يقتضي استواءهما في الرتبة. وصوابه: صرَّحَ.
- ٥٤٥/٤ سطر ٥: الوجهُ في كونِ الأولِ أولى بالنيابة لأنه أقربُ إلى المفعولِ به من الطرفينِ. وصوابه: أنه.
- ٥٤٧/٤ سطـر ٤: وقد أسلفنا في فصـل «أل»(٤٦): أنَّ سيبويه جعلَ «ذا الجُمَّة» من قولهم: «يا هذا ذا الجُمَّة» عطفَ بيانٍ، واسمُ الإشارة أخصُّ منه. انتهى كلام الدماميني. قلتُ: هذه الإحالة سهو من الدماميني ومع ذلك فإن المحقق أحال على ص٣٩ من الأصل، وهي إحالة على سراب.
- ٥٤٩/٤ السطـر الأول: أعرفُهـا: ضميرُ المتكلِّم، ثـم العلمُ الخاصُّ؛ أي: الذي لم تتفق له مشاركةٌ. وصوابه: الذي لم يتفق له مشاركٌ.

- ٥٤٩/٤ هامش ١: قال المحقق: الضمير يعود على سيبويه. وصوابه: عود الضمير على ابن عصفور لا سيبويه.

- ٥٥١/٤ سطر ١٠: ولا يتأتَّى لاختلافِ الجهة. وصوابه كما في هامشه: تنافي.

- ٥٥٨/٤ سطر ٧: و«التكاثر» هنا: الكثيرُ. وصوابه: الكاثر.

- ٥٦٢/٤ السطر الأول: وأكثرُ ما يحذفُه الحجازيون مع «لا» نحو: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه. وصوابه: إلا.

- ٥٦٩/٤ السطر الأخير: وهنا قد جعل «ركّبَك» جوابًا للشرط، والجارَّ المتقدِّمَ متعلِّقًا به، فلزِمَ تقدُّمُها في حيِّزِ الجزاء على الشرط، وهو باطلٌ. وصوابه: فلزِمَ تقدُّمُ ما في.

- ٥٧٠/٤ سطر ٦: وتقريرُ وجهِ الشبهِ أن «أجمع» ونحوَه مُغتفرٌ فيه تعريفُ الإضافة. وصوابه: معتبرٌ.

- ٥٧١/٤ سطر ٤ من أسفل: وإذا الضامر العيس... وصوابه أنه قطعة من بيت شعر ساقه المحقق على أنه من النثر بلا تنسيق شعري ولا تخريج فضلًا عما وقع فيه من تحريف، وحقُّه: «يا ذا الضامرِ العَنْسِ».

- ٥٧٣/٤ السطر الأخير: هو متعدٍّ بنفسِه، بناءً على أنه لا يُعلقُ إلا بمتعلق. وصوابه: يُعقل.

- ٥٧٦/٤ سطر ٤ من أسفل: وحيث اعترضَ المصنفُ بذلك فلِمَ كانَ الظاهرُ النصبَ على المدح..؟ وصوابه: اعترفَ.

- ٥٨٠/٤ السطر الأول: كقول ابنِ عباس[٤٧] رضي اللّه عنه: «فجعلَ الرجلُ إذا لم يستطعْ أن يخرجَ أرسلَ رسولًا». انتهى كلام الدماميني. قلتُ: علَّق المحقِّق على هذا النصِّ بترجمة لابن عباس، وابنُ عباس ليس مغمورًا حتى يُعرِّفنا به، وقد كان من منهج التحقيق التعريفُ بغير المشاهير،

لكـن المحقق لم يلتزم بما قـرره لنفسه منهجًا، فهو لا يجري على قاعدة كما عوّدنا، ثم إنه لم يخرِّج أثر ابن عباس، ألم يكن من الأولى أن يُخرِّجَ الحديثَ ويدعَ الترجمة؟!

- ٤/٥٨١ سطـر ١٢ كرَّر المحقق هـذه العبارة كاملة مرتين بتحريف يسير: وقد أجازوا في نحو: «ضُربَ زيدٌ الظهرُ والبطن» التأكيدَ كما ذكرَه.
- ٤/٥٨١ السطـر الأخير: وقد علمتَ أنه لا يمتنعُ أن يقال: «أُكلتُ الأرغفة جـزءًا منها»، ولا «سكنتُ الدارَ بيتًا منها». وصوابه: «أُكِلتِ الأرغفةُ جزءٌ منها»، ولا «سُكِنتِ الدارُ بيتٌ منها».
- ٤/٥٨٢ السطر الأول: إذ لا يقال: «أَكلتُ جزءًا من الأرغفة»، ولا «سكنتُ بيتًـا مـن الـدار». وصوابه: إذ لا يقـال: «أُكلـتْ جزءٌ مـن الأرغفة»، ولا «سُكِنتْ بيتٌ من الدار».
- ٤/٥٨٣ سطر ٤: وقد يقال: مخالفتُه للقياس يقتضي ضعفَ الحملِ عليه عند إمكانِ غيره لا امتناع الحمل عليه. وصوابه: لامتناع.
- ٤/٥٨٤ سطـر ٧: فـإذا قُـدِّرَ المفـردُ زال المعنى المـرادُ كمـا بيناه هنا. وصوابه: فاتَ.
- ٤/٥٨٤ سطـر ٥ مـن أسفـل: وذلـك أن المبتـدأَ الموصولَ بجملـةٍ فعليةٍ مستقبلةٍ مشابهٍ لاسم الشرط. وصوابه: مشابهٌ.
- ٤/٥٨٤ سطر ٢ من أسفل: بل القرينةُ قائمةٌ، وهي عدمُ صلاحيةِ المقدَّرِ ولا يكونَ جوابَ شرطٍ. وصوابه: لأن يكونَ.
- ٤/٥٨٥ سطر ٤: وجهُ استدلالِهم بهذا إما أن يكونَ مرفوعًا بالأصالة أو بالتبعية. وصوابه: استدلالِهم بذلك أن «مشيُها» إما.
- ٤/٥٨٦ سطـر ٦: و«الصَّـرَفـانُ» مفتحـاتٌ: جنسٌ من التمـر. وصوابه: بفتحاتٍ.

- ٥٨٧/٤ سطر ٢: وإنما وَهِمَ المصنفُ القائلُ بأنَّ «وصالٌ» مبتدأ. وصوابه: وَهَّمَ المصنفُ القائلَ.

- ٥٨٧/٤ سطر ٥ من أسفل: فليس تخطئة هذا القائلِ إسنادًا إلى قول سيبويه بأولَى من تصويب كلامِه إسنادًا إلى قولِ غير سيبويه من النحاة. وصوابه في الموضعين: استنادًا.

- ٥٩٤/٤ السطر الأخير: وليس كذلك؛ لأن هذه مصدر الدلالة لا الدَّلَال. وصوابه: هذا مصدره.

- ٥٩٨/٤ سطر ٩: و«الأقيال» ضُبِطَ بالياء التحتية والفوقية. وصوابه: بالمثناة.

- ٥٩٩/٤ سطر ٢: إذا تبعَه في النسبة كما سُمِّيَ «تَبِعًا» مَن تَبِعَ الذي قبله في المُلك. وصوابه: تُبَّعًا.

- ٦٠٢/٤ السطر الأول: بناءً على أن الصفةَ تخصيصه، والمقصود العموم والإبهام. وصوابه: تُخصِّصه.

- ٦٠٥/٤ سطر ٥: ووجهُنا هنا أن نواسخَ الابتداء لا تدخلُ على «كمْ» المجازاةِ. وصوابه: كَلِم المجازاةِ.

- ٦٠٥/٤ سطر ٧: المرادُ بمُشبههِ الفاعلِ اسمُ «كان» الناقصةِ وأخواتِها. وصوابه: بمُشبهِ.

- ٦٠٨/٤ سطر ٢ من أسفل: وعلى هذا فينبغي ألا يكونَ خلافٌ في أن «كم» الخبريةَ تُعلِّقُ عن العمل. وصوابه: فينبغي أن يكونَ.

- ٦١١/٤ سطر ٣: الاستشهادُ دائمًا محلُّه «كان أُمَّكَ». وصوابه: إنما.

- ٦١٢/٤ سطر ٤: إنه بمعنى: مررتُ برجلٍ كائنٍ أبوه زيدٌ. وصوابه: زيدًا.

- ٤/٦١٣ سطـر ٥: مع إمكانِ جعلِه علـى الاشتغال، وهو قياسي. وصوابه: قياسٌ.
- ٤/٦١٣ سطـر ٣ مـن أسفل: وأما ثانيًـا فمن المشهور عنـد الكوفيين أن المبتدأ والخبرَ ترافعَا. وصوابه: عن الكوفيين.
- ٤/٦١٥ سطـر ٧: فيكونُ إطلاقُ القولِ لامتناعِ حـذفِ الفاعل كما صنعَ المصنفُ مستدركًا. وصوابه: بامتناعِ.
- ٤/٦١٨ سطـر ٨ أثرٌ بلا تخريج وهو: قول أبي بكر الصديق [٤٨]: «واللَّهِ أنا كنتُ أظلمَ منه».
- ٤/٦٢٠ هامش ٦ لم يقـف المحقِّـق علـى تخريج نص من كتـاب «شرح التسهيل» لابن مالك بزعم أنه ناقص، والنص فيه ٣/٢٦١.
- ٤/٦٢٢ سطـر ٢ من أسفل: قال: أحدهما: قول الزمخشريِّ... وصوابه: أحدها.
- ٤/٦٢٤ سطر ١٠: جوَّزَ الجماعةُ الأمرين في الآية الأولى لاستفهاميتها. وأمـا الآيةُ الثانيـةُ فوُجِدَ فيها ما يُعيِّـنُ الاستئنافَ فصـيرَ إليه، وليس تعيينُه هنا بمقتضٍ لتعيينِه. وصوابه: لاستقامتِهما - تعيُّنُه - لتعيُّنِه.
- ٤/٦٢٥ سطـر ٥: وجوابُه: أن الإشارةَ وقعـت للصبـرِ والغفرانِ المضافِ كلٌّ منهما إلى ضميرينِ. وصوابه: ضميرِ «مَن».
- ٤/٦٢٨ الفقـرة الثانيـة: فهـلَّا حمـلَ قولَا الفارسـيِّ والزمخشـريِّ: إنَّ الحجازيـةَ متعينـةٌ في قوله تعالـى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ﴾ علـى ذلك. ولـمَن أسـاءَ الظـنَّ بهما حيث جعلَهما ظانـينِ أنَّ زيادةَ البـاء منوطةٌ بنصبِ الخبـر؟ مع أنهما ليس تصريحٌ في كلامهما بما ظنَّه عليهما. وصوابه: قولَ - ولـمَ أساءَ - مع أنه ليس في كلامهما تصريحٌ بما ظنَّه.
- ٤/٦٣٠ سطر ٦: كما نَفَى الإثمَ عن المتأخِّرِ. وصوابه: نُفِي الإثمُ.

- ٦٣١/٤ السطـر الأخـير: لأنـه أُريـد بالعبـادِ فيهـا المخلصـين، فتُرِكَ الاستثناء. وصوابه كما في هامشه: المخلصون.
- ٦٣٢/٤ سطـر ١٠: والإلباسُ واقـعٌ في العربية، بدليـلِ أسماء الجناس والمشترَكات. وصوابه: الأجناس.
- ٦٣٣/٤ سطر ٦: فإن القراءتين ثابتان قطعًا. وصوابه: ثابتتان.
- ٦٣٤/٤ سطر ٩: وقد أجابَ الرضيُّ بالجواب الثاني. وصوابه: الأول.
- ٦٤٤/٤ هامش ٣ علـق النص الآتي: «ويكشفُ عن هـذا وينبِّه على سرِّه مـا وقـعَ لبعضِ المحقِّقين في الـردِّ على ما ذهبَ إليه الإمـامُ فخرُ الدين بـنُ الخطيـب» = معرِّفًا خطـأً بـ: لسـان الدين محمد بـن عبد اللّه بن سعيـد السلماني... وإنما المقصود هنا هـو «محمد بن عمر بن الحسن بـن الحسين»، المعـروف بالإمام فخـر الدين الـرازي، صاحب التفسير الشهير، مات سنة ٦٠٦ هـ.
- ٦٤٦/٤ سطر ٨: إنما الخلافُ في جوازِ النقلِ بالمعنى فيها فيما لم يُدوَّنْ في كتاب. وصوابه: ولا كُتبَ.
- ٦٤٦/٤ سطـر ٣ مـن أسفل: فلا فرق بـين المهيع في صحـة الاستدلال. وصوابه: الجميع.
- ٦٥٠/٤ هامش ٣ يزعـم أن المراد من قول المصنـف: «الإمام»: إنما هو سيبويه. وصوابه: الفخر الرازي.
- ٦٥٧/٤ سطـر ٥: فلذلك رفعه إيذانًا منه بأنـه لم يصنعْ شيئًا منه قطُّ. وصوابه: إيذانًا بأنه لم يصنعْ منه شيئًا قطُّ.
- ٦٦٠/٤ سطـر ٧: ومَن لم يتأمَّل قدَّر: يَسقـونَ إبلَهم، وتَذودانِ غنمَهما، ولا نَسقي غنمًا. وصوابه: غنمَنا.
- ٦٦٩/٤ سطر ٩: وطعامٌ مُقَرْفَلٌ ومُقَرْفنٌ: مُطَيَّبٌ به. وصوابه: ومُقَرْنَفٌ.

- ٤/٦٧٨ سطر ٥: و«الثَّغام» بمثلثةٍ مفتوحةٍ، وعينٍ معجمةٍ. وصوابه: وغينٍ.
- ٤/٦٨٢ هامش ٤ يقول المحقِّق: لم أعثر على رأيه في مختصره المطبوع. قلتُ: بل هو في جامع الأمهات ص٢٩٨.
- ٤/٦٨٧ سطر ٤: نحو: «جاءَ الرجلانِ الفاضلانِ، وذهبَ الزيدانِ راكبينِ، وأقبلَ الزيدان أكرمتُهما». وصوابه: اللذان.
- ٤/٦٨٨ هامش ٤: خرَّج المحقِّق حديث: «أُحِلَّتْ لنا ميتتانِ»(٤٩)، من «كشف الخفاء»، وهو عند أحمد في «مسنده»، وهذا جهل بفنٍّ تخريج الحديث.
- ٤/٦٩٤ هامش ٦ يقول المحقِّق تعليقًا على الآية ٤٦ من سورة العنكبوت: وسقط ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُم وَٰحِد وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾ من ج و د. قلتُ: والتعبير بكلمة «سقط» مع المقدَّسات مثل القرآن فيه سوء أدب ينبغي أن يُعدَل عنه.
- ٤/٦٩٦ سطر ٣ من أسفل: فيكون من قبيلِ حذف الصلة لدليل صلةٍ أخرى عليها. وصوابه: لدلالة.
- ٤/٧٠٠ سطر ١٣: إذ الثاني من مَخلَع البسيط إنْ سُكِّنتِ الميمُ. وصوابه: مخلَّع البسيط قطعًا إنْ.
- ٤/٧٠٢ سطر ٩: ويعني: عيينةَ بن حصَينٍ، والأقرعَ بنَ حابسٍ. وصوابه: حصنٍ.
- ٤/٧٠٨ السطر الخير: فقد رُوجِعَ الرفع بما يظهرُ فيه الرفعُ. وصوابه: فقدَّرَ وَجهَ الرفع.
- ٤/٧٢٦ سطر ٣ من أسفل: وفيه تقديمُ نا في جملةٍ على جملةٍ أخرى. وصوابه أنها كلمة واحدة اسم فاعلٍ: نائي.

- ٧٢٨/٤ سطر ٣: وقال: «أصلُه: واللّهِ ما نلْتُم». وصوابه: ما ما نلْتُم.
- ٧٣٩/٤ سطر ٢ من أسفل: ولكونِ الاسم عَلَمًا موصوفًا بما اتَّصف به. وصوابه: اتَّصل.

النتائج:

من أهم نتائج هذه الدراسة:

- أن هذه الطبعة لا تصلح للاعتماد عليها في البحث العلمي ولا القراءة.
- أن القراءات القرآنية من أكثر مواطن الزلل في إخراج النص المحقق، وينبغي العناية بتحقيقها وتوثيقها قبل الطباعة.
- أن كثيرًا من الرسائل العلمية الخاصة بالتحقيق تحتاج إلى إعادة نظر من المحققين مرة أخرى.

والحمد للّه رب العالمين

الهوامش:

(١) ١٠٣٠/٢، ١٠٣١.

(٢) القائل هنا هو الدماميني.

(٣) هذه قراءة شاذة، وكذا قراءة الحسن البصري بعدُ. (انظر: مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه: ٩/١، مكتبة المتنبي، القاهرة، ومعجم القراءات للخطيب: ٤/١، دار سعد الدين، ط ١، ٢٠٠٢م).

(٤) قراءة ابن عامر وحدَه بالفصل بين المضافِ «قتلُ» والمضافِ إليه «شركائهم» بالفاعل «أولادَهم» في: السبعة في القراءات لابن مجاهد (٢٧٠) تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢٦٣/٢)، تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتب العلمية، وانتصر فيه ابن الجزري لابن عامر، ومعجم القراءات للخطيب (٥٥٤/٢).

(٥) هذه قراءة شاذة. (انظر: مختصر ابن خالويه: ص٧٤، ومعجم القراءات للخطيب: ٥١٤/٤).

(٦) هــذه قــراءة ابن عامر والحلــواني عن هشام، ورواية عن ابن مسعود وقالــون والوليد بن مسلم عن نافع. (انظر: النشر: ٢/٢٩٣، ٢٩٤، ومعجم القراءات للخطيب: ٤/٢٢٠، ٢٢١).

(٧) هــذه قــراءة قُنبل والبَزي من طريق ربيعــة. (انظر: النشر: ٢/٢٨٢، ومعجــم القراءات للخطيب: ١٠/١٨١).

(٨) هذه قراءة شاذة. (انظر: المحتسب: ٢/٢٥٥، ومعجم القراءات للخطيب: ٨/٣٧٤).

(٩) هــذه قــراءة شاذة، قرأ بها الحسن والأعمش وابن يَعمَر، برفع «أحسن» على أنه خبر محذوف؛ أي: هــو أحسنُ. (انظر: المحتسب: ١/٢٣٤، وإتحاف فضلاء البشــر للدمياطي: ص٢٧٧، تحقيق أنس مهرة، طبعة دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م، ومعجم القراءات للخطيب: ٢/٥٨٧، ٥٨٨).

(١٠) هــذه قــراءة شاذة. (انظر: البحــر المحيط لأبي حيان: ٢٠/٤٦١، تحقيــق مجموعة، دار الرسالة ناشرون بيروت، ط ٢٠١٥،١م، ومعجم القراءات للخطيب: ٦/٣٣٥).

(١١) هــذه قــراءة شاذة. (انظــر: شرح الرضي علــى الكافيــة: ٤/٣٥٩، تحقيق: يوســف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بني غازي، ط ٢، ١٩٩٦ م، ومعجم القراءات للخطيب: ٣/٣٠٢).

(١٢) هذه قراءة شاذة، وهي لغة مسموعة. (انظر: إعراب القراءات الشواذ للعكبري: ٢/٧٢٦، تحقيق محمد السيد عزوز، عالم الكتب، ط ١، ١٩٩٦م، ومعجم القراءات للخطيب: ١٠/٥٠٥).

(١٣) هــذه قــراءة شــاذة، حكى سيبويه عن هارون بــن موسى أنها هكذا في بعضــ المصاحف. (انظر: الكتــاب لسيبويــه: ٣/٣٦، تحقيق: عبد الســلام محمد هارون، مكتبة الخانجــي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨ م، ومعجم القراءات للخطيب: ١٠/٣١).

(١٤) هــذه قراءة شــاذة، قرأ «أُتبِــعَ» بقطع الألف وضمها علــى البناء للمفعول. (انظــر: مختصر ابن خالويه: ص٦٦، ومعجم القراءات للخطيب: ٤/١٦٠).

(١٥) قــرأ حفصــ وحده مــن السبعة «والخامســةَ» بالنصب، والباقــون برفعها، وقرأ نافــع وحده: «أنْ غَضِــبَ» بتخفيــف النون وكســر الضاد. (انظــر: السبعة: صــ٤٥٣، ومعجم القــراءات للخطيب: ٦/٢٣٢، ٢٣٣).

(١٦) هــذه قــراءة شاذة، قرأ بهــا يحيى بن يعمر، وطلحة بــن مصرف. (انظــر: المحتسَب لابن جني: ٢/٦١، تحقيــق: علي النجدي ناصــف، عبد الحليم النجار، عبد الفتــاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، ١٩٩٤م. ومعجم القراءات للخطيب: ٦/١١).

(١٧) انظر: النشر (٢/٢٣٦)، ومعجم القراءات للخطيب (١/٣٩٥، ٣٩٦).

(١٨) هــذه قــراءة أبي جعفر والكسائي ورويس بتخفيــف لام «ألا»، والباقون بتشديدها. (انظر: النشر: ٢/٣٣٧، ومعجم القراءات للخطيب: ٦/٥٠٤).

(١٩) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر وخلف، وقرأ الباقون: «تَشتَهِيه». (انظر: النشر: ٢/٣٧٠، ومعجم القراءات للخطيب: ٨/٣٩٨).

(٢٠) من الآيتين: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرفَعَ وَيُذكَرَ فيهَا اسمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالأَصَالِ ٣٦ رِجَال لَّا تُلهِيهِم تِجَـرَة وَلَا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوةِ﴾ .... وقراءة «يُسَبَّحُ» هنا بفتح البـاء مُجَهَّـلًا هي قراءةُ ابن عامر وشعبـة، والباقون بكسرها. (انظـر: النشر: ٢/٣٣٢، ومعجم القراءات للخطيب: ٦/٢٧٤).

(٢١) قرأهـا بالتـاء رويس عن يعقوب. (انظـر: النشر: ٢/٢٨٥، ومعجم القـراءات للخطيب: ٣/٥٧٣، ٥٧٤).

(٢٢) هـذه قراءة نافع وابـن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب. (انظـر: الإتحاف: ص٢٠٨، ومعجم القراءات للخطيب: ١/٣٧٢).

(٢٣) هذه قراءة شاذة. (انظر: المحتسب: ١/٢١٧، ومعجم القراءات للخطيب: ٢/٣٣٥).

(٢٤) هـذه قـراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي جعفـر ويعقوب. (انظر: النشر: ٢/٢٦١، ومعجم القراءات للخطيب: ٢/٤٩٥).

(٢٥) قرأ الكوفيون: «أنجانا»، والباقون: «أنجيتَنا». (انظر: النشر: ٢/٢٥٩، ومعجم القراءات للخطيب: ٢/٤٥١).

(٢٦) الآيـة: فَإِمَّا يَأتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ. والقراءة بضم الفاء بلا تنوين قراءة شاذة. (انظر: الإتحاف: ص١٧٦، ومعجم القراءات للخطيب: ١/٨٧).

(٢٧) هـذه قراءة أبي عمرو وأبي جعفر: «ءَالسِّحرُ» بهمـزة استفهام وإبدال همزة الوصل ألفًا. (انظر: الإتحاف: ص٣١٧، ومعجم القراءات للخطيب: ٣/٦٠٢).

(٢٨) هـذه القـراءة شاذة. (انظر: إعـراب القراءات السبع وعللها لابن خالويـه: ٢/٤٥٠، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، الخانجي، ط ١، ١٩٩٢م، ومعجم القراءات للخطيب: ١٠/٣٤٣).

(٢٩) حُرفت كلمة «الجهة» إلى «الجملة».

(٣٠) مع تحريف كلمة «ينتهض» لـ«ينهض».

(٣١) الإبهـاج في شـرح المنهاج لتقي الدين السبكي وولـده (٢/٩٩)، طبعة دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م. والسبكـي هـو أبـو الحسن علي بـن عبد الكافي بـن علي بن تمـام السبكي الأنصـاري الخزرجي الشافعـي، والد السبكي صاحب الطبقـات، مات سنة ٧٥٦ هـ. (انظر: طبقـات الشافعية الكبرى لتـاج الديـن السبكي: ١٠/١٣٩، تحقيـق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتـاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية).

(٣٢) الإبهاج في شرح المنهاج (٢/٩٦).

(٣٣) هـذا جـزء من حديث طويل أخرجه البخـاري (١/٨ – ١٠) برقـم (٧)، عناية: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

(٣٤) البخاري (٩٢/٩) برقم (٧٢٨٠).

(٣٥) هو أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأندلسي، الأديب النحوي المؤرخ، مـن ذرية عمار بن ياسر الصحابي، قرأ النحـو والأدب على الشلوبين، مات سنة ٦٧٣ هـ. (انظر: بغيـة الوعاة للسيوطي: ٢٠٩/٢، تحقيـق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).

(٣٦) هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، المعروف بابن العَدِيم، مؤرِّخ، محدِّث، فقيه، كاتـب، من كتبه «بغية الطلب في تاريخ حلب»، مـات بالقاهرة سنة ٦٦٦ هـ. (انظر: فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي: ١٢٦/٣، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط ١).

(٣٧) هـو جمـال الدين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بـن محمد، أبو الحسين الجزار، شاعر مصري ظريف، كان جزارًا بالفسطاط، مات سنة ٦٧٩ هـ. (انظر: فوات الوفيات: ٢٧٧/٤).

(٣٨) انظر: الإيضاح في شرح المفصل (٣٨٣/١)، تحقيق موسى بناي العليلي، مطبعة العاني بغداد.

(٣٩) وقد تكرر هذا التحريف كثيرًا يقرأ كلمة «كأن» على أنها «كان».

(٤٠) كذا بهذا الضبط الخطأ.

(٤١) ولقد تكرر هذا منه كثيرًا أن يثبت الصواب في الحاشية والخطأ في المتن دون تبصّر.

(٤٢) وقـد تكـرر هذا الخطأ كثيرًا كمـا في ص١٩٨ سطر ٣، ٥ من أسفل، حيـث يخلط بين قراءة «أولًا» و«أو لا».

(٤٣) يقصد في فصل «علَى».

(٤٤) البخاري (٨٢/٦) برقم (٤٧٠٨) يقصد بهن سورة بني إسرائيل والكهف ومريم.

(٤٥) وقد عقدتُ لهذه القضية المهمة بحثًا بعنوان «حكم الاحتجاج بالآيات القرآنية مع ترك الواو والفاء العاطفتين من مطالعها»، ونشر بمجلة كلية دراسات إسلامية بنات، جامعة الأزهر، ج ١، عدد ٣٦، ٢٠٢٠م.

(٤٦) هـذا سهو من الدماميني؛ لأن هذا الموطن لم يرد في كتابنا هذا، وإنما ورد في المزج له (ص٢٨٩) تحقيق: عبد الحافظ العسيلي، مكتبة الآداب، ط ١، ٢٠١٢م. وانظر: الكتاب (١٨٩/٢، ١٩٠).

(٤٧) البخاري (١١١/٦) برقم (٤٧٧٠).

(٤٨) البخاري (٥/٥) برقم (٣٦٦١).

(٤٩) أخرجـه أحمـد في مسنده (١٥/١٠) برقم (٥٧٢٣)، تحقيق: شعيـب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالـة، ط ١، ٢٠٠١ م، وصححـه الألبـاني في السلسلـة الصحيحـة (١١١/٣) برقم (١١١٨) مكتبة المعارف، ط ١.

الخَرْج واحةٌ حضارية

نظرة في السياق الحضاري حتى القرن الرابع الهجري

د. سعيد بن دبيس العتيبي

تقديم:

الخـرج إحدى محافظات منطقة الرياض، تقع جنوب شرق مدينة الرياض، ويحدهـا من الشرق المنطقة الشرقية، ومن الغرب محافظة المزاحمية ومحافظة الحريـق، ومن الجنـوب محافظة الأفلاج، ومـن الشمال مدينـة الرياض. وتبلغ مساحتها ١٩٧٩٠كلم٢.

تعتبر الخرج من الواحـات الرئيسة في قلب الجزيرة العربية، وتميزت بأنها مـن أكثر المناطق جذبًا للتجمّعات البشرية منـذ القدم، لما توفر بها من مقومات طبيعيـة كخصوبة الأرض وتوفـر المياه، وخامات الحجـارة المستخدمة لأغراض البناء المختلفة وتوسطها الجزيرة العربية مما جعلها ممرًا لطرق القوافل.

أولًا: الإطار الحضاري والتاريخي:

كشفـت أعمال المسح الأثري عن دلائل قـدم الاستقرار البشري في محافظة الخـرج، إذ وجد مواقع تشتمل علـى أدوات حجرية تعود للعصر الحجري القديم الأوسـط تؤرخ ما بـين (١٥٠,٠٠٠ – ٥٠,٠٠٠) سنة ق. م، وخلال فترة العصر

البرونــزي (٣٠٠٠) سنة ق.م. تــدل كثرة حقول تلال المقابر العائدة لتلك الفترة علــى كثافــة ونشاط الاستيطــان البشري في المنطقة، إذ عــثر في عدد من المواقع على مئــات المقابر من أهمها مواقع عين الضلع، والعفجة والرفايع وخفس دغره، وفرزان وغيرها[١].

خــلال العصور التاريخية القديمة ظهر اسم (جو)، في المصادر التاريخية، وكــان هذا الاســم يطلق على ما عرف فيمــا بعد خلال العصــر الإسلامي باسم إقليــم اليمامــة، وعرف اسم جو الخضــارم على ما يعرف حاليًــا بالخرج كجزء مــن اليمامة (جو)[٢]، ويذكر الإخباريون أن أقدم الأمم التي سكنت اليمامة هما قبيلتــا طسم وجديس وهما من قبائل العرب البائدة، وذُكر أن خضراء حَجْر هي قاعدة طسم وجديس، وفيها آثارهم وحصونهم، وكانت جديس تسكن الخضرمة وطسم تسكن الخضراء[٣]، وذكر حمد الجاسر أن خضراء حجر هي التي عرفت خــلال العصــر الإسلامي باسم حجــر اليمامة التي قامت علــى أنقاضها مدينة الرياضــ حاليًا، أمــا الخضرمة فتقع في أسفل وادي الخرج في الموضع الذي تقوم فيه بلدة اليمامة في الوقت الحاضر أو قريبًا منها.[٤] ونرجّح أنّ من آثارها الموقع الأثــري المعــروف في الوقت الراهــن باسم اليمامة أو البنة الــذي يقع في الطرف الشرقــي من بلــدة اليمامة. وقبــل الإسلام بنحــو قرنين من الزمــان استقر بنو حنيفة في اليمامة، وشاركهم في سكنها عدد من القبائل الأخرى[٥].

تميــزت اليمامة بموقع مهم مــن الجزيرة العربية لعوامــل منها الجغرافية والاقتصادية، فموقعها الجغرافي يتوسط من الجزيرة العربية، وتحيط به البلدان والأقاليــم الهامة، ففي الغــرب منها منطقة الحجاز ومدينتــا مكة والمدينة، وفي الجنــوب اليمن، وفي الشمال العراق، ومن الشرق الخليج العربي، وبهذا أصبحت أرضهــا معــبرًا وملتقــى لطرق القوافــل والتجــارة والحج، وكان خــلال العصور

السابقـة للإسلام يمر بإقليم الخـرج طريقان من أشهر طرق التجارة التي تعبر الجزيرة العربية؛ الطريق الأول يبدأ من قنا في حضرموت، مرورًا بمراكز تجارية منها شبوة ونجـران والفاو، ثم يأخذ على وادي الدواسر والأفلاج، ويستمر حتى يصـل إلـى اليمامة (الخـرج)، ومنها يتفرع إلـى طريقين: أحدهمـا يتجه شرقًا نحـو الخليـج العربي، والآخر شمـالًا إلى بلاد الشام. والطريـق الثاني: يبدأ من حضرمـوت ويتجه إلـى نجران ثم يعبر واحة يبرين حتى يصل إلى الجرهاء على ساحل الخليج العربي، ومن واحة يبرين يتفرع منه طريق يتجه إلى اليمامة مرورًا بالخـرج ومنها إلى بـلاد الشام[٦]. وعُرف في اليمامة سـوق حجر الذي كان من أسـواق العرب المشهورة قبل الإسلام، وظلّ حتى آخر العصر الأموي، وكان سوقًا موسميًّـا كسوق عكاظ، يقـام من العاشر من محرم حتى نهايتـه، ويقام فيه إلى جانب التجارة الخُطَب وإنشادُ الشعر. كما عُرف أيضًا سوق الخِضْرمة وعدد من الأسواق الأخرى.[٧]

ودلّـت الأعمال الأثرية في محافظة الخرج علـى وجود مواقع استيطان تعود لفترة ما قبل الإسلام، وبعضها استمر استيطانه خلال العصر الإسلامي[٨].

وكانـت الخضرمـة هي قصبـة إقليم جـو الخَضَارم (الخـرج)، وعرفت في المصـادر الاسلاميـة باسم الخضرمة أو جـو أو اليمامة أحيانًـا، وكانت منافسة لحَجْـر مـن الناحية السياسيـة والحضارية، منذ القدم. قـال الهمداني:» أرض اليمامـة حَجْر وهي مِصْرُها ووسطها ومنزل الأمراء منها، و إليها تجلب الأشياء ثم جَوّ وهي الخِضْرمة وهي اليمامة، وهي من حَجْر على يوم وليلة»[٩]، وذكر ابن خلـدون أن اليمامة اسم بلد ضمن إقليم اليمامة إذ قال حين ذكر إقليم اليمامة أنّ «قاعدتها حجر، وبها بلد اسمه اليمامة، ويسمّى أيضًا جو...»[١٠].

وعنـد ظهور الإسلام دخلت قبائـل اليمامة في الإسلام على فترات مختلفة،

وفي السنة السادسة من الهجرة أرسل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الملوك داخل الجزيرة العربية وخارجها يدعوهم إلى الإسلام، وكان منهم مَلِكا اليمامة: هَوْذة بن علي بن ثُمامة بن حنيفة، من أهل قُرَّان قرية باليمامة وسكن جوّ الخضارم بعد أن تولى زعامة اليمامة، وثُمامة بن أثال بن حنيفة وكان من أهل حَجْر وزعماء اليمامة[١١]. وبعد فتح مكة في العام التاسع من الهجرة استقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفود قبيلة بني حنيفة وغيرها من القبائل التي دخلت في الإسلام.[١٢] ومنذ أن دخلت اليمامة في الإسلام عين الرسول عليها عددًا من عمال الصدقات، وظلت اليمامة ولايةً في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، تكون لها إدارة مستقلة ترتبط بالخلافة في بعض الأزمنة وأحيانًا تكون مع المدينة أو مكة أو البحرين أو عُمَان أو العراق، ومنذ منتصف القرن الثالث الهجري أصبح إقليم الخرج قاعدة لحكم بني الأُخَيْضِر، الذي استمر إلى نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجري .[١٣]

شهدت اليمامة خلال القرون الخمسة الأولى من الهجرة نموًّا سكانيًّا، وتطورًا حضاريًّا، وذكرت المصادر وجود نحو أربعين مدينة وقرية على امتداد وادي حنيفة وروافده [١٤]. وذكر الهمداني أن في جو الخضارم (الخرج) قرى وحصون وذكر قرى الضُّبَيعة والملحاء والخرج، ومدينة الخضرمة[١٥].

وازدهرت الحالة الاقتصادية في اليمامة في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة[١٦]، فمن الناحية الزراعية تعتبر اليمامة، خاصة واحة الخرج من أهم الأقاليم في وسط الجزيرة العربية المعروفة بوفرة مواردها المائية وعيونها وخصوبة أرضها، وفي واحة الخرج تصب فحول أودية عارض اليمامة[١٧]. وذكر ابن الفقيه عيون اليمامة ومما ذكره في واحة الخرج ما أشار اليه بقوله: "وعيون اليمامة كثيرة فيها عين يقال لها الخضراء، وعين يقال لها الهِيت، وعين بجوّ

تجـري من جبل يقال له الدَّام، وهو جبل معترض مطلع اليمامة يحول بينها وبين يَبْرِيـن والبحريـن ...، وبجوّ عين يقال لها الهجرة ... وبالمجـازة نهران ...»[١٨].

كمـا ذكرت المصـادر العديد مـن الأماكن الخصبـة والعامـرة بالزراعة فيذكر الإدريسـي أن وادي العِرْض يشـق اليمامة من أعلاها إلـى أسفلها وعليه مزارع متصلـة ونخل وحدائق وأشجار.. ويذكر أن سلمية حسنة عامرة قد أحدقت بها حدائـق النخيل[١٩]، ويصف ياقـوت اليمامة بأنها أحسن بلاد الله أرضًا وأكثرها خـيرًا وشجرًا ونخـلًا، ويصف وادي الخرج بأنه خـير وادٍ باليمامة، أرضه أرض زروع ونخيل، وذكر أن في وادي الخرج مزارع ونخيل لبني قيس بن ثعلبه [٢٠].

وذكـر ابن الاثـير في أحداث سنـة ٦٥هـ من العصـر الأمـوي أنّ الخضارم لبنـي حنيفة ويعمل فيهـا أربعة آلاف من الرقيق هـم وأُسَرِهم؛ يعملون في مجال الزراعـة[٢١]، ويدل هذا العدد للعاملين في الزراعـة على أن الإنتاج الزراعي كان إنتاجًا بكميات تجارية، ويدعم هذا الرأي ماذكرته المصادر عن الإنتاج الزراعي في اليمامـة، خاصة مـن التمور والحنطة، فقد كانت تمور اليمامة من أجود أنواع التمـور، ولشهرتها كان ينـادَى عليها في الأسواق: يمامـي اليمامة، فيباع كلّ تمر ليسـ مـن جنسه بسعر اليمامـيّ[٢٢]. وذكر ابن حوقـل أن الخضرمة أكثر نخيلًا وثمـرًا مـن المدينة وسائـر الحجاز[٢٣]، وكان تمـر اليمامة يصـدر إلى اليمن في العصـر العباسي الأول[٢٤]، أما القمح فكان من المنتجـات الرئيسية في اليمامة، وعُـرِف أن اليمامة كانت تموّل مكـة بإنتاجها الزراعي، فقد ذكـر ابن هشام أنّ قريشًا حين أرادت أن تقتل ثُمامة بن أثال حين أسلم، قال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون اليمامة في طعامكم، فقال ثمامة: «والله لاتصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم»[٢٥]. وذكر ابن الفقيه أن حنطة اليمامة تُسمّى بيضاء اليمامة وهي عذريّ لا سقي، يُحمَل منها إلى الخلفاء[٢٦].

وتُذكر الخضرمة في المصادر بأنها مدينة على طريق الحج القادم من البحرين وعمان على اليمامة، وعلى الطريق الواصل من نجران إلى البصرة مرورًا باليمامة(٢٧)، مشيرة إلى مكانتها بوصفها محطة على الطريق وأهميتها السكانية والزراعية والتجارية، فذكرها الهمداني وهو يصف بلدان إقليم اليمامة بقوله: «الخضرمة جوّ الخضارم مدينة وقرى وسوق فيها بنو الأخيضر بن يوسف، وهي دار بني عَدِيّ بن حنيفة ودار بني عامر بن حنيفة ودار عِجل بن لُجَيم وديار هوذة بن علي السُّحيمي الحنفي وهي أول اليمامة من قصد البحرين»(٢٨)، ووصفها ابن حوقل في القرن الرابع الهجري بقوله «وأمّا اليمامة فواد، والمدينة به تُسمّى الخضرمة دون مدينة الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- وهي أكثر نخيلًا وثمرًا من المدينة ومن سائر الحجاز»(٢٩)، ويصفها ناصر خسرو سنة ٤٤٢هـ بقوله: «وباليمامة حصن كَبِير قديم، وَالْمَدِينَة والسوق حَيْثُ صُنَّاع من كل نوع يقعان خَارج الحصن وَبهَا مَسْجِد جميل وباليمامة مياه جَارِيَة في القنوات وفيهَا نخيل، وَقيل: إِنَّه حِين يكثر التَّمْر يُبَاع الْألف مَنٍّ مِنْهُ بِدِينَار»(٣٠).

ثانيًا: المواقع الأثرية:

اجتذبت آثار محافظة الخرج اهتمام الباحثين منذ فترات مبكرة، وأكدت الدراسات الأثرية التي أجريت في محافظة الخرج حقيقة العمق الحضاري والتاريخي والأهمية الأثرية للمنطقة، ونشير فيما يلي إلى أبرز الباحثين الذين زاروا المنطقة والدراسات والأعمال الأثرية التي جرت بها وأهم نتائجها:

- زار المنطقة الرحالة هاري سانت جون فيلبي خلال رحلته إلى نجد بين عامي ١٩١٧- ١٩١٨م. وأشار إلى وجود مقابر ركامية وقنوات مياه، ووصف آثار اليمامة وغيرها من آثار وادي الخرج(٣١).
- أيضًا مرّ بالخرج عام ١٩٤٥م جيرالد دي غوري وهو دبلوماسي ومستكشف بريطاني وذكر وجود مقابر ركامية قريبًا من السيح(٣٢).

- وفي عـام ١٩٧٨م شمل المسـح الشامل للإدارة العامـة للآثار والمتاحف محافظـة الخـرج وأسفر عن تسجيل [١٦] موقعًـا أثريًا تمتد في المدة ما بين العصر الحجـري القديم الأوسـط (١٥٠,٠٠٠) سنة حتى العصر الإسلامي[٣٣].

- كما أجـرى د.عبد العزيز الغزي دراسات على آثـار الخرج، بدأها منذ إعداده لأطروحة الدكتوراه في آوخر الثمانينات الميلادية، وعمل مجسات أثريـة، في موقع اليمامة وحزم عقيلة، ومقابر العفجة، وقناة الماء بأبرق فـرزان، كما درس المنشـآت الحجرية في محيط عيني فـرزان اشتملت على دراسة المنشآت الحجرية والمقابر ومنشآت قناة عَيْنِي فَرْزان[٣٤].

- وفي عـام ٢٠١١م أجـرت بعثـة سعوديـة فرنسية مشتركـة أعمال مسح وتنقيـب في محافظة الخرج استمرت لمدة خمسـة مواسم، حيث أعادت المسح الأثـري للمواقع التي مسحتها سابقًـا إدارة الآثار، وكان من أبرز نتائج أعمالها:

- تسجيل عدد من مواقع الأدوات الحجرية، تعود للعصر الحجري القديم الأوسط (١٥٠,٠٠٠- ٥٠,٠٠٠) سنة قبل الآن.

- تسجيل (١١) موقعًا أثريًّا، لمقابـر ركامية تعود لفترة العصر البرونزي ومواقع أثرية لمباني ومستوطنات تعود لما قبل الإسلام والعصر الإسلامي في كل مـن اليمامـة وحـزم عقيلـة ووادي الهياثم ووداي نسـاح، وعيون وقنـوات ميـاه في مواقع عين الضلع وفـرزان وخفس دغـره، تعود لفترة ماقبل الإسلام والعصر الإسلامي[٣٥].

آثار ما قبل التاريخ:

اشتملت المواقع الأثرية التي تعود لما قبل التاريخ على مواقع العصور الحجرية

والمقابر والمنشآت الحجرية:

١. مواقع الأدوات الحجرية:

يشـير تقرير البعثة السعودية الفرنسية إلى تسجيل نحو [٢٩] موقعًا اثريًّا من العصـر الحجري القديم الأوسـط (٠٠٠,١٥٠- ٠٠٠,٥٠) سنة قبل الآن، وهي مواقع سطحية لإنتاج الأدوات الحجرية، والقطع التي عُثر عليها عبارة عن أدوات قطـع ومدقات ومكاشط، صُنعت من الكوارتز الخام، وشظايا من حجارة كبيرة، وعـدد قليل منها صنع من الصوان. تنتشر في عـدة مواقع من واحة الخرج قرب المرتفعـات الجبلية، حيث تتوفر خامات الحجارة، وتتفـاوت كميات المعثورات في المواقع بين ٣-١٥ قطعة في المتر المربع[٣٦].

٢. المقابر والمنشآت الحجرية:

من أهم آثار عصور ماقبل التاريخ التي أشارت إليها الدراسات في واحة الخرج مواقـع مقابر العصور البرونزية والدوائـر الحجرية، وكان الرحالة فلبي أول من أشار إلى هذه المنشآت، فقد ذكر أنه وقف على سلاسل منحدرات فرزان، وشاهد عـددًا لا يُحصى مـن الدوائر والركامـات الحجرية مختلفة الأشكـال والأحجام والأنماط منتشرة عشوائيًّا، يتراوح قطر الواحدة منها بين ٥-١٠ ياردات، وهنـاك دوائـر كبيرة يصل قطرها إلـى ٤٥ ياردة، ويشتمل فضاء بعض هذه الدوائر على كتـل من الحجارة ترتفـع بنحو من ٣-٤ أقدام، وُيرجح أن هـذه الدوائر هي آثار مساكـن قديمة للعاملين في الحقول الزراعية، ويتصور أنها كانت لها قباب مبنية مـن اللَّبِن على أسس من الحجارة ولها دعامة مركزية، ويذكر المنشآت الحجرية المنتشرة على هضبة عين الضلع ويصفها بأنها على هيئة تلال تنتشر بشكل متوازٍ مفسـرًا انتظامها بأنه دليـلًا على أنها تعود لأمة متحضـرة، ويذكر أنها متقاربة في أبعادهـا إذ لا يزيـد قطـر الواحدة عن عشر يـاردات، وهي علـى هيئة أكوام

أو رجوم من الحجارة، يتراوح ارتفاعها بين ٣-٥ أقدام، أما بناؤها، فيقول: إنها ليست من الصخر الأصلي كما هو في منشآت عين فرزان، بل من الدبش والحجر الجيري الصغير[٣٧]. والواقع أن المنشآت الحجرية؛ الدوائر والتلال التي ذكرها في فرزان وعين الضلع معظمها مقابر، تعود للعصر البرونزي، إذ أكدت ذلك التنقيبات الأثرية التي أُجرِيت في عدد منها، فقد تضمنت الدراسات وأعمال المسح الأثري تسجيل عدد من مواقع المقابر التي تعود للعصور البرونزية، وبلغ عددها (١١) موقعًا، من أهمها موقعَا عين الضلع وفرزان، تتخذ أشكالًا على هيئة ركامات ترابية أو أشكالًا مدببة أو دوائر حجرية، وأشارت تقارير المسح أن أكبر حقول المقابر هي المنتشرة على هضبة القصيعة (عين الضلع) جنوب غرب مدينة السيح، وقدّر التقرير عدد هذه المقابر بنحو (٧٠٠) ركام، هي ومقابر عين فرزان. وجرى التنقيب في مقابر عين الضلع، وعين فرزان وكشفت نتائج التنقيب عن أنماط عمارتها وما تدل عليه من أفكار معمارية وفنية وأن تاريخها يقدر بالألف الثالث ق.م[٣٨].

آثار العصور القديمة والإسلامية:

تشير الدلائل الأثرية إلى كثافة الاستقرار والنشاط البشري في المنطقة، منذ القرون السابقة للميلاد، واستمرار الاستيطان خلال العصر الإسلامي، ويبدو أنّ هذا التطور الاستيطاني قد ارتبط بازدهار طرق التجارة والحج، والاعتماد على النشاط الزراعي، بما تهيأ في المنطقة من موارد للمياه وخصوبة في الأرض.

فقد كشفت الدراسات عن العديد من مواقع القرى والمدن المندثرة، ومن المواقع التي ذكرها فلبي بلدتا السلمية واليمامة وهما من أكبر البلدات القديمة في المنطقة وكانتا تشكلان جزءًا من مدينة اليمامة (الخضرمة) واستمر استيطانهما، فقد وصفهما عند زيارته، مشيرًا الى أن قرية السلمية يقدر عدد سكانها بنحو(٥٠٠) نسمة، يشكلون سكان القرية وسكان البيوت المتناثرة في

مــزارع النخيل في محيط القرية، وأن لقرية السلمية سور متهدم تحيط به أبراج المراقبــة، أما واحة اليمامة فقال انه لم يتبــقَّ منها إلاَّ أطلال ومزارع من النخيل تمتــد في ميل مربع على جانب وادي نساح، في منتصفه حوالي خمس قرى، ويرى أن اليمامة القديمة لابد أنها كانت تشكل مساحة كبيرة في الزاوية المحصورة بين اتصال قنوات وادي حنيفة والنساح، ويصف ما تبقى من آثار اليمامة بأنه عبارة عن أنقاض قصور تغطيها الرمال، وآبار مياه مندفنة، ويقول أن الانتشار الواسع لأطــلال بلــدة اليمامة يــدل على أنها وجــدت في زمن عاش فيــه مجتمع مزدهر كبير(٣٩).

وأسفــر المسح الشامل لــلإدارة العامة للآثار والمتاحف لمحافظة الخرج عام ١٩٧٨م عن تسجيل (١٦) موقعًا أثريًّا، كان من أبرزها مواقع اليمامة، وحزم عقيلة والرغيب، ودلّت المجسات الأثرية في موقعي اليمامة وحزم عقيلة أن استيطانهما يعود للقرون الثلاثة قبل الميــلاد، واستمر استيطانهما في العصر الإسلامي، أما موقــع الرغيب فهو موقع يعــود للعصر الإسلامي المبكر من القرن ٨-٩ م واستمر استيطانــه نحو ستة قرون خلال العصر الإسلامي، ومــن المعثورات التي تعود لما قبل الميلاد في تلك المواقع الفخار المزجج وغير الملون، وتماثيل فخارية على هيئة جِمــال، ومجامر فخارية، وأدوات زينة مصنوعة مــن الفضة والحديد والبرونز، والأصــداف، وتتشابه سمات بعض المعثورات الفخارية مع مواقع طرق التجارة في الأفلاج والفــاو، مما يدل على الصلات الثقافية والحضارية مع تلك المواقع عبر طــرق التجارة. أما من العصــر الإسلامي فقد عثر على مــواد فخارية مزججة، وغير ملونة، وقطع زجاجية ... وحجر صابوني في كل من الرغيب واليمامة وحزم عقيلة، تؤرخ بفترة العصور الإسلامية الأولى والمتوسطة(٤٠).

و قامت البعثة السعودية الفرنسية أيضًا بمسح المواقع الأثرية لما قبل الإسلام والعصــر الإسلامي في كل من اليمامة وحــزم عقيلة ووادي الهيائم ووداي نساح،

ومـن الأعمال الرئيسية التي قامت بها البعثة التنقيب في موقع اليمامة (البنة)، وذكـر تقريـر البعثة أنّ موقـع اليمامة يعدّ أكبر موقع أثـري في محافظة الخرج، ويمتد عبر مساحة تبلغ حوالي ٧٥هكتارًا، ويشتمل الموقع على أساسات مبانٍ وتلال أثريـة، ومقـبرة، وكِسَر كثيرة ومتنوعة من الفخـار، وتشاهد تفاصيل مخططات بعض المباني ظاهرة على سطـح الموقع، تمثل منازل مكونـة من مجموعة غرف تحيـط بفنـاء مغلق، وامتـدادات جدارية على هيئـة أسوار تمتـد أفقيًّا، وكشفت أعمـال التنقيب في المنطقة السكنية عن أجزاء بعض المساكن، المبنية من اللَّبِن المليسة بالجِصّ. وبناءً على دراسة المعثورات الأثرية في أحد المجسات التي حُفرت وحُلِّلـت عينات من الفحم بكربون ١٤ المشـع تبين أن أقدم مراحل الاستيطان في الموقع تعود للحقبة من القرن الرابع إلى الثاني ق.م، وأن الموقع أعيد استخدامه، خـلال أواخر العصر العباسي في بعض الأجزاء، ويعود تاريخ المراحل الأخيرة في الموقـع للحقبة من القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، ومـن أبرز ماكشفت عنه التنقيبات في الموقـع المسجد الجامع وقد بدأ أول موسم تنقيب في المسجد عام ٢٠١١م، واستمرت خمس مواسم، وكشفت أعمال التنقيب عـن المسجد كاملًا. ويشير تقرير البعثة إلـى أن المسجد في عمارته الأخيرة شُيّد مـن اللَّبِن وأرضيته مملطة بالجصّ، وهو يتكون من رواق كبير من ثلاث صفوف في كل صـف عشـر مـن السـواري الضخمـة، وتبلغ أطـوال المسجد مـن الشمال إلـى الجنـوب ٢٨م ومن الشـرق إلى الغـرب ١٢م، وله صحن فسيـح تبلغ أبعاده ٢٧×٢٦م، كما جرى الكشف عن محراب المسجد، وقاعدة على يمينه مبنية باللبن يُعتقـد أنها كانت لمِنْبر خشبي يقوم على هـذه القاعدة، وعن تاريخ المسجد يذكر التقريـر أنه عثر على أساسات ودلائـل أثرية تحت بناء العمارة الأخيرة تعود إلى الحقبـة من القرن ٢-٣هـ/٨-٩م، إذ ظهرت قواعـد أعمدة وأرضية مجصّصة، ويشـير تقرير البعثة إلى أن المسجد هُجِر بين القـرن ١٣-١٥م. ثم أعيد ترميمه واستخـدم على مـدى ثلاثة قـرون، وأن المسجد مـرّ خلال مـدة استخدامه من

عمارته الأولى حتى الأخيرة بستّ مراحل من العمارة، اشتملت على أعمال توسعة وتجديد للأرضيات وترميم(٤١).

مصادر المياه وأنظمة الري:

لم يكتـفِ سكان المنطقة بالاعتماد على آبار المياه التقليدية لسد احتياجاتهم المختلفـة من السقيـا وريّ المزروعات، بـل شهدت أنظمة الري تطـورًا فريدًا في المنطقـة، فقد استغـل السكان جميع مصادر المياه في الواحـة كالعيون، ومصادر الميـاه العميقة في باطن الأرض. وأُنشِئت قنوات المياه (الأفلاج) التي تنقل المياه من تلك المصادر إلى المنطقة الزراعية.

وماتـزال مصادر المياه القديمة وآثارها شاخصة في محافظة الخرج ، ومن أبرزها عين فرزان وعين الضلع وعين سمحه، ووصف فلبي عين فرزان بأنها تنبع مـن رابيتي فرزان غرب الخرج وتمتـد شرقًا إلى السلمية علـى بعد ثلاثة أميال لتسقـي مزارع النخيـل، ويصف مجرى العين بأنه عبـارة عن نفق سطحي قطره أكثر من ثلاثة أمتار، وعلى بعد مسافة بين ١٠–١٥ ياردة تحفر بئر عمودية واسعة مـن مستوى سطـح الأرض بحيث تنزل للنفق وذلك لتسهيـل التفتيش على النفق وإصلاحه إذا دعت الحاجة، وذكر أنها عند زيارته لها كانت تعاني من الإهمال، ويجـري العمل علـى إصلاحها، من قبل الإمام عبد الرحمـن الفيصل آل سعود، حيـث وجد نحو أربعين عاملًا يعملون فيها، خطوة بخطوة، باتجاه المنبع بدءًا من بلدة السلمية، وكانوا قد وصلوا إلى نصف المسافة بعد شهرين من العمل. ويصف عيني الضلع وعين سمحة في جنوب غرب السيح بأنهما صدوع عميقة في الصخور الجيرية، وغزيرة المياه(٤٢). وفيما يتعلق بتاريخ هذه العيون فقد رجح تقرير بعثة المســح الأثري أن عين فرزان تعـود للحقبة ما بين (٢٠٠ق.م–٦٠٠م)، بينما بقية العيـون تعود للعصر الإسلامي(٤٣)، وتعد الدراسة التي قدمها عبد العزيز الغزي هــي الأكثر تفصيـلًا لقناة عين فرزان إذ قـدم دراسة ميدانيـة مقارنة بأنظمة

ري مماثلة في الجزيرة العربية وخارجها، من حيث حفر القناة وهندستها ومجراها ومواد بنائها، كما قام بدراسة المادة الأثرية التي جمعها من مجرى القناة ومحيطها، وخلصت الدراسة أن القناة منحوتة في الصخر بعمق يصل إلى المتر والنصف من المهابط السفلى ليصل إلى ١٣م عند بداية القناة، وخرزات القناة منحوتة في الصخر ويقتصر طيها على الأجزاء العليا في بعضها، وتتراوح المسافة بين الخرزات بين١-٧م، ومن خلال دراسة المادة الفخارية ومقارنتها بقطع فخارية من الفاو والأفلاج والخضرمة وتاريخ نشأة المستوطنات في واحة الخرج، يرجح أن نشأة القناة تسبق ظهور الإسلام بنحو ثمانية قرون، وأنها عاصرت بلدتي الخضرمة وحزم عقيلة، وأن تاريخ استيطان المنطقة حول مجرى القناة يمتد من القرن الثاني قبل الميلاد حتى الحقبة الإسلامية المبكرة.[٤٤].

الخاتمة:

تبين من خلال هذا العرض العلمي أهمية محافظة الخرج التاريخية والحضارية، وأهمية مقومات البيئة في استيطان المنطقة منذ القدم، بدليل استمرار الخط الزمني للمسار الحضاري منذ عصور ما قبل التاريخ دون انقطاع، وكيف ترك هذا التراكم الحضاري شواهد أثرية مهمة، تتمثل في مواقع العصور الحجرية وحقول المدافن التي تضم مئات المقابر التي تدل على كثافة الاستيطان البشري في تلك العصور السحيقة، مرورًا بالعصور التاريخية القديمة وأهمية المنطقة في تلك الفترة إذ تعبرها طرق التجارة وما شهدته خلال العصور الإسلامية من نمو سكاني وتطور حضاري، ونشأة العديد من القرى والبلدات، وقد أثبتت المسوحات والتنقيبات الأثرية التي أجريت في المنطقة العمق الحضاري للمنطقة إذ كشفت أعمال التنقيب في عدد من المواقع أنها تعود للقرون السابقة للميلاد، واستمر استيطان بعضها خلال العصر الإسلامي، ومع ذلك يجدر القول أن الأعمال الأثرية التي أجريت في المنطقة لاتزال محدودة، ومع محدوديتها إلا

أنهـا قدمت نتائج ومؤشرات تدلّ علـى أهمية المنطقة الأثرية والحضارية، وتؤكد هـذه الدراسة على الحاجة إلى المزيد من أعمـال الدراسات التاريخية والأثرية التي من المؤكد أنها ستكون واعدة بتقديم نتائج ثرية بالمعلومات عن تاريخ المنطقة وأهميتهـا في السياق الحضاري للجزيرة العربية خاصة في عصور ماقبل التاريخ وعصـور ماقبل الإسلام فالمنطقة لا تزال تحتفظ بالكثير من أسرار تلك الحقب الزمنية.

الهوامش:

(١) زارينس يوريس وآخرون، "برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية: التقرير المبدئـي لمسح المنطقة الوسطى١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م"، أطلال، العـدد الثالث، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ص ١٣-٤٨، عبد العزيز الغزي، وآخرون، "تقرير البعثة السعودية الفرنسية المشتركة في الخرج: الموسمان الأول والثـاني ٢٠١١-٢٠١٢م"، أطلال، العدد الرابع والعشرون، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص ص ١٠٩-١١٥.

(٢) يتضـح مـن رواية المصادر الجغرافية من القرن ٣-٥هـ، أن اسم الخـرج ظهر في العصر الإسلامي خـلال تلـك الفترة، وذكـر كل من الحربـي والهمداني أنه محطـة على طريق القوافـل الواصلة بـين نجران واليمامة، وذكر الهمـداني أنه على ثلاث مراحل من الفلـج (الأفلاج)، ومرحلة من الخضرمة (كانت الخضرمة تشتمل على السيح وبلدتي اليمامة والسلمية حاليًا بمحافظة الخرج)، وذكر الهمداني انه قرية، وقال: ان منطقته قاع وحصون، وتدفع في قاعه عدد من الأودية. ويبدو أن اسـم الخـرج شمل اسم الإقليم فيما بعد. ابراهيم بن اسحاق الحربي، المناسك وأماكن طرق الحـج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسـر، (الرياض: مطبوعات مجلة العرب،١٤٢٠هـ)، ص صـ٣٦٦ - ٣٦٧، الحسن بـن أحمد بن داود الهمداني، صفة جزيرة العرب،(ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٤م)، صـ، صـ ٣٩ ، ١٦٦. عبد الله بـن محمد بن خميس، معجم اليمامـة، (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ،ج١، ص ص ٣٧١-٣٧٥، وانظر هامش (٤).

(٣) أبـو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطـوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمـال الديـن الشيـال، (القاهـرة: دار إحيـاء الكتـب العربي، عيسـى البابي الحلبـي وشركاه،

١٩٦٠م)، ص ص١٥-١٦، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ،ج١، ص٧، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت: دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ) ،ج١، ص ص ٦٢٩-٦٣٠، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (بيروت: عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ) ،ج٢، ص ٤٠٧، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ص ١٤٠-١٤١. ويرى علماء الآثار والتاريخ القديم أن تاريخ اليمامة القديم يختلف عن ما ذكره الإخباريون، إذ يرون انها كانت قبل الإسلام جزءً من مملكة كنده، ويُذكر أن مملكة كنده الأولى قامت منذ القرن الرابع قبل الميلاد حتى أول القرن الرابع الميلادي. وتم الكشف عن آثار عاصمتها قرية (الفاو) في أقصى جنوب منطقة الرياض، بنحو سبعمئة كيل عن مدينة الرياض. وبعد سقوط مملكتهم في قرية نزح الكنديون من مواطنهم في أواسط القرن الرابع الميلادي حيث انتشروا في أماكن منها غمر ذي كندة قرب مكة المكرمة، ومناطق شرق الجزيرة العربية ووسطها وشمالها، وأقاموا مملكة كنده الثانية، ولم تكن هذه المملكة بالمعنى المعروف لممالك الجزيرة العربية ذات الكيانات السياسية بل كانت تحالفًا مع القبائل شغلت بموجبه قبيلة كنده مركز الصدارة، إلى أن ضعف شأنهم في منتصف القرن الخامس الميلادي، بعد مقتل زعيمهم الحارث بن عمرو(٥٢٥- ٥٣١م) على يد ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء، وعادوا إلى مواطنهم السابقة في جنوب الجزيرة العربية، وكانت واحة الخرج قاعدة لحكم فرع آل جون الكنديين الذي حكم الجزء الشرقي لملكة كندة المقسمة. عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون، آثار منطقة الرياض،(الرياض: وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م) ص ص ٤٢-٥٠، دار الدائرة للنشر والتوثيق، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، المواقع الأثرية، (الرياض: دار الدائرة للنشر والتوثيق، الرياض، ١٤٢٠/٢٠٠٠م) ج٢، ص ص ٢١٢-٢١٣ .

(٤) حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٢هـ)، ص١٣، ابن خميس، معجم اليمامة، ج١، ص ص ٣٧٣-٣٧٤. وفي تعليقات حمد الجاسر على كتاب المناسك، قال: أن الخضرمة كانت تشمل في الوقت الحاضر على اليمامة والسلمية والسيح بمحافظة الخرج، الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص ٣٦٧، هامش(١). بلدة اليمامة تقع شمال وسط مدينة السيح بمسافة ٤كم ، وتجاورها بلدة السلمية من الجهة الشمالية.

(٥) محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل، (القاهرة: دار الفكر

العربـي، الطبعة الثالثـة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج٣، ص١٨، أبو القاسـم عبد الرحمن بن عبد الله بـن أحمـد السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبويـة لابن هشام، تحقق: عمر عبد السلام السلامي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج١، ص ٥٣، صالح بن سليمان الناصر الوشمي، ولاية اليمامة دراسة في الحياة الإقتصادية والإجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة١٤١٦ه)، ص ص ٤١-٥٨.

(٦) الهمـداني، صفة جزيرة العرب، ص ص ١٦٥-٦٦، الأنصـاري وآخرون، آثار منطقة الرياض، ص ص ٦٦-٦٨.

(٧) الوشمي، ولاية اليمامة، ص ٢٥١.

(٨) يوريسـ، وآخـرون، "برنامـج المسـح الأثري الشامل لأراضـي المملكة العربيـة السعودية"، ص ص ٣٤-٤٨، الغزي، وآخرون، " تقرير البعثة السعودية الفرنسية المشتركة في الخرج"، ص ص ١١٥-١٢٦.

(٩) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦١.

(١٠) عبـد الرحمـن بن محمد بن محمد بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهـم من ذوي الشأن الأكبر، (بـيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٢، ص٣٦١.

(١١) محمـد بن جرير الطـبري، تاريخ الطبري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمـي، (بيروت: بيت الأفكار الدوليـة، د.ت)، ج١،صـ٤١٥، السهيلي، الروض الآنف، ج٧، صـ٥١٢، الجاسر، مدينة الرياض، صـ ٣٦، الوشمــي، ولاية اليمامة، ص ٥٩. قران: قرية تعـرف الان باسم القرينة تقع على بعد ٥٨ كـم غرب مدينة الرياض، وشرقًا من حريملاء بمسافة ١٤كيلًا، ينظر: الجاسر، مدينة الرياض، ص ص ٣٦-٣٧.

(١٢) عبـد الملـك بن هشام بن أيـوب الحميري المعافري، سـيرة ابن هشام، تحقيـق: مصطفى السقا وإبراهيـم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م)، ج ٢، ص٥٧٦.

(١٣) الوشمي، ولاية اليمامة، ص ص ٧٧-١٧٤.

(١٤) عبـد الله بـن محمـد الراشد، الاستيطـان في وادي حنيفة من القرن الأول حتـى منتصف القرن التاسـع الهجري: دراسة أثرية، (الرياض: مطابع الفـرزدق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص ١٨٠. وادي حنيفة من اشهر أودية اليمامة، ومن اكبر الاودية التي تدفع في اقليم الخرج، ويبلغ طوله ١٥٠كيلًا، يمتـد من الشمال الى الجنـوب يبدأ من مرتفعات جبال طويق جنوب بلـدة سدوس الواقعة غرب

مدينـة الرياض بمسافـة ٨٠كيلا ، وينتهـي في روضة السهبـاء في شمال شـرق محافظة الخرج. الراشد، الإستيطان في وادي حنيفة، ص ١٧ .

(١٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٣٩ .

(١٦) للمزيـد عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اليمامة، ينظر: الوشمي، ولاية اليمامة دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

(١٧) ابن خميس ، معجم اليمامة، ج١، ص ص ٣٧١-٣٧٢.

(١٨) أبـو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمـداني المعروف بابن الفقيه، كتاب البلدان، تحقيق: يوسـف الهادي، (بيروت: عالم الكتب الطبعـة الأولى، ١٤١٦هـ/ ٩٩٦ م)، ص ص ٨٦-٨٧، هيت: سلسلة جبال تقع شرق الرياض تمتد من الشمال الى الجنوب وتسمى العرمة وفي الطرف الجنوبي منهـا غـرب مدينة السيح يوجد منهل هيت، الجاسر، مدينـة الرياض، ص ص ١٩-٢٠، الوشمي، ولايـة اليمامة، صـ ١٨٤، الدام: هو التل الواقع جنوب الخرج وهو عبـارة عن حرشفة من الأرض تفصـل بـين الخرج وأرض البياض. الجاسـر، مدينة الرياض، ص ٢٠ ، الوشمـي، ولاية اليمامة، صـ ١٨٤. المجـازة: من الأودية التي تدفع في الخرج من جهة الحوطـة. الجاسر، مدينة الرياض، ص.٢٠.

(١٩) محمـد بن محمد بن عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩ هـ(، ج١، ص صـ ١٦٠-١٦١. وادي العرض هـو وادي حنيفة، وتقع السلميـة إلى الشمال الشرقي من السيح بنحو ٧كم وتجاور بلدة اليمامة.

(٢٠) شهـاب الديـن أبـو عبد الله ياقوت بن عبـد الله الرومي الحموي، معجم البلـدان، (بيروت: دار صادر الطبعة: الثانية، ١٩٩٥) ،ج٢، ص ٣٥٧ ، ج٥، ص ٤٢٢.

(٢١) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجـزري، الكامـل في التاريخ، تحقيق: عمر عبـد السلام تدمري، (بـيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ج٣، ص ص ٢٨١-٢٨٢.

(٢٢) ابن الفقيه، البلدان، ص ٨٧ .

(٢٣) محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، صورة الأرض، (بيروت: دار صادر، ١٩٣٨ م)، ص ٣١.

(٢٤) عبـد الله بن محمد السيف، النشاط الزراعي في الجزيرة العربية في العصر العباسي حتى نهاية العصر العباسي الأول، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٧هـ) ص ٩٢.

(٢٥) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ٢ص ٦٣٩.

(٢٦) ابن الفقيه، البلدان، ص ٨٧ .

(٢٧) الحربي، المناسك، ص ص ٢٦٦-٢٦٧، شمس الدين ابو عبد الله المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٦م) ص ٨٤، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ص ١٦٥- ١٦٦.

(٢٨) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٣٩.

(٢٩) بن حوقل، صورة الأرض، ص ٣١.

(٣٠) أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي، سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، (بيروت: دار الكتاب الجديد، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م)، ص ص ١٤١-١٤٢.

(٣١) هاري سنت فلبي، قلب الجزيرة العربية، ترجمة صبري محمد حسن، مراجعة رءوف عباس، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٩م)، ج٢، ص ص ٣٨-٥٣.

(٣٢) دار الدائرة للنشر والتوثيق، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، المواقع الأثرية، ج٢، ص ص ٢١٢-٢١٣.

(٣٣) يوريس، وآخرون، "برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية: التقرير المبدئي لمسح المنطقة الوسطى١٣٩هـ/ ١٩٧٨م"، ص ص ١٣-٤٨.

(٣٤) الغزي، وآخرون، "تقرير البعثة السعودية الفرنسية المشتركة في الخرج"، ص ١٠٩، عبد العزيز بن سعود الغزي، مشروع مسح وتوثيق المنشآت الحجرية في محيط عيني فرزان، (مجلدين)، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣٢هـ).

(٣٥) الغزي، وآخرون، "تقرير البعثة السعودية الفرنسية المشتركة في الخرج"، ص ١٠٩-١٢٦.

(٣٦) الغزي، وآخرون، "تقرير البعثة السعودية الفرنسية المشتركة في الخرج"، ص ١١١-١١٤.

(٣٧) فلبي، قلب الجزيرة العربية، ج٢، ص ص ٤٠-٤١، ص ص٥٢-٥٣.

(٣٨) يوريس، وآخرون، "برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية: التقرير المبدئي لمسح المنطقة الوسطى١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م"، ص ص٢٨-٣٤. الغزي وآخرون، "تقرير البعثة السعودية الفرنسية المشتركة في الخرج، ص ص ١١٣-١١٥، ولتفاصيل هذه المنشآت ينظر: الغزي، مشروع مسح وتوثيق المنشآت الحجرية في محيط عيني الضلع وفرزان، المجلد الأول، دراسة ميدانية مقارنة للمقابر الركامية الحجرية.

(٣٩) فلبي، قلب الجزيرة العربية، ج٢، ص ص ٤٣-٤٨.

(٤٠) يوريس، وآخرون، "برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية: التقرير المبدئي لمسح المنطقة الوسطى١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م"، ص ص٣٤-٣٥، ص ص ٣٦-٣٧، ص ص ٣٩-٤٨، دار الدائرة للنشر والتوثيق، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، المواقع الأثرية، ج٢، ص ص ٢١٢-٢١٥.

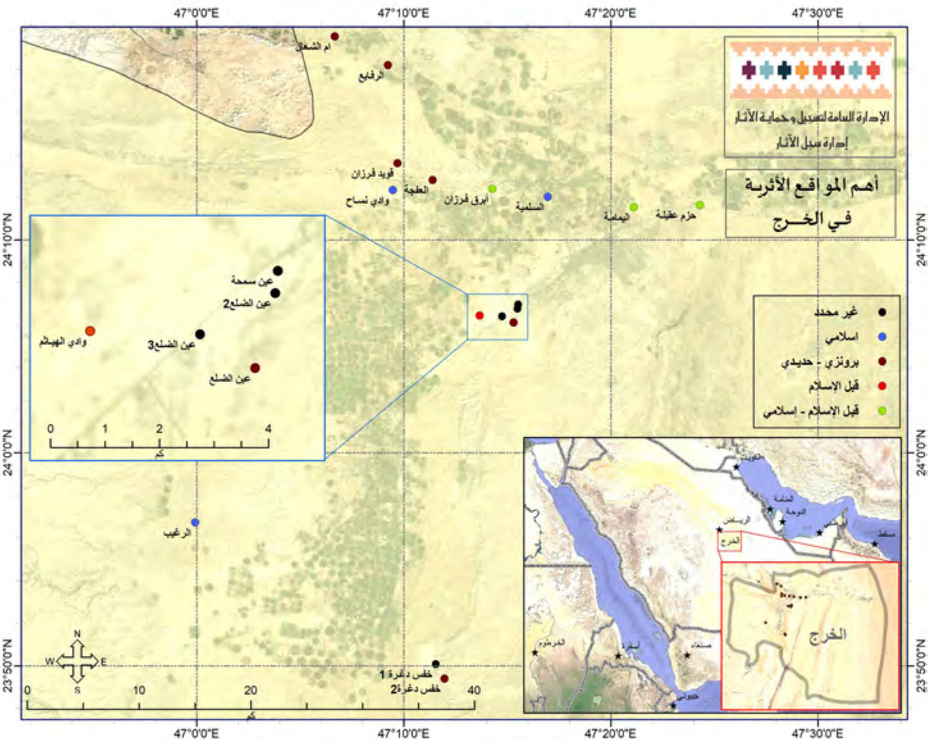
(٤١) الغـزي وآخرون، "تقرير البعثة السعودية الفرنسية المشتركـة في الخرج: الموسمان الأول والثاني ٢٠١١-٢٠١٢م"، ص ص ١١٥-١٢٦.

(٤٢) فلبي، قلب الجزيرة العربية، ج٢، ص ص ٣٨-٣٩، ص ص ٤٨-٥٢.

(٤٣) يوريـس، وآخـرون، "برنامج المسـح الأثري الشامل لأراضــي المملكة العربيــة السعودية: التقرير المبدئــي لمسح المنطقة الوسطى١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م"، ص صـ٣٥-٣٦. دار الدائرة للنشر والتوثيق، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، المواقع الأثرية، ج٢، ص ص ٢١٢-٢١٥.

(٤٤) الغزي، مشروع مسح وتوثيق المنشآت الحجرية في محيط عيني فرزان، ج٢، ص ص٢٩٠-٢٩٥ .

الملاحق



إعداد: الباحث: بتعاون من الإدارة العامة لتسجيل وحماية الآثار- قطاع الآثار- وزارة السياحة.

المواقع الأثرية في محافظة الخرج

الموقع	خط العرض	خط الطول	النوع	الفترة
العفجة	٢٤,٢١٣٣٠	٤٧,١٨٩٨٠	مقابر ركامية	برونزي/ حديدي
عين الضلع	٢٤,١٠١٨١	٤٧,٢٥٤٩٢	مقابر ركامية	برونزي/ حديدي
عين الضلع٢	٢٤,١١٢٧٨	٤٧,٢٥٨٢٥	عين	-
عين سمحة	٢٤,١١٦٠٢	٤٧,٢٥٨٦٥	عين	-
عين الضلع٣	٢٤,١٠٦٧٤	٤٧,٢٤٥٨٤	قناة	قبل الإسلام- إسلامي
أبرق فرزان	٢٤,٢٠٦٤٢	٤٧,٢٣٧٩٢	قناة/ مباني	قبل الإسلام -إسلامي
حزم عقيلة	٢٤,١٩٣٧٨	٤٧,٤٠٥٠٧	بلدة	قبل الإسلام- إسلامي
خفس دغرة١	٢٣,٨٣٤٥٨	٤٧,١٩٢٤٧	عين	-
خفس دغرة٢	٢٣,٨٢٣٢١	٤٧,١٩٩٣٠	مقابر ركامية	برونزي/ حديدي
قويد فرزان	٢٤,٢٢٦٥	٤٧,١٦١٥٤	مقابر ركامية	برونزي/حديدي
الرفايع	٢٤,٣٠٣١٣	٤٧,١٥٣٨٨	مقابر ركامية	برونزي/حديدي
وادي الهياثم	٢٤,١٠٧٢٤	٤٧,٢٢٧٧٤	بلدة	قبل الإسلام
وادي نساح	٢٤,٢٠٥٥٢	٤٧,١٥٧٧٢	مباني	إسلامي
اليمامة	٢٤,١٩٢٠٠	٤٧,٣٥١٨٩	بلدة	قبل الإسلام - إسلامي
السلمية	٢٤,٢٠٠١٣٦	٧٤,٢٨٢٦٢٥	بلدة	إسلامي
الرغيب	٢٣,٩٤٥٤١٣	٤٦,٩٩٨٦٧٧	بلدة	إسلامي
أم الشعال	٢٤,٣٢٥٧١٩	٤٧,١١٠٩٨٧	مقابر ركامية	برونزي / حديدي

تجربتي في إعداد معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية

أ.د. أبوأوس إبراهيم الشمسان

التسمية حاجة اجتماعية فبالاسم يكتسب الإنسان سمة انتمائه الاجتماعي، لما كان الاسم يميز صاحبه قيل عنه عَلَم، والعَلَم الجبل البارز المميز للمكان والطريق؛ ولذا يهتدى به، قالت الخنساء تمدح أخاها صخرًا(١):

أَغَرُّ أَبْلَجُ تَأْتَمُّ الهُداةُ بِهِ   كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نارُ

والمجتمع هو من يهب أفراده التسمية ويعاملهم وفاقًا لهذه التسمية، واكتسبت الأسماء عبر التاريخ ثقافة اجتماعية متعلقة بتاريخ من تسمّوا بتلك الأسماء، فهي تحتمل تلك الثقافة وتعبر عنها، واستعمال الناس لأسمائهم إنما هو استعمال وظيفي قد يغيب معه معنى الاسم المعجمي أو حمولته الثقافية، أو بنيته الصرفية.

وليس الإنسان متفردًا بالتسمية، إذ وضع المجتمع أسماء أعلام لكل ما يحتاج إلى تمييزه من الأفراد كالأماكن والحيوانات(٢).

ولِمَا لأسماء الناس من أثر اجتماعي كانت مجالًا للدرس الاجتماعي

والجغرافي والنفسي والتاريخي والآثاري والأنساب، وهي ألفاظ لغوية تمثل أصواتها وصرفها، واهتم به النحويون في مدوناتهم(٣).

وصارت دراسته علمًا من علوم اللسانيات الحديثة أطلق عليه (الأسمائية) ومما يعالجه هذا العلم جدلية استعمال الاسم بين العلمية والوصفية وهو أمر استدعى أن يكون لبعضها مدخل في المعجم اللغوي(٤). وكُتِبت الرسائل العلمية في درس الأسماء، وقد ناقشتُ منها أربع رسائل(٥)، وكُتبت الموسوعات والمعاجم.

بدء اهتمامي بدراسة الأسماء:

بدأ اهتمامي بدراسة الأسماء منذ اختياري خبيرًا ميدانيًّا عن المملكة العربية السعودية للمشاركة في إعداد موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، التي كانت بداية التفكير في إنجازها سؤال طُرِح في مجلس السلطان قابوس عن اسم؛ أعربي هو أم أعجمي؟ وجُعِل المشرف على الموسوعة محمد بن الزبير؛ مستشار جلالة السلطان قابوس، وأما الهيئة العلمية فتألفت من:

السعيد محمد بدوي، عليّ الدين هلال، فاروق شوشة، محمود فهمي حجازي.

وكان من مهماتي تزويد الموسوعة بمصادر الأسماء، فكان منها:

١. أدلة الهاتف لمناطق المملكة العربية السعودية.

٢. أسماء طلاب جامعة الملك سعود وطالباتها.

٣. أسماء من مركز المعلومات الوطني في وزارة الداخلية (عينة عشوائية).

٤. أسماء مقترضين ومقترضات من بنك التسليف العقاري.

٥. أسماء الناجحين والناجحات في الثانوية في المملكة.

٦. أسماء منقولة من دفتر تسجيل المواليد.

٧. أسماء المعلمات المنقولات من مكان إلى آخر.

٨. قائمة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وهي أسماء من تشمله الرعاية الاجتماعية.

وصدرت الموسوعة بمجلداتها الثمانية في أربعة كتب هي:

الكتاب الأول: منهج البحث في أسماء العرب:

وشاركت فيه بالكتابة عن نظام التسمية في المملكة العربية السعودية، فكان هذا تمهيدًا لكتابة بحث عن أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ونشر في مجلة جامعة الملك سعود، ثم طورتُه وأخرجتُه في كتاب بالاسم نفسه.

الكتاب الثاني: دليل أعلام عمان:

وهو رصد لمعلومات تراثية عن أعلام عمان.

الكتاب الثالث: معجم أسماء العرب:

ويضم ما شاع استعماله حسب النسبة المقررة وفيه دراسة إحصائية للاسم ولغوية وثقافية، ويقع في مجلدين.

الكتاب الرابع: سجلّ أسماء العرب:

ويضم كلّ الأسماء التي أدخلت في مدونة الأسماء حسب نسبة عدد سكان الدول. ويقع في أربعة مجلدات.

ملحوظات على الموسوعة:

ولمّـا صـدرت الموسوعة، واطلعت عليها، وجدت أن أسمـاء بلادنا نالها بعض حيـف؛ لأن مـا أُدْخِل في هـذه الموسوعة من الأسمـاء إنما اعتُمد فيـه على نسبة السكـان، وكان قد تبيّن لي أن بلادنا من أكثر البلدان تنوعًا في أسمائها، ثم تبين لي أن تعريـف بعض الأسماء غير دقيق في تلكم الموسوعة لغياب المعرفة بالثقافة المحلية في بيئاتنا في الجزيرة العربية، إذ كانت الموسوعة تعدّ في جامعة القاهرة، ومن أمثلة ذلك جاء في (معجم أسماء العرب):

الْبُلَيْهِيّ

- إحصائيات الاسم في العينة: أول(.) ثاني(٠) أخير(١٠٠)

– مـن (ب ل هـ) وزن الْفُعَيْلِيّ: نسبة إلى «الْبُلَيْـه» تصغير ترخيم «للأبله»: وهو الغالب عليه سلامة الصدر وحسن الظن بالناس، والأبله: الأحمق الذي لا عقل له، وعيش أبله: ناعم رخي، وشاب أبله: غافل منعم.

– من صور النطق به المحلي: «الْبِليهِي ، لِبْليهي. ومن صور استخدامه اسما أخيرًا أنه اسم عائليّ في السعودية»[٦].

ولكنه في كتابي (معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية):

«بْلَيهي(ذ): [ب/ل/هـ]

منقول من نسبة إلى (بليهان)، جاء في (كلمات قضت) «منسوب إلى بليهان، تصغـير بلهان، وهو الجمل الصبور علـى حمل الأثقال، دون أن يرغو أو أن يظهر الشكوى من ذلك»[٧].

والاسـم عائلي وفـرديّ ومن الشائع التسمـي باسم العائلـة إن كان هو جدّ، وليس اسـم قبيلة أو فخذ، وسميتُ هذا (زراعة الاسم)[٨] أي إحياء اسم العائلة

بإظهاره في أسماء الأفراد اعتزازًا به. والدليل على استعمال الاسم اسمًا أول ما جاء في جريدة الرياض:

الأحد ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٧ مايو ٢٠٠٧م - العدد ١٤٢١٦:

«إضاءة:

تضم اللجنة العلمية بالحملة الدكتور تركي بن إبراهيم النقيدان رئيسًا والدكتور بليهي بن صالح البليهي عضوا ...»

وعن الاسم (جرمان) جاء في موسوعة السلطان قابوس:

«اسم علم مذكر كان يطلق في انجلترا على من يأتي من بلاد الشمال، وكان أيضا يستخدم اسم شهرة للمستوطنين الجدد»[٩].

والصواب أنه مرتجل على (فِعْلان)، وجِرم الإنسان جسمه، وجِرمان أي ذو الجِرم مبالغة في عظمته. والاسم (ج ر م ن) وارد في النقوش العربية القديمة[١٠].

و(جروان) عُرّف فيها بأنه مثنى جرو، والصواب: ذو الجرو.

و(جريان) ضبط هكذا (جَرْيان)، والصواب جُرَيّان؛ أي: جُرَيّان، وعُرّف بأنه وصف من الفعل جرى، والصواب أنه مصغر جَرْوان.

و(وِلْيَم) هكذا ضبط وعرف بأنه اسم قديم من الألمانية...؛ ولكن الاسم عندنا هو (وْليم)، وعرفته هكذا:

وْليم (ذ): [و/ل/م]

أي: وُلَيّم، مرتجل على (فُعَيل) من الفعل (ولم) وهو في لهجات الجزيرة بمعنى جهز.

ومن الملحوظات غياب أسماء مشهورة مثل: بلقيس.

ولمّا قرأ علامة الجزيرة حمد الجاسر -رحمه الله- معجم أسماء العرب كتب في مجلة العرب جملة من الملحوظات[11].

الشروع في إعداد المعجم ودوافع ذلك:

ومن أجل ذلك كله رأيت من واجبي أن أجتهد في كتابة معجم يحاول ما أمكن استقصاء الأسماء وتفسير معانيها في منهج مختلف عن منهج الموسوعة، وكان من دوافع إعداد المعجم ما يأتي:

١. أنه اجتمع لدي من أسماء الناس قدر صالح لذلك.

٢. إهمال موسوعة السلطان قابوس لكثير من الأسماء النوعية في بلادنا.

٣. الأخطاء التعريفية التي نالت الأسماء؛ لغياب المعرفة البيئية لبلادنا ولهجاتها.

٤. لا وجود لمعجم واسع خاصٍّ بأسماء الناس في بلادنا.

أعمال أسهمت في تحرير المعجم:

أتاحت لي تجربة العمل في موسوعة أسماء العرب أن أدرس أسماء الناس في المملكة العربية السعودية دراسة اجتماعية لغوية، فكتبتُ بحثًا شاركتُ به في احتفال مجلة جامعة الملك سعود في يوبيلها الفضي ونشر فيها بعنوان: أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود-الآداب، الرياض، ١٩٩٧م. مج ٩.

ثمّ وسع البحث ليخرج في كتاب في العنوان نفسه، وكان العمل في هذا الكتاب معينًا لتطبيق منهج المعالجة اللغوية في المعجم، «ويتألف هذا الكتاب من تمهيد وستة فصول وخاتمة، تناول التمهيد الاسم العلم من حيث أهميته الاجتماعية

وكونـه كـان مجالًا لدراسـة علوم مختلفة واهتمـام النحويين بدرسـه، وبينت في التمهيـد مـا اعتمـد عليه البحـث مـن مصـادر الأسمـاء في المملكـة العربية السعودية، وأما الفصل الأول فهو دراسة لأنماط الأسماء من حيث وظيفة الاسم ووضعـه وتصرفه وبنيته والجنس الذي يعبر عنه، وعالـج الفصل الثاني أسباب التسميـة واتجاهاتها، ومـن هذه الأسباب إظهار الـبر للوالدين بتخليد اسميهما ومنها الرغبة في تخليد اسم الأسرة وقد يقف وراء التسمية إعجاب بشخص فتكون التسميـة عليه تعبيرًا عن ذلك الإعجاب، وتؤثـر الاتجاهات المسيطرة على ذهن الإنسـان في اختياره الاسم، كالاتجاهات الدينية واللغوية والاجتماعية والنفسية، وقد تكون الظروف الملابسة لساعة الولادة من عوامل التسمية، وللكنية أثرها في التسمية، ومن الأسباب طلب فرادة الاسم أو خفته، وقد يكون الدافع تقليد غيره بمـا يسمون، وقد لا يكون ثمة سبب واضح لعلـة التسمية، ويتناول الفصل الثالث مـا ينال الاسم من ثبـات أو تغير في استعمال الناس، فمـن الأسماء ما تتكرر في المجتمعات ولها طابع الاستقرار، ومنها ما هو جديد يمثل تغييرًا في نوع الأسماء، ومن الأسماء ما يعدل عنه لسبب أو آخر. ويعالج الفصل الرابع الظواهر الصوتية التـي تثيرها دراسـة الأسماء في المملكة العربية السعوديـة، ويظهر هذا في شكله الصوتـي والكتابي: فمنها المماثلة، والخلط بـين الضاد والظاء، وإبدال الهاء من الألف، أو إبدال الألف منها، وقلب القاف جيمًا، وقلب الجيم شينًا، وتغير الذال، وتحـول القاف إلى صوت مركب، وقلب الثـاء فاءًا، وما يخص الهمزة والحركات مـن قضايا. وخصص الفصل الخامـس للقضايا التصريفية من اشتقاق وقصر ومـد وإعلال وتعريف ونسب وتصغير. وعالـج الفصل السادس باختصار قضايا الرسـم ،كالاشتراك بالرسم وحذف الـلام الشمسية»[١٢]، وكـان لهذه الدراسة النظرية التطبيقية أثرها في تعريف الأسماء في المعجم.

ومن هذه الأعمـال المشاركة في مؤتمر (توحيد معايير النقل الكتابي لأسماء الأعلام العربية: الأبعاد الأمنية)، بعمل عنوانه (تباين كتابة الأسماء العربية في الحروف والتشكيل: صوره وأسبابه)، ونشر في كتاب توحيد معايير النقل الكتابي لأسماء الأعلام العربية: الأبعاد الأمنية (أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية/ الرياض، ٢٠٠٣م). وكان لهـذا العمل أثر في استقصاء احتمـالات نطق الرسم الواحد، مثل الاسم سعيد، فقد يكون بفتح السين (سَعيد) حسب النطق الفصيح، أو بكسرهـا (سِعيد) حسب النطق المحكيّ، وقد يكون بتشديد الياء (سْعَيّد) وهو المصغر.

معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية إعداده ونشره:

بعـد إعـداده تولى نشره مجمـع اللغة العربيـة على الشبكـة العالمية في مكة المكرمـة عام ١٤٣٧ه، وهو الإصدار ١٢ للمجمـع، وزامن اليوم الوطني السعودي. وتفضـل بتقديم له فضيلـة الشيخ الدكتور/ صالح بن عبـد الله بن حميد، رئيس مجلس أمناء المجمع. بلغت الأسماء النوعية فيه (٨٢٢٧) اسم.

حاولـت في هـذا المعجـم بيان معـاني أسمـاء الأفـراد السعوديـين، ورتبت الأسماء ترتيبًا هجائيًّا معتبرًا المعرف بأل التعريف في حرف الألف، وجعلت ألف المـد كالهمزة بأشكالهـا المختلفة في رتبة واحدة، ولم ألتفـت إلى موقعه في نهاية الألفبائية، فالاسم (رابع) قبل (ربيع).

طريقة العمل في المعجم:

أبـدأ بذكر مدخـل الاسم، ولم أفرق بين الذكور والإنـاث بل أشير إلى جنس مسماه، ورمزت للذكر بـ(ذ) ورمزت للأنثى بـ(أ)، فإن كان الاسم يستعمل للذكر والأنثى كان الرمز (ذ/أ):

اِبْتِسام(أ): [ب/س/م]

ابداح(ذ): [ب/د/ح]

إحسان(ذ/أ): [ح/س/ن]

يليــه الجذر اللغوي الذي أخذ منــه لفظه بين معقوفين إن كان عربيًّا بسيطًا كمــا في المُثُل السابقة، فإن كــان مركبًا كتبتُ [مركب]، وإن كان غير عربي كتبتُ [أعجمي] ولم أفرق في ذلك بين دخيل ومعرّب فدخل في ذلك المصغر والمنسوب:

أم الخير(أ): [مركب]

برخيل(ذ): [مركب]

أسمهان(أ): [أعجمي]

وتحــت مدخــل الاسم يكون التعريف بــه، فإن كان الاسم متغــيرًا عن أصله الفصيح ذكرت الأصل بعد لفظ «أي:»، مثل:

الجازي(أ): [ج/ز/أ]

أي: (الجــازئ)، وهــي الظبية أو البقــرة الوحشية التي تــأكل الرُّطْب، وهو العشب الأخضر، فتجزأ به عن الماء. (لسان العرب).

بِخِيته(أ): [ب/خ/ت]

أي: بَخِيتَــة، مؤنــث (بخيــت) والبخت هــو الحظ، وفي لهجة نجــد البخيت النافع.

وأُبيّن الحكمَ عليه من حيث كونُه منقولًا أو مرتجلًا، وأبين من أي شيء نقل:

بدر(ذ): [ب/د/ر]

منقول من (البدر) وهو القمر الكامل الاستدارة في الرابعة عشرة.

بَرقان(ذ): [ب/ر/ق]

مرتجل على (فَعْلان) من البرق.

فإن كان مشتقًّا بينت نوع المشتق وفعله، وقد أبين مبناه الصرفي عند الحاجة:

جابر(ذ): [ج/ب/ر]

منقول من اسم فاعل من الفعل (جبر).

مامُون(ذ): [ء/م/ن]

أي: مَأْمُون، منقول من اسم المفعول من الفعل (أمن) بتسهيل همزة (مأمون).

مِثْقاب(ذ): [ث/ق/ب]

منقول من اسم الآلة من الفعل (ثقب) مثل: المثقب. جاء في (الصحاح) «والمِثْقَبُ: مايُثْقَبُ به. وثَقَبْتُ الشيءَ ثَقْبًا»(١٣).

وكذلك شرحتُ بعض الأسماء المرسومة برسم مغير عن رسمها الفصيح وأبين الأصل وما نالها من تغير صوتي أو صرفي، مثل:

رفعت(ذ/أ): [ر/ف/ع]

الصيغة التركية للمصدر (رفعة) من الفعل (رفُع) أي شرُف.

صاطِي(ذ): [س/ط/و]

صورة نطقية من الاسم ساطي اسم الفاعل من (سطا: يسطو). جاورت السين الطاء فأكسبتها الإطباق.

مَعِيظ(ذ): [ع/و/ض]

أي مُعيظ، صورة نطقية كتابية من الاسم (مُعيض) بسبب الخلط بين الضاد والظاء، منقول من اسم الفاعل من الفعل أعاض.

طِعْسان(ذ): [د/ع/ص]

أي دِعْصــان، اسم على بناء (فِعْــلان) أي ذو الدِّعْص، وجاء في (القاموس المحيــط) «الدِّعْصُ، بالكسر، وبهاءٍ: قِطْعَــةٌ من الرَّمْلِ مُسْتَديرةٌ، أو الكَثِيبُ منه، المُجْتَمِــعُ أو الصغـيرُ»(١٤)؛ ولكن الــدال اكتسبت الإطباق مــن الصاد فنطقت طاءًا، ثم خففت الصاد بترك إطباقها فنطقت سينًا.

وإن كان مركبًا بينت نوع التركيب ودلالته:

حسنعلي(ذ): [مركب]

مركب مزجي من الاسمين (حسن) و(علي).

جار الله(ذ): [مركب]

مركب إضافي من (جار) واسم الجلالة؛ أي: المستجير به.

يِعْنَ الله(ذ): [مركب]

أي: يُعِــينُ الله، مرتجل بتركيبه تركيبًا إسناديًّا من (يعن) أي (يعين) ولفظ الجلالة.

وإن كان الاسم أعجميًّا بينت من أيِّ لغة دخل ومعناه في لغته:

يُونِس(ذ): [أعجمي]

أي: يُونُــس، جاء في (معجــم أسماء العرب) «عن العبريــة بمعنى: يمامة أو حمامة».

ياسْمِين(أ): [أعجمي]

أي ياسَمِين، جاء في (سجل أسماء العرب) «عن الفارسية ياسمين وياسمان: نبات متسلق أزهاره زكية الرائحة»(١٥).

وفي حالة نادرة يكون الاسم منقولًا من حرف، فأضع بين المعقوفين [حرف]، مثل:

هَيا(أ): [حرف]

لعله منقول من حرف النداء (هيا) ولعله أطلق على امرأة لكثرة مناداتها به ثـم شاع التسمي به. وقد ضُبط الاسم في (معجم أسماء العرب) و(سجل أسماء العرب) بتشديد الياء وهذا غير صحيح، وكذلك أستبعد ما جاء من التفسير.

وكذلــك قد يكون الاسم منقــولًا من صيغة تمليحية لعدد مــن الأسماء، مثل الاسم (لولا) فأجعل بين المعقوفين [صيغة]، مثل:

لُولا(أ): [صيغة]

جاء في (سجل أسماء العرب) «صيغة تمليح لبعض الأسماء مثل ليلى ولطيفة ولمياء».

وقد أشير إلى علة تسمية بعض الأسماء التي أرى لبيانها أهمية:

بْنِيّه(ذ/أ): [ب/ن/و]

أي: بُنَيَّــة، منقول من مصغر (بنت) وسمي به الذكر دفعًا للحسد والعين ثم شاع في التسمية.

تركي(ذ): [ت/ر/ك]

منقول من (تركـيّ) الواحد من الترك، ولكن حذفت إحدى الياءين تخفيفًا بسبب نبر المقطع الأول. سُمّي به إعجابًا بالأتراك أيام الولاية العثمانية.

وإن كان للاسم رسمان أحدهما الفصيح المهموز والثاني المحكيّ غير المهموز أثبـت كل اسم في موضعه حسـب الترتيب، مثل: (رائد) و(رايد)، وأفصّل القول في الأول وأحيل عند الثاني إلى الأول:

رايِد (ذ): [ر/و/د]

صورة صوتية كتابية من رائد. انظر: رائد.

وإن كـان اسم الأنثى بزيـادة التاء علـى المذكر أحلت إلى معنـاه الوارد في تعريف المذكر؛ لسبقه في الترتيب الهجائي:

خالِدة (أ): [خ/ل/د]

أي: خالِدَة، منقول من مؤنث خالِد.

وإن كـان الاسـم مشتقًّا وقد سبق ذكر مشتق مشارك لـه في فعله أحيل إليه في المعنى:

خَشيفان (ذ): [خ/ش/ف]

أي خُشَيْفان، منقول من مصغر خشفان على (فُعَيلان)، انظر: خشفان.

تعريف الأسماء ومصادرها:

وأمـا دلالة الاسـم اللغوية فأقدم دلالتـه الشعبية إن أمكـن أو دلالته اللغوية مستعينًا بالمعاجم العربية، وما لا أجد له دلالة منقولة أجتهد في تفسيره:

جْعَري (ذ): [ج/ع/ر]

منقــول من (جْعَري) أي جَعْــريّ وهو في لهجة نجد الكلب، وجاء في (كلمات قضــت) «والكلبة (المجعر) ... هي التي تطلب الكلــب للسفاد». ويطلق في جنوب الجزيرة على الضبع.

واجتهــدت في بيان المعنى البيئي فقــد أقول في لهجات نجد أو بعض لهجات نجد، وقد أقول في لهجات الجزيرة أو بعض لهجات الجزيرة:

مِغْلِي(ذ): [غ/ل/و م]

أي مُغْلــي، منقول من اسـم الفاعل (مُفْعِل) من الفعـل (أغلى). والمغلي في لهجات نجد من يودّ غيره ويعدّه عنده غاليًا فهو يُغليه.

مَذْهان(ذ): [م/ذ/هـ م]

مرتجـل علـى (فَعلان) من الفعل (يتمذّه) وهو يعنــي في بعض لهجات نجد يطلب النُّزهة.

طايِب(ذ): [ط/ي/م م]

منقــول من اسم الفاعل من الفعـل (طاب). والطايب، في لهجات الجزيرة، المشفيّ بعد مرض.

مراجع عملي:

اعتمدت في عملي على طائفة من المعاجم التراثية والمعاصرة:

١-كلمــات قضت: معجم بألفاظ اختفت مــن لغتنا الدارجة أو كادت، لمحمد بن ناصر العبودي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٢-فصيح العامي في شمال نجــد لعبدالرحمن زيد السويداء، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٣-معجم أسماء العـرب، موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب،جامعة السلطان قابوس ودار لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٤-سجـل أسماء العرب، موسوعـة السلطان قابوس لأسمـاء العرب،جامعة السلطان قابوس ودار لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٥-الألفـاظ الفارسية المعربة، للسيد أدّي أشـير، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

٦-تكملـة المعاجم العربية، لرينهارت بيـتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م.

٧-معجم اللغة العربية المعاصـرة، لأحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٨-المعاجم العربية التقليدية

«أختـار مـن نصوص المعاجم أوضحهـا وأدقها وأوفاها دلالـة. فإن تساوت فأقدمهـا، واقتصرت مـن تعريف المعجم علـى المعنى من غـير الشواهد من آي أو أشعـار أو أقـوال، إلا إن اقتضـى التعريف ذلك، وأسمّـي اسم المعجم من غير تحديد صفحة أو مدخل ما لم يكن النص من مدخل مخالف للفظ الاسم أو يكون النصـ مـن كتاب غير معجم، وقد ألحقت هذا المعجـم بقائمة بكل ما أحلت إليه من معاجم أو كتب أو بحوث أو مقالات»(١٦).

مصادر الأسماء ومشكلاتها:

أمـا مصادر الأسماء فهـي المصادر التي اعتمدت عليهـا موسوعة السلطان قابوسـ، إذ «جمهرة هذه الأسماء جمعت من أسمـاء السعوديين في أدلة الهاتف

السعـودي، ومن أسماء الطلاب والطالبات في وزارة التربية والتعليم، ومن بعض أسمـاء المقترضـين من البنك العقـاري، ومن أسماء أخذت مـن سجلات مكتب المواليد في الرياض نسختها بيدي، ومن أسماء طلاب جامعة الملك سعود البنين والبنـات، ومن عينة عشوائية للأسماء من سجلات وزارة الداخلية»[١٧]، وأضفت إلى ذلك قوائم حركة نقل المعلمين والمعلمات المنشورة في الصحف المحلية.

وقـد جابهتني مشكلـة في بعض الأسماء المشتركة بـين السعوديين وغيرهم، «وقـد حرصـت أن يكون الاسم لسعـوديّ مهتديًـا باسم أسرته، وقـد يرى بعض القـراء أسماء يظنها لغير سعوديين لشيوعها في بلدان أخرى ومرد هذا إلى كثرة التداخـل والتمازج بين البيئات المتجاورة فيكون مـن ذلك انتقال الأسماء، وربما تأثـرت التسميـة بأسماء الوافديـن إلى البيئـات السعودية أيضًا، كمـا قد يتأثر الوافدون بالأسماء السعودية أيضًا»[١٨]. وكنت أعمد إلى البحث في موقع (قوقل) عـن الاسـم الذكر متلوًا بلفظ (بـن) أو مسبوقًا به، وربما جعلتـه سابقًا ولاحقًا، واما اسم المرأة فأجعل بعدها اللفظ (بنت)؛ لأن استعمال (بن/بنت) من لوازم الأسماء السعودية غالبًا.

وربما أشكل الرسم الكتابي المحتمل لغير نطق مثل: سمير، فالاسم الحضري المشترك في بيئات عربية هو سَمير على بناء فَعيل، وأما النطق البدوي فهو سْمَير أي سُمَـير على فُعَيْل، مصغّـر سمُر. وكذلك الاسم حمـدي فالحضري المشترك حَمْدي، والبـدوي هو حِمْدي، ومثله حسني فالمشهـور المشترك هو حُسْني، ولكنه في جنـوب الجزيرة حَسَنـي، وربما وقع الرسم الواحد معـبرًا عن نطقين لبيئتين في الجزيـرة مثـل (حمد) هو في نجد حَمَد، ولكنه في الجنـوب حِمَّد. وثمة جملة مـن الظواهر الصوتيـة والصرفية تؤثر في رسم الاسـم ونطقه، منها الاختلاف في الصيغـة، نحو:رشيـد = رْشيـد والفصيح رُشَيـد، رشيد = رِشيـد والفصيح

رَشيـد، والمكـبر والمصغّـر، نحــو: ربيع 1 ربيّـع، والمخفف والمشدد، نحــو: زياد / زيّـاد، والمنسوب إليـه، نحو: حربي > حَربي / حِربي، عمري > عَمري / عُمَري، والتسكـين والتحريـك، نحو:سعْد/ سَعَـد، وضبط حركات الاسـم، نحو: عوض: عِوَضـ/ عَوَض/ عُوَضـ/ عْوَض، والقلب المكـاني للحركة، نحو: دعلـج: دَعْلَج/ دْعَلَج.

لجأت إلى برنامج (يوتيوب) لسماع نطق الاسم الذي لا أعرف طريقة نطقه علـى وجـه التحديد لأن رسمه مشـترك كما بينت في الأمثلـة السابقة. ومع ذلك ظلت أسماء اجتهدت في رصدها.

التنوع اللهجي وأثره في التسمية:

وذكرت في مقدمة المعجم أنه «لما كانت هذه الأسماء ممثلة لبلاد شاسعة ذات بيئات لغوية متباينة اختلفت في نطق بعض أصواتها، وهو أمر قد يظهر في الرسم وقد لا يظهر»(١٩)، ولكنـي «حاولت جهدي أن يكون الرسم محايدًا صالحًا لتمثيل كل البيئـات أو معظمها»(٢٠) أما الضبـط بالحركات فهو اجتهاد شخصي توخيت فيه تمثيله للهجة المشتركة في الجزيرة العربية وخاصة منطقتها الوسطى، «على أني التزمـت التزامًـا صارمًا بالمصادر التي استقريت منهـا الأسماء، ولذلك قد يلاحـظ القارئ تكرار بعضـ الأسماء، إذ ترد مرة محلاة بـأداة التعريف، وترد مرة أخرى عاطلة منها»(٢١).

وليس نطـق الأصوات موحدًا في بيئات الجزيرة بل احتملت آثار الاختلافات اللهجيــة التراثيــة، ولذلك أشرت في مقدمــة المعجم إلى ذلك فقلـتُ: «ولعل من المهـم أن أبـين أن لصوت القاف صورًا صوتية مختلفــة منها القاف المسموعة في اللغة الفصيحة الحديثة ويقرأ بها قرّاء القرآن، وهي كونها لهوية مفخمة لارتفاع مؤخـرة اللسان نحو اللهاة وإقفال مجرى الهــواء، وتنطق مهموسة، وهذه القاف

غـير مستعملة في المستوى اللهجي، وأما القاف المستعملة فهي القاف الطبقية أي التي تشارك الكاف مخرجها؛ ولكنها مجهورة والكاف مهموسة، وأقرب الأصوات لهـا صوت الجيـم المسمـوع في اليمن وعمـان والقاهـرة، واشتهر هـذا الصوت بتسميتـه بالجيـم القاهرية، وله صورتان بارزتان في الجزيـرة العربية إحداهما القاف المفخمة المسموعة في نجد وشرق الجزيرة وشمالها، وسببه ارتفاع مؤخرة اللسـان لنطـق الفتحـة أو الألف،كما في الفعـل (قال)، ومن الأسمـاء (قالط)، والأخـرى القاف المرققة كما تسمـع في غرب الجزيرة وجنوبها، وهذه القاف هي التي ذكرها سيبويه في كتابه، ومن صور نطق القاف نطقها كالجيم في حوطة بني تميـم والساحل الشرقي للجزيرة كما في الاسم (جاسم) أي (قاسم) و(عجيل) أي (عقيـل)، ومن صور نطقها أن تكـون كصوت مركب من الدال والزاي (دز)، في وسـط نجد كمـا في الاسم (مقبل) وليسـ لهذا الصوت رسـم؛ ولذلك يسمع بصور مختلفة فقـد تسمعه بالجيم في شرق الجزيرة (مجبل) وبصوت الدزدزة في وسـط نجـد (مدزبل) وبقاف رقيقة في غرب الجزيـرة وجنوبها (مـگـبل). ومـن صور نطق القاف كونهـا كالغين فالاسم (قاسم) تسمعـه في بعض مناطق شرق الجزيرة (غاسم).

وأمـا الظـاء في الجزيـرة اليوم فهـي المسموعـة في الفصيحـة أي الصوت الأسنـاني الـذي يخرج عنـد ملامسة طـرف اللسـان للثنايا العليـا، وهو صوت احتكاكـي، وهي مجهـورة كالذال غير أنهـا مطبقة أي ترتفع مـع نطقها مؤخرة اللسان، وقد تسمـع في بعض مناطق غرب الجزيرة كالزاي المطبقة. وأما الضاد فقد وصفها سيبويه بأنها من بين حافة السان وما يليه من الأضراس وأنها مطبقة ولا نظير مرقق لها؛ ولكنها بهذا الوصف ليست مسموعة في الجزيرة ولا مستعملة على المستوى الفصيح بل تنطق كأنها ظاء؛ ولذلك نجد الاسم قد يرسم برسمين مثـل (معاضة/ معاظة)، وأما الضاد الطائية أي النظير المطبق للدال فتسمع في

قـراءة بعض قراء القـرآن المتأثرين بطريقة المصريين وهـي مختلفة عن الضاد التي وصفها سيبويه»[٢٢].

قد يكون للفظ المنقول عنه الاسم غير معنى في المعجم العربي ولكني لا أثبت سوى ما أراه أحرى بعلة نقله للعلمية.

وقـد يجد القـارئ الكريم أسماءً غريبـة لم أهتدِ إلى معناهـا الذي يُطمأنُّ إليـه، إما لجهلي بالمصدر اللهجـي، وإما لأنه لا مدخل لهـا في معاجمنا اللغوية؛ ولذلـك اجتهدت في تفسيرها، وقـد يجد القارئ أني أخطـأت في كتابة الاسم أو تفسير الاسم؛ وهذا لغياب مرجع صوتي لهذه الأسماء[٢٣].

ملحوظات على المعجم:

علـى الرغم من أنّ المعجم تيسر له أربعة مـن الفاحصين تبين لي جملة من الملحوظات التي يجب تداركها:

١-كـان ترتيب الأسمـاء ترتيبا يدويًّا؛ ولذلك حدث بعض الخطأ في ترتيب بعض الأسماء كما في (سليمـا) جعلت بعد سليمان، والصواب جعل سليمان بعد سليمـا، وكـان الواجب أن يعتمد علـى الحاسوب في ترتيـب الأسماء مع تصحيح مـا يجب تصحيحـه؛ لأن الحاسـوب لا يفرق بـين الألف (ى) في مثـل (شلوى) والياء (شلوي)، وسـترد (سلوى) حسب الحاسوب بعد (سلوم)، ونجد الأسماء المختومـة بهاء أو تـاء مربوطة قد اضطرب ترتيبها فقد يقـدم الاسم نظرًا للتاء وقد يؤخر نظرًا لأنها تنطق هاءًا في اللهجة وعند الوقف في الفصيحة، وكان يجب التـزام طريقة واحدة. من ذلك تقديم (نورة) علـى (نورس)، وتقديم (نوضة) على نوضا ونوضاء. وتقديم (بلوي) على (بلعوس).

٢-الخلـط أحيانًـا بين الهـاء والتـاء المربوطة مثـل (نوضة) التـي صوابها (نوضـه) لأنهـا مختومة بهـاء لأن الاسم صورة صوتية مـن (نوضا) فليست تاء تأنيث.

٣-على الرغم من إدراكي أن من طرائق التسمية استقصاء الإمكانات التصريفية للجذر فاتني تسجيل أسماء مختلفة؛ لأن الاعتماد اقتصر على مدونة الأسماء المجموعة ولم تكن مستغرقة كل الاستغراق، ومن أمثلة هذا الفوات الاسم (بدران) على شهرته. ومن طرائق التسمية النقل من المذكر الذي يقابله مؤنث بالتاء، فأثبتَ المعجم الاسم (حلو) ولكنه أهمل (حلوة). وأثبت (حليل) ولكنه أهمل (حليلة). وأثبت (مغير) وأهمل (مغيرة). ومن طرائق التسمية استعمال مصغّر الاسم، ففات تقصي مصغّر كل مكبّر وكذلك مكبّر كل مصغّر، ومثال ما فات لذلك الاسم (خشيرم) مصغّر (خشرم). ومثله (خضيرم) مصغر (خضرم).

٤-جعل لبعض الأسماء ذات الأصل الأعجمي جذور، وهذا خلاف المتبع في المعجم وهو كتابة [أعجمي م]، من ذلك الاسم (بريه) الذي هو تصغير ترخيمي للاسم الأعجمي (إبراهيم) جعل أمام (برية) الجذر [ب/ر/ه/م]. ومثله (بريهان)، ومن ذلك (بقشان) و(بقشة) جعل لها الجذر [ب/ق/ش] وهما من أصل أعجمي.

٥-أدت الرغبة في اختصار الوقت إلى نسخ المدخل أحيانًا ولصقه وإجراء التعديل المناسب؛ ولكن قد يغفل عن استقصاء التعديل فيحتمل الرمز المنسوخ، مثال ذلك أنه ظهر أمام الاسم (هيا) الرمز (ذ) والصواب (أ) لأنه اسم أنثى، ومثله (هياء) ظهر الرمز (ذ) والصواب (أ) لأنه اسم أنثى[٢٤]. وفي المقابل ظهر أمام الاسم (وبيار) الرمز (أ)، والصواب (ذ) لأنه اسم ذكر.

٦-تبين لي أن بعض الأسماء التي ذكرت معناها تحتمل معاني أخرى عند من سمّى بها، مثال ذلك الاسم (نوّارة)، قلت: مرتجل على بناء (فَعَّالَة) من (النور). أو هو تمليح للاسم (نورة). وفاجأني المهندس محمد بن عبدالرحمن الخميس بأنه سمى ابنته (نوّارة) ولكن من (النوّار) وهو الزهر البري، وهو

معنى معتبر جاء في الصحاح «والنُّوَّارُ بالضم والتشديد: نَوْرُ الشجرِ، الواحدة نُوَّارَةٌ»، وليس ببعيد أن يكون لدينا الاسم (نِوّير) وهو أيضًا النوّار في لهجات الجزيرة العربية، وعلى كل حال فمن تمليحهم للاسم نورة قولهم (نِوّير).

هذه تجربتي المتواضعة أضعها بين يدي القارئ متطلعًا إلى ما قد يتفضل به من ملحوظات ترأب صدوع هذا العمل وتسدده، والله ولي التوفيق.

الهوامش

(١) ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني، شرح ديوان الخنساء، تحقيق: أنور أبوسويلم، دار عمار للنشر، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م. ص ٣٨٦.

(٢) ينظر: أبوأوس إبراهيم الشمسان، أسماء الناس في المملكة العربية السعودية (ط١، مكتبة الرشد/ الرياض،)، ص١٣.

(٣) ينظر: الشمسان، أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ص١٤-١٦.

(٤) ينظر: زكية السائح دحماني، الأسمائية في اللسانيات الحديثة بين النظرية والتطبيق.

(٥) وهي: أسماء الناس الذكور في منطقة عسير: دراسة لغوية تطبيقية على خريجي الثانوية العامة لسنة ٢٦-١٤٢٤هـ مع جيلي آبائهم وأجدادهم، أعدها: عبدالرحمن بن شعشاع البيشي، وقدمت للجامعة الإسلامية عام ١٤٣٢هـ. أسماء الأماكن في منطقة عسير (دراسة لغوية)، أعدها: فهد بن سعيد بن عبدالله آل مثيب القحطاني، وقدمت للجامعة الإسلامية عام ١٤٣٤هـ. أعلام الذكور في قبيلة بني سليم، أعدها: صالح بن علي بن زابن السريحي السلمي، وقدمت للجامعة الإسلامية عام ١٤٣٦هـ. أسماء الإناث في منطقة عسير: دراسة صوتيّة صرفيّة، أعدتها: شمسة بنت عبد الله الشهراني، قدمت لجامعة الملك سعود عام ١٤٣٦هـ. ومن الرسائل التي لم أناقشها: أسماء الأماكن في منطقة القصيم: دراسة لغوية، أعدها: فهد بن أحمد الحنيطة، قدمت للجامعة الإسلامية عام ١٤٣٦هـ. أسماء الناس في منطقة القصيم: دراسة لغوية تطبيقية على أسماء خريجي الثانوية العامة لعام ١٤٣٤هـ/ ١٤٣٥هـ مع جيلي آبائهم وأجدادهم، أعدها: فهد بن محمد العايد، وقدمت للجامعة الإسلامية عام ١٤٣٨هـ.

(٦) معجم أسماء العرب، موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، جامعة السلطان قابوس، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.، ١: ٢٠٩.

(٧) الشمسان، معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ص٨٥.

(٨) انظر: الشمسان، أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ص٤٣.

(٩)معجم أسماء العرب، ١: ٣١٠.

(١٠) انظر: سليمان الذييب، دراسة للنقوش الآرامية القديمة في تيماء، ص٥٠.

(١١) حمد الجاسر، مجلة العرب، ، مركز حمد الجاسر الثقافي، ١٤١٣هـ١٩٩٣م. ج١، ٢ س٢٨، صفحات نقد معجم أسماء العرب: ١٢٢، ٢١٧، ٣٩٢، ٥٢١، ٦٨١، ٨٠٩.

(١٢) أبوأوس إبراهيم الشمسان، أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ط١، مكتبة الرشد/ الرياض، ٢٠٠٥م، ص١٠-١١.

(١٣) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحفيف: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م، ١: ٩٧.

(١٤)مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م، ص ٦١٩.

(١٥) سجل أسماء العرب، موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، جامعة السلطان قابوس ودار لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.، ٤: ٢٦١٦.

(١٦) أبوأوس إبراهيم الشمسان، معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية (ط١، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية/ مكة المكرمة، ١٤٣٧هـ)، ص١٠-١١.

(١٧) الشمسان، معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ص١١.

(١٨) الشمسان، معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ص١١.

(١٩) الشمسان، معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ص١١.

(٢٠) الشمسان، معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ص١١.

(٢١) الشمسان، معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ص١١-١٢.

(٢٢)الشمسان، معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ص١٢-١٣.

(٢٣)الشمسان، معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية، ص١٣.

(٢٤) نبهني إلى ذلك الزميل الدكتور/ عبدالعزيز بن محمد الزير رحمه الله.

استدراك على معجم دواوين الشعراء
للدكتور محمد شهاب

أ. د. عبدالعزيز المانع

الأستاذ الدكتور محمد أحمد شهاب أستاذ شاب ممتلئ حماسًا علميًّا يظهر جليًّا في مشاركاته وتحقيقاتها التي نشرها أو أعدَّها للنشر أو يعدّها للنشر، وهذه الأعمال تكاد تصل العشرين أو تزيد.

عَمِل مدرِّسًا للنقد العربي القديم في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة تكريت.

وهو الآن أستاذ النقد العربي القديم والاستشراق في كلية العلوم بجامعة سامراء.

أصدر معجمًا رائدًا في بابه حول المنشور من دواوين الشعر العربي ومجاميعه عربيًّا واستشراقيًّا متوقّفًا في رصده عند عام ٢٠٠٩م، وقد وزعه إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: عن تحقيق دواوين الشعر المحققة أو المجموعة.

القسم الثاني: الاستدراكات على تلك الدواوين.

القسم الثالث: خاص بالمجموعات الشعرية بكل أنواعها: شعر القبائل،

الفقهاء ، الأسر، الخلفاء، العقائد (الصابئة، اليهود) الخوارج، اللصوص، وغير ذلك.

القسم الرابع: وقد خصصه لمنشورات المستشرقين وتحقيقاتهم.

يقع المعجم في ٢٣٨ صفحة.

لقد سعدتُ سعادةً حقيقية غامرة بخروج هذا العمل المتميز، والظاهر والله أعلم أنه نشره على الحاسب ولم يهيئه التهيئة النهائية للنشر؛ لعله يتوقع الملحوظات والإضافات من القراء لكي يخرج العمل في صورته الأخيرة أقرب إلى الكمال.

لقد دفعني هذا العمل أن أقتصر على القسم الأول منه وأدوّن بعض الاستدراكات التي لاتقلل أبدًا من قيمته، ولو خرج بدونها فإنه يخرج مكتملاً لا مأخذَ عليه.

وهذه هي ملحوظاتي اليسيرة التي أضعها بين يديه وله الخيار في الأخذ بها أو تركها، إذ إنها إضافات وليست مآخذ جوهرية:

الإضافات:

- إسماعيل بن عمار الأسدي (ص١٧)

- ذُكر تحقيق حميد آدم ثويني ١٩٩٠م.

المستدرك:

- شعر إسماعيل بن عمار، جمع وتحقيق الدكتورة وفاء السندريوني، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ص١٤٧-١٨٥، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- الأعشى الكبير (ص١٧)

- تحقيق محمد محمد حسين ١٩٥٠.

- تحقيق رودلف غاير ص١٦٩.

المستدرك:

- ديـوان الأعشـى الكبـير (١-٢) تحقيـق د.محمـود إبراهيـم محمـد الرضواني، مـن منشورات وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ٢٠١٠م. (تعدّى الحد، وهو ٢٠٠٩م، ولكن للفائدة).

- امرئ القيس (ص١٩)

- ذُكر تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٥٨م.

- وتحقيق أنور أبو سويلم والشوابكة ٢٠٠٠م.

المستدرك:

- ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي بشرح الأعلم، تحقيق ابن أبي شنب، من منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

- ديوان امرئ القيس لابن النحاس، قرأه ووضع فهارسه وعلّق عليه د.عمر الفجاوي، من منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، ٢٠٠٢م.

- حميد الأرقط (ص٣٦)

- جمـع وتحقيـق أحمـد محمـد شهـاب، نُشـر في ٢٠١٠م، بمجلـة آفـاق الثقافـة والتراث مج١٨، ع٧١، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية.

المستدرك:

- نشـره جاكو هاميل أنتلّا ضمـن مجموع «أراجيز العرب (١-٣)»، حميد الأرقط، ج٢، ص١٩٤-٢١٦، مـن منشورات جمعية الاستشراق الفنلندية، هلسنكي، ١٩٩٥م.

- هجّـاء الاضياف (حميد بن مالك الأرقط) : حياته وما وصل الينا من

شعــره، حنّا جميل حــداد، مجلة جذور، مج١، ج١، النــادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٩٩٨م.

- ذو الرمة (ص٤٣)

- ذُكر تحقيق بشير يموت ١٩٣٤م.

- وتحقيق مطيع ييبلي ١٩٧٣م.

المستدرك:

- تحقيق عبــد القدوس أبو صالح، في ثلاثة أجــزاء، من منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

- ضرار بن الخطاب (ص٦١)

- جمع وتحقيق أحمد شاكر خضيب ١٩٩٨م.

المستدرك:

- جمــع وتحقيــق عبدالله بن سليمــان الجربوع، من منشــورات نادي مكة الأدبي، ١٤٠٩هـ.

- تحقيــق فــاروق أسليم بــن أحمد، مــن منشــورات دار أميــة، الرياض، ١٤١٠هـ.

- العباس بن الأحنف (ص٦٦)

- ذُكر تحقيق عاتكة الخزرجي ١٩٥٤م.

المستدرك:

- شرح ديوان العباس بن الأحنف، تحقيق مجيد طراد، من منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

- ديــوان العباســ بن الأحنف، تحقيــق كرم بستاني، دار صــادر، بيروت، ٢٠٠٨م.

- ديوان العباس بن الأحنف، تحقيق عمر فاروق الطباع، من منشورات دار الأرقم بن أبي الأرقم ١٩٩٧م.

- عدي بن الرقاع العاملي (ص٦٨)

- ذُكر تحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن ١٩٨٧م.

المستدرك:

- ديــوان شعــر عــدي بن الرقــاع العاملــي، تحقيــق د.الشريــف عبدالله الحسيني البركاتي، من منشورات المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

- ديــوان عدي بن الرقاع العاملي، جمع وشرح ودراسة د.حسن محمد نور الدين، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- عرقلة الكلبي (ص٧٣)

- ذُكر تحقيق أحمد الجندي، مطبعة دار الحياة، دمشق، ١٩٧١م.

المستدرك:

- لعل الصواب: تحقيق أحمد الجندي، من منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٠م.

- عمر بن أبي ربيعة (ص٧٧)

- ذُكر تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، ١٩٥٢م.

المستدرك:

- ديـوان عمـر بن أبـي ربيعـة المخزومي، شـرح محمد العنـاني، مطبعة السعادة، ١٣٣٠هـ.

- ديـوان عمر بن أبي ربيعة، من منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

- ديوان عمر بن أبي ربيعة (٤ مجلدات) رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، تحقيق: فهر محمود محمد شاكر، ١٩٩٦م.

- ابن عنين (ص٨٠)

- ذُكر أنه بتحقيق خليل مردم، دمشق، ١٩٤٦م، دار صادر (د.ت).

المستدرك:

- لعل الصواب هو: بتحقيق خليل مردم، لكنه من منشورات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٦م.

- ثم طبع طبعة ثانية في بيروت، دار صادر، د.ت.

- القطامي التغلبي (ص ٨٥)

- ذُكر تحقيق أحمد مطلوب وإبراهيم السامرائي، ١٩٦١م.

المستدرك:

- ديوان القطامي، تحقيق: د.محمود الربيعي، من منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

- المتنبي (ص٩١)

- ذُكـر شرح ديوان المتنبـي لابن جني (الفسر)، تحقيـق صفاء خلوصي، ١٩٧٧م.

المستدرك:

- صفاء خلوصي حقق جزءًا يسيرًا من (الفسر) ثم توقف.

وحققه كاملاً في خمسة أجزاء د.رضا رجب، من منشورات دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٤م.

- وحققه تحقيقًا علميًّا رصينًا الدكتور إبراهيم البطشان، وهو تحت الطبع.

- مجنون ليلى (ص٩١)

- ذُكر تحقيق عبدالستار أحمد فراج ١٩٧٧م.

المستدرك:

- ديوان مجنون ليلى، شرح عبدالمتعال الصعيدي، من منشورات مكتبة القاهرة، دون تاريخ.

- محمد بن عبدالملك الزيات (ص٩٤)

- ذُكر تحقيق الدكتور جميل سعيد بطبعات متعددة، في الأعوام: ١٩٤٩، ١٩٨٦، ١٩٩١م.

المستدرك:

- تحقيق د.يحيى الجبوري، من منشورات دار الرسالة ودار البشير، بيروت، ٢٠٠٢م.

- ابن مطروح (ص٩٧)

- ذُكر تصحيح يوسف الشهابي، مط القسطنطينية، ١٢٩٨هـ، مع ديوان العباس بن الأحنف.

وذُكر تحقيق جودت أمين حسن، ١٩٧٦.

المستدرك:

- ديوان ابن مطروح، تحقيق حسين نصار، من منشورات الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- معن بن أوس (ص ٩٨)

- ذكر تحقيق حاتم الضامن ونوري القيسي، ١٩٧٧م.

المستدرك:

- شعر معن بن أوس المزني، جمعه وحققه ونشره: عمر محمد سليمان القطان، من منشورات المحقق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- ابن المقرب (ص٩٩)

- ذُكر تحقيق الحلو، القاهرة، ١٩٦٣م.

- وطبعة المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦٨م.

- ومكتبة مكة المكرمة، ١٣٠٧هـ-١٣١١م.

المستدرك:

- ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، في جزأين ضخمين، تحقيق د.أحمد موسى الخطيب، من منشورات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٢م.

- ابن ميادة (ص١٠٢)

- ذُكر جمع وتحقيق: محمد نايف، ١٩٧٠م.

المستدرك:

- شعر ابن ميادة، جمع وتحقيق الدكتور حنا جميل حداد، من منشورات

مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- أبو نخيلة (ص١٠٤)

- ذُكر تحقيق عباس توفيق، المورد، ١٩٧٨م.

المستدرك:

- شعر أبي نخيلة الحماني، تحقيق عدنان عمر الخطيب، من منشورات معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠٠١م.

- أبو النجم العجلي (ص١٠٤)

- ذُكر تحقيق عبدالعزيز الميمني ١٩٣٧م.

- وتحقيق علاء الدين الأغا، ١٩٨١م.

- وتحقيق واضح الصمد، ١٩٩٨م.

المستدرك:

ديوان أبي النجم العجلي، تحقيق الدكتور محمد أديب عبدالواحد جمران، من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- أبو نواس (ص١٠٥)

- ذُكر شرح محمود واصف، ١٨٩٨م.

- وشرح محمود كامل فريد، ١٩٤٥م.

- وتحقيق الغزالي، ١٩٥٣م.

- وتحقيق الحديثي، ١٩٨٠.

- وذُكرت تحقيقات المستشرقين: تحقيق فاجنر ورفاقه إلى الجزء الخامس.

المستدرك:

- صدر الجزء السادس في جزأين مخصصين للفهارس.

• يحيى بن الحكم الغزال (ص١١٠)

- ذكر جمع وتحقيق حكمت علي الألوسي، ١٩٧٧م.

- وذكر جمع وتوثيق د.علي الغريب محمد الشناوي، ٢٠٠٤م.

المستدرك:

- ديوان يحيى بن الحكم الغزال، تحقيق د.محمد رضوان الداية، من منشورات دار قتيبة، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- المستدرك على ديوان يحيى بن الحكم الغزال، بحث منشور في مجلة تراثيات، ع٣، ذو القعدة ١٤٢٤ / يناير ٢٠٠٤م، المستدرك: عبدالعزيز بن ناصر المانع.

• الوليد بن يزيد (ص١٨٦)

- ذُكر تحقيق غابريلي، ضمن تحقيقات المستشرقين.

المستدرك:

- أعاد الدكتور صلاح الدين المنجد طباعة التحقيق نفسه للمحقق، ولكن بخطٍّ جديد، من منشورات دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٧م. والمنجد صاحب تلك الدار.

والله المستعان ،،

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

ج ٣ و ٤ س ٥٧
رمضان وشوال ١٤٤٢هـ
نيسان-أيار/أبريل-مايو ٢٠٢١م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــــدد

arab@hamadaljasser.com

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الثالث والرابع – السنة ٥٧

رمضان وشوال ١٤٤٢هـ

نيسان – أيار/أبريل – مايو ٢٠٢١م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ – شارع أبي دجانة – حي صلاح الدين – وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ – ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) – **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر – حي الورود – الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ – المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) – **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخلاً ضـمن اهتمامات المجلة، وهي الموضـوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سـلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة في ملف (word) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٨

ردمد (ISSN) : ٢٦٧١- ١٣١٩

الفهرس

حل المبهم و المعجم في شرح لامية العجم لعلي بن قاسم الطبري

تقديم و دراسة

د.مراد بن بوزيان الحسني

كَتَبَ العَلاَّمَةُ الدكتور محمود محمد الطناحي – عليه رحمة الله – يصف الشعر العربي القديم فقال: إنه «متعة الأديب، وذوق البلاغي، وحجة المفسر، وسند الأصولي، ودليل الفقيه، وشاهد النحوي، وميزان العروضي، ووثيقة المؤرخ، وخارطة الجِغرافي.

ثم هو من قبل ومن بعد: بوح العاشق، ونفثة المصدور، وحنين الغريب، وأنين الفاقد، وبهجة الواجد، ومرثية العزيز، وآهة الملتَاعِ، وتجربة الحكيم.

استودعه العربي أسرار حياته، واستراح إليه؛ فأفضى إليه بمواجعه، وبثه أشواقه، وقيد به المآثر، وحفظ به الأَنسَابَ، واستنفر به العزائم، واستنهض به الهمم، وسجل به العادات و التقاليد وَذَكَر الأيام.

وقد صحبه في غُدُوِّهِ ورواحه، فحدا به رَكُوبَتَهُ، وآنس به حَلُوبَتَهُ، ووصف به سماءه وأرضه، ونباته ونخيله وسهوله ووديانه وجباله، ومياهه وحيوانه، أليس هو ديوانَ العرب؟»(١).

هذه كلمة عالية بَاذِخَةٌ سجلها الطناحي؛ وهي بما تمتاز به من الدقة

والإحاطـة و العمـق، فلسـت أحـب أن أقول عنهـا إلا مـا قاله العلامـة الدكتور عبدالسلام الهراس – رحمه الله تعالى – عن بعض كتب المهندس الجزائري الراحل مالك بن نبي (توفي سـنة ١٩٧٣م) فقال: «إن كلماته تكاد تكون محسوبة تخضـع لعقل هندسـي يدرك معنى التناسـب و التـوازن والأبعـاد كأدق ما يكون الإدراك، ولولا أنها لغة، لقلنا إنها رموز رياضية، لأن مالكا – كما قلنا – يحاسب الكلمات حسـابًا عسـيرًا، ولا يسمح لأي كلمة أن تفرض نفسـها عليه أو أن تسيل من قلمه دون أن تحمل شـحنة فكرية من صـميم الموضـوع، ومن جوهر الفكرة، ودون أن يكون لها إشعاعها الخاص الضروري للفكرة العامة»[٢].

الطُّغْرَائِيُّ وَ لاَمِيَتُهُ:

لاجرم أن الابتداء بقراءة سـيرة الشـاعر، يُيسِّرُ سُـبلَ فَهم الشِّعر، ويجعل مُسـاءلتنا له أكـثَرَ عمقًا ودقة وانظباطًـا، ذلك بأن النص – كمـا يرى الدكتور حسـن الأمـراني – ليس «عالمـا مُغْلَقًا علـى ذاته، بل هـو مُنفتح علـى مكوناته الأساسـية المستمدة من المحيط المتصـل بالحال و الزمان و المكان، وبذلك يكون النص معطى حضـاريًّا»[٣] وإذ نُشَـايِعُ الرجل في ما ذهب إليه، فإننا نتساءل عن الطُّغرائي من يكون؟ وما خَبرُ لاميتهِ؟

الطُّغْرَائِيِّ:

كَتَبَ العلامة السـوري الراحل خير الديـن الزِّرِكْلِيُّ، في ترجمتـه للطُّغْرَائيِّ فقـال إنه: «الحُسَـيْنُ بن عليِّ بـنِ مُحمد بنِ عبد الصَّـمد، أبو إسـماعيلَ، مويّد الدين، الأَصـبهانيُّ، الطُّغْرَائِيُّ: شاعر، من الوُزَرَاءِ الكتاب، كان يُنعت بالأستاذ. ولد بأصـبهانَ، واتصـل بالسـلطان مسـعُود بن محمد السَّـلْجُوقِي (صـاحب المَوصـل) فولاّه وزارته. ثم اقتتل السـلطان مسعود وأخ له اسمُه السلطانُ محمود فظفـر محمـود وقبض على رجـال مسـعود، وفي جُملتهم الطُّغرائي، فـأراد قتله

ثم خاف عاقبة النقمة عليه، لِمَا كان الطُّغرائي مشـهورا به من العلم و الفضـل، فأوعـز إلى من أشـاع اتهامه بالإلحـاد والزندقة، فتناقل النـاس ذلك، فاتخذه السلطان محمود حجةً، فقتله»[٤].

وفي تاريخ وفاته اختلاف؛ فقد حصـره الزركلي في سـنة ٥١٣هـ، بينما رجَّح الألـماني كارل بروكلمان سنة ٥١٥هـ [٥].

هذا وقد ترك أوضـاعًا، أهمُّها ديوانه الشـعري، الذي طُبع أول مرة بمطبعة الجوائب سـنة ١٣٠٠هـ، ثم خرج مُحقَّقًا من لدن الأسـتاذين: الدكتور علي جواد الطَّاهر، ويحيـى الجبوري، وطبع بدار الحرية للطباعة، ببغداد، سـنة ١٩٧٦هـ، وهي طبعة رزقت ذُيوعًا وانتشـارًا، ماجعل الحاجة ماسـة إلى طبعة أخرى، وهو ما تَمَّ بدار القلم الكويتية سنة ١٩٨٣م[٦].

لامية العجم: صدًى شعريٌّ متميزٌ:

راكم الطُّغْرَائِيُّ حصيلة شعريةً بلغت ٢٧٧ نصا، تجمع بين النُّتْفَةِ و الـمُقَطَّعَةِ و القَصِـيدَةِ، ويصل مجموع أبياتها إلى ٢٢٢٩ بيتٍ؛ تدور في أغراض شعرية هي: الرثاء و المديح والفخر، و الغزل والوصف والحكمة[٧].

هذا؛ وقد كان من خبر هذه القصيدة، أن الطُّغْرَائِيَّ نظمها وهو ببغداد سنة ٥٠٥هـ، ملازمًا للسـلاجقة، وكان عِزًّا لم يُكتـب له الدوام، «فقد بـدأ المنَاوِئُونَ يسـعون به، واشـتدّت عليه السّعايات، وفي نفس هذه السّـنة عُزلَ وعلاهُ مَن دُونَهُ وتنكّر له أصـدقاؤه، وثَقُلَت عليه الإقامة ببغداد »[٨] فكان أن نظم هذه القصـيدة ليصـوّر فيها محنته. فلنسـتمع إليه وهو يؤاخي بين الإحسـاس الصادق والتعبير الصارم الحَيِّ؛ حيث يقول [البسيط] [٩]:

مَا كُنتُ أُوثِرُ أنَ يمْتَدَّ بي زَمَنِي … حَتَّى أرَى دَوْلَةَ الأَوغَادِ وَ السَّفَلِ

تَقَدَّمَتْني أُنَـاسٌ كَـانَ شَوْطُهُمُ ... وَرَاءَ خَطْوِيَ لَو أَمْشي عَلَى مَهَلِ
هَذَا جَزَاءُ امْرِئٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا ... مِنْ قَبْلِه فَتَمَنَّى فُسْحَةَ الأَجَلِ
وَإنْ عَلاَني مَن دُوني فَلاَ عَجَبٌ ... لي أُسْوَةٌ بانْحطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ
فَاصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحتَالٍ وَلاَ ضَجِرٍ ... في حَادثِ الدَّهْرِ مَا يُغْني عَنِ الحِيَلِ

إنها أَبْيَاتٌ أبيَّاتٌ تُصـور الحياة وقد غابت من وجهها أماراتُ الفرح، فليس ينفع معها إلا الصبر يلوذ به الإنسان، لأنّ الأيامَ دُوَلٌ، ودوام الحالِ ضَربٌ من المُحال، ودولةُ الـهَمَلِ إلى زوال، وهي حقيقة آمن بها الشـاعر، واسـتيقَنَتْهَا نفسُهُ، ولذلك مَضَى ليختم قصيدتَهُ بقوله[10]:

قَدْ رَشَّحُوكَ لأَمْرٍ إنْ فطِنْتَ لَهُ ... فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الهَمَلِ

لامية العجم في مَجَالِسِ الدَّرسِ الأَدَبي مَشرقًا و مَغْرِبًا:

إنها تسـعة وخمسـون بيتًا، بما تَضَـمَّنَتْهُ من النَّغَـمِ العُلْوِيِّ و الإيقاع الآسـرِ والمعنى الماتعِ، اسـتطاعت أنْ تجذِبَ إليهـا اهتمامَ علماءِ النقد وجهابذةِ البلاغةِ العربيـةِ، فوقفوا عندها طويـلًا، وجمعوا نوادر الإفادات و الإنشـادات، وأظهروا أسـرارها للطالبين و أعلنوها، فجاءت شـروحهم كاشـفة للحُجُبِ المسـتورة عن محاسن هذه اللامية المشهورة.

وقد وصل مجموع هذه الشروح إلى ثلاثةٍ وعِشرينَ شرحا، نذكر منها[11]:

* شرح العُكْبَرِي (ت٦١٦هـ)، و لعله أول من أَقْدَمَ على شرحها[12].

* شـرح صلاح الدين الصَّـفدي (ت٧٦٤ هـ)، و الموسوم بـ: (الغيث المُسْجَم في شـرح لامية العجم)[13]، وهو « شـرح أبان من خلاله الصـفدي عن كفاءات عاليـة وإمْكَانِيَـاتٍ معرفية متميـزة، وإن كان قد وقع الاختـلاف بين النقاد حول قيمتـه، وبـرز فيه كشـعلة متوهجة...ففي هذا الشـرح بدا الصـفدي متقنًا لكل

الفنون ومتمكنًا من كل المعارف والعلوم، يتوقف عند جميع المراحل التي تستدعي أو تحتمل التوقف عندها »(١٤).

وتجدر الإشارة إلى أن عمل الصفدي هذا لم يَكُنْ لِيَنْجُوَ من هَنَاتٍ وسَقَطات، وهو ما انتبه إليه البَدرُ الدَّمَامِينيُّ (ت٨٢٨هـ)، وأفرد له تأليفًا سماه (نزول الغَيث في التَّنقِيدِ على شرح لامية العجم للصفدي)(١٥).

ولم تفتُر عناية المغاربة بهذه اللامية، فكان ممن شرح منهم هذه القصيدة:

* أبو جُمُعَةَ المَاغُوسِيُّ المُرَّاكُشِيُّ (ت١٠١٦ هـ)، وسَمَّى عملهُ (إيضَاحُ المُبْهَمِ من لامية العَجَم)، و الكتاب ما يزال مخطوطًا، بالخزانة الملكية بالرباط، في نسخ ثلاث هي(١٦):

- النسخة المخطوطة ضمن مجموع برقم: ١٢٥١٢.

- النسخة المخطوطة برقم ١٢٤٤٧.

- النسخة المخطوطة برقم ١١٤٣٥.

ويبدو أن المَاغُوسِيَّ قد أجاد و أفاد في عمله هذا، مما أهله للفوز برضا العلماء و شيوخ الدرس بالمشرق، منهم(١٧).

- الشيخ الطَّبْلاَوِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت٩٩١ هـ)، الذي كتب تَقْرِيضًا مُطَولاً لكتاب الماغوسي هذا.

- ثم قاضي القضاة المالكية بمصر، بَدرُ الدِّينِ القَرَافِيُّ (ت١٠٠٨هـ)، الذي أَثْنَى على الماغوسيِّ وشرحه ثناءً حسنًا.

هذا، وقد أدار عنه الباحثُ المغربيُّ رشيد خَدَّاري دراسة بعنوان (إيضاحُ المُبهم من لامية العجم: دراسةٌ لُغوية نقديةٌ) في إطار عملٍ أكاديمي لنيل شهادة

الدكتوراه، تَمَّتْ مناقشتُهُ يوم السبت ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٥م، بكلية آداب الرباط، تحت إشراف الدكتورة نجاة المريني[١٨].

* وقد اتصلت عناية المغاربة أولي العزم بلامية العجم، فهذا شيخ الجماعة بالرباط المكي بن علي البِطَاوْرِيُّ (ت١٣٥٥هـ)، ينهضُ بشرح اللامية، مُقتصرا على «بيان معانيها، وإعراب ألفاظها، مع ترجمة وجيزة لصاحب اللاميةِ، وسمَّى كتابهُ (شافية الدَّجَم على لامية العجم)، ثم طبعه بمطبع الأُمنية بالرباط سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م»[١٩].

لاَمِيةُ العَجَم في مَجَامع القَوافِي مَشرقًا وَ مَغْربًا:

رُزِقَت لامية العجم السيرورة في مجالس الشعر العربي، ذلك بأن صاحبها اجتهد في إتقانها، ونَشَّأَهَا في ظِلال مَبَاني العربية العالية، واستودعها ضِرَامًا من معاني روحه الموسومة بِلَوْعَةٍ متضَرِّمةٍ، لذلك لاعيب إذا تناقلها الرواة، وتناشدوها في مجالسهم ومنتدياتهم.

نعم؛ لقد كانت لامية العجم لحنًا صادقًا، ولذلك مضى الشُّعراءُ مشرقًا ومغربًا للنَّسج على منوالها و تمثّلها، وأمامنا نماذج منهم:

صلاح الدين الصَّفَدِيُّ، صاحب (الغيثِ المُسْجَمُ) السالف الذكر، فقد نظم قصيدة تقع في ستين بيتا، عارض بها لامية الطُّغرَائِيِّ، فقال في مطلعها[٢٠]:

[البسيط]

الجدُّ في الجِّدِّ وَ الحرْمَانُ في الكَسَلِ ... فَانْصَبْ تُصبْ عَنْ قَريب غَايَةَ الأَمَلِ

واصْبِرْ عَلَى مَا يُؤَاتِيك الزَّمَانُ بهِ ... صَبْرَ الحُسَامِ بِكَفِّ الدَّارِعِ البَطَلِ

وليس يختلفُ اثنان، في أن الرجل، في هذين البيتين، قد التمس عيون الحكمة، فانقادت له. والقصيدة بعدُ حافلة بالمعاني الفائقة الرائقة، التي ترشّحها لأن تُكتب في سِفْرِ جَمال الكلام العربي. هذا؛ وإنَّ الناظرَ المتوسِّمَ في صنيع الصَّفَدِيِّ

هــذا، لا يملــك إلا أن يقول: إن الصَّــفَدِيَّ كان أكثرَ النـاس تَعلُّقًــا بلامية العجم، وأشدَّهم إعجابًا بها، وذلك لسببين هما:

١. أن الصَّفَدِيَّ قام بشرح اللامية، فأوفى على الغاية.

٢. ثم إنه تصدى لمُعارضتها بقصيدة، لا تقل عن لامية العجم رونقًا ورُوَاءً.

ومتى ما ثَبَتَ انفراد الصَّــفَدِيِّ بهاتين الميزتــين، فإنه الفرس المُجَلِّي في هذا المضمار!

* وحــين يتحول قارئُ الشــعر إلى الطرف الغربي مــن العالم العربي للبحث عــن أصــداء لاميــة العجم، فليس يُشــيح بوجهــه عن الشــاعر أبِي حَفْصٍ عُمَرَ ابنِ عبدِالله الفَاسِــيِّ (ت١١٨٨هــ)[٢١]، ذلك بأن الرجل قد عارض لامية العجم بقصــيدة أنضــجها على نار هادئةٍ، فجاءت مُســتويةً مُفْعَمَــةً بالمواعظ و الحكم والوصــايا، وأنا لاأريد أن أمضــي، فألتقطَ أبياتَهَا واحدا بعد آخرَ، فكلُّ شــيءٍ في هــذه القصــيدةِ المطولةِ يُغري بإيراده هنا، وحســبي أن أنتقــي منها هذه الأبياتَ المدهشةَ حقًّا، وأمامنا ذلك[٢٢]: [البسيط]

حُسْنُ الغَزَالَةِ فِي الإِشْرَاقِ وَ الطَّفَلِ ... وَفِي المَنَازِلِ مِنْ جَدْيٍ وَمِنْ حَمَلِ
فَمَا يَضُـرُّكَ أَنَّ الدَّهْـرَ مُعْتَسَفٌ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ سَبِيلِ الرُّشْدِ ذَا حَوَلِ
وَإِنْ تَـوَجَّـدْتَ فِي أُفْـقِ العُـلاَ قَمَرًا ... فَـلاَ عَلَيْكَ إِذَا بَــارَاكَ ذُو خَبَلِ
مَا بَهْرَجُ النَّقْدِ كَالإِبْرِيزِ جَوْهَرُهُ ... وَ مَا التَّكَحُّلُ فِي العَيْنَيْنِ كَالكَحَلِ

وهكذا تنساب أبيات القصيدة ساحرة، وتنسرب في الروح رطيبة، إلى أن يختمها ناظمها بقوله:

وَ النَّفْسُ أَنْفَسُ مَا يُعْنَى اللَّبِيبُ بِهِ ... فَـارْبَـأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُعْنَى بِمُنْسَفِلِ
وَ الْجَأْ إِلَى اللهِ فِي أَمْرٍ تُحَاوِلُهُ ... وَابْـرَأْ إِلَـى اللهِ مِنْ حَوْلٍ وَمِـنْ حِيَلِ
وَكِلْ إِلَى اللهِ كُلَّ الأَمْرِ وَاغْنَ بِهِ ... عَمَّـنْ سِـوَاهُ فَـإِنَّ اللهَ خَيْـرُ وَلِـيِّ

ولعمـري؛ إن هذه القصـيدة لَمِنْ مَصُـونِ الشـعر الذي يبادره الحفـظ إذ يُلفظُ!
ولعـل كون هذه القصـيدة كذلك، هو ماشـكل الباعـث الحثيث الـذي قوَّى لدى الدكتـور أحمد العراقي، الرغبة في نشـرها مُحَقَّقَةً، معتمدًا «على ما كان نَشَـرَهُ منهـا العلامةُ عبدُ الله كنون، في كتابه (النبوغ المغربي)، ضـمن قسـم المنتجات الشعرية، وقد انتخب منها ثمانية وخمسين بيتًا...وعلى نصها الكامل الذي وردت به في ديوانِ الشاعر (أيْ عُمَرَ الفَاسِيَّ)»[٢٣].

صـفوة القول: لقد كانت قصـيدة الشَّنْفَرَى الموسـومة بلامية العرب إنجازًا شـعريًّا باذخًا، أسس أصـولًا فنية، ورسم سبيلًا في القول رسـمًا واضحًا دقيقًا؛ وليسـت تلك السبيل سـوى: قضية القيَم والـمُثُل، تلكُمُ القضـية التي تَبقَى نُقْطَةَ الارتِكَازِ لَدَى كل جماعة بشرية، يستوي في ذلك أحدثها ميلادًا في معمعة الحياة، مع أقدمها هلاكًا في حومة الفناء.

ثم مضى الشعراء من بعدُ ينظرون في مبانيها ومعانيها، ويجهدون في تجديد أرجـاء لوحتها الفنية، فأبدعوا نظائـر لها، كانت لامية العجم أعلاها، ذلك بأن الطُّغْرَائِـيَّ وفّـر لها أقدارًا طيّبة من الجودة الفنيّة، ممـا لفت إليها أنظار علماء البلاغة العربية، فأداروا حولها شروحًا كثيرة تفاوتت قيمتها العلمية.

وقد يصحُّ بعدئذ أن نضُمَّ أطراف الحديث طرفًا إلى طرف، فنقول بإجمال: إنّ ذيعـان هاتـين اللاميتين ينهض دليلًا قويًّا، على أن السـيرورة صـنو للجودة وقرين، بخاصـة في الإنتـاج الأدبي القديم[٢٤]. وإذا اسـتقام لنا هذا التوجيه، فهـل يمكـن الزعم أن جـودة هاتين اللاميتـين، كان لها أثرهـا في الحفاظ على المقاييس البلاغية العربية حية دائرة في الأوساط النقدية القديمة؟

أظـن ظنًّا يوشـك أن يكون يقينًا أنها كذلك، وأن أكـبر دليل على ذلك كثرةُ ما أدير حولهما من شروح تنافست في بيان رسالتهما الجمالية.

التعريف بالمؤلِّف:

يبدو أن أخبار علي بن قاسم الطبري غير مستفيضة في كتب التراجم والطبقات:

فالعلامة التركي حاجي خليفة قال عنه: إنه توفي في حدود سنة ٦٨٣هـ، ولم يذكر له من تصانيفه إلا كتاب (حل المبهم و المعجم في شرح لامية العجم)[٢٥].

وجاء عمر رضا كحالة، في معجم المؤلفين، فنقل كلام حاجي خليفة، ولم يزد عليه شيئًا، إلا ماوصف به الرجل بأنه أديب[٢٦].

أما العلامة السُّوريُّ خير الدينِ الزِرِكْلِيُّ، فلم يُجْرِ له ذكرًا قطُّ في كتابه الماتِع (الأعلام)[٢٧].

و الدراسون بعد هؤلاء، لم يصلوا إلى شيء ذي بال بخصوص أخبار علي بن قاسم الطبري، ولعل هذا ما يَشِي به قولُ الدكتور إبراهيم محمد منصور، حين كَتَبَ: « ويبدو أن هذا الشرح -أي شرح الطبري للامية العجم- لم يشتهر، ولم يُعرف كما لم يشتهر صاحبه ولم يُعرف، وإن بقيت نسخة من هذا الشرح -وربما نسخ كثيرة - حتَّى وصلت إلينا وكأنها الأثَرَ الوحيدَ لهُ»[٢٨].

واكتفى الدكتور عبد الله المرابط التَّرْغِيُّ بالقول: «إنه من رجال أواخر القرن السابع الهجري»[٢٩].

التعريف بالمؤلف: (الطبري):

أ. تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى صاحبه:

وصل الكتاب بعنوان هو (حل المبهم و المعجم في شرح لامية العجم)، وهو ما نقرأه في المقدمة التي صدَّر بها الطبريُّ كتابَه حيث يقول: «وسميته بـ: حل المبهم و المعجم في شرح لامية العجم».

وبهـذه الصـيغة ورد عنـوان الكتاب في كشـف الظنون لحاجـي خليفة حيث يقول: «وسماه حل المبهم و المعجم في شرح لامية العجم»[٣٠].

وهذا العنوان هو نفسـه الذي ورد في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة حينما تحدث عن كتب الطبري فقال: «من آثاره: شـرح لامية العجم، وسـماه حل المبهم والمعجم في شرح لامية العجم»[٣١].

اعتمادا على هذين النصين يمضي الباحث مطمئنًا لتسجيل ما يلي:

- عدم الاختلاف في عنوان الكتاب.

- صحة نسبته إلى صاحبه.

ب. الغرض من تأليف الكتاب:

لقـد أشـار الطبري في المقدمة التي كتبها في صـدر كتابه إلـى الدوافع التي كانت وراء تأليفه لهذا الشرح وهي:

- أن القصـيدة تمثـل نمطًـا عاليًا مـن الشـعر العربي مما أكسـبها ذيوعًا وانتشـارًا، ولعل هذا مايشي به قوله: «وبعد فلمَّا اشتهرت القصيدة المنسوبة إلى الوزيـر الجليل مؤيد الديـن الطغرائي -رحمه الله تعالـى- في الآفاق و الأقطار، وفضـلوها علـى سـائر أخواتها من القصـائد و الأشـعر لعذوبـة ألفاظها وكثرة معانيها، وسلامة كلماتها وغزارة مبانيها».

- ثانيا: عدم وجود شرح للقصيدة إلى حدود زمن المؤلف مما جعل الحاجة ماسـة إلى عمل شـرح لها، وهو ما يفهم من قول الطبري: «لم نسـمع أنه شرحها أحد، أو تصدى لبلوغ هذا الأمد».

- ثالثـا: أنّ أمر تأليف كتاب حل المبهم و المعجم، جاء اسـتجابة لرغبة أحد

أصدقاء المؤلف في شرح لامية العجم، وهو مايفهم من قول الطبري: «التمس مني بعض أصحابي أن أشرحها شرحًا وافيًا لا طويلًا مملًا، ولا قصيرًا مخلًّا».

ج. قيمة كتاب الطبري وأهميته:

كتاب (حل المبهم و المعجم)، عَمَلٌ عِلْمِيٌ جَيِّدٌ، ذلك بأن الطَّبَرِيَّ بَسَطَ القولَ في جملة من القضايا و الموضوعات، فهناك[٣٢]:

- قضايا تقع في الصميم من النقد الأدبي؛ كقضية السرقات، وقضية اللفظ و المعنى.
- ومسائل تتصل بعلم البلاغة؛ كالإيجاز و التشبيه و الاستعارة.
- كما حفلَ الكتاب بمجموعة من الاختيارات الشعرية التي تعكس ثقافة الشارح، وقديما قيل: «عُقُولُ الرِّجَالِ في حُسْنِ اخْتِيَارِهَا».

و إلى ذلك كُلِّه يقفُ المتلقّي على مباحث لها عُلْقَةٌ باللغة كالترادف و تَعَدُّدِ اللغات، أَوَّلَهَا اتصال بعلم النحو العربي كقضية العامل، و القياس، وازدواج الإعراب في بعض الأبواب النحوية، أو لها ارتباطٌ بانشغالات علماء الصرف؛ كالإعلالِ و الإبدالِ والإدغامِ.

إنها كلُّها قضايا تكشف عن قيمة شرح الطبري، وتُفَسِّرُ سِرَّ عناية دوائرِ البحث و الدرس به قديمًا؛ إذ التفتَ إليه أحدُ العلماء المغاربة؛ ويُدعى أبا عبدالله محمد بن جَلّون الفاسي (ت١١٣٦هـ)[٣٣]، الذي عمد إلى اختصار شرح الطبري. إلا أن هذا الاختصار يُعتبر اليوم في حكم المفقود، بحسب ما انتهى إليه بحثُ الدكتور عبد الله المرابط التَّرغي[٣٤].

د. منهج الطبري في شرح لامية العجم:

سلك الطبري في شرحه هذا، خطة حرص على الالتزام بها في كتابه، ويمكن

حصر ذلك في عنصرين كبيرين هما:

- الشـرح اللغوي: ذلك بأن الطبري يبدأ بإيراد بيت اللامية أولًا، ثم يتبعه بالشـرح اللغـوي لما ينبغي شـرحه، وخـلال ذلك يمكـن أن نسـجّل تركيزه على إعراب كثير من الكلمات، مما كان يجره إلى الحديث عن قضايا صرفية ونحوية وإشارات بلاغية.

- الشرح المعنوي: حيث يعمد إلى عرض المعنى المراد من البيت، وخلال ذلك كان يركز على إيراد الأمثال و الأشـعار أو الإشـارة إلى اختلاف الروايات لبعض كلم أبيات اللامية.

وفي هذه الحصيلة الطيّبة تبقى قصيدة لامية العجم أهمَّ ما كتبه الطُّغْرَائِيُّ، ذلك بأنها مُطولة سداها روعة الفن، ولحمتها وضوح الرؤية القائمة على المعاني المسؤولة البانيةَ، ولعلنا لا نجاوز الحق إذا مضينا إلى القول: إن هذه القصيدة، مع نظائر أخرى من شعر العرب[٣٥]، تنهض دليلًا من أدلة القياس النقدي الأدبي علـى أن الكيـف إنما هو أعمق أثرًا من الكم، تمامًا كالرجل الواحد العظيم الذي يعدل بقوته وأمانته وصدقه أغلبيةً!

الهوامش:

(١) كتاب الشعر (أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب)، لأبي علي الفارسي، تحقيق وشرح: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة ١/ ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م، ج١/ص:١٤.

(٢) مالك بن نبي وكتابه (مستقبل الإسلام)، مقالة بقلم: الدكتور عبد السلام الهراس، بمجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف بالمغرب، العدد: ٢، السنة ٣، نونبر ١٩٥٩م، ربيع الثاني ١٣٧٩م، ص: ١٨.

(٣) المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين، للدكتور حسن الأمراني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١/١٩٩٤م، ص: ٣٠.

(٤) الأعلام، لخير الدين الزِّرِكْلِي، دار العلم للملايين، بيروت، لنان، البعة الرابعة عشرة، ١٩٩٩م، ٢٤٦/٢.

(٥) المرجع نفسه. وينظر أيضا: تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، ترجمة الدكتورين: السيد يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٣٣م، القسم الثالث، ص: ١٣.

(٦) المكتبة الشعرية في العصر العباسي: ١٣٢ هـ - ٦٥٦هـ، للدكتور مجاهد مصطفى بهجت، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة ١/١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص: ٣٠٠، ٣٠١ رقم: ١٧٢.

(٧) المرجع نفسه.

(٨) شروح لامية العجم، للدكتور إبراهيم محمد منصور، دار الحضارة للطبع و النشر، مصر، الطبعة ٢/٢٠٠١م، ص: ٣١.

(٩) نص القصيدة موجود في كتاب: الصفدي وشرحه على لامية العجم، للدكتور نبيل محمد رشاد، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة ٣/٢٠٠٥م، الصفحة: ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، وعنه نُقلت الأبيات، إذ لم يتيسر نقلها من الديوان.

(١٠) المرجع نفسه.

(١١) تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، القسم ٣/١٥ وما بعدها. وينظر أيضا تقرير الطالبة أمينة زيري عن رسالتها لنيل دبلوم الدراسات العليا بعنوان: (الغَيث المُسجم: دراسة وصفية تحليلية)، بجريدة العلم، العدد ١٧٦٢٦، الجمعة ٦ ربيع الثاني.. ١٤١٩هـ/ ٣١ يوليو ١٩٩٨م.

(١٢) شروح لامية العجم للدكتور إبراهيم محمد منصور، ص: ٣٣.

(١٣) طبع هذا الشرح بدار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة ١/١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، في جزئين.

(١٤) تقرير الباحثة أمينة زيري، بجريدة العلم، العدد: ١٧٦٢٦.

(١٥) ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التُّنْبُكتِي، إشراف وتقديم:عبد الحميد الهرامة،

منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، الطبعة ١٩٨٩/١م، ص: ٤٨٩ رقم: ٥٩٥. ينظر أيضا الدمَامِينِي النحوي في ضوء شرحه لمُغْنِي اللَّبيب، للدكتور عمر مصطفى، طبعة دار الينابيع، دمشق، سوريا، الطبعة ٢٠٠١/١م، ص: ٧٠.

(١٦) فهرس مخطوطات الأدب بالخزانة الحسنية، إنجاز: محمد سعيد حنشي وَ عبد العالي لَمْدَبَّرْ، إشراف و مراجعة: أحمد شوقي بنبين، المطبعة الملكية بالرباط، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م، ج١/ ص:٤١،٤٠.

(١٧) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، للدكتور محمد حجي، منشورات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، مطبعة فضالة، طبعة ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م، ج ١/ ص: ١٠٦، ١٧٩.

(١٨) جريدة العلم، العدد: ٢٠٢٧٣، الثلاثاء ٢٦ شوال ١٤٢٦هـ/ ٢٩ نونبر ٢٠٠٥م.

(١٩) المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة ١٩٥٦م، للأستاذ لطيفة الكندوز، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، ٢٠٠٤م، ص: ٣١٤، ٣١٥، رقم: ٨٤١. وينظر أيضا: معجم المطبوعات المغربية، لإدريس القيطوني الحَسَني، مطابع سلا، ١٩٨٨م، ص: ٣٤، ٣٥ رقم: ٨٢، وفيه: (شافية الرجم)، ولعله خطأ، وصوابه هو: (شافية الدجم)، كما كَتبتْ لطيفة الكندوز.

(٢٠) الصَّفَدِيُّ وشرحه على لامية العجم، للدكتور نبيل محمد رشاد، ص: ٢١٠ وما بعدها.

(٢١) تنظر أخبار عمر الفاسي في: معجم المطبوعات المغربية، لإدريس القيطوني الحسني، ص ٢٦٧، ٢٦٨ رقم:٦١٦، وفيه أن وفاته كانت سنة ١٠٨٨هـ، وَلعله خطأ، وصوابه هو: ١١٨٨هـ، كما أثبت الدكتور فوزي عبد الرزاق في كتابه: المطبوعات الحجرية في المغرب، دار نشر المعرفة، الرباط، ص: ١٦٤.

(٢٢) المعارضات المغربية للامية الطغرائي: معارضة أبي حفص الفاسي بمجلة آفاق الثقافة و التراث الصادرة عن مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث – دبي – الإمارات العربية المتحدة – السنة ٤ العدد: ١٦ – شوال ١٤١٧ هـ / مارس ١٩٩٧ م، ص: ٩٤ وما بعدها.

(٢٣) المرجع نفسه: ص: ٩٤. هذا، وقد جمع شعر عمر الفاسي من لدن عبد السلام بن سودة. ينظر: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، تأليف عبد السلام بن سودة المري دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١/ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ص: ٢٦٨، رقم: ١٧١٩. هذا؛ وتوجد لامية الفاسي مخطوطة في نهاية مجموع خطي بالخزانة الحسنية تحت رقم: ١٩١٤، وتشغل ثلاث ورقات هي: ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦. وهي مما لم يطلع عليه محقق لامية الفاسي.

(٢٤) السَّيْرُورَةُ، مما نعت به الشعر قديمًا، وقد افتخر بها الشعراء كثيرا في أشعارهم. ينظر: مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين و الإسلاميين: قضايا ونماذج، للدكتور الشاهد

البوشيخي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١/١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص: ١١٩، ١٢٠.هذا؛ ويمكن الزعم أن كثيرا من الشعر العربي المعاصر الذي كتبت له السيرورة، لا يعني بالضرورة أنه كله جيد، ذلك بأن نفرًا من هؤلاء الشعراء أتيح لهم أن يستفيدوا من وسائل الإعلام ووسائط الاتصال ما جعل شعرهم سائرًا في الندوات و المنتديات، بينما نجد آخرين كتبوا شعرًا عربيًّا يستمد أسباب الجودة من ماضي العربية البعيد، نذكر منهم طبقة من شعراء السودان الحديث: كالتيجاني يوسف بشير، وإدريس محمد جمَّاع، ومصطفى محمد سند، وسواهم من الكبار الذين لانجد لهم ذكرا إلا لدى خاصة الخاصة من الباحثين، ولا ذنب لهم إلا أن الإعلام لم يَلتفِتْ إليهم!

(٢٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، لصاحبه مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢/١٥٣٨.

(٢٦) معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، لصاحبه عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢/٤٨٧ رقم ٩٨٢٨.

(٢٧) الأعلامُ (قاموس تراجم)، لصاحبه: خير الدين الزركليُّ، دار العلم للملايين، الطبعة ١٤ – فبراير ١٩٩٩م (٨ أجزاء).

(٢٨) شروح لامية العجم، للدكتور إبراهيم محمد منصور، ص: ٣٤.

(٢٩) الشروح الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، للدكتور عبد الله المرابط الترغي، ص: ٨٧.

(٣٠) كشف الظنون ٢ / ١٥٣٨.

(٣١) معجم المؤلفين ٢/٤٨٧.

(٣٢) أَلْمَعَ إلى هذه القضايا، الدكتور إبراهيم محمد منصور، في مواطن متفرقة من كتابه (شروح لامية العجم). وقد تقدم ذكره.

(٣٣) هو أبو عبدِ الله محمدُ بنُ أحمدَ بْنِ جلون الفاسي، ولد بفاس سنة ١٠٧٦هـ، وأخذ عن شُيوخها، وظهرت نباهتهُ في علوم عدة: كالنحو و الصرف و اللغة و العروض و الحساب، كما اتقن التوثيق، واشتهر بتدريس علم النحو. وكانت وفاته سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م.

وترك تصانيف كثيرة منها: حاشية على شرح الإمام المَكُّودِيِّ لألفية ابن مالك في النحو، واختصار شرح الصفدي للامية العجم.

(٣٤) الشروح الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، للدكتور الترغي، ص: ٨٧، ٨٨. وفيه نقرأ تعريفًا طيبًا للاختصار، بقلم الدكتور الترغي: «أسلوب الاختصار عند القدماء لايقتصر على تجريد الأهم من موضوع النص المعروض للاختصار. وإنما مفهوم الاختصار يفتح المجال أمام

المختصـر ليضـيف الجديد مما يـتراءى له. ولذلك فالاختصـار يكون بمثابة خلـق جديد للنص المتعامَلِ معه».

(٣٥) نذكر من هذه القصـائد التي تؤكد أهمية الكيف على الكم: عينية ابن زُرَيق البغدادي، نونية أبي الفتح البستي، والبردة للبوصيري، ومقصورة حازم القرطاجني.

وسـوى هذه القصـائد كثير. تنظَر رسـالة الدكتور سـعيد ابن الأحرش، بعنوان: بردة البوصيري بالمغرب و الأندلس، منشـورات وزارة الأوقاف و الشـؤون الإسـلامية، مطبعة فضـالة، المحمدية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص: ١٦٨، الهامش:٢.

ديوان منصور بن محمد الهروي
(٤٤٠هـ / ١٠٤٨م)

تحقيق

د. جليل إبراهيم العَطيّة

مقدمة التحقيق:

[١]

ديوان منصــور بن محمد الهروي هو الســادس من أعمالي المتواضــعة التي تخصّ القرن الخامس الهجري، إذ سبقه: آداب الملوك والأمثال والاستشهادات لأبــي منصــور الثعالبــي (٣٥٠-٤٢٩هـ) ودَرج الغُــرر ودُرج الــدّرر لعمر بن علي المطوّعــي (٤٤٠هـ)، وديوان الميــكالي (عبيدالله بن أحمد) (٤٣٦هـ)، ونبذة من كتاب الأمثال للميكالي، وشعر الشريف البياضي (٤٦٨هـ).

[٢]

هو: أبو أحمد منصــور بن محمد بن عبدالله بن الحســين الهروي، الأزدي، الشــافعي، ينتسب إلى أسرة عربية عريقة مشهورة بالعلم والتقوى، ويتصل نسبه بالمهلب بن أبي صُفرة القائد المعروف.

والده القاضي محمد بن محمد (ت٤١٠هـ) أحد أعلام عصره، كان محدثًا،

فقيهًا، رحل وحدّث، وكان واسع الرواية [الوافي بالوفيات ١/١١٥ (رقم ١٦)]، تولّى القضاء بهراة زهاء ثلاثين عامًا. ولقد نهج منصور طريق والده، إلاّ أنّه تفوق عليه في نظم الشعر.

لا نعرف سنة ولادته، لكن جميع الذين ترجموا له حدّدوا سنة ٤٤٠ للهجرة موعدًا لرحيله عن عمر مديد. وُلِد في مدينة هراة ومات فيها –على الأرجح– وقام بسفرات عديدة أهمها رحلته إلى بغداد حيث امتدح القادر باللّه (ت٤٢٢هـ).

[٣]

وهراة مدينة مشهورة من أمهات مدن خراسان ازدحمت بأهل العلم والأدب. زارها ياقوت الحموي سنة ٦٠٧هـ، وقال إنه لم ير بخراسان (مدينة أجلّ، ولا أعظم، ولا أحسن، ولا أكثر أهلًا منها، فيها بساتين كثيرة، محشوة بالعلماء، ومملوءة بأهل الفضل والثراء. ثم ألمح إلى ما أصابها من التتار سنة ٦١٨هـ [معجم البلدان ٥/٣٩٦/٣٩٧].

ثم زارها الرحالة ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ)، وذكر أنّ لأهلها صلاحًا وديانة، وأنهم على مذهب الإمام أبي حنيفة.

هراة اليوم إحدى مدن جمهورية أفغانستان، تبعد عن «كابل» العاصمة ١٠٤٢ كيلو مترًا [من مقدّمة منية الراضي في رسائل القاضي].

[٤]

أقدم من ترجم للقاضي الهروي معاصره وصديقه الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في كتابه السائر (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٤/٣٤٨-٣٥٠) اكتفى فيها بقوله: هو من أعيان هراة، وآحادها ومفاخرها وأفرادها وشعره مدّون، كثير المُلح، ثم أورد له ١٣ قطعة ونتفة.

ثـم إن الثعالبـي شـعر بأنه غـبن الهروي، فـأورد له ترجمة ثانيـة في (تتمة اليتيمة) (٢/٤٦-٥٣) قال فيها:

«قد ضَـمّنت كتـاب اليتيمـة ذكـره، إلاّ أنّي لم أعطه حقه، ولم أقـدّره قدره لعلتـين: إحداهمـا أنّي في ذلك الوقت لم يكن وقعت بيني وبينه معرفة، ولا اتّفقت لي بعظم محله وعلو فضـله إحاطة، والأخرى أن محاسن نظمه، وبدائع نثره قلّت لديّ إذ ذاك، بل عزّت... وقد أودعت الآن كتابي هذا لمعًا من نثره ونظمه تتلافى الفائت، وتجبر الكسر».

اشتملت هذه الترجمة نحو عشرين قطعة ونتفة وعدة نصوص نثرية.

ولم يكتـف الثعالبـي بهاتين الترجمتين، بـل إنه ذكر الهـروي في العديد من كتبـه، كما إنه ألّف له وأهداه كتابين همـا: الإعجاز والإيجاز واللطيف في الطيب والأخير لم يصل إلينا.

وترجم له «أبو الحسن الباخرزي» (ت٤٦٧هـ) في كتابه الشهير دمية القصر وعصـرة أهل العصـر بعبارات مسـجوعة قال فيها: «أفضـل مَنْ بخراسان على الاطلاق.. يرجع إلى نظم أحسن من انتظام الأحوال.. وديوان شعره يبلغ أربعين ألف بيت» وأورد له ١٣ قطعة ونتفة مع طائفة من النصوص النثرية.

وقـدّم لـه ياقوت الحمـوي (ت٦٢٦هــ) ترجمة وجيـزة في (معجـم الأدباء ٢٧٢٧-٢٧٢٩) قال فيها:

«كان فقيهًا، شاعرًا، مجيدًا، كثير الفضائل، تفقه على أبي حامد الاسفرائيني (ت٤٠٦هـ) ببغداد، وسمع أبا الفضل ابن حمدوية والعباس بن الفضل النضروي وغيرهمـا، وامتـدح القادر باللّه» وسـاق له ١٢ قطعة ونتفة معظمها مسـتقاة من اليتيمة وتتمتها.

وفي القـرن الثامن الهجري اعتنى به مؤرخو رجال الشـافعية، وأهمهم تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، قال في (طبقات الشافعية الكبرى):

«قاضي هراة، كان فقيهًا، شاعرًا، مجيدًا، لا يعتري شعره عجمه، مع كونه من أهلها... كان يختم القرآن في كل يوم وليلة».

وقال خير الدين الزركلي (ت١٩٧٩م):

«كان أديبًا، شاعرًا، له رقائق، تفقه ببغداد، ومدح القادر بالله...». [الاعلام ٣٠٣/٧].

[٥]

وإذا كان ديوان شعره يشتمل على أربعين ألف بيت –كما قرر الباخرزي– فلابد أن ديوان نثره كان يقع في عدة مجلدات. ولقد نال نثره إعجاب أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت٥١٨هـ) –صاحب مجمع الأمثال– فتولى انتقاء أحسن ما عنده من نثره، وسمّى كتابه (منية الراضي في رسائل القاضي) يقع في عشرة فصول هي:

١. التهاني.
٢. الشكر.
٣. المادح والأثنية.
٤. الشوق والحنين.
٥. العتاب والاستبطاء.
٦. الشكوى والاعتذار.
٧. العيادة والتعزية.
٨. المداعبة والمطايبة.
٩. الأوصاف والتشبيهات.
١٠. التصديرات والأدعية.

ومن حسن التوفيق أن يصل إلينا هذا الكتاب وتولّى الدكتور محمد يونس عبدالعال تحقيقه ودراسته (القاهرة، ٢٠٠٧م).

[٦]

الهروي شاعر مطبوع، حلو الألفاظ، لطيف المعاني، قليل التكلّف، جميل النسج، مليح التصنيع.

أما أغراض شعره فتتناول: الحماسة والغزل والمدح ووصف الطبيعة، والحكم والتهاني وغير ذلك.

عانى الهروي الأدب بفنية: الشعر والنثر، وكان متمكنًا منهما، مقتدرًا عليهما، معروفًا بذلك لدى معاصريه ومترجميه، ومع أنه كان كاتبًا مترسلاً بليغًا، فإنه عُرف بالشعر أكثر ممّا عرف بالنثر، حتى أنّه قورن بالشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) الشاعر المشهور.

طرق الهروي فنون الشعر التقليدية فأجاد في الكثير منها، خاصة في الفخر، وكان يُعنى بألفاظه عناية خاصة وينتقي أخفها، ويؤثر أكثرها إيقاعًا وتأثيرًا في النفوس، وكان يحفل بمعانيها فيشبعها، ويوضحها دون اللجوء إلى ما يغمضها.

لقد تهيأ للهروي أن يركز معانيه، ويعرضها عرضًا محكمًا حتى أصبحت أمثلة تدور على شفاه الناس.

ولعل خير ما يمثل لغة الهروي الشعرية الصافية، وبراعته في عرض معاينة، والتأثير في الآخرين بأسلوب يجمع بين السهولة والجزالة، حتى ليخيل لقارئه أنه يكاد يكون نسيج وحده، وتدهش القارئ قدرته على التصرف بالمعاني على الرغم من إكثاره النظم في الغرض الواحد، يتضح هذا في فنه الذي كاد يختص به وهو الفخر كما أسلفنا وكذلك الحكمة.

كان الهروي شديد العناية بالتقاط اللفظ المناسب، وكان يعمد إلى صياغة

ذلـك كلـه صـياغة شـعرية مكثفة، من أجـل هذا غلـب على المجموع من شـعره المقطعات، ويتجلى نفسـه الشـعري الطويل في قصيدتين يضـمهما هذا الديوان: رقم ٥ ورقم ٢٤.

لقد كان الهروي شاعرًا موهوبًا، لكن انشغاله بالقضاء حدّ من موهبته كثيرًا وافتقادنا لمعظم شعره، يصرفنا عن الحكم على شاعريته في صورة دقيقة.

ولم يكن الرجل من الشعراء المحترفين، المتكسبين بالشعر، فباستثناء مدحه للخليفة القادر بالله – الذي تولى السـلطة عام ٣٩١هـ – وهو ممّا لم نقف عليه، لم نعـثر له على قصـائد في المدح. كما نلاحظ أن صـلته الوطيدة بأبي منصـور الثعالبـي جعلت الأخير يهديه كتابـين هما: الإعجاز والإيجاز واللطيف في الطيب وهذا برهان على مكانته الاجتماعية.

إن ما تجمع لدينا من شـعر منصـور بن محمد الهـروي لم يكن كثيرًا، فلقد تيّسـر لنا بعد جهد مضـنٍ جمع ٦٥ قصـيدة وقطعة ونتفة، وهو رصـيد متواضع لايناسب الرقم الذي ذكره الباخرزي، ومَنْ يدري لعل الزمن يجود علينا بديوانه، أو يكشـف مخطوطات تضـم قصـائد جديدة له، كما إننا ننتظر أن يحظى هذا الجهد بالاستدراك.

وختامًا أقدم الشكر الحفيل لأخوين لمست منهما العون في حل بعض المشكلات التي جابهتني في صـنع هذا الديوان هما: الأسـتاذ الدكتور عبدالله عبدالرحيم السوداني والأستاذ الأديب بنيل العطية.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

١ - الديوان

قافية الهمزة

[١]

- وقال: [الكامل]

قُـمْ يـا غـلامُ فـهـاتِـهـا حـمـراءَ ... كـالـنـارِ يـورثُ شُـربُـهـا الـسـرّاءَ
فـالـيـومَ قـد نشـر الـهـواءُ بـأرضـنـا ... مــن ثـلـجِـه ديـبـاحـةً بـيـضـاءَ

[٢]

- قال: [مجزوء الخفيف]

يَـومُ دَجْـنٍ هَـواؤه ... فـاخـتـيٌّ رواؤُه
مَـطـرتْـنـا مَـسَـرّةً ... حـينَ صـابـتْ سَـمَـاؤه
أشـبـهُ المـاءِ راحـةً ... وحـكـى الـراحَ مـاؤه
داوِ بـالـقـهـوةِ الخُـمـا ... رَ فـفـيـهـا دَواؤه
لا تـعـاتـبْ زمـانَـنـا ... إن عَـرانـا جَـفـاؤه
شِـدَّةُ الـدَّهـرِ تَـنْـقـضـي ... ثـم يـأتـي رَخـاؤُه
كـدرُ الـعَـيْـشِ لـلـفـتـى ... يَـقْـتـفـيـه صَـفـاؤه
وكـذا المـاءُ يـسـبـقُ ... الـصَـفـوَ مـنـه جُـفـاؤه

[٣]

- وقال من قصيدة: [المتقارب]

شَـمـائِـل مُـشْـرقـة عَـذْبـةٌ ... تَـعـادلَ رقّـتُـهـا والـصَّـفـاءُ
فـهـنّ الـعِـتـابُ، وهـنّ الـدُّمـوعُ ... وهـنَّ المـدامُ وهـنَّ الـهَـواءُ

[٤]

- وقال: [الوافر]

مُـعـتَّـقـةٌ أرقُّ مـن الـتـصـابـي ... ومـن وَصْـلٍ أتـى بعدَ التنائي

يـطـوفُ بـهـا قَـضـيـبٌ في كثيبٍ ... تـطـلّـع فـوقَـه بـدرُ الـسـماءِ

لـواحـظُـه تـبـثُّ الـسـحَـر فينا ... وفي شَـفـتيـه أسـبـابُ الـشـفـاءِ

قافية الباء

[٥]

- قال القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الهروي: [الطويل]

أأضحك أم أبكي وأرضى أم اغضبُ ... وأُعــذر فـيـمـا قـلـتـه أم أؤنـبُ

خيالـكـما أوعــى وواف لما أرى ... ومـعـذرةً ممّـا أروم وأخـطـبُ

أمن بعد هذا العمر لم تقض حاجةً ... ويذهب هـذا الدهر لم يكف مكسبُ

أتسعى بهذا الغيم لم تهم قطره ... ويـنـجـاب هـذا الليل لم يبدُ كوكبُ

إلامَ وفـيـم الـعـجـزُ لا الـهـمُّ واعـدٌ ... ولا الـرأي منحلٌّ ولا العـزمُ لولبُ

وكيف أزجّي الوقت لا موضع يُرى ... ولا سعد لي يُرجى ولا نحس[٦] مذنبُ

وفيم امتناعي دون قاصية المدى ... إذا لم يكن عن مذهب الجدّ مذهبُ

أأكرع في الأوشال، والبحر معرضٌ ... وأقـنـع بـالإخـفـاق، والـنـجـح مكسبُ

سأهجر أسبابَ الهوينى وأذهبُ ... بوجهي إلى الوجه الذي هو أصوبُ

وأبعد عن أرض تُهزّ بها العصا ... فتمضي وينبو المشرفيّ المجـرّبُ

وتصطادفيهاالهامُ[٧]والبومُماشتهتْ ... وتذوي البزاة البيض جوعًا وتعطبُ

ويُستملحُ العَذبُ الزلال فيُحتوى ... ويُستعذبُ المِلح الأجـاج، فيُشربُ

أفي الحقّ أنّي كلّما رمتُ رتبةً ... تُعرِّض لي من دون ما أتطلّبُ

يُريدون لي الأمرَ الذي لا أريده ... ويأبون في ما فيه أسعى وأنصبُ

يرومون في أدنى الحَضيض وهمتي ... إلى حيث أفراد الكواكب تنصب

فلو كانت الأخلاق تحوي وراثةً ... ولو كانت الأهواءُ لا تتشعبُ

لأصبحَ كلّ الناس قد ضمهم هَوى ... كما أن كلّ الناس قد ضمّهم أبُ

ولكنها الأقدار كلٌّ ميسرٌ ... لما هو مخلوقٌ له ومقرّبُ

فقوم لهم في مسبح الحوت مطلبٌ ... وقومٌ لهم في مطمح النسر مطلبُ

وما غضّ مني غير أنّي مُملقٌ ... وقد آب قومٌ في الغِنى وتأشبوا[٨]

وعن عادة في الناس باقٍ رسومها ... على الدهر لا تخطى ولا تتنكّبُ

يرادُ الجنابُ المحتوى وهو مخصبٌ ... ويُطوى الجَناب المجتبى وهو مجدبُ

وليس يضرّ السيف أن رُث غمده ... ورونقه في المتن والجدّ معضبُ

وما يضعُ الساق [ ] حلّه[٩] ... ولا يرفع المسبوق جدّ ومركبُ

وما يستوي الشخصان هذا مصعِّد ... إلى المرقب الأعلى وهذا مصوّب

ويشتبه البرقان هذا مبشّر ... بغيثٍ، وهذا كاذب اللمع خلّب

ولولا العيون الرمد ما كان يستوي ... على حاله ضدان: حورٌ وعيّبُ

إذا كنت مضروبًا بسيف تعرزي (؟) ... به فعلى من كنت بالشعر أعتبُ

وألحظ قدري عند من أنا إلفه ... فماذا أرجّي عند من هو أجنبُ

سيبدو لمن فارقت أيّ ذخيرة ... أضاع إذا ما كان يوم عصبصبُ

ويعلم من يُضحي ويُمسي كأنه ... [ ][١٠].

ومن يحسب الأكدار ضربة لازبٍ[١١] ... عليّ فإنّي غير ذلك أحسبُ

تنفّس محروب فسار لطيةٍ ... سيصدر عنها غانم أو مخيّبُ

وإن ضيعتنا الدار يومًا فربما، ... وإن تكن الأخرى بكأس سنشربُ
ولَلْموتُ خيرٌ من حياة مهينةٍ ... يعذبني فيها المُهينُ المعذِّبُ
وكنت أرى أني أزين عَشيرتي ... فإن سيبهم[١٢] والصرم [أولى] وأوجبُ
فللأرض عن دار القلى[١٣] متحوّلٌ ... وللحر مرعىً حيث كان ومشربُ
وإن أنا أحسنت الزمان بأسره ... تجاوزت عن ذكري مقلٌّ ومسهبُ
فتعسًا ونكرًا عند كلّ إساءةٍ ... وليس لدى الإحسان أهلٌ ومرحبُ
أفكّر في حالٍ وحالٍ فأعجبُ ... ولو أنني أُنصفتُ ما كنت أعجبُ
فكل قران فيه إحياء سنّةٍ ... وفي كل ما قرنٍ سدومٌ وجندبُ
أضاع احترامي حُرمتي وأحلّني ... خضوعي بحيث المستذلّ المعتّب
تضمنني من لو حوى الماء سخطَه ... لأعرضتُ عنه والصدى متلهّب
ومازال بي إقصاؤه واطّراحه ... وإبعاده، والمرء حيث يرتّبُ
ألا إن كأمس [ ] كلّها[١٤] ... وجانبني منهم قريبٌ وأجنبُ
وقالوا: ضَعيفُ الرأي يتبّع الهوى ... ويتعبُ في طرق التصابي ويدأبُ
ولو كان فيه للتقدم موضعٌ ... لكان أبوه عنه لا يتنكبُ
فأصبحتُ مهجورَ الجوانِب منشدًا ... (كأنّي مَطليٌّ به القَارُ أجربُ)[١٥]
فلو أنني أحللت، يُنسى محلها ... لما كان عِرضي مغنمًا يُتنهّبُ
سأبعثها والجو بالشهب أبلقٌ ... وأحثثها والليل بالصبح أشهبُ
ولا أتوخّى الظل وهو مطيّبٌ ... ولا أتوقّى الشّمس وهي تذوّبُ
وإني في ظلّ المقام وبردِه ... وظنّي أن العيشَ في البيت طيّبُ
إلى أن أحطّ الرِجل في منبت العُلى ... بحيث الثرى يبتلُ والعودُ يرطبُ
وحيث الندى ينهلّ والحمد يُقتنى ... وحيث جناب المجد ريّان معشبُ
لعلَّ زماني يستفيقُ ويعتبُ ... فاخطو لما يُعمي الحَسود ويتعبُ
وعمر عجيب إن ترقّيتُ في الذُّرى ... ولي في اجتياز المجد نَفسٌ ومنصبُ

[٦]

– وله في النرجس: [الكامل]

ومهفهف لما تثنى خلته غصنًا يجدّ به النسيمُ ويلعبُ
أوهى إليّ بكأسه فشربتُها وحسبتُني من وَجنتيه أشربُ
ودنا إليّ بطاقة من نرجسٍ فحسبتُ بدرًا في يديه كوكبُ

[٧]

– وقال: [الطويل]

إذا كنتَ ذا علم ومـاراكَ جاهلٌ فأعرِضْ ففي ترك الجواب جَوابُ
وإن لم تُصبْ في القول فاسكت فإنما سكوتك عن غير الصَّواب صَوابُ

[٨]

– وقال: [المنسرح]

أفدى الذي كلّما تأمله طرفٌ كادَ الضمير يلتهبُ
ينتهبُ اللّحظ وردَ وجنته ولحظه للقلوب منتهبُ

[٩]

– وقال: [الكامل]

قَرنَ الزَّمانُ إلى البَنفسجِ نَرجِسًا مُتبرِّجًا في حُلّةِ الاعجابِ[٢٠]
كخدود عُشّاقٍ بدت مَلطومةً نَظرتْ إليها أعينُ الأحبابِ[٢١]

[١٠]

– وقال من قصيدة: [المتقارب]

وأسكرني بَدرُ تمٍّ غَدتْ من الورد وجنتُه في نِقابِ[٢٣]
بخمرِ الدِّنانِ وخَمرِ الجُفون وخَمرِ المُحيا وخَمرِ الرُضابِ

[١١]

- قال: [مجزوء الكامل]

إن شئتَ أن تُدعَى أخا الـ ... ـكرمِ السَّليمِ من العُيوبِ

فاصبرْ على خمسٍ بها ... يبدو التقيُّ من المَشُوبِ

كفَّ الأذى، واخفضْ جنا ... حَكَ، واجتنبْ قُحمَ الذنوبِ

واغرسْ أصولَ العُرفِ واجـ ... ـنِ بها مَودات القُلُوبِ

واعجلْ إلى الإنصافِ طَلـ ... ـقَ الوَجهِ مأمونَ القُطُوبِ

[١٢]

- وقال: [الكامل]

لـمّا عدمتُ وسيلةً ألقى بها ... رَبّي تقي نَفسي أليمَ عذابها

قدّمتُ رحمتَه إليه وسيلةً ... وكفى بها، وكفى بها، وكفى بها

قافية التاء

[١٣]

- وقال: [الطويل]

سكوتي كلامٌ والكلام سكوتُ ... ولي طَمع أحيا به وأموتُ

وليس لروحي غير قربك راحةٌ ... ولا لفؤادي غير حبك قوتُ

وصبري قليلٌ والهموم كثيرةٌ ... وأنت بخيلٌ والزمان يفوتُ

ومَنْ لي بحسن الصَّبر عنك وإنّما ... وصالك لي ماءٌ وقلبي حوتُ

[١٤]

- وقال: [البسيط]

يا أيها العاذلُ المردودُ حُجّتُه ... أَقصرْ فعذريَ قد أبدتْه طَلْعتُه

ماذا بقلبيَ من بدرٍ بليتُ به ... للّيثِ أخلاقُهن والخِشف خِلقَتُه

[١٥]

- وقال: [البسيط]

نظمتَ لؤلؤَ دمعي ثمّ بنتَ فَخذْ ... بكلِّ لُؤلؤة إنْ شئتَ ياقُوتَه

وأنتَ قُوتٌ لروحٍ لابقاءَ لَه ... إلاّ به بعلامَ الهجرُ ياقوتَه

[١٦]

- وقال: [الوافر]

رَجوتُ نَدى أبي العبّاس لمّا ... رأيتُ غُصونَه ورقتْ ورقّتْ[٣٠]

فجئت وكنت أرجو النُّصحَ فيه ... وقد نشفَ الندى وجفتْ وجفّتْ

على أني أصبتُ لديه غُنمي ... لتجربةٍ شَفتْ وكفتْ وكفّتْ

قافية الثاء

[١٧]

- وقال: [الوافر]

إذا ما كنتَ متخذًا صديقًا ... فجرّبه بأحوالٍ ثلاث:

مشاركةٍ إذا ما عنّ خَطب ... وإسعاف بعين أو أثاثِ

وسرّك فأتمنه عليه وانظر ... أيكتمُ أم يذيع بلا اكتراثِ

فإن صادفتَ ما ترضى وإلاّ ... فإنَّ المرءَ ذو عقد رِثاث

قافية الجيم

[١٨]

- وله: [الكامل]

يا مَنْ أنافَ بلحيةٍ تَيسيّةٍ ... بدّلتنا بالوَردِ شَوكَ العَوْسجِ

قد كنت تدنسنا بطلعة كوكبٍ فرجعت تُوحشنَا بطلعةِ كوسجِ[٣٣]

[١٩]

- وقال: [الوافر]

وأغيد ساحرِ الألحاظِ أدعجْ يتيه به على الخدّ المفرّجْ

أضافَ إلى فؤادي السقم لما أضافَ إلى شقائِقه البنفسجْ

[٢٠]

- وكتب ببغداد إلى صديق له، يدعوه في أيام الورد وبلغه أنّه متشاغل بالنرد [م. الرمل]

نحن بالنجمي في يو مٍ كما ترضاه أبلجْ

ناضر النبت، رقيق الـ جور رطب الطلّ سَجسجْ[٣٦]

بين منثورٍ وخيري وورد وبنفسجْ

ولنا وجه من الجو نة كالروض مدبّج[٣٧]

ومع اللّفات وسطٌ وشواءٌ وملهوج

ولنا راح كمثل النْـ ـنار في الكاس تأجج

ومغن ساحر الألـ حاظ ساجي الطرف أدعج[٣٨]

فإذا شاء تغنّى وإذا شاء تغنّج

فاختر الورد على النر د وجئنا نتفرج

قافية الحاء

[٢١]

- وقال: [البسيط]

خشفٌ من التُّركِ مثلُ البَدرِ طَلعتهُ تحوزُ ضدَّين من لَيلٍ وإصباحِ[٤٠]

كأنَّ عَينيه والتَّفتيرُ كُحلُهما آثارُ ظُفرٍ بَدَتْ في صَحن تفاحِ[٤١]

قافية الخاء

[٢٢]

– ومن محاسنه قوله: [البسيط]

فصلُ العَصير وشهر الصَوم ينسلخ، وأيّ عهد وعقد ليس ينفسخُ؟
فما لنا لانرى شيئًا نُسرُّ به ونحن شوقًا إلى اللّذات نصطرخ
والعود أخرس والساقي على طَرف والكأس في جانب والزِّقّ منتفخُ
والروض أخضرُ نضر والهواء ندٍ والقلب باللّوم والتعنيف منتسخُ
وللعصير اغتباط في تلوّمنا يكاد من حَرّه في الدّن ينطبخُ
فهاتها مزّةً حمراءَ صافيةً تُملي السرور على قلبي فينتسخُ
وسابق الدهر إن الدهر ذو غِيَرٍ ونحن في غفلةٍ والعمر ينسلخُ

قافية الدال

[٢٣]

– وكتب إلى «أبي منصور الثعالبي»[٤٤]: [الوافر]

جعلتُ لك الفِداء لو انَّ كُتْبِي بحسبِ تكثّري بكَ واعتِدادي
إذًا لجعلتُ أقلامي عِظامي وطِرسي مقلتي ودَمي مدادي

[٢٤]

– وقال: [الكامل]

قد زار طيفُك لو ألمَّ براقدٍ أهلًا به من زائرٍ بل عائدِ
ما كان طَيفًا طافَ لكن خطرة خَطرتْ على قلبي المعنّى الواجدِ[٤٦]
فتماثلتْ فيه خَيالاً زائرًا أوْلا فكيف يصحّ رؤيا السّاهدِ
أفدي الذي ودّعتُ يومَ وداعِه قلبي وصَبري في نظامٍ واحدِ

رشأ حكى بدرَ السماء طَلاقة   بطلاقة وتباعدًا بتباعُد
إمّا رَنا خَجلَ الغزالُ، وإنْ مشى   لم يعتَدلْ قَدُّ القضيب المائدِ[٤٧]
يا هاجرًا ذكراه تأبى هَجَره   ومباعدًا والطيفُ غيرُ مباعد
لو شئتَ علّلت المحبَّ بموعدٍ   لا تبخلنَّ فلستَ أصدقَ واعدِ
خلّفتني أعدُو بصبر ناقص   وجوى على مرّ الليالي زائد
وإذا عزمتُ على التَجلّد رَدّني   شَرخُ الشبابِ وثقلُ حُبٍّ راكد
ولربّما لاقيتُ أسبابَ الهوى   بجوانح صُمٍّ وطَرفٍ جامدِ[٤٨]
ولقد تركتُ لك المذاهبَ كلَّها   وهجرتُ فيكَ طرائقي ومقاصدي
حسبي جميلُ تصبُّري وتجلُّدي   إنْ صابني دَهرٌ بصوبِ شدائد[٤٩]
أنسيتُ أنْ مَدَّ الظلامُ رواقَه   منّا على شَفْع كشخصٍ فاردِ
بتنا وحارسُنا الدُّجى وكأننا   صَفوُ المدامةِ بالزّلال البارد
ولقد عزمتُ على السِّحاب الجَون في   سُقيا رُسوم بالحمى ومعاهد[٥٠]
دِمنٌ صَحبتُ الدهرَ في عَرصاتها   نَشْوانَ مُشتملاً بثوبِ مُساعدِ[٥١]
حين الصِّبا وافي الذوائبَ والهَوى   عَذبُ الموارد مُعرِض للوارد
زَمنٌ تصرَّمَ وانقضى فكأنّه   طيفُ الخَيال رأته عينُ الهاجدِ[٥٢]
رَقّتْ حواشيه كما رقّ النَّدى   في أخضَرٍ نَضرٍ وأحمرَ جاسدِ
وصفا فلو أنّي عدلتُ عدلتُه   بشمائلِ الشيخ الجليل الماجد
قد فلّ صرف الدهر حدَّ عزائمي   جدًّا وكدّرت الخطوبُ مواردي
وأرى الليالي قَصّرتْ باعي ولوْ   أنصفتُ ألفتني طويلَ الساعد
وثنتْ عناني جُهدَها ولو انّها   أطلقنَ منه بنانَ سَبْقُ الذائد[٥٣]
وغدا الزمانُ معاندي ولو انّه   عَرفَ الرجالُ لكانَ غيرَ مُعاندي
وسعى يروم لي الفسادَ ولو دَرى   مَن عُدّتي لسعى ليصلحَ فاسدي

وأنا الشِّهابُ خَفيتُ في أرضي وإنْ ... سافرتُ لاح سَنا الشِّهابِ الواقد
وأنا الحُسامُ انقضَّ عني رَوْنقي ... وبليتُ من صَرفِ الزمانِ بغامد(٥٤)
ولقد صَعبتُ فما تلينُ معاجمي ... للعاجمين ولا تحلُّ معاقدي(٥٥)
واشتطّ حسّادي وإنْ ظفرت يدي ... بأبي المظفّر ثاخَ نجمُ الحاسد(٥٦)
لقد اهتديتُ من الوزير بكوكبٍ ... في ظُلمة الأيام ليس بخامد
ومن اغتدى الشيخُ الجليل عميدَه ... لم يخش عاديةَ الزمانِ المارد
ومن استظلَّ ذَراه أدرك ما ارتجى ... في ظلِّ فضل منهُ بادٍ عائد
رجلٌ يُجيرُ على الحوادثِ جارَه ... ويبيحُ خِصبَ جَنابِه للراشد
ويفيضُ في طَوريه صوبُ سَمينه ... كالغيث بينَ بَوارق ورواعد
متدرعٌ حُللَ الأمانةِ باذلٌ ... للمُلك إشفاقَ النصيح الجاهد
وإذا دجتْ قُحمُ الخطوب سمالَها ... بِعَزائم لدُجى الخطوب طَوارد
وإذا بنى أكرومةً بلغَ المدى ... تثبيتَ أركان ورفعَ قواعد
خلقٌ كما ابتسمَ الربيعُ وطَلعةٌ ... كالبدر أشرقَ في الظلام الحاشد
وأغرُّ رحبُ الباع نالَ مراتبًا ... في المجدَ طالبهنَّ ليسَ بواجد
يا من لو انّ الناس أيامُ الهوى ... كان الوصالُ عَقيبَ هُجْرٍ آمد(٥٧)
ولو انَّهم كانوا فصولَ زَمانهم ... كان ابتسامًا في الربيع الوافد
لمّا ذكرتُك في القريض أفدتُه ... فخرًا يدومُ على الزمان الخالد
ولقد عقدتُ على القوافي منّةً ... بل طُلْعة ليست لها بجواحد
كانت شواردَ نفرًا حتى دَرتْ ... من ذا مدحتُ فجئن غيرَ شوارد
وتزاحمتْ فَلوانّها مختارةٌ ... لتبدّلتْ كلماتُها بقصائد
خلّصتُها ونقدتها لكنّها ... نُقدتْ من الشيخ الجليل لناقد
أصدرتُها ولو انّني نلتُ المنى ... لَصحبتُها في ضمن لَفظ شارد
ولقد بذلتُ لك المودة مَحضة ... والله والقولُ المنقِّح شاهدي

ووثـقـتُ مـنـكَ بـنـيلِ مـا أنـا آمـلٌ ... ولـو انّـه لَمـسُ الـنُّـجـوم لـقـاعـدِ

[٢٥]

– وقال: [السريع]

مَـــنْ وجـهـه كـالـقـمـرِ الـفـردِ ... أقـبـل في قـرطـقـهِ الـــورديّ[٥٩]

يـسـعـى عـلـى الـــورد بـــوردّيـةٍ ... يُـكـسـد سـوقَ الـعـنـبرِ الــوردِ

فـاغـدُ عـلـيـنـا تـرَ مـا شـئـت مـن ... وردٍ، عـلـى وردٍ، عـلـى وردِ

[٢٦]

– وقال في الورد الأصفر: [الكامل]

أدر المـدامــةَ يــا غــلامُ فـإنّـنـا ... في مجلسٍ بيدِ الربيع منجّدِ[٦١]

والـــوردُ أصــفــرُه يـلـوحُ كـأنّـه ... أقـــداحُ تـبـرٍ كُـعّـبـتْ بـزَبَـرْجـدِ[٦٢]

[٢٧]

– وقال في المدح: [الخفيف]

وفـتـقـنـا المـسـك الـــــذي[٦٤]

وجـرحـنـاه بـالـعَـبـيرِ وبـالـور ... دِ فأهدى ما لم يكن قطّ يُهدي

وسـجـايـاكَ حـيـنَ يـنـشـرهـا المـا ... دحُ أذكـى مـن كـلِّ مـسكٍ ونَـدِّ

[٢٨]

– وقال: [الكامل]

الآنَ أطـلـعـتِ الـنُّـجـومُ سُـعُـودا ... والأنـسُ أصـبـحَ مَـنـهـلاً مَـورودا

وتـبـسـمـت أيـامـنـا بـعـدَ الـعُـبـو ... سِ وَورَّدتْ وجـنـاتُـهـا تَـوريـدا

والـدَّهـرُ أحـسـنَ بعد طول إسـاءةٍ ... فـغـدا لـــواءُ سُــرورنـا مَـعـقُـودًا

وأرى الـزمـانَ الـيـومَ انـضـرَ مَـنـظرًا ... وأرقَّ أوراقًــــا وأرطـــبَ عُــودا

اليومَ أعطَتنا السُّعودُ عِنانَها طَوعًا، وأولتنا النُّحوسُ صُدُودا
اليومَ قابلَنا الزمانُ بِوجهه طَلقًا، ونلنا عِزَّنا المَنشُودا
بقدومِ مَنْ نطقَ العدوُّ بفضله ومن اغتدى للمكرماتِ عَتيدا
السيِّدُ الفردُ الذي أمستْ عليـ ـه المآثراتُ سرادقًا مَمدودا
لله غُرتهُ التي مذْ أشْرقتْ غَدتِ الوجوهُ من الأعادي سُودا
لازالَ في حُللِ المَسرّةِ رافِلاً يَغدُو ويُمْسِي نَجمُه مَسْعودا

قافية الذال

[٢٩]

– وقال: [الطويل]

فإنْ يرتجون البدرَ في العام مرةً يلذْ عامَه من كاسفٍ بملاذِ
كما جذبتْ قلبي جفونُك لم يكن ليحسن جذبَ التبن فصُّ بجاذي(٦٧)

[٣٠]

– وقال: [السريع]

يا من وقع الكسوف بدر كنتَ له لمحةً محاذي
كما سلبتَ الفؤادَ مني ما سلبَ التبنةَ البجاذي

قافية الراء

[٣١]

– وقال: [الخفيف]

رَوضةٌ غضّةٌ علاها ضَبابٌ قد تجلّتْ خلالها الأنوارُ(٧٠)
فهي تحكي مجامرًا مذكَياتٍ قد علاها من البخور بخارُ

[٣٢]

- وقال في ترجمة فارسية: [الطويل]

رأيت غذاء الطفل دِرّة أمه ... وإن غذاء الشّيخ صرفٌ من الخمر
فراجع من الجام الفراش عَشيّةً ... وفارق من الجام الفراش مع الفجر

[٣٣]

- قال: [السريع]

قِصة تقصيري فيها قِصَرْ ... فأذنْ بعذرٍ مشبعٍ مُختَصرْ
شيئان عذري فيهما واضحٌ: ... سوادُ حالي وبياضُ البصرْ

[٣٤]

- وقال في البنفسج: [الكامل]

طلعَ البنفسجُ زائرًا أهلاً به، ... من وافدٍ سرَّ القلوبَ وزائرِ
فكأنما النقّاشُ قطّع لي به ... من أزرقِ الدِّيباجِ صُورةَ طائرِ(٧٤)

[٣٥]

- قال أنشد «عزّ الدين الحازمي» له: [البسيط]

قالوا: دَعِ العينَ تمسكْ، قلت لو فعلت ... وصَبِّر القلبَ يصبرْ، قلتُ: لو قدرا
الوجدُ بعدهمُ حفظٌ لعهدِهم ... والصَّبر غَدرٌ بهم، لا كانَ مَنْ غدرا

[٣٦]

- وقال: [السريع]

عبدك أهدى لك دينارا ... ودرهمًا يرجحُ معيارا
فلو أطاقَ العبدُ ما يشتهي ... لكان يهدي لك قنطارا
وخاتمًا فيروزجًا فصُّه ... قدّمه للفأل مختارا(٧٧)

فانظر إلى ما جل فألاً ولا ... تنظر إلى ما قلَّ مقدارا

[٣٧]

- وقال في المرآة: [الرجز]

زاهيةٌ تُشبهُ كلَّ صورهْ ... أسرارُهَا مستورة مَشْهورهْ[٧٩]

تنمُّ إلّا أنّها معذورَهْ ... نَفسُ أخي الحُسنِ بها مَسْروره

[٣٨]

- وقال: [السريع]

إذا التوى أمر ولم يستقمْ ... فالرأي أن تختارَ تأخيرَهْ

فكلّ ما ضرّك تقديمه ... فإنَّ في تأخيرهِ خيرَه

[٣٩]

- وقال في الشرب على الثلج: [الكامل]

قمْ لاعدمتكَ فاسقني من قهوةٍ ... لو أُبرزت للشمسِ أخبت نورَها

وانثر على الذهب اللّجين أما ترى ... نثر السّماءِ على الثرى كافورَها

[٤٠]

- وقال في فتى قامره: [م. الكامل]

رشـًا فتور جفونه ... يهدي الفتور إلى البَشرْ

ورد الجمال بخدّه ... ينبّثُ في وردِ الخفرْ

قامرته بالكعبتيـ ... ـن مساهلاً حتى قُمرْ

فازداد حُسنًا وجهه ... لما رأى وجه الظفرْ

فنعرت نعرةَ عاشقٍ ... قُمر القَمر، قُمر القَمرْ

قافية الزاي

[٤١]

– وقال: [الوافر]

جرت لك عادة في الخير عندي ... بلغتُ بها المدى شرفًا وعزّا
وقد حان انتقاضٌ من قواها، ... فطار القلب مني واستفزّا
فلا تقطع بواحدة ولكنْ ... (إذا لم تكن إبلٌ فمعزّى)(٨٤)

[٤٢]

– وقال: [المضارع]

ياربِّ أذللتَ قومًا ... ياربِّ كن لي مُعِزّا
سمّيتني لك عبدًا ... حَسبي بذلك عِزّا

قافية السين

[٤٣]

– وقال في الورد الأصفر: [الكامل]

أَنَسِيتَ إذ نبّهت من نبّهته ... والفجرُ من خَللِ الدُّجى يتنفسُ
يسعى إليك مع المدام بوردة ... صفراء يحكيها لمن يتغرّسُ
كعبٌ من الميناء ركّب فوقه ... جامٌ من الذهب السبيك مسدّسُ

[٤٤]

– وقال: [الطويل]

إذا حاجةٌ عنّتْ لحرٍّ فقمْ بها ... ووجهُك حُسنُ البشرِ فيها لبوسُه
ولا تكُ جُهمًا إن يومك بائسٌ ... يَخبْ ويُضاعَفُ في عبُوسِك بوسُه

فكم جرّ حَمدًا للبخيل ابتسامهُ وكم جرَّ ذمًّا للجواد عبوسُه

[٤٥]

- وقال: أنشدنا أبو عبدالله الكرماني، أنشدنا أبو أحمد منصور بن محمد الأزدي لنفسه: [البسيط]

عليكَ نفسَك فانظر كيف تُصلحُها وخلّ عن عثرات الناسِ للناسِ

فالذمُّ في الناس للمحصي معايَبهُم والحمدُ عِندهم للغافلِ الناسِ

قافية الشين

[٤٦]

- وقال: [الوافر]

كتبتُ ولي بذكراكَ انتعاشٌ ولكنْ بي من السُّكر ارتعاشُ

وللشَّادي نَشاطٌ وانبساطٌ وللساقي احتثاثٌ وانكماشُ

وما يَروى العِطاشُ بغيرِ ماءٍ وأنتَ الماءُ إذْ نحنُ العِطاشُ

فإن تسرعْ فَوجهي والنَّدامى وإن تُبطئْ فَجنبي والفِراشُ

قافية الصاد

[٤٧]

- وقال: [الطويل]

ومنتقب بالورد قبّلتُ خدَّه وما لفؤادي من هَواه خلاصُ

فأعرضَ عنّي مُغضبًا قلت: لا تَجرْ وقبّل فمي إنَّ «الجروح قِصاصُ»(٩١)

[٤٨]

- وقال: [الوافر]

أبا «عبدِالإله» العلمُ روحٌ وجدتك دونَ كلِّ الناسِ شخصَهْ(٩٣)

لذلك كلُّ أهلِ الفضلِ أمسوا　　كحلقةِ خاتمٍ وغدوتَ فُصَّهْ

قافية الضاد

[٤٩]

– وقال: [الطويل]

كفى حزنًا أن زارني من أحبُّه　　فأعرضتُ عنه لا ملالاً ولا بغضا
ولكن نهتني عنه نَفس أبيّةٌ　　إذا لم تجد كلَّ المنى ردّت البعضا

قافية الطاء

[٥٠]

– وله في مطرب مختطّ: [السريع]

وشادن تفعل ألحاظه　　بالقلب ما لا يفعل السِّحر قطْ
لم أنسه يكسرُ أعطافَه　　والوردُ من وجنته يُلتقطْ
مرتبط البَربط في حجره　　يا ليتني بربطه المرتبطْ[٩٦]
معتدلاً ضربًا وصوتًا معًا　　كما التقى للعين خَدٌّ وخطْ

قافية الظاء

[٥١]

– وقال: [الكامل]

لا تَغبط المتورطين وإنْ غدوا　　ومحلُّهم بين الورى مَلحوظ
وانظر مصارعَهم تكن لك عبرةً　　إن السعيدَ بغيرهِ مَوعوظ[٩٨]

[٥٢]

– وقال: [الهزج]

إذا ما كنتَ لا تحظى　　فلا تستعمل اللَّحظا

فأشقى الناس من يستعـ ـمل اللحظَ ولا يحظى

قافية العين

[٥٣]

– وقال: [الطويل]

وجاء نسيمُ الريح يهدي تحيةً إلينا بأنفاس الرياض يُشيَّعُ[١٠١]

وقد نبّه الأنوارَ فابتسمتْ لنا وأعينُها باللؤلؤ الرطبِ تدمعُ

قافية القاف

[٥٤]

– وقال: [الكامل]

يا من يدلّ بحسنِ خَلقه حُسنُ الفتى في حُسن خُلقه

والحسن في خُلق الفتى فيه دلائلُ طيبِ عرقِه

قافية اللام

[٥٥]

– وقال: [السريع]

وشادنٍ في الحُسن فوقَ المثلْ أبصرَ مني بوجوه العملْ

قبلتُ كفّيه فقال انتقلْ إلى فمي فهو محلُّ القُبلْ

قافية الميم

[٥٦]

– وكتب إلى السيّد شرف السادة محمد بن عبيد الله الحسيني البلخي:

[الطويل]

فِداؤك نفسي قد محتني يدُ البلى ... على أنني فيما ترى العينُ سالمُ[105]
وهيهات مالي في السلامة مطمعٌ ... ولكنني مستسلم متسالمُ
أؤمل أنْ ألقاكَ يومًا وليتني ... فيلقى هشامًا سالم الملك سالمُ
سلمتَ ففي ظلّ السلامة يكتسي ... ملابسها للمكرمات مسالمُ

[٥٧]

- وقال: [الطويل]

فلا تأمنن الناسَ إنّي بلوتهمُ ... فلم يبد لي منهم سوى الشرّ فاعلمِ
فإن تلق ذيبًا فاطلب الخيرَ عِنده ... وان تلقَ إنسانًا فقل: ربّ سلّمِ

[٥٨]

- وقال: [الكامل]

الله جارُ عصابةٍ رحلوا ... عني وقلبُ الصَّبِّ عِندهمُ
ما الشأن ويلك في رحيلهم ... الشأن أنّي عشتُ بعدهمُ[108]

قافية النون

[٥٩]

- وقال: [الطويل]

إذا أنتَ طالعتَ الهلالَ تركتَه ... يغورُ ويبدو من كُسوف على أمنِ
كما سَلَبتْ عيناك قلبي لم يكنْ ... ليجذبَ بيجاذيّه ورقًا التبنِ[110]

[٦٠]

- وقال: [السريع]

فتىً إذا فاضَ ندى كفِّه ... غضَّ من الغيث إذا ما هَتَنْ
كالبحر إنْ هاج طمن بالردى ... ويقذفُ الدرَّ إذا ما سَكَنْ

قافية الهاء

[٦١]

– وقال: [المضارع]

وصاحبٍ لي ثقيل قد طال قَدًّا وقامهْ
فساعة منه عندي في طولِ يوم القيامهْ
القربُ منه بَلاءٌ والبعدُ عنه سَلامهْ

قافية الواو

[٦٢]

– وله يمجن بالنحو: [السريع]

فكلُّ ما للزنج من فَيشَةٍ في حِجرِ من يَفرحُ بالنّحو(١١٤)

أجازه بعضهم:

وكلُّ من لُفّقَ من عِلّةٍ فيه فالخرقِ ولِلمحْوِ

قافية الياء

[٦٣]

– وقال: [الوافر]

بقيتَ مدى الزمان «أبا عليٍّ» رفيعَ الشأن ذا جَدّ عليٍّ(١١٦)
فأنت من المكارم والمعالي بمنزلةِ الوَصيّ من النبي

قافية الألف

[٦٤]

– وقال: [مجزوء الكامل]

الشمسُ في رأد الضّحى والبدرُ في جُنح الدجى(١١٨)

والمـــــاءُ في حـــرّ الـصّـــدى   والـغـيــثُ جــادَ عـلـى الـثّرى
والمـــزنُ يـضـحـكُ في الـرُّبـى   والــــوردُ جَـمّـشـه الـنّـدى
والـصـبـحُ يـقـدمـه الـصَّـبـا   والـعـيـشُ في زمــن الـصِّـبـا
والـقـرب صُـبّ عـلى الـنَّـوى   والـقـلـب رقّ مــع الـهـوى
والــطّــرف غــازلـه الـكـرى   والـصـفـو بـاعـده الـقـذى
والحـلــيُ في ثـغـرِ الـدُّمـى   ومـنــازل لــك بـالحِـمـى
وعـهـود سـعـدى بـالـلّـوى   والــدهــر يـسـعـد بـالمـنـى
والــبرءُ في عـقـب الـضَّـنـا   والـفَـقـرُ يـطـويـه الـغِـنـى
والـبِـشـرُ يـتـبـعـه الـنَّـدى   والـنَّـشـر مـن بـعـد الـبِـلـى
والـــودّ في أثـــر الـقِـلـى   والمـحــل يـطـرده الحـيـا
والـعـتـب يمـحـوه الـرضـى   والـكـفُّ تـسـمـحُ بـالـلّـهـى
ومــذا كــرات ذوي الـنُّـهـى   والــــرأي يـعـضـده الحـجـى
والجـــدّ ســاعـدَ فـاعـتـلـى

[٦٥]

– وقال: [مجزوء الكامل]

حــتّــى مـتـى وإلــى مـتـى   اقـصـر بـذرعـك يـا فـتـى
فـكـأنـنـي بـك نـاظـرًا   في إثـــر صـيـدٍ أفـلـتـا
لا تحـسـبنّ جـمـال وجــــ   ـــهك دائـمًـا لـك مـثـبـتـا
فـالحـظّ يـفـعـلُ مـا عـمـلـــ   ــــتَ ومـا عـلـمـتَ وقـد أتـى

٢ – ما نسب إليه وإلى غيره:

[١]

– وقال: [المنسرح]

يـا مـهـديـا بـنـفـسـجًـا أرجًـا   يـرتـاحُ صـدري لـه ويـنـشـرحُ

بشَّرني، عاجلاً، مُصحفهُ بأن ضيق الأمور ينفسحُ

[٢]

- وقال: [المتقارب]

هنيئًا لساداتنا في هَراة لقاءَ الكرام وماءَ الكرومِ

نفى مقلتي منذ فارقتُهم غَمامٌ يجودُ بماء الغُمومِ

المصادر والمراجع:

١. آداب الملوك: الثعالبي، تح جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، طبع بمعونة منظمة اليونسكو – بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٢. أزهار الأفكار في جواهر الأحجار: التيفاشي، تح محمد يوسف حسن ومحمد بسيوني خفاجي، القاهرة، ١٩٧٧م.

٣. الإعجاز والإيجاز: الثعالبي، تح إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤. الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت ١٩٧٩م.

٥. برد الأكباد في الأعداد: الثعالبي، تح إحسان الثامري، دار ابن حزم، بيروت ٢٠٠٦م.

٦. تتمة اليتيمة: الثعالبي، تح عباس إقبال، طهران، ١٣٥٣هـ.

٧. تراثنا، مجلة دورية تصدر في مدينة (قم) بإيران، العدد الخامس ١٤٠٦هـ.

٨. تمام المتون: الصفدي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. القاهرة ١٩٦٩م.

٩. التمييز والفصل بين المتفق في الخطّ والنقط والشكل: إسماعيل ابن باطيش، تح عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس ١٩٨٣م.

١٠. التوفيق للتلفيق: الثعالبين تح إبراهيم صالح، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨٣م.

١١. التوفيق للتلفيق: الثعالبي، تح هلال ناجي ود. زهير زاهد، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٢. الثعالبي ناقدًا وأديبًا: د. محمود عبدالله الجادر، دار الرسالة، بغداد ١٩٧٦م.

١٣. الجماهر في الجواهر: البيروني، تح يوسف الهادي، طهران ١٩٩٥م.

١٤. الجماهر في معرفة الجواهر: البيروني: حيدر آباد الدكن، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

١٥. جنّة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى: ابن عاصم الغرناطي، تح د. صلاح جرار، دار البشير، عمّان ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٦. الجواهر وصفاتها: ابن ماسويه، تح د. عماد عبدالسلام، القاهرة ١٩٧٦م.

١٧. حدائق الأنوار وبدائع الأشعار: جنيد بن محمود، تح هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٥م.

١٨. حماسة الظرفاء: العبدلكاني، تح محمد جبار المعيبد، وزارة الإعلام (الثقافة) بغداد.

١٩. حلبة الكميت: النواجي، القاهرة ١٩٣٨م.

٢٠. خاص الخاص: الثعالبي، تح صادق النقوي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٢١. جريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني (قسم العجم)، تح د.عدنان محمد آل طعمة، طهران ١٩٩٩م.

٢٢. الدر الفريد وبيت القصيد: محمد بن أيدمر، باعتناء فؤاد سزكين (مصورة فرانكفورت) ١٩٨٦م.

٢٣. الدعوات والفصول: الواحدي، تح عادل الفريجات، دمشق ٢٠٠٥م.

٢٤. دمية القصر: الباخرزي، تح د. سامي مكي العاني، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٥. ديوان الميكالي تح جليل العطية، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٦. ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تح شكري فيصل، دار الفكر، ط٢، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٧. روح الروح: مجهول من القرن الخامس الهجري، تح إبراهيم صالح، مطبوعات هيأة أبي ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٢٨. رياض الآداب ومنازه الألباب: مجهول (مخطوط) مكتبة السليمانية، استانبول.

٢٩. سرور النفس: تهذيب ابن منظور، تح د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠م.

٣٠. سير أعلام النبلاء: الذهبي، تح الأرناؤوط ورفاقه: الرسالة، بيروت ١٩٨١م.

٣١. ك. الشعر: ابن شمس الخلافة (مخطوط مصور).

٣٢. شفاء الغَليل فيما في كلام العرب من الدخيل: شهاب الدين الخفاجي، تح د.محمد كشّاش، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٣٣. طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، تح عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٣٤. طرائف الطرف: البارع البغدادي، تح هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٨م.

٣٥. غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات: ابن ظافر الأزدي، تح محمد زغلول سلام وزميله، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م.

٣٦. غرر البلاغة: الثعالبي، تح قحطان رشيد، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد.

٣٧. فرائد الخرائد: الخوئي، تح عبدالرزاق حسين، النادي الأدبي، الدمام ١٩٩٦م.

٣٨. الكامل: ابن الأثير (طبعة مصورة).

٣٩. الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه: الصفدي، تح هلال ناجي، دار الحكمة، بريطانيا ١٩٩٩م.

٤٠. الكشكول: بهاء الدين العاملي، تح الطاهر الزاوي، القاهرة (د.ت).

٤١. لباب الآداب: الثعالبي، تح قحطان رشيد، وزارة الثقافة، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد.

٤٢. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٤٣. لمح الملح: الحظيري الوراق، تح عبدالعظيم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٤٤. مطالــع البــدور في منازل الســرور: الغزولين مطبعــة إدارة الوطن، القاهرة ١٣٠٠هـ.

٤٥. معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تح د. إحســان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م.

٤٦. معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.

٤٧. معجم المؤلفين: كحالة، دار المثنى، بيروت (د.ت).

٤٨. المعــرب من الــكلام الأعجمي: الجواليقي، تح أحمد محمد شــاكر، القاهرة ١٩٦٦م.

٤٩. مَــنْ غاب عنــه المطــرب: الثعالبــي، تح النبوي شــعلان، مكتبــة الخانجي، القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٥٠. مَنْ غاب عنه المطرب: الثقعالبي، تح يونس أحمد الســامرائي، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥١. المنتخل: الميكالي، تح د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٠م.

٥٢. منية الراضي في رسائل القاضي: الميداني، تح د. محد يونس عبدالعال، دار الكتب والوثائق، القاهرة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٥٣. المواكب الإســلامية: ابن كنان، تح حكمت إســماعيل، وزارة الثقافة، دمشــق ١٩٩٢م.

٥٤. نزهة الأدباء وتحفة الظرفاء، تح محمد فؤاد أبو شهدة وعبدالستار الغنيمي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١١م.

٥٥. نزهة الأنام في محاسن الشام: ابن البدري، تح إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق ٢٠٠٦م.

٥٦. نفائس االأعلاق في مآثر العشّاق: ابن حمامة (مخطوط شستر بتي (دبلن) (رقم ٣٧٤١).

٥٧. نفائس الأعلاق في مآثر العشّــاق: ابن حمامة، تح هدى وائل عامر، المؤسسة العربية للدراســات، بيروت، عام ٢٠١٥م [يشتمل النصّ المحقق: ... نصف المخطوط].

٥٨. نكتب الوزراء: الجاجرمي، تح نبيلة عبدالمنعم داود، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ٢٠٠٠م.

٥٩. نهاية الأرب: النويري، ط. المؤسسة المصرية والهيأة المصرية العامة، القاهرة.

٦٠. الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي، تح ثلة من الباحثين العرب والمستعربين، المعهد الألماني، بيروت، فيسبادن.

٦١. الوحوش: الأصمعي، تح جليل العطية، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٩م.

٦٢. يتيمة الدهر: الثعالبي، تح محمد محيي الدين عبدالحميد (مصورة عن طبعة القاهرة).

الهوامش

(١) معجم الأدباء ٢٧٢٧.

(٢) يتيمة الدهر ٣٤٨/٤، الإعجاز والإيجاز ٣٠٨، لباب الآداب ١٣٠/٢-١٣١، مَنْ غاب عنه المطرب (السامرائي) ١٣٥-١٣٦، (شعلان) ١١٤-١١٥ وبعضها في خاص الخاص ٥٨٧، سرور النفس ٢٨٥، الدر الفريد ٢٧١/٣، ٥/٤، نزهة الأدباء ٤٦٤ (وفي المظان خلافات يسيرة) – تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ٨٥.

(٣) تتمة اليتيمة ٥٣/٢، لباب الآداب ١٣١/٢ن غرر البلاغة ١٧٥ن الإعجاز والإيجاز ٣٠٩ – طبقات الشافعية للسبّكي ٣٤٧/٥.

(٤) يتيمة الدهر ٣٤٨/٤-٣٤٩، معجم الأدباء ٢٧٢٧-٢٧٢٨، نزهة الأدباء ٤٦٤.

(٥) رياض الآداب ومنازه الألباب: مخطوط لمؤلف مجهول من القرن التاسع الهجري ق٧٥ – وفي المخطوط بياضات بسبب سوء التصوير وأخرى بسبب سوء الحفظ والأبيات ١٦-١٧-١٨ في طرائف الطرف ٤٣.

(٦) لعلها: ولا نحس.

(٧) الهام: الهوام الحيات.

(٨) الاشابة: ما خالطه من الحرام.

(٩) بياض في هذا البيت.

(١٠) عجز البيت مطموس.

(١١) صار ضربة لازب: أي لازمًا ثابتًا.

(١٢) السبب: العطاء والصرم: القطع البائن.

(١٣) القلى: رؤوس الجبال وهامات الرجال.

(١٤) بياض في هذا البيت.

(١٥) الشطر المضمن للنابغة الذبياني وقبله: فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس (ديوانه صنعة ابن السكيت ٧٨ – والقار: الخضخاض وهو القير.

(١٦) تتمة اليتيمة ٢/٥١.

(١٧) دمية القصر ٢/١٠٢، فرائد الخرائد ٤٩٩.

(١٨) يتيمة الدهر ٤/٣٤٩، رَوح الرُوح ٣٢٧، غرائب التنبيهات ٨٦، معجم الأدباء ٢٧٢٨، كتاب الشعر (مخطوط) ١/ق٨٢، الكشف والتنبيه ٣٠٨، نزهة الأنام ١٢٧، مطالع البدور ١/١٠٢، نزهة الأدباء ٤٩٢، المواكب الاسلامية ٢/١٧٢.

(١٩) معجم الأدباء: الربيع عوض الزمان.

(٢٠) معجم الأدباء: قد اصفرت وقد.

(٢١) تم القمر: امتلأ فبهر، فهو بدر تمام.

(٢٢) الإعجاز والإيجاز ٣٠٩، لباب الآداب ٢/١٣١، برد الأكباد ٥٩، غرر البلاغة ١٧٦.

(٢٣) طبقات الشافعية للسبكي ٥/٣٤٧–٣٤٨.

(٢٤) خريدة القصر (قسم العجم) ٢/٥٦–٥٧ – جنّة الرضا ١/١٣٧.

(٢٥) تتمة اليتيمة ٢/٥٣.

(٢٦) تتمة الدهر ٤/٣٥٠، معجم الأدباء ٢٧٢٨.

(٢٧) الإعجاز والإيجاز ٣٠٩، لباب الآداب ٢/١٣٢، غرر البلاغة ١٧٦.

(٢٨) لمح المُلَح ٣٣٨.

(٢٩) أبو العباس، لم أعرفه.

(٣٠) دمية القصر [العاني] ٢/١٠٠.

(٣١) تتمة اليتيمة ٥٢–٥٣، ج٢، حماسة الظرفاء ٢/١٤٦ (رقم ٦٢).

(٣٢) الحماسة: فالآن توحشنا بلحية.

(٣٣) يتيمة الدهر ٢/٣٤٩.

(٣٤) تتمة اليتيمة ٢/٥٢.

(٣٥) يوم سجسج: لا حرّ ولا قرّ.

(٣٦) الجون: النبات يقرب إلى السواد من خضرته.

(٣٧) ساجي الطرف: ساكنه.

(٣٨) يتيمة الدهر ٤/٣٤٩، الاعجاز والايجاز ٣٠٩، لباب الآداب ٢/١٣١، خاص الخاص ٥٨٧، غرر البلاغة ١٧٥، روح الروح ١/١٨٣ – طبقات الشافعية للسبكي ٥/٣٤٦.

(٣٩) الخِشف – بكسر الخاء: ولد الظبي [الوحوش للأصمعي ٥٥] وفي السبكي: يجوز.

(٤٠) السبكي: غنجهما.. بدا.

(٤١) دمية القصر ١٠٢/٢.

(٤٢) تتمة اليتيمة ٥٣/٢، الإعجاز والإيجاز –باختلاف- ٣٠٩، لباب الآداب ١٣١/٢، التوفيق للتلفيق (بغداد) ٧١، ١٠٤، (دمشق) ٤٢، ٨٧، غرر البلاغة (باختلاف) ١٧٥.

(٤٣) أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل مؤلف "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» المولود سنة ٣٥٠ والمتوفى سنة ٤٢٩هـ: أشهر الشخصيات الأدبية في القرنين الرابع والخامس الهجريين وهو لا يحتاج إلى تعريف هنا.

(٤٤) القصيدة واردة ضمن المجموع ٤٠٤٧ – مخطوطة مكتبة المرعشي العامة في (قم) نسخ أبي نصر عتيق بن عبدالرحمن بن محمد الصديقي كتبها في جمادى الأولى سنة ٦٥٧هـ، نُشرت بعناية الشيخ السيد أحمد الحسينيك مجلة (تراثنا)، العدد الخامس، السنة الأولى، قم، ١٤٠٦هـ، ص ص١٨٥-١٨٨.

(٤٥) المعنّى: المتعب.

(٤٦) المائد: المتحرك.

(٤٧) الجوانح جمع الجانحة: الأضلاع تحت الترائب ممّا يلي الصدر.

(٤٨) صابني: أصابني.

(٤٩) الجون يطلق على اللون الأبيض والأسود والمناسب هنا الثاني.

(٥٠) الدمين: المدمن للشراب ولم يقلع عنه.

(٥١) الهاجد: الساهر بالليل.

(٥٢) الذائد: اسم فرس.

(٥٣) الغامد: واضح السيف والحسام في الغمد.

(٥٤) للعاجمين: العاضين للاختبار والتجربة، والمعاقد موضع عقد الازار كناية عن صلابته.

(٥٥) ثاخ: غاب وخفي.

(٥٦) يمكن قراءة الكلمة الأخيرة في هذا البيت: آمدِ وهو بمعنى الاستعجال.

(٥٧) تتمة اليتيمة ٥٣/٢.

(٥٨) قرطق: لباس شبيه بالقباء ج قراطق وأصله بالفارسية: كرته، وهو لباس قصير تقول له العوام: شاية: شفاء الخليل ٢٣٨.

(٥٩) تتمة اليتيمة ٥١/٢، معجم الأدباء ٢٧٢٨، ونسبا لابن كيغلغ في حدائق الأنوار ٢١٢ وهماله في: طبقات الشافعية للسبكي ٣٤٧/٥.

(٦٠) معجم الأدباء: منضد.

(٦١) معجم الأدباء: كفنت وفي السبكي: كُفتت وفي السبكي: كُفتت والزبرجد: جوهر معروف ويقال الزمرد. (شفاء الخليل: ١٦٨).

(٦٢) التوفيق للتلفيق (دمشق) ١٧٩، (بغداد) ١٣٤.

(٦٣) نقص هذا البيت في المخطوط المعتمد في الطبعتين.

(٦٤) الدعوات والفصول للواحدي ٣٨.

(٦٥) الجماهر في الجواهر ١٦٦، الجماهر في معرفة الجواهر ٨٩.

(٦٦) البجادي –بالدال المهملة– يعرف بالبنفش وهو حجر يشبه الياقوت بعض السبه إلاّ أنّه لا يضيء غالبًا: نخب الذخائر ١٧–١٨ وكذلك هو حجر أحمر اللون، إذا خرج من معدنه أصابته ظلمة، تعريب (بيجاده) نشوار المحاضر ٣٩/١.

(٦٧) الجماهر في الجواهر ١٦٦، الجماهر في معرفة الجواهر ٨٩.

(٦٨) يتيمة الدهر ٣٥٠/٤، معجم الأدباء ٢٧٢٨، سرور النفس ٢٦٠، كتاب الشعر (مخطوط) ١/ق٧٧، نزهة الأدباء ٤٨٥، نهاية الأرب ٢٦٦/١١.

(٦٩) معجم الأدباء: عليها.

(٧٠) تتمة اليتيمة ٥١/٢.

(٧١) دمية القصر [العاني] ٩٤/٢.

(٧٢) تتمة اليتيمة ٥١/٢، معجم الأدباء ٢٧٢٨، طبقات الشافعية للسبكي ٣٤٦/٥.

(٧٣) معجم الأدباء: صوّر وسطَه من...

(٧٤) خريدة القصر (قسم العجم) ٥٦/٢.

(٧٥) الجماهر في الجواهر ٢٧٩، الجماهر في معرفة الجواهر ١٧٢.

(٧٦) عن الفيروزج انظر: الجواهر وصفاتها ٦٢ وأزهار الأفكار ١٤٢–١٤٥ ونخب الذخائر ٥٥–١٢، الجماهير في الجواهر ٢٧٦–٢٧٩.

(٧٧) يتيمة الدهر ٣٤٩/٤، خاص الخاص ٥٨٧، روح الروح ٩٠٤.

(٧٨) الروح: وبضة.

(٧٩) لمح المُلَح ٥٤٢.

(٨٠) تتمة اليتيمة ٥١/٢، التوفيق للتلفيق (بغداد) ١٢٥، (دمشق) ١٦١–١٦٢.

(٨١) تتمة اليتيمة ٥٠/٢، لمُح المُلَح ٥٤٢.

(٨٢) دمية القصر ١٠٠/٢–١٠١.

(٨٣) إشارة إلى بيت امرئ القيس الذي قاله لما ذهبت إبله:

ألا إن لا تكنْ إبلٌ فمعزى ... كأن قرون جِلّتها العِصِيّ

[ديوان امرئ القيس، طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٣٦ (رقم ٢٢)]

(٨٤) دمية القصر ١٠١/٢.

(٨٥) تتمة اليتيمة ٥١/٢، خاص –باستثناء الأول– ٥٨٨.

(٨٦) طرائف الطرف ٤٤ (رقم ٥٢).

(٨٧) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٤٧/٥ (عن الطبقات الوسطى).

(٨٨) تتمة اليتيمة ٥٠/٢، الإعجاز والإيجاز ٣٠٩، لباب الآداب ١٣١/٢–١٣٢، غرر البلاغة ١٧٦.

(٨٩) الكشكول ٢/٢٦٢، دمية القصر ٢/١٠١.

(٩٠) الاقتباس من الآية ٤٥ من سورة المائدة.

(٩١) يتيمة الدهر ٤/٣٥٠، معجم الأدباء ٢٧٢٩.

(٩٢) دمية القصر ٢/٤٤٦.

(٩٣) تتمة اليتيمة ٢/٥٢.

(٩٤) البربط: طنبور ذو ثلاثة أوتار: أول من ضرب به "عبدالله بن الربيع»: شفاء الغليل ٩٨.

(٩٥) دمية القصر ٢/١٠١.

(٩٦) العجز اقتباس من المثل القديم (السعيد من وعظ بغيره): انظر: مجمع الأمثال ١/٣٤٣، المستقصى ١/٣٢٥، فصل المقال ٣٢٧، فرائد الأمثال ٢٧٧.

(٩٧) دمية القصر ٢/١٠١.

(٩٨) الجماهر في الجواهر ٢٠٦، الجماهر في معرفة الجواهر ١٢١.

(٩٩) البيروني: ويشبع.

(١٠٠) طرائف الطرف ٤٤ (رقم ٥٣).

(١٠١) يتيمة الدهر ٤/٣٥٠، معجم الأدباء ٢٧٢٩، نزهة الأدباء ٤١٥.

(١٠٢) دمية القصر ٢/٩٦-٩٧.

(١٠٣) له ترجمة في الدمية ٢/١٠٧-١٢٧ والوافي ٤/٢١ توفي سنة ٤٦٠هـ وفي "منية الراضي» نص الرسالة التي بعثها الهروي إلى البلخي ١٢٧-١٣٠.

(١٠٤) الدر الفريد ٤/٢٥٧.

(١٠٥) يتيمة الدهر ٤/٣٤٩، ماسة الظرفاء ٢/٩٨-٩٩ (رقم ٧٥)، معجم الأدباء ٢٧٢٩.

(١٠٦) معجم الأدباء: ويحك، حماسة الظرفاء: ما الشأن عندي.. كيف بقيت.

(١٠٧) الجماهر في الجواهر ١٦٦، الجماهر في معرفة الجواهر ٨٩.

(١٠٨) البيجادي -بالدال المهملة- سبق تعريفه في الهامش [٣٠].

(١٠٩) الجماهير في معرفة الجواهر ١١٣ — الجماهر في الجواهر ١٩٧.

(١١٠) دمية القصر ٢/١٠٢.

(١١١) روح الروح ٨٨.

(١١٢) كذا في مصدر التخريج والصواب في: حر.

(١١٢) يتيمة الدهر ٤/٣٥٠، معجم الأدباء ٢٧٢٩.

(١١٣) أبو علي الممدوح، لم أعرفه.

(١١٤) تتمة اليتيمة ٢/٤٩.

(١١٥) شمس الكفاة أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندي كان يتولى للسلطان محمود بن سبكتكين ديوان الرسائل ثم تولى الوزارة وتوفي سنة ٤٢٤هـ: الكامل لابن الأثير ٧/٣٤٧، نكت الوزراء ١١٤-١١٨.

(١١٦) تتمة اليتيمة ٢/٥٢.

(١١٧) هما لأبي الفضل الميكالي في ديوانه ٧٠ (رقم ٤٣) وفيه تخريجهما، ونسبهما صاحب (حلبة الكميت) لمنصور الهروي ٢٤٧.

(١١٨) هما لمنصور الهروي في: لمح الملح ٨٢٤.

ونسبا لأبي الحسن عمر بن أبي عمر النوقاني السجزي في: خاص الخاص ٥٦٥.

ولا وجود للبيتين ضمن ترجمة السجزي في يتيمة الدهر ٤/٣٤٢.

الموانئ الجنوبية لساحل البحر الأحمر الغربي في العصر الوسيط في وثائق الجنيزة

د. محمود أحمد هدية

ارتبطت موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر بعلاقات وطيدة بمناطق الجزيرة العربية وسواحلها الغربية عبر الحركة التجارية آنذاك التي ساهمت في إقامة علاقات تجارية واجتماعية بين سكان تلك المناطق، فعُدَّ سكانها وتجارها من أوائل من وطئت أقدامهم موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر وخاصة الجنوبية منها[١]، ثم جاء الإسلام ليعمق تلك العلاقات بعد أن انتشر في مختلف المناطق، ماتطلّب ضرورة إيجاد منافذ بحرية ومحطات يستطيع من خلالها أهل إفريقيا ومسلموها الوصول للأراضي المقدسة في الحجاز؛ للزيارة أو لتلقي العلم، أو لتأدية فريضة الحج أو العمرة، فمنحت مواسم الحج بعض المناطق والمنافذ البحرية أهمية خاصةً لمسلمي إفريقيا في المناطق الساحلية والقادمين من العمق الإفريقي، ما أدّى لاشتهار العديد من المرافئ بشكلٍ كبيرٍ، لارتباطها بشبكة من الطرق والمواصلات مع مصر وبصفة خاصة الطرق البحرية والبرية المتصلة بها وفي مقدمتها الطريق البري الرابط والمحاذي للبحر الأحمر ومنه إلى النوبة ثم إلى الحبشة ومنه إلى أقصى الساحل الشرقي لإفريقيا، وعبر طريق آخر يتخلل إقليم حوض النيل الأزرق عبر عدة طرق وصولاً للعمق الداخلي الإفريقي[٢].

أهمية وثائق الجنيزة لموانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر الجنوبية:

كما هو معروف أن معظم وثائق الجنيزة والخاصة بتجارة المحيط الهندي والبحر الأحمر هي خطابات أرسلت من عدن وموانئ البحر الأحمر في شبه الجزيرة العربية وغيرها من موانئ الهند إلى مدينة الفسطاط بمصر أو العكس[٣]، غير أن المعلومات قليلة عن تجارة التجار اليهود في موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر وخاصة الجنوبية منها؛ التي كانت مصدرًا لجلب الجلود والمنتجات الجلدية والذهب من هناك، إذ لم تشر الجنيزة أنهم شاركوا بشكل كبير في التجارة مع إفريقيا، فلم نرصد الكثير عن تلك الأمور[٤].

ووثائق الجنيزة القاهرية في مجملها تبرز التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لليهود وعلاقاتهم بغيرهم وبدرجة أكبر الدور التجاري لفئة محدودة من ذلك المجتمع، خاصة أولئك الذين شكلوا بنشاطهم وأدوارهم جزءًا من «الطبقة الوسطى» الكبيرة من المجتمع اليهودي في العصور الوسطى فأضحوا بدورهم العمود الفقري المهني والتجاري والقانوني والإداري والديني للمجتمع اليهودي، فكانوا تجارًا وعلماء وكُتابًا وقضاة، لذا تضمنت الجنيزة موادًّا إدارية وقانونية للسلطة المجتمعية اليهودية التي تشهد على التمييز والثروة الطبقية بين المجتمع اليهودي.

وموضوعات تلك الوثائق تنوعت مابين حجج وعقود، قرارات هيئات عامة، نشرات، مراسيم خاصة بالسلطات اليهودية، صفقات خاصة كالبيع والتأجير للمنازل أو ممتلكات ثابتة، منح أو سُلَف أو قروض ووصايا وعطايا وعقود زواج وقسائم طلاق، وكذلك صفحات لمحاضر جلسات المحاكم اليهودية، حسابات تجارية وحسابات خاصة وقوائم جرد لمكتبات وغيرها، فهي تقدم الأنشطة التي مارسها اليهود داخل المجتمع الإسلامي[٥]، فهي واحدة من أهم مصادر التاريخ في العصر الوسيط لأنها تقدم أدلة ووثائق حية تغطي فترة من الزمن تقدر

بعشـرة قرون تتصل بالقرن العاشـر الميلادي تمتد لرقعة تشمل المنطقة العربية بوجه عام والحياة بكافة تفاصيلها للمجتمع اليهودي الممتد من الهند شرقًا حتى الأندلـس غربًا، فتقـدم مادة حية عن الحياة الاقتصـادية والسياسـية والتاريخ والثقافة والحياة الأدبية والاجتماعية للمجتمع اليهودي(٦)، لاحتوائها على العديد من الرسـائل الخاصة والموضوعات التي سدت فراغًا كبيرًا لم يلتفت إليه مؤرخو تلك الفترة التي انحصـر تناولهم لها على الأمور السياسية والعسكرية؛ لذا فقد جاءت بما لم تأت به كتب الأوائل من المؤرخين والكتاب.

ونجـد أن منطقة موانئ السـاحل الغربـي للبحر الأحمر وخاصـة الجنوبية شغلت حيزًا في وثائق الجنيزة القاهرية -الخطابات والرسائل التجارية اليهودية في العصـر الوسـيط- والتي أظهرت أهميتها الاسـتراتيجية فعُدت أحد الركائز الأساسـية للتجارة المتجهة للهند شرقًا والمارة بساحل اليمن، أو تلك القادمة من مصر وإليها من خلال مدن الصعيد عبر نهر النيل باتجاه الصحراء نحو عَيذاب وغيرهـا في طريقها لعـدن باعتبارها مركزًا لتوزيع البضـائع(٧)، فنشـأ ارتباط جغرافي بين مدن وموانئ السـاحل الغربي للبحر الأحمر الممتدة من مصر شمالاً حتى المناطق الجنوبية منها، ونتج عنها علاقات وصلات تجارية مباشرة مع المدن والموانئ القريبة منها، لوفرة السلع الإفريقية في هذه الموانئ ولسمعتها الطيبة في معاملة التجار، التي ساهمت بدورها في زيادة التواصل التجاري بينهما(٨)، والتي أضـحت مجالاً ساعد مدن الساحل الشـرقي الإفريقي في إقامة علاقات تجارية مـع أهم وأكـبر التجمعات التجارية الواقعة في الشـرق الأقصـى؛ ألا وهي الهند وبصـفة خاصـة المنطقة الغربية منها، التي لم تكن تلك العلاقات حتى منتصف القرن السابع الميلادي على المستوى العالي ولم تتعدَّ المتاجرة في بعض الكماليات القليلة(٩).

يمثل التقارب الجغرافي بين موانئ البحر الأحمر -الشـرقية والغربية- دورًا تجاريًـا مشـهودًا في حركة النشـطة بين تلك الموانئ وخاصـة مينـاء جدة، الذي

كان فرضــة مكة المكرمة ومقصــد لمراكب التجار من مصر وبلاد الشام والغرب الإســلامي والشــرق الإفريقي[١٠]، وورد في كتابات الجنيزة مــا يفيد بأن التجار القادمين من الغرب الإســلامي ممن اعتادوا بيع تجارتهم من الحرير والنحاس في مصــر وبلاد الشــام ولم يصادفوا نجاحًا أو ســوقًا لتصريف بضائعهم هناك اتجهوا لميناء جدة لبيعها بوصــفه موضــعًا وميناءً بديلاً لتصريف بضائعهم[١١]، كمــا في الخطاب المــؤرخ في ٤٢٩هـ/١٠٣٦م والــذي أفاد بإجــراء اتفاق بين أحد التجار علي نقل شحنة من البضائع من مصر لميناء جدة[١٢].

كما شكل قصر المسافة نسبيًّا بين موانئ البحر الأحمر –كما ذكرنا– عاملاً مهما في تلــك العلاقات[١٣]، فارتبطت تلك المناطق بالتجارة العربية القادمة من الجهــة المقابلــة وهي أرض اليمن وخاصــة في عدن مع اتســاع نشــاطها التجاري في أواخــر القرن الثالث الهجري/ التاســع الميلادي، فشــمل الكثير من البلدان، وأصــبحت عــدن أحد المرافئ الدوليــة الكبيرة التي يتعامل معهــا التجار وهو ما ذكره ابن بطوطة في فترة لاحقة بقوله «من المرافئ العظام ولا زرع بها ولا ضرع، وبها العنبر والعود والمســك ومتاع السند والهِنْد والصين والزنج والحبشة وفارس والبصــرة وجدة»، فهي مرســي بلاد اليمن ومرسى أهل الهِنْد تأتي إليها المراكب من العديد من مناطقها[١٤]، وقُدرت المراكب التي الداخلة عدن في العهد الأيوبي ما بين (٧٠-٨٠) مركبًا محملة بمتاجر الهِنْد والصــين بالإضافة لسفن الحبشة وشرق إفريقيا[١٥].

وهو مــا انعكس بدوره على النشــاط التجاري لموانئ الســاحل الغربي للبحر الأحمر الذي امتد إلى الموانئ العمانية فأبحرت السفن العمانية نحوها لتصريف الســلع القادمــة من بلــدان الهند والشــرق الأقصــى، وعادت محملة بالبضــائع الإفريقية للأسواق العمانية أو لإعادة تصريفها وتصديرها إلى الأسواق الشرقية وأسواق الجزيرة العربية[١٦].

الطريق التجاري بين موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر:

ارتبطت موانئ جنوب الجزيرة العربية واليمنية على وجه التحديد بمجال تجاري كبير تجاه موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر وموانئ الشرق الإفريقي وذلك منذ فترات سابقة تعود لقبل ظهور الإسلام للمتاجرة مع سكان تلك المناطق من الأفارقة للحصول على منتجاتهم العجيبة والغريبة ولتصريف البضائع العربية[١٧]، وعلى رأس تلك البضائع العاج خاصة بعد تناقص العاج الهندي في الأسواق العربية[١٨]، وبقدوم الإسلام ازداد التواصل التجاري نتيجة التقارب الجغرافي وحركة الرياح الموسمية التي أدت لتواصل تجاريّ واجتماعيّ بين الموانئ التجارية ذات الصلة بجنوب الجزيرة العربية وذلك لملائمة الملاحة البحرية العربية بفضل الرياح الموسمية[١٩]، فأبحرت السفن بصفة مستمرة لتلك المناطق وخاصة عدن التي استقبلت السفن القادمة محملة بالتجار والسلع لتصريفيها في الأسواق اليمنية[٢٠].

وحملت وثائق الجنيزة دلالات ضمنية عن تلك المناطق، خاصة الجنوبية منها، فجرت الإشارة لها بلفظ «بلاد الزنج» كما جاء في إحدى الرسائل «أنه وصلت قنبورة من أرض الزنج وكان فيها عبيد جدد، حاولت شراء خادم لك ياسيدي لكن الأمر لم ينجح»[٢١]، وهو ما يؤكده الخطاب المؤرخ في٥٥١هـ/يناير- فبراير ١١٥٦م بأنه قد «وصل المسافرون في السفن من السنة التي غرقت فيه سفينة كولامي، ووصل المسافرون في هذين العامين في سفن من كل بحر: من جميع أراضي الهند ومقاطعاتها، ومن أرض الزنج ومقاطعاتها، ومن بربرة من المنطقة الداخلية من الحبشة ومقاطعاتهم ومن الشحر وقمر ومقاطعتها، وجاء جميع المسافرين إلى عدن في هذين العامين»[٢٢].

ومن أهم المدن التي ورد ذكرها في خطابات ورسائل التجار اليهود في الجنيزة؛ الوثائق المتعلقة بالتجارة الهندية:

عَيذاب :

على الرغم من أن ميناء عيذاب يُعد من «موانئ الضرورة» نظرًا لأنه في منطقة فقيرة عُمرانية على سواحل صحراوية، مفتقرة للمقومات الحياتية الضرورية تعاني من صعوبات طبيعية وبشرية(٢٣)، إلا أنها واحدة من أهم موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر إن لم تكن أهمها وقد شكلت نقطة للتواصل التجاري بين تجارة البحر الأحمر وتجارة النيل ومحطة تجارية تَرِدُ إليها البضائع من الحبشة واليمن وزنجبار والهند عبر البحر، تُحمل على ظهور الإبل مارة بالصحراء إلى أسوان أو قوص ومنها إلي القاهرة عبر النيل(٢٤)، فحطت بها المراكب وفرغت البضائع، وأقلعت منها سفن الحجاج الصادرة والواردة، لتفضيل البحارة والتجار الرسو في مينائها عند قدومهم إليه أو رحيلهم عنه؛ لعمق ميناءها وغزارة مياهه وخلوه من الشعب المرجانية التي عاقت حركة الملاحة(٢٥)، وبدوره شكل جانبًا هامًا في التجارة الهندية وأشير إليه مرارًا وتكرارًا في وثائق الجنيزة عند تناولها لأبرز التجار الذين ساهموا في نمو تلك العلاقات التجارية اليهودية في الجانب الشرقي ومن بينهم إبراهيم بن بيجو(٢٦) فهو من أكثر التجار الوارد ذكرهم في تجارة الهند، فقد اعتاد السفر عن طريق البحر على طول الطريق من الهند إلى عدن مرورًا بباب المندب ومن هناك إلى موانئ الشرق الإفريقي والساحل الغربي للبحر الأحمر ومنها لميناء عَيذاب، وصولاً إلى الصحراء الشرقية المصرية في طريقه للنيل ثم إلى الفسطاط حيث يذكر أن « السفينة الأكبر وصلت بالقرب من بربرة ، وعندما واجه قائدها المتاعب معها اندفعت إلى باب المندب حيث تعثرت. الفلفل ضاع بالكامل! اللّه لم ينقذ أي شيء منه»(٢٧)، وفي خطاب آخر يوضح أهمية عَيذاب كميناء للتجار اليهود «أبذلُ جهدًا كبيرًا لتحقيق ذلك. إذا تمكنت من البيع في عَيذاب سأبيع وأعود وذلك بعون اللّه»(٢٨)، كما مثل التحرك من عَيذاب إلى النيل عبر قوص أمرًا خطيرًا لطول لمسافات بّرا كما أشار لذلك

ديفيد بن ميمون في خطاب إلى شقيقه موسى واصفًا الرحلة عبر الصحراء إلى قوص بأن مجرد وصوله آمنًا إلى هناك كان مكافأة من الله للمعاناة التي عاناها[٢٩]، وهو ما أشار إليه أيضا أحد التجار واصفًا تلك الرحلة في خطاب مؤرخ في ٥٥٢هـ/١١٦٧م بقوله «سافرت إلى عَيذاب تلك الرحلة المشؤومة، لكن الله أمّن وصولي، الآن أنوي أن أذهب إلى الهند»[٣٠].

ومثلت عَيذاب مرفأً وميناءً هامًا لاستقبال البضائع والسلع اليهودية كما أشارت الجنيزة، ففي وقت متأخر من عام ١١٠٦/١١٠٧م طلب شقيقان من المحكمة اليهودية تسجيل إفادة أدلى بها التاجر اليهودي المعروف اللبيدي قبل فترة طويلة أنه من قبل لم يكن لديه أي استحقاقات عن بعض السلع القادمة من الشرق، التي تركها التاجر اليهودي فرح بن إسماعيل في ميناء عَيذاب[٣١]، وفي خطاب من التاجر اليهودي مضمون بن الحسن[٣٢] من عدن وهو ابن عم التاجر خلف بن إسحاق إلى التاجر الهندي خلفون بن ها في ليفي بن نثائيل في ميناء عَيذاب، طالبًا منه أن يسلم له التوابل والأخشاب العطرية والقرنفل لتكون هدايا لكبار الشخصيات الدينية في مصر[٣٣]، لذا عُدّتْ عَيذاب بوابة للسفر والمتاجرة مع الساحل الشرقي للبحر الأحمر، خاصة عدن، وتذكر الجنيزة العديد من الإشارات حول اتّخاذ التجار اليهود الطريق البحري المباشر بين عدن وعَيذاب التي طالما عانى المسافرون من العواصف البحرية فيها كما ذكر خلفون بن ليفي في أحد الخطابات، عند إبحاره من عدن إلى عَيذاب، ووصوله سالمًا، فشكر الله مستشهداً ببعض الآيات من المزامير، كما ذكر تلك الرحلة في رسالتين؛ إحداهما كانت لأخيه في مصر والأخرى لشريكه التجاري في عدن[٣٤].

سَوَاكِن:

أدت سَوَاكِن أو أرخبيل سَوَاكِن[٣٥]، دورًا محوريًّا على طريق التجارة على الرغم من كونها مدينة صغيرة جدًّا واقعة على الساحل الغربي للبحر الأحمر،

وهي من بلاد السودان والواقعة جنوب من مدينة بور سودان، وتبعد جنوبًا عن عَيذاب مسافة (٣٤٩ ميلاً) [٣٦]، بينها وبين عَيذاب سبع مراحل، وصاحب سَوَاكِن من البجة المسلمين وله ضرائب على التجار، وأما ماوراء سَوَاكِن يعيش جنس يُسمي الدنكل[٣٧] ويمتدون إلي باب المندب[٣٨].

وتُعد من أهم الموانئ التي أدت دورًا كبيرًا في التواصل بين سواحل إفريقيا وسواحل الجزيرة العربية، لارتباطها بخط ملاحيٍّ مباشر مع ميناء جدة وهو ما أكده ابن بطوطة أثناء رحلته حيث أشار بأنها كانت تزود مكة عبر مياه جدة بالألبان والسمن والذرة بالإضافة إلى الحبوب[٣٩]، حيث وصفت بأنها «جزيرة أقل من ميل في ميل، وبينها وبين البحر الحبشي بحر قصير يُخاض، وأهلها طائفة من البجة وهم مسلمون ولهم بها ملك» وقيل عنها أيضا «هي بلدٌ مشهور قرب عَيذاب ترفأ إليها سفن القادمين من جدة، وأهلها بجاة ونصارى ويخرج منها رقيق البجة»[٤٠].

كما قامت سَوَاكِن بدور الوسيط، وعلى الرغم من أن معظم أهلها من النصارى إلا أن رسو السفن القادمة من ميناء جدة في مرفئها دليلاً على أنها محطة لحجاج إفريقيا ينطلقون منها أو نزلوا بها بعد عودتهم من موسم الحج، وعُدّت من أفضل المراسي للحماية من العواصف البحرية، قطن بها العديد من التجار من الهِنّد وجنوب الجزيرة العربية[٤١]، فتميزت بدخلها التجاري الكبير، وهو ما يؤكده أبو الفداء بقوله بأن حاكم سَوَاكِن «له ضرائب علي التجار»[٤٢].

لذا احتلت سَوَاكِن حيزًا في مجمل التجارة الدولية وخاصة المتبادلة بين جنوب الجزيرة العربية والساحل الغربي للبحر الأحمر والشرق الإفريقي، وهو ما تؤكده وثائق الجنيزة، فيتضح من حسابات وتعاملات التاجر اليهودي بركات اللبيدي في الخطاب المؤرخ في ٥٢٦هـ/٢٦ يناير ١١٣٢م من الفسطاط الذي يشير لوجود تعاملات بالعملات المصرية الدينار المصري وهو ما تشير إليه الجنيزة

(المثقال) حسب ما جاء في مضمون أحد خطاباته بأنه تم استخدام العشرون ثوب المتبقية التي اشتُرِيت لدفع الجمارك، حيث بيعت وبقي عشرون ثوبًا، واستخدمت لدفع الرسوم الجمركية؛ ثم بيعت في سَوَاكِن مقابل عشرة دنانير انفقت مقابل دفع الرسوم الجمركية في عَيذاب[٤٣].

وفي خطاب من مضمون بن الحسن لأبي زكري بن كوهين في عدن مؤرخ في٥٢٤هـ/ ١١٣٠م يذكر فيها عن سَوَاكِن «مرة أخرى أنا عبدك، أسأل الله تعالى للتوجيه وإرسالها مع الشيخ نيهاري بن علان والشيخ إبراهيم بن أبو الحسن المعروف باسم ابن المطالب الموثوقة، ومن خلال كليهما في شراكة مع الشيخ الفاتح بلال بن جرير العوضي ستون بالة من اللك تزن مائة بهار، والرسوم في عَيذاب فيما يتعلق بالجمارك والشحن، وثماني بالات من الفلفل، ليتم بيعها في عَيذاب مقابل الرسوم الجمركية جمركية وعملية الشحن، وأيضا مائة قطعة من ثياب القيسي للجمارك في سَوَاكِن وأماكن أخرى»[٤٤].

وظلت سَوَاكِن ميناءً ثانويًّا لم تصل لشهرة مينائي عدن وعَيذاب وجدة، ولكنها تأثرت بشكل كبير بشهرة ميناء عَيذاب[٤٥]، ولكن شكّل تخريب ميناء عَيذاب عامل رئيس في تطور مركز سَوَاكِن وشهرتها كميناء في خدمة التجارة والملاحة بالبحر الأحمر، وبذلك أصبحت سَوَاكِن منذ أوائل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي الميناء الأول الذائع الصيت في خدمة التجارة، خاصة مع بداية حكم المماليك وخضوع مصر لهم زادت أهميتها وتحسنت نظمها الإدارية وتطورت تجارتها[٤٦].

بربرة:

مدينة ساحلية مهمة تقع على الساحل الغربي بمحاذاة خليج عدن، مطلة علي البحر الأحمر، يقول عنها ياقوت الحموي «ومن الجزائر التي تجاور سواحل اليمن جزيرة بربرة، وهي قاطعة من حد سواحل أبين ملتحقة في البحر بعدن

مـن نحو مطلع سـهيل إلى ما شـرق عنهـا وفيها حـاذى منها عـدن وقابلة جبل الدخـان»[٤٧]، عرفهـا التجـار العرب منـذ أقدم العصـور وتـرددوا عليها كثيرًا وبصـفة خاصـة تجار اليمن وتبادلوا السـلع التجارية معها[٤٨]، فكان لها مرسى ومراكـب تجاريـة، حيث ذكر ابن سـعيد أن مراكب بربرة كانت ترسـو في ميناء عدن، وفي ذلك إشـارة واضحة على وجود صلات تجارية بينها، بالإضافة لكونها محطة للتجار والمسافرين[٤٩].

وتوجـد بعض الإشـارات الواردة في وثائـق الجنيزة حول مينـاء بربرة بأنه خرجـت منه السـفن التجارية في طريقها لعدن فكـثرت الرحلات التجارية منها إليها خاصـة تلك القادمة من الساحل الشرقي للبحر الأحمر «ووصل المسافرون في هذيـن العامين في سـفن من كل بحر...من المنطقـة الداخلية من بربرة»[٥٠]، وهو ما كان أيضا في عام ٥٣٢هـ/١١٣٨م عندما انطلقت سفينة من ساحل بربرة باتجـاه السـواحل العدنيـة وواجهتها بعض الصـعاب فقررت أن ترسـوا ببربرة للحماية كما جاء في الرسـالة المؤرخة في «لكن السفينة الأكبر وصلت بالقرب من بربـرة، عندما واجه قائدها المتاعب معها حتى اندفعت إلى باب المندب وتعثرت، تم فقـدان الفلفـل تمامًا، الله لم ينقذ أي شـيء منه. أما بالنسـبة للحديد، فقد تم جلب البحارة من عدن خاصـة الغواصـين من أجل إنقاذها، فتم انقاذ حوالي نصف واحد من الحديد، وبينما أنا أكتب هذه الرسالة، فهي إعادته من الفرضة (بيت الجمارك بعدن) إلى مخزن الشيخ مضمون بن الحسن، حيث سيتم خصم جميع النفقات المترتبة على الغوص والنقل من أي شيء سيتحقق من ذلك الحديد وسـيتم تقسـيم الباقي بشكل متناسب، كل منها يأخذ نصـيبه المناسب، أنا نادم على خسائرك كثيرًا لكن الله هو الذي سيُعَوِّل لي وأنا في الوقت الحاضر»[٥١].

وقُـدرت المراكـب الداخلة عدن في العهـد الأيوبي ما بـين (٧٠-٨٠) مركبًا محملة بمتاجر الهِنْد والصـين بالإضافة لسـفن الحبشة وشرق أفريقيا[٥٢]، وهو

ما يؤكده الخطاب المؤرخ في٥٥١هـ/يناير-فبراير ١١٥٦م حيث «وصل المسافرون في السفن من السنة التي غرقت فيه سفينة كولامي، ووصل المسافرون في هذين العامين في سفن من كل بحر: من جميع أراضي الهند ومقاطعاتها، ومن أرض الزنج ومقاطعاتها، ومن بربرة من المنطقة الداخلية من الحبشة ومقاطعاتهم، ومن الشحر وقمر ومقاطعتها، وجاء جميع المسافرين إلى عدن في هذين العامين»[٥٣].

واشتهرت بربرة بالإضافة لمينائها الجيد بالعديد من البضائع والسلع التجارية التي ذكرتها وثائق الجنيزة وعلي رأس تلك السلع الحصر البربرية والتي صدرت إلى العديد من البلدان وخاصة عدن كما جاء في خطاب مضمون بن الحسن إلى إبراهيم بن بيجو والمؤرخ في٥٢٤هـ/١١٣٠م بقوله «لقد أرسلت لك مع عبد المسيح الشماس، حزمة من حصير بربرة، مكونة من ستة وملفوفة في قماش كتب اسمك عليها بالعربية والعبرية بالإضافة إلى هدية من الديبقي الجديد والخام من الدرجة الأولى»[٥٤]، كما يذكر الحصير البربري أيضا في خطاب آخر مؤرخ في ٥٢٨هـ/١١٣٣م كأحد السلع المُصدرة إلى الهِنْد «سعر عشرة حصر بربرية في حزمة واحدة مسجلة بالعبرية والعربية دينار واحد»[٥٥]، وكذلك في خطاب أخر من عدن مؤرخ في ٥٣٠هـ/١١٣٥م يشير لحزمة من الحصر البربرية[٥٦].

دهلك:

أدت موانئ وجزر البحر الأحمر على الساحل الغربي منه دورًا كبيرًا في حركة التجارة وساعدت في ربط مسلمي هذه القارة بسواحل غرب الجزيرة العربية التي كان من بينها جزر دهلك[٥٧]، حيث ذكرت دهلك في المصادر العربية بـ(دهيك) ويصفها ياقوت الحموي بقوله «جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة»[٥٨]، ويصفها أبو الفداء دهلك بقوله «إنها جزيرة من

جزائر بحر القلزم، وهي جزيرة مشهورة في طريق المسافرين في بحر عَيذاب إلى اليمن؛ أي إنها تقع في (بحر الحجاز) البحر الأحمر قريب ميناء عَيذاب في مصر والطريق البحري الموصل بين مصر واليمن»(٥٩)، وقد خضعت دهلك للسيطرة اليمنية من قبل الزياديين (بنو زياد ٢٠٤-٤٠٩هـ/ ٨١٩-١٠١٨م) فكان صاحبها يرسل للدولة الزيادية ضريبة سنوية تتكون من ألف رأس من الرقيق بالإضافة إلى الهدايا(٦٠)، واشتهرت دهلك بالعديد من أنواع التجارة؛ منها اللؤلؤ(٦١) الذي احتل مكانة في تجارتها وشكّل دخلًا عظيمًا لأهلها، بالإضافة إلى تجارة الأسماك(٦٢)، فكانت مشهور بالنسبة للتجار بصفة عامة وهو ما أكده ابن سعيد بقوله «وفي غربيها في البحر جزيرة دهلك المشهورة على ألسن التجار»(٦٣).

وذكرت دهلك في عدد من الخطابات، كما في الخطاب الذي يحمل دعوى قضائية من أبي يعقوب الحكيم ضد يوسف اللبيدي والمؤرخ في ٤٩٠هـ/ نوفمبر ١٠٩٧م، الذي يشير إلى دهلك بأنها مقصدًا لبيع المنسوجات بقوله «تلقيت منها مجموعة من المنسوجات ووصلت بها إلى دهلك، وفي دهلك لاحظت أن المنسوجات تباع جيدا لذلك باعت أفضل القطع»(٦٤)، وبيعت بها كمية من البضائع عبارة عن منسوجات وأقمشة «بيعت في دهلك أربعون قطعة، كل قطعة من ٧ -٨ دنانير، وبيع الباقي بـ ٦٠ دينارًا»(٦٥)، وفي خطاب أخر ذكر «مدين أيضا بعائدات العبهر، التي بيعت في دهلك وقيمتها ٤٠ دينارًا بالعملة المحلية والتي تعادل عشرة مثاقيل جيدة»(٦٦)، في خطاب آخر مؤرخ من الفسطاط في ٤٩١هـ/ ١٢ أبريل ١٠٩٨م يشير أنه «بيعت ٨٠ مانا(٦٧) من العبهر في دهلك، بـ ٤٠ دينارًا دهلكيًّا، بقيمة عشرة دنانير مصرية، وأخذت الباقي معي إلى الهِنّد»(٦٨)، وفي نفس الخطاب يشير إلى نقله كمية من المرجان بقوله «حملت في ذلك المرجان الذي من دهلك إلى الهِنّد، ويزن قنطار واحد، ولم يتطلب مني نفقات إضافية على طول الطريق»(٦٩)، وفي خطاب من إمرام بن يوسف إلى نهاري بن نسيم من الإسكندرية والمؤرخ في

٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، يذكر أنه في طريقه إلى الشرق اجتمع نهاري بن نسيم في دهلك مع الشيخ أبي الحسن سلامة المعري، الذي كان يطالب بجلب المبالغ المحصلة من الكافور من عدن[٧٠]، وفي خطاب من ديفيد بن ميمون لأخيه موسى بن ميمون من الهِنْـد والمؤرخ في ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م يقول «أبو علاء لا يزال في دهلك، لأن السفينة التي سافر فيها قد تحطمت ولم يتم إنقاذه أي شيء على الإطلاق من أمتعته»[٧١].

وفي خطاب مؤرخ في ٤٩٢هـ/ ١٢ إبريل ١٠٩٨م يفيد بأن التاجر يوسف اللبيدي دفع بعض الرسوم الجمركية وكذلك الرشاوى بقوله «للحمالين وقائد القارب دينار واحد ... دفعت من عَيذاب إلى دهلك ستة وربع دينار، وفي دهلك رسوم جمركية للقطعتين ستة دنانير، بعد أن قدمت رشاوى بمبلغ دينار واحد، وديناريـن للشحن ودفعت دينارًا واحدًا من دهلك إلى عدن»[٧٢]، وكان إجمالي ما أرسل في إحدى الصفقات حسب ما جاء في خطاب التاجر اليهودي بركات اللبيدي في الخطاب المؤرخ في ٥٢٦هـ/ ٢٦ يناير ١١٣٢م: «وإجمالي ما أنفق في عدن لمواد التعبئة والجلود وسلال النخيل والحبال والحزام ١٢ دينارًا، وحصيلة الفرضة ١٦ دينارًا، وشحن السفينة ٢٨ دينارًا، وإجمالي الجمارك في دهلك وميناء نيزالا[٧٣]»[٧٤].

كما نرصد في خطاب من ديفيد ابن ميمون إلى أخيه موسى بن ميمون من الهند مؤرخ في ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م يذكر فيه: «أبو علاء لا يزال في دهلك، لأن السفينة التي سافر فيها قد تحطمت ولم يتم إنقاذه أي شيء على الإطلاق من أمتعته»[٧٥].

وعن أشهر السلع والبضائع التي ارتبطت بمدن الساحل الغربي للبحر الأحمر كما وردت بوثائق الجنيزة بالإضافة للسلع الهِنْدية الجلود والعاج والذهب، حيث قدمت جنوب الجزيرة العربية وخاصة اليمن مجموعة متنوعة من السلع من بينها الطيور والحيوانات والمنسوجات وخاصة البرد اليمنية[٧٦]، كما كان لتجارة العبيد الأفارقة –الزنوج- دلالات في وثائق الجنيزة وخاصة القادمة من مدن

شرق إفريقيا ممن عملوا خدمًا في الدور، عبر المنافذ البحرية المطلة على البحر الأحمر، وتعطينا وثائق الجنيزة إشارات قليلة جدًّا عن تلك التجارة الرائجة آنذاك وذلك في الإشارة الواردة عن أحد التجار اليهود المقيمين بعدن، حيث رغب في شراء خادم له على أن يكون مميزًا، إذ يُعدّ العبيد مكونًا مهمًّا للاقتصاد في مجتمع عصر الجنيزة، ولعب العبيد المعتادين الموثوق بهم دورًا فعالًا في تجارة الهند خاصة المراسلين أو المناديب، وهو ما جاء في الرسالة التي أرسلها خلف بن إسحاق إلى خلفون بن هافي ليفي بن نثائيل في الفترة ما بين ٥٣٥هـ/ ١٤ أكتوبر - ١١ نوفمبر ١١٤٠م [٧٧].

وتشير بعض المصادر العربية لدور اليهود في تلك التجارة وخاصة القادمين من الأندلس واحتكارهم لتجارة الرقيق، فعملوا على جلب أعداد كبيرة من الفتيان والفتيات الصغار إلى الأندلس، يشترونهم من شمال إسبانيا، وبلاد الفرنجة، ومن الدول السلافية، ودول ساحل البحر الأسود، ثمَّ يعرضونهم للبيع في أسواق الأندلس، فيشتري أمراء المسلمين وأغنيائهم في الأندلس من شاؤوا من هؤلاء الرقيق، ومن زاد عن حاجتهم يحملهم التجار اليهود إلى شمال إفريقيا وإلى المشرق الإسلامي، حيث يباعون هناك، وسرعان مايتعلم هؤلاء العبيد العربية ويتثقفون بالثقافة الإسلامية ويعتنقون الإسلام، وأصبح كثيرٌ منهم حرّاسًا لأمراء الأندلس وجنودًا وقادة في الجيش الإسلامي. وامتلك العديد من الأمراء كثيرًا من الجواري اللائي جلبهُنَّ التجار اليهود إلى الأندلس[٧٨].

كما توجد بعض الإشارات الخاصة بالنقاط الجمركية ورسوم العبور في تلك المنطقة لتحصيل الرسوم من السفن المارة في تلك السواحل والموانئ، وهو ما يشير إليه خطاب يوسف اللبيدي أثناء عودته من الهِنْد، حيث ذكر أنه ظل وقتًا طويلاً في ميناء مرباط ومنها أرسل البضائع المجلوبة من الهِنْد مع أحد التجار إلى عدن، حيث لم يبحر لعدن وتحول مباشرة إلى دهلك لتفادي الرسوم

الجمركيـة الباهظة بعدن[٧٩]، ونفس الأمر بالنسـبة للتجـار القادمين من الهِنْد أو جنوب بلاد فارس ومن شـرق الجزيرة العربية فتفادوا السـفر لعدن وفضـلوا المرور بمرباط كما جاء في الخطاب المؤرخ في ٤٩١هـ/١٠٩٧م[٨٠].

خاتمة:

من خلال ما عُرِض نسـتطيع القول: إن لمدن السـاحل الغربي للبحر الأحمر والساحل الشرقي لإفريقيا مثلًا أهمية كبيرة في عالم العصور الوسطى خاصة ما يتعلق بالنشـاط التجاري، الذي يتضـح جليًّا من خلال وثائق الجنيزة وما حملته من معلومات غاية في الأهمية عكسـت هذه المكانة عند رصـد حركة التجارة بين ضـفاف البحر الأحمر الغربية والشـرقية، وعلاقاتها بالبلدان المجاورة كمصـر واليمن وبطون إفريقيا.



شكل (1-1): خريطة البحر الأحمر موقع عليها أهم المواني والمواقع.

الهوامش

(١) عبير كريم عبد الرضا الشاوي: تجار الكارم وأثرهم الاقتصادي والحضاري من القرن الرابع وحتى القرن التاسع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٥م، ص١٨١.

(٢) طه حسين عوض هديل: دور الموانئ الأفريقية في تسهيل الحج إلى الحجاز من القرن السادس إلى الثامن الهجري/ القرن الثاني عشر إلى الرابع عشر الميلادي : ميناء زيلع أنموذجاً، مجلة العلوم العربية والإنسانية - جامعة القصيم ، السعودية، مج ١١ ، ع ٢، ٢٠١٧م، ص٨٧٤؛ هاني محمد حسن: النشاط التجاري في جنوب شبه الجزيرة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، ٢٠١٦م، ص١٩٤.

(٣) حسنين ربيع: وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ الحجاز واليمن، السعودية، مطبوعات جامعة الرياض، (د.ت)، ص١٣٤.

(4) Goitein And Mordechai Akiva Friedman: India Traders Of The Middle Ages Documents From The Cairo Geniza (India Book), Brill, Leiden , Boston, ٢٠٠٨, p.٤١٣.

(٥) محمد خليفة حسن ، النبوي جبر سراج: الجنيزا والمعابد اليهودية في مصر، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، يصدرها مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، ع(٩)، ١٩٩٩م، ص٢٧.

(٦) مجلة رسالة المشرق، جنيزة القاهرة، ص٢٨.

(7) Goitein: Letters Of Medieval Jewish Traders, Princenton University, ١٩٧٢, p.٢٣.

(٨) خالد العمايرة: موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة اليرموك،، ٢٠٠٧م ص٣٣٠.

(٩) أ. شريف: الساحل الإفريقي الشرقي ودوره في التجارة البحرية، ضمن كتاب «تاريخ إفريقيا العام المجلد الرابع: إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر»، المشرف علي المجلد، ج. ت.نياني، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو)، عن منظمة الأمم المتحدة، ١٩٩٨م، ص٥٧٣.

(١٠) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٧م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج٢، ص١١٤-١١٥.

(١١) حسانين ربيع: المرجع السابق، ص٢٠٨.

(١٢) حسانين ربيع: المرجع السابق، ص١٣٥.

(١٣) خالد العمايرة: المرجع السابق، ص٣٢١.

(١٤) ابـن بطوطة، شـمس الدين أبو عبـد الله محمد بن إبراهيم اللواتـي (ت٧٧٩هـ/ ١٣٨٠م): رحلة ابن بطوطة المسـماة «تحفة النظار في غرائب الأمصـار وعجائب الأسـفار»، تحقيق: عبد الهادي التازي، خمسة أجزاء، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص١١١.

(١٥) معمـر الهـادي القرقوطـي: العلاقات التجاريـة بين مدينتي عدن وزيلع في العصـر الإسـلامي، (الجزائـر، مجلة التراث، مخبر جمع دراسـة وتحقيق مخطوطـات المنطقة وغيرها، جامعة زيان عاشور بالجلفة، ع (١١)، ٢٠١٤م ، ص٦٠.

(١٦) علي محمد فريد مفتاح: موانئ الساحل العماني ودورها في تنشيط حركة السلع التجارية المتبادلة بين عمان وبلاد الهند في العصـر الإسـلامي (٧٠٠ – ٣٠٠هـ / ٩١٢ – ١٣٠٠م)، السـعودية، مجلة الدارة، ع ٢، مج ٣٩ ، ٢٠١٣م، ص٢١٥.

(١٧) عمـاد علـو: القوى البحرية والتجارية في الخليج العربي خلال العصـور الإسـلامية، دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م، ص٢٧.

(١٨) أ. شرف: المرجع السابق، ص٥٧٤.

(١٩) أ. شرف: المرجع السابق، ص٥٧٢.

(٢٠) علي حسين أحمد: النشاط التجاري في اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى نهاية العصر الأيوبـي (٢٠١ – ٦٢٦ هـ ٨١٦ – ١٢٢٨م)، رسـالة دكتـوراه، (جامعـة أم القرى، كلية الشـريعة والدراسات، ٢٠٠٢م)، ج١، ص٣٠١.

(21) Goitein: Indian book, p.٤٥٦.

(22) Goitein: Indian book, p.٥٣٥

(٢٣) عبد الغني عبد العزيز زيادة: ميناء عَيذاب في العصـر الوسيط دراسة في الجغرافية التاريخية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢.

(٢٤) خالد العمايرة: المرجع السابق، ص٦١.

(٢٥) عبد الغني عبد العزيز: المرجع السابق، ص٥.

(٢٦) إبراهيـم بـن ييجو (ياجو): تاجـر كبير من المهدية اسـتقر بالهند امتلك العديـد من العلاقات والمبادلات التجارية في الهند وعدن، اسـتقر لفترة في عدن، ثم ذهب واسـتقر بالفسطاط. محمد كـريم إبراهيـم الشـمري: مجتمـع عدن وسـكانها خلال عصـري بنـي زريع وبني أيـوب ٥٣٢ –

٦٢٦هـ/١١٣٧– ١٢٢٨م، مجلة كلية التربية، اليمن، ع(٦)، ٢٠٠٤م، ص٢٥.

(27) Goitein: letters, p. ١٨٦

(28) Goitein: Indian book, p.٧٩.

(29) Goitein: Indian book, p.١٥٧.

محمود أحمد هدية: خطابات التجار اليهود مصدر لرصد حركة التجارة في جنوب الجزيرة العربية في العصر الوسيط، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، الإمارات، ع (١٠٧)، ٢٠١٩م، ص٣٧.

(30) Goitein: Indian book, p.٥٠٢-٥٠١.

(31) Goitein: Indian book, p.٣٠.

(٣٢) مضمون بن حسن بن بنوار: صاحب سفينة ووكيل تجار عدن، كان ولده وكيل تجار عدن أيضا، عرف مضمون بنشاطه التجاري خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، توفي عام ٥٦٧هـ/١١٥١م، وخلفه في عمله ابنه الأكبر، والذي توفي خلال عصر بني زريع أمراء اليمن. محمد كريم إبراهيم الشمري: مجتمع عدن وسكانها خلال عصري بني زريع وبني أيوب ٥٣٢ – ٦٢٦هـ / ١١٣٧ – ١٢٢٨م، مجلة كلية التربية –اليمن، ع ٦، ٢٠٠٤م، ص٢٥.

(33) Goitein: Indian book, p.٤٥.

(34) Goitein: Indian book, p.١٥٩.

(٣٥) خالد العمايرة: المرجع السابق، ص٦٢.

(٣٦) طه حسين عوض هديل: المرجع السابق، ص٨٧٤.

(٣٧) عوض عبد الجليل: تاريخ موانئ البجة في عصر الدولة الإسلامية(١١هـ/٦٣٢م-٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، ورقة نُشرت في مجلة جامعة البحر الأحمر- السودان، ٢٠١٧م، ص ١٣.

(٣٨) أ.پول، دت: تاريخ قبائل البجة في شرق السودان، ترجمة: أوشيك آدم، الخرطوم، (. د ت)، ص٢١.

(٣٩) ابن بطوطة: الرحلة، ص

(٤٠) الحموي: المصدر السابق، ج ٦، ص٣١٤.

(٤١) نعيمة شديد محمد: أهمية الموانئ السودانية للتجارة الدولية عبر (بحر الحجاز) البحر الأحمر خلال العصر الإسلامي، السعودية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز - العلوم التربوية، ع(١٣)، ٢٠٠٠م، ص ٢٦٨-٢٧٢.

(٤٢) أبو الفداء: المصدر السابق، ص٣٧١.

(43) Goitein: Indian book. p.٢٦٢.

(44) Goitein. Indian book. p.٣٧٤.

(٤٥) خالد العمايرة: المرجع السابق ، ص٦٣.

(٤٦) نعيمة شديد: المرجع السابق، ص ٢٦٨-٢٧٢.

(٤٧) الحموي: المصدر السابق، ج١، ص٣٦٩.

(٤٨) الحموي: المصدر السابق، ج١، ٣٦٩؛ علي حسين أحمد، المرجع السابق، ص٣٠٠

(٤٩) خالد العمايرة: المرجع السابق، ص٣٢٣.

(50) Goitein: Indian book. p.٥٣٥.

(51) Goitein: Indian book.. p.٥٩٩; letters. p. ١٨٩.

(٥٢) معمر الهادي القرقوطي: العلاقات التجارية بين مدينتي عدن وزيلع في العصر الإسلامي، الجزائر، مجلة التراث، مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، جامعة زيان عاشور بالجلفة، ع (١١)، ٢٠١٤م، ص٦٠.

(53) Goitein: Indian book. p.٥٣٥

(54) Ibid.. p.٣١٣; Goitein. From Aden to India: Specimens of the Correspondence of India Traders of the Twelfth Century. Journal of the Economic and Social History of the Orient. Vol. ٢٣. No. ٢/١ (Apr.. ١٩٨٠). p.٥٠

(55) Goitein: Indian book. p.٣٢٥

(56) Goitein: Indian book.. p.٣٤٥

(٥٧) طه حسين عوض هديل: المرجع السابق، ص٨٧٣.

(٥٨) الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٢.

(٥٩) أبو الفدا: المصدر السابق، ص٣٧١؛ محمد كريم إبراهيم: المرجع السابق، ص١١٩.

(٦٠) علي حسين أحمد: المرجع السابق، ص٣٠١

(٦١) اللؤلؤ: يسمى الصغير منه لؤلؤ، وعندما تبلغ الحبة منه مثقال سميت درة، وهو علي ألوان عدة منه الأصفر والأحمر والأخضر والأزرق وهذه الألوان ناتجة عن ملاصقتها لأعضاء الحيوان. عبير الشاوي: المرجع السابق، ص٢١٧.

(٦٢) محمد كريم: المرجع السابق، ص١٢٢.

(٦٣) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٧٠م، ص٢٢.

(64) Goitein: Indian book, p.١٧٢
(65) Ibid, p.١٨٤.

محمود أحمد هدية: المرجع السباق، ص٣٦.

(66) Goitein: Indian book, p.١٧٢

(٦٧) المن: يساوي شرعًا رطلين، كل رطل يتكون من ١٣٠ درهم، وكان المن ذو الـ ٢٦٠ درهما في الجزيرة العربيـة (٨١٢،٥ جـم) في مكة يعرف بالرطل، وكان من القمح والعسـل والتمر يسـاوي ٣ أرطال مصـرية (١,٣٥ جم). فالتنس هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، (منشورات الجامعة الأردنية،١٩٧٠م)، ص٤٤.

(68) Goitein: Indian book, p.١٨٨
(69) Goitein: Indian book, p.١٨٨.

محمود أحمد هدية: المرجع السابق، ص٣٦.

(70) Goitein: Indian book, p.٢٩٣
(71) Goitein, letters, p. ٢١٠
(72) Goitein: Indian book, p.١٨٩

(٧٣) يشـير جواتيان أن هذا الميناء يقع بين ميناء سَوَاكِن ودهلك. محمود أحمد هدية: المرجع السابق، ص٣٦.

(74) Goitein: Indian book, p.٢٦١.

محمود أحمد هدية: المرجع السابق، ص٣٦.

(75) Goitein: letters, p. ٢١٠.
(76) Goitein: Indian book, p.٣٤٣.
(77) Goitein: Indian book, p.٤٥٤.

(٧٨) ابـن خرداذبة، أبو القاسـم عبيـد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ): المسـالك والممالك، طبع بمطابع ليدن، أبريل، ١٨٨٩م، ص١٥٣؛ المقدسـي، شـمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م): أحسـن التقاسـيم في معرفـة الأقاليم، طبعة ليـدن، ١٩٠٩م، ص٢٤٢؛ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، ق١، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٣٨م، ص١٠٦.

(79) Goitein: Indian book, p.٢٠٤

(80) Goitein: New Light On The Beginnings Of The Kārim Merchants. Journal Of The Economic And Social History Of The Orient. Vol. ١، No. ٢ (Apr.، ١٩٥٨)، p.١٧٩.

شعر يحيى الغزال بين تحقيقين

أ.د.عبدالعزيز بن ناصر المانع

تربطني بهذا الشاعر الأندلسي رابطة علاقة أدبية قديمة تعود إلى عام ٢٠٠٣م، عندما نُشر السفر الثاني من كتاب المقتبس -لابن حيّان القرطبي (ت٤٦٩هـ)- في الرياض، وقد وقع في يدي تحقيق جديد لشعره خرج عام ٢٠٠٤م عن دار الآداب بالقاهرة، فسعدت بخروجه وأملت فيه الخير الذي كنت أطمح إليه منذ أن ارتبطت بهذا الشاعر وتوثقت صلتي به، وكتبتُ عنه ماكتبتُ، واستدركتُ على ديوانه ما استدركتُ.

لذلك احتفيت بهذه النشرة الجديدة التي جمع فيها الدكتور علي الغريب محمد الشناوي أستاذ الأدب الأندلسي المساعد بكلية الآداب في جامعة المنصورة شعرَ هذا الشاعر، وقد ثَبّتَ سعادة الدكتور على غلاف نشرتِهِ هذه العبارة الجاذبة:

«أول نشرة علمية موثقة لشعر الغزال طبقًا لآخر ما نشر من مخطوطات المقتبس».

ثم تبدأ مقدمة التحقيق فينخرط الدكتور الفاضل ليحدثنا عن المحاولات التي سبقته في جمع شعر هذا الشاعر بين (الدارسين المحدثين)، بعد ضياع مخطوط ديوانه المجموع قديمًا، فيسردهم على الترتيب التالي:

١. الدكتور إحسان عباس في كتابه: تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة. فيذكر أنه جمع أربع عشرة قطعة، معتمدًا في جمعها على كتاب «بهجة المجالس» لابن عبد البر، بيروت، ١٩٨٥م.

٢. جمع الأستاذ محمد صالح البنداق، المذيل ببحث عن الشاعر، وقد نشر في بيروت عام ١٩٧٩م. وجمع الأستاذ البنداق –كما يقول الدكتور الشناوي– ثمانيًا وأربعين مقطوعة، رتّبها على حروف المعجم، إلا أنه لم يعتمد على كتاب المقتبس لابن حيان في جزأيه المنشورين في بيروت عام ١٩٧٣م، والرياض ٢٠٠٣م. وهذا احتجاج يفتقر إلى المنطق إذ كيف يؤاخَذُ محققٌ نشر كتابه عام ١٩٧٩م، على عدم استخدامه مصدرًا نشر عام ٢٠٠٣م ؟!

٣. وينتقل الدكتور الغريب الشناوي إلى المحاولة الثالثة لجمع «شعر الغزال» التي يعدها أوفى من المحاولتين السابقتين، وهي محاولة الدكتور حكمة الألوسي في كتابه «فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة»: ص٢١١–٢٢٦. حيث جمع من شعر الغزال سبعًا وثلاثين قطعة، وهو من منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.

٤. ثم يختم الدكتور الغريب الشناوي هذه المحاولات من بعض «الدارسين المحدثين»، بما قدمه الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية الذي جمع من شعر الغزال سبعًا وستين قطعة، وسماه: «ديوان يحيى بن حكم الغزال»، من منشورات دار قتيبة، دمشق ١٩٨٢م. ولكن الدكتور الغريب في مقدمة تحقيقه يتوجّه لعمل الدكتور الداية بالنقد اللاذع دون من سبقوه؛ إذ يقول عن عمله بأنه: «جاء في صورة غير مرضية نصًّا وإخراجًا»!

وهـذا دفعه إلى التوجه إلى شـعر الغزال «يتتبعـه في مظانه الممكنة؛ يلتقطه ويجمعه ويوثقه».

فهل وُفِّق الدكتور في مشروعه؟

إن المتصـفح لتحقيق الدكتور الغريب الشـناوي سـيلاحظ أنه في هوامشـه وحواشـيه لم يُحـل قارئـه إلى واحدة من المحاولات السـابقة لـه، لكنه في الواقع توجّه كلّيًّا إلى تحقيق الدكتور الداية واعتمد على كلّ مصادره وحدها بما في ذلك إحالاته على كتاب المقتبس لابن حيان، بيروت ١٩٧٣م، لكنه لم يشر إلى د.الداية باسمه في هوامشه وحواشيه ولو مرة واحدة!!

أمّا الشـعر الذي ضـمّه كتاب «السـفر الثاني من المقتبس» فسيأتي الحديث عنه لاحقًا.

سأقارن بين نشرة الدكتور الغريب الشناوي ونشرة الدكتور الداية لأدلل على صـحة ما أشـرت إليه، وسـأكون إن شـاء الله أمينًا متأنّيًا في ما أثبت، وسأترك النصوص وحدها تثبت ذلك.

أقول وبالله التوفيق:

القصـيدة٢: أحالنـا الدكتـور الغريب الشـناوي، في طبعتـه الجديدة، وهو يخرّج هذه القصـيدة، على كتاب المطرب لابن دحية، صـ١٤٨، وعلى كتاب نفح الطيـب للمقَّـري ٢: ٢٦١، وعلى كتاب جـذوة المقتبس للحميدي صـ٤٦٤، وعدد الأبيات عنده ثمانية أبيات.

وأحالنا سـابقه: الدكتور الداية، في المقطوعات ٢، ٣، إلى المطرب ص ١٤٨، ونفـح الطيب ٢: ٢٦١، وجذوة المقتبس ص ٢١٢، وعدد الأبيات عنده ثمانية أبيات

أيضًا، واختلفا في رقم صفحة جذوة المقتبس لاعتمادهما على نشرتين مختلفتين للكتاب.

القطعة ٣: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي في هذه القطعة على كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس للكتاني ص٢٥٢، وعدد أبياتها عنده ثلاثة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، في القطعة ١ على الكتاب نفسه، ص ٢٥٢، وعدد أبياتها عنده ثلاثة أيضًا.

القطعة ٩: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب بهجة المجالس لابن عبدالبر، ص٢٠٦، وهي عنده ستة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٨، على الكتاب نفسه، ص٢٠٦، وعدد أبياتها عنده ستة أبيات.

القطعة١٠: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي إلى المطرب لابن دحية، ص١٤٩، ونفح الطيب للمقَّري ٢: ٢٥٨، وهي عنده خمسة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ١٠، على المصدرين نفسيهما، ص١٤٦، ٢: ٢٥٨ على الترتيب، وعدد أبياتها عنده خمسة أبيات أيضًا، ووهم أحدهما في رقم الصفحة عند ابن دحية.

القصيدة١١: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي في هذه القصيدة إلى القسم الأول من كتاب المقتبس لابن حيان، بيروت، ص١٣، وهي عنده أربعة عشر بيتًا.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القصيدة٩، إلى الكتاب نفسه، ص١٣، وعدد أبياتها عنده أربعة عشر بيتًا أيضًا.

القطعــة١٢: أحالنــا الدكتور الغريب الشــناوي في هذه القطعــة إلى الجزء الثــاني من المقتبس لابن حيان، ص٢٦١، المطبوع ســنة ٢٠٠٣م، وإلى نفح الطيب للمقَّري، ٢: ٢٥٧، وعدد أبياتها عنده ثلاثة أبيات.

وأحالنا ســابقه؛ الدكتــور الداية، القطعة٥، إلى الكتاب نفســه، ص٢: ٢٥٧، وعدد أبياتها عنده ثلاثة أيضًا.

قلتُ: ولايمكــن أن يحيل الدكتور الداية إلى المقتبس، المطبوع ســنة ٢٠٠٣م؛ لأن نشرته صدرت عام ١٩٨٢م!

القصيدة١٣: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب المطرب لابن دحية، ص١٤٤، وكتاب نفح الطيب للمقَّري ٢: ٢٥٧، وعدد أبياتها عنده تسعة أبيات.

وأحالنا ســابقه؛ الدكتور الداية، القصــيدة ٤، على المطرب، ص١٤٤، ونفح الطيب ٢: ٢٥٧-٢٥٨، وعدد أبياتها عنده تسعة أبيات أيضًا.

القطعــة١٤: أحالنا الدكتور الغريب الشــناوي على كتــاب المقتبس، بيروت، صفحة ٥٨، وعدد أبياتها عنده ثلاثة أبيات.

وأحالنــا ســابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٦٨، على المصــدر نفســه، ص٥٨، وهي عنده ثلاثة أبيات أيضًا.

القصــيدة١٧: أحالنــا الدكتــور الغريب الشــناوي على كتــاب المقتبس لابن حيان، بيروت، ص١١، وهي عنده تسعة أبيات.

وأحالنا ســابقه؛ الدكتور الداية، القصــيدة ١٤، على المصــدر نفسه ص١١، وهي عنده تسعة أبيات أيضًا.

القطعة١٨: أحالنا الدكتور الغريب الشــناوي على جذوة المقتبس للحميدي،

ص٣٥٧، وعلى بغية الملتمس للضبي، الصفحات ٥٠٠-٥٠١، وهي عنده ستة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ١٤، على المصدرين نفسيهما مع اختلاف في ترقيم الصفحات، لاختلاف نشرتي الكتابين، وهي عنده ستة أبيات أيضًا.

القطعة٢١: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب التشبيهات لابن الكتاني، ص١٨١، وهي عنده أربعة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ١٨، على الكتاب نفسه، ص١٨١، وهي عنده أربعة أبيات أيضًا.

القطعة٢٢: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ١٠٩، وهي عنده ستة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، على الكتاب نفسه، الأبيات ١-٣-٦ في الجزء ٣: ١٠٩ و ١-٣ في الجزء ٣: ٥٨، القطعة ١٩، وهي عنده ستة أبيات أيضًا.

القصيدة٢٧: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب المقتبس لابن حيان، بيروت، ص١٢، وهي عنده سبعة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القصيدة ٣٧، على الكتاب نفسه، ص١٢، وهي عنده سبعة أبيات أيضًا.

القصيدة٢٨: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب المقتبس لابن حيان، بيروت، ص١١، وهي عنده سبعة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القصيدة ٣٧، على الكتاب نفسه، ص١١، وهي عنده سبعة أبيات أيضًا.

القطعة٢٩: أحالنا الدكتور الغريب الشـناوي على كتاب المقتبس لابن حيان، بيروت، ص٦٥(؟)، وهي عنده ستة أبيات.

وأحالنا سـابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٣٦، على الكتاب نفسه، ص١٢(؟)، وهي عنده في ستة أبيات أيضًا. وأخطأ أحدهما في رقم الصفحة.

القصيدة٣٠: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ٣٥٢، وهي عنده تسعة عشر بيتًا.

وأحالنا سـابقه؛ الدكتور الداية، القصـيدة ٣٤، على الكتاب نفسه ٥: ٣٥٢، وهي عنده تسعة عشر بيتًا أيضًا.

القصـيدة٣١: أحالنا الدكتور الغريب الشـناوي على كتاب العقد الفريد ٥: ٣٥٣، وهي عنده أربعة عشر بيتًا.

وأحالنا سـابقه؛ الدكتور الداية، القصـيدة ٣١، على الكتاب نفسه ٥: ٣٥٣، وهي عنده أربعة عشر بيتًا أيضًا.

القطعـة٣٣: أحالنـا الدكتـور الغريب الشـناوي على كتاب جـذوة المقتبس للحميدي، ص٣٧٥، وكتاب بغية الملتمس، ص٥٠١، وهي عنده أربعة أبيات.

وأحالنا سـابقه؛ الدكتور الداية، إلى المصدرين نفسيهما، الصفحات ٢٥٢، ٤٨٦، على الترتيب، القطعة ٣٩، وهي عنده أربعة أبيات أيضًـا، واختلفا في أرقام الصفحات لاختلاف نشرتي الكتابين.

القصـيدتان ٣٥، ٣٦: أحالنـا الدكتـور الغريب الشـناوي علـى كتاب بهجة المجالـس، المجلد الثالث، القسـم الثـاني، ص٢٢٨، وهما عنده ثلاثة عشـر بيتًا، وأربعة عشر بيتًا على الترتيب.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، على الكتاب نفسه، وهما عنده موزعتان على قصيدة وقطعتين.

القصيدة٢٠، ص٢: ٢٢٨، وهي عنده ثلاثة عشر بيتًا.

والقطعة ٢١، ص١: ١٤٤، وهي عنده سبعة أبيات.

والقطعة ٢٢، ص١: ٢٠٨، وهي عنده سبعة أبيات.

ومجموع القطع الثلاث سبعة وعشرون بيتًا أيضًا، كما عند الدكتور الغريب الشناوي.

القطعة٣٧: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب نفح الطيب للمقَّري، ٢: ٢٦٠، وهي عنده ثلاثة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٣٢، على الكتاب نفسه، ص٢: ٢٦٠، وهي عنده ثلاثة أبيات أيضًا.

القطعة ٣٨: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب يتيمة الدهر للثعالبي، ٢: ٦٤، وهي عنده ثلاثة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٢٧، على الكتاب نفسه بطبعتين: طبعة محيي الدين عبدالحميد ٢: ٤٩، وطبعة الشام ١: ٣٩٩، وهي عنده ثلاثة أبيات أيضًا.

القطعة ٤٠: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب المقتبس لابن حيان، بيروت، ص٦٤، وهي عنده ستة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٢٤ على الكتاب نفسه، الصفحات ٦٤-٦٥، وهي عنده ستة أبيات أيضًا.

النتفــة ٤١: أحالنــا الدكتــور الغريب الشــناوي علــى كتاب جـذوة المقتبس للحميدي، ص٣٧٥، وعلى بغية الملتمس للضبي، ص٥٠١، وهي عنده بيتان.

وأحالنا ســابقه؛ الدكتور الداية، النتفــة ٢٥، على الكتابين: ٢٥٢، ٤٨٦، على الترتيــب، وهي عنده بيتان أيضًــا، واختلاف أرقام الصــفحات بينهما لاختلاف نشرتي الكتاب.

البيــت المفرد ٤٣: أحالنا الدكتور الغريب الشــناوي على كتاب المقتبس لابن حيان، ص٦٤، طبعة بيروت.

وأحالنا ســابقه؛ الدكتور الداية، في هذا البيت، مفردًا أيضًــا، رقم ٢٣، على كتابين: قضاة قرطبة للخشني، ص٥٤، والمقتبس لابن حيان ٦٤، طبعة بيروت.

النتفة٤٥: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني، ص١٦٣، وهي عنده بيتان.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، النتفة ٣٥، على الكتاب نفسه، ص١٦٣، وهي عنده بيتان أيضًا.

القطعة٤٨: أحالنا الدكتور الغريب الشــناوي على كتاب المقتبس لابن حيان، ص٧٠، طبعة بيروت، وهي عنده أربعة أبيات.

وأحالنا ســابقه؛ الدكتــور الداية، القطعــة ٤٢، على الكتاب نفســه، ص٧٠، طبعة بيروت، وهي عنده أربعة أبيات أيضًا.

النتفــة٤٩: أحالنا الدكتور الغريب الشــناوي على كتاب المقتبس لابن حيان، طبعة بيروت، ص١٣٤، وهي عنده بيتا رجز.

وأحالنــا ســابقه؛ الدكتور الدايــة، القطعة ٤١، إلى الكتاب نفســه، ص١٣٤، وإلى نفح الطيب للمقَّري ٢: ٢٥٥، وهي عنده بيتا رجز أيضًا.

القطعة٥٠: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب نفح الطيب للمقَّري، ص٢: ٢٥٦، وهي عنده ثلاثة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٤٣، على الكتاب نفسه ٢: ٢٥٦، وهي عنده ثلاثة أبيات أيضًا.

النتفة٥١: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب المقتبس لابن حيان، ص١٣٤، طبعة بيروت، وهي عنده بيتان.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، النتفة ٤٤، على الكتاب نفسه، ص١٣٤، وهي عنده بيتان أيضًا.

القصيدة٥٢: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب بهجة المجالس لابن عبدالبر، البيتان الأول والثاني ص٥٤٨، وأحالنا على القصيدة كاملة في ثمانية أبيات في العقد الفريد لابن عبدربه، ص ٢: ٢٤٣.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٤٥، على البيتين في كتاب بهجة المجالس ١: ١٩٩، ٥٤٦، ولم يقف الدكتور الداية على القصيدة كاملة في العقد الفريد.

القصيدة ٥٧: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب المطرب لابن دحية، ص١٤٦ (؟)، وعلى كتاب نفح الطيب للمقَّري ٢: ٢٥٩، وهي عنده ثمانية أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القصيدة ٤٦، على الكتابين، ص٤٦ (؟)، ٢: ٢٥٩ على الترتيب، وهي عنده ثمانية أبيات أيضًا، ووهم أحدهما في رقم الصفحة.

القصيدة٥٨: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب المطرب لابن دحية، ص١٥١، وهي عنده في سبعة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القصيدة ٤٧، على الكتاب نفسه، ص١٥١، وهي عنده في سبعة أبيات أيضًا.

القطعة٥٩: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب المقتبس لابن حيان، ص٦٩، وعلى كتاب قضاة قرطبة للخشني، ص٥٦، وهي عنده ثلاثة أبيات .

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٤٩، على الكتاب نفسه، ص٧٠، وعلى كتاب قضاة قرطبة للخشني، ص٥٦، وعلى كتاب العقد الفريد لابن عبدربه، ٣: ٢١٧، وهي عنده ثلاثة أبيات أيضًا.

القطعة٦٠: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب التشبيهات في أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني، ص٢٥٤، وهي عنده ثلاثة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٥٤، على الكتاب نفسه، ص٢٥٤، وهي عنده في ثلاثة أبيات أيضًا.

النتفة ٦١: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب نفح الطيب للمقَّري، ٣: ٤٣٨، وهي عنده بيتان.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، النتفة ٤٨، على الكتاب نفسه، ٣: ٤٣٨، وهي عنده بيتان أيضًا.

القصيدة ٦٤: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ٣٥٣-٣٥٤، وهي عنده ستة عشر بيتًا.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القصيدة ٥٦، على الكتاب نفسه، ٣: ٣٥٣-٣٥٤، وهي عنده ستة عشر بيتًا أيضًا، ووهم أحدهما في رقم الجزء.

القصيدة٦٥: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب المقتبس لابن حيان، ص١٨١، طبعة بيروت، وهي عنده خمسة عشر بيتًا.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القصيدة ٥٥، على الكتاب نفسه، ص١٨١، وهي عنده خمسة عشر بيتًا أيضًا.

النتفة ٦٧: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب بهجة المجالس لابن عبدالبر، ص ١: ٢٠٨، وهي عنده بيتان.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، النتفة ٥٩، على الكتاب نفسه، ١: ٢٠٨، وهي عنده بيتان أيضًا.

النتفة٦٨: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب التشبيهات في أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني، ص٢٦٦(؟)، وهي عنده بيتان.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، النتفة ٥٨، إلى الكتاب نفسه، ص ٦٦(؟)، وهي عنده بيتان أيضًا. ووهم أحدهما في رقم الصفحة.

القصيدة٧١: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب بهجة المجالس لابن عبدالبر ١: ٣٤٨-٣٤٩، وهي عنده سبعة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القصيدة ٦٦، على الكتاب نفسه، ص١: ٣٤٨، وهي عنده ستة أبيات، وسقط عنده البيت السادس.

القطعة٧٢: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب المطرب لابن دحية، ص١٥٠، وهي عنده ستة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٦٥، على الكتاب نفسه، ص١٥٠-١٥١، وهي عنده ستة أبيات أيضًا.

القطعة٧٤: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب بهجة المجالس لابن عبدالبر ٣(؟): ٤٢، وهي عنده ثلاثة أبيات.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، القطعة ٦٤، على الكتاب نفسه ٢(؟): ٤٢، وهي عنده ثلاثة أبيات أيضًا. ووهم أحدهما في رقم الجزء.

النتفة٧٥: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب بهجة المجالس لابن عبدالبر ٣(؟): ٤٢، وهي عنده بيتان.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، النتفة ٦٧، على الكتاب نفسه ٢(؟): ٤٢، وهي عنده بيتان أيضًا. ووهم أحدهما في رقم الجزء.

النتفة ٧٦: أحالنا الدكتور الغريب الشناوي على كتاب بهجة المجالس لابن عبدالبر ٣(؟): ٢٨٦، وهي عنده بيتان.

وأحالنا سابقه؛ الدكتور الداية، النتفة ٦١، على الكتاب نفسه ٢(؟): ٢٨٦، وهي عنده بيتان أيضًا. ووهم أحدهما في رقم الجزء.

وبعد:

فبعد هذه المقارنة بين التحقيقين أود أن أنبّه إلى عدة أمور أخرى أهمها:

أولاً: عجبتُ من هذا التطابق الواضح التام بينهما، علمًا بأن الدكتور الداية -كما سبق بيانه- قد نشر تحقيقه لديوان يحيى بن حكم الغزال في دمشق، ونشرته له دار قتيبة عام ١٩٨٢م، في حين نشر الدكتور علي الغريب محمد الشناوي شعر الغزال في القاهرة عام ٢٠٠٤م، ونشرته له مكتبة الآداب. هل كان هذا التوافق التام من باب توارد الخواطر ووقع الحافر على الحافر؟ علمًا بأن بين النشرتين مايقرب من ثنتين وعشرين سنة!!

هذا أمر متروك للدكتور الغريب الشناوي ليجيب عنه إن شاء.

ثانيًا: يصف الدكتور الغريب الشناوي نشرته على الغلاف بأنها «أول نشرة

علمية»، ولعل ما ذكر أعلاه يناقض «علميَّتَها»، وأضيف:

- اعتمد الدكتور الغريب الشـناوي على كتاب المطرب مؤيِّدًا بمصـدر آخر عند جمعه لشعر يحيى بن الحكم الغزال في قصائده التالية:

١. القصـيدة الثانية، مؤيِّـدَةً برواية نفـح الطيب، وبعض أبيـات في جذوة المقتبس، وذلك على صفحة ١١٧.

٢. المقطوعة العاشرة مؤيِّدة برواية نفح الطيب، وذلك على صفحة ١٣٢.

٣. القصـيدة السـابعة والخمسـون مؤيِّدة برواية نفح الطيـب، وذلك على صفحة ٢١٠، وربما كان المطرب هو الأصل الذي نقل منه صاحب نفح الطيب تلك القصائد نظرًا لتأخر المقَّري، وتقدم ابن دحية.

- واعتمد كذلك على المطرب منفردًا في ما يلي:

١. القصيدة الثامنة والخمسون على صفحة ٢١٢.

٢. القصيدة الثانية والسبعون على صفحة ٢٣٣.

واعتماد الدكتور الغريب الشناوي على كتاب المطرب لابن دحية يثير الدهشة والاستغراب؛ لأن ابن دحية يورد قصيدة تقع في ستة عشر بيتًا فلا يثبتها المحقق الكريم ضمن شعر الغزال، ولا يحيل إليها، بل يجعلها في هامش صفحة ١٢١!

وحجته في ذلك أنه يشكك في «أمانة ابن دحية»!!

إذا كنت تشـكك في أمانته على صـفحة ١٢١، فكيف وثقت به واعتمدت على روايته في القصائد المذكورة أماكنها آنفًا؟!

ثالثًا: أثبت الدكتور الغريب الشناوي في تحقيقه شعر الغزال:

أ. القطعة الثامنة، في قافية الباء، الواقعة في خمسـة أبيات، ص١٣١، وقال

في تخريجها: «هذه القطعة وردت في كتاب ظهر الإسلام لأحمد أمين ج٣، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية: ١٩٦٦». وأغفل ذكر الصفحة، وليس مهمًا.

ب. أثبت الدكتور الغريب الشناوي القطعة الرابعة والثلاثين، في قافية الراء، الواقعة في ستة أبيات، ص١٨٢، وقال في تخريجها: «ظهر الإسلام، ج٣/ : ١١٢، ١١٣، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة: ١٩٦٦».

ت. أثبت الدكتور الغريب الشناوي، النتفة الثانية والأربعين، في قافية الراء، الواقعة في بيتين، ص١٩١، وقال في تخريجها: «ظهر الإسلام ج٣/ ص١١٣».

وهـذا التخريج في المواضـع الثلاثة لايجـوز علميًّا، حتـى وإن وردت القطعة الثانية عند الدكتور الداية!

التحقيـق العلمي –في علمي المتواضـع– أنه لايُثبَـتُ في النص المجموع إلا ما ورد في المصـادر الأصلية، أما ماورد في المراجع فلا يثبت على الإطلاق. وإذا كان لابد من ذكره للفائدة، فيُذكر ملحقًا بالديوان أو بالشعر المجموع.

نعم: نثبته إذا ورد في كتب المراجع محالًا إلى مصدر مخطوط لم نتمكن من الوصول إليه، أما ماعدا ذلك فلا يصح على الإطلاق.

والعلم عند الله.

رابعًا: قفز الدكتور الغريب الشناوي في نشرته العلمية قافية حرف الشين!

وهاهـي منقولة مـن الدكتـور الداية، وهي نتفـة أثبتها في ديوانـه المجموع، الصـفحات ٧٧-٧٨، وقـد رجع الدكتور الغريب الشـناوي إلى ذلـك الديوان بلا شك:

«قافية الشين

(٤٠)

وقـال الغـزال؛ وذكر عُمَـيْرًا الضـاغط، في معرض تخويف بعضـ الظلمة. والضاغط في الاصطلاح الأندلسي آنذاك، هو المكلف بالتعذيب.

ونقل ابن حيَّان أن عُمَيْرًا هذا كان ضاغطًا للأمير محمد، وكان يتولى تعذيب من يسـخط عليه، يُبدِعُ في ذلك مَكارِهَ يُسـتعاذ بالله منها، وكان شديد القساوة، فظًّا لايعرف الرحمة، فله في شـأنه أخبـار معروفة. قال: وإيّاه عنى الغزال بقوله في تخويف بعض الظلمة:

فكـــأنِّي بِعُمَيْــــــرٍ   مِنك قدْ سَلَّ الحُشاشَةْ

أنـت والله كـمـا حـا   مَتْ [على] النَّار فَراشَةْ

التخريج: النص في المقتبس (د.مكي-بيروت): ١٨٥».

قلتُ: ولم يرد ذكر «قافية الشين» في فهرس القوافي الواقع على صفحة ٢٦٤-٢٦٥، في نشـرة الدكتور الغريب الشناوي.

خامسًا: تنتهي قافية حرف الباء بالقطعة رقم ٣، وتبدأ بعدها مباشرة قافية حرف التاء بالقطعة رقم ٥.

أين القطعة رقم ٤؟

هل سقطت عند الطباعة؟

سادسًــا: تكرر «رقم ٢٤» آخر قافية الدال، وأول قافية الراء، والصـواب في الثاني «٢٥» ولعله خطأ طباعي.

سـابعًا: في «فهرس الأعلام» صـفحة ٢٥٧، يذكر الدكتور الغريب الشـناوي

وورود ذكر للدكتور الداية في هوامش «الشعر المجموع» على الصفحات: ١١٥، ١٩٩، ٢٠٠.

ولكنك عندما تعود إلى تلك الصفحات لا تجد ذكرًا للدكتور الداية في واحدة منها.

ثامنًا: يظهر واضحًا أن القصائد والمقطوعات والنتف والأبيات المفردة التي يتفق الدكتور الغريب الشناوي في مصادرها مع الدكتور الداية ليست متسلسلة من الأول إلى الآخر.

أقول: إن الأرقام الغائبة هي أرقام القصائد والمقطوعات والنتف والأبيات المفردة المنقولة من «السفر الثاني من المقتبس لابن حيان (ت ٤٦٩هـ)»، وهنا يبدأ الحديث عن القسم الثاني من الملاحظات على نشرة الدكتور الكريم المتعلقة بما أكمل به جمعه «شعر الغزال» –كما يزعم– من ذلك «السفر» الذي حققه المرحوم الأستاذ الدكتور محمود علي مكي، ونشره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض عام ٢٠٠٣م، والدكتور الشناوي، كما مر، نشر مجموع «شعر يحيى بن حكم الغزال» عام ٢٠٠٤م. ولا أعلم متى اطلع على نشرة المقتبس هذه بعد صدورها، ولكني أكاد أجزم أنّي اطلعت عليها قبله لأسباب:

الأول: أني مقيم في الرياض.

الثاني: أني على اتصال مباشر ووثيق بمركز الملك فيصل، فلعلي من أوائل من حصلوا على نسخة من المقتبس.

الثالث: أن مركز الملك فيصل يصدر سلسلة أسماها «تحقيق التراث» وقد افتتحها بتحقيقي لكتاب «المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي» لابن معقل الأزدي (ت٦٤٤هـ) في خمسة أجزاء.

ثـم جـاء الكتـاب الثاني في السلسـلة بعنـوان « الإيضـاح في أصـول الدين» للزاغوني (ت٥٢٧هـ).

ثم صدر كتاب «السفر الثاني من المقتبس» حاملاً الرقم الثالث من السلسلة وكان ذلـك في منتصـف عـام ٢٠٠٣م. وقـد تلقيته كتابًـا أدبيًّـا تاريخيًّا وكتاب رحـلاتٍ، ووجدتُ فيه ذخيرة زاخرة بالشـعر، وخاصـة شـعر يحيـى بن الحكم الغـزال، فتوقفـت عنـده وجمعتُ مافيه من شـعر لـه، ولم أتوانَ يومًـا في إعداد مسـتدرك وافٍ على الديوان الذي نشره الدكتور محمد رضوان الداية، ثم قررت أن أبعثه مباشـرة إلى مجلة «تراثيات» التي يصـدرها مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، وكان عليَّ أن أبذل قصارى جهدي ليلحق التحكيم والصدور في عدد ينـاير ٢٠٠٤م، وقد كان!

وسأقتبس الآن بعض مارصدته في مقدمة هذا المستدرك:

قلتُ مانصّه: (في منتصف عام ٢٠٠٣م تقريبًا، صدر عن مركز الملك فيصل ... السـفر الثاني من كتاب المقتبس ... ويعد هذا الإصدار الثالث ضمن «سلسلة تحقيـق التراث» التي يصـدرها المركـز ... ربما أقول: إني كنتُ أول المسـتفيدين مـن هذا العمل العلمي الجليل، فقد وجـدت أن المؤلف –رحمه الله– يحفل كثيرًا بالشـاعر يحيى الغزال، فهو يعقد له في كتابه عنوانين، تقع مادة الأول منهما بين الصـفحات ٢٤٣-٢٦٢ ...، ثم يجيء العنوان الثاني: «أخبار الشـعراء مع الأمير عبدالرحمن بن الحكم وبعض ماسـقط إلينا من أماديحهم: من ذلك خبر يحيى بـن الحكم بن الغزال في إرسـاله إلى ملـك الروم»، وتقع مادة هـذا العنوان بين الصفحات ٣٥٠-٣٧١ ويضـم هذا الخبر كمًّا آخر هائلاً جديدًا أيضًا من أشعار الغـزال وأخباره) مجلـة تراثيات، العـدد الثالث، الصـفحات ١٢٣-١٢٤، ينـاير ٢٠٠٤م. ويقـع هذا المسـتدرك كاملاً بين الصـفحات ١٢١- ١٤١، وقد قدّرت في

تقديمي له، ص١٢٤، أن مجموع أبياته ثلاث مئة بيت تقريبًا، وقد كرر الدكتور الغريب الشناوي في مقدمته، ص٩، العدد التقريبي نفسه أيضًا، إذ قال ما نصّه: «بعد أن حقق الدكتور محمود مكي السفر الثاني من كتاب المقتبس ... تمَّ العثور على نصوص شعرية جديدة .. بلغ عددها ثلاثمائة بيت شعري تقريبًا «!!

وأقول: إن مجموع الأبيات في «المستدرك» هو ثلاث مئة وثلاثون بيتًا تقريبًا أو يزيد!!

يضاف إلى ذلك أن عدد القصائد والقطع والنتف عنده ٢٩، وهي كذلك في المستدرك، مضافًا إليها بيتا الرجز المذكوران على صفحة ١٢١ في بداية مقدمة المستدرك.

ومادام الدكتور قد نشر كتابه عام ٢٠٠٤ فلا أظنه –والعلم عند الله ثم عنده– قد نشره في شهر يناير، فصار مطابقًا لعملي، وصار من وقع الحافر على الحافر أيضًا، وإن كان نَشَرَ كتابه بعد يناير ٢٠٠٤م، فما الذي يمنعه من معاملة هذا المستدرك معاملته للديوان بتحقيق د.الداية؟ وذلك بأن جَعَلَ «المستدرَك» المنشور في القاهرة، جِسرًا عَبَر من خلاله إلى المصدر الأصل، المنشور في الرياض، مع تقديم وتأخير في ترتيب القصائد والمقطوعات داخل القافية الواحدة؟

أظن ذلك، والعلم عند علاَّم الغيوب.

إن هذا المستدرك الذي اجتهدت في إعداده ونشره في يناير ٢٠٠٤ سابقٌ قطعًا لعمل الدكتور الشناوي، ثم إني لم أقم بعملي وأنشره إلا للاستفادة منه، ولا أرى حرجًا على الإطلاق في أن يستفيد منه الدكتور الشناوي أو غيره. لكن الذي لاأرتضيه ولايرتضيه غيره أن يُغفل جهد السابقين ويُتعمَّد تجاهلهم في الهوامش

والحواشـــي، ففي هذا غمط لهم، وتنقُّص لحقوقهم العلمية. وعندما نشرتُ هذا المســتدرك في مجلة تراثيات (ينايـر ٢٠٠٤م) قلتُ في نهاية التقـديم: «وختامًا: أســأل اللّه أن يهيّئ لهذا الديوان من يضــم هذين العملين إلى بعضهما، وإضافة ماقـد يُعثر عليه من شـعر للغزال، ليكوّن هـذا العمل –إذا خرج– لبنة أخرى من اللبنات الضائعة من بناء الأدب الأندلسي وتاريخه».

لقد كنتُ أقصد عمل الدكتور الداية ومستدرك د. المانع، وهو ما حاوله الدكتور الغريب الشناوي بعمله هذا، لكن نشرته خرجت مع الأسف الشديد في صورة غير مرضـية نصًّـا ولا إخراجًا، ولا زلت أســأل اللّه أن يوفق أحـد المحققين المهتمين بالأدب الأندلسي ويعيد إخراج هذا الديوان إخراجًا يليق به أداءً للأمانة.

واللّه المستعان.

صمود الموصل وانتصارها
أمام حصار نادر شاه
١١٥٦هـ / ١٧٤٣م

د.أحمد الزبيدي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه الميامين، وبعد:

فقد رافقت النزاعات والحروب المجتمعات البشرية منذ نشوئها، واختلفت أساليب تلك النزاعات والحروب باختلاف الأزمان إلاّ أنّ أسباب تلك النزاعات والحروب تكاد تكون ثابتة على مرّ العصور، وأكثرها ثباتًا الأسباب الاقتصادية، ورغبة التوسع على حساب الآخرين، وشهوة التسلّط، ولنشر العقائد الدينية وغيرها من الأسباب الأخرى.

وعندما نشأَت المجتمعات البشرية وظهرت قوى كبرى في العالم كالممالك والإمبراطوريات شهد العالم زيادة كبيرة في الصراع لتضارب المصالح واختلاف العقائد الدينية والتوجهات السياسية.

وفي القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي كان في الشرق قوتان

كبيرتـان تختلفان عقائديًّـا وسياسـيًّا وعرقيًّا، وهمـا الدولة العثمانيـة والدولة الصـفوية، وكان الخلاف والتنافس يسود العلاقة بين تلك الدولتين، وأسفر ذلك عن نشوب عدة معارك وحروب بينهما، وكانت نتائج تلك المعارك سجال بينهما.

كانت الموصـل إحدى الولايات التابعة للدولـة العثمانية آنذاك، وكانت تتمتع بحكم محلّيٍّ شـبه ذاتيّ، وتمتاز الموصـل بعمقها الحضاري وبأهمية استراتيجية من النواحي العسـكرية والاقتصـادية، وموقعها الجغرافيّ المهم، حيث إنها تعتبر عقدة مواصـلات بين الشـرق الغرب وبين الشمال والجنوب، وهي مفتاح الطريق إلى عاصـمة الدولة العثمانية، وتعدّ الحدّ الفاصـل بين المناطق المسـتوية باتّجاه الجنوب والمناطق المتموجة والجبلية باتجاه الشـمال؛ لكل هذه الأسـباب وغيرها كانت الموصـل محطّ أنظار الدولة الصـفوية التي كانت تخوض نزاعًا مع الدولة العثمانية، ولها أطماع توسعية ومحاولات للسيطرة على أجزاء من أراضي الدولة العثمانية، وربما ترتقي إلى المحاولة للوصل إلى عاصمتها وإسقاطها.

قامت الجيوش الصفوية بعدة محاولات لاحتلال الموصل وكان آخرها حصار نادر شـاه للموصـل سـنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م. ولم تفلح كل تلك المحاولات، وبدحر الهجوم الأخير الذي قاده نادرشاه تحطمت كل أحلام الصفويين وأطماعهم تجاه الدولة العثمانية على أسـوار الموصـل وعلى أيدي أهل الموصل الأُباة بقيادة واليها الحاجّ حسين باشا الجليلي.

ومن أهم الأسـباب التـي دعت لكتابة هـذا البحث تذكـير الأجيال الحالية وخاصة الشباب منهم بتاريخ هذه المدينة العربية ودورها في صدّ الطغاة وتحطيم أحلامهم المريضـة وبيان أسباب النصر الذي أحرزته الموصل رغم عدم التكافؤ بـين القوتـين، وبرؤية عسـكرية مهنيـة، وللتاكيد علـى أنه لايمكن للـدول إقامة الحضـارة والتقدم العلمـي وازدهار البـلاد إلاّ عندما يكون لها قيـادة ذات قوة

عسكرية تؤمّن الحماية لمصالح تلك الدولة ضد أي عدوان خارجيّ بما يؤمّن الاستقرار السياسي والاقتصادي، وكما قال الشاعر:

لابد للسؤدد من رماح ومن رجال مصلتي السلاح
يدافعون دونه بالراح ومن سفيه دائم النباح

كتب كثيرون عن حصار الموصل، وقد اعتمد البحث على كثير من تلك المراجع، ومنها:

(الموصل في العهد الجليلي) لسهيل قاشا.

(منية الأدباء) لياسين العمري.

(منهل الأولياء) لمحمد أمين العمري.

(حصار الموصل) لسيار كوكب الجميل.

(تاريخ الموصل) لسليمان الصائغ.

ومن المصادر: تاريخ الطبري، وتاريخ السعرتي، وأحسن التقاسيم للمقدسي، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني، وفتوح البلدان للبلاذري، ومصادر ومراجع أخرى.

وللأمانة العلمية اعتمد البحث على المراجع التي كتبت من قبل أهل الموصل والعراقيين، إضافة إلى مرجعين لكاتبين أجنبيين محايدين، هما: كتاب أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث للونكرك، وحصار الموصل لولسن، ولم أتمكن من الحصول على مراجع كُتبت من قبل الطرف الآخر.

لم يكن الهدف من البحث إلا إظهار الحقائق التاريخية كما هي دون تنميق أو تزويق، باعتماد الحيادية في ذكر الحوادث التاريخية دون ميل لأي جانب، ولأي سبب كان، وبرؤية عسكرية مهنية.

إنّ الكمال للّه وحده، وكل عمل مهما ارتقى لابد أن يعتريه النقصان، وحسبي أني حاولت فما كان في هذا الجهد من صواب فبتوفيق من اللّه –تعالى– وفضل منه، وما كان فيه من نقص أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان.

اسأل اللّه تعالى أن يكون هذا الجهد نافعًا، ومافيه من أجر في ميزان حسنات والديّ إن اللّه سميع مجيب الدعوات وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نينوى والموصل:

جاء اسم نينوى في الكتابات المسمارية في عهد سلالة أور الثالثة في نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، وفيها يشير إلى لفظ (نون) التي تعرف في الآشورية بالسمكة، وهي ذات الكلمة المعروفه باللغة العربية، ومن لفظ نون اشتق اسم العلم (يونان، يونس، ذوالنون) وسُكِنَت نينوى منذ أقدم العصور، وكانت ملجأ لسكان شمال وادي الرافدين بعد أن كوّنوا القرى الزراعية في العصور التي تلت الألف العاشر قبل الميلاد، فقد واكبت نينوى مراحل التطور الحضاري لمختلف العصور، وأصبحت ذات شأن كبير في العهد الآشوري، فهي إحدى العواصم الكبيرة في هذا العصر، وبلغت عظمتها في عهد الملك سنحاريب (٧٥٠-٦٨١ق.م) وبعد سقوطها على أيدي الميديين سنة (٦١٢ق.م) لم تقم للآشوريين قائمة. وقد أطلق الآشوريين على الجهة الغربية من نهر دجلة على الجهة المقابلة لنينوى اسم (الحصن)، لم تكن الموصل قبل التحرير العربي الإسلامي مدينة معروفة على نطاق واسع، حيث تشير المعلومات التاريخية أن أول مابني على الضفة الغربية لنهر دجلة مقابل نينوى هو دير مار شعيا الذي بناه الراهب يشوعياب وسُمّي باسمه، ثم بنيت حوله عدة حصون منها حصن عربايا، ومما لاشك فيه أن الآشوريين هم من بنى هذا الحصن كحامية عسكرية متقدمة لحماية نينوى، وكذلك لحماية الطرق الحربية والتجارية، وبعد سقوط نينوى سنة(٦١٢ق.م) زادت أهمية هذا الحصن إذ هاجر قسم من أهل نينوى واحتمو بجواره[١].

ويذكر السعرتي أن قبائل عربية قادمة من اليمن سكنت هذا الحصن منذ القدم، كما سكن هذا الحصن أثناء وبعد حروب التحرير الإسلامي عرب من نصارى تغلب ونمر وإياد، وازدادت هجرة هذه القبائل إلى الجزيرة والشام، وامتدت هجرتها إلى نصيبين والرها ودياربكر وأنطاكيا، وصارت هذه البلاد تعرف باسم عربايا أي بلاد العرب[٢].

ويذكر أن نينوى بعد تدميرها على يد الميديين سنة (٦١٢ق.م) تأسست من جديد عند استيلاء الرومان على حدياب فأصبحت من مدن حدياب، وبقيت نينوى عامرة كثيرة السكان حتى توالت هجمات التتار والتركمان عليها، وهجرها أهلها تمامًا عند غزو تيمورلنك، فلما أقبل نادر شاه إلى الموصل كانت نينوى الجديدة مهجورة وعبارة عن خرائب[٣].

الموصل بعد الفتح الاسلامي:

كانت الموصل عندما فتحها العرب المسلمين سنة (١٦هـ/٦٣٧م) تشتمل على الحصن الغربي، وهو تلّ قليعات ومحلة المجوس؛ وهم الفرس الذين سكنوا قرب الحصن بعد سيطرة الفرس الساسانيين على الموصل في منتصف القرن الثالث الميلادي وبيع للنصارى ومحلة ثالثة لليهود[٤].

كان فتح الموصل بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى القائد سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- وذلك بأن يقوم عبدالله ابن المعتم الذي فتح تكريت بتسيير ربعي بن الأفكل العنزي إلى الحصنين، فسار ابن الافكل وقد استخدم المخادعة في فتح الحصنين؛ بأن أرسل القبائل العربية التي أسلمت عند فتح تكريت إلى الحصنين وأهلها لايعلمون بإسلام هؤلاء، وأخبروا أهل الحصنين بأنهم ظفروا بالمسلمين، فدخلوا الحصنين وسيطروا على الأبواب، فلما وصلت عساكر المسلمين بقيادة ربعي بن الأفكل فتحت الأبواب أمامهم ودخلت العساكر إلى الحصنين بدون مقاومة[٥].

ومن القبائل العربية التي شـاركت في فتح تكريت والموصل: قبائل بكر وتغلب وإيـاد ونمـر. وبعـد تحرير الموصـل حظيت باهتمـام الخليفة عمـر بن الخطاب -رضـي اللّه عنه- فجعل فيها أحد الأجناد السـتة، واتخذهـا مركزًا للفتوحات، وبذلك أصبحت الموصل مركزًا عسكريًّا يتمتع بسوقيّة خاصة(٦).

إن أول من مصّـر الموصـل هو عرفجة بن هرثمه البارقـي، وكانت قبل ذلك عبارة عن حصـنين وبِيَع للنصـارى ومحلة لليهود(٧). وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضـي اللّه عنه- كان والي الموصـل حكيم ابن سـلامة الخزامي ولما تولى الخلافة علي ابن ابي طالب -رضـي اللّه عنه- ولّى على الموصـل معقل ابن قيس الرياحي(٨). إن أول من بنى للموصـل سـورًا ونصـب عليها جسـرًا هو مروان بن محمد بن الحكم. وفي عهد الخليفة أبو جعفر المنصــور ولّى خالد بن برمك على الموصـل. وفي عهد السـفاح ولّى أخوه يحيى على الموصـل، فقـدم إليها على رأس أربعـة آلاف مـن الزنوج، فشـرع في قتل أهلها، فقتل منهم أحد عشـر الف رجل، وشـرع في قتل النسـاء والأطفال فلما سمع السـفّاح بذلك عزله وولّى عليها عمه إسماعيل(٩).

وتولاها في عهد العباسيين يزيد بن مزيد الشيباني ابن أخي معن بن زائدة، وتولاها أيضـا معتمد الدولة أبو المنيع قرواش بن المقلد. وفي سـنة (٤٠١هـ) أقام قرواش الدعوة للحاكم الفاطمي صاحب مصر بالموصل والأنبار والمدائن، وخطب للحاكم في الكوفة. وفي سنة (٤٨٩هـ) انتهى حكم بني عقيل الذين حكموا الموصل بعد انقراض دولة بني حمدان وتولاها كربوغا السـلجوقي. وسـنة (٤٩٥هـ) مات كربوغا وتولاها سنسـقر البرسقي. وسـنة (٥٢١هـ) قتل البرسقي وتولاها عماد الدين زنكي وأصـبحت عاصـمة للدولـة الزنكية، وملكها بعده ابنه سـيف الدين غازي، ومن بعد غازي قطب الدين مودود، وبقيت تحت حكم الزنكيين إلى سـنة (٥٨١هـ) حيث ملكها صـلاح الدين الأيوبي. وفي سـنة (٦١٧هـ) حكم الموصـل

بدر الدين لؤلؤ. وفي سنة (٨١٣هـ) ملكت الموصل قبيلة قره قويلي التركمانية. وبعدهم ملكها آل عثمان، وكان أول وال لهم على الموصل محمد باشا. وإنّ أوّل من تولاها من الجليليين إسماعيل باشا عبد الجليل سنة (١١٣٩هـ). وقد تولاها حسين باشا الجليلي (انظر الملحق أ) عدة مرات، وكان واليًا لها سنة (١١٥٦هـ) عندما حاصرها نادر شاه[١٠] (انظر الملحق ب).

أسماء الموصل:

كان يطلق على موضع الموصل (عربايا) أي: بلاد العرب، وأقدم ذكر لاسم (عربايا) يرجع إلى أواخر القرن السادس قبل الميلاد. والظاهر أن العرب أنفسهم كانوا يطلقون هذا الاسم على الموصل. فقد قال الأصمعي عن الموصل: «كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب عربايا وهي الموصل لقدرها عندهم»[١١].

ومن أسماء الموصل أيضا خولان، فلما وصل العرب بها إمارتهم سميت الموصل، وقالوا: سميت الموصل لأنها وصلت بين سنجار والحديثة. وقيل: بل لأن الملك الذي أحدثها كان اسمه الموصل[١٢].

ويقال: سميت بهذا الاسم (الموصل) لأنها تصل بين الجزيرة والعراق. وقيل: إنها وصلت بين دجلة والفرات[١٣].

وتسمى الحدباء أيضا لانحداب أرضها؛ لأن البيوت والمحال فيها لم تقع على مستوى أرضها، بل بعضها على نشز وتلاع وبعضها في وادي منخفض. ويقال: إنها سميت بالحدباء لانحداب في دجلتها واعوجاج جريانها.

ولمحمد أمين العمري في الموصل قوله:

أحن إلى الحدباء كل عشية ... واشتاق تلك الدار كل صباح

وتسمى الخضراء لاخضرار بقاعها وجدرانها وقت مجيء المطر.

وسـميت أم الربيعـين؛ أحدهما في مجـيء المطر الوسـمي الأول. والثاني في أذار؛ أي: الخريف والربيع(١٤).

وأقدم ما وقف على اسـمها هو (موسـيلا) عربي مشـتق من الوصـل أطلقه عليها سكانها الذين مصروها.

وتسـمى أيضـا الفيحاء لجمال ربيعها وكـثرة أزهارها. قال السـري الرفاء الموصلي (ت٣٦٠هـ):

سقى ربا الموصل الفيحاء من بلد جود من المزن يحكي جود أهليها

ويسميها بعضهم البيضاء لأن دورها مبنية بالجص والرخام(١٥).

وصـفها ابـن جبـير في رحلته وقـال: «مدينة الموصـل مدينة عتيقة ضـخمة حصينة، فقد أطالت صحبتها للزمن أهبة استعدادها لحوادث الفتن»(١٦).

موقع الموصل وأهميته الإستراتيجية:

إن للموقـع الجغرافي وطبيعة الارض والمناخ ومصـادر الميـاه تاثيرًا مهمًا في اختيـار مواقع المـدن، وهذه العوامل تحدد أهمية المدن من النواحي الاقتصـادية والعسـكرية وكل مقومات الحضارة. والموصـل من تلك المدن العريقة التي اختير موقعها وفقًا للعوامل أعلاه.

وقـد ذكر المقدسـي بأنها: «بلد جليل حسـن البناء طيب الهـواء، منها ميرة بغداد، وإليها قوافل الرحاب، وهي محطة رحال الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق ومفتاح خرسـان ومنها يقصـد إلـى أذربيجان، وكثير ماسُـمع أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسـابور؛ لأنها باب الشرق، ودمشق؛ لأنها باب الغرب، والموصل؛ لأنّ قاصد الجهتين قلّما لايمر بها»(١٧).

وذكـر القزوينـي بأن هواءها طيب في الربيع أما في الصـيف فأشـبه شـيء

بالجحيم، وشتاءها كالزمهرير وخريفها كثير الحمى، وحول المدينة بساتين وجواسق، وأهل الموصل أهل خير ومروءة وطباع لطيفة في المعاشرة والظرافة والتدقيق في الصناعات[١٨].

وموقعها وطبيعة أرضها المرتفعة أعطت للموصل صفة عسكرية كانت تؤخذ بعين الاعتبار عند تشييد المدن سابقًا؛ لأهميتها الدفاعية، فقد كان لموقع الموصل أهمية كبيرة، وتوسطها بين مدن آشور ونينوى والحضر، وتعتبر الموصل عقدة مواصلات للطرق الحربية والتجارية[١٩].

لقد كان لموقع الموصل الأثر الكبير في تطور تاريخها الحضاري في مختلف العصور، كما كانت للبيئة الجغرافية أثر في رسم نشاطها عبر تاريخها الطويل؛ إذ لعبت دورًا كبيرًا في مضمار الحياة الإنسانية.

تقع الموصل في المنطقة الانتقالية بين المنطقة الجبلية في شمال العراق والمنطقة السهلية الرسوبية في وسط وجنوب العراق، وهذه المنطقة محصورة ما بين خطي المطر (٢٠-٦٠ملم) أي أنها تحصل على أمطار تساعد في قيام الزراعة الديمية، كما أن وجود دجلة ساعد في قيام الزراعة والرعي، ومن أهمية موقعها كسبت الموصل أهمية تجارية لكونها مدينة نهرية، فقد ساعد ذلك على بقاء المدينة ونموها، ومناخها المعتدل ساعد على السكن والاستقرار فيها[٢٠].

لقد كان لموقع الموصل السوقي أهمية منذ القدم، حيث شجع هذا الموقع الإنسان منذ أقدم العصور على بناء هذه المنطقة والعيش فيها، لأن مناخاها يساعد في الزراعة الديمية. وموقع الموصل يمثل قاعدة متقدمة لحضارات السهل (العراق والجزيرة) كما يشكل أحد المنافذ الرئيسية إلى المنطقة الجبلية حيث تقع الموصل في نهاية منطقة السهل وبداية المناطق المتموجة والجبلية. وكان لهذا الموقع الأثر الكبير في مجرى النشاط الحضاري لمدينة الموصل على الدوام[٢١].

ولأهمية موقع الموصل فقد اهتم بها المسلمين بعد فتحها عام (١٦هـ) فسكنتها القبائل العربية في عهد الخلافة الراشدة، وحظيت باهتمام الأمويين فبنوا لها سورًا وحفروا بها نهرًا وبقيت الموصل مركزًا تجاريًّا مهمًا وجزءًا حيويًّا من اقتصاديات الدولة، واعتبرها العثمانيون قاعدة مهمة للدفاع عن العراق والشام ضد الفرس؛ لذلك زاد اهتمامهم بها فاهتموا ببناء سورها وتشديد حصونها وبنا القلاع. وفي فترة الحكم الجليلي للموصل استخدمتها الدولة العثمانية قاعدة لضرب الوجود الصفوي، ومن ثم استخدامتها كخطٍّ دفاعيٍّ متقدم بعد بغداد في مواجهة أي توسع صفويّ والسيطرة على الطرق التي كان من المحتمل أن تسلكها جيوش الصفويين[٢٢].

حدود ولاية الموصل وسكانها في عهد حسين باشا الجليلي (انظر الملحق ج):

إن ولاية الموصل صغيرة تمتد على جانب نهر دجلة الشرقي بمسيرة تسع ساعات جنوبًا حتى نهر الزاب، وبمسيرة ثمان ساعات باتجاه الشمال، وهذه المنطقة محتشدة بالسكان، أما الجانب الغربي من نهر دجلة فإنّه شبه خال من السكان، ويعد هذا الجانب مكملًا للبادية. وتقدّر القرى الواقعة في ولاية الموصل بنحو ثلاث مئة قرية[٢٣]. يؤلف المسلمون القسم الأكبر من سكان الموصل، وهم من العرب والأكراد والأتراك، وأكثرهم من العرب، ولم تشهد الموصل خلافًا عقائديا بين المسلمين واتباع الديانات الأخرى، وقد لاحظ الرحالة الأجانب أنّ سكان الموصل على اختلاف أصولهم العرقية واختلاف دياناتهم عرب في الإحساس واللغة. ويرتبطون برابطة التساكن في المدينة، وهي رابطة قوية في الغالب، وأنّ جميع مكونات المجتمع الموصلي تعيش مع بعضها بوئام ويساهمون جميعًا في بناء مدينتهم والدفاع عنها ضد أي عدوان خارجي، ويمارس أصحاب الديانات الأخرى طقوسهم في دور عبادتهم بكامل حرياتهم ويتساوون مع المسلمين في الحقوق[٢٤].

أسباب حملة نادر شاه لغزو الموصل:

كانت العلاقة بين الدولتين العثمانية والصفوية يسودها التوتر بسبب اختلاف العقائد وتصادم المصالح، وكانت المعارك بين الدولتين سجال، ومن أهم الأسباب التي دعت نادر شاه لحشد قواته والتوجه نحو الموصل:

- أسباب دينية طائفية: وتمثل ذلك بمطالبة نادر شاه السلطة العثمانية بالاعتراف بالمذهب الجعفري، وأنه المذهب الخامس، وأن يكون أمير الحج من الشيعة، وتخصيص ركن خامس للشيعة في مكة المكرمة، وجوبهت كل مطالبه بالرفض من قبل السلطة العثمانية، وكانت هذه المطالب لكسب ودّ الشيعة، وكانت لعبة سياسية فقد كان يبطش بالشيعة واستولى على أوقافهم وضمّها إلى أملاكه، وكان الهدف من مطالبه التغطية على أهدافه الأخرى(٢٥).

- أن أبعاد الزحف الصفوي نحو الشرق لم يكن مجرد نزوات ونعرات طائفية، بل جزء من حركة التاريخ في هذه المنطقة من العالم، لأهمية هذه المنطقة إستراتيجيًّا في العالم وذلك للسيطرة على طرق المواصلات، فهي ذات أهمية إستراتيجية اقتصاديًّا وعسكريًّا (٢٦).

- من الأبعاد الحقيقية لاجتياح الموصل وشمال العراق كان النفوذ إلى قلب الأناضول وقلب الامبراطورية العثمانية وتغيير خارطة العالم وتوزيع مناطق النفوذ(٢٧).

- ضعف الدولة العثمانية جرّأ نادر شاه على القيام بحملته (٢٨).

- النوايا التوسعية لنادر شاه على حساب الدولة العثمانية، بدلالة رسائله التحذيرية للباب العالي التي كانت تصف جيشه بأنه يحكم العالم،

ومطالبتـه الدولة العثمانية أن تكون حـدود ملكه من الرها إلى عبادان، ومطالبته السـلطان العثماني التخلي عن حلفه من المغول في الهند، وأن يهدّ ما أصلح من سور بغداد، كل هذه المطالب جوبهت بالرفض من قبل السلطان العثماني[٢٩].

- سـوء الاحوال الداخلية والاقتصـادية للدولة الصـفوية، فكانت الحملة أشبه بالمغامرة لإنقاذ الوضع الداخلي المتردي[٣٠].
- أن حملـة نادر شـاه على الموصـل كانت لإزالة معقل خطـير أمام تقدمه باتجـاه الأناضـول وأوربـا؛ لأن الموصـل تقع على مركز المواصـلات بين الشرق والغرب [٣١].
- كانت الموصـل حصنًا عسـكريًّا منيعًا ذا أهمية إسـتراتيجية استخدمه العثمانيـون كقاعـدة لمقاومة وصـد أي عدوان صـفوي، وكذلك لتموين الحملات العثمانية ضد الصفويين[٣٢].
- ألحقت قوات الموصل بقيادة حسين باشا الجليلي هزيمة بحملة نادر شاه في رمضـان من عام ١١٤٥ هج / ١٧٣٣م، عند أسوار الموصل في منطقة الغزلاني، وقُتِـل قائد الحملة نركز خان وتكبدت قواته خسـائر فادحة، واعتبرت تلك المعركة ضـربة لسمعة نادر شاه وإهانة لشخصيته وسمعة جيشـه، فملأته حقدًا على الموصـل وكانت حملته الأخـيرة محاولة لرد الاعتبار لسمعة جيشه[٣٣].
- كان نادر شـاه غشومًا كثير الحروب محبًّا لسـفك الدماء، لديه خلل في التوازن العقلي منشؤه الطمع المفرط والقسوة الجنونية والجشع[٣٤].
- اغـترار نادر شـاه بكثرة جنـوده وقوته العسـكرية وسـيطرته وامتلاكه

لمناطق عديدة من العالم؛ منها إقليم العجم والسند والهند، مما أغراه في التوجه إلى الممالك العثمانية ليمتلكها أيضا[٣٥].

علاقة الباب العالي بولاية الموصل قبل حملة نادر شاه على الموصل:

كانت السلطة العثمانية ترى أن العرب أقل درجة منهم وأحطّ قدرًا ومنزلة، وكان الموظفون الأتراك يتعاملون مع العرب بخشونة، وأهمل الأتراك العلم في بلاد العرب، مما أدّى الى تفشي الجهل والفقر، وفي ذلك يقول الشاعر مصطفى الغلامي (ت ١١٤٠هـ):

والترك إن تدن منهم يبعدوا	**يصيحوا في غلمانهم (قاوسنة)**
وإن أعزّوك بألفاظهم	**كانت ورب الكعبة مستهجنة**
والعلم والفضل غدًا كاسدًا	**ما نفع إلا اللاك والملعنة**
ياليتنا متنا قبل الأذى	**وقبل هذا الذل والمسكنة**[٣٦]

ولم يكن العثمانيون يعيرون البلاد العربية اهتمامًا بالثقافة العربية رغم إخلاص العرب والمسلمين لهم، واتّبعوا سياسة التتريك في البلاد العربية، فلم يكن هنالك نشاط في علمي أو فكري وكانت الحركة الأدبية والثقافية محدودة، ولم يبقَ من مدارس العهد الأتابكي والنهضة العلمية التي رافقته إلا النزر اليسير، والشاهد على ذلك أنّ الموصل كانت مهملة وبناياتها حقيرة، وسورها ضعيف ومهمل، وشوارعها ضيقة، وبقيت التجارة فيها محدودة[٣٧].

إن العلاقة بين الباب العالي والموصل كانت ضعيفة، ولم يعر الباب العالي للموصل أي اهتمام بالنواحي الثقافية والاقتصادية والعسكرية، ويتبين ذلك عندما طلب والي الموصل حسين باشا الجليلي النجدة من الباب العالي لمواجهة غزو نادر شاه لم يهتم الباب العالي ولم يرسل أي نجدة، بل قام بإحالة الطلب إلى وزير حلب الذي توجه بالفي مقاتل إلى الموصل[٣٨].

أما الدعم المادي الذي أرسله الباب العالي لم يتجاوز عشرين ألف قرش، أرسلت إلى الموصل قبيل المعركة[٣٩].

يتبين مما ورد أعلاه أن الباب العالي في إستنبول لم يكن مهتمًا بأمر الموصل أو غيرها من الولايات العربية وأوكل أمر مواجهتها للغزو إلى سلطتها المحلية التي اعتمدت على إمكانياتها الذاتية في مواجهة العدو. لكن لابد من الإشارة إلى أن السلطة العثمانية كانت تواجه مشاكل داخلية كثيرة إضافة إلى التهديدات الخارجية.

الموقف العسكري قبل الحصار (الأعمال الحربية التي سبقت حصار نادر شاه للموصل):

كانت العلاقة بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية يسودها التوتر والحروب بسبب الاختلاف العقائدي والسياسي وأطماع الدولة الصفوية بالتوسع على حساب الدولة العثمانية، وكانت المعارك سجال بين الطرفين وسنذكر تلك الأعمال الحربية بايجاز:

- في ٢٥ رجب ١١٤٥هـ/ ١١ك٢ ١٧٣٣م حاصر نادر شاه بغداد، ودام الحصار سبعة أشهر ولم يظفر بشيء منها٤٠. وتم دحر الحصار بعد أن تغلبت قوات طوبال عثمان باشا على قوات نادر شاه في موقع قرب سامراء يوم ١٨تموز١٧٣٣م مما أجبر نادر شاه على الانسحاب خارج حدود العراق[٤١].
- في شوال ١١٤٥ هـ / آذار ١٧٣٣م وجه نادر شاه قوة قوامها ثمانية آلاف مقاتل بقيادة وزيره نركزخان إلى الموصل والتقت بقوات الموصل في منطقة الغزلاني، ودُحِر الغزاة وقُتل قائد الحملة[٤٢]. وغنموا مدفعين

وأسروا أعدادًا من الجنود وطيف بهم في الموصل وفي ذلك يقول المرحوم حسن عبد الباقي[٤٣]:

فأضحت نحور العجم غمدا صوارم ... وكل عنيف كالعمود ممدد

فلم ينج منهم غير أمرد ناعم ... يقاد أسيرًا كالغزال المقيد

- في صفر ١١٤٦هـ / تموز ١٧٣٣م التقت الجيوش العثمانية بقيادة طوبان باشا مع القوات الصفوية بقيادة نادر خان بالقرب من نهر العظيم، وكانت الغلبة للعساكر العثمانية مما اضطر القوات الصفوية إلى فك الحصار الذي كانت تضربه على بغداد[٤٤].
- وفي جمادي الأولى ١١٤٦هـ / ١٧٣٣م التقت القوات العثمانية بقيادة طوبان باشا ومعها قوات النجدة الموصلية مع القوات الصفوية بقيادة نادرخان قرب كركوك (سهل ليلان) وحدثت معركة هائلة كانت الغلبة فيها للقوات الصفوية، وقُتل القائد العثماني طوبان باشا[٤٥].
- وفي محرم ١١٤٨هـ/ حزيران ١٧٣٥م التقت القوات العثمانية بقيادة عبدالله باشا مع القوات الصفوية بقيادة نادرخان في سهل نهاوند قرب أريوان ودارت معركة عظيمة اندحر فيها الجيش العثماني وقُتل قائده عبدالله باشا[٤٦].
- وفي جمادي الأولى ١١٥٥هـ/ تموز ١٧٤٢م عبرت الجيوش الصفوية إلى مندلي وشهرزور وأفزعت بغداد، فبذل أحمد باشا والي بغداد أقصى جهوده لتموين بغداد وترميم سورها وحصونها وسد ثغراتها[٤٧].
- وفي نهاية سنة ١١٥٥هـ وبداية سنة ١١٥٦هـ بداية سنة ١٧٤٣م تقدمت الجيوش نادر شاه باتجاه بغداد وحاصرتها وأطلقت عليها نيران

المدافـع، فعمد والي بغداد أحمد باشـا إلى الحيلة فانفذ إلى نادر شـاه يقول له أن يسـير إلى الموصـل، فإنْ مَلَكَها ففي عودته يجد أبواب بغداد مفتوحـة أمامـه، ونجحت الحيلة (الحرب خدعـة)[٤٨]. ويبدو أن فكرة فتح الموصـل قبل بغداد كانت من وحي تفكير نادر شـاه هدفها السيطرة على نقطة اتصـال العراق بالجزيرة وبالتالي قطع خطوط المواصـلات بين القيادة العثمانية وبغداد وإحكام قبضته على العراق شماله وجنوبه لكي تسقط بغداد بعد ذلك بسهولة[٤٩].

- في نفس الوقت وُجّه تسعون ألف مقاتل من جيش الشاه لمحاصرة البصرة والاستيلاء عليها[٥٠].

- وفي ربيع سنة ١١٥٦هـ /١٧٤٣م توافدت جيوش نادر شاه باتجاه كركوك عن طريق شهرزور وحاصـرت حصونها، وهرب ضباط الحامية الكبار إلى الموصـل، وحوصـرت قلعتها ثلاثة أسابيع، ثم استسلمت وقُتل خمس مئة من المدافعين، وتشـير بعض الروايات إلى أن حصـار المدينة استمر ثلاثة أيام تعرضت فيها إلى قصف مدفعي شديد. استسلم أهلها وأخذ نادرشاه الرجال معه أسرى وسبى النساء وأسر العلماء[٥١].

- بعد ذلك زحفت قوات نادر شاه وعبرت نهر الزاب الصغير سالكة محور مابين الزاب وقرى صـوران، وتوجهت صوب إربيل واحتلتها بدون قتال، فقد حوصرت نصف نهار ثم استسلمت[٥٢].

- بعد احتلال مدينة إربيل توجهت جيوش نادرشـاه برتلين رئيسي وثانوي باتجاه الموصـل، الرئيسي باتجاه جنوب الموصـل والثانوي باتجاه شمال الموصل، وقامت بالإغارة على القصبات والقرى المحيطة بالموصل، فقتلت الرجال وسـبت النسـاء ونهبت وخربـت القرى، ومنها قرى المسـيحيين

والإيزيديين، ومن تلك القصبات والقرى عقرة وتلكيف وقرقوش وتلسقف وباطنايا وبعشيقة وقرى أخرى. ونهبوا الأموال والمواشي[٥٣]. وتعتبر هذه الأعمال الصفحة الأولى من معركة حصار الموصل.

التهيؤ للمعركة (الاستحضارات):

أرسل نادر شاه كتابًا إلى والي الموصل حسين باشا الجليلي يطلب منه تسليم المدينة، فلما وصل الكتاب إلى الوالي قام بجمع رجال المدينة كافة في الربض الجنوبي خارج سور المدينة عند الجامع الأحمر (جامع مجاهد الدين) الذي سمّي فيما بعد (جامع الخضر) وقرأ عليهم كتاب نادر شاه، وطلب منهم أن يبدوا رأيهم، فكان جواب أهل الموصل أنهم طوع أمر واليهم في الدفاع عن مدينتهم حتى الشهادة، فرد الوالي على كتاب نادر شاه بكتاب شديد اللهجة وأن الموصل ترفض الاستسلام[٥٤]. بعد ذلك مباشرة بدأت الأعمال على كافة الأصعدة للتهيّؤ للمعركة وتأمين مستلزماتها. وقد شمل ذلك النواحي العسكرية والإدارية والمعنوية.

التحضيرات العسكرية:

- بدأ أهل المدينة –بتوجيه من الوالي- بترميم ماخرب من سور المدينة، وهذا العمل بوشر به من ورود معلومات عن تحشد قوات نادر شاه لغزو الموصل.
- حُفِر خندقٌ حول سور المدينة اشترك في حفره الغني والفقير والكبير والصغير.
- تسوية كافة التلال والروابي المحيطة بالمدينة لحرمان العدو من الاستفادة منها[٥٥].
- إعداد الخطط توزيع الكراديس والقادة والمساعدين وأماكن العمل والواجبات وأماكن المدافعين[٥٦].

- ترميم بروج السـور وتعيين من يشـغلونها، وتعيين زوايا الرصد وفتحات المدافـع والمزاغـل وفق دراسـة علميـة لتغطية سـاحة الرمـي في جميع الاتجاهات[٥٧].

- إدامة المراقبة حول المدينة خارج السور وتقوية الاستحكامات[٥٨].

- أوعز والي الموصـل إلى الصناع وأرباب الحرف بإعداد اللوازم الحربية وتصليح الأسلحة العاطلة.

- حفر آبار أسـفل الخندق بين بئر وآخر عشـرة أذرع تحسبًا لتشتيت قوة انفجار الألغام.

- تجييشـ العسـاكر وجمع أهـل القـرى القريبة من الموصـل إلـى داخل المدينة[٥٩].

- توزيع الأبراج على سور المدينة.

- توزيع الأسلحة المختلفة لجميع المحاربين من أهل الموصل وتدريبهم على استخدامها.

- رفع الجسر العائم الذي يربط بين الساحل الأيسر والموصل.

- هيّـأ المدافعـون آلاف الأكياسـ وملِئَت بالـتراب؛ وذلك لعمـل المتاريس وسـد الثغرات التي قد تحصـل في سور المدينة بسـبب القصف المدفعي المعادي[٦٠].

التحضيرات الإدارية:

الأمـور الإداريـة لها دور كبـير في نجاح المعركـة واسـتمراريتها، ومن أهم التحضيرات الإدارية التي اتخذها أهل الموصل:

- مـلء المخازن بالحبـوب ومواد التمويـن الأخرى كالزيوت ومسـتلزمات الحياة الأخرى لمواجهة الحصار.

- حفر آبار ماء داخل المدينة لمياه الشرب؛ لاستخدامها عند تعذر الوصول إلى النهر.
- الاستفادة من مواد التموين من القرى القريبة من الموصل بعد أن نزح أهلها إلى داخل مدينة الموصل.
- تهيئة جميع لوازم الحصار بتوجيه من والي المدينة(٦١).
- تم حصد الحبوب ونقلها إلى داخل المدينة وأمر الوالي الفلاحين أن ينتقلوا إلى داخل المدينة مع مواشيهم وحيواناتهم(٦٢).

التحضيرات المعنوية (الروحية):

رافقت التحضيرات العسكرية والإدارية تهيئة الروح المعنوية لأهالي الموصل كافة من مقاتلين وغيرهم لمواجهة العدو لكون تاثيرها سيكون على جميع أهل الموصل:

- كان لقيام والي الموصل بجمع أهالي الموصل عند الجامع الأحمر واستشارتهم في اتخاذ القرار دورًا مهمًّا في تعزيز ثقة المقاتلين وأهالي المدينة بواليهم ورفع الروح المعنوية لهم؛ حيث شعر الجميع بأنّ قرار القتال كان صادرًا منهم جميعًا وعليهم تحمل مسؤولياتهم(٦٣).
- كان لزيارة والي الموصل والأمراء للعاملين في حفر الخندق وترميم السور واشتراك الجميع بالعمل من الوالي إلى أصغر شخص في المدينة دور مهم في رفع الروح المعنوية؛ حيث أصبح الجميع يشكلون حالة واحدة لا فرق بين شخص وآخر.
- توفير مواد التموين وتوزيعها على الفقراء، وتوزيع الأموال على العاملين والمدافعين أسهم في رفع الروح المعنوية لأهل الموصل.

- تهيئة سـور المدينة وتهيئة كافة مسـتلزمات القتال من أسـلحة وذخيرة وغيرها كانت عوامل مهمة في رفع الحالة المعنوية لدى المقاتلين.
- اسـتخدام الموسـيقى العسـكرية لشـحذ همم العاملين في حفر الخندق وترميم السور.
- ثقـة أهل الموصـل بقيادتهـم كان له الأثـر البالغ في رفع الـروح المعنوية للمقاتلين والأهالي(٦٤).

معركة الحصار (انظر الملحقين د وهـ):

عندما تجري مناقشة أي معركة لابد أن تشمل تلك المناقشة قوات الطرفين، وخطـط الطرفين، وسـير المعركة وصـفحاتها، ونتائـج تلك المعركـة، والدروس المستنبطة من تلك المعركة.

قوات الطرفين:

في كل المعـارك وعلـى الأخصـ القديمة منهـا لم يكن ذكر قـوات الطرفين المتحاربين يتصف بالدقة، فالطرف المنتصر في المعركة يذكر أن قواته كانت أقل عـددًا وعدة من الطرف الآخر وذلك للرفع من شـأن قواته ورفـع الروح المعنوية لقواته وشـعبه، والطرف الخاسـر في المعركة يذكر أن قواتـه كانت أقل من قوات الطرف الآخر لتبرير خسارته؛ لذلك على الباحث أن يحلل المعلومات ويستنتج ما هو قريب من الحقيقة.

قوات نادر شاه:

قدرت المصـادر المتيسـرة قوات نادر شـاه في منطقة تحشـدها في كرمنشاه بـ(٣٠٠,٠٠٠) ثـلاث مئـة ألف مقاتـل، ومئـات المدافـع والهواويـن، ومعدات الهندسـة والتنقل. انقسـمت هذه القوات إلى رتلين: الرتل الشـمالي بقيادة نادر

شـاه يتوجه باتجاه كركوك إربيل الموصل، والرتل الجنوبي يتوجه باتجاه الحلة ثم إلى البصرة.

قوات الرتل الشمالي:

- مئتـا ألـف مقاتل من الخيالة والمشـاة، وهـؤلاء من القزلباشـ الأفغان والقاجار التركمانية وقبائل مقاطعة لورستان٦٥. تسليح المقاتلين بنادق ششخوانة وسيوف ورماح وخناجر.
- أربع عشـرة بطريـة مدفعية تقـدر مدافعها بـ(١٦٠ مدفعًـا) + (٢٣٠) هاونًا.
- سلالم الحصار تقدر بأكثر من (١٠٠٠) سلّم.
- معدات ومواد هندسية متنوعة لحفر وتجهيز الألغام.
- امتلاك قوات نادر شاه لبنادق الشيشخوانة[٦٦].
- وبما أن الرتل الشـمالي انقسم إلى قسمين: الرتل الرئيسي توجه باتجاه الموصـل، والرتل الثانوي توجه باتجاه الشـمال، فوصـل إلى جزيرة ابن عمـر. ويقدر الرتـل الرئيســي بمئة وخمســين ألف مقاتل مـن الخيالة والمشـاة، واثنتي عشـرة بطريـة مدفعية وأكثر من ألف سـلّم حصـار، ومعدات التجسير وحفر الألغام.

قوات الموصل:

- خمسـة كتائب: جيشٌ نظاميٌّ من الجيش العثماني يقدّر عددهم بخمسة آلاف مقاتل، يؤلفون حامية الموصل، جرى تسليحهم بالبنادق والسيوف. ويذكـر أنـه في العهـد الجليلي أصـبح منتسـبي الأورطات الانكشـارية

الخمسة من أهل الموصل[٦٧].

- ألفا مقاتل: قوات وزير حلب حسين باشا قاوزفجي الذي توجه لتعزيز قوات الموصل.
- ألف وخمسمائة مقاتل: من الأكراد المتطوعين بقيادة قوج باشا حاكم كويسنجق وخالد باشا بابان التحقت بالموصل لتعزيز قواتها[٦٨].
- خمسة آلاف مقاتل من المتطوعين.
- خمس مئة مقاتل خيالة: من القرى والأرياف المحيطة بالموصل، حيث كانت جموع الفلاحين تغادر قراها القريبة من الموصل عندما اقتربت قوات نادر شاه من الموصل ودخلت المدينة[٦٩].
- يضاف إلى ذلك ستة عشر ألف مقاتل من أهل المدينة.
- يصبح بذلك مجموع مقاتلي الموصل ثلاثون ألف مقاتل كأقصى تقدير، وهم من العرب والأكراد والتركمان والمسيحية واليزيدية، أسلحتهم بدائية٧٠؛ تسليحهم من البنادق والسيوف والأسلحة البدائية الأخرى.
- ولدى قوات الموصل العديد من المدافع إلا أنه لم تذكر المصادر أعدادها وأنواعها.

المقارنة:

- تتفوق قوات نادر شاه على قوات الموصل بالخيالة والمشاة بنسبة ٥ إلى ١ كاقل تقدير.
- تتفوق قوات نادر شاه على قوات الموصل بالمدفعية بشكل كبير.

- تتفوق قوات نادر شاه على قوات الموصل بالأسلحة الشخصية للمقاتلين.

خطط الطرفين:

خطة المهاجمين (خطة نادر شاه):

استخدام الحرب النفسية بالترهيب، وذلك بإرسال الرسل إلى والي الموصل التي تتضمن الوعيد والتحذير للتأثير على معنويات أهالي الموصل قادة ومرؤسين؛ طمعًا في استسلام الموصل بدون قتال.

إن لم تستسلم المدينة يتم تطويقها بقوات الرتل الرئيسي من جميع الجهات وقصفها بشدة بالمدافع والهواوين للتأثير على الحالة المعنوية لقوات وأهالي الموصل، واستسلام المدينة، كما حدث في كركوك واربيل.

بينما يقوم الرتل الثانوي بالاتجاه شمالًا لقطع الامدادات القادمة من الشمال؛ لنجدة الموصل والإغارة على المدن والقرى شمال الموصل وصولًا إلى جزيرة ابن عمر.

وإن لم تستسلم المدينة تقوم المدفعية بقصفها مركزة على سور المدينة بغية هدم السور، أو عمل ثغرات فيه، يرافق ذلك قيام الهندسة بلغم السور ونسفه، ثم تقوم الخيالة والمشاة وحاملي سلالم الحصار بالهجوم على المدينة من جميع الجهات لتشتيت قوة المدافعين، ومن ثم اجتياح المدينة عبر الثغرات بواسطة سلالم الحصار والسيطرة عليها.

خطة المدافعين (خطة حسين باشا الجليلي):

استخدام جميع الوسائل المتاحة لرفع الروح المعنوية للمقاتلين والأهالي، وتحصين المدينة وتهيئة كل مستلزمات الدفاع والحصار.

الدفاع المستميت عن جميع الجهات من على سور المدينة، ومنع العدو من

الحصــول على موطئ قدم في ســور المدينة، ومنعه من اجتيــاح المدينة مهما كان الثمــن مــع الاحتفاظ بقوة احتيــاط لمواجهة المواقــف الطارئة وللقيــام بالهجوم المقابل عند حصول العدو على أي موطئ قدم في الموضع الدفاعي.

اعتماد الدفاع التعرضي باستخدام الهجمات المقابلة، وباستخدام الدوريات الليلية خلف خطوط العدو الأمامية.

سير المعركة (انظر الملحق و):

تضمنت معركة حصار الموصل عدة مراحل (صفحات) وهي كما يلي:

صفحة التقرب والتهديد (الحرب النفسية):

قبيل وصــول قوات نادر شــاه إلى أطراف الموصــل أرسل نادر شــاه وفدًا إلى الموصل يحمل كتاب كبير الملالي (علي أكبر) إلى مفتي الموصل مشحونًا بالترغيب والترهيب وينذر ويتوعد ويحذر من المواجهة ويضــرب الأمثلة على ذلك، ويرغّب بالاستســلام ودفع الإتاوة وتقديم الهدايا وتسـليم البلــد والطاعة والإذعان، وأن يفتحوا له أبواب المدينة ويستقبلوا نادر شاه استقبال الظافرين.

ردًّا على ذلك قام والي الموصل حسين باشا بجمع أهل الموصل بسائر طبقاتهم في المربض الســفلي عند الجامــع الأحمر، فاستشــارهم وطلب رأيهــم، فأجاب الجميع (سنقاتل حتى النصر أو الشهادة) فكان جواب الوالي حسين باشا لنادر شاه أن ليس بيننا إلا القتال، وسنقاتل عن بلدنا حتى النصر أو الشهادة. وأعقب ذلك أن بعث نادر شاه مبعوثًا آخر لوالي الموصل مع رسالة يطلب فيها الاستسلام، وكان الجواب حازمًا بالرفض والإصرار على القتال.

بدأ المدافعون بتهيئة مدينتهم للقتال والدفاع، وشــملت تلك التهيئة النواحي العسكرية والادارية والمعنوية.

تقدمت قوات نادر شاه تجاه الموصل برتلين تتقدمها الطلائع، الرتل الرئيسي باتجاه جنوب الموصل، والرتل الثانوي باتجاه شمال الموصل، واجتاحت القصبات والقرى القريبة من الموصل وعاثت فيها فسادًا، فنهبتها فالتجأ أهلها إلى المدينة، فاستقبلهم الوالي وضمّهم إلى القوة المدافعة عن المدينة، ومن تلك القرى قرى المسيحيين قرقوش وتلكيف وباطنايا وكرامليس، وقرى اليزيدية بعشيقة وبحزاني [٧١].

صفحة الدفاع الايجابي التعرضي:

بعد أن اجتاحت قوات نادر شاه القرى والقصبات القريبة من الموصل وصلت طلائع الرتل الرئيسي (الجنوبي) إلى منطقة يارمجة يوم ٢١رجب ١١٥٦هـ/ ١٠ ايلول ١٧٤٣م. بينما توجهت طلائع الرتل الثانوي (الجنوبي) إلى خرصيباد، فقامت قيادة قوات الموصل بتشكيل قوة قوامها سبع مئة فارس بقيادة عبدالفتاح بيك الجليلي، وهو أخو والي الموصل حسين باشا، ويعاونه مراد باشا الجليلي؛ ابن الوالي. كلفت هذه القوة بمهاجمة طلائع العدو التي تقدر بأكثر من عشرة آلاف مقاتل. وكانت الغاية من هذا الواجب رفع الروح المعنوية لقوات الموصل، وكذلك بإرسال رسالة عملية إلى نادر شاه أن أهل الموصل مصرين على القتال دفاعًا عن مدينتهم، إضافة إلى ذلك قيام القوة باختبار قوة العدو كواجب استطلاعي. التحمت القوة بطلائع جيش نادر شاه ودارت معركة حامية الوطيس قتل فيها أحد قادة جيش نادر شاه واسمه (جلول خان) (تسمى قرية جليوخان الحالية باسمه، وهي تقع قرب منطقة المعركة جنوب الموصل بـ(١٠ كم) [٧٢]. وبسبب الفارق الكبير بين القوتين جرى تطويق قوة الموصل من قبل قوات نادر شاه إلا أن القوة استطاعت كسر الطوق والتملص والانسحاب إلى المدينة، ودخلت المدينة وسدّت أبواب السور بعد أن الحقت بالعدو خسائر تقدر بمئة وخمسين قتيلاً، وغنمت

بعض الأسلحة، وكانت تضحياتها عشرين شهيدًا من بينهم خازندار الوالي، أُسِر خمس وعشرون مقاتلًا من قوات الموصل، وقُتل قسم منهم لاحقًا[٧٣].

صفحـة تكامل قطعات نادر شـاه وإجراء الاستطلاع وعبور نهر دجلة وتطويق المدينة:

يوم ٢٣ رجب ١١٥٦هـ ١٢ ايلول ١٧٤٣م تكامل وصول القسم الأكبر من قوات نادر شـاه إلى يارمجة والتعسكر جنوب الموصل بـ(٥كم) وحاول نادر شاه إرهاب أهل الموصل مرة أخرى؛ إذ أرسل رسولًا من أهل إربيل اسمه محمود ومعه رسالة إلى والي الموصـل، ورسالة أخرى إلى حسين باشا قاوزقجي، وتضمنت الرسالتين التهديد والوعيد، ويطلب فيها تسليم المدينة واستقبال رسوله بالطاعة والإذعان، فـكان الرد على الرسـائل قاسـيًا وحازمًا، وتضـمّن أنـه ليس بين الجيشـين إلاّ القتال[٧٤].

بعـد تكامل وصـول قطعـات نادر شـاه وتحشـدها جنـوب الموصـل يوم ٢٦ رجـب ١١٥٦هــ/ ١٤ أيلول ١٧٤٣م قام نادر شـاه وقادة جيشـه بعبـور نهر دجلة والاسـتطلاع الأولي لساحة المعركة، ووضع الخطط. وفي يوم ٢٨ رجب/ ١٧ أيلول أكملت قوات نادر شـاه نصـب جسـر على نهر دجلة جنوب الموصل، وبدأت قوات نادر شاه بالعبور إلى الجانب الغربي لدجلة، ثم أجروا استطلاعًا مفصّلاً لساحة المعركة وتحديد أماكن القطعات ودكات المدافع. وقامت الهندسة النادرية بإنشاء اثني عشـر برجًا قبالة بروج سـور الموصـل. ووُضِـعت المدافع فيها، وعُمِل سـبعة عشـر من المتاريس ومواضع المدافع والهوواوين. وجرى عمل المتاريس بالاستفادة من الأشـجار المحيطة بالمدينة، وطُوِّقتْ مدينة الموصـل مـن جميع الجهات، وتم توزيع القطعات المهاجمة حول المدينة، وأجريت كافة التحصـينات وتثبيت محاور الهجـوم وتحديد أماكـن الألغام الكهفية[٧٥]. في هذه الأثناء كانت قوات الموصـل

تقوم بإدامة مواضعها الدفاعية والاستعداد للمعركة، ثم إنها وجهت نيران مدفعيتها وأسلحتها الأخرى على قوات العدو.

صفحة القصف المدفعي والهجمات المحدودة الفاشلة:

في يوم ٦ شعبان ١١٥٦ هـ/ ٢٥ أيلول ١٧٤٣م أصدر نادر شاه أوامره إلى المدفعية بمباشرة القصف المدفعي على المدينة، لعل القلعة تستسلم كما حدث في كركوك وأربيل، فأمطرت المدفعية الموصل بقنابرها الحديدية والصخرية ليل نهار، واستمر هذا القصف لمدة ثمانية أيام، وقدّر عدد القنابر المتساقطة على مدينة الموصل بين خمسين وسبعين ألف قنبلة وقنبرة. وفي هذه الفترة قامت قوات نادر شاه بتغيير مجرى الشعبة اليمنى من نهر دجلة وإحالتها إلى الشعبة اليسرى، فاضطر أهل الموصل لشرب مياه الآبار التي تم حفرها مسبقًا لمواجهة هذا الموقف. أثناء القصف كان التركيز على سور المدينة بغية عمل ثغرات فيه، وقد تهدم السور في عدة أماكن، فكان رد فعل قوات الموصل سريع، سارع البناؤون والعمال بإشراف الوالي ومساعديه ببناء ما تهدم من السور، وكان من أبرز مناطق السور التي تعرضت للهدم المنطقة المحصورة بين باب لكش وباب الجديد وتسمى (منطقة الثلمة)، ونتيجة للقصف المدفعي المعادي ليلًا على هذه المنطقة حدث انهيار في جزء من السور، وكادت المعنويات أن تنهار لولا الموقف الشجاع لوالي الموصل الذي حثّ المقاتلين والعمال على الصمود قائلًا: إنها ساعة جهاد في سبيل اللّه. وحشد البنائين والعمال وأكياس الرمل والحجارة لسد الثغرة بإشرافه المباشر على الأعمال، وسدت الثغرة بأكياس التراب وجثث الرجال والحجارة، وكان العمل تحت قصف المدافع ونيران الأسلحة الأخرى[٧٦]. وكانت قوات نادر شاه قد تحشدت أمام هذه المنطقة للهجوم على الموصل عبر هذه الثغرة، وعند الصباح وجدوا أنّ الثغرة قد سدت فأصابهم الذهول، وباءت محاولتهم لاجتياح المدينة بالفشل.

رافق القصــف المدفعي عدة هجمات قامت بها قوات نادر شاه، تقدر بخمس هجمات على ســور الموصــل كلها بائت بالفشل، وذلك بصــمود القوات المدافعة، وباستخدام قوات الهجوم المقابل في الوقت والمكان المناسبين، وكل ذلك بإشراف والي الموصل ومساعديه[٧٧].

وعندما لم يفلح نادر شــاه في إجبار الموصــل على الاستســلام نقل مقره إلى شمال شرقي الموصل، في منطقة القاضية وحوّل جهد المدفعية الرئيسي إلى شمال مدينة الموصل، مستهدفًا المقر الرئيسي لوالي المدينة (قلعة باشطابيا) بحيث إذا سقطت القلعة يتم احتلال الموصل، فوجهت المدفعية نيرانها الى القلعة.

صفحة توقف مهاجمة المدينة ومهاجمة القرى القريبة من الموصل:

بعــد أن جــرى صــد جميع هجمات قوات نادر شــاه وصــمد المدافعــين أمام القصــف المدفعي الكثيف توقفت القوات المهاجمة عــن الهجوم عدة أيام، قامت خلالها بمهاجمة القرى القريبة من الموصــل وقتل أهلها العزل ونهبها، وكان هذا الفعل دليلًا على بداية فشــل قوات نادر شــاه في تحقــق أهدافها[٧٨].وخلال هذه الفترة تذكر بعض المصادر أن قوات نادر شاه حاولت حفر نفق يمتد من الساحل الأيسر لدجلة إلى داخل مدينة الموصل، إلا أنها فشلت في هذا المسعى، كما قامت بإشــعال النار أمام أبواب سور الموصــل، إلا أن الرياح حولت جهة النيران باتّجاه المهاجمين، فباءت تلك المحاولة بالفشــل أيضًــا[٧٩]. في هذه الفترة جرت عمليات الاستطلاع ووُضِعَت الخطط للهجوم الرئيسي لاجتياح الموصل.

في تقديري: لم يتوقف الهجوم بل إنّ القوات التي قامت بالهجوم على القرى والقصــبات هي قوات الرتل الثانوي الشمالي، حيث جرت مهاجمة القرى والمدن شمال الموصل وصولًا إلى جزيرة ابن عمر.

صفحة الهجوم الرئيسي:

بعـد أن بـاءت جميع محاولات نادر شـاه لاحتلال الموصـل بالفشـل قرر أن يقوم بهجوم رئيسـي يكتسح المدينة اكتساحًا سـريعًا، وأعدّ خطة لذلك تتلخص بحفر أربعة ألغام لتفجير سـور المدينة، يتزامن ذلك مع قصـف مدفعي شـديد على المدينة، والهجوم بالمشـاة تسـاندهم الخيالة على المدينة من خلال الثغرات التي ستحدثها الألغام، وباستخدام سلالم الحصار، ومن جهات عدة في المنطقة المحصـورة بين باب سـنجار حتى قضيب البان لتشـتيت جهد المدافعين ومن ثم اجتياح المدينة بالمشاة والخيالة. قام نادر شاه بتحشيد قواته من الخيالة والمشاة والمدفعيـة أمام الجانـب الغربي والشـمال الغربي لمدينة الموصـل، وقامت قوات الهندسـة بحفر أربعة ألغام: اثنان أمام باب سـنجار، واثنان قرب قضيب البان؛ بحيـث تلتقي الألغام بسـور المدينة، وملئـت الألغام بالبـارود(٨٠). وكانت الخطة أن يكـون الجهد الرئيسـي للهجوم باتجاه مقر القيادة (قلعة باشـطابيا) وجرى التنسيق بين المدفعية والخيالة والمشاة والهندسة العسكرية، وبدأ القصف المدفعي التمهيـدي ليلـة الجمعة ١٥ شـعبان ١١٥٦ هـ/ ٤ت١ ١٧٤٣م، مسـتهدفًا القلعة الرئيسـية وسـور المدينة، ومع طلوع فجر يوم الجمعة كانت سـاعة الصفر، حيث انطلق الخيالة والمشاة وقام حملة سلالم الحصار بنصبها على سور المدينة، وفي الوقت المتفق عليه قامت الهندسـة بتفجير الألغـام الأربعة فتعطل لغمان وانفجر الآخران، إلا أنّ أحدهما فشـل بسـبب امتصـاص زخم الانفجار بواسـطة الآبار التـي حفـرت في الخندق لهذا الغرض أمـا اللغم الرابع فعند انفجـاره ارتدّ على الخيالة والمشـاة من قوات نادر شـاه، بسبب أن الهندسـة أخطأت مكانه وحفرته تحت السـور القديم الذي يبعد بحدود ٢٠ مترًا عن السور المعدل، فأوقع انفجاره عـددًا كبيرًا من القتلى والجرحى في صـفوف المهاجمين، مما أثار الرعب والهلع

في صفوف قوات نادر شاه، على الرغم من ذلك استمر الهجوم باستخدام سلالم الحصار، وعُبِر الخندق بعد ردمه بالتراب والتبن، إلا أن المدافعين عن المدينة صمدوا صمودًا بطوليًّا وواجهوا المهاجمين بمختلف الأسلحة من بنادق وسيوف وخناجر، واستخدم المدافعون الحجارة والماء والزيت المغليين في تصدّيهم للمهاجمين، واستمرت المعركة مدة ثلاث ساعات، وفي الساعة السابعة صباح يوم الجمعة قامت قوات الموصل بالهجوم المقابل، وأزاحت المهاجمين خارج القلعة وخارج السور، وقامت قوات الموصل بإدامة زخم الهجوم خارج السور، واستمر القتال لثلاث ساعات ونصف أخرى استخدمت فيها كافة الأسلحة، بعد هذا الصمود البطولي للمدافعين اندحرت هجمات المشاة، فولوا مدبرين ولم يستجيبوا للخيالة الذين كانوا يردونهم حتى حدث القتال بينهم، وبمرور الساعة الثامنة من المعركة ولّت خيالة العدو مدبرة، فهبت رياح النصر بالساعة ١١:٣٠ من يوم الجمعة ١٥ شعبان ١١٥٦هـ ٤ت١ ١٧٤٣م وبهذا أفشل صمود أهل الموصل كل محاولات نادر شاه لاحتلال مدينتهم(٨١).

صفحة انسحاب قوات نادر شاه إلى الجانب الأيسر وطلب الصلح والانسحاب النهائي:

بعد هزيمة قواته اضطر نادر شاه إلى سحب فلوله المنهزمة إلى شرق دجلة، وتوقفت المدافع والبنادق عن الرمي، وجنح نادر شاه للسلم فأرسل من طرفه سفيرًا إلى والي الموصل يطلب إرسال رسل للتفاوض معهم، إلا أنّ الوالي والمحافظ رفضوا طلبه، وقد خاب أمل نادر شاه عندما أخبره الرسل أنّ كل هذا القصف لم يؤثر على المدينة، وذلك بسبب توجيه والي الموصل بإزالة آثار القصف، وعندما أخبره الرسل بحال المدينة خارت عزيمته ثم أرسل رسولًا آخر إلى والي الموصل والمحافظ يطلب منهما التفاوض، فوافقا وأرسلا وفدًا مؤلفًا

من القاضـي ومفتي الشافعية علي الغلامي وقرة مصطفى بك، وجرى التفاوض والصـلح بين الوفد وشيخ الإسلام عندهم، وتم الصلح وتبادل الهدايا، بعد ذلك رفعـت الطابيـات والمدافع من حول المدينة، وأرسـلت إلى يارمجة وأُطلق سـراح الأسرى من كلا الطرفين، وفي صبيحة يوم ٤ رمضان ١١٥٦ هـ / ٢٢ ت١ ١٧٤٣م سـحب نادر شاه جيوشـه من الموصل متجهًا إلى الشـرق، فتعالت التكبيرات من المآذن وأجراس النواقيس من الكنائس، وأقيمت الاحتفالات بالنصر العظيم بعد أن استمر حصار الموصل نحو اربعين يومًا[٨٢].

خسائر الطرفين:

لا توجد إحصائيات دقيقة لحجم خسائر الطرفين، وهذا أمر بديهي في جميع المعـارك في كل زمان ومكان، فإنّ الخسـائر التي يعلن عنهـا من جميع الأطراف تهوّل خسائر العدو وتقلل خسائرها، وفي معركة حصار الموصل لم تذكر المصادر إحصائيات دقيقة لخسائر كلا الطرفين، وفيما يلي تقديرات لخسائر الطرفين:

خسائر قوات نادر شاه:

قدّر القنصـل الفرنسـي في بغداد في رسـالته إلـى الخارجية الفرنسـية أن مجموع قتلى جيش نادر شـاه في معركة حصار الموصل اثنان وعشرون الف قتيل، مقابل ألفين من أهل الموصل، ماعدا الجرحى والأسلحة والعتاد[٨٣].

وتذكر المراجع أن عدد قتلى قوات نادر شاه بسبب انفجار اللغم عليهم يقدر بأربعـة آلاف قتيل، عدا الجرحى، وأن عدد ما قتـل منهم في المعارك من بدايتها إلى نهايتها يقدر بخمسـة آلاف وأربع مئة قتيل، عدا الجرحى، إضافة إلى تدمير العديد من المدافع والعتاد[٨٤]. والراجح أن مجمل خسـائر قوات نادر شاه بحدود عشـرة آلاف قتيل، عدا الجرحى. ولم تذكر المراجع عدد الأسرى، إلا أنها ذكرت

أن قوات الطرفين تبادلت الأسرى بعد إجراء الصلح بينهما. أما ماذكره القنصل الفرنسي في بغداد فإنه مستبعد لعدم وجود مايؤيد صحته، ولم يذكر أي مرجع من المرجع هذا الحجم من الخسائر أو قريبًا منه.

تضحيات قوات الموصل:

يذكر القنصل الفرنسي أن قتلى أهل الموصل يقدر بألفي قتيل، عدا الجرحى، بينما تذكر بقية المراجع تذكر أن تضحيات أهل الموصل في جميع المعارك كانت تقدر بمئتي شهيد، وثلاثين أسيرًا، عدا الجرحى [٨٥]. والمعلوم أن الجرحى أكثر من القتلى، وهنا أيضا الذي ذكره القنصل الفرنسي لا يوجد ما يعضده في المراجع الأخرى، والراجح أن تضحيات أهل الموصل تقدر بحوالي مئتي شهيد، وثلاثين أسيرًا، عدا الجرحى.

أسباب انتصار الموصل وفشل حملة نادر شاه:

هناك أسباب كثيرة لفشل حملة نادر شاه على الموصل نذكر منها:

نحن نؤمن أن العناية الإلهية من المولى تعالى في نصرة أهل الحق وأهل دينه الحق ممن ثبتوا على مبادئ الدين الحنيف وممن صمدوا واصروا على الدفاع عن دينهم وأرضهم وعرضهم. بالإضافة إلى ذلك توجد عدة أسباب لفشل حملة نادر شاه على الموصل منها:

- الصمود البطولي لقوات الموصل التي كان أكثرها من أهل المدينة وقراها، وعلى راسهم الوالي حسين باشا الجليلي، والمحافظ حسين باشا القاوزقجي.
- وجود قادة الموصل على رأس قطعاتهم، وفي مقدمتهم الوالي والمحافظ، وفي أحلك ظروف المعركة كان سببًا في رفع الروح المعنوية لدى المقاتلين واستماتتهم في الدفاع عن مدينتهم [٨٦].

- تهيئة المدينة من جميع النواحي للمعركة الدفاعية، ومواجهة الحصار طويل الأمد.
- اعتماد والي الموصل مبدأ الشورى في اتخاذ قرار الحرب كان له الأثر الفعال في تحمل جميع أهالي الموصل مسؤولية الدفاع عن مدينتهم والاستبسال في ذلك.
- التخطيط الجيد للمعركة من قبل قيادة الموصل، وتنفيذ الخطط بشكل جيد، وإدارة المعركة الدفاعية بكفاءة عالية.
- الروح المعنوية العالية للمدافعين، وإصرارهم على الدفاع عن مدينتهم حتى النصر أو الشهادة، وصمودهم ساهم في إضعاف الروح المعنوية لخصومهم.
- إيمان المدافعين بعدالة القضية التي يحاربون من أجلها؛ وهي الدفاع عن مدينتهم وأهليهم، فهذا جعلهم يرخصون الأرواح(٨٧). بينما لم يكن لمقاتلي الطرف الآخر ما يبرر عدوانهم، وما يؤيد عدالة القضية التي يحاربون من أجلها، وهذا كان عاملًا في إضعاف إرادتهم للقتال.
- قيام قوات نادر شاه باستباحة القرى والمدن التي اجتاحتها زادت من إصرار أهل الموصل في الاستبسال للدفاع عن مدينتهم.
- الشعور الديني لدى المسلمين والمسيحيين بقدسية مدينتهم كان عاملًا في صمودهم ودفاعهم عنها.
- استهانة نادر شاه بقوة وقدرات الموصل، وإمكانية صمودها أمام هجوم قواته التي كان يظن أنها لا تقهر.
- الغرور الذي أصاب نادر شاه بسبب انتصاراته في أغلب حروبه، وسيطرته على الكثير من البلاد، واحتلاله لكركوك وإربيل بوقت قياسي جعله يشعر أن كل الأهداف التي يهاجمها سهلة المنال.
- كان أكثر جيش نادر شاه من المرتزقة، وهم يحاربون قسرًا إضافة

إلى سـوء معاملة نادر شـاه لمقاتليه، والتي كانت تتسم بالشدة والبطش بالمقصرين، مما زاد حنقهم وكراهيتهم له[٨٨].

- سـوء تخطيط قوات نادر شاه وتخبطه في تنفذ الأعمال، وعدم الدقة في التنفيذ، كما حدث في حفر الألغام وارتدادها عليهم.

الدروس المستنبطة من معركة حصار الموصل:

لكل معركة بعد انتهائها دروس مسـتنبطة تظهر أسـباب النصر أو الهزيمة ومـا طبق من مبادئ الحرب، وعوامل القوة والضـعف لـدى الطرفين، ومن تلك الدروس في معركة حصار الموصل:

- أن معركة الموصـل لم تكن بين جيشين متقابلين، بل كانت بين جيش نادر شـاه الغاشـم من جهة وأهل الموصـل كافة بمختلـف انتمائاتهم الدينية والطائفية والعرقية رجالًا ونسـاءً شيوخًا وشبابًا وأطفالًا أغنياء وفقراء رؤسـاء ومرؤسـين أهل المدينة وأهل القرى المحيطة بها من جهة أخرى، فهي حرب شـعبية بكل معانيها جسـدت وحدة أهل الموصل وصمودهم، ممـا كان سـببًا في انتصـارهم على عدوهـم الذي يتفـوق عليهم عددًا وعدة.

- لقد تجسـد مبدأ الشورى في أروع صـوره عندما قام والي الموصل بجمع أهل الموصل عند الجامع الأحمر قبل المعركة واستشارهم وتبيّن موقفهم ورأيهم في مواجهة عدوهم، فكان قرار الجميع الصـمود والقتال دفاعًا عن مدينتهم حتى النصر أو الشهادة.

- أن أحسـن أنواع الدفاع هو الهجوم، أو مايسـمى بالدفاع التعرضي، وقد تجسـد ذلك في معركة الموصـل عندمـا هاجمت قوة من قوات الموصـل تعدادهـا ٧٠٠ مقاتل طلائع جيش نادر شـاه التي تقدر بـ١٠٠٠٠ مقاتل، وأوقعـت الخسـائر في صـفوفها، وكذلك قيـام قوات الموصـل بالهجوم المقابل السـريع علـى قوات العدو التي كانت تحـاول على موطئ قدم في الموضـع الدفاعي (السـور)، وتطردها منه، وكذلك قيام قوات الموصـل

بإرسال الدوريات الليلية خلف خطوط العدو الأمامية لجلب المعلومات عن العدو حتى إنّ قسم منها وصل إلى مقر نادر شاه وترك له تحذيرًا.

- حققت قوات الموصل مبدأي إدامة الزخم واستثمار الفوز في معركة الهجوم الأخير؛ وكانا سببًا في اندحار وهزيمة قوات ندر شاه.
- أن لوجود القادة ذوي الكفاية والقدرة على التخطيط الجيد للمعركة واجراء الاستحضارات الجيدة للمعركة الدور المهم في إحراز النصر، وقد ظهر ذلك جليًّا في معركة الموصل، حيث تولى قيادة المعركة الرجال المشهود لهم بالكفاية، وجرى التخطيط الجيد للمعركة، إذ شمل التهيؤ للمعركة كافة الجوانب العسكرية والنفسية والاقتصادية، وأديرت المعركة بقدرات عالية.
- اتخذت قوات الموصل إجراءات بسيطة ضمن إمكانياتها المحدودة لتقليل تأثير القصف المدفعي المعادي، وذلك باستخدام السوابيط بين الدور والأزقة؛ لتخفيف تأثير القنابر المتساقطة التي كانت عبارة عن كرات حديدية أو صخرية غير متفجرة[٨٩].
- كان لقيام قوات الموصل بتسوية التلال المحيطة بسور المدينة قبل بدء المعركة التأثير الكبير على عمل مدفعية العدو التي كان هدفها الرئيسي هدم سور المدينة، حيث حرمت من تأمين المحرك المنبسط لقذائفها باتجاه السور[٩٠].
- كان لاستثمار الفوز في الهجوم الأخير من قبل قوات الموصل الأثر الكبير في إحراز النصر، وإيقاع أكبر الخسائر في صفوف العدو.
- لقد ظهر دور الحرب النفسية والحالة المعنوية لكلا الجانبين في نتيجة المعركة (انظر الملحق ز).
- الجهد الاستخباري مهم وله دور في نتائج المعركة، وقد كان الجهد الاستخباري لقوات الموصل ملحوظًا، وتمثل في نقل أخبار العدو بين حين وآخر، من لحظة وصوله إلى كركوك ومن ثم إلى وصوله إلى إربيل،

وتنقلــه من إربيل باتجاه الموصــل، وتطويقــه المدينة، وكانــت المعلومات تتضــمن نوايــا وخطط وتعداد قــوات نادر شــاه، وكان مــن يقوم بذلك ســكان القرى المحيطة بالموصــل، ومــن الأمثلة على ذلك قيــام أعرابي يستحث فرسه خارج السور قبيل الهجوم الأخير وهو ينادي بأعلى صوته (الدبشــي خلص والعجور التم، لكــن بالكم من الطويل) يُعلم المدافعين أن عتاد المدفعية قليل، وأن الجيش تحشــد للهجوم، وأن ياخذوا حذرهم لأن العدو سيســتخدم سلالم الحصار[٩١]. كما كان يتم تدقيق الداخلين إلــى المدينــة عند أبــواب الســور والتعرف عليهــم للحيلولــة دون دخول الجواسيس إلى المدينة.

- كانت المعركة معركة موصلية مستقلة خاضها أهل الموصل بكل أطيافهم، وتحملوا أعباءها بمساعدة محدودة من متطوعي الأكراد من كويسنجق ومن قوات حلب.
- برز دور للمرأة الموصــلية في المعركة؛ فشاركت بالتبرع بالأموال وتضميد الجرحى وإعداد الطعام للمقاتلين[٩٢].
- أولت بريطانيا وفرنســا اهتمامًا كبيرًا بمعركة الموصــل، وتبين ذلك من خلال التقارير التي كان يرســلها الســفيرين البريطاني والفرنسي لدى البــاب العالي إلــى وزارتــي الخارجية البريطانيــة والفرنســية، وكانت تتضمن أحداث معركة الموصل بالتفصيل، وكانت تلك المعلومات تستقى من المخبرين الســريين[٩٣]. ويســتنتج من ذلك أن لــكلا البلدين دور في تلك المعركة، وربما يكون أحدهما أو كلاهما مؤيدًا او داعمًا لنادر شاه في هجومه على الموصل لإضعاف الدولة العثمانية وتقسيمها إلى دويلات.

نتائج معركة حصار الموصل:

كان لانتصــار قوات الموصل في معركة الحصــار ودحر جيش نادر شاه نتائج على المستوى المحلي والإقليمي، وعلى النواحي العسكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ومن تلك النتائج:

- الإفراج عن جميع الأسرى الذي أسروا في كركوك وإربيل والموصل وكافة المناطق التي اجتاحها نادر شاه.
- عقد صلح بين نادر شاه ووالي الموصل [٩٤].
- طلب نادر شاه من الدولة العثماني عقد معاهدة صلح بينهما[٩٥].
- تنازل نادر شاه عن كل مطالبه التي كانت ذريعة لحربه[٩٦].
- أظهر نادر شاه رغبته في إجراء مناظرة بين العلماء للتقريب بين المذاهب، ومثل بغداد في تلك المناظرة الشيخ عبدالله السويدي، ووكل نادر شاه الشيخ السويدي لرفع التكفير بين الفرق الإسلامية، وإصلاح ذات البين، وتحقق ذلك على يد الشيخ السويدي[٩٧].
- أمر نادر شاه برفع سب الصحابة الذي أحدثه الإسماعيلية والصفوية، وذكر الخلفاء على الترتيب على منبر جامع الكوفة والدعاء للسلطان العثماني[٩٨].
- اعترف نادر شاه بالسلطة العثمانية وبعث الهدايا إلى السلطان العثماني[٩٩].
- تقوية العلاقة بين الموصل والباب العالي[١٠٠].
- ظهور قوة ونفوذ الجليليين لدى السلطة العثمانية، وما احرزه حسين باشا من سمعة حازت على ثقة الباب العالي وانتشرت سمعة الجليليين في أرجاء الدولة العثمانية [١٠١].
- ومن نتائج معركة الموصل أنها عززت الوحدة الوطنية بين أبناء المدينة والابتعاد عن الفتن، حيث حافظ أهل الموصل على المدينة وكيانها ونمو الشعور الوطني والقومي لأهالي الموصل في إطار الدولة العثمانية[١٠٢].
- محافظة الموصل على كيانها الاقتصادي، إذ بقيت سوقًا تجاريًّا مهمًا، وتزايدت أهمية مسالكها التجارية وقصدها التجار من كل مكان، وانتعشت عماراتها وصناعاتها المختلفة[١٠٣].

- أصبحت الموصل بعد الغزو النادري مركزًا مدنيًّا وثقافيًّا إضافة إلى المركز الدفاعي العسكري، وشهدت الموصل حملة ترميم لسور المدينة، وترميم بعض الجوامع والكنائس(١٠٤).

وذكر روبرت ولسن عددًا من نتائج معركة الموصل منها(١٠٥):

- ابتعاد التهديد الصفوي عن طريق التجارة بين الموصل وحلب وبين حلب وأرض الروم.
- منع نادر شاه من الوصول إلى البحر المتوسط.
- درء الخطر الصفوي عن العاصمة العثمانية الذي استمر لمدة ثلاثة قرون ونصف.
- تخلي نادر شاه عن كركوك وإربيل التي سيطر عليهما قبل معركة الموصل.

الخاتمة:

كانت نينوى منذ تأسيسها قبل آلاف السنين ذات أهمية إستراتيجية على مدى العصور، وقد اكتسبت هذه الأهمية من عدة عوامل، أهمها عمقها الحضاري، وكونها عاصمة لعدة دول، ولموقعها الجغرافي المهم؛ حيث إنها عقدة مواصلات تربط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، ولوقعها على نهر دجلة ذي الأهمية الإستراتيجية.

مصّرت الموصل على الجهة المقابلة لنينوى على نهر دجلة بعد الفتح الإسلامي عام ١٦ هـ / ٦٣٧م. وجرى توسيعها، وقد مرت بعدة مراحل وتوالت عليها الأحوال مابين الازدهار والانكسار في العصرين الأموي والعباسي، إلى أن اتخذها الزنكيين عاصمة لهم، وأولوها اهتمامًا خاصًّا، ولعبت دورًا مهمًّا في مواجهة الغزو الصليبي. وبعد نشوء الدولة العثمانية أصبحت الموصل إحدى

ولاياتها، وفي القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي حكمت الأسرة الجليلية الموصل، وكان حكمها حكمًا محليًّا شبه ذاتي، إلاّ أنها كانت تابعة للدولة العثمانية، ومن أشهر ولاتها في هذه الفترة حسين باشا الجليلي، وفي تلك الحقبة كان الصراع على أشدّه بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، والحرب سجال بينهما، وكان للموصل نصيب من تلك الحروب، وكانت الدولة العثمانية مشغولة بقمع الثورات الداخلية، و بمواجهة التهديدات على الجبهتين الشمالية والغربية، ولم تكن العلاقة بين الباب العالي والموصل على أحسن أحوالها، بل كان يشوبها الكثير من المنغصات؛ فالسلطة العثمانية لم تولي البلاد العربية اهتمامًا من ناحية التعليم، وانتهجت سياسة التتريك، وأهملت الجوانب العمرانية والاقتصادية والثقافية، أما من الناحية العسكرية فإن السلطة العثمانية لم تهتم بها، وأوكلت أمرها إلى أهلها، إذ إنّ القوات النظامية المكلفة لحماية الموصل لا تتعدى كتيبة خيالة وخمسة آلاف مقاتل، أغلب منتسبيها من أهل الموصل. وكانت نظرة السلطة العثمانية للعرب على أنهم اقل منهم شأنًا.

في هذا الجو من العلاقات بين السلطة العثمانية والولايات العربية ومنها الموصل ظهر التهديد الصفوي للدولة العثمانية المتمثل بجيش نادر شاه الذي غزت جيوشه الشرق وحققت انتصارات كبيرة اغرته في التوجه نحو الشرق للسيطرة على المدن العربية، منها: بغداد والموصل والبصرة ومدن كركوك وإربيل. ومن ثم التوسع باتجاه البحر المتوسط والتوجه إلى العاصمة العثمانية لإسقاط السلطة هناك، وكان لغزو نادر شاه أسباب سياسية اتخذت الدين ذريعة لها، وأسباب اقتصادية، وكما ذكر سابقًا فإن الحروب كانت قائمة بين القوات العثمانية والصفوية، فقد سبق توجه جيوش نادر شاه لغزو الموصل العديد من المعارك بينه وبين القوات العثمانية، وكانت النتائج مختلفة بين النصر والهزيمة، ومن أهمها المعركة التي جرت جنوب الموصل سنة ١٧٣٣م. حيث توجه نركزخان

على رأس ثمانية آلاف مقاتل إلى الموصل لاحتلالها، فالتقى بجيش الموصل جنوب الموصـل فهُزِم جيشـه وقُتل نركزخان في عام ١١٥٦هـ /١٧٤٣م. وتوجهت جيوش نادر شاه والتي تقدر بثلاث مئة ألف مقاتل إلى العراق وانقسمت إلى رتلين؛ الرتل الجنوبي وتعداده تسـعون ألف مقاتل توجه إلى البصـرة لمحاصرتها، بينما توجه الرتل الشـمالي إلى الشـمال، ويقدر تعداده بمئتي ألف مقاتل ومئة وستين مدفعًا ومئتين وثلاثين هاونًا، إضافة إلى المعدات الهندسية، بقيادة نادر شاه متوجهًا إلى بغداد وحاصرها ثم عدل إلى كركوك وحاصرها لعدة أسابيع وقصفها بالمدفعية واحتلها، وبعد ذلك توجه إلى إربيل وحاصرها لعدة ساعات فاستسلمت له، وبعد ذلك توجه باتجاه الموصل وخلال توجهه إلى الموصل قام بتوجيه عددًا من الرسائل التحذيرية إلى والي الموصـل وأهلها يطالبهم بالاستسـلام، فجمع والي الموصـل أهلها واستشارهم في الأمر فأبدوا استعدادهم للقتال والدفاع عن مدينتهم حتى النصر أو الشهادة، فعمل الوالي وأهل الموصل وقوات النجدة من حلب وكويسنجق على تهيئة المدينة للقتال، وشـملت هذه التهيئة الجوانب العسكرية كترميم السور وحفـر الخندق وتهيئة سـاحات الرمي وتوفير مواد التموين، كما شـملت التهيئة الجانب المعنوي والذي تمثل بتهيئة المقاتلين والأهالي للقتال والاستعداد للتضحية في سـبيل الدفاع عـن مدينتهم، وعدّ ذلك جهـادًا في سـبيل الله تعالى. وعندما اقتربت قوات نادر شاه من الموصل اجتاحت القرى التي كانت على طريق تقدمها فقتلت وروعت أهاليها ونهبتها، وكانت تلك القرى هي قرى المسيحيين والإيزيدية، فهرب أهلها والتجأوا إلى الموصـل، ثم أعاد نادر شاه إرسال الرسائل التحذيرية ومطالبته باستسـلام المدينة، إلا أنه جوبه من أهل الموصـل بالرفض والإصـرار علـى القتال، وما إن وصـلت طلائع جيش نادر شـاه إلى منطقـة يارمجة جنوب الموصـل يوم ٢١ رجب ١١٥٦هـ/ ١٠ ايلول ١٧٤٣م حتى برزت لها قوة من الموصـل واشـتبكت معها، وألحقت بها خسـائر، ثم عادت إلى المدينة وأغلقت أبواب سور المدينة، وبعد وصـول القسـم الأكبر من جيوش نادر شاه إلى الموصل وهو مايقدر

بمئتي ألف مقاتل، تساندهم (١٤) بطرية مدفعية، يقدر عدد مدافعها بـ(١٦٠) مدفعًا، ومعدات التجسير، وحفر الألغام وسلالم الحصار، في حين تواجهها قوات الموصل التي يقدر عددها بثلاثين ألف مقاتل كحد أقصى، وبعض المدافع والمقاتلين مسلحين بأسلحة بدائية، بعد تكامل وصول قوات نادر شاه إلى الموصل تمت عمليات الاستطلاع ونصب الجسور، وعبرت قوات نادر شاه من الجانب الأيسر لنهر دجلة إلى الجانب الأيمن، وطوقت المدينة من جميع الجهات، وعملت دكات المدافع، بعد ذلك جرى قصف المدينة لمدة ثمانية أيام بلياليها، ويقدر عدد القنابر التي سقطت على المدينة بأكثر من خمسين ألف قذيفة (حديدية وصخرية) طمعًا في استسلام المدينة، ورافق عمليات القصف عدد من الهجمات بالمشاة والخيالة، كلها صدها المدافعون، وعندما لم يفلح بتحقيق هدفه، أوقف نادر شاه الهجوم وأعاد وضع خططه، فقامت قواته خلال هذه الفترة بتغيير مجرى نهر دجلة والإغارة على القرى المحيطة بالموصل، وقتلت أهلها ونهبتها، وبعد أن أكمل نادر شاه إعداد الخطط للهجوم الرئيسي على المنطقة المحصورة بين باب سنجار وقضيب البان مستهدفًا القلعة الرئيسية، بدأت قطعاته بتنفيذ الهجوم الرئيسي، فقامت قواته بحفر أربعة ألغام كهفية قرب سور المدينة لتفجير السور وعمل ثغرات فيه، لتقوم قوات المشاة والخيالة باقتحام المدينة من خلالها، يرافق ذلك استعمال سلالم الحصار لاجتياز السور والدخول إلى المدينة، وفي فجر يوم الجمعة ٢٢شعبان ١١٥٦هـ / ٤ت١ ١٧٤٣م كانت ساعة الصفر لبدء الهجوم الرئيسي، وعندما اقتربت قوات نادر شاه من سور المدينة قامت الهندسة بتفجير الألغام الأربعة، فلم ينفجر لغمان، وانفجر الآخران، أحدهما لم يحدث أي ضرر بالسور، أما اللغم الرابع فارتد على قوات نادر شاه فقتل منهم المئات، ودارت معركة حامية الوطيس أبلى فيها أهل الموصل بلاءً حسنًا، وبعد ثمان ساعات من القتال ولّت جيوش نادر شاه مدبرة تجر أذيال الهزيمة، وكان من أهم أسباب انتصار قوات الموصل واندحار قوات نادر شاه الروح المعنوية

العالية لأهالي الموصل، وإصرارهم على الدفاع عن مدينتهم، وعدالة القضية التي يقاتلون من أجلها، والقيادة الحكيمة من الوالي، والتهيؤ الكامل للمعركة، وبشكل جيد، ومن أسباب خسارة قوات نادر شاه: غرور نادر شاه وغطرسته واستهانته بقدرات أهل الموصل، وإنهاك قواته في خوض معارك متتالية، وعدم إيمانهم بعدالة القضية التي يقاتلون من أجلها، فكانت الهزيمة من نصيب قوات نادر شاه التي تكبدت خسائر جسيمة، تقدر بعشرة آلاف قتيل، وخسارة العديد من المدافع والمعدات، بينما كانت تضحيات أهل الموصل لاتتجاوز المئتي شهيد. وبعد إنجلاء غبار المعركة بانت خسارة قوات نادر شاه، فاضطر لطلب الصلح مع والي الموصل، فجرى الصلح وانسحبت جيوشه باتجاه الشرق يوم ٤ رمضان ١١٥٦هـ/ ٢٢ت١ ١٧٤٣م. وكان من نتائج تلك المعركة أن نادر شاه تخلى عن كافة شروطه التي اتخذها ذريعة لذلك الغزو، وتحطمت أحلامه في الوصول إلى البحر المتوسط، وابتعاد الخطر عن طرق التجارة بين الموصل وحلب وبين حلب وأرض روم، ومن نتائج تلك المعركة أن عززت الروح الوطنية لأهل الموصل ووحدتهم. ومن أهم الدروس المستنبطة لتلك المعركة تجسيد الشورى في أروع صورها، ودور الحرب النفسية في إحراز النصر وتحقيق مبدأ القادة في الأمام في المواقف الحرجة، والذي حققه قادة الموصل. لقد كان للعناية الإلهية لأهل الموصل ولوحدتهم عربًا وكردًا مسلمين ومسيحيين ويهود وإيزيدية أهل المدينة وأهل القرى والأرياف وإيمانهم بعدالة قضيتهم في الدفاع عن مدينتهم وتكاتفهم وإخلاصهم في تنفيذ واجباتهم تحت قيادة حكيمة متفاعلة مع مرؤوسيها سببًا في إحراز النصر للموصل، وكان يوم ٤رمضان١١٥٦هـ /٢٢ ت١ ١٧٤٣م يوم عيد للموصل عندما انسحبت جيوش نادر شاه باتجاه الشرق مهزومة. وبذلك تسجل الموصل صفحة مشرقة من التاريخ العراقي والعربي الحديث في صمودها بوجه الطغاة والطامعين، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

الملحق (أ)

حسين باشا الجليلي والي الموصل

(١١٠٧هـ - ١١٧١هـ / ١٦٩٥م — ١٧٥٨م)

هو حسين باشا بن إسماعيل باشا الجليلي، ولد في الموصل سنة ١١٠٧ هـ /١٦٩٥م، ونشأ فيها، وفي سنة ١١٣٢هـ أدّى فريضة الحج لبيت الله الحرام، وفي سنة ١١٤٣هـ أصبح والي الموصل، وقد تقلد ولاية الموصل ثمان مرات. وفي سنة ١١٤٧هـ قَدِم عبدالله باشا الكوبرلي لغزو العجم فقدّم له حسين باشا الدعم والمساعدة، ورأى منه الوزير دهاءً وتدبيرًا فرفع أمره إلى الباب العالي، فأنعم عليه السلطان برتبة الوزارة، وأرسل إليه المنشور والخلعة.

كان حسين باشا شجاعًا كريمًا يبذل المال للمقاتلين، ويمتاز بحصافة الرأي وقوة الإرادة والحزم، وكان دائم التفقد لرعيته ولمقاتليه، ويؤمّن احتياجاتهم. وكان محبًّا للإصلاح والعمران والعلم، وشجّع الأدباء والشعراء، وبنى مصلى الشافعية في جامع النبي جرجيس، ورمَّم الجامع الكبير (الجامع النوري) وجدد عمارة القلعة الداخلية وعَمَر نصف سور الموصل، كما وجهت إليه فراشة الحضرة النبوية من قبل السلطان محمود الأول.

لقد اشتهر حسين باشا بحروبه ضد الصفويين، فقد تولى قيادة قوات شاركت مع أحمد باشا والي بغداد عند احتلاله همدان عام (١١٣٦هـ/١٧٢٣م)، وشارك في الحروب ضد طهماسب عام (١١٤٤هـ/١٧٣١م)، وكان واليًا للموصل عندما حاصرها نادر شاه سنة (١١٥٦هـ/١٧٤٣م)، وابلى بلاءً حسنًا في تلك المعركة.

ولي حلب سنة ١١٧٠هـ، ثم عاد إلى بلدته الموصل وتوفي فيها ٩ ذي القعدة ١١٧١هـ / ٢٥ تموز ١٧٥٨م.

الملحق (ب)

نــادر شــاه

(١٦٩٨م -١٧٤٧م)

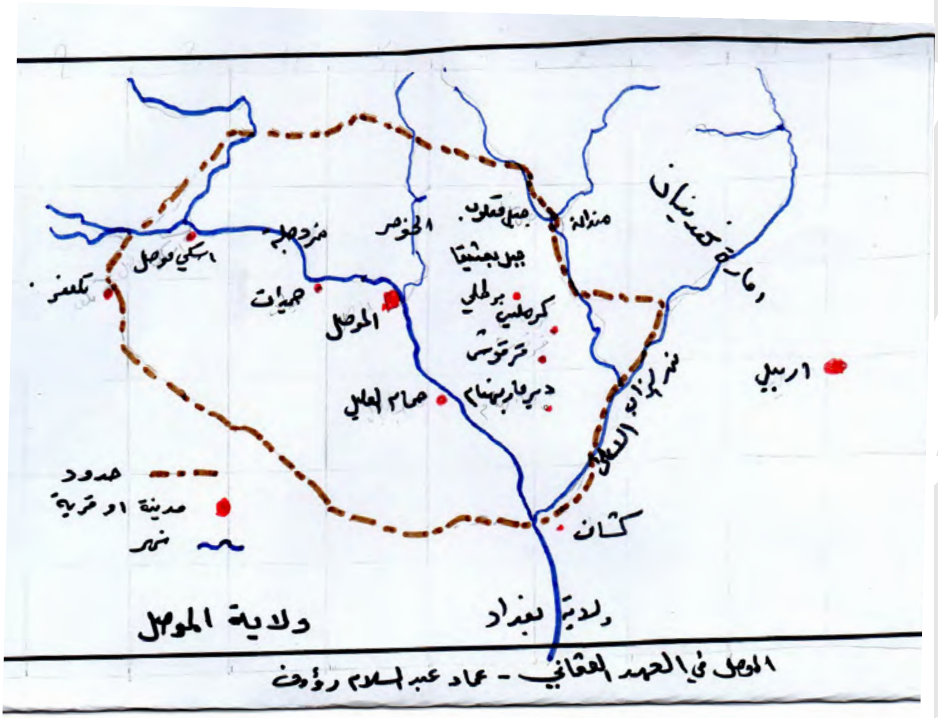
ينحدر نادر شــاه من قبيلة الأفشار التركمانية من شمال فارس، التي امدّت الدولة الصــفوية بالقوة العســكرية منذ عهد إسماعيل الصــفوي، ويعرف أيضا (بنادر قلي خان) و(طهماســب قلي خان) و(نــادر أفشــار) وفي المراجع الإيرانية (نادر الأفشاري) شاه ايران من ١٧٣٦م الى ١٧٤٧م، ومؤسس الأسرة الأفشارية التي حكمت إيران.

كان أول أمــره من قطّاع الطــرق، ثم جمع رجاله ورأى من مصــلحته العمل كقائد عند طهماســب الثاني؛ آخر الشــاهات الصــفويين، يصفه بعض المؤرخين بأنــه نابليــون بلاد فارســ أو الإســكندر الثاني، كان له الفضــل في نشــوء حركة المقاومة العسكرية لتحرير إيران من الاحتلال الأفغاني منطلقًا من مدينة مشهد. ويعد نادر شــاه من أكبر الغزاة الفاتحين في تاريخ إيران الحديث، حيث قام عام ١٧٣٧م بالاســتيلاء على أفغانستان وبعض الأجزاء من وسط آسيا، ثم قاد حملة سنة (١٧٣٨م -١٧٣٩م) على الهند تمكن فيها من الاستيلاء على دلهي، وانتصر في معارك كثيرة ضد العثمانيين والأفغان والروس، وتمثل خطى الفاتحين المغول: جنكيــز خــان، وتيمورلنك، وكان أقــوى حاكم في الشــرق، إلا أنّ إمبراطوريته ما لبثت أن تفككت بسرعة بعد اغتياله عام ١٧٤٧م.

كان نادر شــاه آخر غزاة آســيا الوســطى، وكان أنبغ قائد عسكري في تاريخ إيران، وينسب إليه الفضل في قوة وأهمية إيران بين العثمانيين والمغول.

أما رأي علماء النفس هو: كان نادر شــاه غشومًا كثير الحروب، محبًّا لسفك الدماء، لديه خلل في التوازن العقلي، منشــؤه الطمع المفرط، والقســوة الجنونية، والجشع.

الملحق (ج)



الملحق (د)

طبيعة ساحة المعركة

تقـع الموصـل القديمة علـى الجانب الغربي مـن نهر دجلة، وتمتـد من قلعة باشـطابيا وباب سـنجار شـمالًا إلى باب الطوب وباب الجديـد جنوبًا، ومن نهر دجلة شرقًا إلى باب سنجار وباب الجديد غربًا.

إن المنطقـة المقابلة لشـمال المدينـة -المتمثلـة حاليًّا بحاوي الكنيسـة وحي الشفاء والزنجيلي والرفاعي وتموز- منطقة متموجة تكثر فيها الوديان والتلال، وجرداء عـدا المنطقة المحاذية لنهـر دجلة، منطقة حاوي الكنيسـة، فتكثر فيها الأشجار والأدغال.

أما المنطقة الشرقية للمدينة فتستند على نهر دجلة، والمنطقة المحاذية للنهر مرتفعة، والجهة المقابلة لها شرق النهر منطقة منخفضة تكثر فيها الأشجار.

والمنطقة المقابلة لغرب المدينة -المتمثلة حاليًّا بالموصل الجديدة والصناعة القديمة والمنصور- منطقة شبه مستوية تكثر فيها الوديان؛ وادي العين، ووادي حجر، وهي منطقة جرداء.

المنطقة المقابلة لجنوب المدينة -المتمثلة حاليًّا بحي الدندان والجوسق والغزلاني- منطقة مستوية تكثر فيها الأشجار، ويحيط بالمدينة سور له سبعة أبواب، وهي باب الجسر، وباب الطوب، وباب الجيش، وباب الجديد، وباب سنجار، وباب المعادي.

يتبين من دراسة ساحة المعركة أن الاتجاه الأكثر احتمالًا أن يتبعه العدو في مهاجمة المدينة هو الاتجاه الغربي والشمال الغربي، ومن ثم الشمالي ثم الجنوبي، أما الاتجاه الشرقي للمدينة فيصعب مهاجمة المدينة منه؛ لاستنادها على نهر دجلة، وارتفاع السور في هذا الاتجاه

الملحق(هـ) الذيل (١)



الملحق (هـ) الذيل (٢)



مخطط لمدينة الموصل يبين انفتاح قوات نادرشاه حول المدينة
واتجاه الهجوم الرئيسي ومنطقة معركة الدفاع التعرضي
نقل بتصرف - روبرت دبليو ولسن - حصار الموصل والعلاقات العثمانية الخارجية، ص ٩٨

الملحق (و) الذيل (١)

تسلسل حوادث المعركة

ذكر الأستاذ محمود الجليلي تسلسل الحوادث ورتبها كمما يلي:

التاريخ	الحادثة
٢١رجب ١١٥٦هـ ١٠ايلول١٧٤٣م	ظهور مقدمة جيش نادر شاه في يارمجة، وهجوم القوة الفدائية من الموصل بقيادة عبدالفتاح أخي الوالي حسين باشا
٢٤رجب/١٣أيلول	وصول نادر شاه إلى يارمجة
٢٥رجب/١٤ أيلول	فتح مقر نادرشاه قرب النبي يونس وقيامه بجولة تفقدية
٢٧رجب/١٦ أيلول	إنشاء جسر على نهر دجلة
ا شعبان – ٢٠ أيلول	بداية القصف المدفعي على الموصل
٢ شعبان –٢١ أيلول	طاف نادرشاه بأطراف الموصل وعيّن أماكن المدافع
٤شعبان– ٢٣ أيلول	نقل مقر قيادته إلى القاضية، ومعه معظم القوات، ونصّب جسرًا آخر على دجلة
٥ شعبان– ٢٤ أيلول	أنشئت الأبراج ووضعت المدافع عليها
٦شعبان– ٢٥ أيلول	قصف مدفعي مستمر على الموصل
٨شعبان – ٢٧ أيلول	استمرار القصف المدفعي على الموصل
١١ شعبان – ٣٠ أيلول	تركيز القصف على باشطابيا وباب سنجار لمدة خمسة أيام، وإكمال تحويل مجرى نهر دجلة
١٥ شعبان – ٤ت١	تركيز القصف على باشطابيا وهدم قسم منها
١٥ شعبان – ٤ ت١	تفجير الألغام والهجوم بالسلالم، وهجوم المشاة، وصدّ الهجوم، والقيام بالهجوم المقابل
١٧ شعبان– ٦ت١	طلب نادر شاه إرسال علماء للتفاوض ورفض الوالي الطلب
١٨ شعبان ٧ت١	طلب الشاه الصلح، وأرسل الوفد من الموصل، وجرى الصلح وتبادل الهدايا وعودة الوفد
٢١ شعبان – ١٠ ت١	إرسال القاضي ومفتي الشافعية إلى استنبول
٤ رمضان – ٢٢ت١	إكمال انسحاب نادر شاه وجيشه

المرجع – عبدالجبار محمد جرجيس ، حصار الموصل ، ص ١٠ – ١١.

الملحق (و) الذيل (٢)

مجمل الحوادث لمعركة حصار الموصل

كما ورد في بحث العميد الركن عبد القادر زينل التحافي (صمود الموصل والبصرة) ص ١٧-١٨.

اليوم	التاريخ	الحادثة
الثلاثاء	٢١رجب١١٥٦هـ ١٠ أيلول١٨٤٣م	وصول طلائع القسم الأكبر إلى يارمجة، وطلائع الرتل الثانوي إلى خرصيباد، ونشوب معركة القوة المرتبة وتملصها إلى المدينة
الخميس	٢٣رجب١٢- أيلول	تكامل وصول القسم الأكبر لجيش نادر شاه إلى منطقة يارمجة، والتعسكر جنوب الموصل على بعد فرسخ
السبت	٢٥رجب -١٤أيلول	
الأحد	٢٦ رجب-١٥ أيلول	استراحة وإعادة تنظيم واستطلاع تمهيدي ثم نصب الجسور جنوب الموصل وشمالها
الجمعة	١شعبان-٢٠ أيلول	
السبت	٢شعبان-٢١ أيلول	استطلاع مفصل بقيادة نادرشاه وتثبيت أماكن القطعات ودكات المدافع والمتاريس
الأحد	٣شعبان-٢٢ أيلول	المباشرة بالتحكيمات بالاستفادة من الأسرى والتوابع
الاثنين	٤شعبان-٢٣ أيلول	انتقال مقر نادرشاه والقوة الاحتياطية إلى منطقة القاضية وقطع ماء دجلة عن البلد
الأربعاء	٦شعبان-٢٥ أيلول	إكمال التحكيمات ونصب المدافع على دكاتها، قبالة الإبرلج
الخميس	٧ شعبان- ٢٦ أيلول	انتهاء مرحلة الاستحضارات
ليلة الجمعة	٨ شعبان-٢٧ أيلول	ابتداء القصف المدفعي التمهيدي من الساعة ٢٣٠٠

الجمعة	٨شعبان–٢٧ أيلول	هجمات رئيسية مدعمة بهجمات ثانوية، صدتها القوات المحاصرة جميعها، وكان التركيز فيها على القلعة الرئيسية وباب سنجار وقضيب البان، ومناطق أخرى لغرض تثبيت المدافعين مع استمرار القصف المدفعي
السبت	٩شعبان–٢٨ أيلول	
ليلة الأحد	١٠شعبان–٢٩ أيلول	
الأحد	١٠شعبان–٢٩ أيلول	
الاثنين	١١شعبان–٣٠ أيلول	
الثلاثاء	١٢شعبان– ١ت١	
الأربعاء	١٣ شعبان–٢ت١	
الخميس	١٤شعبان– ٣ت١	عبور القوة الاحتياطية إلى المربض الأعلى واحتلال المواضع تباعًا
ليلة الجمعة	١٥ شعبان–٤ت١	قطعات نادر شاه متهيئة للمعركة وجرى التنسيق بين صنوفها؛ المشاة والخيالة والمدفعية ومتسلقي الأسوار ومفجري الألغام
الجمعة	١٥ شعبان – ٤ت١	بدء الهجوم الثالثة والنصف فجرًا، والاشتباك وتفجير الألغام ثم الهجوم المقابل ثم النصر وهزيمة جيش نادرشاه واندحاره عند الساعة ١٢ ظهرًا
الثلاثاء	٤رمضان– ٢٢ت١	انسحاب نادر شاه وجيشه خارج المنطقة

الملحق(ز)

الحرب النفسية

كان للحرب النفسية الأثر الكبير في نتائج المعركة، حيث كان للمعنويات العالية للمدافعين الأثر المباشر على الاستعداد للمعركة، وتهيئة مستلزماتها، وخوض غمارها، والصبر والاستبسال والتضحية من أجل الحفاظ على الدين والأرض والعرض، وفي المقابل كان تدني المعنويات لجيش نادر شاه سببًا رئيسيًّا لهزيمته، ومن أبرز الأمور المهمة في تلك الحرب:

- قيام والي مدينة الموصل حسين باشا الجليلي باستشارة أهل المدينة في

قرار الحرب، فجعل مهمة الدفاع عن المدينة تقع على عاتق جميع أهلها.

- كان لنجاح قوات الموصل في صد هجوم الفرس سنة١٧٣٢م وقتل قائد الحملة نركز خان عاملًا معنويًا في استعدادهم لمواجهة أي غزو فارسي آخر.
- أن ما فعله نادر شاه في كركوك وإربيل والقرى القريبة من الموصل من قتل ونهب وتدمير زاد في إصرار أهل الموصل على الدفاع عن مدينتهم مهما بلغت التضحيات.
- وصول نجدات حلب وكويسنجق ساهم في رفع الروح المعنوية لأهل الموصل.
- أن وحدة أبناء الموصل من الأديان والطوائف والأعراق المختلفة أسهمت في رفع الروح المعنوية لأهل الموصل.
- كفاءة والي المدينة وحسن تدبيره وقيادته الناجحة، وتطوعه وأهله وأقاربه للدفاع عن المدينة كان له الأثر الكبير على معنويات أهل المدينة؛ حيث وجدوا أن قادتهم معهم في نفس الخندق.
- انكشاف المكر السيء والمناورة الطائفية لنادر شاه جعل العلماء يصدرون فتوى بوجوب مقاتلته، ولهذه الفتوى التأثير الإيجابي على الحالة المعنوية.
- استخدام الموسيقى العسكرية عند حفر الخندق، وإصلاح السور خلال المعركة ساهم في رفع الحالة المعنوية للمدافعين.
- كان للرد الحازم والثابت على رسائل التحذير والتهديد التي يرسلها نادر شاه إلى والي الموصل الأثر الفاعل في تثبيط معنويات القوات الفارسية وقياداتها؛ إذ إنهم تيقنوا أن أهل الموصل سيدافعون عن مدينتهم ولن يستسلموا مهما كلفهم الثمن.

- أصدر والي المدينة أوامره لازالة كافة آثار المعركة عن المدينة، لكي يظهر لرسل نادر شاه أن المدينة لم تتأثر بالقصف المدفعي والأعمال الحربية مما أثّر على معنوياتهم.
- صمود أهل الموصل البطولي في الدفاع عن مدينتهم أضعف الروح المعنوية لدى مقاتلي جيش نادر شاه، وأيقن نادر شاه أن أهل الموصل لن يستسلموا، وسيقاتلون دفاعًا عن مدينتهم حتى النهاية.
- قيام المدافعين بترديد (الله الله الله)، إضافة إلى الأذان والتكبير، فقد كانا يوقعان الرهبة في قلوب المهاجمين الفرس.
- أن المعنويات التي استند إليها نادر شاه وجيشه كانت واهية، أسبابها الغرور والغطرسة والكذب وعدم الوفاء بالعهود والاعتماد على التفوق العددي والعدة وليس على الكفاءة والايمان بقضية واضحة وراسخة.

الهوامش:

(١) طاهر عبدالوهاب مظلوم ، بحث مقدم إلى ندوة (دور الموصل في التراث العربي)،جامعة بغداد -١٩٨٣م ، ص٢

(٢) السعرتي ، تاريخ السعرتي ، طبعة ادي شهر ، ٣٧٧/٢.

(٣) سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل ، دار الكتب العلمية ، بيروت -٢٠١٣م ، ٢١٣/١.

(٤) ياسين العمري ، منية الأدباء ، تحقيق سعيد الديوجي ، دار ابن الأثير للطباعة ، الموصل – ٢٠٠٩م ، ص ٢٧.

(٥) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة-١٩٧٧م،٣٦/٤.

(٦) طاهر العميد ، تأسيس مدينة الموصل، بحث مقدم إلى ندوة (دور الموصل في التراث العربي) ، جامعة بغداد -١٩٨٣م، ص٦.

(٧) أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري ، فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ص١٩٩.

(٨) سعيد الديوجي ،تاريخ الموصل، دار الكتب للطباعة ،جامعة الموصل-١٩٨٢م ،٣٠/١.

(٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،٥/ ٢٣٦، المكتبة الشاملة

(١٠) ياسين العمري، منية الأدباء، ص ٣٣ ، ٤٥ ، ٧٠.

(١١) طاهر العميد، تأسيس مدينة الموصل ،ص٧

(١٢) المقدسي، احسن التقاسيم، دار الكتب العلمية ، بيروت -٢٠٠٢م ، ص١٢٦.

(١٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان ،٢٥٨/٥، المكتبة الشاملة

(١٤) محمد أمين العمري ، منهل الأولياء ،تحقيق سعيد الديوجي ،مطبعة الجمهورية ، الموصل ١٩٦٧م ،ص٥٥ ، ٥٦.

(١٥) سعيد الديوجي ، تاريخ الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١/ ٢٢ -٢٣.

(١٦) ابن جبير محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي ، رحلة ابن جبير ، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢م ،ص١٨٣.

(١٧) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٢٥

(١٨) زكريا بن محمد بن محمود القزويني ،آثار البلاد وأخبار العباد ، ط٣ ، دار صادر ، بيروت – ٢٠١١م ،،ص٤٦١

(١٩) طاهر العميد ، تأسيس مدينة الموصل ، ،ص٥.

(٢٠) المرجع السابق،ص١-٤

(٢١) سعدي إبراهيم، تحصينات الموصل، بحث مقدم إلى ندوة (دور الموصل في التراث العربي)، جامعة بغداد – ١٩٨٣م ،ص٢/٣،

(٢٢) محمد أمين العمري،منهل الأولياء، تحقيق سعيد الديوجي ، مطبعة الجمهورية ،الموصل- ١٩٦٧م ص١٣٦؛ عصمت برهان الدين عبدالقادر تاريخ الجيش العراقي في الموصل (في العهد العثماني)، دار ابن الأثير للطباعة ، الموصل – ٢٠١٣م ،ص١٢٢.

(٢٣) سهيل قاشا ، الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب خلال الحكم العثماني ، دار الوراق للنشر ، بيروت – ٢٠٠٩م، ص١٠

(٢٤) سهيل قاشا ، الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب ، ص٢٩-٣١

(٢٥) محمد بهجة الأثري ، ذرائع العصبيات العنصرية في آثارة حملات نادر شاه على العراق ، طبع المجمع العلمي العراقي. بغداد-١٩٨١م، ص ٧٩.

(٢٦) فخري الدباغ ، ملحمة الموصل ، مجلة آفاق عربية العدد٨ نيسان ١٩٨٢ ، ص ٨٣

(٢٧) المرجع السابق ، ص٨٤

(٢٨) المرجع السابق ، ص٨٥

(٢٩) الأثري ، ذرائع العصبيات ، ص٧٨ ؛ ستيفن لونكرك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، مكتبة اليقظة العربية ، بغداد-١٩٨٥م ، ص١٨٢.

(٣٠) فخري الدباغ ، ملحمة الموصل ، ص٨٦.

(٣١) المرجع السابق ص٨٩.

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٩٠.

(٣٣) سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل ، ١/٢٧٧.

(٣٤) لونكرك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص١٨٢.

(٣٥) محمد أمين العمري ، منهل الأولياء ، ص ١٥٠ ؛ سهيل قاشا ، الموصل في العهد الجليلي ، دار التنوير للطباعة والنشر.بيروت-٢٠١٠م ، ص ١٧٨.

(٣٦) محمد مصطفى الغلامي ، شمامة العنبر والزهر المعنبر ،تحقيق سليم النعيمي ، المجمع العلمي العراقي، بغداد١٩٧٧م ،ص١٤٩

(٣٧) فخري الدباغ ، ملحمة الموصل، ص٥٨ ؛ لونكرك ، أربعة قرون ، ص١٠٢.

(٣٨) فخري الدباغ ، ملحمة الموصل ، ص٨٣.

(٣٩) ياسين العمري ، منية الادباء ، ص٢١٨.

(٤٠) الأثري ، ذرائع العصبيات ، ص ٦٠.

(٤١) أحمد محمود البجاري ، حصار نادر شاه للموصل صفحة من صفحات النضال الشعبي المضيء، الموصل – ٢٠٠٩م ، ص ٣٥.

(٤٢) سهيل قاشا ، الموصل في العهد الجليلي ، ص ٥٦ ؛ سعيد الدبوجي ، تاريخ الموصل ، ١ / ٥١.

(٤٣) عصام الدين العمري ، الروض النضر ، طبع المجمع العلمي العراقي ، ١/٥١٠.

(٤٤) سهيل قاشا ، الموصل في العهد الجليلي ، ص ٥٨.

(٤٥) المرجع السابق ، ص ٥٩.ل

(٤٦) سهيل قاشا ، الموصل في العهد الجليلي ، ص ٦٠.

(٤٧) لونكرك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ١٨٣.

(٤٨) سهيل قاشا ، الموصل في العهد الجليلي ، ص١٨٨ ؛ ياسين العمري ، منية الأدباء ، ص ٢٤١.

(٤٩) عماد عبد السلام رؤوف ، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي ، مطبعة الاداب ، النجف، ص١٠٣.

(٥٠) المرجع السابق ، ص ١٠٣.

(٥١) لونكرك ، اربعة قرون ، ص ١٨٣ ؛ محمد امين العمري ، منهل الاولياء ، ص ١٥٠ ؛ الاثري ، ذرائع العصبيات ، ص٨٥.

(٥٢) المرجع السابق ، ص١٨٣.

(٥٣) ياسين العمري ، منية الأدباء ، ص ٢٣٠ ؛ سهيل قاشا الموصل في العهد الجليلي ، ص ٢١٦.

(٥٤) محمد أمين العمري ، منهل الاولياء ، ص ١٥١.

(٥٥) ياسين العمري ، منية الأدباء ، ص٢٤١.

(٥٦) فخري الدباغ ، ملحمة الموصل ، ص٨٦.

(٥٧) سعد ابراهيم ، تحصينات الموصل ، ص٨٦.

(٥٨) فخري الدباغ ، ملحمة الموصل ، ص ٨٦.

(٥٩) سهيل قاشا ، الموصل في العهد الجليلي ، ص ١٩٣.

(٦٠) ياسين العمري ، منية الأدباء ، ص ٢٢٣ ؛ أحمد محمد البجاري ، حصار الموصل ، الموصل – ٢٠٠٩م ، ص ٥٦.

(٦١) سهيل قاشا ، مرجع سابق ، ص١٩٣.

(٦٢) سعيد الديوجي ، تاريخ الموصل ، ٢ / ٥٣.

(٦٣) سعيد الديوجي ، تاريخ الموصل ، ٢ / ٥٥.

(٦٤) سعيد الديوجي ، تاريخ الموصل ، ٢ / ٥٤.

(٦٥) ياسين العمري ، منية الأدباء ، ص ٢٣٠ – ٢٣١

(٦٦) محمد أمين العمري ، منهل الأولياء ، ص١٥٤ ؛ سهيل قاشا ، الموصل في العهد الجليلي ، ص١٩٧.

(٦٧) عصمت برهان عبدالقادر ، الجيش العراقي في ولاية الموصل في العهد العثماني ، ،١/١٢٤.

(٦٨) سعيد الديوجي ، تاريخ الموصل ، ٢ / ٥٤.

(٦٩) عماد عبد السلام ، الموصل في العهد العثماني ، ص١٠٦.

(٧٠) عبد الجبار محمد جرجيس ، حصار الموصل ، مطبعة الانتصار ، الموصل ٢٠١٢م، ص٧٠.

(٧١) العميد الركن عبد القادر زينل التحافي ، بحث صمود الموصل والبصرة تجاه الغزو النادري ، ص ٢٧.

(٧٢) روبرت دبليو اولسن ، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، ترجمة عبدالرحمن بك الجليلي ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض -١٩٨٣م،ص٢٨٢

(٧٣) سيار الجميل ، حصار الموصل ، ص ١٥١ ؛ لونكرك ، أربعة قرون ، ص١٨٤

(٧٤) ياسين العمري ، منية الأدباء ، ص١٦٠ ؛ عبدالجبار محمد جرجيس ، حصار الموصل ، ص ٨٦؛ سهيل قاشا ، الموصل في العهد الجليلي ص ١٩٨ ، محمد امين العمري ، منهل الأولياء ، ص١٥٤.

(٧٥) عبدالقادر التحافي ، صمود الموصل والبصرة ،ص٢٨.

(٧٦) أحمد محمود البجاري ،حصار نادر شاه للموصل ، ص ٦٥ ؛ أولسن ، حصار الموصل ، ص ٢٨٣.

(٧٧) المرجع السابق ، ص٢٨ ؛ عبدالجبار محمد جرجيس ، حصار الموصل ، ص٨٦.

(٧٨) المرجع السابق ، ص ٢٨٤.

(٧٩) سيار الجميل ، حصار الموصل ، ص١٦٤.

(٨٠) سيار الجميل ، حصار الموصل ، ص ١٦٥.

(٨١) عبد القادر التحافي ، صمود الموصل والبصرة ، ص٢٦ -٢٧.

(٨٢) عبد الجبار محمد جرجيس ، حصار الموصل ، ص ٩٧.

(٨٣) فخري الدباغ ، ملحمة الموصل ، ص ٨٣ .

(٨٤) ياسين العمري ، منية الأدباء ، ص٢٥٢ ،

(٨٥) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ ؛ الغلامي ، الروض النظر ، ص ٥١٦.

(٨٦) سعيد الديوجي ، تاريخ الموصل ،٢ /٦٣.

(٨٧) المرجع السابق ، ٢/٦٣.

(٨٨) سعيد الديوجي ، تاريخ الموصل ، ٢ / ٦٣.

(٨٩) عبد القادر التحافي ، صمود الموصل والبصرة ، ص ٣٥.

(٩٠) المرجع السابق ، ص٣٦.

(٩١) المرجع السابق ، ص٣٨.

(٩٢) فخري الدباغ ، ملحمة الموصل ، ص ٨٦.

(٩٣) المرجع السابق ، ص ٨٦.

(٩٤) محمد أمين العمري ، منهل الأولياء ، ص ١٦٢.

(٩٥) ياسين العمري ، منية الأدباء و ص٢٣٧.

(٩٦) المرجع السابق ، ص ٢٣٧.

(٩٧) الأثري ، ذرائع العصبيات ، ص ٨٦.

(٩٨) المرجع السابق ، ص٨٧.

(٩٩) المرجع السابق ، ص ٩٤.

(١٠٠) محمد أمين العمري ، منهل الأولياء ، ص ١٦٢.

(١٠١) المرجع السابق ، ص١٦٢.

(١٠٢) المرجع السابق ، ص - ١١٠١٠٨.

(١٠٣) المرجع السابق ، ص ١٠٩

(١٠٤) المرجع السابق ، ص ١٠٩.

(١٠٥) روبرت دبليو ولسن ، حصار الموصل ، ص ٢٩٩

أسرار الألفاظ الوحيدة في القرآن

محمّد عبد الشّافي القُوصِي

سبحانَ الذي أحكَمَ القرآنَ وفصَّله، فجاءت كلُّ كلمة فيه وفْق تدبير حكيم، وفي موضع مُحدَّد لا تتقدَّم عنه ولا تتأخَّر، ولا يمكن أن تسدّ أيّ كلمةٍ أخرى مكانها، ولاً أن تُعطي أبعادها الجماليّة والإعجازيّة التي كانت تُعطيها تلك الكلمة!

نعم؛ فما مِن لفظ من ألفاظ القرآن التي بلغ عددها (سبعة وسبعين ألفًا، وأربعمائة وتسع وثلاثين كلمة)، إلاَّ وقد جاء بميزانٍ دقيق ونظام مُحكَم على مستوى الآية والموضوع والسورة، ومن ثمَّ القرآن كله. وإنَّ ألفاظهُ مُتميِّزةٌ من جنسها، بحيث إذا وجدتَ تركيبًا قرآنيًا في نَسَقِ الكلام دلَّ على نفسه، وأرشدتْ محاسنه إليه لِمَا لهُ مِن صفة إلهيَّة.

والمتأمل في القرآن المجيد يلاحظ أنَّ هناك ألفاظًا لم ترِد إلاَّ مرةً واحدة، وليس فيه غيرها مِن مادتها، وما مِن لفظٍ منها يمكن أن يقوم مقامه غيره، أوْ يؤدي مُراده!

وقد تجلَّتْ هذه الألفاظُ الوحيدة منذ بداية نزول القرآن في «سُورة العَلَق»؛ إذْ نجد ألفاظًا لم تتكرَّر أبدًا، مثل: ﴿الأَكْرَمُ﴾، ﴿الرُّجْعَى﴾، ﴿لَنَسْفَعًا﴾، ﴿الزَّبَانِيَة﴾ وغيرها.

وقد انتظمتْ هذه «الألفاظ الوحيدة» المصحف كله حسب ترتيبه، بدءًا من «سُورة الفاتحة» حتى نصل إلى «سُورة النَّاس».

فما هو وجه الإعجاز في ورود تلك الألفاظ الوحيدة في القرآن، والتي بلَغتْ (١٦٢٠ كلمة) لم تتكرّر أبدًا، بلْ ذُكِرت مرةً واحدة فقط؟

لقد امتازت هذه «الألفاظ الوحيدة» بالتعبير عن قضايا ضخمة بأوسع مدلول وأدقّ تعبير، مايستحيل على البشر أن يُعبِّروا فيهِ عن مثل هذه الأغراض إلاَّ بِجُملٍ وعباراتٍ كثيرة!

وقد مثّلَتْ هذه «الألفاظ» ضَربًا من الإيقاع الطريف الأخَّاذ، والتلوين الصوتي المُبهِر؛ الممزوج بإيقاعات نظْميّة مشحونة بنَغَمٍ وهديرٍ أمتع للقلوب والآذان، وأقوى تأثيرًا على العقول والوجدان!

وقد «بلغت الجذور الثلاثية -وهي الشائعة في القرآن- التي وردت مرة واحدة، والألفاظ المشتقَّة منها (٣٦٥ جذرًا) من بين مجموع جذور القرآن الثلاثية البالغة (١٦٢٠ جذرًا) ومعنى ذلك: أنَّ نسبة الجذور التي وردت مرة واحدة ٢٣٪ من مجموع جذور القرآن الثلاثية، وأنَّ مجموع ورود هذه الألفاظ (٥٠٨١٦) يُمثِّل ٩٨٪ من جميع ألفاظ القرآن (٥١٨٨٤) وهي تُمثِّل قيمة بلاغية كبرى، وهي قمة الإعجاز، لاسيما أنها وردت فيما يقرب من ربع أصول اللغة المستخدمة»[١].

يتجلَّى إعجاز الألفاظ الوحيدة؛ عندما نتأمَّل في روعة السياق التي أتت فيه؛ حيثُ تتكشّف ألوان الإعجاز اللغوي والصوتي والنفسي والتصويري؛ الذي تُحدِثهُ هذه الألفاظ وتُحقِّقه بمجرد سماعها، فإذا نظرنا إلى ألفاظ، مثل: (صَيّب من السماء- بِطَانَةً من دونكُم- الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ- يَؤودُهُ حفظهما - خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا - هيْتَ لَكَ- بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ- الصافنات الجياد- طَيرًا أَبَابِيلَ- مُتَبَّرٌ ما هُم فِيه- مُكَاء وَتَصْدِيَةً - قَدَمَ صِدْقٍ- فَزَيَّلْنَا بينهُم- حصْحصَ الحقُّ- مذؤوما مدحورا). نجد لهذه الألفاظ رنينًا وجَمالاً أخّاذًا، لا نجده في مرادفاتها الأخرى التي تماثلها المعنَى! كما أنها تُولّد إيقاعًا يبعث في النفس تصويرًا للمعنى، يحتوي على عناصر كثيرة الدلالة، وتفتح الأذهانَ على حقيقةٍ مكنونةٍ في السياق القرآني!

فمثـلاً: لفـظ ﴿صَـيِّب﴾ الـذي ورد في قولـهِ سـبحانه: ﴿أَوْ كَصَـيِّبٍ مِّـنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩].

قد أفاضَ العلماءُ في تعريفه وتوصيفه وشرحه بألفاظ تجاوزت عشرين لفظًا، فقالـوا: إنه مطر شـديد مفاجئ، يصـاحبه رعد مُخيفٌ وبرق متكرّر وعواصـف شديدة ورياح مُزمجِرة ...إلخ.

ولعلَّ هذا الذي جعلَ العلاَّمة الطَّاهر بن عاشـور يقول عن لغة القرآن: «إنها الأوفر ألفاظًا، وأقلّها حروفًا، وأفصـحها لهجة، وأكثرها تصـرُّفًا في الدلالة على أغراض المتكلِّم، وفيها من الدقائق واللطائف لفظًا ومعنًى مايفي بأقصى ما يراد مِن وجوه البلاغة»!

وهـو الـذي عناه الدكتور عبد الوهاب عزَّام بقولـه: «إنها لغةٌ كاملةٌ مُحبَّبة عجيبـة، ألفاظها تُصـوِّر مَشـاهد الطبيعـة، وكلماتهـا تُمثِّل خطـرات النفوس، ومعانيها تتجلَّى في أجراس الألفاظ، لترسـم خطوات الضـمير ونبضـات القلوب ونبرات الحياة»[٢].

وانظـر –مثـلاً– إلى بعض الكلمات التي وردت في «سُـورة التوبة»: (إلاَّ وَلاَ ذمَّة- خفَافًا وَثقَالاً- مَّا زَادُوكُمْ إلاَّ خَبَالاً- ولأَوْضَـعُواْ خلاَلَكُمْ- الشُّـقّة- يَلْمَزُونَ المُطَّوِّعِينَ- شَـفَا جُرُفٍ هَارٍ). نجد أنَّ هذه الألفاظ اجتمع فيها الكمالُ والحُسْـن والبهـاء والروعة في تصـريف المعاني، وامتداد ظلالها الخلاَّبة في نظام صـوتيٍّ وجَمَـالٍ لغـويٍّ غير معهود! كما أنهـا تُولّد إيقاعًا يبعث في النفس تصـويرًا دقيقًا للمعنى المقصود، ويفتح الأذهانَ على حقيقةٍ مكنونةٍ في الخطاب الربَّاني!

فألفاظ: ﴿شَـفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ التي وردت في قوله سـبحانه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّـسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْـوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّـسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّم﴾ [التوبة:١٠٩].

قـد أحالـت هـذه الكلمات الثلاث إلـى مفاهيم ورؤى ونظريـات في «علم ميكانيكا التربة والأساسـات في الهندسة المدنية والإنشائية» التي تقرِّر بأنَّ البناء

إذا كان على حافة الجُرف المتصدّع، أو فوق الحُفَر والفجوات الأرضية، أوْ فوق الأماكن المُشرِفة على السقوط؛ فإنَّ الانهيار سيكون مؤكدًا وحتميًا. وقد جاء كله في ثلاث كلماتٍ بتصوير فنّي رائع بين المعقول والمحسوس؛ شبَّهتْ المعنوي المفهوم بالمادي الملموس! فمَن أسَّسَ بناءه بنيَّة النِّفاق والكُفْر، كمَن وضع أساسَ مبناه على (شفا جُرفٍ هارٍ) والنتيجة هي الانهيار السريع للجُرف والمبنَى معًا. لأنَّ أساسات المباني وطبيعة البناء هيَ التي تَحكُم درجة صمود البنيان، أوْ تؤدي إلى انهياره!

إنه إعجازٌ لُغويٌّ فيّاض عظيم التدفُّق، لا يَحدُّه حد، وإنَّ التعرُّض لفيوضاته وتلمُّس أسراره لايقف عند حروف الكلمة وحدها، فقد شَهد السياقُ في مُجمله بستانًا مُورِقًا يانع الثمار والأزهار؛ مِمَّا زاد المعنَى حلاوةً في نفس القارئ أوَ السامع!

نعم؛ إنَّ الألفاظ الوحيدة التي وردت في القرآن لا تتوقف روعتها على عذوبتها، ودهشتِها، وجمالها وتميّزها فحسب؛ بلْ إنها تَحمِل كثيرًا من المفاهيم المُبطّنة والدلالات البعيدة، بحيث لاتستطيع أنْ تُعبِّر عنها بغيرها، مِمَّا يجعلكَ تحتاج إلى كثيرٍ من الألفاظ والجُمَل؛ لتقريب معناها وشرح أبعادها وتفسير مرادها، وربّما لاتصلُ إلى كُنْهِها وفحواها ومراميها!

انظر، وتأمّلَ مَليًّا تلك الألفاظ الفريدة، ثمَّ انظر إلى المواضع التي سِيقت فيها، ثمَّ اسأل نفسك: هل بمقدور أحدٍ أن يصيغ هذه الألفاظ البديعة بمثل هذه الصياغة العُلويّة، أوْ يُوظِّفها بتلك البراعة الفائقة؛ التي أعجزتْ أربابَ البيان وسدنةَ اللغة، وجعلتهم يقفونَ عندها مشدوهين، ويَخِرُّونَ أمامها ساجدين!

حسبُكَ أن تتوقَّفَ أمام بِضعة ألفاظ، مثل: (ضِيزَى - لَنَسْفَعًا - وَانْحَر - جِيدِهَا)، ثمَّ تأمّلَ مدى دقّتها وعُمقها ورونقها، وما اشتملتْ عليه من وجوه الإعجاز التي استبطنته هذه الكلمات:

في كلمة ﴿ضِيزَى﴾ التي وردت في قوله سبحانه: ﴿تلكَ إذا قِسْمةٌ

ضِيزَى﴾ [النجم :٢٢] يقول أهل اللغة: أيّ: قسْمة جائرة غريبة، وهيَ كلمة غريبة في لفظها وغريبة في معناها وغريبة في نطقها وغريبة في صوتها، فجمعت أربع غرائب في أربعة حروف! وليس في كلام العرب صفة على وزن فِعْلى التي هي (ضيزى)، فقد جاءت غريبة كالقِسْمة الغريبة التي قسمها الكفّار بينهم وبين الله –سبحانه- في شأن الملائكة كما قال ﴿أَلَكُم الذَّكَرُ ولهُ الأُنثَى﴾، فالقِسْمة غريبة واللفظ غريب، وهذا تناظر جميل في اللغة!

وكلمة ﴿لَنَسْفَعًا﴾ التي وردت في قوله: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق :١٥]. تقول المعاجمُ اللغوية: «السفع» هو الصدمة البالغة التي تنتاب الفلَقات الجبهية الأمامية لوجه الإنسان، فتُحدث تلَفًا أو خَللًا يُصيب الفص الأمامي فيُغيِّر السلوك الطبيعي للإنسان، وقد يصل إلى هبوط في معايير التذكُّر والقدرة على حل المشكلات العقلية. ويقول المعجم الطبِّي الحديث: «سفْع الناصية» هو الإصابة خلف الجبهة؛ التي هيَ مصدر اتخاذ القرار، فإذا أُصيبَ هذا الجزء من المخ الذي يقع تحت العظْمة مباشرة؛ فإنَّ صاحبه لاتكون له إرادة مستقلة؛ لأنَّ هذا الجزء هو مركز التوجيه والضبط، والمسؤول عن تصرفات الإنسان، فلا يستطيع أن يختار إذا قلتَ له: اجلس، أوْ قِف، أوْ اذهب. لأنه فاقد السيطرة على نفسه، مِثل الذي تُقلَع له عينيه فلا يرى!

كلمة ﴿وَانْحَر﴾ التي وردت في قوله سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر﴾ [الكوثر :٢] يقول اللغويُّون: «النَّحر» خاص بالإبل، و«الذَّبح» خاص بالغَنَم وغيرها. فقد اختار القرآنُ لفظ ﴿وَانْحَر﴾ وليس«اذبح»؛ فالله –سبحانه- قد أعطى لنبيِّه الفضلَ الكبير، والخير العميم، في قوله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ ثمَّ أمره بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأمره بأفضل القرابين وأنفسها، وهي «الإبل» فقال (انحر) فجمعتْ هذه الكلمة حُسنًا إلى حُسن: روعة التعبير، وجمال الفاصلة القرآنية!

كلمة ﴿جِيدِهَا﴾ التي وردت في قوله سبحانه: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد:٥] جاء في قاموس «المصباح المنير»: الجِيد هو العُنُق والجمع

أجياد، وهو موضـع الزينة ولبس الحُليّ والمجوهرات. واسـتعمالها في قوله: ﴿فِي جِيدِهَـا حَبْلٌ مِّن مَّسَـدٍ﴾. يدلّ على اسـتغراق الحبل في كلّ عنقهـا حارقًا إيّاها، فاسـتبدلَ الفضّة والذهب بحبلٍ من النار! وقد جمَعتْ الكلمةُ في سياقها، تناسقًا في اللفظ وتناسقًا في الصورة وتناسقًا نفسيًّا: فجهنّم هنا نار ذات لهب، تصلاها امـرأة أبي لهب، التي تحمل الحطَب على عُنقها «جيدها»، وتُلقيه في طريق النبيّ -والحطـب ممَّا يُوقِـد اللهب- وهي تَحزِم الحطبَ بحبـل، فعذابها إذًا في النار ذات اللهب أن تُغلّ بحبلٍ من مَسَـد ليكون الجزاء من جنس العمل، وتتمّ الصـورة بهذه المحتويات: (الحطَب، والحبل، والنار، واللّهب) يصلَى بهذا أبو لهب وامرأته حمّالة الحطب!

وعلـى هذا النحـو الرائق البديع من الإعجاز العُلـوي، جاءت تلك الألفاظ الوحيـدة في القـرآن، والتي بلَغـتْ (١٦٢٠ كلمة) لم تتكرّر أبدًا، بـلْ ذُكرت مرةً واحـدة فقط، متفرّقة في سـياقاتها البديعة عَبْرَ سُـور القـرآن وآياته، ومن تلك الكلمات التي أعجزت الفصـحاءَ والبُلغاءَ كثيرًا، واسـتوقفتْ العلماءَ والمفسّـرين طويـلا: ﴿فَلَيُبَتِّكُـنَّ- تُبسَـل - اسـتهوته - غَمَـرات - خَوَّلناكـم - ليُردُوهُم - وَليجَةً - خِفتُم عَيْلَةً- يُضَـاهِؤُونَ- لِّيُوَاطِؤُوا- فَثَبَّطَهُمْ - فَسِيحُوا- أَنُلزِمكُمُوهَا- لِّيُوَاطِئُـوا- الغَـارِ- هَيْـتَ لَك - ألفيَـا سَـيدهـا- مدهامّتان- العاديات ضَـبْحَا- المُورِيَات قَدحَا- فدمْدمَ عليهم- كَعَصْف مَّأْكُولٍ - شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ - غاسقٍ إذا وَقَب - النفّاثات في العُقَد- الوسواس الخَنَّاس﴾ وغيرها الكثير من الألفاظ التي تُلقـي بظلالها الممتـدَّة، وتُوحي بمدى الإعجاز الإلهي، والسـموّ المتناهي، وتحمل من الأفكار والمعاني والشـروح ما لايُمكن حصره بجُملٍ عديدة! وقد فتحتْ شهيّة الأدبـاءَ والعلماءَ والفقهاءَ والبلاغيّين والمُفسّـرين؛ لينهلوا مـن موردها، ويَغرفوا من مَعينها الرائق العذب الزلال إلى أن يَنفضَّ سُـرادق الحياةِ والأحياء، وتنقلِب الشعوبُ والأُممُ جميعًا إلى المَلِك العلاَّم!

ومن الألفاظ الوحيدة في القرآن -أيضًـا- ما قيلَ: إنَّ أصـولها «أعجميّة»؛ لأنهـا وُجدتْ في لغـات أخرى، وقد نطقهـا العربُ القدمـاءُ وتداولوها من خلال التجارة والأسـفار والرحلات إلى بلاد الشـام وفارس وإفريقيا؛ فصـارت بذلك

عربيــة. والمهم أنَّ قيمتها إنما تعود إلى مكانهــا مِن النظْم المُعجِز الأخَّاذ، ونقْلها للمعنَى القرآني الرائق العذْب البديع. وقد أوردها صــاحب «الإتقان»(٢)، منها: (إصْــر – حواريُّون – دُريّ – السِّجلّ- الصــراط – القِسْــط- كفليْن – مشــكاة – منسـأة – حصَـب – غسَّاق – القسطاس – اليم – وَزَر – كُوِّرت – مرقوم- مناصـ – المُهْـل – يَحْـور – الفُوُم – أَسـفار- أوَّاب- اسـتبرق- أرائـك- تنّور- ياقـوت- كافور- رهْوا- سِـجِّيل- طاغـوت) وغيرها من الألفاظ التي اسـتعملها القـرآنُ وحفِظهـا وخلّدهـا، بعدما كادت أن تتلاشـى وتذهب في دجى النسـيان؛ بسبب اندثار لغاتها، وزوالها بلا رجعة!

نعم؛ فقد اندثرت وتلاشـت سـائر اللغات القديمة: كالروميّة، والحبشـيّة، والزنجيّة، والآراميّة، والسـريانيّة، ولم يَعرف الناسُ عنها شيئًا منذ ذلك العهد، ولمْ يبقَ منها شـيء سـوى الكلمات التي اسـتعملها القرآنُ المجيـد، وخلّدها عبر العصور، وتخطَّى بها اليابس والماء!

وصـدقَ «محمّـد إقبال» حينما قـال: «مَن أراد أن يكتـبَ وثيقةً ويدفنها في الأرضـ فيقرأها الناسُ بعد ألف جيل، فليكتبها باللغـة العربيّة، فهي لغة الخلود مِن القرآن الخالد».

بلْ إنَّ القرآنَ قد صَـقَلَ هذه الألفاظ «الأعجميّة» وهذّبها حتى صـارت أرقّ وأبهى مِمَّا كانت عليه، وفي هذا المعنى يقول المطرانُ/ أبو داود –المتخصِّـص في العربية والسوريانية-: «إذا نُقلت الألفاظُ الحسنة إلى السوريانية قبُحتْ وخسّتْ، وإذا نُقل الكلام المختار من السـوريانية إلى العربية، ازداد طلاوةً وحُسـنًا، وهذا ما يُخبِر به أهلُ كل لغةٍ عن لغتهم حال مقارنتها مع العربية».

ومِمَّـا يؤكـد هذه الحقيقة المهمَّة؛ أنـه عندما يُنقَل القـرآنُ إلى لغة أخرى غير العربية، فإنَّ المعاني لا تُستوفَى كما هي مستوفاة بالعربية؛ لأنَّ البيانً المُعجِز الـذي تحدَّى الإنسَ والجن قد يَفقد كثيرًا من خصائصـه عنـد الترجمة، حتى اضـطرَّ المُترجِمون أن يَنقِلوا كثيرًا من كلمات القرآن إلى اللغات الأخرى كما هيَ عليه دون تغييرٍ أوْ تصحيف!

ورحِمَ اللّهُ أميرَ الشعراء، القائل:

إنَّ الذي وهَبَ اللغات مَحاسنًا   جعلَ الجَمَالَ وسِرَّه في الضادِ !

إنَّ هـذه الـثروة اللفظية الهائلة التي قد بلغت أوجهـا مِن الجَمَال والكمال والسـموّ والرقيّ؛ استحالت على الترجمة؛ لعدم وجود مثيلٍ أوْ شبيه لها في ألفاظ اللغات الأخرى، فلا يوجد بين سائر اللغات العالمية ما يَحمِل معنى اللفظ القرآني، أوْ مسـتلهمًا لروحـه ومسـتوعبًا لجلالـه، وجميـع الترجمات القرآنيـة الموجودة بمختلف اللغات تنُم عن هذا القصور والضعف والركاكة أمام اللفظ الذي أتى به القرآنُ حاملًا معه أسراره الغزيرة وعلومه الكثيرة !

إنَّ في ذلـك لحكمة إلهية، وسِـرًّا مِن أسـرار إعجـاز الكتاب الخاتم؛ الذي جمـع أمجاد الكُتب والرسـالات السـابقة، إذ اختير لهُ أرقَى الألسـنة (العربية) لفظًا ومعنى؛ لتكون لغة خطاب اللّهِ الأخير للبشـر في النبوة الخاتمة، التي انتهت إليها أصول الرسالات السماويّة!

أرأيتُم روعة ألفاظ القرآن المجيد؛ الذي مازال آيةً كبرى على صِـدق الوحي الإلهي وجلاله، ولا زال مستحيلًا على أرباب اللغة وعباقرة البيان في سَبْر أغواره، واستخراج كنوزِه وجواهره ... وأبصِـر فسوفَ يُبصِـرون!

---

(١) دليل الألفاظ الوحيدة في القرآن، د. عصام المليجي.

(٢) عبقرية اللغة العربية، محمد القوصي، منشورات منظمة الإيسسكو، الرباط.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، مكتبة مصر، القاهرة.

حمد بن إبراهيم الحقيل

(١٣٣٨-١٤٢٩هـ/١٩١٩-٢٠٠٨م)

بقلم: محمد عبدالرزاق القشعمي

سمعت به وقرأت عنه قبل أن أراه، عرفت أنه من أصدقاء الأديب عبدالكريم الجهيمان، وكنت من المحظوظين بقربي منه.

سمعت عن مجلسه الأسبوعي صباح كل خميس بالرياض، فحرصت على حضوره، وفي إحدى سفراتي للقاهرة مع أستاذي الجهيمان، استأذن الجهيمان لزيارته، فقد كان بالقاهرة وقتئذ وله سكن يعرفه الجهيمان. وفي المساء عاد الجهيمان برفقة صديقه الشيخ حمد بن إبراهيم بن عبدالله الحقيل، فرحبت بهما، وعرفت من هذا اللقاء أنهما صديقان منذ زمن طويل، وسمعتُ منهما من الذكريات والطرائف ماقرّب المسافة بيننا، فلمستُ منه البساطة والصدق والمرح، وأخبرناني عن المقالب البريئة بينهما.

بعد عودتنا للرياض دعوته لزيارة المكتبة والتسجيل معه ضمن برنامج (التاريخ الشفهي للمملكة) فتردد ثم وافق بعد وساطة صديق الجميع عبدالكريم الجهيمان.

كانت زيارته بتاريخ ٩/١١/١٤٢٠هـ، قال: إنه ولد بالمجمعة عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، وتلقى تعليمه في مكة المكرمة والمدينة المنورة والأحساء، ثم على الشيخ عبدالله عبدالعزيز العنقري؛ قاضي المجمعة، ثم على الشيخ عبدالله بن محمد ابن حميد؛ قاضي المجمعة في التوحيد والفقه والفرائض واللغة العربية والنحو.

وأكمل قائلًا بأنه: عُيّن في عام ١٣٥٣هـ وعمره خمس عشرة سنة إمامًا لمسجد قصر الحكومة في المجمعة إلى عام ١٣٦٧هـ. ثم إمامًا ومرشدًا لمجاهدي الجيش العربي السعودي؛ الذين جهزوا للدفاع عن فلسطين من عام ١٣٦٧هـ إلى عام ١٣٦٩هـ، ثم عُيّن قاضيًا لمحكمة الخرمة من عام ١٣٦٩هـ إلى ١٣٧٣/١/١هـ، ثم عُيّن قاضيًا لمحكمة ضرماء والمزاحمية من ١٣٧٣/١/١هـ إلى ١٣٨٢/٥/١هـ، انتُدِب خلالها للقضاء في الدمام والأحساء، ثم عُيّن رئيسًا لمحكمة الخرج من ١٣٨٨/٣/١هـ إلى ١٣٨٩/٣/١هـ. تفرغ بعدها للبحث والتأليف.

هكذا قال باختصار.. وقد ذكّرته بما سبق أن سمعت من غيره عن بعض المواقف والأحداث.

قلت: إنني قرأت في جريدة الندوة أنك بعثت ببرقية للملك سعود في ١٣٨١/٧/١٣هـ عندما كنت رئيسًا لمحكمة ضرما تقول فيها: «وافت البشرى على أسلاك البرق أن جلالتكم اغتنم الفرصة في المستشفى، وأجرى عملية للعينين التي تم نجاحها بفضل الله تعالى. وإني وأهالي منطقة ضرما والمزاحمية والغطغط وملحقاتها نهنيكم بهذا النجاح السار شاكرين المولى جل وعلا:

أحمدت عاقبة الدواء ونلت عافية الشفاء

وخرجت منه مثلما خرج الحسام من الجلاء

وفقكم الله وولي عهدكم الساعد الأيمن. ودمتم.

حمد الحقيل، رئيس محكمة ضرما»

فضحك، وقال: إنك تذكرني بما نسيته.

فذكرت له أنني قد قرأت في البلاد السعودية -أظن- في عام ١٣٧٧هـ أنك أرسلت برقية للملك، قلت فيها: «يا صاحب الجلالة إنك كقائد السفينة (العروبة) التي تتلاطمها الأمواج، وأنت بحكمتك أوصلتها إلى بر الأمان..». وفي ختامها تطلب افتتاح مستوصف ومركز بريد وبرقيات لضرما»

فتبسـم وقال: إن دور القاضي وقتها ليس إنجاز عمله الموكل إليه، بل يتلمس حاجة المواطنين وينبه المسؤولين إليها.

وقـرأت عليـه مانشـرته مجلـة (المنهـل) في كتابها الفضـي الذي نشـرته عـام ١٣٨٠هــ/١٩٦٠م عن تطـور المملكة في ٣٥ عامًا، وأنهم قد نشـروا أسـماء من تبرع لإنجاز الكتاب، وهو من بينهم؛ وأرسل لهم رسالة بتاريخ ١٣٧٩/٨/٢٢هـ. فنشرت المجلة النص الآتي: «وردت رسالة من فضيلة الشيخ حمد الحقيل قاضي ضرما والمزاحمية تتضمن حوالة مالية بمبلغ (١٠٠ريال عربي)، مساهمة منه في إبراز الكتاب الفضي».

فقـال معلقًا على هذا الخبر بأن ميوله للثقافة والأدب قد حملته على متابعة ما يصدر، وأن مجلة المنهل كان لها دور مهم في هذا المجال.

فقرأت عليه ما قاله الدكتور علي جود الطاهر في (معجم المطبوعات العربية في المملكـة العربيـة السـعودية) بعد أن اسـتعرض سـيرته قائلًا عنـه: «.. يُعنى بالتاريخ والأنساب والأدب، وينظم الشعر الفصيح والعامي...».

ثم تلوت عليه مسـردًا بكتبه المطبوعة والمخطوطة التـي لمّا تطبع بعدُ، فقال: إيه، اقرأ عليّ وذكّرني بما نسيتُ! فسردت كُتُبَهُ كما أوردها علي جواد، وهي:

١ـ زهـر الأدب في أنسـاب وأخبـار العـرب، طبـع بالقاهـرة، مطبعة المدني ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ٢٥٨ص.

٢ـ صيد القلم (شذرات ونوادر) بيروت، مؤسسة المعارف، ١٣٨٩هـ، ١٨٨ص.

٣ـ عبدالعزيز في التاريخ (تاريخ وأدب) بيروت، مؤسسـة المعارف، ١٣٨٨هـ، ٢٥١ص.

٤ـ كنز الأنساب ومجمع الآداب، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ٣٤٨ص.

ومن مؤلفاته المخطوطة:

١. نسيم الصبا في أشعار الأدباء.

٢. شفاء المرام في القضايا والأحكام.

٣. مذكرات قاضي.

٤. شفاء الأمراض في قرض الأعراض (في النقد).

ثم أورد علي جواد تعليقًا، وهو: «كنز الأنساب مما تكرر طبعه، ومن ذلك ط٦، نادي الطائف الأدبي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، وط٨، الرياض مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠١هـ/١٩٨١م».

فقلت: إن أمامي الآن الطبعة الثالثة عشرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. قال: والآن أُعِدُّ للطبعة السادسة عشرة وفيها ما استجد من معلومات...

فقلت له: كلام علي جواد الطاهر لم ينته بعد، فقال: أسمعني..

«وصدر له: الوحشيات والأوابد لشعراء الجاهلية والإسلام، القاهرة، مطبعة سجل العرب ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ٣٤٩ص».

فبدأ يستذكر.. فقاطعه قائلًا: وجدت أبياتًا طريفة، من اختيارك، لبعض شعراء العرب في كتابك (زهر الأدب). فقال: ذكرني بما حفظته منها فقلت:

أما والله لو كنا يهودًا　　لما رضي اليهود لنا بذلك

فأهل العلم لا يُعْطون شيئًا　　وأهل الجهل يُعْطون الكدالك

فضحك وقال: هذه لها قصة، وبدأ بروايتها: عندما كنتُ قاضيًا أو رئيس محكمة الخرج عرض علي معاملة فيها خلاف بين اثنين على أرض زراعية كبيرة، وهما من علية القوم، فطلبت الوقوف على الأرض قبل الحكم، فجاء الخصمان؛ كل واحد بسيارة (كدلك) فطلب كل منهما أن أركب معه، فرفضت مستخدمًا

سيارة المحكمة، وهي سيارة قديمة (جيب)، تمشي وتضلع! وكثيرة الأعطال، فكتبت هذين البيتين وأدرجتهما بالكتب على أنهما من مختاراتي! فقلت له: إذن أنت القائل؟!

قال القصة لم تنته بعد .. كان الملك سعود يستمع لما يقرأ عليه يوسف ياسين؛ مايختاره من كتب الأدب، فتلا هذين البيتين، فعرف أنني قائلهما، فطلب الملك من مدير شرطة الخرج أن يحضرني لمجلسه، فأحضرني، وعند وصولي وسلامي عليه سألني عن هذا الشعر؟! فقلت له: «هانت يا طويل العمر» كنتُ أظنه أمرًا جللًا، فعندما سمعتْ أم العيال باستدعائك إياي وحضور مدير الشرطة -وكانت حاملًا- خافت عليّ وأسقطت ما في بطنها من الروعة، فرد عليّ الملك: صحيح؟ سلامتها.. فقصصت عليه قصة الخصمين، فضحك.. ولم أخرج عائدًا للخرج إلا بسيارة (كدلك).

ومن المصادر التي ترجمت له أو ذكرت بعض كتبه:

١ـ معجم الأدباء والكتاب السعوديين، لمؤسسة الدائرة للإعلام.

٢ـ دليل الأدباء والكتاب، الصادر من جمعية الثقافة والفنون.

٣ـ موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عامًا. لأحمد سعيد بن سلم بالمدينة، وقد ذكر كتبًا لم تذكر من قبل، مثل: أعلام من الجزيرة، وديوان شعر عربي، وآخر شعبي.

٤- وكتاب سلمان الفارسي، لو كانت الحقيقة في المريخ لشد الرحال إليها، بيروت عام ١٤٠٠هـ، ١٧٤ص.

هذا وقد أهدى لي في إحدي زياراتي له كتابين؛ هما (زهر الأدب في معرفة أنساب ومفاخر العرب) و(كنز الأنساب ومجمع الآداب).

وقد وجدت ترجمة للشيخ كتبها الدكتور جواد علي بمجلة العرب، قال فيها

بعد أن ذكر حياته العلمية والعملية ومؤلفاته قال:«... ومن هواياته الأدب العربي والتاريخ والفقه والأشعار العربية والشعبية، ويحفظ كثيرًا من عيونها، وقد عكف على دراسة علوم اللغة والشريعة والعروض ونظم الشعر. وصفه أحد الكتاب في جريدة الرياض اليومية الصادرة ١٣٨٦/٣/٢٠هـ فقال: متحدث لبق يجذبك حديثه العذب في فنون القول والأدب، لا تمل مجلسه، إذا تحدث لك أعطاك الأمثال على ما يقول من سحر البيان وروائع الشعر والفقه وأخبار الأولين، يضفي على المجلس الذي يجلس فيه من روح الوقار والمرح، تجلس معه وكأنك تجلس مع مجموعة من العلماء والأدباء والشعراء والحكماء والفقهاء والفلاسفة، فهو ينقل لك قول هذا وذاك، حافظ للأدب العربي وراوية من رواته. يحفظ الكثير من نوادر العرب وأخبارهم، إذا تحدث إليك ترك لك الرأي فيما يقول، صريح الحديث واسع الأفق عظيم الاطلاع، تحيط به هالة من الورع والتقوى والهيبة، يربو عمره على الأربعين عامًا وهو في عمر الشباب حيوية ونشاطًا، صدر له في عام ١٣٨٤هـ كتاب (زهر الأدب في أنساب العرب) وهو كتاب يحوي تاريخ أنساب القبائل العربية وبعض الفوائد الأدبية، وله مؤلفات ماتزال مخطوطة، وقد اشتهر الشيخ بالعدل في القضاء، وسرعة البت في القضايا، فهو لا يخشى لومة لائم، ولا يداهن أحدًا، بل يأخذ بيد الضعيف ويردع الظالم، وقد حاز الرضا في هذه الناحية وامتلك القلوب بعدله ونشاطه...».

وقال الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي في الغلاف الأخير لكتاب (كنز الأنساب ومجمع الآداب) ط١٣ معرفًا به:

«كتاب نفيس قيم استهوتني قراءته، وفي كل مرة أقبل على قراءته بشوق، وأخرج منها مبتسمًا راضيًا مسرورًا وكأني وجدت كنزًا لا يقدر بثمن!

الكتاب جديد وقيم حقًا، بل هو طريف في مادته وموضوعه، ويعد موسوعة أدبية كبيرة لها أهميتها وفائدتها، وقد أفدت منه فوائد جليلة، ومع ذلك نستطيع أن نعده أيضًا دائرة معارف عامة عن الأنساب العربية الحديثة والمعاصرة، وهو

من أجل ذلك عمل فريد جديد متميز، والمعارف التي تضمنها هذا الجزء في هذا النطاق لا تجدها في أي مرجع آخر شبيه به في السعة والاستقصاء والشمول؛ لأنه يتناول أنساب جميع العشائر والقبائل العربية، ولا يعرف فضله في هذا الجانب إلا من عانى البحث في الأنساب ومشقة الحصول فيها على مراجع، ومعلومات مفصلة كهذه المعلومات التي أمدنا بها الشيخ حمد الحقيل أثابه الله.

والمؤلف من رجال القضاء المشهورين، المشهود لهم بالكفاية والتفوق، ويمتاز بتضلعه في اللغة والأدب العربي والتاريخ والسير والتراجم والأنساب، وهو إلى كونه عالمًا أديبٌ وشاعرٌ من الطبقة العالية، وراوية ومحاضر ومحدث ومسامر من الطراز الرفيع الذي يذكرنا بحماد وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وغيرهم من فحول العربية وأدبائها.

هكذا رأيت العلامة الشيخ حمد الحقيل، طراز جليل متميز من أعلامنا وعلمائنا الذين تميزوا بكثرة الرواية وضخامة المحصول من المعقول والمنقول ومن الشعر والأدب واللغة والتاريخ والنسب والسير وغيرها، وهو في هذا نسيج وحده، وفريد عصره، لا يبارى ولا يجارى إلى حلاوة لفظ وجزالة أسلوب وجمال بيان ورقة حاشية وعفة لسان وطهارة نفس ودماثة خلق ولطف مخبر وجلال معشر».

وترجم له الدكتور حمد الدخيّل في (قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية) قائلًا: «أديب وقاص ... ألحقه والده سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م بمدرسة أحمد الصانع الأهلية (بالمجمعة) وتلقى فيها مبادئ القراءة والكتابة، وقراءة القرآن الكريم، وشيئًا يسيرًا من مبادئ العلوم الدينية. وكان والده يزاول التجارة بين المجمعة والأحساء، ويقيم في الأحساء مددًا من الزمن قد تطول أحيانًا، فصحب معه ابنه إلى الأحساء، وألحقه بمدرسة أحمد النعيم الأهلية في حي النعاثل في الهفوف... ولما بلغ من عمره السنة الثانية عشر سنة ١٣٥٠هـ/١٩٣١م

بعثــه أبوه إلــى مكة، لتلقي العلم على ســليمان بن عبدالرحمن بــن حمدان، وهو من بلدته المجمعة، فدرس عليه الحديث، والتوحيد، والفقه، والفرائض، والنحو، ومكــث يدرس في مكة عامين، ثم عــاد إلى المجمعة، فتتلمذ على قاضــي المجمعة وســدير عبدالله بن عبدالعزيز العنقري... ولما قدم الشيخ عبدالله بن حميد إلى المجمعة قاضــيًا، انتظم طالبًا في حلقاته العلميــة، وكان يدرس الكتب المطولة في الشــريعة واللغة العربية كفتــح الباري، ونيل الأوطار، وتفســير ابن كثير، والمغني في الفقه، وشــرح ابن عقيل على ألفية أبن مالك..«. ثم اســتعرض حياته العملية التي ســبق ذكرها، فقــال:«.. وتفرغ للبحث والتأليف، وعقــد المجالس الأدبية في منزله... ومع أن تخصصــه في العلوم الشرعية، وتقلد مناصب دينية طوال عمله الوظيفــي، إلا أن الأدب علمًا وفنًا وممارســة واهتمامًــا وتأليفًا من أبرز ما عرف عنه، فهو هاوٍ له محبٌّ، يملك قدرة عجيبة وحافظة قوية في اســتيعاب نصوصــه، وحفظ شــوارده ونوادره، وأوابده شــعرًا ونثرًا مثلًا وحكمة وطرفة وخبرًا، يسعفه في ذلك بديهة حاضــرة، وذكاء يحســن به تصــريف القول، وما أشبّهه إلا بأحد الرواة في العصــر العباســي، برز في المطارحات الشعرية، وامتلاك ناصية القول والروايــة في المجالــس، وإمتــاع الجالســين بما يلقي وينشــد، فهو نســخة حديثة من الأصمعي...».

وبعــد، فهــذا ماجمعته عن المرحوم حمــد الحقيل من كلام معاصــريه ومن لقائي به لأعرّف قراء مجلة العرب الكرام بأحد أبرز أعلام العرب السعوديين.

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

ج٥ و٦ س ٥٧
ذو القعدة وذو الحجة ١٤٤٢هـ
حزيران-تموز/يونيو-يوليو ٢٠٢١م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــــدد

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الخامس والسادس - السنة ٥٧

ذو القعدة وذو الحجة ١٤٤٢هـ

حزيران- تموز/يونيو -يوليو ٢٠٢١م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - شارع أبي دجانة - حي صلاح الدين - وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكون البحث داخلاً ضمن اهتمامات المجلة، وهي الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة، وحسن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة في ملف (word) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤١٨

ردمد (ISSN) : ٢٦٧١- ١٣١٩

الفهرس

الحذف وتعدد المعنى في النص القرآني

د. إبراهيم عبد الفتاح رمضان

يُعدّ المعنى نقطة الالتقاء الحقيقية التي تلتقي عندها العلوم اللغوية بل علوم أخرى غير لغوية؛ وذلك لأنه هو الغاية لتلك العلوم، والشيء الذي تهدف للوقوف عليه، ومن ثم ظهر علمٌ قائم بذاته لدراسة المعنى، وكيفية الوصول إليه، والكشف عنه، والأدوات والإجراءات اللازمة له، وتوظيف العلوم الأخرى في تلك المهمة، ذلك هو علم الدلالة؛ العلم الذي تعددت تعريفاته، واختلفت فيما بينها اختلافات يجمعها كلها الاتفاق على أن المعنى هو الهدف والغاية من ذلك العلم، وهو ما صرح به عديد من تعريفات علم الدلالة؛ فيقول الدكتور أحمد مختار عمر عنه في كتابه علم الدلالة: "هو العلم الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى(١)، ويقول في موضع آخر: «علم الدلالة هو العلم الذي يبحث في معاني الألفاظ»(٢) ومن قبل هذا وذاك نجد تعريفًا للدلالة ينقله الدكتور عبد الفتاح البركاوي عن الجاحظ، إذ يعتبر الجاحظ البيان والدلالة شيئًا واحدًا فيقول عنهما: «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل» (٣)، وهناك تفصيل في هذا الأمر أشار إليه الدكتور البركاوي –رحمه الله– ودل عليه (٤).

ومفـاد الأمر وخلاصـته أن المعنى كان قطب رحى التعريفات التي انصـبّت تعرّف علم الدلالة، فلا يكاد يخلو واحد منها منه، أو من الإشارة إليه – تصريحًا أو تلميحًا – سواء كان التعريف قديمًا أو حديثًا.

ولا يُستند في الكشف عن المعنى إلى علم واحد فقط، ولا يُستغنى عن أيّة أداة لغوية في الوصـول إليه، بل علم دراسـة المعنى أو علم الدلالة يتطلب فيما يتطلب أدوات كثـيرة، فالـدلالي يوظف علم الأصـوات والصـرف والنحـو (التراكيب) والبلاغة، وغيرها من علوم أخر في سـبيل الوصول إلى المعنى المتضمن في النص المقصود بالدرس والتحليل.

وإذا كانت الدوال اللغوية، وما تدل عليه هي مناط بحث علم الدلالة فإنا نعدُّ الحـذف من هـذه الدوال، إذ يكون له ما يكون من دلالات يدل عليها في المواضـع الوارد فيها، وحسـب السياق المضـمن فيه ذلك الحذف. لكن فارقًا ما بينه وبين الـدوال اللغويـة الأخرى إذ إنه دالٌّ لغـويّ راقٍ؛ لأنه يدخـل في معظم أحايينه في الدلالـة البلاغية، أو البعد البلاغي مبتعـدًا عن المعنى اللغوي المجرد، أو الدلالة المعياريـة التقريرية المجـردة من الجماليات البلاغية، ومثلـه مثل غيره من تلك الدوال كالتنغيم، والإطناب، والفصـل والوصـل، والتقديم والتأخير، والالتفات، فهذه كلها في حقيقتها دوالٌّ تدل على معان، لكن معانيها هي ما يطلق عليه معنى المعنـى، ونحن نعرضـ هنا لدلالة الحذف ومـا يمكن أن يترتب عليـه من معانٍ، بوصـفه دالًّا مـن تلك الدوال المحملة بالمعنـى، ونُذَكِّر في هذا المقـام بما نوّه إليه الدكتـور تمام حسـان في كتابه البيـان في روائع القرآن إذ يقـول: «إذا قلنا إن في أسـلوب القرآن حذفًا فلسنا ننسب الحذف إلى مضمون القرآن، وإنما ننسبه إلى تركيب اللغة»[٥].

المبحث الأول:

تعدد المحذوف وأثر تعدد التقدير في ثراء المعنى القرآني.

تمهيد:

من أوجه إعجاز القرآن تحمُّله كثيرًا من المعاني والوجوه، وفي الحديث الشريف «القرآن ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه»[٦] ويعلق الزركشي على هذا الحديث في البرهان بقوله (ذو وجوه) فيقول: «وقوله: (ذو وجوه) يحتمل معنيين: أحدهما أن من ألفاظه ما يحتمل وجوهًا من التأويل، والثاني: أنه قد جمع وجوهًا من الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب، والتحليل والتحريم، وقوله (فاحملوه على أحسن وجوهه) يحتمل أيضًا وجهين: أحدهما: الحمل على أحسن معانيه، والثاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص، والعفو دون الانتقام، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله»[٧].

ففي كلام الزركشي ما يمكن وصفه بالتعدد في المعنى. والقرآن الكريم ليس على درجة واحدة، ففيه أساليب يفهمها العامة والخاصة، وأساليب تحتاج إلى تدبر وتفهم، لايدركها إلا الخاصة ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص ٢٩]، ومن خلال هذا السعي الدائب من علماء التفسير، وعلماء اللغة عمومًا بدأ إعمال العقل في آيات القرآن لتقليبها على أوجهها الممكنة في حدود ما تسمح به قواعد اللغة العربية منشئة للآية الواحدة أكثر من معنى من خلال اعتبارات مختلفة، فحين يأتي في الكلام ضمير يمكن عوده على أكثر من كلمة يحدث تعدد المعنى كما في قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ﴾ [النساء: ٥٥]. ففي مرجع الضمير في (به) ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يعود إلى ما أنزل الله على نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم-. قاله مجاهد[٨]... والثاني: أنه يعود إلى النبي –صلى الله عليه

وسـلم-... والثالث: أنه يعود إلى النبأ عن آل إبراهيم. قاله الفراء [٩] فاختلاف مرجع الضمير أعطى كل تقدير معنى يختلف عن غيره.

وقـد يكـون تعدد المعنــى راجعًا إلى الوقـف والابتداء، ومن ذلـك ما قرأ به نافـع وابن كثير وأبو عمـرو ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [١٠] [آل عمـران ١٤٦] مـن جَعْلِهم الفعـل (قاتل) غير دال علـى المفاعلة (قُتل) بالبناء للمفعول فلو وقف على "قُتِلَ" كان المعنى وجود ربيين يبلغـون دعوتـه بعد قتله، ولو وصـلت الآية كان المقتولُ الربيـين، فالوقف قد غيّر المعنى بل قَلَبَه.

وقد يكون من أسباب تعدد المعنى اختلاف القراءة وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى دليل، حيث هذه القراءة تفيد معنى، والقراءة الأخرى تفيد معنى آخر.

فالآية السـابقة شـاهد على ما نقول، فالاختلاف في (قاتل وقتل) يؤدي إلى اختلاف في المعنى، فـ"قاتل" تفيد مفاعلة واشـتراكًا في الجهاد والنضال لنصرة الدين، و"قتل" تفيد أنهم قضوا نحبهم دفاعًا عن دينهم وفَرْقٌ بين الأمرين كبير، ومن أسـباب تعدد المعنى اختـلاف التقدير للمحذوف، ومثـال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] فيمكن تخريج الآية على أربعة أوجه:

١. القول بعدم الحذف.

٢. حذف مضاف من المبتدأ؛ أي: مثل داعي الذين كفروا.

٣. الحذف من الخبر؛ أي: كمثل بهائم الذي ينعق.

٤. الاحتبـاك، وهو الحذف مـن المبتدأ والخبر معًا (وسـيأتي الحديث عن الاحتباك فيما بعد).

وكل تقدير من هذه التقديرات يجعل للكلام معنى مختلفا وسيأتي الحديث عن ذلك كله.

ومما سبق لاحظنا أن تعدد المعنى له أسباب منها:

١. اختلاف مرجع الضمير.

٢. الوقف والابتداء.

٣. اختلاف القراءة.

٤. اختلاف تقدير المحذوف [١١].

وما دام حديثنا عن الحذف فإننا سنكتفي بما يناسب الموضوع فنبدأ بتعريف تعدد المعنى.

تعدد المعنى: هو أن يحتمل التركيب أكثر من معنى في القراءة الواحدة والسياق الواحد، قد يرجح أحدها على الباقي، وقد يتساوى الجميع في احتمال القصد والإرادة، ولكن الذي لا يكون هو أن يتعين أحدها وينعدم الباقي[١٢]. ولهذا التعريف قيود ففي قولنا (في القراءة الواحدة) احتراز من اختلاف القراءة كما مثلنا من قبل في (قتل – قاتل)، وخرج بقولنا: السياق الواحد: الوجوه والنظائر، لأن العبارة قد تدل على معنى في سياق وتدل على معنى مخالف في سياق آخر، ونمثل بقوله تعالى ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت ٤٠]، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم– في أهل بدر «إن الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم»[١٣] فعبارة: "ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ" مشتركة في التعبيرين لكن هناك فرقًا كبيرًا بينهما في الدلالة إذ الأولى تهديد ووعيد، والثانية قرة عين ورحمة وتلطف؛ لأن السياق هو الذي أدى إلى هذه الدلالة[١٤].

وبهذين القيدين وجب أن نضع لتعدد المعنى ضوابط تضبطه فيما نحن بصدده حتى يمكن أن نقول: إن في هذا الأسلوب تعددَ معنى:

١- اتحاد القراءة، بحيث تصبح الصيغة اللفظية للتركيب واحدة؛ لأن الاختلاف في القراءة لا يدخل معنا - هنا - فمن الطبيعي أن يتغير التركيب تبعًا لتغير القراءة، ولو في حركة قد تغيرت، فحين نقرأ: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (برفع يكونُ كما في قراءة حفص) يكون المعنى فهو يكون [١٥] وحين ننصبها يختلف المعنى، وإن كان البعض خطّأ ابن عامر في هذه القراءة مع أنها رواية متواترة [١٦].

٢ - ثبات السياق اللفظي، بحيث ينظر إلى التركيب في سياق الآية الواحدة دون مقارنتها بآية أخرى أو سورة أخرى فيما يعرف بالمتشابه، أو متشابه النظم القرآني، وفي ضوء هذين القيدين نسير في دراسة أثر الحذف في تعدد المعنى. وقد وجدت أن هناك آيات قد اتفق العلماء من لغويين ومفسرين وبلاغيين على أن فيها حذفًا قد نتج عنه تعدد في المعنى، ووجدت آيات أخرى يكون الحذف فيها أحد الأوجه الممكنة لتعدد المعنى، وتكون الوجوه كلها مقصودة لكن قد يتغلب أحدها على الآخر فخصصت كل واحد من الأمرين السابقين بمبحث خاص، وإن عملي في هذا المبحث أن أوضح الأوجه الممكنة في تقدير المحذوف، ثم أناقش هذه الوجوه لأبين كيف يكون التقدير مؤثرًا في المعنى وأزيد ترجيح أحد الأوجه على الباقي، بيد أنه ليس معنى ترجيح وجه إلغاء الأوجه الأخرى الممكنة.

ونبدأ بالمبحث الأول حيث تكون الأوجه الممكنة قائمة على الحذف:

وأثر تعدد التقدير في ثراء المعنى القرآني

أولًا: أثر الحذف في تعدد المعنى في الجملة الفعلية:

وقد بدأنا بالجملة الفعلية؛ لأنها بسيطة تتكون من فعل (هو المسند) وفاعل هو (المسند إليه) ومكملات وهي (المتعلقات) ونبدأ بالترتيب المذكور.

(أ) حذف المسند (الفعل):

ومن ذلك قول الله تعالى ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ۝٢٣٨ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة:٢٣٨] ذكر المفسرون أن "فرجالا" حال من محذوف تقديره (فصلوا رجالا) (١٧) وذكر أبو حيان(١٨) وتبعه تلميذه السمين الحلبي(١٩) أن "فرجالا" منصوب على الحال، والعامل فيه محذوف تقديره (فصلوا رجالا)، أو (فحافظوا عليها رجالا)، وهذا أولى؛ لأنه من اللفظ الأول(٢٠) فالحذف هنا وسع دائرة التقدير، بل أدى إلى تعدد المعنى، وقد رجح أبو حيان قوله (فحافظوا) على (فصلّوا) وعلل بتعليل نحوي. بيد أن هذا الكلام لا يستقيم، فالتقدير الذي سار عليه المفسرون غير أبي حيان والسمين أولى لأمرين:

١. أن تقدير أبي حيان يفيد المحافظة عليها (رجالا) وهذا لا يستقيم من حيث المعنى؛ لأن الأصل أن صلاة الحرب تصلى جماعة بالهيئة التي ذكر الله في سورة النساء، ولا يلجأ إلى هذه الطريقة التي تصلى عليها فرادى إلا عند شدة الحرب بحيث يتعذر صلاتها جماعة فكيف تكون المحافظة عليها كذلك؟

٢. أن تقدير العامل (فحافظوا) يستلزم متعلقا آخر (جارا ومجرورا)

أي: فحافظـوا عليها، وحذف عامل واحد متعدٍّ أولى من تقدير عامل مع متعلق؛ لأن الحذف خلاف الأصل.

ومن خلال ما سـبق تبـين أن هناك تعددًا في المعنى عند أبـي حيان إذ يفيد معنـى الآية (فإن خفتم فصـلوا رجالا أو ركبانًـا) أو (فإن خفتم فحافظوا عليها رجالا أو ركبانا) وما من شـك أن التقدير الأول أبرّ بالمعنى، ويصبح الحذف هنا مسـلّطًا الضوء على الحال التي تصـلى عليها، وليس على العامل؛ فالنصب فيها لتتسـع دائرة التقدير، ومن رحمة الله بعباده أنه لم يلزمهم بالجماعة في الخوف الشديد والحرب الطاحنة.

ولعلنـا نحس من خلال حذف الفعل وفاعله سـرعة الدلالة على المقصـود، ذلـك أن الآيـات حديث عن الصـلوات والحفاظ عليها «ولعل هـذا ما حدا بأبي حيـان أن يقـدر "فحافظوا"؛ ليكون المحذوف من جنـس المذكور، ومما هو مقرر عنـد النحـاة أنَّ الأصـل أنْ يكون المحذوف مـن جنس المذكور مهمـا أمكن، وقد تخـترق القاعدة كما في هذه الآية أو في غيرها»[٢١] والآية التي معنا اسـتثناء من القاعدة العامة: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) والاستثناء لا يكون أصـلًا؛ ذلك أن صلاة الخوف هي الاستثناء وعند الخوف يصلي المسلم على أية حال -مترجلًا أو راكبًا- فالحذف أفاد مسارعة إلى المذكور. ولو قلنا: إنه احتراز عن العبث أيضًا لم نبعد؛ لأن الآية في سياق الصلاة والحفاظ عليها فحين حذف الفعل وفاعله (المسـند) فُهِمَ من السـياق. وإن كان لا يعجبني تطبيق هذا السـر الـذي ذكره البلاغيون للحذف "الاحتراز عن العبـث" على القرآن الكريم؛ فأنا أرى أن القرآن نزل على أعلى درجة من البلاغة والفصاحة، ولا مكان فيه للعبث إن غُـيِّر التعبير، أو جـيء بالمحذوف، ولا مكان كذلك للاحـتراز عن العبث حتى لايسبق للوهم أن العبث قد يسند إلى الله، أو ينفى عن كلامه تعالى.

ومـن أمثلة تعدد المعنى من خلال حذف الفعـل قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقـرة: ٢٨٥] وسـياق الآيـة يتضـح مـن سـبب نزولها، روى العلاء عـن أبيه عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله تعالى ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ اشـتد ذلـك على أصـحاب النبي -صـلى الله عليه وسلم – فأتوا رسـول الله ثم جثوا على الركب فقالـوا: قد أُنزل عليك هذه الآيـة، ولا نطيقها، فقال: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سـمعنا وعصينا؟ قولوا: ﴿سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْـكَ الْمَصِـيرُ﴾ فلما قالوها، وذلّت بها ألسـنتهم أنـزل الله في إثرها ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾(٢٢)". وسـبب النزول واضـح في أن هذا لجوء وتضـرع لله أنّ يكـون قد عاقبهم ببعض ذنوبهم، وقد أرشـدهم الرسـول إلى ما يجـب عليهم أن يفعلـوه، أو يقولوه بعد أن حذرهم أن يكونـوا كأهل الكتاب، ومن هنا صـدر هذا الدعاء ﴿سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، وقد قدم السـمع على الطاعـة؛ لأن الأوامـر والتكليفات مقدمة في سـماعهم على الطاعة فيها، وقد حذف مفعولها؛ لبيان ثبوت السـمع والطاعة في أنفسهما دون نظر إلى متعلقهمـا؛ إذ التقدير: سـمعنا قولك، وأطعنا أمرك مثلًا فهي دعوة إلى السـمع والطاعة لكل ما جاء به الوحي الأمين والرسول الكريم، فهو إيقاع للسمع والطاعة ثم (غفرانك) مصدر سد مسدَّ فعله، وانتصب بالفعل المحذوف.

قال الزمخشـري: «منصـوب بإضـمار فعله يقال: غفرانك لا كفرانك؛ أي: نسـتغفرك ولا نكفرك»(٢٣) قال السـمين: «فقدره جملـة خبرية وهذا ليس مذهب سيبويه، إنما مذهبه تقدير ذلك بجملة طلبية كأنه قيل: اغفر غفرانك»(٢٤).

فالمعنى على قول الزمخشـري: نستغفرك غفرانك، وعلى رأي سيبويه: اغفر غفرانـك، وتقديـر الجملة الطلبية أولـى؛ لأنها أدلّ على المعنى، وهي تفيد شـدة

الضـراعة لله، والمعنى بالحذف أحسـن من ذكر الفعل؛ لأنه واجب حذف العامل فلا يقال: إن «نسـتغفرك» يفيد الاسـتمرار؛ لأننا نتفق أن المحذوف إذا ذكر نزل بمنزلة الكلام، وأن الأكثر في مثل هذه الأساليب تقدير الجملة الطلبية؛ لأن إنشاء طلب المغفرة أحسـن من الإخبار بها، ولأن سَـبْقَ المصدر بفعلين ماضيين يفيدان الامتثال التام يمهّد لطلب المغفرة، فهو توسـل بالعمل الصالح لطلب المغفرة، كما يؤكد ذلك سبب نزول الآية. إن كلمة (غفرانك) مسبوقة باستسلام عام وخضوع لأمر الله، وبالتالي تأتي «غفرانك» معلنة خشوع القلب لطلب المغفرة.

ومـن أمثلة تعدد المعنى من خلال حذف الفعل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامـة: ٣، ٤] ذكر المفسـرون في نصـب «قادرين» أنها حال، وعاملها محذوف تقديره: «بلى نجمعها قادرين»، وهـذا تقدير سـيبويه لهـا[٢٥]، وقدّر الفراء: "بلى ليحسـبنا قادريـن"[٢٦] وذكر القرطبي[٢٧] والسمين[٢٨] أن "قادرين" منصوب على أنه خبر كان المضمرة أي: كنا قادرين في الابتداء. فحَذْفُ الفعل هنا أتاح الفرصة لكي يُقَدِّرَ كل واحد ما يراه صوابًا، فتعدد المعنى بسبب الحذف، فعلى مذهب سيبويه يكون المعنى: (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى نجمعها ونحن قادرون على ذلك)، وعلى مذهب الفراء: (أيحسب الإنسـان أن لن نجمع عظامه بلى ليحسبنا قادرين على تسوية بنانه)، وعلى مذهب القرطبي والسـمين يكون المعنى: (أيحسـب الإنسـان أن لن نجمـع عظامه بلى كنا قادرين في البدء على تسـوية بنانـه). والرأي الأول أولى؛ لأنه صـحيح المعنى، وتقديره خالٍ من المآخذ، أما التقدير الثاني وهو "ليحسـبنا قادريـن" ففيه مخالفة بـين المحذوف والمذكور؛ لأن حسـب المذكور معناه الظن، والمحذوف على ذلك معناه اليقين. ولا يجوز أن يكون المحذوف والمذكور من جنس واحد، لكنهما مختلفان في المعنى، وإن قلنا: إنَّ المحذوفَ بمعنى الظّنّ أيضًا فسد

المعنى؛ لأنه شكٌّ في البعث، وفعل الجمع أقرب في الجملة من فعل الحسبان، ولأن "بلى" لإيجاب المنفي وهو في الآية فعل الجمع.

وجعْلُ (كان) محذوفة في هذه الآية -وهو الرأي الثالث؛ رأي القرطبي والسمين- لايخدم المعنى أيضًا؛ لأن السورة سورة القيامة، وهو حديث مع كافر هو عدي بن ربيعة، أو أبو جهل [٢٩]، وهو منكِر ليوم القيامة، وقد قال: أوَيجمعُ الله العظام؟ فالإجابة بأن الله يجمعها قادرًا أولى من قولنا: كنا قادرين في الابتداء، ثم في القول الثالث كثرة حذف حيث إن الذي على هذا التقدير حذف كان واسمها ثم متعلق بخبرها، والحذف خلاف الأصل.

إن حذف الفعل قد أسهم في تعدد المعنى وجعل الآية محتملة لأكثر من معنى، وإن كنا قد فضلنا بعض الآراء في تقدير المحذوف فليس معنى ذلك أننا نلغي بقية التقديرات وإنما نحن نتحدث عن الأفضل والأولى[٣٠]، وإن حذف الفعل قد جعل بؤرة الضوء مسلطة على الحال المذكورة بصيغة التعظيم، فالمهم الحال وليس الفعل؛ لأنه إذا كان الشك في الفعل وهو (نجمع) فهي مجموعة الآن، ولكن الشكّ في القدرة على جمع هذه العظام بعدما رمّت وبليت، فناسب ذلك التركيز على الحال دون فعلها. هذا عن تعدد المعنى في حذف الفعل.

وهناك أمثلة أخرى لحذف الفعل لإفادة تعدد المعنى [٣١].

ب) حذف الفاعل:

ونختار لذلك مثالًا لحذف الفاعل والفعلُ مبني للمعلوم، ومثالًا آخر والفعل مبني لما لم يسمّ فاعله. فمثال حذف الفاعل والفعل مبني للمعلوم: قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وسياق الآية ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص: ٣٠: ٣٢] ذكر المفسرون في

فاعل «توارت» قولين: أولهما أنه الشمس، والثاني أنه الخيل[٣٢] واعتمد من قدر المحذوف (الشمس) على مناسبة العشي للشمس، ويكون المعنى أني شغلت بالخيل عن الصلاة حتى غربت الشمس، وتورات بالحجاب. وحين نجعل ضمير (الخيل) فاعلًا يكون قد سبق له ذكر يعود عليه الضمير: ويكون المعنى: إني أحببت حب الخير حتى غابت الخيل عن عيني ودخلت إصطبلاتها.

إن من المفسرين من جزم بأن الضمير عائد إلى الشمس قولًا واحدًا، ومنهم ابن الجوزي وابن كثير والبقاعي، ومن المحدثين الطاهر بن عاشور، ومن المفسرين من ذكر الرأيين، ورجح أن يكون الضمير للشمس إمّا تصريحًا أو تلميحًا؛ فمن التصريح قول الشوكاني: «والأول أولى؛ أي: عود الضمير إلى الشمس». وممن قال تلميحًا الزمخشري والقرطبي وأبو السعود حيث ذكروا عود الضمير إلى (الصافنات) بصيغة التمريض (قيل) بعد استيفاء الحديث وتفصيله في عود الضمير على الشمس، ومن المفسرين من ذكر الرأيين، ورجح أن يكون الضمير للخيل، ومن هؤلاء الفخر الرازي وأبو حيان وتلميذه السمين، وقد تحدث الرازي حديثًا طويلًا عن عود الضمير إلى (الخيل) ورد على من قال بعوده إلى الشمس فقال: «وهذا الاحتمال عندي بعيد، والذي يدل عليه وجوه: الأول أن الصافنات مذكورة تصريحًا، والشمس غير مذكورة، وعَوْدُ الضمير إلى المذكور أولى من عوده إلى المقدر. والثاني أنه قال: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ وظاهر اللفظ يدل على أن سليمان عليه السلام كان يقول: «إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي»، وكان يعيد هذه الكلمات إلى أن توارت بالحجاب، فلو قلنا: إن المراد حتى توارت الصافنات بالحجاب كان معناه أنه حين وقع بصره عليها حال جريها كان يقول هذه الكلمة إلى أن غابت عن عينه وذلك مناسب.

ولو قلنا: المراد حتى توارت الشمس بالحجاب كان معناه أنه يعيد عين هذه الكلمة من وقت العصر إلى وقت المغرب وهذا في غاية البعد»[٣٣] وظل الفخر الرازي يعدد أسباب اختياره لأن يكون (الخيل) حتى عدد سبعة أدلة على ذلك، ثم قال: «فكان عود الضمير إلى الصافنات أولى»[٣٤].

ولعل سائلًا يقول: ما سبب ذكر هذه الآية هنا مع أن هناك فرقًا بين حذف الفاعل وإضماره (فالمضمر كأنه موجود، والمحذوف فهو غير موجود يقتضيه المعنى أو تقتضيه الصناعة)؟ والجواب: إننا لو قلنا: إن الفاعل الشمس لكان الضمير عائدًا إلى غير مذكور في الكلام، وهذا ضرب من الحذف، وهذا ما دفعني إلى ذكر الآية هنا، ولعلنا لاحظنا أن الحذف للفاعل هنا أفاد تعددًا للمعنى، ولو ذكر الفاعل لحصره في المذكور، لكنه حين حذف جعل الذهن يتردد بين الخيل والشمس، فأفاد ثراءً للمعنى، وأجاز في المحذوف أكثر من تقدير، وهذه من سمات الكلام العالي.

ولعل من المناسب أن نذكر أن سبب حذف هذا الفاعل، أو عوده على غير مذكور له سر بلاغي مؤدّاه أن الحديث عن شمس توارت، أو خيل غابت عن نظر نبي الله سليمان، فناسب غياب الفاعل في الواقع غيابه عن الكلام لتتلاقى أطراف الجملة.

ومن حذف الفاعل والفعل مبني لما لم يسم فاعله قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤] وقد اختلف المفسرون في فاعل الفعل "زُيِّن"[٣٥] إذا رد إلى

البناء للمعلوم بين قائل: المزيّن هو الله تعالى، وقائل: المزين هو الشيطان، ورأي ثالث قال: المزين هو الأنفس، وإن كان الأخير لم يحظ باهتمام المفسرين كما حظي الرأيان الأولان القائلان بأن المزين هو الله تعالى، أو المزين هو الشيطان «والفرق بين التزيينين أن تزيين الله بما رَكَّبه، ووضعه في أصل الجبلة وتزيين الشيطان بإذكار ما وقع إغفاله، وتحسينه بوساوسه إياها لهم»(٣٦)، وقد اقتصر الزمخشري على أن المزين هو الشيطان، وحين أراد ذكر الرأي الثاني قال: «ويجوز أن يكون الله قد زين لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها، أو جعل إمهال المزين له تزيينا»(٣٧).

وفي كلام الزمخشري إبراز لمذهب المعتزلة؛ فمذهب المعتزلة «أن الله لا يخلق الشر وإنما ذلك من خلق العبد، فلذلك تأوَّل التزيين على الخذلان، أو على الإمهال»(٣٨)، ومذهب أهل السنة أن الله خالق الخير والشر؛ أما الخير فبيده، وأما الشر فبتقديره، ولهذا الأمر شواهد كثيرة في القرآن منها قوله تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨]... وغيرها. وقد استدل الرازي على أن الله هو المزين بدليلين الأول: قراءة من قرأ: (زَيَّنَ للذين كفروا الحياة الدنيا) (٣٩) على البناء للفاعل، وثانيهما: قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧].

ولعلنا رأينا وعلمنا أن الحذف هنا أدى إلى تعدد المعنى بحيث صار لكل طائفة تقدير؛ فأهل السنة يقولون: إن المزين هو الله، والمعتزلة يقولون: المزين هو الشيطان. وقد ذكر صاحب البحر المحيط أقوالًا كثيرة في المزين؛ فزاد على ما سبق أن المزين نفوسهم لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣] وكذلك ﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠] وذكر

أن المزيـن شـركاؤهم من الجن والإنس، وقيل: المزين هـذه الحياة الدنيا. وقيل: المزين المجموع [٤٠] فانظر كيف كان حذف الفاعل مؤديًا إلى تعدد الدلالة، وتعدد المعنى بل تعدى ذلك إلى الخوض في قضايا العقيدة من خلال مذهب أهل السنة والمعتزلة في قضـية نسـبة الشـر إلى خَلْقِ الله (بمعنى أن الله خالق هذا الشر)، أو نسبته إلى الإنسان [٤١]. والفاعل هنا محذوف للعموم ليشمل كل هذه التقديرات.

ج) حذف المفعول وتعدد المعنى:

ومـن الآيـات التي يـؤدي حذف المفعـول فيها إلـى تعدد المعنى قولـه تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣] قدر فيها النحاة والمفسرون في قوله تعالى: (لمن اتقى) مفعولا به محذوفًا، إما أن يكون: لمن اتقى الله، أو لمن اتقى الصيد، أو لمن اتقى المعاصي في حجه، أو لمن اتقى فيما بقى من عمره [٤٢]، ومن المفسرين من جعل الفعل كاللازم فبين أن المراد حصول التقوى وحدوثها [٤٣].

وقد أسهم الحذف في تعدد المعنى بأن أفسح المجال لأنْ تقدَّر هذه التقديرات جميعها دون الجزم بأحدها، وهذا من ثراء التعبير القرآني، وغزارة دلالته.

وهل الفعل هنا متعد أم لازم؟ الزمخشري يجعله لازمًا؛ حيث يتضح ذلك من تفسـيره فيقول: (لمـن اتقى) أي: ذلك التخيير لمن اتقـى ونفى الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي) [٤٤].

والفـرق بين التعـدي واللزوم في الفعـل: أن الفعل اللازم يقصـد فيه ثبوت الفعـل لفاعلـه فحسـب دون أن يتعداه إلى مفعـول به، فالغرض حصـول التقوى للحاج هنا بدون قصـد إلى مايُتقى، وتابعه الشـوكاني في فتح القدير [٤٥] فرجح كون الفعل لازمًا أو مسـتعملًا استعمال اللازم، وإن كان متعديًا في أصله، واختار

كونــه متعديًــا الفخر الرازي والقرطبي وغيرهما لكن الــرازي[٤٦] اختار أن يكون المفعول به لفظ الجلالة، وضــعَّف رأيَ القائلين بأنه (الصــيد) من وجهين الأول: «أنــه تقييــد للفظ المطلق بغــير دليل، الثاني: أن هــذا لا يصــح إلا إذا حمل على ما قبل الأيام؛ لأنه في يوم النحر إذا رمى وطاف وحلق فقد تحلل قبل رمي الجمار فلا يلزمه اتقاء الصيد إلا في الحرم، لكن ذلك ليس للإحرام»[٤٧].

ولعلنــا لاحظنا كيف أســهم الحذف في أمور مختلفة أولهــا: التردد بين كون الفعل متعديًا إلى مفعول، أو كونه متعديًا لكنه اســتعمل اســتعمال اللازم، ثم إذا كان متعديــا اختلف في التقدير على آراء مختلفة أَثْرَتْ الكلام، وأنشــأت جســرًا من التواصــل بين الحق تبارك وتعالى وبين عبــاده الذين تلقوا هذا القرآن لتعمل العقول في المحذوف فاختلف المقدر نظرًا لاختلاف المتلقين.

ولا يفوتنــا أن هنــاك اختلافًــا آخــر في الآية نفســها؛ حيــث إن (لمن اتقى) متفــق على كونها خبرًا لمبتدأ محذوف، لكــن الاختلاف باعتبار تعلق اللام، فمن جعلها متعلقة بنفي الإثم قال: المغفرة لمن اتقى، وهذا يُنسب إلى ابن مسعود [٤٨]. ومن علقها بالتخيير المفهوم من الآية قال: الإباحة لمن اتقى، وهذا رأي ابن عمر. ومن جعلها متعلقة بالذكر قال: الذكر لمن اتقى. ومن لم يجعلها متعلقة قال: ذلك لمن اتقى وهذا رأي الأخفش.

لقد تآزر الحذفان في رســم صــورة تخص قضــية التعجل والتأخر لمن اتقى، وليتعدد المقدر في الموضــعين، وليفيــد المعاني الكثيرة التي قدرهــا العلماء، ولعل الحذف يفيد شــمول التقوى لكل الأمور المذكــورة: فهي تقوى لله، وخوف من قتل الصــيد، وتقوى من المعاصــي في الحج، وعهد على ترك المعاصي بقية العمر، ولو ذكر القرآن أحد هذه الأوجه لكان قصرًا للكلام على معنى واحد من غير احتمال لبقية الأوجه. ولو ذكر المبتدأ أو اقتصــر عليه فقــال: المغفرة لمن اتقى أو الإباحة أو الذكر أو ذلك لمن اتقى لضاقت دائرة التوقع حتى اقتصرت على المعنى المذكور،

لكن الحذف جعل كل هذه الأوجه محتملة بل معتبرة؛ لأن المحذوف لدليل كالموجود فهو غائب جعله الدليل حاضرًا أو في قوة الحاضر.

ومن الأمثلة التي حذف فيها المفعول لقصد تعدد المعنى قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ١٣] ذكر الزمخشري ومن جاء بعده من المفسرين أن المفعول محذوف؛ لأنه مفعول المشيئة فقدره: ولو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة [٤٩]. وتابعه المفسرون على ذلك خلا أبي حيان في البحر المحيط حيث ردَّ على الزمخشري تقديره فقال: «تتبعت ما جاء في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفًا إلا من جنس الجواب نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾» [الأنعام ٣٥] فعلى هذا الذي تقرر أن لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشري وإنما التقدير: «لو شاء ربنا إنزال ملائكة برسالة منه إلى الإنس لأنزلهم بها إليهم، وهذا أبلغ في الإقناع من إرسال البشر إذ علقوا ذلك بإنزال الملائكة وهو لم يشأ ذلك فكيف يشاء ذلك في البشر» [٥٠].

وقد رد تلميذه السمين هذا الكلام، وأكد قول الزمخشري فقال: «وتقدير أبي القاسم أوقع معنى، وأخلص من إيقاع الظاهر موقع المضمر إذ يصير التقدير: لو شاء إنزال الملائكة لأنزل ملائكة" [٥١]، وأرى أن تقدير الزمخشري أحسن من تقدير أبي حيان لا لأن فيه إيقاعًا للظاهر موقع المضمر، ولكن لأن السياق يرجحه إذ الحديث عن تكذيب عاد وثمود لأن يكون الرسل بشرًا، وليس التكذيب لإرسال الملائكة، إذًا تعليل السمين ليس قويًّا؛ لأننا درجنا في القرآن، وتعودنا على حذف مفعول المشيئة، ومعلوم أن المحذوف لو أظهر لهبطت رتبة الكلام وتدنت منزلته، وإذا كان الشأن في حذف مفعول المشيئة أن يكون محذوفًا ومن جنس المذكور في الجواب، فإن هذه الآية حالة خاصة سماها الطاهر

ابن عاشور حذفًا خاصًا لمفعول المشيئة فيقول: «وهذا حذف خاص هو غير حذف مفعول فِعْل المشيئة الشائع في الكلام؛ لأن ذلك فيما إذا كان المحذوف مدلولًا عليه بجواب "لو" كقوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام ١٤٩] ولعل نكتة الحذف فيه الإبهام ثم البيان».

وأما دليل الحذف في الآية فهو الاعتماد على قرينة السياق والإيجاز، وهو حذف عزيز لمفعول فعل المشيئة، ونظيره قول المعريّ: [الطويل]

وإنْ شِئْتَ فازْعُمْ أنَّ مِنْ فوْقِ ظَهْرِهَا عَبِيدَكَ واسْتشهِدْ إلَهَكَ يَشْهَدِ[٥٢]

ولعل اطراد حذف مفعول فعل المشيئة هو الذي دعا أبا حيان إلى تخطيء الزمخشري في تقديره.

وبذلك يتضح لنا أن الحذف هنا كان دافعًا إلى تعدد المعنى، واختلاف التقدير الأمر الذي دعا المفسرين إلى تقدير مفعول خاص، ومخالفة أبي حيان لهم بتقديره مفعولًا من جنس المذكور، ولعل تحامله على الزمخشري هو الذي أوقعه في ذلك إضافة إلى أن الأصل في المفعول الخاص بفعل المشيئة أن يحذف.

ومن أمثلة حذف المفعول التي تعدد المعنى فيها بسبب الحذف -لكنها هنا ليست معاني لغوية، وإنّما هي معان بلاغية- قوله تعالى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] ذكر المفسرون أن الحذف هنا للاختصار اللفظي، وظهور المحذوف[٥٣] وكذا قال أبو حيان: إنه للاختصار[٥٤]، وكذا فعل باقي المفسرين والنحويين فرددوا الحذف بين الاختصار والعلم به لسبق الحديث عنه في (ما ودعك) ولمراعاة الفواصل.

وذكر بعضهم أن غرض حذف المفعول لئلا ينسب القِلَى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو بتعبيره: «نفى صدور الفعل عنه تعالى»[٥٥] والحق أن القول بالاختصار جائز، والقول بالعلم به، وموافقة رؤوس الآي جائز كذلك،

لكن لابد من الفصل بين الأمور إذ الاختصار عام في كل حذف وهو علة نحوية، وموافقة رؤوس الآي هذه علة صوتية، أما قولهم للعلم به، ولكيلا ينسب القلى إلى الرسول الكريم فهاتان من العلل البلاغية لكن أيهما نفضل؟ إن كل ما سبق ممكن، لكن القول بنفي القلى عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يحتاج إلى مناقشة حيث إن المفعول المراد نفي القلى عنه قد ثبت في الآية قبل (ما ودعك ربك) وعلى الرغم من أن الفرق بين التوديع والقلى معروف حيث التوديع معناه الترك، والقلى شدة البغض[٥٦] فإن التشديد في (ودّع) تفيد قوة في الفعل لهذا قال الزمخشري: «التوديع مبالغة من الوَدْع؛ لأن من ودّعك مفارقًا فقد بالغ في تركك»[٥٧] وهذا ردّ على الدكتورة بنت الشاطئ التي قالت: إن التوديع غير القلى[٥٨] وحَلُّ الموضوع أنّ كلًّا من التوديع والقلى منفيّ، ويبقى الحذف في (قَلَى) مرددًا بين ثلاثة أمور عددها الرازي في تفسيره هي:

١) الاكتفاء بالكاف الأولى في ودعك.

٢) اتفاق الفواصل أوجب حذف الكاف.

٣) فائدة الإطلاق أي: أنه ما قلاك، ولا قلى أحدًا من أصحابك، ولا أحدًا ممن أحبك إلى يوم القيامة [٥٩].

والإطلاق الذي ذكره الرازي لا يساعد السياق على القول به حيث الخطاب في معرض فتور الوحي عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم-ويبقى الأمران الأولان محتملين. وكنت قد ألمحت قبل إلى أن الدكتورة عائشة عبد الرحمن تنفي أن يكون اعتبار العنصر الصوتي فحسب سببًا في الحذف، وأكدتْ على ذلك، وبينتْ أنه قد يكون سببًا من أسباب الحذف، وأن الأصل أن يكون الحذف لأمر معنوي فإن جاء معه سبب لفظي؛ فإنه يقوي السبب المعنوي دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل [٦٠].

ويمكن أن نلخص فوائد حذف الكاف هنا في أمور:

١. هو توافق الفواصل.

٢. وهو الاختصار.

٣. العلم به أو عدم اتصال الضمير (الكاف) بفعل القِلَى حتى لا يُنسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد تبين مما سبق كيف كان الحذف مؤدّيًا إلى تعدد المعنى، واختلاف المشارب في تقدير المفعول المحذوف(٦١). فالسورة كتلة واحدة متماسكة حقق هذا التماسك فيها الحذف، حيث فاصلة السورة على الألف.

ثانيًا: أثر الحذف في تعدد المعنى في الجملة الاسمية:

أ) حذف المبتدأ وتعدد المعنى:

يؤدي حذف المبتدأ أحيانا إلى تعدد المعنى حين يحتمل الحذف تقديرين أو أكثر، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥]. حذف المبتدأ في قوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾، واحتمل حذفه أمورًا: أنتم قوم منكرون، أو هؤلاء قوم منكرون(٦٢)، أو هم قوم منكرون... ويترجح أن يكون إبراهيم قد قال القول الأول، ولكن بشرط أن يكون قد قاله في نفسه؛ لأن هذا يتنافى مع كرم إبراهيم، بل مع كرم كل أحد، فليس من الأدب أن يجاهر الإنسان بذلك لضيفه، ويحتمل أن يكون إبراهيم قد قال القول الثاني: (هؤلاء قوم أو هم قوم) ويكون قد قاله لأهله وغلمانه، حيث الحديث عن الملائكة الضيف بطريق الغَيْبة، والحذف هو الذي أوجد هذه الاحتمالات؛ فحذف المبتدأ جعل المعنى يتعدد كما رأينا.

ولا يخفى ما في الآية من أمور ساعدت على رسم المعنى بهذه الصورة؛

فـأول ذلـك قـول الملائكة: "سـلامًا" وما فيه مـن عامل محـذوف يجعل الجملة فعلية أي: نسـلم سلامًا ليكون قول إبراهيم بعد ذلك: "سلام" بالرفع فهو مبتدأ خبره محذوف أي: عليكم فيكون أبلغ إذ عبر بالجملة الاسـمية التي تفيد الثبوت والـدوام، وهم عبروا بالجملة الفعلية، والتعبير بالاسـمية يفيد أن شـأنه سـلام دائمًا. فقد وقع الحذف في الآية في ثلاثة مواضـع في قولهم: "سـلامًا" أي نسلم، و"قـال سـلام" أي عليكم، و"قـوم منكرون" أي أنتم أو هـؤلاء؛ فبنية الآية تقوم على الحذف لرسـم صورة توضـح موقف الملائكة مع إبراهيم ثم موقف إبراهيم معهم.

ولو ذكرنا المبتدأ المحذوف أو الخبر أو الفعل لانحصر الذهن في المذكور دون غـيره ولمـا احتمل تأويلات متعـددة للمعنى فكان الحذف لإفـادة المعاني الكثيرة المتعددة.

وكنت قد أشرت قبل إلى حذف المبتدأ في قوله تعالى: ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣] وأن التقديـر يختلـف فيـه فقيـل: المغفرة لمن اتقـى، أو الإباحـة لمن اتقى، أو ذلك لمن اتقى. والمقصود بتقدير الأخفش (ذلك لمن اتقى) أي: مجموع الأمور السـابقة على الجملـة من ذكر وإباحـة. وفي تعـدد التقدير تعدد للمعنى أنشـأه الحذف؛ لتختلف تقديرات المعربين والمفسرين في تأويله، وذلك دليل على إعجاز نظـم القرآن، وثـراء معانيـه، ووحدانية منزله -جـل جلاله- وعلـى ذلك أكثر حذوفات القرآن الكريم [٦٣].

ب) حذف الخبر وتعدد المعنى:

ومـن مواطن حذف الخبر ما يكـون فيه معادلًا للمذكور كمـا في قوله تعالى ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨] و(مَنْ) هنا مبتدأ،

وخـبره محـذوف؛ لأن الخبر معادل للمبتدأ، فقدَّره بعضـهم: كمـن لم يزين[٦٤] وقدَّر آخرون: كمن هداه الله[٦٥] وقدَّر آخرون: ذهبت نفسك عليهم حسرات[٦٦]، وفي الحقيقـة أن التقديـر قد اختلف لاختلاف دليل الحـذف فمن نظر إلى قوله: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ قـدَّر: كمـن لم يزيـن، ومن نظر إلى قولـه: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ قدَّر: كمن هداه الله؛ لأن من المعلوم أن من زُيِّن له سـوء عمله فرآه حسـنا قد ضـلّ. فمعادله كمن هداه الله، ومن نظر إلى قوله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ قدَّر: ذهبت نفسك عليهم حسرات. وهكذا نرى الحذف قد وسـع دائـرة التقدير فاجتهدتْ فيها العقول، وقد قدَّر الكسـائي التقدير الثالث: ذهبت نفسك عليهم حسرات، ثم قال: «وهذا كلام عربي طريف لا يعرفه إلا القليل»[٦٧] قال النحاس: والذي قاله الكسـائي أحسن ما قيل في الآية لمـا ذكره من الدلالة على المحـذوف [٦٨] والمعنى: أن اللّه –عز وجل– نهى نبيه – صلى اللّه عليه وسلم–عن شدة الاهتمام بهم، والحزن عليهم كما قال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ ﴾ [الكهـف: ٦]. ورجح الشـوكاني التقدير الأول (كمن لم يزين له)، وقال: وهذا أولى لموافقة المذكور لفظًا ومعنى. والاسـتفهام في الآية إنـكاري، والتعبير بالموصـول للدلالة على وضـوح الصـلة وظهورهـا؛ وهي تزيين الشـيطان له سـوء عمله، ثم العطف على الصـلة في (فرآه حسـنا) لبيان التعلق بها، حيث المقصـود ليس بيان تزيين الشـيطان له سـوء عمله وحسب، بل إضافة إلى ذلك رؤيته لهذا العمل على أنه حسـن، ثم التعبير بإن واسمية الجملة لتوكيد المعنى الذي هو هداية اللّه لمن يشـاء له الهداية، وإضـلاله لمن يريد له الضـلال، وفي هذا تسـلية لرسـول اللّه حيث لا يملك الهداية، وإنما يملك التبليغ، والهداية أو الضلال من اللّه، ثم النهى عن ذهاب النفس حسرة على ضلالهم، وهذا تجريد حيث الرسـول ونفسه شيء واحد، فجُعِلا شيئين؛ لتقرير المعنى في النفس، وبيان شـدة حرصـه على هداية هؤلاء الناس حرصًا يكاد يزهق نفسـه، ويهلك روحه.

وكان ذلك كله مُعِينًا في الآية على أداء المعنى بالصورة الحسنة التي رأيناها. ومما سبق يتضح لنا كيف أثر الحذف في تعدد المعاني – بل اختلافها – حسب تقدير الكلام، وهذا مما يتميز به القرآن الكريم لاحتماله وجوهًا مختلفة من التفسير وكما في الحديث: إن القرآن حمَّال أوجه فاحملوه على أحسن وجوهه»(٦٩).

ت) ما يحتمل حذف المبتدأ أو الخبر: ومن أمثلته:

(أ) قوله تعالى ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] ووردت مرة أخرى في السورة نفسها مع اختلاف التعقيب: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

يصلح هنا تقدير مبتدأ محذوف هو: صبري صبر جميل، أو أمري صبر جميل، ويصلح تقدير خبر محذوف تقديره: فصبر جميل أمثل بي، أو أجمل بي. فتَرْك المصدر هكذا أُريد امتلاء العبارة به؛ لأنه الأليق بحاله، ليس أمامه سواه، فحُذِف لبيان ما يحتاج إليه الآن، وهو الصبر الجميل، فتقدير مبتدأ: (فصبري) يفيد وصف يعقوب لصبره بأنه صبر جميل، وتقدير خبر محذوف بيان لما يحتاجه حاله الآن، وكأنه يعزي نفسه بفقد أولاده – في الموضعين معًا – فأي التقديرين يفضل الآخر؟

نقل الدكتور محمد أبو موسى عن السعد التفتازاني(٧٠) ترجيح حذف المسند إليه بمرجحات منها:

١. أن حذف المسند إليه أكثر وقوعًا في كلامهم من حذف المسند فحمل الآية عليه أولى.

٢. أن سوق الكلام للمدح بحصول الصبر ليعقوب، وحين يكون المحذوف

هو المسند إليه والتقدير: أمري صبر جميل يكون هذا الكلام دالا على حصول الصبر له. أما تقدير أن يكون المحذوف مسندًا، وأن الأصل: فصبر جميل أجمل فليس فيه ما يدل دلالة مباشرة على حصول الصبر لسيدنا يعقوب [٧١].

غير أنني أرى أن حذف الخبر أولى، وترجيحات السعد ليست قوية؛ لأن المسند إليه أو المسند ليس أحدهما بأكثر وقوعًا في الكلام ما لم يستلزمه السياق والمقام، وإن كثرت أمثلة حذف أحدهما فليس لشيء راجع إلى الاستعمال اللغوي، وإنما للمتكلم باللغة وهو محكوم بالحال التي يتحدث فيها، أما قوله: (إن سوق الكلام للمدح بحصول الصبر) فالأمر ليس كذلك؛ حيث إن تقدير المسند إليه يفيد أمرين:

أولهما: تزكية نفسه حيث يصف صبره بأنه صبر جميل، وهذا لا يكون من الأنبياء؛ الذين يتواضعون في عبادتهم، واستئناسًا لذلك نذكر قوله تعالى ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر ٦].

الأمر الثاني: إن التعبير بالجملة الخبرية يفيد كذلك امتلاك يعقوب للصبر الجميل وهو لا يعلم أيصبر أم لا.

إن القول بأن المحذوف هو الخبر أولى؛ لأن الحذف من الأواخر أولى كما ذكر ابن هشام [٧٢]، كما أن يعقوب يذكّر نفسه، ويصبّرُها، ويعلّم أولاده أن الصبر في هذه المواقف أليق، ومن هنا كان القول بحذف الخبر أولى من غيره.

(ب) قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [النور:٥٣] يجوز أن يكون التقدير: أمركم طاعة، أو طاعتكم طاعة معروفة على حذف المسند إليه، ويجوز أن

يكون التقدير: طاعة معروفة أولى لكم، أو أمثل بكم، والآية في سياق حديث عن المنافقين الذي يتولون عن حكم الله ورسوله إذا لم يكن في صالحهم، ويتبعونه إذا كان الحكم لهم، ثم تُبيِّن الآيات موقف المؤمنين الصادقين، ثم تعرض صورة أخرى للمنافقين؛ وهي قَسَمُهم على الخروج إذا أمرهم الرسول للجهاد، والجواب من الله ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ ولكن أي التقديرين أولى بالآية؟

الحق أن كلا التقديرين يُرَجَّح ولكن باعتبار مختلف عن الآخر، فنرجح حذف المسند لو نظرنا في سياق الآية من حيث إن الحديث مع المنافقين، فيكون المعنى: طاعة معروفة أمثل بكم؛ ليكون ذلك توجيها لهم لكي يمتثلوا طاعة الله – عز وجل –. ويترجح حذف المسند إليه فيصبح المعنى: أمركم طاعة، أو طاعتكم معروفة هي طاعة المنافقين على سبيل الاستهزاء بهم، فيكون الكلام على اشتهار حالهم. وقد رجح ابن جنى هذا الوجه واستدل عليه بقول عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ وإِنْ كُنْتُ قَدْ كُلِّفْتُ ما لم أُعَوَّدِ (٧٣)

فقد رأينا كيف يمكن ترجيح الأمرين كل واحد منهما على اعتبار غير الآخر. ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠، ٢١] (٧٤).

ث) ما يحتمل محذوفات متعددة:

١- ما يحتمل حذف مبتدأ أو خبر أو فعل:

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١] والاسم

الموصول (الذي) يجوز فيه ثلاثة أوجه: أن يكون:

١. المحذوف هو المسند إليه وتقديره، معيدكم الذي فطركم.

٢. المحذوف هو المسند، وهو خبر تقديره: الذي فطركم يعيدكم.

٣. المحذوف مسند أيضًا لكنه فعل، تقديره: يعيدكم الذي فطركم، وقد صرح بالفعل في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] وقد رجح السمين حذف المسند إليه؛ لأن فيه مطابقة بين السؤال والجواب (٧٥).

٢- ما يحتمل حذف مضاف، أو حرف جر، أو لام تعليل:

ومن أمثلته قوله تعالى﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥] فالمصدر المؤول فيه ثلاثة أوجه: أولها: أنه مفعول لأجله على حذف مضاف أي: فلا تتبعوا الهوى محبة أن تعدلوا، أو إرادة أن تعدلوا. ويكون معنى العدل هو: العدل عن الحق أو الجور، وقدره أبو البقاء: «مخافة أن تعدلوا عن الحق(٧٦) وجعله ابن عطية محتملًا الأمرين (أي العدل) فيكون تقديره: محبة أن تعدلوا، ويكون العدل معناه القسط، أو مخافة أن تعدلوا، ويكون العدل معناه العدول عن الحق» (٧٧).

الثاني: حذف حرف جر ولا النافية، ويكون المعنى، فلا تتبعوا الهوى في ألا تعدلوا أي في ترك العدل.

الثالث: أنه على حذف لام العلة، والتقدير: فلا تتبعوا الهوى لأن تعدلوا، ويكون العدل هنا محتملًا الأمرين العدل بمعنى الجور، ويؤيده سبق المصدر باتباع الهوى أي: فلا تتبعوا الهوى لتجوروا، وقد يكون العدل بمعنى القسط أي: لا تتبعوا الهوى؛ لأن اتباعه مع العدل يكون منافيا.

وقد ظهر لنا أن الحذف كان لأجل أن تحتمل الآية هذه الإعرابات جميعًا فكان الحذف مؤديًا إلى تعدد المعنى [٧٨].

هـ - حذف المضاف وتعدد المعنى:

ومن المواضع التي حذف فيها المضاف لكي يتعدد المعنى الاستعاذة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، وتلحق بها آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل ٩٨] فإنه يُقدّر في الاستعاذة أمور: أعوذ بالله من وسواس الشيطان الرجيم، أو شر وسواس الشيطان الرجيم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾ [الناس ٤]، أو من همز الشيطان الرجيم لقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون ٩٧] ويمكن أن يكون المحذوف: من نزغ الشيطان الرجيم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ [فصلت ٣٦] ويرجح العز بن عبد السلام التقدير الأول، وهو من وسواس الشيطان، أو من شر وسواس الشيطان، وحجته في ذلك أن الشيطان يوسوس للقارئ القرآن في تحريفه وتبديله وتنزيله على غير مراد الله منه[٧٩] وهذا تعليل جيد خصوصًا حين نعلم أن التقديرات الأخرى مسبوقة بأمور تتم الاستعاذة منها؛ ففي فصلت نجد الآية مسبوقة بحديث عن الإساءة، وردّها بالإحسان حتى يتحول مَنْ أمامك من العداوة إلى الحميمية، ولا يقدر على ملك نفسه إلا الصابرون ذوو الحظ العظيم، وربما لا يصبر المرء على رد الإساءة بالإحسان، بسبب نزغ الشيطان، فهو نزغ للانتقام، وردّ السيئة بالسيئة، أما في تلاوة القرآن فالإنسان يبدأ مستعيذًا بربه من وسوسة الشيطان في الانشغال عن القراءة أو التحريف والتبديل وغير ذلك [٨٠].

و- حذف الحرف وتعدد المعنى:

من المواضــع التي حذف فيها الحرف، وقصــد منه تعدد المعنى قوله تعالى: ﴿ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النســاء ١٢٧] و(رغب) من الأفعال التي يؤثر فيها حرف الجر تأثيرًا عكسيًا؛ إذ الحرف يجعل الفعل من الأضداد؛ فاستعمال حرف الجر (في) يفيد المحبة والرغبة الشديدة في الشيء، واستعمال حرف الجر (عن) يفيد البغض والعدول عن الشيء، وقد أشار د. ردة الله إلى أن العدول أو المفارقة في هــذه الآية ليســت معجمية فحســب بل هــي معجمية تركيبية؛ حيــث إن الفعل قد انفك عن علاقة التطالب المباشــرة بينه وبــين الحرف، وقد كان محتاجا إلى عنصــر سياقي آخر في تحرير دلالته هو والحرف قلما انفك عنه صارت المفارقة معجمية تركيبية [(٨١)]. والآية في سياق الحديث عن البنات اليتامى ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ وقــد أجــاز المفســرون تقديــرَ كلا الحرفــين (في وعن) في الآية، ومع (في) يكــون المعني: (وترغبون في نكاحهن؛ لأنهن جميلات صــاحبات أموال)، ومع (عن) يكون المعنى: (وترغبون عــن نكاحهــن لدمامتهن وقلة أموالهــن). وقد كان حَذْف الحــرف مرددًا المعنى بين الرغبة فيهن، والرغبة عنهن؛ ليشمل الأمرين جميعًا من الولي، كي يعلم أنه محــاط بعلم الله وجبروته في حال الرغبة في اليتيمــة، أو الرغبة عنها، وإن كان لابد من ترجيح حذف أحد الحرفين على الآخر فســياق الآية يرجح «عن» حيث قول الله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ والولي لا يعطــي اليتيمة حقهــا، ولا يرغب في زواجها إذا كانت دميمة، ثم يشــهد لذلك حديث عائشــة الذي رواه البخاري ومسلم: «وترغبون أن تنكحوهن رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال...» [(٨٢)]

ولعل من نافلة القول أن نذكر أن حذف الحرف كان لاحتمال الأمرين ليبقى الوصـي في حال الرغبـة في اليتيمة، وحال الكـره لها خائفًا مـن الله مراقبًا له، فـإن رغب في اليتيمة فليعطها مالها ومهـر مثلها، وإن رغب عنها فليعطها مالها، وليزوجها من الكفء دون خوف أن يشركه الزوج في مالها.

ثالثًا: أثر حذف الجملة في تعدد المعنى(٨٣):

ذكرنـا أن حـذف الفعـل والفاعـل يـؤدي إلـى تعـدد المعنـى، وكذلـك يـؤدي حـذف المبتـدأ والخـبر، وحـين تحـذف الجملـة أيضـاَ تـؤدي إلـى تعـدد المعنـى، ومـن أمثلـة حذفهـا قولـه تعالـى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقـرة ٥٤] ففـي قولـه تعالـى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ حذف، وفي تقديره أمران حيث الفاء عاطفة على محذوف وهذا المحذوف أحد أمرين:

١. أن يقـدر: (فـإن فعلتم فقد تاب عليكم) فيكون الكلام من موسـى عليه السلام.

٢. أن يقدر: (ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم) فيكون هذا كلامًا من الله –عز وجل–لهم على سبيل الالتفات، فيكون الكلام خبرًا يقصد به التذكير بنعم الله عليهم.

وقد كان الحذف سـببًا لجعل الكلام يحتمل الأمرين، ولو أردنا ترجيح أحد الأمرين على الآخر فإننا ننظر في السياق حيث الآية مسوقة لتذكير بنى إسرائيل بنعـم الله عليهـم؛ حيث اتخـذوا العجل إلهًـا دون الله، وبين لهم موسـى طريقة التوبـة، والرجوع إلى الله بأن يقتلوا أنفسـهم توبة إلـى بارئهم فتاب الله عليهم.

وقـد عطفت الفاء على المحذوف أي: ففعلتم «إشـارة إلـى تعقيب جرمهم بتوبته تعالـى عليهم، وعدم تأخيرها إلى ما بعد استئصـال جميع الذين عبدوا العجل، بل نسـخ ذلك بقرب نزوله بعد العمل به قليـلًا، أو دون العمل به، وفي ذلك رحمة عظيمة بهم؛ إذ حصل العفو عن ذنب عظيم بدون تكليفهم توبة شاقة، بل اكتفاء بمجرد ندمهم، وعزمهم على عدم العود لذلك» (٨٤)

وكون الكلام خطابًا من الله أولى من جعله كلامًا من موسـى عليه السـلام لأمرين:

١. أن جعل الكلام من موسـى يجعل تذكير بني إسـرائيل بنعم الله عليهم ضمنًا وليس صراحة.

٢. أنـه يلزم منه حذف شـرط ليس عليـه دليل حتى إن جواب الشـرط لم يظهـر فيه عمل الأداة المحذوفـة، فهو حذف كون الكلام خطابًا من الله للقوم، وليس من موسى للقوم. والحذف في الآية يفيد الامتثال من هؤلاء النـاس لأمـر الله –عز وجل–بعد أن سـقط في أيديهـم، ورأوا أنهم قد ضـلوا، فطوت الآية ذكـر فعلتهم وعجلت بتوبـة الله تعالى عليهم، ولعل هـذا يعكس عظيم فضـل الخالق على بني إسـرائيل إذ إنهم بمجرد أن تابوا قَبِل الله توبتهم.

المبحث الثاني

ما يحتمل الحذف وعدمه

وأثر ذلك في أداء المعنى

كما رأينا الحذف مؤديًا إلى تعدد المعنى نجد الحذف أحد الأوجه الممكنة لتصحيح الإعراب، أو لبيان المعنى، أو لاستقامة الكلام، أو لتعدد المعنى، ودليل ذلك اختلاف النحاة والمفسرين في تأويل الآية، فمن قائل بالحذف، وقائل بعدم الحذف، وإذا كان الحذف عدولًا فإنه مخالفة للأصل الذي هو الذكر، وما دام الحذف مخالفة للأصل فإننا لا نلجأ إليه إلا لاستقامة المعنى أو الإعراب.

ومن هنا نقول: إذا دار الكلام بين الحذف وتركه، فتركه أولى لكن ليس الأمر كذلك دائمًا، فقد تكون هناك مرجحات ترجح الحذف على الذكر، وسيتضح ذلك من خلال تناولنا للآيات.

أولًا: احتمال حذف الفعل أو عدم حذفه:

ومن الآيات التي يقدر الحذف فيها سبيلًا إلى فهم المعنى قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَسِقِينَ ﴾ [الذاريات: ٤٦]، والقراءة التي نحن عليها بنصب (قوم) وفي تخريج هذه القراءة أقوال منها:

١. أنها منصوبة بإضمار فعل تقديره: "أهلكنا" لدلالة الكلام قبله عليه، ويكون المعنى: وأهلكنا قوم نوح من قبل.

٢. أنها منصوبة بـ "اذكر" مقدرًا أي: اذكر قوم نوح من قبل، ولم يذكر الزمخشري [٨٥] غير هذين الوجهين، وأولهما أقوى من الثاني في أداء المعنى؛ لأنه يدل على الهلاك بسبب فسقهم، والثاني يصفهم بالفسق فحسب.

٣. أنها معطوفة على ﴿فَنَبَذۡنَاهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ ولكن يعترض على هذا الإعراب بأنهم لم يغرقوا في اليم، حتى يصير المعنى: فنبذناهم ونبذنا قوم نوح في اليم، وهذا غير صحيح؛ لأن العطف يقتضي التشريك في المتعلقات.

٤. أن تعطف على مفعول فـ "أخذتهم"، وفي هذا مثلما في السابق؛ لأنهم لم يهلكوا بالصاعقة.

٥. العطف على مفعول فـ "أخذناه". والمعنى: فأخذناه وجنوده وأخذنا قوم نوح.

وأرى أن أحسن التوجيهات هو الأول؛ إذ إننا نتصيد فعلًا من الكلام، حيث العطف على مفعولات سبقت يؤدي إلى خلل في المعنى، فالأولى أن يقدر: وأهلكنا قوم نوح.

وقد كان مجيء (قوم) منصوبة هكذا مؤديًا إلى كثرة التأويلات التي يكون منها الحذف، والحذف له أثر فاعل في أداء المعنى حيث شُهِر أمر قوم نوح حتى صار لا يحتاج إلى تذكير بهلاكهم.

ومن الأمثلة التي تعدد المعنى فيها باعتبار الحذف وعدمه قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢] ذكر الزمخشري في إعراب الظرف (إذ) وجهًا واحدًا هو كونه بدلًا من يوم الفرقان[٨٦]. وزاد الفخر الرازي وجهًا آخر – غير هذا – أنه متعلق بمضمر معناه: واذكروا إذ أنتم كذا وكذا [٨٧]، وجاء السمين فذكر في الظرف أربعة أوجه من الحذف:

١. أنه منصوب بـ "اذكروا" مقدرًا.

٢. أنه بدل من "يوم الفرقان".

٣. أنه منصوب بـ "قدير".

٤. أنه منصوب بـ "الفرقان"(٨٨).

أما الوجه الثالث فقد استبعده السمين حين قال: «وهذا ليس بواضح؛ إذ لايتقيد اتصافه بالقدرة بظرف من الظروف»، وهذا التعليل الذي ذكره السمين جيِّد؛ لأن المعنى يصير: (والله على كل شيء قدير حين كنتم بالعدوة الدنيا) وليس الأمر كذلك، فالله قدير في كل حال. فيبقى الأمر مترددًا بين ثلاثة الأوجه الأخرى، والمعنى يحتملها جميعًا فحين نجعل الظرف منصوبًا بيوم الفرقان يكون المعنى: يوم الفرقان حين كنتم بالعدوة الدنيا، و حين نجعل الظرف منصوبًا بالفرقان يكون المعنى، فَرَّق بين الحق والباطل حين كنتم بالعدوة الدنيا، وحين ينصب بـ "اذكروا" محذوفًا يكون ذلك تذكيرا بنعم الله عليهم وأرى أن هذا المعنى أوفق للسياق- والله أعلم – لأمرين:

١. أنَّ السياق يبين أن الله يُعَدِّدُ نعمه على عباده المؤمنين، وهم في حالة حرجة كان فيها المسلمون قليلًا مستضعفين، وكانوا في هذا الموضع أمام عدو قوي معه عدته وعدده، ومع ذلك نصر الله جنده المؤمنين، ولو لم يكن القصد تذكير الناس بنعمه عليهم لما تحدث عن وصف المَنْزِل بأسلوب مطنب وليس قصدًا من مقاصد القرآن أن يصف المنازل.

٢. أنّ الآية قد تقدمها في السورة نفسها لفظة (اذكروا) في قوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال ٢٦]

فرُجِّح الحذف من هذين الوجهين، ولعل سر الحذف في الآية أن يلفت النظر إلى الموقف دون المواجهة بأخذ العبرة، وهو تعليم المؤمنين، وتأديب لهم بأدب عالٍ هو من عند اللّه، ولعل ذكر هذه النعم جاء بعد الحديث عن تقسيم الغنائم التي نهوا عن أخذها في أول السورة، حين اختلفوا عليها، فنزعها اللّه منهم، وجعلها للّه والرسول حتى هدأت النفوس، واستسلمت لربها وخالقها، الذي كان له الفضل عليها، ثم بعد أن تذكروا نعم اللّه عليهم أُمِروا بتقسيم الغنائم كما يريد اللّه -عز وجل- وليس كما يريدون هم، ثم ذكر نعمه عليهم بعد ذلك؛ لتذعن النفوس أشد الإذعان، وتأتمر بأمر اللّه تعالى؛ فكان الحديث هكذا ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا﴾. وليكون المحذوف فعلًا للأمر مسندًا لواو الجماعة (واذكروا).

وأرى أن هذا التقدير أبرُّ بالمعنى وأحق به من غيره، وإن كانت المعاني الأخرى ممكنة واردة. وهكذا رأينا أن الحذف قد يكون أحد الأوجه الممكنة في تعدد المعنى للآية الكريمة.

ثانيًا: احتمال حذف الفاعل أو عدم حذفه:

ومن الآيات التي تردد المعنى فيها بين حذف الفاعل وعدمه قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [الأنعام ٩٤] وفاعل الفعل (تقطع) يجوز فيه أمران: أولهما: أن يكون هو الظرف (بينكم) لكنه استعمل منصوبًا حملا له على أغلب حالاته. والثاني: أن يكون الفاعل محذوفًا وحذفه يحتمل أمورًا:

١. أن يكون المقدر مصدر "تقطع"، أو (الأمر).

٢. الاسم الموصول (ما).

٣. أن (بينكم) صفة قامت مقام الموصوف أي: أمرٌ بينكم.

فعلى القول بأن الفاعل مذكور يصبح المعنى: لقد تقطع بينكم، فالذي تقطع البين، أما كونه محمولاً على الحذف فهو الأفضل، ولكن أي المعاني السابقة يقدَّر: ذكر الزمخشري: لقد وقع التقطع بينكم كما تقول: جمع بين الشيئين تريد: أوقع الجمع بينهما على إسناده الفعل إلى مصدره بهذا التأويل[٨٩]، ولقد كان الزمخشري دقيقًا حين قال: وقع التقطع بينكم؛ لأنه لو جاء بالفعل ومصدره لناقض المعنى؛ إذ يكون الكلام: لقد تقطع التقطع فيفيد الوصل بينهم وهو غير مراد؛ لأن المقصود حصول التقطع، وقد كان الفاعل اسمًا مبهمًا مما يناسب التقطع «فيقدر لقد تقطع الحبل أو نحوه قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة ١٦٦]. وقد صار هذا التركيب كالمثل بهذا الإيجاز، وقد شاع في كلام العرب ذكر التقطع مستعارًا للبعد وبطلان الاتصال تبعًا لاستعارة الحبل للاتصال»[٩٠]. والحديث عن وشائج تُقَطَّعُ فناسب المقام ألاَّ تذكر، وسياق الآية يساعد على ذلك؛ إن كل شيء تخلى عن هؤلاء الناس من أموال وأولاد وشركاء، فحذف الفاعل لذلك، وقد أسهم الحذف في بيان المعنى، وكان أحد الأوجه الممكنة في الآية بل كان أرجح الأوجه الممكنة فيها.

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف ٣٥] وفي فاعل الفعل (بدا) أقوال منها:

١. أنه ضمير يعود على السجن أي: ظهر لهم حبسه، أو سجنه لقوله تعالى قبل ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾، وقوله في الآية نفسها: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾.

٢. أنه ضمير لمصدر الفعل، والتقدير: بدا لهم بِدَاء.

٣. أنه مضمر يدل على السياق أي: بدا لهم رأي.

٤. أنه الجملة من (ليسجننه)

وهذا رأي الكوفيين الذين يجيزون وقوع الجملة فاعلا أو نائب فاعل، وسياق الآية يبين صدق يوسف وبراءته، وإدانة امرأة العزيز بالمراودة، ثم هي تحتال لكي يكون قريبًا منها لعله يلين يومًا، وقد بينت عزمها الأكيد على حبسه حين قالت: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ أكدت السجن بالنون الثقيلة لقدرتها عليه، ثم أرادت تأكيد صَغاره فتذكرت أن ذلك لا تملكه، فخففت في التأكيد واستخدمت النون الخفيفة؛ لعدم قدرتها على ذلك، ثم بعد أن ظهرت براءته للعزيز تغيّر رأيه، فقرر أن يسجنه، ولعل هذا السياق يرجح الرأي الأول في جعل الفاعل مضمرًا، وليس محذوفًا والدليل عليه ذكر لفظة (السجن) قبل الآية، وفي أثناء الآية، وهذا أولى من بقية التقديرات؛ حيث إن الأمر لا يحتمل التأجيل. ولو قلنا: بدا لهم بِداء، أو بدا لهم رأي لاحتمل ذلك أن هذا الرأي سيأخذ مشاورات ومداولات، والعزيز يريد التخلص من يوسف بسجنه ليقطع ألسنة المتحدثين، والرأي الأخير الذي هو رأي الكوفيين لا يصلح؛ لأنه معارض بما هو أقوى منه حجة وهو الرأي الأول.

ثالثًا: حذف المبتدأ أو عدم حذفه:

ومن الآيات التي كان الحذف فيها من الأوجه الممكنة في أداء المعنى قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة 1] ويجوز في (براءة) أمران:

أولهما: أن تكون مبتدأ، و ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم﴾ خبره، وجاز الابتداء بالنكرة؛ لأنها خُصِّصَتْ بالوصف.

والثاني: أن تكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: هذه براءة من الله ورسوله.

وهكذا يمكن أن يكون الحذف وجهًا من وجهي المعنى في الآية؛ إذ إنه يسهم

في أداء الغرض، فيكون قوله: (براءة) خبرًا لمبتدأ محذوف وقد «افتتحت السورة كما تُفْتَتَحُ العهود، وصكوك العقود بأدلّ كلمة على الغرض الذي يراد منها كما في قولهم: هذا ماعهد به فلان، وهذا ما اصطلح عليه فلان وفلان، وقول الموثقين: باع، أو وكّل، أو تزوج، وذلك هو مقتضى الحال في إنشاء الرسائل والمواثيق ونحوها»(٩١).

ولعله قد تآزر مع الحذف حذف آخر هو حذف البسملة من السورة، وسبب ذلك ما نقله الزمخشري في تفسيره أن سفيان بن عيينة سئل عن ذلك فقال: اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء ٩٤] ففي حذف البسملة احتراز من الوقوع في التناقض لما في البسملة من الأمان والرحمة، وما في قوله: (براءة) من شدة القطع والنبذ وإعلان المحاربة، ولا يفهم حذف البسملة هنا إلا حين ننظر إلى القرآن نظرة كلية، أو ما يمكن تسميته بالسياق العام للقرآن كله؛ إذ إننا نتحدث عن السياق الخاص هنا سياق الآية، وأحيانًا نتعرض لسياق السورة بيد أن النظر في السياق العام للقرآن يجعل هذا الرأي صائبًا، وقد قال حذيفة: إنكم تسمونها سورة التوبة، وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركتْ أحدًا إلا نالت منه(٩٢) ولم يعرف سورة في القرآن أشد منها قسوة وعنفًا مع الكافرين فهي التي نبذتِ العهود، وحرضتْ على القتال، ومنعتِ المشركين من دخول البلد الحرام، وفضحتِ المنافقين، وهتكتْ أسرارهم، وقيل إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما كتب في صلح الحديبية «بسم الله الرحمن الرحيم» لم يقبلوها، وردوها مما ردها الله عليهم(٩٣) وأيًّا ما كان الأمر فإن مدار ترك البسملة يرجع إلى الاتباع، ولعل من علل تركها إذا جاز لنا أن نجتهد فيه عدم التناقض؛ لأن البسملة أمان، والسورة نزلت بالعذاب، وبدأت بالبراءة من المشركين، وقد ذكر

كثير من العلماء أنها تكملة لسورة الأنفال، إذ هما سورة واحدة تكملان السبع الطوال، ولكني لا أرجح ذلك إذ إن سورًا في القرآن كثيرة ذكر العلماء أن الثانية منها تكملة للأولى، وذكرت بينهما البسملة، ومن ذلك سورتا الضحى والشرح، فإن الشرح إكمال لموضوع سورة الضحى، وهو تعديد نعم الله على رسوله –صلى الله عليه وسلم– ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ*أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

ومن الأمثلة سورتا الفيل وقريش: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، وممن عدّ السورتين واحدة أبيُّ بن كعب، ولا فصل بينهما في مصحفه [٩٤]. «وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب، وقرأ في الأولى والتين» [٩٥].

نعود إلى حديثنا في حذف المبتدأ كوجه من الأوجه المحتملة في الآية؛ حيث إن القول بالحذف يجعل المعنى: هذه ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ واعتبار عدم الحذف يجعل المعنى: براءة من الله ورسوله كائنة إلى الذين عاهدتم، أو حاصلة أو نحو ذلك فكان الحذف وجها ممكنا في الآية يسهم في أداء المعنى.

ومن أمثلة احتمال الحذف وعدمه وأثر ذلك في تعدد المعنى قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح ٢٩] فقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ فيه وجوه:

أحدها: خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو محمد الذي سبق ذكره بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [الفتح ٢٨] ورسول الله عطف بيان.

ثانيها: أن محمدًا مبتدأ خبره ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾، وهذا تأكيد لما تقدم؛ لأنه لما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ ولا تتوقف رسالته إلا على شهادته، فقد شهد له بها من غير نكير.

وثالثها: وهو مستنبط، وهو أن يقال: محمد مبتدأ و﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ عطف بيان سيق

للمدح لا للتمييز (والذين معه) عطف على محمد، وقوله: أشداء خبره كأنه قال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٩٦) فيشترك محمد رسول الله وأصحابه في الحكم المذكور بعد ذلك؛ وهو الشدة على الكفار، والرحمة فيما بينهم، وهكذا رأينا أن أحد الأوجه الثلاثة التي عرضها الرازي في معنى الآية يقوم على أساس تقدير حذف في الكلام؛ وهو المبتدأ، ومن ثم يسهم الحذف في إيجاد معنى للآية مغاير للوجهين اللذين لم يقدر فيهما الحذف، إذ يكون معنى الآية مع القول بالحذف: هو الذي أرسل رسوله بالهدى وهو محمد رسول الله، وهو معنى جيد يفوق المعاني الأخرى، وبخاصة حين نضع سبب نزول الآيات أمام أعيننا، فليس غرض الكلام بيان إثبات الرسالة له –صلى الله عليه وسلم– ولكن المقصود تعريفه؛ لأنه قد سبقت له صفات: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ وقبلها: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ فتحرك السامع أن يعرف من هذا الرسول؟ فقيل: هو محمد، وفي ذلك تعديد لمناقبه، يقول ابن عاشور: «وفي هذا نداء على إبطال جحود المشركين رسالته» حين امتنعوا من أن يكتب في صحيفة الصلح: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، وقالوا: «لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت» (٩٧).

ومن الأمثلة التي كان فيها الحذف أحد الأوجه الممكنة في الآية قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ﴾ [الأحقاف ٣٥] فقوله: "بلاغ" فيه وجهان:

أولهما: أنه خبر مبتدأ محذوف وفي تقديره أمران:

١. تلك الساعة بلاغ بدليل سبق الكلمة بقوله: ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾.

٢. هذا بلاغ ويشار بهذا إلى القرآن والشرع.

أما الوجه الثاني: فتكون بلاغ مبتدأ وخبره ﴿لَّهُمْ﴾ السابقة عليه بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾، وعند ذلك يقف القارئ على: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل﴾ ثم يبدأ: ﴿لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ﴾ إذًا يجوز أن يكون في الكلام حذف أو لا يكون. والقاعدة العامة أنه: إذا دار الكلام بين الحذف وتركه فتركه أولى، وهذه القاعدة ليست على إطلاقها إذ المراد منها مناسبة المعنى؛ فلو كان المعنى بالحذف أقوى رجح الحذف على عدمه، وهذا ما يمكن أن نقوله هنا، إذ الحذف يقوي المعنى هنا ويكون راجحًا لأمرين:

١. لأن عدم الحذف فيه تكلف؛ حيث فصل بين المبتدأ أو الخبر بجملة تشبيهية طويلة.

٢. ولأن ﴿لَّهُمْ﴾ ظاهر التعليق بالفعل ﴿تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ حتى وصف السمين هذا الوجه بأنه (ضعيف جدًا)[٩٨].

ونقل القرطبي عن ابن الأنباري قوله: (وهذا خطأ)[٩٩] ولعل مما يؤيد القول بالحذف أمرين:

١. أن هذا المحذوف قد ظهر في موضع آخر، وما ذكر في القرآن معتبر، وهو في قوله تعالى ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ﴾ [إبراهيم ٥٢].

٢. قراءة أبي مجلز التي نقلها السمين في الدر[١٠٠] وهي: (بَلِّغْ) بصيغة الأمر؛ حيث إنها تفيد أن المقصود من هذه اللفظة قضية التبليغ، وليس البلوغ؛ إذ إن المعنى على عدم الحذف يكون: (لهم بلاغ) أي: أَجَلٌ يبلغونه، وليس الأمر كذلك، وإن كان محتملًا لكنه ليس راجحًا، والأفضل والأبر بالمعنى: (هذا بلاغ) حيث السياق في السورة كلها من أولها، وهي تتحدث عن إعراض الذين كفروا، ثم إبطال آلهتهم بالتحدي، وتسفيه من يدعو من دون الله شركاء، ثم الرد عليهم في قولهم عن القرآن:

(سحر مبين)، وقولهم: (لو كان خيرًا ما سبقونا إليه)، وموقف المكذب بيــوم القيامة العاق لوالديه، ثم الحديث عن عاد وما كان من تكذيبهم، وقد كانوا من أشــد النـاس قوة، ثم الاتجاه إلى أهل مكة، وبيان تمكينهم كمــا كان مــن قبلهم ممكنين، ثم الإهلاك للظالمين مــن أهل القرى، ثم إيمان الجن، ثم عظمة الله وقدرته، وعرض الكافرين على النار، وبيان مصــير المكذبــين، ثم الأمر بالصــبر عليهم، وعدم طلــب العذاب لهم، وبيان أنهم سوف يحتقرون حياتهم في الدنيا، ثم كان التوجه لهم بقول: بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاســقون؟ فبعد هــذه التطوافة في تكذيبهم، وتخويفهــم بمــا كان قبلهم، وبما ينتظرهم يوم القيامــة يقول لهم: هذا بلاغ لكم فارجعوا إلى ربكم.

ولعــل حــذف هذا المبتــدأ هنا يجعل هذه الكلمة أشــبه بإعــلان يلفت النظر إفــراده، وذكره دون مبتدأ يتعلق به، وكأن القرآن لا يريد أن يقرع ســمع المكذبين سوى هذه الكلمة؛ لكي تملأ الحس، وتستولي على العقل دون غيرها من الكلمات. وهكــذا كان الحذف أحد وجهين ممكنين في أداء المعنى بل كان الوجه الراجح في الآية الكريمة.

رابعًا: حذف الخبر أو عدم حذفه:

قد يكون الحذف أحد الأوجه الممكنة في الخبر، فيقدر الكلام مرة بالحذف، وأخــرى من غير حذف، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُــمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصــلت ٤١] يمكن حمــل الآية على حذف الخبر، أو على عدم حذفه، فإن قيل بالحذف، فالتقدير يكون بما تدل عليه جملة الحال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ من تعظيم أمره، وإعلاء مكانته فيقدر: معذَّبون، أو مهلكون، أو خســروا الدنيا والآخرة، أو سفهوا أنفســهم، أو نحو ذلك، وإن قيل بأنه مذكور

فهـو إمـا قولـه: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وهذا ضـعيف لطول الفصـل، ولوجود مرجع لاسـم الإشـارة (أولئك) وهو ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وإما أن يكون ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ كَفَرُوا﴾ بدلًا مـن ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ وبذلك يكون الخبر ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ وبه قال الزمخشري، ولم يذكر غيره(١٠١) وهو أوجَه من سابقه. بيد أن القول بحذف الخبر منه أوجَه وأحسن؛ لأن البدل أعيد معه العامل، وهذا غـير مشـهور كما ذكر ابن عاشـور (١٠٢)، ولعل حذف الخبر يفيـد تهويلًا عظيمًا لمـن يكفرون بهذا القرآن حيث سـيلقون شـيئًا هائـلًا بدليل قوله تعالـى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَـابٌ عَزِيـزٌ﴾، ومن يكفر بالكتـاب العزيز لابد أن يكون له عقاب شـديد، وقد رجح الحذف الفخر الرازي أيضًا، بل قال عن وجه الحذف: والأول أصوب(١٠٣). وحـذف خـبر (إن) إذا دل عليه دليل جائز عند سـيبويه، وهو مذكور في الكتاب تحت عنوان: "هذا باب ما يحسـن عليه السـكوت في هذه الأحرف الخمسة (١٠٤)، ولعلنا رأينا الحذف كان أحد الأوجه الممكنة في الآية، وقد أعان السياق والإعراب على تقدير الحذف وجعله وجهًا راجحًا.

ومـن الآيات التـي كان الحذف فيها أيضًـا وجهًا يحمل المعنـى قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحـل ١٠٦] يجوز في ﴿مَن كَفَرَ﴾ عدة أوجه:

١. أن تكـون (مَن) مبتدأ ويكون بجملته بدلا من ﴿الَّذِيـنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ فيكـون المعنى: إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره.

٢. أن تكـون (مَن) بدلا من الخـبر (الكاذبون) ويكون المعنـى: أولئك هم الكاذبون وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه.

٣. أن يكـون (مَن) مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: فعليهم غضـب، ويدل

على الخبر المذكور ما بعد (من) الثانية.

٤. ذكر الفخر الرازي وجهًا رابعًا ملخصه أن ينتصب (مَن) على الذم، فيكون تقدير الكلام: وأولئك هم الكاذبون أعني من كفر بالله من بعد إيمانه يقول: «وهو أحسن الوجوه عندي، وأبعدها عن التعسف» [١٠٥].

ولعلنا قد رأينا الحذف أحد الأوجه الممكنة في أداء المعنى، بل هو الرأي الراجح حيث الوجهان الأولان لا يقومان بأداء المعنى على الرغم من احتمالهما مثلما يقوم الأخيران، فيمكن اعتبار الخبر محذوفًا، أو جعل الاسم (مَن) منصوب المحل على الذم [١٠٦].

خامسًا: حذف المضاف بين اعتبار الحذف وعدمه:

قد يكون الحذف وجهًا معتبرًا في حذف المضاف، فيتردد الكلام بين القول بحذف المضاف أو عدمه، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ ﴾ [النساء: ٤٣] أجاز المفسرون في ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ وجهين:

١) حذف مضاف أي: مواضع الصلاة، وهي المساجد ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾.

٢) أنه لا حذف فيه؛ ويكون المراد عدم قرب الصلاة نفسها، والأول مذهب الشافعي والثاني مذهب الأكثرين [١٠٧] فالمعنى على القول الأول: لا تقربوا المساجد وأنتم سكارى، ولا تقربوها وأنتم جنب إلا عابري سبيل، وبناء على هذا المعنى يجوز للجنب العبور في المسجد، والمعنى على القول الثاني: لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى، ولا تقربوها وأنتم جنب إلا عابري سبيل فيكون المراد من عبور السبيل هنا: السفر (فيكون هذا الاستثناء دليلا على أنه يجوز للجنب الإقدام على الصلاة عند العجز عن الماء) [١٠٨]، وقد آثر القرآن التعبير بالفعل (تقربوا)

منفيًّا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأنعام ١٥١] وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء ٣٢] تنفيرًا من هذه الحالة، وهي قرب الصلاة مقيدة بالسكر، وكان من الممكن أن يقول: (لا تصلوا وأنتم سكارى) لكن هذه العبارة أدل على المعنى؛ لأنها حالة تنافي الصلاة، ونَهْي القرآن عن قرب أفضل ركن من أركان الإسلام يفيد التنفير من السكر عامة؛ لأنه يمنع من الصلاة، وكان في ذلك إيذان بتغيير حكم الخمر إن كانوا مؤمنين بدليل بدء الآية بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وقد رجح أصحاب الشافعي الرأي الأول القائل بأن في الآية حذفًا، ونقل الرازي استدلالهم، وذكروا أربعة أدلة على كلامهم:

١. أنه تعالى قال: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ والقرب والبعد لا يصحان على الصلاة نفسها على سبيل الحقيقة، وإنما يصحان على المساجد.

٢. أنّا لو حملناه على ما قلنا لكان الاستثناء صحيحًا، أما لو حملناه على ما قلتم لم يكن صحيحًا؛ لأن من لم يكن عابر سبيل، وقد عجز عن استعمال الماء بسبب المرض الشديد، فإنه لا يجوز له الصلاة بالتيمم، وإن كان كذلك كان حمل الآية على ذلك أولى.

٣. أنّا إذا حملنا عابر السبيل على الجنب المسافر فهذا إن كان واجدًا للماء لم يجز له القرب من الصلاة البتة، وحينئذ يحتاج إلى إضمار هذا الاستثناء في الآية. وإن لم يكن واجدًا للماء لم يجز له الصلاة إلا مع التيمم فيفتقر إلى إضمار هذا الشرط في الآية. وأما على ما قلناه فإننا لا نفتقر إلى إضمار شيء في الآية فكان قولنا أولى.

٤. أن الله تعالى قد ذكر حكم السفر، وعُدْم الماء، وجواز التيمم بعد هذا فلا يجوز حمل هذا على حكم مذكور في آية بعد هذه الآية، والذي يؤكد

أن القراء كلهم استحبوا الوقف عند قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ ثم يستأنف: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى﴾؛ لأنه حكم آخر [١٠٩].

هذه أدلة القائلين بالحذف، غير أن معنى الآية مستقيم بغير الحذف، وكنت قد ذكرت غير مرة مقولة ابن هشام أنه (إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه فعدمه أولى) وهو يقصد بذلك أن الحذف عدول، والذكر هو الأصل، والدليل على أن معنى الآية مستقيم على الحذف ما يلي:

١. قوله تعالى ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ وليس في المسجد -مكانًا- قولٌ يمنع منه السكر.

٢. أن سبب نزول الآية يأبى أن يكون المراد تقدير مضاف، وذلك ما رواه على بن أبي طالب قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعامًا فدعانا، وسقانا خمرًا، وحضرت الصلاة، فقدموني فقرأت فقلت: «قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون»، فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَاتَقُولُونَ﴾ رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح. وسياق الحديث يفيد أن الصلاة لم تكن في المسجد؛ لأن الذي صلى بهم علي ابن أبي طالب، وليس النبي –صلى الله عليه وسلم-، فإذا انضاف إلى ما سبق أن الحذف عدول، والأولى عدم اللجوء إليه إلا عند الحاجة حيث لا يستقيم المعنى إلا به، أو لا يقوم الإعراب إلا بالتقدير ثبت أن الأولى عدم القول بالحذف في هذه الآية.

وقد رأينا كيف أسهم الحذف في معنى الآية، وقد تردد المعنى بين القول بالحذف وعدمه، وقد كان للحذف دور فاعل في بيان حكم شرعي.

ومن الأمثلة قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ

دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ [إبراهيم ٢٨] يقول الزمخشري: «بدلوا نعمة الله أي: شكر نعمة الله كفرًا؛ لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرًا، فكأنهم غيَّروا الشكر إلى كفر، وبدلوه تبديلًا ونحوه ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة ٨٢] أي: شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه. ووجه آخر وهو: أنهم بدلوا نفس النعمة كفرًا على أنهم لما كفروا سُلِبُوها، فبقوا مسلوبي النعمة، موصوفين بالكفر، حاصلا لهم الكفر بدل النعمة»(١١٠).

فعلى الوجه الأول يكون في الكلام حذف تقديره: أنهم بدلوا شكر نعمة الله كفرًا، وعلى الوجه الثاني فلا حذف. والآيات السابقة على هذه الآية حديث للمؤمنين والكافرين، ومثال لهؤلاء وهؤلاء، ثم الله يثبت المؤمنين بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأما الظالمون فيضلهم الله ويفعل ما يشاء، ثم يستأنف سؤالًا تعجيبيًّا، ويأتي بعده بفعل الرؤية، فنزَّل المخاطب منزلة من لم ير ولم يسمع عن هؤلاء، والخطاب لكل من يصح منه النظر إلى حال هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرًا، ونعمة الله هنا كلمة عامة تشمل كل النعم التي وهبها الله لأهل مكة من الأمن في السفر، واحترام الناس، ومجيء الثمرات من كل مكان، وأهم هذه النعم وأولاها وأعظمها رسالة محمد –صلى الله عليه وسلم–وهو دعوة إبراهيم عليه السلام. فكان الأصل أن يؤمنوا بها، فلما كذبوا جعلوا مكان الشكر الكفر، وسبب نزول الآية تكذيب قريش الرسول –صلى الله عليه وسلم–يجعلنا نرجح الرأي الأول القائل: إن في الآية حذفًا أي: شكر نعمة الله كفرًا وإن كان كلا المعنيين يحتمل: كل وجه باعتبار معين (١١١).

سادسًا: المفعول بين القول بالحذف وعدمه:

من أمثلة حذف المفعول على رأي، والقول بعدم الحذف على رأي آخر، قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾

[البقرة ٢٠٠] ذكر السمين في مفعول (آتنا) الثاني ثلاثة أقوال:

١. أنه محذوف اختصارًا أو اقتصارا؛ لأنه من باب أعطى – أي: آتنا مانريد، أو مطلوبنا.

٢. أن (في) بمعنى (من) أي: آتنا من الدنيا و"من" هنا تبعيضية.

٣. أن (في) زائدة. وتقدير الكلام: آتنا الدنيا، ثم كان تعليقه بعد ذلك (وليسا بشيء) (١١٢).

فعلى القولين الأخيرين لا حذف في الكلام؛ لأن كون (في) بمعنى (من) يجعل شبه الجملة سادًّا مسد المفعول المحذوف، فلا حاجة إليه، وكون (في) زائدة يجعل المعنى في قولهم: ربنا آتنا الدنيا، ولكن الأحسن والأفضل والأبر بالمعنى أن يكون المحذوف المفعول الثاني لوجود ما يدل عليه في دعاء طائفة أخرى ترجو رحمة الله ورضوانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فلما كانت الطائفة الأولى لا ترجو الآخرة، ولا تعمل لها قالوا: ربنا آتنا في الدنيا أي: ما نريد، أو آتنا مطلوبنا ولم نقدِّر: (آتنا في الدنيا حسنة)؛ لأنهم لا يريدون الحسنة، ولكن يريدون المال والعيال والمتع التي يتمتع بها أهل الدنيا.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات ١] ذكر الزمخشري في مفعول (تقدموا) وجهين: «أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم. والثاني: ألا يقصد قصد مفعول. ولا حذف ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة كأنه قيل: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل، ولا تجعلوه منكم بسبيل كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [غافر ٦٨] ويجوز أن يكون (قَدَّمَ) من قَدَّمَ بمعنى تَقَدَّم كوجّه وبيّن، ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته؛ وهي الجماعة المتقدمة

منه، وتعضـده قـراءة من قـرأ: (لا تَقَدَّمُوا) بحذف إحدى تـاءي (تتقدموا) إلا أن الأول أملأ بالحسـن، وأشـد ملاءمة لبلاغـة القرآن، والعلماء لـه أقبل» [113] ويستخلص من كلام الزمخشري أن الفعل (تقدموا) يجوز فيه أمران:

١) أن يكون لازمًا أي: لا يصل إلى المفعول ويكون (تَقَدَّموا) مثل وجّه وبيّن.

٢) أن يكون متعديًا وفي هذه الحال يكون المفعول محذوفًا اقتصارًا، وهو عدم القصـد إلى المفعول، بل تتوفر العناية إلى الفعـل مقترنًا بفاعله، مثل: هو يعطى ويمنع أي: يكون منه الإعطاء والمنع دون النظر إلى المعطَى والممنوع، وإما أن يكون محذوفًا اختصارًا، ومعنى الاختصار أنه معتبَر حُذِف لقصد العموم؛ ليشمل كل ما يتناوله التقديم من معنى يقع في النفس.

وقـد اسـتبعد الزمخشـري الـرأي الأول القائل بلـزوم الفعل، وبقـي الرأي الثـاني القائل بتعديته ثم لم يَحْسِـمْ الأمـر، فترك الفعلَ مترددًا بين الاقتصـار والاختصار [114].

وقد رجح أبو السعود القول بالاقتصار؛ لأنه «أوفى بحق المقام؛ لإفادته النهي عن التلبسـ بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المسـتلزم لانتفاء تعلقه بمفعول بالطريـق البرهاني» [115] وقد بدأت السـورة بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُوا﴾ وهو نداء محبب يستميل القلوب لتفعل ما يأتي بعده، أو تنتهي عما ستنهى عنه.

ومـن الأمثلة التي يحتمل فيها الـكلام الحذف وعدمه قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقـرة ١٧١] يقول الفخر الرازي: للعلمـاء من أهل التأويل في هذه الآية طريقان: أحدهما: تصـحيح المعنى بالإضمار في الآية. والثاني: إجراء الآية على ظاهرها من غير إضمار، أما الذين أضمروا فذكروا وجوهًا:

الأول: وهـو قـول الأخفش والزجاج وابن قتيبـة فإنه قال: ومثـل من يدعو

الذين كفروا إلى الحق كمثل الذي ينعق، فصـار الناعق الذي هو الراعي بمنزلة الداعي إلى الحق وهو الرسول –صلى اللّه عليه وسلم– وسائر الدعاة إلى الحق، وصـار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها. ووجه التشـبيه أن البهيمة تسمع الصوت ولا تفهم المراد، وهؤلاء الكفار كانوا يسـمعون صـوت الرسـول –صـلى اللّه عليه وسـلم– وألفاظه، وما كانوا ينتفعون بها وبمعانيها فلا جرم حصـل وجه الشـبه. فالمحذوف هنا هو الداعي.

الثـاني: مثل الذين كفـروا في دعائهـم آلهتهم من الأوثان كمثـل الناعق في دعائه ما لا يسمع كالغنم، وما يجري مجراه من الكلام، والبهائم لا تفهم. فشبه الأصنام –في أنها لا تفهم–بهذه البهائم. فالمحذوف هو المدعو وفي القول السابق المحذوف هو الداعي.

وفيـه سـؤال وهـو أن قوله تعالـى: ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِـدَاءً﴾ لا يسـاعد عليه؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئًا.

الثالـث: قال ابـن زيد: مثل الذين كفـروا في دعائهم آلهتهـم، كمثل الناعق في دعائـه عند الجبل، فإنه لا يسـمع إلا صـدى صـوته، فإذا قال: يا زيد يسـمع من الصـدى: يا زيـد فكذلك هؤلاء الكفـار إذا دَعَوًا هذه الأوثان لا يسـمعون إلا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء.

الطريـق الثـاني في الآية وهو إجراؤهـا على ظاهرها من غير إضـمار وفيه وجهان:

الأول: أن يقـول: مثـل الذين كفروا في قلة عقلهـم في عبادتهم لهذه الأوثان، كمثل الراعي إذا تكلم مع البهائم، فكما أنه يُقضـى على ذلك الراعي بقلة العقل فكذا ههنا.

الثـاني: مثـل الذيـن كفـروا في اتباعهـم آباءهـم، وتقليدهـم

لهم، كمثل الراعي إذا تكلم مع البهائم، فكما أن الكلام مع البهائم عبث عديم الفائدة، فكذا التقليد عبث عديم الفائدة [١١٦].

فقد اختلف المعنى حسب اختلاف الاعتبار؛ فحين نقول بالحذف نقدِّر ما يصحح المعنى، حتى لا يُشَبَّه الكفار بالناعق، وحين نجري الآية على ظاهرها من غير اعتبار للحذف يصبح المعنى على ما ذكرنا [١١٧].

الخاتمة

بعد رحلة ماتعة مع النص القرآني، وتأمل في تركيبه من خلال مفهومين يمكن أن يتآزرا فينتجا معاني جديدة هما: الحذف وتعدد المعنى كان هذا البحث الذي حمل عنوان: الحذف وتعدد المعنى في النص القرآني، ومن خلال تأمل التركيب القرآني وإبراز ما يفيده الحذف لغويًّا من معانٍ كان تعدد المعنى مبرزًا عددًا من النتائج ذكرت بعضها، وتركت أخرى ليستنتجها من يمخر في عباب هذا البحث ومن النتائج التي توصلت الدراسة إليها:

١. يعد الحذف أحد الدوالّ اللغوية الراقية في دراسة علم الدلالة.
٢. أن الحذف في البلاغة القرآنية يفيد -من ضمن ما يفيد- تعدد المعنى.
٣. أن تعدد المعنى يعني أن يحتمل التركيب أكثر من معنى في القراءة الواحدة والسياق الواحد، قد يرجح أحدها على الباقي، وقد يتساوى الجميع في احتمال القصد والإرادة، ولكن الذي لا يكون هو أن يتعين أحدها وينعدم الباقي.
٤. أن من أسباب تعدد المعنى: الوقف والابتداء، واختلاف القراءة، واختلاف مرجع الضمير.

٥. أن من ضوابط تعدد المعنى بالمفهوم الذي آثرناه: اتحاد القراءة، وثبات السياق اللفظي.

٦. أن تعدد المعنى ينتج عن تعدد تقدير المحذوف (الذي قد يكون حرفا أو كلمة) في الجملة الواحدة.

٧. أن الكلام قد يحذف منه جملة وقد تقدر هذه الجملة فيترتب على تقديرها تعددٌ للمعنى.

٨. أن تعدد المحذوف قد ينتج عنه أحكام شرعية.

٩. أن الحذف قد يكون أحد الأوجه الممكنة في أداء المعنى، واستقامة الكلام، وتعدد المعنى حسب اختلاف النحاة والمفسرين في تأويل الآية.

وهناك نتائج أخرى تبرز في أماكنها من الدراسة.

أسأل الله أن ينفع بها وأن يتقبل هذا العمل.

المصادر والمراجع

١. استثمار الأسلوب العدولي في تذوق النص القرآني، د/عيد شبايك، مطابع جامعة المنوفية، ٢٠٠٤ م.

٢. الإشارة إلى الإيجاز، عز الدين بن عبد السلام، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، د.ت.

٣. الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، أحمد بن المنير الإسكندري بهامش الكشاف، مكتبة مصطفي البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٩٧٢م.

٤. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م.

٥. بديع القرآن، ابن أبي الإصبع، تحقيق: د. حفني شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

٦. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، د.ت.

٧. البيان في روائع القرآن، د / تمّام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢ م.

٨. البيان والتبيين. عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ٥، ١٩٨٥ م.

٩. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ت: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٦ م.

١٠. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د. ت.

١١. تراث معاني القرآن في العربية، د/ منير جمعة أحمد، رسالة دكتوراه مخطوطة، مكتبة كلية الآداب، جامعة المنوفية، ٢٠٠٥ م.

١٢. تعدد المعنى في النص القرآني، دراسة دلالية في تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، إيهاب النجمي، رسالة ماجستير، مكتبة كلية الآداب، جامعة المنوفية.

١٣. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

١٤. التفسير البياني للقرآن الكريم، د / عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»، دار المعارف، ط٧، ١٩٩٠م.

١٥. الجامع الصحيح المختصر، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

١٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب العلمية، توزيع دار ابن خلدون، الإسكندرية، ط٥، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

١٧. الجملة العربية والمعنى، د/ فاضل السامرائي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.

١٨. الخصائص، ابن جنى، ت: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، د. ت.

١٩. خصــائص التراكيب، د/ محمد أبو موســى، مكتبة وهبــة، ط٢، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٢٠. الدر المصــون في علوم الكتاب المكنون، الســمين الحلبي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ /١٩٩٤ م.

٢١. دلالة الســياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، مطبوعات جامعة أم القري، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٢٢. ديــوان عمــر بن أبــي ربيعة، تحقيــق: د. فايز محمــد، دار الكتــاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

٢٣. زاد المســير في علم التفســير، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م.

٢٤. شــعر البحتري في أبي سعيد الثغري، دراســة بلاغية، إبراهيم عبد الفتاح، رسالة ماجستير، نسخة الباحث، ٢٠٠٢م.

٢٥. صــحيح مســلم، أبو الحسين مســلم بن الحجاج القشــيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٢٦. ظاهــرة التأويل في إعراب القرآن، محمد عبد القادر هنادي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.

٢٧. علــم الدلالة، د/ أحمد مختــار عمر، عالم الكتب، القاهــرة، ط٣، ١٩٩٢م. التأويل اللغوي للقرآن الكريم ٣٣.

٢٨. الفاصلة القرآنية بين المبنى والمعنى، د / عيد شبايك، مركز معالجة الوثائق، شبين الكوم، ط١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م.

٢٩. فتح القدير، الشوكاني، عالم الكتب، د. ت.

٣٠. الكتاب، ســيبويه، ت: عبد الســلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣١. الكشــاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، ت: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٣. المحرر الوجيز، ابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٣٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.

٣٥. المطول على التلخيص، سعد الدين التفتازاني، مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠هـ.

٣٦. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت: د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة أ/ علي النجدي ناصف، طبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٣٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، د. ت.

٣٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ت: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.

٣٩. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، دار الغد العربي، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٤٠. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

الهوامش:

(١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر ١١.

(٢) التأويل اللغوي للقرآن الكريم ٣٣.

(٣) البيان والتبيين ١/ ٧٥.

(٤) في الدلالة اللغوية ٢٣.

(٥) البيان في روائع القرآن ٢/١٠٩.

(٦) الحديث مروي في كنز العمال للمتقي الهندي مج ١ باب سابع في تلاوة القرآن وفضائله... رقم ٢٤٦٩، وذكره الزركشي في البرهان وزاد فيه لفظتين (القرآن ذلول ذو وجوه محتملة فاحملوه...) البرهان ٢/ ١٨٠.

(٧) البرهان ٢/١٨٠.

(٨) زاد المسير ٢ / ٦٨.

(٩) زاد المسير ٢ / ٦٨

(١٠) البحر المحيط ٣ / ٧٣، والدر المصون ٢ / ٢٢٨.

(١١) وكان الدكتور منير جمعة قد فَصَّلَ في أسباب تعدد المعنى فقسمها إلى:

١- أسباب نحوية وتشمل:

أ) الخلاف في عود الضمير وقد مثلنا له بآية ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ [النساء: ٥٥]

ب) تقدير الموقع الإعرابي كما في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة ٢] فإنه رفع من وجهين ونصب من وجهين...) فالخلاف في موقع كلمة «هدى» هو الذي أدى إلى تعدد المعنى.

٢- أسباب صوتية وتشمل: أ) الوقف ومثل له بقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] عند من يقف على «يقولون». / ب) التنغيم وذلك كقول النيسابوري في باهر البرهان: (٦٣/١) في ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٣٣] ألف تنبيه وتقرير لا تقريع وتوبيخ.

٣- أسباب صرفية وتتركز في دلالة الصيغ كأن يدل اللفظ على الواحد والجمع كالسمع في قوله تعالى ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠].

٤- أسباب دلالية وتشمل: أ) تردد المعنى بين الخصوص والعموم مثل كلمة «الناس» في ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩] فمن المقصود بالناس؟ أهم الناس جميعًا أم العرب خاصة؟

ب) التعبيرات الاصطلاحية كما في قول الزمخشري في أساس البلاغة (١١٨/٢ – ١١٩) ليس هذا بعُشِّكِ فادرجي يقال لمن ينزل منزلا لا يصلح له.

ج) تعدد المعنى لاعتبارات سياقية: كاختلاف جهة تعلق الكلام كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس ١٢] فهو اختلاف في تعلق (لجنبه) وما عطف عليه أهو بمسّ أو بدعانا. انظر: تراث معاني القرآن في العربية د/ منير جمعة: ٦٦١ وما بعدها.

(١٢) تعدد المعنى في مفاتيح الغيب للفخر الرازي، إيهاب النجمي ٤.

(١٣) رواه البخاري باب ما جاء في المتأولين رقم ٦٥٤٠ – ومسلم باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب رقم (٢٤٩٤).

(١٤) كنت قد ذكرت هذا الكلام قبل الاطلاع على كتاب: دلالة السياق للدكتور ردة الله الطلحي، ومثلت بالمثال نفسه، وعندما نظرت في الكتاب وجدت هذا الكلام متطابقا تماما مع ما ذكرته في رسالتي للماجستير شعر البحتري أبي سعيد الثغري، دراسة بلاغية، ٢١١، وانظر: دلالة السياق ١٩٢.

(١٥) الدر المصون ١/ ٣٥٣.

(١٦) ظاهرة التأويل في إعراب القرآن ٢٣١.

(١٧) الكشاف ١/٣٧٦، وزاد المسير١/٢٣٦، والجامع لأحكام القرآن ٢/١٤٦، ومفاتيح الغيب ٣ / ٤٦٤ وغيرها.

(١٨) البحر المحيط ٢ / ٢٤٣.

(١٩) الدر المصون ١ / ٥٨٩.

(٢٠) الدر المصون ١/٥٨٩.

(٢١) انظر سورة الإسراء (١٦). ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾. هل الأمر في الآية بالفسق؟ أو أنه أمر بالطاعة؟ وهناك حديث طويل حول هذه الآية في الكشاف للزمخشري، رجح فيه ما يوافق مذهبه الاعتزالي، وردَّ عليه ابن المنير في حاشية الانتصاف، فليراجع في مظانه.

(٢٢) زاد المسير ١ / ٢٨٢، والحديث رواه أحمد في المسند ٢ / ٤١٢.

(٢٣) الكشاف ١ / ٤٠٧.

(٢٤) الدر المصون ١ / ٦٩٥.

(٢٥) الكتاب ١ / ٣٤٦.

(٢٦) ذكر ذلك الزركشي في البرهان ٣/١١٤، وقد رجعت إلى معاني القرآن للفراء في تفسير هذه الآية فلم أجد التقدير الذي نسبه الزركشي للفراء.

(٢٧) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٦.

(٢٨) الدر المصون ٦ / ٤٢٦.

(٢٩) الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٦١.

(٣٠) هناك عبارة استخدمها أستاذنا الدكتور محمد أبو موسى وهي: (ننظر إلى الأبرِّ بالمعنى) في كتاب التصوير البياني، وهو يفرق بين الاستعارة التبعية والمكنية؛ حيث إن كل استعارة تبعية يمكن اعتبارها مكنية؛ ففي قوله تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب) إن جعلنا الاستعارة في سكت

بمعنى ذهب فهي اســتعارة تبعية. وإن جعلنا الاستعارة في الغضب كانت الاستعارة مكنية. وتقدير المعنــى علــى كل واحدة من الاثنتين يختلف، وهنا كانت كلمة أســتاذنا: أن ننظر إلى الأبرّ بالمعنى، فيكون الترجيح بينهما حسب ما يكون أكثر خدمة وبرًّا بالمعنى.

(٣١) انظر مثلا النساء (٢٤)، المائدة (٩٦)، الأنعام (٢٢)، يونس (٤)، الفرقان (٢٢)، يس (٥).

(٣٢) الكشــاف ٣ / ٣٧٤، زاد المســير ٧ / ٢٤، مفاتيــح الغيب ١٣ / ٣٢٤، الجامــع لأحكام القرآن ١٥ / ١٢٧ وغيرها.

(٣٣) وفي هذا الكلام نظر لأنه ليس هناك في اللفظ ما يفيد تكرار هذه الكلمة إذ الأفعال كلها ماضية تفيد أنه قال بعد غروب الشمس أو بعد تواري الخيل.

(٣٥) مفاتيح الغيب ١٣/ ٣٢٦.

(٣٥) وردت كلمة (زُيِّن) مبنية للمفعول في القرآن عشر مرات، وكلها ينطبق عليها الكلام المذكور (أن يكــون المزين هو الله عند أهل الســنة، أو يكون المزين هو الشــيطان عند المعتزلــة) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ٤٢٦.

(٣٦) البحر المحيط، ٢/ ١٢٩.

(٣٧) الكشاف ٢/ ٣٥٤.

(٣٨) البحر المحيط ٢/ ١٢٩.

(٣٩) هــي قــراءة مجاهد وحميد بن قيــس وأبي حيوة. انظر: البحر المحيط، ٢/١٢٩، والدر المصــون، ١/٥١٧.

(٤٠) البحر المحيط، ٢/ ١٣٠.

(٤١) وهنــاك أمثلــة أخرى لحذف الفاعل تؤدي إلى تعدد المعنى منها: البقرة ٢٥٩ – الأنعام ٦٠، ســبأ ١٥ وغيرها.

(٤٢) زاد المسير ١/ ١٨٧، وغيرها من الكتب.

(٤٣) الكشاف ١/ ٣٥٢، التحرير والتنوير ٢/ ٢٦٤.

(٤٤) الكشاف ١/ ٣٥٢.

(٤٥) فتح القدير ١/ ٢٠٥.

(٤٦) مفاتيح الغيب ٣/ ٢٢٦.

(٤٧) مفاتيح الغيب ٣/ ٢٢٦.

(٤٨) ذكر ذلك القرطبي ٢/ ١١.

(٤٩) الكشاف ٣/ ٤٤٨.

(٥٠) البحر المحيط ٧/ ٤٩٠.

(٥١) الدر المصون ٦/ ٦١.

(٥٢) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٥٥.

(٥٣) انظر الكشاف ٤/ ٢٦٣ مثلًا.

(٥٤) البحر المحيط ٨/ ٤٨٥.

(٥٥) تفسير أبي السعود ٩/ ١٦٩.وقد ذكر أبو السعود أنه لموافقة رءوس الآي، وللعلم به أيضًا.

(٥٦) المفردات: ٦٢٢.

(٥٧) الكشاف ٤/٢٦٣.

(٥٨) التفسير البياني ١/٣٣.

(٥٩) مفاتيح الغيب ١٦/ ٤٦٨.

(٦٠) ينظر الفاصلة القرآنية ١٧٠، وينظر استثمار الأسلوب العدولي في تذوق الأسلوب القرآني ٨٩-٩٠.

(٦١) وهناك أمثلة أخرى منها البقرة (٢٢٣، ٢٥٣)، آل عمران (١٧٤)، الكهف (٢).

(٦٢) الدر المصون ٢/ ١٨٩.

(٦٣) وهناك أمثلة أخرى منها النساء (٧٩)، هود (٦٩)، الأحقاف (٣٥) وغيرها.

(٦٤) الكشاف ٣/ ٣٠١، القرطبي ١٤/٢٠٨.

(٦٥) زاد المسير ٦/ ٢٥٧.

(٦٦) فتح القدير ٤/ ٣٣٩، زاد المسير ٦/ ٢٥٧.

(٦٧) ذكر ذلك الشوكاني في فتح القدير ٤/٣٣٩.

(٦٨) الشوكاني في فتح القدير ٤/٣٣٩.

(٦٩) الحديث سبق تخريجه ص٣.

(٧٠) المطول على التلخيص ١٤٢.

(٧١) خصائص التراكيب ٢٢١.

(٧٢) يقول ابن هشام: (إذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ وكونه خبرًا فكونه خبرًا أولى؟ قال الواسطي: الأولى كون المحذوف مبتدأ؛ لأن الخبر محط الفائدة، وقال العبدي: الأولى كونه الخبر؛ لأن التجوز في أواخر الجملة أسهل) ينظر مغنى اللبيب ٨٠٥.

(٧٣) البيت في: خزانة الأدب ٤/١٦٩، والخصائص ٢/٣٦٢، ومغني اللبيب ٨٢٦، واللمع ١/٣٠، وديوانه ١١٦، (دار الكتاب العربي).

(٧٤) ينظر في ذلك بديع القرآن لابن أبي الإصبع، ص ٥٥، وهناك أمثلة أخرى منها: المائدة ٩٧ – الأنفال ١٨ - مريم ٢ – النور ١- الحج ٣.

(٧٥) الدر المصون ٣٩٧/٤ وهناك أمثلة أخرى منها: الحج ٦٠ – النور ٦- سبأ ٣٣ – فصلت ٤٤.

(٧٦) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٩٧.

(٧٧) المحرر الوجيز ١٢٣/٢.

(٧٨) وهناك مثال آخر: النساء: ١٧٦.

(٧٩) الإشارة إلى الإيجاز صـ ١٤٩.

(٨٠) هناك أمثلة أخرى منها: البقرة: ٢٣٧، النساء: ١٣٥، الحج: ٣٢ وغيرها.

(٨١) دلالة السياق ٣٤١.

(٨٢) الحديث في صحيح البخاري برقم ٢٣٦٢ ج ٢ / ٨٨٣ باب: تركة اليتيم وأهل الميراث، وفي صحيح مسلم برقم ٣٠١٨ ج ٤ / ٢٣١٤ كتاب التفسير.

(٨٣) قد يتآزر مع الحذف أمور أخرى هي التي تؤدي إلى تعدد المعنى في الجملة مثل:

تعدد دلالات المفردة كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ [طه: ٧٢] فإذا كانت الواو عطفًا عطفت ﴿مَا جَاءَنَا﴾، وإذا كانت الواو قسما فيكون المعنى قسما على أنهم لن يؤثروه على ما جاءهم من البينات.

تعدد احتمالات دلالة الصياغة: كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: ٤٣] فـ «عاصم» يحتمل أن تكون اسم فاعل على حقيقتها، ويحتمل أن تكون اسم مفعول أي لا معصوم.

احتمال الكلام للإنشاء والخبر ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ [المائدة ٢٣] فجملة ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ تحتمل الخبرية والإنشائية فتكون دعاء لهما. [انظر الجملة العربية والمعنى، ٨٣ وما بعدها].

(٨٤) التحرير والتنوير ١/ ٥٠٥.

(٨٥) الكشاف ١٩/٤.

(٨٦) الكشاف ٢/ ١٥٩.

(٨٧) مفاتيح الغيب ١٤/ ٥٠٠.

(٨٨) الدر المصون ٣/ ٤٢١.

(٨٩) الكشاف ٣٦/٢.

(٩٠) التحرير والتنوير ٧/ ٣٨٥.

(٩١) التحرير والتنوير ١٠٢/١٠.

(٩٢) الكشاف ٢/ ١٧١.

(٩٣) زاد المسير ٣/ ٢٩٥.

(٩٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٣٧.

(٩٥) الكشاف ٤/ ٢٨٧.

(٩٦) مفاتيح الغيب ١٤ / ٣٥٢.

(٩٧) التحرير والتنوير٢٥/٢٠٣.

(٩٨) الدر المصون ٢/ ١٤٥.

(٩٩) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٤٦.

(١٠٠) الدر المصون ٦/ ١٤٥.

(١٠١) الكشاف ٣/٤٥٥.

(١٠٢) التحرير والتنوير ١٤/٢٠٠٦.

(١٠٣) مفاتيح الغيب ١٣/ ٦٤٥.

(١٠٤) كتاب سيبويه ٢/ ١٤١.

(١٠٥) مفاتيح الغيب ٩/ ٦٤١.

(١٠٦) وهناك أمثلة أخرى لحذف الخبر منها: الأعراف (١٧٠)، التوبة (٣، ٦٢)، الأنبياء (٧٩)، سبأ (١٠)، الطلاق (٤).

(١٠٧) مفاتيح الغيب ٩/ ٢٢٠ - ٢٢١.

(١٠٨) مفاتيح الغيب ٢٢١.

(١٠٩) نقل هذه الأدلة الفخر الرازي في مفاتيح الغيب ٩/ ٢٢١ -٢٢٢.

(١١٠) الكشاف ٢/ ٣٧٧.

(١١١) وهناك أمثلة أخرى منها آل عمران (٢٨)، الزخرف (٨٨)، العلق (١٧) وغيرها.

(١١٢) الدر المصون ١/ ٥٠٠.

(١١٣) الكشاف ٣/ ٥٥٢.

(١١٤) يقول الدكتور محمد أبو موسى (والزمخشري كثيرًا ما يردد حذف المفعول بين فرضين: الأول: إرادة العموم فيحذف؛ ليشمل كل ما يمكن أن يقع على الفعل، والثاني: ألا يراد له مفعول أصلا وهذا واضح في الآية السابقة ويقول مثله في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٤٠٧).

(١١٥) تفسير أبي السعود ٨/ ١١٦.

(١١٦) مفاتيح الغيب ٤/٣٦.

(١١٧) وهناك مثال آخر انظر سورة الطور (٣٨).

قراءة لُغويَّة في ديوان الزمن الأخضر

د.محمد جمعة الدِّربيّ

توطئة:

الزمـن الأخضـر عنوان ديـوان الأديب المـؤرِّخ الجزائريّ الأسـتاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله (١٩٣٠- ٢٠١٣م)، ويتميَّز هذا الديوان باحتوائه على نماذج من الشعر الحرّ (شعر التفعيلة) بجانب الشِّعر العموديّ. وقد درس صاحبه العروض والقافية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ولقي كثيرًا من الشعراء المصريِّين، بل إنَّ معظم قصـائد الزمن الأخضـر مكتوبٌ إبّان إقامة سعد الله بالقاهرة[١]؛ ولا شـك أن الفترة التي قضـاها في مصـر جعلته عن طريـق دار العلوم- وكانت يومئـذ صـرحًا لغويًّـا شـامخًا موازيًا للأزهـر الشـريف- يلتقي بأكابـر الأدباء والشعراء؛ فنظم قصائد ثورية في سبيل الدفاع عن القضية الجزائرية، ولا شك كذلـك أن المنافسـة العلمية بينه وبين زملائه في الزيتونـة بتونس كان لها دور في تشجيعه على مواصلة قراءة الشعر[٢].

وكان سعد الله يعرف قيمة الأدب عامّة؛ فكتب (تجارب في الأدب والرحلة)، و(دراسـات في الأدب الجزائـريّ الحديـث)، و(القاضـي الأديـب الشـاذلي القسـنطينيّ)، والمجموعة القصصـية (سعفة خضـراء)، وحقَّق رواية (حكاية العشـاق في الحب والاشـتياق)، وكان يعرف قيمة الشـعر ودوره السياسيّ؛ فنشر قصـيدة الشـاعر اللبنانيّ محمد علي الحوماني، وكتب (محمـد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائريّ الحديث)، وقام بتحقيق (أشعار جزائرية)، وله من الشعر

مجموعة (ثائر وحب)، ومجموعة (النصر للجزائر)، وديوان (الزمن الأخضر) الذي يحمل عنوان إحدى قصائده ويضمّ جُلّ شعر سعد الله أو جميعه لا سيما قصائده التي تحمل عناوينها إشارات ثورية نضالية مثل: الثائر الأسير، وثائر وحب، والثورة، والجرح والمصير، وشاعر حر، وشعب الله، وصرخة الجلاء، وعودة النسور، وغضبة الكاهنة، وفداء الجزائر، والفدائيّ، وكفاح إلى النهاية، وليلة الرَّصاص، ومواكب النسور، والنصر للشعب.

وبالإضافة إلى هذا الرصيد الشعريّ كان لسعد الله منشوراته عن الأدب الجزائريّ ضمن الحياة الثقافية في الجزائر في فترة الثورة التحريرية من خلال متابعته مختلف الأنشطة الثقافية. واستطاع أن يضع يده على روافد الشعر العربيّ الحديث؛ فقال مفتخرًا: «... كما قرأتُ لجبران خليل جبران كلَّ كتبه تقريبًا، ثم توالت اهتماماتي بالشعر المهجريّ وبشعر مدرسة أبوللو خصوصًا شعر أحمد زكي أبو شادي، وتابعتُ معركة القديم والجديد في مصر على صفحات الرسالة والثقافة وغيرهما»[٣].

فكيف عبَّر شعر سعد الله شكلًا ومضمونًا عن فكره ووطنيته ومشاعره؟ وكيف استلهم شعره السياق الثقافيّ والسياسيّ والاجتماعيّ في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسيّ؟ لا شكَّ أن الإجابة تحتاج إلى مساحة تزيد على هذه الإطلالة السريعة، ولكنني أركِّز هنا على ديوان (الزمن الأخضر) مع الاستئناس في بعض المواضع بديوان (النصر للجزائر) الذي يُعدّ أول ما نشره أبو القاسم سعد الله من أشعار وإن لم يكن أوَّل ما نظَمه، ومع الإشارة في الوقت نفسه إلى ما كتبه الأستاذ الجزائريّ عبد الكريم شبرو في رسالته للماجستير (التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله)؛ حيث سار في ركاب بعض أخطاء الديوان، وزاد هو أخطاء أخرى لا تصحّ نسبتها إلى شاعر كبير مثل أبي القاسم سعد الله[٤]، وسوف أركِّز هنا على القراءة اللغويَّة مستغنيًا بها عن كثير من القضايا العروضيَّة[٥]!

أولًا: التقليد والتجديد في الدِّيوان:

عُرِف سعد الله- بجانب شعره الكلاسيكيّ- رائدًا من رواد الشعر الحُرّ في الجزائر؛ حيث رأى أن الشعر الحُرّ «جزء من ثورة أو شكل من أشكال الثورة»[٦]، ويبدو أن الفترة التي قضاها في القاهرة وثَّقتْ صلته بشعراء مصر المتمرِّدين مثل: أحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور ومحمود أمين العالم ورجاء النقاش وغيرهم.

ويبدو كذلك أن اتصال سعد الله بالأدب الغربيّ - بجانب أحوال المجتمع العربيّ المتناقضة- دفعه إلى التمرُّد على الطرق الشعرية التقليدية؛ ففي مقدمة ديوانه: « غير أن اتصالي بالإنتاج العربيّ القادم من المشرق- ولا سيما لبنان- واطلاعي على المذاهب الأدبية والمدارس الفكرية والنظريات النقدية حملني على تغيير اتجاهي ومحاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر»[٧].

ومن الشعر الكلاسيكيّ في ديوان الزمن الأخضر قولُ سعد الله[٨]:

شعب الجزائر في انتفاضته (م) وجولته الغَضُوب

شعب تدافعَ للحياة (م) مدى الرَّوابي والدُّروب

هانت عليه حياته   بين المذلَّة واللغوب

فاختار للثأر الخَضيب (م) أعاليَ الجبل القَطوب

ومن شعر سعد الله الكلاسيكيّ الذي اعتمد على السَّرد القصصيّ قوله[٩]:

الخميلة:

توشَّحتُ بالورد والياسمينِ   ورُحتُ أناجي الصباح العطِر

وعن شفتيَّ ابتهال الحنين   وفوق البراعم ضوءُ القمَر

ونمنمتُ لوني على وجنتيها   فهبَّ الصباحُ يجدِّدهُ

الربيع:

خميلُ، بحقِّ الحنان الوريقِ   وحقِّ الحشـــائش من حولكِ

وحقِّ الهوى والنَّدى والرَّحيقِ   لأنتِ شبابي الخضيل الذكي

خميلة حبِّي ومنبـــع فنِّي   بزهركِ أنت المُنى الغـاليــة

الخميلة:

سهرتُ ليالي الشِّتا الباردة   أحنُّ إلى حضنكِ المخملي

الربيع:

فأرجحتُ فيكِ المُنى الشاردة   وهَدهدتُ قيثاركِ العبقري

هما معًا:

بنا رفرف الكونُ بالعبـــقِ   ووشَّى الرَّوابي لونُ القَــــزَح

وسالتْ مع الجدول الدَّفــق   رؤانا وشعــر اللقـاء المـــرح

ومن شعر سعد الله الذي يبدو فيه السَّرد قولُه في قصيدة إلى المقصلة[١٠]:

٤- وبالأمس جدَّد للحبل فعِله

وأصدرَ لاكوست القس أمره

بأن يُشنَق الثائرون

ونفَّذ في البعض أمره

ليعتبر الآخرون

٥- وبعد غد نسوق القس قهرًا

إلى الجولتين مغلول اليديــن[١١]

ونلبســـــه كطاغيـــة إله

مســـوح العار سائلة الدماء

وقد فطن الأســتاذ عبد الكريم شـبرو إلى أسـلوب السـرد، ولكنه أخطأ في ضبط الأبيات؛ حيث ضبط (القسّ) بكسر القاف[١٢]!

واسمعْ سعد اللّه وهو يستثمر ظاهرة التكرار في المقطع الخامس من قصيدة البعث:

من فم الأطلس نشدو: وحدة لا تُفصَم

من فم الأطلس نشدو: ثأرُنا[١٣] المنتقم

من فم الأطلس نشدو: يا فلسطين الدَّمُ

مِن هنا مِن قمة مشحونة بالثائريـــن

مِن هنا مِن مشرق البَعث المجيــــــــــد

وأما مظاهر التخلُّص من تقاليد الشـعر فمثالها قول سـعد اللّه من مجزوء الكامل[١٤]:

والشَّعـبُ يسـبحُ في الـدُّموع   والبـؤسُ يحتـطـب الجمـــوع

والمبـــدأ الأســمى صـريـع   بيـــن المخـــالب والنــــجيــع

والثائرون على الطغاة يناضلون   والخائنون يقهقهون ويسخرون

ومن التمرُّد أو الخروج قول سـعد اللّه من بحر الرَّمل في أول قصيدة نشَرها على نظام التفعيلة[١٥]:

حطِّموا القيد وغنُّوا للحياة

وافتحوا نافذة الأفق الرَّحيبة

واعشقوا النور سماوات خصيبة

بيْد أني لم أجدهم في طريقي

يا رفيقي!

ومن الشعر الحرّ قول سعد الله من بحر المتقارب:

أيا صــاعدًا في الفضاء

يعانق وجه الســـماء

ويحتضن الأفق مد البصـــر

خذ الثأر للمجد في وجنتيك

جريحًا كقلب اليتـــامى

وفجّر صخـــورك نارًا

على الغاصبين

وأنقذ بحولك شعبًا

يريد الحياة

على صدرك الدافئ

طليقًا كعصفورك الطائر

رضيًّا كجدولك العابر

وقد أخفق الأســتاذ عبد الكريم شـبرو في ضـبط هذه الأبيات؛ حيث ضبط (الســماء) بالفتح، وضــبط(وأنقذ) بضــم القاف، وضــبط (صــدرك) بكســر الكاف، و(كعصــفورك) بضم الواو والراء وكسر الكاف، وضبط (رضيًّا) بفتحة واحدة، وضبط (كجدولك) بكسر الكاف الثانية[١٦]!!

وما أجملَ قول الأديب سعد الله:

أيُّ درسٍ!

توَّج المستقبلَ الحُرَّ وعفَّى قبرَ أمسِ

وأزاح الغيـــمَ عن آفاق شعبي

أيُّ درسٍ!

زعزع المجدَ الفرنسي

وقـد فطن الأسـتاذ عبـد الكريم شـبرو إلى قـوة ألفاظ القصـيدة وجمال الجرس الموسـيقيّ في حرف السـين، ولكنه أسـاء في ضـبط بعض الأبيات؛ حيث ضـبط (عفىَ) بفتح الألف المقصورة؛ فصـارت عنده ياء! و(الفرنسيّ) بتشديد الياء[١٧]!

ومن الشعر المرسَل من القافية الذي يدلّ على تنوّع المعجم الشعريّ عند سعد الله ومزاوجته بين فصحى التراث وفصحى العصر قوله:

وساق الشعبُ طاغية رهيبا

إلى الموت أشقَّ من الممات

وأوقفه على خشب وألقى

بحبل الموت في عنق الإله

وأوسع وجهه بصقًا وولَّى

إلى ساح الحياة مع الصباح

فانظر قوله: «بحبل الموت»، وانظر جمع ساحة على ساح[١٨].

ثانيًا: حضور النصّ القرآنيّ في الدِّيوان:

في ديوان الزمن الأخضر إشارات تدلّ على حضور القرآن الكريم في ثقافة سعد الله ولغته؛ والمثال الواضح على هذا الحضور قول سعد الله في المقطع الرابع من قصيدة البعث:

وتلَوا في روعة مجنونة

وأعدُّوا إن يوم البعث جاء

إن أهلي عرب الأطلس ثاروا

عبر وهران التي تصنع مجدًا

وقسنطين التي تحفر لحدًا

وتعُبُّ النصر من نَبع الصباح

ففي الأبيات تذكير بقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠)، وفي الأبيات تذكير ببعض بقاع الوطن المحتلّ.

واسمعْ سعد الله وهو يقول:

... والله الوحيد

فوصفُ الله بالوحيد دليل واضح على حضور النص القرآنيّ في شعر سعد الله؛ حيث قال الله تعالى: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ (المدثر: ١١)، وقد رأى بعض المفسرين أن (وحيدًا) حال من الفاعل[١٩]؛ ومن العجيب تسرُّع الأستاذ شبرو في الحكم على سعد الله والادِّعاء بأن كلمة (الوحيد) من العيوب اللفظية[٢٠]! ولا أدري كيف غفل الأستاذ شبرو عن الاستعمال القرآنيّ؟!

ثالثًا: اللهجات العربيَّة في الدِّيوان:

لجأ الأديب أبو القاسم سعد الله إلى استعمال بعض الألفاظ التي تدلّ على معرفته باللهجات العربيّة مثل قوله من بحر البسيط:

اقطف جنى الخلد وامرح في خمائله   واصدح على الغصن معْ أشجى بلابله

ففي الشطر الثاني استعمل سعد الله (مع) بإسكان العين على لغة غَنْم وربيعة، وجاء على هذه اللهجة قراءة: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعْكُم﴾ (البقرة: ١٤) بإسكان العين[٢١]، وقال ابن مالك في ألفيته:

ومَعَ معْ فيها قليل ونُقِل   فتحٌ وكسرٌ لسكونٍ يتصلْ

وشرحه ابن عقيل فقال بحق: « وأما (مع) فاسم لمكان الاصطحاب أو وقته نحو: جلس زيد مع عمرو، وجاء زيد مع بكر ، المشهور فيها فتح العين، وهي معربة وفتحتها فتحة إعراب ومن العرب من يسكِّنها؛ ومنه قوله:

فريشي منكمُ وهواي معْكم   وإن كانت زيارتُكم لماما

وزعم سيبويه أن تسكينها ضرورة؛ وليس كذلك؛ بل هو لغة ربيعة؛ هي عندهم مبنيَّة على السكون، وزعم بعضهم أن الساكنة العين حرف، وادَّعى النحاس الإجماع على ذلك، وهو فاسد؛ فإن سيبويه زعم أن ساكنة العين اسم»[٢٢]؛ ومن العجيب زعم السمين الحلبيّ بأن « (مع) لا يجوز تسكين عينها إلا في شعر»[٢٣]! ولم يعلِّق الأستاذ عبد الكريم شبرو على هذا الاستعمال اللهجيّ، بل زعم أن (واصدح على الغصن مع) في شعر سعد الله على وزن (مسْتفعلن فاعلان)! وضبط (اقطف) بضم الطاء مع همزة قطع، وكأنها من الرباعيّ (أقطفَ)[٢٤]!

ومن الاستعمالات اللهجيّة أيضًا قول سعد الله من بحر الوافر[٢٥]:

جـزائرنا القديمة غاب ذُلٌّ   وهِيَّ اليومَ مُنعتق الرِّقاب

رأت في الثائريـــــن بناة عزٍّ		على الدَّمِّ المقدَّس والغلاب

وتشـديد ياء الضـمير (هي) - وكذلك واو الضـمير (هو) - جائـز على لغة همدان ومَن والاهم، ولا تزال بقايا هذا التشـديد في العاميّات العربيّة المعاصرة، وإن كان التخفيف هو الاسـتعمال الأفصـح[٢٦]، وكذلك تشـديد ميم (الدَّم) لغة مسـتعملة في الشـعر القـديم[٢٧]، وإن لم يفطن الأسـتاذ عبد الكريم شـبرو إلى الاسـتعمالين؛ حيث ضبط الضمير (وهْيَ) بإسـكان الهاء وتخفيف الياء، وأهمل ضبط ميم (الدم)، وضبط (الغلاب) بفتح الغين وتشديد اللام[٢٨]! وقد استعمل سعد الله الدم بالتشديد في قصيدة الثائر الأسير:

كما فديت الجزائر		بدمِّـك النضّـــــاحِ

واسـتعمله على اللغة الفصـيحة المشـهورة في قصـيدة غضـبة الكاهنة من مجزوء الكامل[٢٩]:

أقسمتُ بالدَّمِ والسَّعير

واستعمل أيضًا الضمير بتشديد الياء في قوله في القصيدة نفسها:

من هيَّ قاهرة الرجال

من هيَّ معجزة الخيال

من هيَّ سيدة الشمال

من هيَّ كاهنة الجبال

رابعًا: الضرورة الشِّعريَّة في الدِّيوان:

ضـرورة الشـعر مظهـر للاتسـاع اللغويّ، وهـي حـذف أو زيـادة أو تقديم أو تأخـير أو إبـدال حرف أو تغيير إعراب أو تأنيث مذكَّر أو قصـر ممدود أو مدّ مقصـور أو نحو ذلك ممّا يلجأ إليه الشـاعر بسـبب الـوزن أو القافية، وهذا هو

المفهوم من كلام أكابر العلماء مثل سيبويه (ت١٨٠هـ) في قوله: «اعلم أنه يجوز في الشِّعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف، يشبِّهونه بما ينصرف من الأسماء؛ لأنها أسماء كما أنها أسماء. وحذفِ ما لا يحذف، يشبِّهونه بما قد حُذف واستعمل محذوفًا»[٣٠]. ولم يخلُ ديوان الزمن الأخضر من الضرورة الشعريَّة؛ ويكفي التمثيل ببعض النماذج:

١- صرف الممنوع من الصرف في قول سعد الله من الرجز (الحر)[٣١]:

أثارت الرياح منذ عام

عواصفًا حمقاءَ

وكانت العواصف الهوجاء

محمومة الجباهِ والقلوب

محمرَّة الشفاهِ والنُّيوب

٢- وصل المقطوع وقطع الموصول في قول سعد الله من بحر الرَّمل[٣٢]:

يا ابن أمي أيها الدامي الجراح   لا ترَع وابشر بإشراق الصباح

فالغد المنشود خفّاق الجناح

ففي البيت الثاني استعمل سعد الله الفعل (ابشِر) بالوصل[٣٣]، ولا تخفى المخالفة للمشهور الفصيح من كلام العرب؛ حيث يقال: بشَره بالخير وأبشره به فبشِر وأبشَر، وتقول: أبشِر بخير- بقطع الألف- وبشِرتُ بكذا أبشَرُ؛ أي: استبشرتُ[٣٤]؛ وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ (فصلت: ٣٠). وقد يلجأ سعد الله في شعره إلى العكس مثل قوله[٣٥]:

إن جرحي راعف بالإنتقام   ثائر للثأر محموم الصدام

ويبقى الاحتمال الآخر واردًا وهو أن سعد الله أراد الفعل الثلاثيّ (بشِر)

والأمر منه (ابشَر) بفتح الشين؛ ومنه قول عبد قيس[٣٦] بن خُفاف البُرْجُميّ[٣٧]:

وإذا رأيتَ الباهشينَ إلى العُلَى	**غُبْرًا أكفُّهمُ بقاعٍ مُمْحِلِ**
فأعِنْهمُ وابْشَرْ بما بشِروا به	**وإذا همُ نزلُوا بضَنْكٍ فانْزلِ**

وإذا صحَّ هذا الاحتمال فلا ضرورة في بيت سعد الله، ولكن فيه الخروج عن المشهور من كلام الفصحاء وقراءات القرآن الكريم! ولعله يشبه تقديم ظرف الزمان (أبدًا) على الفعل في قول سعد الله في المقطع الثاني من قصيدة البعث[٣٨]:

أبدًا نشكو، لمن نشكو؟ لآلهة الرِّياح

أبدًا نرجو، ومن نرجو؟ سماسرة الحياة

أبدًا نشكو، ونرجو كالصغار التائهين

ففي الأبيات تكرار الظرف(أبدًا) وتقديمه على الفعل[٣٩]، ولا يخفى أن التأخير هو الفصيح المشهور الذي نزل به القرآن الكريم، وإن شاع التقديم في العربيَّة المعاصرة ووقع في بعض الأشعار القديمة منها قول أبي الفتوح شهاب الدين السهروردي(ت٥٨٧هـ) في قصيدته الحائيَّة التي يقول فيها[٤٠]:

أبدًا تحنُّ إليكمُ الأرواحُ	ووصالُكم ريحانُها والراحُ

٣- إسكان المتحرِّك:

يظهر إسكان المتحرِّك في قول سعد الله في المقطع الخامس من قصيدة البعث:

سوف يمتدُّ الفِداء

لفلسطين التي تتلو الولاء

والتي لما تزل حمراء جرحًا وسلاح

للجروح الرَّاعفات

ولا يخفى أن كلمة (سلاح) حقُّها النصب عطفًا على (جراحًا)، ولكنَّ حرص الشـاعر على تناسق الإيقاع ألجأه إلى الإسكان[٤١]، ويبدو أن سعد الله كان يميل إلى تسكين القوافي؛ فاسمعْ قوله[٤٢]:

ولقد صرنا كرامًا مثلمـا كنا كِرام

وتكيــل لهمُ أيدينا موتًا زؤام

أي جُرم أن نكون الأسخيــاء

فتكيــل لهمُ أيدينا موتًا زؤام؟!

والشتاء السادر المقرور قد عاد ضرام

والولاء الوافر المخدور قد عاد انتقام

واسمع قوله:

يا بلادي أدركي يوم النشور حطِّمي السَّدَّ وغنِّي بالنذور

واحضني الأفق أكفًّا وصدور فجرى الثأر رصاصًا وسعير

إن خلف الثأر نارًا ثم نور

وقوله[٤٣]:

وفضّتِ الغلافَ في اضطراب

أناملا معروقة سمــراء

تفوح بالدهــان والعرَق

وكان وجههــا خطوط

وقلبها بخور

وشعرها خميـــلة جرداء

وأدنتِ البطاقة الزرقـــاء

من المنظار الأشعث الحزين

وحدقت بعمق واشتهـــاء

إلى العنوان التائه المسحور

وقوله[٤٤]:

في أرضنا الملأى بطاقات الحصيد

سنعيش أحرارًا وصِيد

في أرضنا البكر الولود

وهذه النماذج من الضـرورة الشِّـعريَّة تعني الاتسـاع في شـعر الأديب سعد اللّه، وإن لم نعـدم في ديوانه بعض الانحرافات العروضـيَّة[٤٥] والإملائيَّة[٤٦]؛ ولا مَدعاة إلى التفصـيل فيها! ويبدو أن الأديب سـعد اللّه كتب بعض قصائده لتكون نشيدًا يُغنَّى، اسمعْ قوله من بحر المجتث[٤٧]:

أخي فـدتك حيـاتي	ومُنيتي وسـلاحي
كمـا فديتَ الجزائر	بدمـك النضّـاح
أمامك الصحو فامرق	فأنت سهـم دقيق
وعُد إليهم خـــرابًا	كما يشبّ الحريق

فالبيت الثاني لا يستقيم إلا بإسكان راء (الجزائر) [٤٨]!

خامسًا: التعبيرات غير المألوفة في الدِّيوان:

خرج الأديب سـعد اللّه في بعض الاستعمالات عن التعبيرات المألوفة؛ ويمكن

التمثيل بقوله:

وأسقِطوا السجون

وحاربوا الإرهاب

وأعدِموا الطغاة

في واضح النهار

والشائع في الاستعمال اللغويّ أن يقال: «في وضح النهار»؛ أي: في العلَن، والوَضَح: الضوء، والبياض، وبياض الصبح خاصة[٤٩]. ولكنَّ سعد اللّه آثر استعمال النعت (الواضح)، وقدَّم النعت على المنعوت وجعله من باب الإضافة؛ للاهتمام بالمقدَّم والتنبيه عليه؛ ونظيره في الكلام الفصيح قول اللّه تعالى (يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ) (غافر: ١٩)، والأصل: الأعين الخائنة.

سادسًا: التعبيرات الدَّارجة في الدِّيوان:

تبدو التعبيرات الاصطلاحية الدارجة قليلة أو نادرة في شعر أبي القاسم سعد اللّه مثل تعبير (نصفّي الحساب)، وتعبير (بالذّات)؛ ولكننا نلاحظ بعض التراكيب النحوية الدَّارجة أو الناتجة عن التأثر بالترجمات مثل تركيب (سوف لا) الذي استعمله سعد اللّه أكثر من مرة[٥٠]:

سوف لا أُلقي السلاح

سوف لا تبرح كفِّي بندقة

سوف لا يفرغ جيبي من رَصاص

سوف لا يهدأ حِقدي دُون ثأري

وقد فطن الأستاذ عبد الكريم شبرو إلى التعبير الاصطلاحيّ (نصفّي الحساب)، ولكنه لم يفطن إلى (بالذّات) في قول سعد اللّه[٥١]:

* أرضنا بالذات أرض الوادعين *

ولا إلى التركيب النحويّ الدارج[٥٢]! بل أخطأ في وزن بعض الأبيات[٥٣]!

وأقول: لا تدخل (سوف) إلا على المضارع المثبت مثل قول الله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (الضحى:٥)؛ فإذا أريدت الدلالة على المستقبل المنفيّ فالأداة الواجب استخدامها حينئذ هي (لن)[٥٤]، ولكنَّ سعد الله تأثّر بالترجمة الحرفية للتعبير الإنجليزيّ (will not)، أو نظيره في الفرنسية، وجاء الاستعمال الفصيح في قوله[٥٥]:

سوف تدري راهباتُ وادِ عبقر

كيف عانقتُ شعاعَ المجد أحمر

ويلفت النظر هنا حذف ياء (وادي) مع الإضافة؛ وربما اضطرَّ إليه سعد الله قياسًا على قول الشاعر[٥٦]:

* وأربع فثغرها ثمانُ *

ولم يعلِّق على هذا الاستعمال الأستاذ عبد الكريم شبرو في دراسته عن سعد الله[٥٧]!

الخاتمة والتوصيات

ديوان الزمن الأخضر للمؤرِّخ الجزائريّ أبي القاسم سعد الله يجمع بين التقليد والتجديد؛ ففيه الشعر العموديّ وشعر التفعيلة، والسَّرد القصصيّ، والقصائد المرسلة من القافية، والمعجم الشِّعريّ المزاوج بين فصحى التراث وفصحى العصر؛ حيث لجأ سعد الله إلى بعض اللهجات العربيَّة والضرورات الشعريّة والتعبيرات غير المألوفة، ووقع أيضًا في بعض الانحرافات اللغويّة،

ولم يخلُ من الاستعمالات الاصطلاحيَّة الدَّارجة، والتراكيب النحويَّة الدارجة الناتجة عن التأثُّر بالترجمات.

ولعلَّ هذه الإطلالة تحفِّز على دراسة لغة النثر في كتابات سعد الله الذي تأثَّر في بعض كتاباته بالترجمة؛ ويمكن التمثيل بالتعبير الإنجليزيّ (play a role) أو نظيره الفرنسيّ الذي تأثَّر به سعد الله في قوله: «البيئة تلعب دورًا رئيسيًّا في اتخاذ المرء نمطًا أدبيًّا معيَّنًا... ... كما قرأتُ لجبران خليل جبران كلَّ كتبه تقريبًا»[٥٨]! واستعمال (كلّ) مع (تقريبًا) من آثار الترجمة أيضًا! والأفصح استعمال (جُلّ كتبه) أو (معظم كتبه)؛ لأن(كل) للعموم والشمول. بل وجدتُ سعد الله يذكِّر الفعل في موضع التأنيث مثل: « الإجابة على هذه الأسئلة يقتضي(!) منا عودة إلى الماضي»[٥٩]! ومن العجيب قول سعد الله: « ولم تمضِ(!) سوى بضع(!) أسابيع»[٦٠]! ولا شك أن كتابات سعد الله النثريَّة الكثيرة تحوي زادًا وفيرًا من الاستعمالات التي تصلح للدراسة والتحليل، وتُعين على فهم الكثير من لغته الشعريَّة في ديوان الزمن الأخضر وغيره، ويأتي على رأس هذه الكتابات موسوعته الشهيرة بتاريخ الجزائر الثقافيّ[٦١].

وأوصي الأستاذ عبد الكريم شبرو بتنقيح دراسته الأكاديمية (التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله)، وآمُل في إعادة طبع ديوان الزمن الأخضر ليتوافر بين الباحثين والقرّاء في حُلَّة جديدة تليق بهذا الشاعر المؤرِّخ العظيم[٦٢].

الهوامش:

(١) حصل أبو القاسم سعد الله من دار العلوم على شهادة الليسانس في الأدب العربيّ عام ١٩٥٩م، ثم أعدَّ رسالة الماجستير في شعر محمد العيد آل خليفة، لكنه لم يناقشها بسبب التحاقه بجامعة منيسوتا مبعوثًا من طرف الحكومة الجزائرية المؤقتة (جبهة التحرير الوطنيّ)، ثم طُبعت

الرسـالة في كتاب بتوصـية البشـير الإبراهيميّ الذي مدحه سـعد الله في بعض قصـائده؛ راجع: شـعر الشـباب في الجزائر بين الواقع والآفاق- د. حسـن فتح الباب- المؤسسـة الوطنية للكتاب- الجزائر ط/١٩٨٧م.ص٦، والمجمعيّون في خمسـة وسبعين عامًا – مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة – القاهرة- مصـر ط١/ ٢٠٠٧م.ص٦٢٥، وراجع: الجانب الأدبيّ في كتابات أبي القاسـم سـعد الله- د.شميسـة غربي- موقع شـبكة الألوكة بتاريخ ٢٠١٧/٩/٩م؛ حيث ذكرتْ شميسة غربي أن سـعد الله التحق في القاهرة بكلية الآداب والعلوم الإنسـانية، وحصل منها على شهادة الليسانس والماجستير، ثم انتقل إلى أمريكا!

(٢) راجع ديوان النصر للجزائر- أبو القاسم سعد الله- مقدمة أحمد توفيق المدني- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر ط٣/١٩٨٦م.ص١٠.

(٣) أفكار جامحة- أبو القاسـم سعد الله- دار الغرب الإسلاميّ- بيروت- لبنان ط٢/٢٠٠٥م.ص١٨٤ وفي النص إشارة إلى ذكاء سعد الله وانتقائه لمصادره.

(٤) التجربة الشـعرية عند أبي القاسـم سعد الله- عبد الكريم شبرو- ماجستير- كلية الآداب والعلوم الإنسـانية- جامعة الحاج لخضر- باتنة- الجزائر ط/٢٠٠٧م. ص١١٥، ١١٧، ١٢١: ١٢٥، ١٣٣؛ حيث نسَب شبرو إلى سعد الله زحافات وعللًا عروضيَّة لا تصحّ!

(٥) راجـع ديوان الزمن الأخضـر- قصـيدة نشـوة الروح ص٥٩، وقصـيدة هزار الشـعر ص٧٠: ٧١، وقصـيدة مواكب النسـور صـ١٢٣، وقصـيدة خميلة وربيـع ص١٣٧، وقصـيدة أنشـودة المزارع والحقول ص١٤٥، وقصيدة الشمس ص١٥٣، وقصيدة الطين ص٢٠٩، وقصيدة إلى جبل الأطلس ص٢١٥، وقصـيدة الثائر الأسير ص٢٢١: ٢٢٢، وقصـيدة إلى المقصلة ص٢٢٩، وقصيدة أوراس ص٢٤٩، وقصـيدة البعث ص٢٣٥، وقصـيدة عواصف ص٢٥٣، وقصـيدة الحزن ص٣٣٥، وقارن هذه المواضع ببحث: التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص١٧، ٢٤، ٢٦، ٦٨، ٧٤، ٨١،٩٠: ٩٢، ٩٥: ٩٦، ١٠٠، ١٠٣: ١٠٥، ١١٦، ١٢٦: ١٢٧، ١٣٥: ١٣٨.

(٦) أفكار جامحة- أبو القاسم سعد الله ص١٨٤.

(٧) مقدمـة ديـوان الزمـن الأخضـر- أبـو القاسـم سـعد الله- المؤسسـة لوطنية للكتـاب- الجزائر ط/١٩٨٥م.ص١٧،

(٨) ديوان الزمن الأخضـر- قصـيدة شـعب الله صـ٣١٣، وفي الأبيات ظاهرة التدويـر التي تظهر في مواضع أخرى من الديوان مثل ص٢٠٩.

(٩) ديوان الزمن الأخضـر- قصـيدة خميلة وربيع ص١٣٧، وفي البيت السـابع إسـكان كلمة (ليالي) للضرورة الشِّعريَّة؛ وحقُّها النصب.

(١٠) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة إلى المقصلة ص٢٢٩. وأخطأ الأستاذ عبد الكريم شبرو فضبط (فعله)، و(أمره) بضم الهاء! ووزن بحر المتقارب يأبى الضمّ.

(١١) في هذا البيت انحراف عروضيّ لم يفطن إليه الأستاذ عبد الكريم شبرو بل يُفهم من كلامه أن هذا المقطع والذي قبله من بحر الوافر! راجع: التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص١٠٥، ١٣٧.

(١٢) والصواب فتح القاف؛ يقال: قَسّ وقِسِّيس، راجع: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري(ت بعد ٣٩٣هـ)- تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين– بيروت- لبنان ط٢/١٩٧٩م. (ق س س) جـ٣/٩٦٣.

(١٣) في ديوان النصر للجزائر ص٢٦ بلفظ: (ثارنا)!

(١٤) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة مواكب النسور ص١٢٣؛ حيث زاد سعد الله في تفعيلات البيت الثالث، ولم يفطن عبد الكريم شبرو إلى هذا الخروج على النظام العروضيّ القديم، وكتب الأبيات في موضعين بطريقتين مختلفتين، وأخطأ في ضبط بعض الكلمات! راجع التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٢٤، ٧٤.

(١٥) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة طريقي ص١٤٤، وقد نظَم سعد الله قصائد أخرى من الشعر الحر قبل(طريقي)، راجع أسباب تأخُّر نشرها في مقدمة ديوانه: النصر للجزائر ص٨.

(١٦) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٩٥: ٩٦، وراجع ديوان الزمن الأخضر – قصيدة إلى جبل الأطلس ص٢١٥.

(١٧) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص١٠١، ١١٢، ١٣٧: ١٣٨.

(١٨) تاج العروس للزبيديّ (س و ح) جـ٦/٤٩٠، وديوان الزمن الأخضر – قصيدة إلى المقصلة ص٢٢٩. ووردت (ساح) في قصيدة الطين أيضًا.

(١٩) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبيّ(ت٧٥٦هـ)- تحقيق د.أحمد محمد الخراط- دار القلم- دمشق- سوريا ط١/ ٨٦-١٩٩٤م.(المدثر: ١١) جـ١٠/٥٤٢.

(٢٠) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص ١٢٥.

(٢١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسيّ(ت٧٤٥هـ)- طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل- دار الفكر- بيروت- لبنان ط/١٩٩٢م.(البقرة: ١٤) جـ١/١١٣، وتاج العروس للزبيديّ(ت١٢٠٥هـ)– تحقيق مجموعة من الأساتذة – سلسلة التراث العربي(١٦) – وزارة الإعلام(الإرشاد والأنباء)- مطبعة حكومة الكويت – الكويت ط١/ ١٩٦٥-٢٠٠١م. (م ع ع) جـ٢٢/ ٢٠٩: ٢١٠، (غ ن م) جـ ١٩٠/٣٣.

(٢٢) شـرح ابـن عقيـل(ت٧٦٩ه) على ألفيـة ابن مالك، ومعه كتـاب منحة الجليل بتحقيق شـرح ابن عقيـل- تأليـف محمد محيي الدين عبد الحميد- دار الاتحاد العربيّ للطباعة- القاهرة- مصـر ط/١٩٨٧م. جـ٣/٧٠، ومن الغريب وقوع (معكم) بفتح العين مخالفة للعروض ولسـياق كلام ابن عقيل!

(٢٣) الدر المصون للسمين الحلبيّ(البقرة: ١٤) جـ١/١٤٦، ولم يعلِّق الدكتور الخراط محقِّقًا!

(٢٤) التجربة الشـعرية عند أبي القاسـم سـعد الله صـ١١٥، ١٣٥، وراجع ديوان الزمن الأخضـر – قصيدة جلال الخلد ص٧٩.

(٢٥) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة عمالقة ص ٢٠٧.

(٢٦) تـاج العروس للزَّبيديّ (ه و ا) جـ٤٠/٣٣٥، وفي الضـرائر وما يسـوغ للشـاعر دون الناثر- تأليف الإمام المصلـح الكبير السـيد محمود شـكري الألوسي (ت١٣٤٢ه)- شـرحه محمد بهجة الأثري البغـداديّ- دار الآفاق العربية- القاهرة- مصـر ط١/١٩٩٨م. صـ١٢٣: « والمحققون على أن كل ذلك من باب الضرائر الشعريّة حتى عند همدان»!

(٢٧) وورد الدم بتشديد الميم في شعر الشاعر الجزائريّ أحمد حمدي، راجع: تاج العروس للزَّبيديّ(د م ي) جـ٣٨/٦٥: ٦٧، وشعر الشباب في الجزائر ص٨٧.

(٢٨) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٣٣، ٣٨، ١٣٧.

(٢٩) ديوان الزمن الأخضـر- قصيدة الثائر الأسـير ص٢٢١: ٢٢٢، وقصيدة غضبة الكاهنة ص١٣٣، وراجع التجربة الشـعرية عند أبي القاسـم سـعد الله ص١٣٦؛ حيث ذكر شبرو أن قصيدة غضبة الكاهنة من بحر الكامل!

(٣٠) كتاب سيبويه- تحقيق وشرح عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر ط٣/١٩٨٨م. (باب ما يحتمل الشعر) جـ١/٢٦.

(٣١) ديوان الزمن الأخضـر- قصـيدة أنشـودة المزارع والحقول ص١٤٥، وقصيدة عواصف ص٢٥٣، وراجع ديوان النصـر للجزائر ص٢٣. وقد جاء صـرف الممنوع أيضًـا في قول سـعد الله: «بدراهمٍ وشـتائم »؛ ولم يفطن عبد الكريم شـبرو إلى ضـرورة الشـعر! راجع التجربة الشـعرية عند أبي القاسمٍ سعد الله ص٨١، ٩١، ١٣٧.

(٣٢) ديوان النصـر للجزائر ص٤٢، وديوان الزمن الأخضر- قصـيدة الطين صـ٢٠٩، ورأيتُ بعض الباحثين ينقل هذه الأبيات عن البصـائر، العدد ٣٥١، بتاريخ ٦ أفريل ١٩٥٦م بلفظ: (اصـطبر) بدلًا من (لا ترَع)!!

(٣٣) راجع التجربة الشـعرية عند أبي القاسـم سـعد الله ص٩٢، ١٣٧؛ حيث اكتفى عبد الكريم شبرو

بضـبط الشين بالكسر، وبأن الأبيات من بحر الرمل! ولا يستقيم الوزن العروضيّ بكسر الشين مع قطع الهمزة.

(٣٤) تاج العروس للزَّبيديّ (ب ش ر) جـ١٠/١٨٤: ١٨٥.

(٣٥) ديوان النصـر للجزائر ص٣٧ وكُتبت كلمة (الانتقام) بالوصـل، والأفضل كتابتها بالقطع مراعاة لصحة الوزن، وقارنْ هذا البيت بما ورد ص٤٠:

في احتفال بانبعاث صاعد   إنه يوم السَّراح الواعد

(٣٦) كذا اسـمه في المفضـليات للمفضَّـل (ت نحو ١٧٨ه) - تحقيق وشـرح أحمد شـاكر وعبد السـلام هارون- دار المعارف- القاهرة- مصر ط٣/١٩٦٤م. (المفضليَّة ١١٦) ص٣٨٣، وشرح المفضليات للتبريـزي (ت٥٠٢ه) - تحقيـق علي محمد البجاوي- من فرائد التراث الأدبيّ- (٣)- دار نهضـة مصـر للطبع والنشـر جـ٢/١٢٨٩، وجاء الاسـم بالألف والـلام (القيس) في الحواشـي] التنبيه والإيضـاح عمـا وقع فى الصـحاح [لابن بـرى (ت ٥٨٢ه) - حققها وأكملها مـن رواية ابن منظور مجموعـة من خـبراء المجمع وأعضـائه- مطبوعـات مجمع اللغـة العربية – القاهرة – مصـر ط١/١٩٨٠-٢٠١٠م. (ب شـ ر) جــ٢/٨٥، ولسـان العرب لابن منظور (ت٧١١ه) - دار صـادر- بيروت- لبنان ط١/٢٠٠٠م. (ب ش ر) جـ٢/٩٠.

(٣٧) كذا رواية البيتين عن الكسـائي في معاني القـرآن للفراء (ت٢٠٧ه) - عالم الكتب- بيروت- لبنان ط٣/١٩٨٣م. جـ١/٢١٢، وكذا الرواية في الصـحاح للجوهـري (ب ش ر) جـ٢/٥٩٠، ووقع البيتان برواية: « وايْسِر بما يسروا به » في المفضليات (المفضليَّة ١١٦) ص٣٨٥.

(٣٨) ديوان الزمن الأخضـر- قصيدة البعث ص٢٣٥. والبيتان الأول والثاني مكسوران لا يستقيمان مع مجزوء الرمل، ولم يعلِّق شـبرو، واكتفى بأن الأبيات من بحر الرمل! راجع التجربة الشـعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٨١، ١٠٠، ١٣٧.

(٣٩) وللتقديم نماذج أخرى في شـعر سـعد الله؛ راجع ديوان النصـر للجزائر- قصـيدة ثورة الأرض ص٦٧: ٧٠، وديوان الزمن الأخضـر- قصـيدة أنشـودة المزارع والحقول ص١٤٥: ١٤٨ حيث قدَّم سعد الله كلمة (أبدًا) في قوله: « وأنا هنا أبدًا هنا... ...إنا هنا أبدًا هنا ».

(٤٠) معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت٦٢٦ه) - تحقيق إحسان عباس- دار الغرب الإسلاميّ- بيروت- لبنان ط/١٩٩٣م. جـ٦/٢٨٠٧.

(٤١) ولم يفطن الأستاذ عبد الكريم شبرو إلى هذا الملمح في الموسيقى الشعرية عند سعد الله!

(٤٢) ديوان النصـر للجزائر ص٣١، ٣٢، ٤١، ٥٧: ٥٨ وقد وقع البيت الرابع بنصـب (أيدينا)، ووقعتْ (أكفا) بلا تنوين!

(٤٣) لاحظْ نصب (أنامل) في البيت الثاني، ولاحظْ وزن الأبيات الثلاثة الأخيرة!

(٤٤) ديوان النصر للجزائر ص٧٠.

(٤٥) مثل قول سعد الله في قصيدة هزار الشعر ص٧٠: ٧١: « من النُّبوغ الإلهي في سواقيها »؛ حيث خفَّف ياء النسب؛ ليستقيم له وزن بحر البسيط! وراجع نماذج أخرى في قصيدة أوراس ص٢٤٩، وقصيدة الحزن ص٣٣٥.

(٤٦) وما أكثرها في كتب سعد الله! ولها أسباب منها سرعة النشر في ظروف سياسية حرجة؛ راجع مثلًا ديوان النصر للجزائر ص٣٨: « يا فضاءًا... ... يا سماءًا»!!

(٤٧) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة الثائر الأسير ص٢٢١: ٢٢٢، وفي ديوان النصر للجزائر ص٧٦: ٧٨ وقع البيت الثالث بلفظ: (الصحوفا مرق)!

(٤٨) لم يفطن إليه عبد الكريم شبرو؛ فضبط الكلمة بفتح الراء! راجع التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٩٠، ١٣٧.

(٤٩) معجم اللغة العربية المعاصرة- د.أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل كنتُ واحدًا منهم- عالم الكتب- القاهرة- مصر ط١/٢٠٠٨م. (و ض ح) جـ٣/٢٤٥٥، وراجع: ديوان الزمن الأخضر - قصيدة إلى المقصلة ص٢٣٠، والتجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص١٣٧؛ حيث زعم شبرو أن قصيدة (إلى المقصلة) من بحر الوافر (الحر)!

(٥٠) ديوان الزمن الأخضر - قصيدة خطى السنين ص١٥٩، وقصيدة كفاح إلى النهاية ص٢٨٣، وديوان النصر للجزائر ص٢٩، وراجع: أثر المثاقفة والترجمة في تركيب الجملة العربية- د.عصام درار الكوسي- العدد ٥٩٣- مجلة البيان- رابطة الأدباء الكويتين- الكويت ط/٢٠١٩م. ص٣١، وإن كنتُ لا أوافق الكوسي في زعمه ص٣٢ أن الفعل (وصل) لازم في العربية لا يحتاج إلى مفعول به!

(٥١) وهذا التعبير ليس من باب الاضطرار؛ فقد وقع في كتابات سعد الله النثريَّة منها قوله: " والجزائر التي كانت جزءًا من هذه المنطقة، كانت أكثر تأثرًا بما كان يحدث؛ لأنها كانت- كما لاحظنا- مسرح معارك ومطمح غنائم؛ ولذلك كثر فيها هي بالذات الاضطراب والفوضى وسوء المعيشة»، راجع كتابه: تاريخ الجزائر الثقافي- دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر ط/٢٠٠٧م. جـ١/٥٠.

(٥٢) راجع حديث سعد الله عن الإنتاج البوربري (الدارج) في مقاله: التعامل مع اللغة العربيّة بالجزائر أثناء الاحتلال- جـ٨٣- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر ط/١٩٩٨م.ص١٦٣.

(٥٣) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٧٢، ٧٤، ١١٨، ١٢٠، ١٣٨؛ وقد زعم شبرو أن قول

سعد الله: (وبنينا غَدَنا بالتضحياتِ) على وزن: فعلاتن فعلاتن فاعلان!

(٥٤) معجم الصواب اللغويّ- د.أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل كنتُ واحدًا منهم- عالم الكتب- القاهرة – مصر ط١/٢٠٠٨م. (٣٠٦٥- سوف لا) جـ١/٤٥٥، (٢٧٤- الفصل بين سوف والفعل المضارع بعدها) جـ٢/٨٩١،(٤٨٣- دخول سوف على الفعل المضارع المنفيّ بلا) جـ٢/٩٣٨.

(٥٥) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة طريقي ص١٣٦، ١٤٤.

(٥٦) معجم الصواب اللغويّ(٤٦٤- حذف ياء المنقوص مع إضافته) جـ٢/٩٣٥.

(٥٧) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٢٥.

(٥٨) أفكار جامحة ص١٨١، ١٨٤.

(٥٩) ملاحظات حول التعريب في الجزائر- د.أبو القاسم سعد الله- العدد٨٥- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/١٩٩٩م.ص٣١٩، وراجع قوله في مقاله: رؤية نقديّة عن المجامع اللغويّة العربيّة- العدد ١١٣- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠٨م.ص٣٣: « في نهاية الخمسينيّات استقلَّت(!) معظم الأقطار العربية»؛ فهل هذا خطأ مطبعيّ من المجلة الناشرة- وما أكثر أخطاءها- أو هو استعمال جزائريّ؟! وقد وقع في مقال سعد الله: الجهود اللغويّة للشيخ محمد الطاهر التليلي- د.أبو القاسم سعد الله- العدد ١٠٢- مجلة مجمع اللغة العربية- بالقاهرة ط/٢٠٠٤م. ص٦٣: « الأضداد للمتوزي»؛ فهل الخطأ في اسم (التوَّزي) من سعد الله أو من المجلة نفسها؟

(٦٠) مقدمة ديوانه النصر للجزائر ص١٢؛ والصواب "ولم يمضِ سوى بضعة أسابيع".

(٦١) ومن مؤلفات سعد الله أيضًا: أبو القاسم بن سديرة حياته ومؤلَّفاته- العدد ١٠٠- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠٣م، والتثاقف السياسيّ والفكريّ- العدد ٩٦- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠٢م، وتراجم أدبيّة من مخطوط مجهول، تاريخ عبد الحميد بك- جـ٦٧- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/١٩٩٠م، والثقافة العربيّة في عصر العولمة- العدد ١٠٧- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠٦م، وخطر الدخيل على الفصحى والعاميّة معًا- العدد ٩١- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠١م، وعبد القادر نور الدين (١٨٩٠م-١٩٨١م) مدرِّسًا ومؤلِّفًا ومترجمًا- العدد ١١٦- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠٩م، وقضايا شائكة- دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان ط/١٩٨٩م، واللغة العربيّة في الخطاب الرسميّ- العدد ٩٤- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠١م، والمستشرقون الفرنسيون وتعليم اللغة العربية للأوروبيين في الجزائر (١٨٣٠- ١٩١٤)- جـ٦٤- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/١٩٨٩م، ومنشور الهداية في كشف حال من ادَّعى العلم والولاية لعبد الكريم

الفكون(ت١٠٧٣ه)- تقديم وتحقيق وتعليق- دار الغرب الإسلاميّ- بيروت- لبنان ط١/١٩٨٧م.

(٦٢) وإنه ليحزنني غياب اسم هذا الشاعر من كتاب (من أعلام الثقافة العربية معجم تراجم) الذي أصدره مجمع اللغة المصريّ عام ٢٠١٦م! وكيف يغيب هذا الاسم الذي اختير صاحبه عضوًا بهذا المجمع عام ١٩٨٩م، وعضوًا بمجمع اللغة العربية بدمشق عام١٩٩٠م؟ والأعجب من ذلك أن المجمع المصريّ ترجم في هذا الكتاب لبعض المصريِّين الذين تأخَّرت وفاتهم عن أبي القاسم سعد الله مثل الدكتور كمال بشر، والفنانة الممثِّلة فاتن حمامة، والموسيقار المغنِّي محمد عبد الوهاب! بل ترجم المجمع لبعض الأحياء وقت طباعة الكتاب مثل عبد الشافي عبادة وعبد الكريم خليفة ومحمد عبد الرحمن الشرنوبي ومحمد عبد العظيم سعود ومحمد عبد الفضيل القوصي؛ فهل خدمَت الممثِّلة فاتن حمامة والموسيقار محمد عبد الوهاب الثقافة العربيّة أكثر من أبي القاسم سعد الله، أو أن المجمع تعصَّب في كتابه للأعلام المصريِّين؟! راجع: من أعلام الثقافة العربيّة معجم تراجم ص٤٥٤، ٤٧٤، ٥٧٤، ٦٧٧،٦٨٠، ٦٨٤، ٦٩١.

نُصوصٌ سَقَطَتْ مِن تَحْقِيقِ كِتَابِ الدُّرِّ الفَرِيدِ وَبَيتِ القَصِيدِ

د. عبد الرَّازق حويزي

إنَّ كتابَ الدُّرِّ الفريد وبيت القَصيد أثرٌ نَفيسٌ، لا يَعدلُه أثرٌ آخر في الاشتمال على أَنفس النُّصوص الشِّعريَّة الَّتي قَالها الشُّعراء العربُ القُدامَى، فهو بحقٍّ موسوعةٌ شِعْرِيَّةٌ ضخمةٌ، لا تزالُ تفتقرُ إلى الدِّراسات العديدةِ على جميع المستويات.

وعلى الرَّغم ممَّا كُتب حَوْلَه، فلا تزالُ الكتاباتُ المأثورةُ الَّتي تناولَتْه تَعريفًا وَتَحْقِيقًا واستدراكًا قَاصِرَةً عَن الإيفاءِ بحقِّه وَمَكَانَتِه بينَ مَصَادِرِ التُّرَاثِ العَرَبيّ[1].

أمَّا عنْ مؤلِّفه فهو محمّد بن أَيدَمُر (ت ٧١٠ هـ)، الشَّاعر الخَطَّاط، الَّذِي قَام عَلى مَدارِ ما يزيدُ عن (٢٥) عَامًا بجمع نصوص هذا الكتَاب، وتَنْبِيقهَا بخطِّه النَّفيسِ، وقد اتَّبَعَ مَنْهَجًا فَرِيدًا، حَيثُ قام بتَتَبُّع التُّرَاثِ الشِّعْرِيِّ حَتَّى عَصْرِهِ لاختيارِ أَجْوَد مَا فيه، ومن ملامح هذا المَنْهَج[2]:

١- التَّركيزُ عَلَى أَشْعَارِ الجَاهِلِيينَ وَالأُمويين والعبَّاسِيين.

٢- اختيارُ أجودِ هذه القَصَائد.

٣- اختيارُ أجودِ بيتٍ في كلِّ قَصيدَةٍ، وَإِثْبَاتُه في المتن.

٤- ترتيبُ الأبيات الجيِّدَةِ مِن حيثُ النَّظر إِلَى أَوَائِلِهَا وَتَرْتِيبِهَا مِنَ الأَلِفِ إِلَى اليَاءِ.

٥- الحرصُ عَلَى نِسْبَةِ الأَبياتِ إِلَى أَصْحَابِهَا.

٦- الإِفْصَاحُ أَحْيَانًا عَن مُنَاسَبَةِ قَصيدة البَيْتِ الفَرِيدِ المُثْبَتِ في المَتْنِ.

٧- إثباتُ معظمِ أبياتِ القَصيدة أو كلِّها في الهامش.

٨- التَّعريفُ بالشُّعراء في مواضعَ قَلِيلةٍ جِدًّا.

٩- استدراكُ مَافاتَه من جَيِّدِ الشِّعرِ في الهوامش.

١٠- الإفصاحُ عن حَصِيلَةِ الأَبياتِ المفرَدَةِ في نِهَايَةِ كُلِّ حَرْفٍ.

هَـذا هُوَ المَنْهَـجُ الذي تَرَاءى لي من مُلَازَمَتي مخطوط الكتاب طيلةَ خمسةَ عَشَـرَ عَامًا، أكرِّرُ النَّظرَ في مادَّتِه الشِّـعريَّة، لأَسْـتَعِينَ بِهِ في جَمْعِ الدَّوَاوين الَّتي فُقِدَت أصـولُها المخطوطةُ، منها: ديوانُ القاضـي الجُرجانيّ، وديوان ابن هُندو، وديوان ابن مُسْهر الموصِلِيّ، وغيرِهَا، أَو أستدركَ منه على الدَّواوينِ المجموعة.

وقد قدَّمَ العَلَّامَةُ (فؤاد سزكين) خِدْمَةً جَلِيلَةً للباحثين بِأَنْ قَامَ بجمع أَجْزَاءِ مخطوطـة هذا الكتابِ من بعض المكتباتِ، وقامَ بتصـويرها، وَنَشْـرِهَا في نُسَـخٍ مَحْدُودَةٍ، صَدَرَتْ نَشْرَتُها عَن معهدِ تاريخ العلوم العربيّة والإسلاميّة، فرانكفورت، عام ١٩٨٩ م، ثمَّ قَامَ الأسـتاذ (كامل سَـلْمان الجُبُوريّ) بتحقيقِه ونشـرِه في دار الكتـبِ العلميَّـة، بيروت، عام ٢٠١٥ م في ثلاثةَ عَشَـرَ جُزءًا، منها اثنانِ للفَهَارس الَّتي لم يَتَّضِـح مَنْهَجُها لبعض الباحثين، بَدَا ذلك من سـؤالِ بعضِـهِمْ عن كيفيَّة الاسـتفادة منها، فقلتُ: أثبتَ المحققُ أَرْقَامَ صَـفَحَاتِ نَشْـرَةِ (سـزكين) في مَتن التَّحْقيق، ثمَّ أَقَامَ فَهَارِسَـه عَلَى هَذه الأرقام، وليس على أرقامِ صَفَحَاتِ تَحْقِيقِه

هو. أي نَشَرَ فَهَارِسَ (سزكين) كَمَا هِي.

وَمِـن خلَال كَثْرَة مُراجَعتِـي للكِتَاب وَمُلَازَمَتِي إيَّاهُ اتَّضَـحَ أَنَّ النَّصَّ المُحَقَّقَ غَابَتْ مِنهُ نُصُوصٌ نَجِدُهَا فِي النُّسخة المخطوطةِ المُعْتَمَدَةِ فِي التَّحقِيق، منها:

(١)

أَخَـذَهُ شَـمْسُ الدِّينِ الكُوفِيّ الوَاعِـظ – رَحِمَهُ اللَّه – فَقالَ مُخَاطِبًا لِشَـمْس الدِّينِ مُحمَّد بن الجُوَينيّ صَاحب الدِّيوانِ: [مِنَ الكَامِل]

لِي فِي مَدِيحِكَ أَلْفُ بَيْتٍ قُلْتُهُ ... فَـانْـعِـمْ عَـلَـيَّ بِـفَـرْدِ بَـيْـتٍ وَاحِــدِ[٣]

قِيلَ: فَأَمَرَ لَهُ بِابْتِيَاعِ دَارٍ، قِيمَتُهَا خَمْسُ مئة دِينَار، وَسُلِّمَتْ إليه مِلْكِيَّة.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥٩. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٥٢/٩.

(٢)

وَمِنْ بَابِ (لَئِن) قَوْلُ الرَّضِيِّ يُسَلِّي الصَّابِئَ عَنْ مَرَضِه: [مِنَ الطَّوِيل]

لَئِن رَامَ قَبْضًا مِنْ بَنَانِكَ حَادِثٌ ... لَقَد عَاضَنا مِنْكَ انْبِسَاطُ جَنَانِ

وَإِنْ أَقعَدَتْكَ النَّائِبَاتُ فَطَالَمَا ... سَرَى مُوقَرًا مِن مَجدِكَ المَلَوانِ[٤]

وَإِنْ هَدَمَتْ مِنْكَ الخُطُوبُ بِمَرِّها ... فَـثَـمَّ لِـسَـانٌ لِـلـمَـنَـاقِـبِ بَـانِ

وَمَا زَلَّ مِنْكَ الرَّأْيُ وَالحَزْمُ وَالحِجَى ... فَتَأْسَى إِذَا مَا زَلَّتِ القَدَمَانِ[٥]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٠. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٣٠/٩.

(٣)

وَقَوْلُ أَبِي الفَتْحِ البُسْتِيّ: [مِنَ الطَّوِيل]

لَئِنْ صَدَّعَ الدَّهرُ المُشَتِّتُ شَمْلَنَا ... وَلِلدَّهرِ حُكْمٌ لِلجَمِيعِ صَدُوعُ

فَلِلنَّجْمِ مِنْ بَعْدِ الهُبُوطِ اسْتِقَامَةٌ ... وَلِلشَّمْسِ مِنْ بَعْدِ الغُرُوبِ طُلُوعُ[٦]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٠. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٣٠/٩.

(٤)

وَمِنْ بَابِ (مَا): [مِنَ السَّرِيع]

مَـا أَحَــدٌ طَـالَـتْ لَـهُ لِحْيَـةٌ فَــــزَادَت الـلِّـحْـيَـةُ فِي هَـيْـئَـتـه
إِلَّا وَمَـا نَـقَـصَ مِـنْ عَـقْـلِـه أَكْـــثَـرُ مِـمَّـا زَادَ فِي لِـحْـيَـتِـه[٧]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٦. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٩/٩٩.

(٥)

وَقَوْلُ أَبِي عِمْرَانَ، مُوسَــى بنِ الحُسَينِ بن مُوسَى بنِ عِمْرَانَ الإِشْبِيلِيّ: [مِنَ السَّرِيع]

مَا أَحْرَزَ البَيتَ لدينِ الفتَى.... البيت، وَقَبْلَه:

مَنْ يَصْحَبِ النَّاسَ يُوَطِّنْ عَلى سَـمَـاعِ مَـا يَـكْـرَهُ أَنْ يَـسْـمَـعَـهْ
فَـلَا يَـلُـمْـهُـمْ وَلْـيَـلُـمْ نَفْسَـهُ أَنْ عَـرَفُـوهُ أَوْ دَرَوْا مَـوْضِـعَـهْ
كُـلُّ امْــرِئٍ مِـنْـهُـمْ عَلَى حَـالَـةٍ يُــرِيــدُ أَنْ تَـجْــرِيَ فـيـهَـا مَـعَـهْ
فَــإِنْ تُـخَـالِـفْـهُـمْ تَـكُـنْ جَافِيًا وَإِنْ تُـحَـالِـفْـهُـمْ تَـكُـنْ إِمَّـعَـه[٨]
مَـا أَحْــرَزَ الـبَـيْـتَ لِـدِيـنِ الفَـتَـى ... الــبَــيــتُ

وَبَـعْـدَهُ[٩]:

وَأَقْـبَـحَ الجَـمْـعَ إِذَا لَمْ يَـكُـنْ يُـفِـيـدُ ذِكْـرَى فِـيـهِ أَوْمَـنْـفَـعَـهْ[١٠]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٦. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٩/٩٩.

(٦)

فَقَالَ أَحْمَدُ بنُ أَبِي فَنَنٍ لِعَبْدِ اللهِ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ سَـيِّدِ الشُّعَرَاءِ كُلِّهم ؟ قُلْتُ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: المُسَيَّبُ بِن عَلَسٍ فِي قَوْلِهِ: [مِنَ المُتَقَارِبِ]

تَبِيتُ المُلُوكُ عَلَى عَتْبِهَا وَشَيْبَانُ إنْ غَضِبَتْ تُعْتَبُ
وَكَالرَّاحِ بِالمَاءِ أخْلَاقُهُمْ وَأخْلَاقُهُم مِنهُمَا أعْذَبُ
وَكَالمِسْكِ تُرْبُ مَقَامَاتِهِم وَرَيَّا قُبُورِهِمُ أطْيَبُ[١١]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٨. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/١٢٦، وقد كُرِّر برواية أخرى في جزء آخر من مطبوع الدُّرِّ الفريد ٥/٢٧٧.

(٧)

قَالَ كَاتِبُهُ- عَفَا اللهُ عَنْهُ- وَقَالَ دِعْبِل: [مِنَ البَسِيط]

اللهُ يَعْلَمُ وَالأيَّامُ دَائِرَةٌ وَالمَرْءُ مَابَيْنَ إيحَاشٍ وَإينَاسِ
أنِّي أُحِبُّكَ حُبًّا لَوْ تَضَمَّنَهُ سَلْمَى سَمِيُّكَ ذَاكَ الشَّاهِقُ الرَّاسِي
حُبًّا تَلَبَّسَ بِالأحْشَاءِ فَامْتَزَجَا تَلَبُّسَ المَاءِ بِالصَّهْبَاءِ فِي الكَاسِ[١٢]

أَخَذَهُ البُحْتُرِيُّ، فَقَالَ: [مِنَ البَسِيط]

إني وَجَدْتُكَ مِنْ قَلْبِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ المُصَافَاةُ بَيْنَ المَاءِ وَالرَّاحِ[١٣]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٨. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/١٢٦.

(٨)

وَمِنْ بَابِ (مَاتَ): [مِنَ الكَامِل]

مَاتَ المُدَاوَى وَالمُدَاوِي وَالَّذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنِ اشْتَرَى[١٤]!

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥١. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/١٣٦

(٩)

ابنُ الرُّومِيّ: [مِنَ الكَامِل]

أتَرُومُ أنْ يَلِدَ الزَّمَانُ مُمَدَّحًا؟ هَيْهَاتَ أُمُّ المَكْرُمَاتِ عَقِيمُ![١٥]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥١. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/١٣٦.

(١٠)

أَبُو المَكَارِم البَارِعُ[١٦]: [مِنَ البَسِيطِ]

وَخَلَّفُونِيَ فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ   لَوْ أَبْصَرُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الكَرَى مَاتُوا![١٧]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥١. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/١٣٦.

(١١)

[مِنَ السَّرِيع]

مُصِيبَةٌ لا غَفَرَ اللهُ لي   إِنْ أَنَا أَذْرَيْتُ لَهَا دَمْعَهْ[١٨]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥١. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/١٣٦.

(١٢)

وَمِنْ بَابِ (مَا لي) قَوْلُ الرَّشِيدِ بن المَهْدِيّ الخَلِيفة: [مِنَ الكَامِلِ]

مَلَكَ الثلاثُ الآنِسَاتُ عِنَاني   وَحَلَلْنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانِ

مَا لي تُطَاوِعُنِي البَرِيَّةُ كُلُّهَا   وَأُطِيعُهُنّ وهُنَّ فِي عِصْيَانِي

مَا ذاكَ إلاَّ أَنَّ سُلْطَانَ الهَوَى   وَبِهِ عَزَزْنَ أعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي[١٩]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٨٢. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/٢٠٧.

(١٣)

وَمِنْ بَابِ (مَا نَالَ): [مِنَ الكَامِلِ]

مَاطِلْ بِأَيَّامِ الحَيَاةِ فَإِنَّهَا   تَفْنَى وَيَفْنَى هَيِّنٌ وشَدِيدِ

مَا نَالَ غَايَاتِ المَطَالِبِ طَالِبٌ   يَوْمًا وَلَا بَلَغَ المُرَادَ مُرِيدُ

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٨٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/٢١٦.

(١٤)

أَبياتُ بَهَاءِ الدِّينِ زُهَير المِصْرِي يقولُ منها: [مِنَ البَسِيطِ]

١- رَسائلُ الشَّوق عِنْدي لَو بَعَثْتُ بها | إلَيكُم لم تَسَعْهَا الطُّرُقُ وَالرُّسُلُ
٢- فَيَا رَسُولي إِلَى مَنْ لاَ أَبُوحُ به | إنَّ المُهِمَّات فيهَا يُعْرَفُ الرَّجُلُ
٣- بَلِّغ سَلامي وَبَالِغْ فِي الدُّعَاء لَهُ | وَقَبِّل الأَرْضَ عَنِّي عِنْدَما تَصِلُ
٤- يَزْدَادُ شِعْرِي حُسْنًا عِنْدَ ذِكْرِكُمُ | إنَّ المَلِيحَةَ فيها يَحسُنُ الغَزَلُ
٥- إنَّ المَلِيحَةَ تَكْفيهَا مَلاَحَتُهَا | لاسيَّما وَعَلَيْهَا الحَلْيُ وَالحُلَلُ
٦- قَضِيَّتِي فِي الهَوَى وَاللهِ مُشْكِلَةٌ | مَا القَولُ مَا الرَّأْيُ مَا التَّدْبِيرُ مَا العَمَلُ؟
٧- دَعِ التَّوَانِي فِي أَمْرٍ تَهُمُّ بِه | فَإِنَّ صَرْفَ اللَّيَالِي فَائِتُ عَجِلُ
٨- سَابِق زَمَانَكَ وَاحْذَرْ مِنْ تَقَلُّبِه | فَكَمْ تَقَلَّبَت الأَيَّامُ وَالدُّوَلُ؟!
٩- لاَ تَرقُب النَّجْمَ فِي أَمْرٍ تُحَاوِلُهُ | فَاللهُ يَحْكُمُ لا جَدْيٌ وَلا زُحَلُ
١٠- مَعَ السَّعَادَةِ مَا لِلنَّجْمِ مِنْ أَثَرٍ | فَلاَ يَغُرُّكَ مِرِّيخٌ وَلا زُحَلُ[٢٠]

مَخْطُوطُ الدُّرِّ الفَرِيد ٥/١١٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٩/٢٩٠.

(١٥)

عِدَّةُ أَبيات حَرْفِ الميم أَلْفٌ وَمِئتانِ وَثَمَانِيةٌ وَثَلاثُونَ بَيْتًا[٢١].

١٥٨/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٩/٤٠٩.

(١٦)

قِيلَ وَعَدَ المَأْمُونُ بَعْضَ حَظَايَاهُ أَنْ يَزُورَهَا لَيْلَةً، وَيَبِيتُ عِنْدَهَا، فَاسْتَعَدَّتْ لِلزِّيَارَةِ، وَشُغِلَ عَنْهَا، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ مِنَ الغَدِ: [مِنَ الوَافِرِ]

نَتَفْنَا لِلزِّيَارَةِ وَانْتَظَرْنَا ... البَيْتُ[٢٢]

وَقَدْ ضَمَّنَهُ أَبُو عَبْد الله بن الحَجَّاج شِعْرَهُ لَمَّا قَصَدَ المَلِكَ السَّعِيدَ شَرَفَ الدَّوْلَة لِيُنْشِدَهُ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْه، فَانْصَرَفَ وَعَادَ مِنَ الغَدِ، فَأَنْشَدَ:

لَكَ العُمرُ المُؤَبَّدُ وَالدَّوَامُ | وَمُلْكُكَ لا يَرِيمُ وَلا يُرَامُ
نَظَمْتُ قَصِيدَتِي وَسَهَرْتُ وَحْدِي | لَهَا وَالنَّاسُ كُلُّهُمُ نِيَامُ
فَلَمَّا لَمْ يُسَاعِدْنِي وُصُولِي | وَلَمْ يَأْذَنْ لِي المَلِكُ الهُمَامُ
رَجَعْتُ فَقُلتُ مَا قَالَتْهُ قَبْلِي | فَتَاةٌ لَمْ يَكُنْ فِيهَا احْتِشَامُ:
نَتَفْنَا لِلزِّيَارَةِ وَانْتَظَرْنَا | وَلَمْ يَكُ غَيْرُ ذَلِكَ وَالسَّلاَمُ!

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ١٦٢/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٤٢٢/٩.

(١٧)

وَمِنْ بَابِ (وَأَحِبَّة): [مِنَ الكَامِلِ]

وَأَحِبَّةٍ مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّنِي ... أُبْلَى بِبَيْنِهِمُ فَبِنْتُ وَبَانُوا
نَأَتِ المَسَافَةُ فَالتَّذَكُّرُ حَظُّهُم ... مِنِّي وَحَظِّيَ مِنْهُمُ النِّسْيَانُ[٢٣]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ١٩٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٥٠٦/٩.

(١٨)

وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُ الآخَرِ: [مِنْ مَجْزُوءِ الكَامِلِ]

يَا مَنْ خَلَتْ مِنْهُ الدِّيَا ... رُ وَمَا ضَمِيرِي مِنْهُ خَالِ
لَا تَتَّهِمْنِي بِالسُّلُو ... وِ فَمَا فُؤَادِي عَنْكَ سَالِ
هَيْهَاتَ بَعْدَكَ سَلْوَةٌ ... لَا عِشْتُ إِنْ خَطَرَتْ بِبَالِي

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ١٩٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٥٠٦/٩. والبيت الأخير مكرر في مطبوعه ٩٣/١١.

(١٩)

قَالَ كَاتِبُهُ مُحَمَّد بن أيدمر - عَفَا اللّه عنهما - : لَمْ يَزَلِ الفَقِيهُ جَمالُ الدِّين بن يَحْيَى القُوَيْقِيّ - رَحِمَهُ اللّه - لي مُوَاصِلاً وِصَالَ الخَلِيلِ للخَلِيلِ مُدَّةَ أَيَّامِ مقامي بِبَلْدَةِ النِّيلِ، أَجْتَمِعُ بِهِ كُلَّ يَوْم مَرَّةً، وَأَلْتَقِطُ مِنْ جَوَاهِر أَلْفَاظِهِ دُرَّةً دُرَّةً، فَتَأَخَّرَ عَنِ الرَّسْمِ المُعْتَادِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مُوجِبٍ للبِعَادِ، وَدَعَوْتُهُ فَمَا اسْتَجَابَ، وَلَا أَعَادَ الجَوَابَ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَقُولُ: [مِنَ الكَامِلِ].

يَا مَنْ تَسَرْبَلَ بِالمَعَالي وَارْتَدَى ... وَحَوَى الفَضَائلَ فَاغْتَدَى مُتَفَرِّدَا
يَا سَيِّدَ الفُقَهَاءِ يَا مَنْ فَضْلُهُ ... عَمَّ الوَرَى وَكَفَى بِذَلِكَ مَحْتِدَا
عَامَلْتَنَا بِالوَصْلِ ثُمَّ هَجَرْتَنَا ... مَاذَا الجَفَاءُ وَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا؟
يَا مَنْ قَرِيحَتُهُ كَبَرْقٍ خَاطِفٍ ... وَذَكَاءُ فِطْنَتِهِ شَرَارٌ أَوْقَدَا
وَعُلُوُّ هِمَّتِهِ سَمَتْ طَمَّاحَةً ... تَعْلُو الثُّرَيَّا وَالسُّهَى وَالفَرْقَدَا
أَخْلاقُهُ مُرْتَاضَةٌ وَعُلُومُهُ فَيَّاضَةٌ ... وَبِهِ يُرَى فَصْلُ الخِطَابِ وَيُقْتَدَى
كَيْفَ انْطَوَى عَنْكَ الصَّوابُ وَكَيْفَ لَمْ ... يَعُدِ الجَوَابُ مُحَبِّرًا وَمُسَدَّدَا؟
وَلَقَدْ غَدَوْتُ مُفَكِّرًا مُتَحَيِّرًا ... مُتَعَجِّبًا مِمَّا رَأَيْتُ مُسَهَّدَا
وَأَقُولُ: إِنْ لَمْ نَجْتَمِعْ فِي يَوْمِنَا ... هَذَا وَفَاتَ لِقَاؤُنَا فَعَسَى غَدَا
وَاصِلْ أَخَاكَ إِذَا أَرَادَ تَوَاصُلًا ... وَاتْرُكْهُ إِنْ رَامَ القِلَى مُتَعَمِّدَا
وَاحْفَظْ لإِخْوَانِ الصَّفَاءِ عُهُودَهُمْ ... وَاخْتَرْ لِصُحْبَتِكَ الكَرِيمَ السَّيِّدَا
فَالصِّدْقُ أَنْجَحُ مَطْلَبًا أَوْ مَقْصِدًا ... وَأَحَقُّ بِالبَانِي العُلَا وَالسُّؤْدَدَا
أَنَا مَنْ عُرِفْتُ مُصَاحِبًا وَمُصَاحَبًا ... وَسِوَاكَ مَنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ إِلَى الهُدَى
وَمُحَمَّدٌ يَدْعُوكَ فَاسْمَعْ وَاسْتَجِبْ ... حَاشَاكَ أَنَّكَ لَا تُجِيبُ مُحَمَّدَا
لِيَ عَزْمَةٌ مَحْتُومَةٌ وَصَرِيمَةٌ مَلْمُومَةٌ ... إِنْ ضَامَ ضَيْمٌ وَاعْتَدَى
وَالخَيْرُ أَبْقَى لِلْكَرِيمِ ذَخِيرَةً ... وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَتَى وَتَعَوَّدَا
وَالحَمْدُ أَجْمَلُ مَا تَحَلَّاهُ الفَتَى ... دَهْرًا وَأَوْلَى مَا اقْتَنَى وَتَزَوَّدَا
تَفْنَى لُبَانَاتُ الرِّجَالِ وَتَنْقَضِي ... وَالشُّكْرُ بَاقٍ لَا يَزَالُ مُؤَبَّدَا
وَالمَرْءُ يَمْضِي وَالثَّنَاءُ عَقِيبَةٌ ... عُمْرًا تَرَاهُ مَدَى الزَّمَانِ مُجَدَّدَا
مَنْ جَرَّبَ الأَيَّامَ حَاذَرَ فَوْتَهَا ... لِيَنَالَ مِنْهَا حَظَّهُ أَوْ تَنْفَدَا
وَإِذَا النُّفُوسُ تَسَاعَدَتْ طَابَ الهَوَى ... وَحَلَا الغَرَامُ وَهَانَ مَا قَالَ العِدَى
أُثْنِي عَلَيْكَ بِنَظْمِ شِعْرٍ سَائِرٍ ... كَصَنِيعِكَ الحَسَنِ الجَمِيلِ مُجَوَّدَا
شِعْرٌ يَفُوقُ الرَّوْضَ بَاكَرَهُ الحَيَا ... وَيَرُوقُ أَسْمَاعَ الرُّوَاةِ مُرَدَّدَا
كَلَآلِئِ الحَسْنَاءِ زَادَ جَمَالَهَا ... نُورًا وَضَاعَفَ حُسْنَهَا فَتَزَيَّدَا
وَأَبُثُّ فِي الآفَاقِ مَدْحَكَ جَاهِدًا ... طَوْرًا أُرَتِّلُهُ وَطَوْرًا مُنْشِدَا
إِنْ عِشْتُ قُمْتُ بِبَعْضِ حَقٍّ وَاجِبٍ ... أَوْ إِنْ أَمُتْ كَانَ الأَنَامُ لَكَ الفِدَا
عِشْ وَابْقَ وَاحْلُمْ وَانْتَقِمْ وَافْخَرْ وَجُدْ ... بُثَّ النَّدَى وَاسْلَمْ عَلَى طُولِ المَدَى
وَابْلُغْ مِنَ العَلْيَاءِ أَقْصَى رُتْبَةٍ ... وَمِنَ السَّعَادَةِ مَا تَشَاءُ مُخَلَّدَا (٢٤)

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٢٨/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٨٦/١٠ .

(٢٠)

الوَزِيرُ ابنُ زَيدُونَ المَغْرِبِيّ، يَقُولُ مِنْهَا فِي المَدْح: [مِنَ الكَامِل]

١- وَبَدَتْ عَلَى أَهْلِ الهُدَى سِيمَاهُمُ ... وَكَأَنَّ أَوْجُهَهُمْ ثُغُورٌ تَبْسَمُ
٢- وَكَأَنَّمَا حَدَقُ العِدَى مَعْكُوسَةٌ ... مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ فَهْيَ فِيهِمْ أَسْهُمُ
٣- لَا تَقْبَلَنَّ سِوَى الأَحِبَّةِ نَاصِحًا ... إِنَّ النَّصَائِحَ مِنْ سِوَاهُمْ تُتْهَمُ
٤- وَلَرُبَّمَا كَذَبَتْكَ أَنْوَاءُ الحَيَا ... وَالبَرْقُ يُومِضُ وَالسَّحَابُ يُغَيِّمُ
٥- وَالمَرْءُ يُفْتِيهِ دَلِيلُ ضَمِيرِهِ ... أَنَّ الفُؤَادَ عَنِ اللِّسَانِ مُتَرْجِمُ
٦- وَالمَلْكُ يَأْنَفُ أَنْ يَحُلَّ سَرِيرَهُ ... ... البَيْتُ

وبَعْدَهُ:

٧- وَالوُدُّ يَظْهَرُ فِي العُيُونِ خَفِيُّهُ ... إِنَّ الوِدَادَ سَرِيرَةٌ لَا تُكْتَمُ[٢٥]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٤٨/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٤٢/١٠.

(٢١)

يُقَالُ: إِنَّ بَعْضَ المُلُوكِ بَكَّرَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الصَّيْدِ، فَلَقِيَهُ فِي طَرِيقِهِ أَعْوَرُ، فَاسْتَبْشَعَ بِلِقَائِهِ، وَأَمَرَ بِأَخْذِهِ وَضَرْبِهِ وَحَبْسِهِ، فَضُرِبَ وَحُبِسَ، ثُمَّ عَادَ المَلِكُ مِنَ الصَّيْدِ فَاسْتَحْضَرَهُ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ أَلَّا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ، وَعَرَّفَهُ أَنَّهُ إِنَّمَا ضَرَبَهُ وَحَبَسَهُ لِلتَّشَاؤُمِ بِلِقَائِهِ، فَقَالَ: الأَعْوَرُ: إِنْ أَذِنَ المَلِكُ وَأَعْطَانِي الأَمَانَ تَكَلَّمْتُ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: أَطَالَ اللّٰهُ بَقَاءَ المَلِكِ وَأَدَامَ عِزَّهُ، لَقِيتُهُ فَضُرِبْتُ وَحُبِسْتُ، وَلَقِيَنِي فَتَصَيَّدَ وَتَنَزَّهَ وَعَادَ سَالِمًا غَانِمًا، فَأَيُّنَا كَانَ أَشْأَمُ عَلَى صَاحِبِهِ ؟ أَنَا أَمِ المَلِكُ؟ فَضَحِكَ مِنْهُ، وَقَالَ: لَقَدْ صَدَقَ وَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٦٤/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٩٢/١٠.

(٢٢)

سُوَارُ بنُ المضرِّب العَبْدِيّ: [منَ البَسيط]

إنِّي لَأَسْتُرُ مَا ذُو العَقْلِ سَاتِرهُ مِنْ حَاجَةٍ، وَأُمِيتُ السِّرَّ كِتْمَانَا[٢٦]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٧٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ٢١٩/١٠، والصَّوَاب العَبْدِيّ كما ورد هنا وليس السَّعْديّ كما ورد في الكتاب نفسه ٥٣٢/٤.

(٢٣)

وَمِنْ بَابِ (حبّبَ) قَوْلُ ابنِ الرُّومِيّ، وَقَدْ خُوطِبَ فِي بَيْعِ مَنْزِله: [منَ الطَّويلِ]

وَلِيْ وَطَنٌ آلَيْتُ أَلَّا أَبِيعَهُ وَأَلَّا أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مَالِكَا

عَهِدْتُ بِه شَرْخَ الشَّبَابِ وَنِعْمَةً كَنِعْمَةِ قَوْمٍ أَصْبَحُوا فِي ظِلالِكَا

فَقَدْ أَلِفَتْهُ النَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَهَا جَسَدٌ إِنْ بَانَ غُودِرْتُ هَالِكَا

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمُ مَآرِبُ قَضَّاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَا

إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُم ذَكَّرَتْهُمُ عُهُودَ الصِّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَا[٢٧]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٧٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ٢١٩/١٠. البيت الرابع هو البيت المفرد.

(٢٤)

وَمِنْ بَابِ (وَعَاذِلَة) قَوْلُ أَبِي العَبَّاسِ عَبدِ اللّه بن المُعْتَزِّ باللّه: [منَ الطَّويلِ]

وَعَاذِلَة فِي الجُود قُلْتُ لَهَا: اعْذُرِي هَلِ المَالُ إِلَّا مَا كَسَبْتُ بِه حَمْدَا؟

تَلُومُ امْرَأً لَا تَأْكُلُ الأَرْضُ مَالَه سَلِيمَ النَّدَى مِنْ مَنِّه مَاجِدًا فَرْدَا

وَمَاذَا يُرِدْنَ العَاذِلَاتُ مِن امْرِئٍ قَلِيلِ هُدُوِّ اللَّيْلِ يُجْدِي وَلَا يُجْدَى

جَنِيبِ عُلَى جَوَّابِ أَرْضٍ مُسَلَّم مِنَ الذَّمِّ يُعْدِي الدَّهْرَ يَومًا إِذَا اسْتَعْدَى

عَلِيمٍ بِكَرَّاتِ الزَّمَانِ كَأَنَّه يَرَى بِضَمِيرٍ مَا أَعَادَ وَمَا أَبْدَى[٢٨]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٨٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ٢٦٢/١٠.

(٢٥)

وَقَوْلُ جُبَيهة بنت أوس الضَّبّيَّة تَتَشَوَّقُ إِلَى أَوْطَانِهَا [مِنَ الطَّويلِ]

١- وَعَاذلَة تَغْدُو عَلَيَّ تَلُومُني عَلَى الشَّوق لمْ تَمْحُ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبي
٢- فَمَا لِيَ إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشيرَتي وَأَحْبَبْتُ طَرْفَاءَ القُصَيبة مِنْ ذَنْب
٣- وَلَوْ أَنَّ ريحًا بَلَّغَتْ وَحْيَ مُرْسِل حَفيٍّ لَنَاجَيْتُ الجَنُوبَ عَلَى النَّقْب
٤- وَقُلْتُ لَهَا: أَدِّي إليهم رسَالَتي وَلَا تَخْلطيهَا طَالَ سَعْدُكِ بِالتُّرْب
٥- فَإِنّي إِذَا هَبَّتْ شَمَالًا سَأَلْتُهَا: هَل ازدادَ صُدّاحُ النُّمَيرَةِ مِنْ قُرْب؟[٢٩]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٨٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٦٢/١٠.

(٢٦)

وَمِن بَابِ وَمَا يَرِحَ[٣٠]:

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٢٢/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٣٧٧/١٠.

(٢٧)

وَمِنْ بَابَ (وَمَا) قَوْلُ الصَّاحِبِ بنِ عَبَّاد: [من الوافر]

وَمَا تَرَكَ العِيَادَةَ مِنْ أَخِيهِ أَخٌ إِلَّا تَمَنَّى أَنْ يَمُوتَا[٣١]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٢٤/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٣٨٢/١٠

(٢٨)

وَقَوْلُ ابنِ الدُّمَيْنَة: [مِنَ الطَّويلِ]

وَمَا تَسْتَوِي سَلْمَى وَلَا مَنْ يَعِيبُهَا إِلَينا كَمَا أَنَّه لَا يَسْتَوِي المِلْحُ وَالعَذْبُ[٣٢]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٢٤/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٣٨٢/١٠.

(٢٩)

وَقَوْلُ المُتَنَبِّي: [مِنَ الطَّوِيلِ]

وَما تَسَعُ الأَزْمَانُ عِلْمِي بِأَمْرِهَا وَلَا تُحْسِنُ الأَيّامُ تَكْتُبُ مَا أُمْلِي[٣٣]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢.

(٣٠)

وَقَوْلُ جَارِيَةٍ فِي تَفْضِيلِ الثَّيِّبِ عَلَى البِكْرِ: [مِنَ البَسِيطِ]

وَمَا تُصَادِفُ يَوْمًا لُؤْلُؤًا حَسَنًا بَيْنَ اللآلِئِ إِلّا كَانَ مَثْقُوبَا[٣٤]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢

(٣١)

وَقَوْلُ أَبِي فِرَاسٍ: [مِنَ الوَافِرِ]

وَمَا تُغْنِيكَ مِنْ هِمَمٍ طِوالٍ إِذَا قُرِنَتْ بِأَعْمَارٍ قِصَارِ[٣٥]؟

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢

(٣٢)

وَقَوْلُ المُتَنَبِّيّ: [مِنَ البَسِيطِ]

وَمَا تَقَرُّ سُيوفٌ فِي مَمَالِكِهَا حَتّى تَقَلْقَلُ دَهرًا قَبلُ فِي القُلَلِ[٣٦]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢

(٣٣)

وَقَوْلُ الرَّضِيِّ المَوْسَوِيِّ: [مِنَ البَسِيطِ]

وما تَـلَـوَّمَ جِسمي عَـن لقائكُمُ		إلّا وَقَـلـبـي إِلَـيـكُـم شَـيِّـقٌ عَـجِـلُ
وَكَـيـفَ يَـقـعُـدُ مُـشـتـاقٌ يُـحَـرِّكُـهُ		إِلَـيكُمُ الحافِزانِ الشَّوقُ وَالأَمَـلُ؟[٣٧]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢.

(٣٤)

وَقَوْلُ البُحْتُرِيّ:		[من الوافر]

وَمـا تَـنـفَـكُّ أَحْــدَاثُ الـلَّـيَـالي		تَـمِـيـلُ عَـلـى الـنَّـبَـاهَـة لـلـخُـمُـولِ
فَـلَـو أنَّ الـحَــوادِثَ طَاوَعَـتـنـي		وَأَعْـطَـتْـنـي صُـرُوفُ الـدَّهـرِ سُولي
وَقَــتْ نَفسَ الجَــوَادِ مِـنَ المَنَايا		وَمَـحـذوراتـهـا نَـفْـسُ الـبَـخِـيـلِ[٣٨]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢

(٣٥)

وَمِنْ بَابِ (وَمِنْ أَيْنَ) قَوْلُ آخَر:		[مِنَ الطَّوِيل]

وَمِـنْ أَيْنَ لي صَبْرٌ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ		أَرَى حَسَنَاتي فِي مَوَازِينِ أَعْدَائي؟[٣٩]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٣٦. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٤٢٢ – ٤٢٣

(٣٦)

وَمِنْ بَابِ (وَمَنْ تَرَكَ) قَوْلُ آخَر:		[مِنَ الوَافِر]

وَمَــنْ تَــرَكَ الـعَـوَاقِـبَ مُـهْـمَـلاتٍ		فَـأَيْـسَـرُ سَـعْـيِـهِ سَـعْـيُ الـعَـنَـاءِ[٤٠]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٣٦. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٤٢٢ – ٤٢٣.

(٣٧)

وَقَوْلُ أَبِي عَلِيّ مَسْكَوِيه الخَازِن :		[مِنَ البَسِيط]

وَمَـنْ تَـعَـوَّدَ عَضَّ السَّيفِ هَامَتُهُ		هَانَتْ عَلَى إِلْيَتَيْهِ عَضَّةُ القَتَبِ[٤١]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٣٦. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٤٢٢ – ٤٢٣

(٣٨)

قَـالَ كَاتِبُهُ- عَفَا اللّه عَنه - كنتُ أَسـايرُ الصَّـدرَ جـلالَ الدِّين عبد اللّه بن حَمْزَة، صَـدر الأعمال الحليَّة- رَحمه اللّه- إذْ لقيَنَا رَجُلٌ شَـاعرٌ، فَقَالَ للصَّـدْر جَلالِ الدِّين: قَدْ جِئْتُكَ مُسْـتَرفِدًا، وَجَعَلْتُكَ اليَوْمَ صَـيْدي، فَقَالَ الصَّـدْرُ جَلالُ الدِّين مُتَمَثِّلًا بِقَوْلِ المُتَنَبِّيّ: [مِنَ الطَّويل]

وَمَنْ جَعلَ الضِّرْغَامَ صَيْدًا لِبَازِه تَصَيَّدَهُ الضِّرغامُ فِيمَا تَصَيَّدَا(٤٢)

فَكَانَ ذَلِكَ أَحْسَنَ اسْتِشْهَادٍ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ.

مَخْطُـوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٣٦. يُضَـافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ١٠/٤٢٢ – ٤٢٣.

(٣٩)

وَمِنْ بَابِ (وَمِمَّا) قَوْلُ أَبِي تَمَّام: [مِنَ الوَافِرِ]

وَمِمَّـا ضَـرَّمَ الـبُرَحَـاءَ أَنِّي شَكَوتُ فَما شَكَوتُ إِلَى رَحِيمِ(٤٣)

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٣٦. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ١٠/٤٢٢ – ٤٢٣

(٤٠)

وَقَوْلُ آخَر: [مِنَ الطَّويلِ]

وَمِمَّا يَعيشُ النَّاسُ قدْمًا بِأُنسه رَجَـاءَ الـتَّلاقـي فِي زَمَـان الـتَّفَـرُّق

وَإِطْرَاقُ طَرْف العَينِ لَيْسَ بِنَافِع إِذَا كَانَ طَرْفُ القَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِق(٤٤)

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٣٦. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ١٠/٤٢٢ – ٤٢٣، وردت أعجاز النصوص (٣٥ – ٤٠) في التحقيق دون صدورها !.

(٤١)

وَمِنْ بَابِ (وَلَا) قَوْلُ القَائِلِ، وَيُرْوَى لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: [مِنَ الهَزَجِ]

وَلا تَصْحَبْ أَخَا الجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَم مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى حَلِيمًا حِينَ واخَاهُ
يُقَاسُ المَرءُ بِالمَرءِ إذا مَا هُوَ مَاشَاهُ
وَلِلشَّيءِ عَلَى الشَّيءِ مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ[٤٥]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٤٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٤٥٣. سقط البيتان الأخيران، وكتب الأولان في بيت واحد!

(٤٢)

[مِنَ البَسِيط]

مَا أَحْسَنَ الشَّخْصَ تَقْدِيرًا وَتَسْوِيَةً لِمَا يُرَادُ وَلَكِنْ فِي الثَّرَى يَلِجُ
يُزَيِّنُ الأَمْرَ لِلأَحْيَاء مَبْدَؤُهُ مُلاءَةً ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَهُ السَّبَجُ[٤٦]
إن يُوضَعِ الشَّيءُ يَوْمًا غَيْرَ مَوْضِعِهِ ....

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥٣٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/٤٤٧. بقية النص مطموسة!

(٤٣)

[مِنَ البَسِيط]

فَالعُودُ لَوْ لَمْ تَطِبْ مِنْهُ رَوَائِحُهُ لم يَفرُقِ النَّاسُ بَيْنَ العُود وَالحَطَبِ
كَذَلِكَ الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ شَاكَلَهُ صُفْرُ النُّحَاسِ وَكَانَ الفَضْلُ لِلذَّهَبِ[٤٧]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٢٠. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/١٦٦.

(٤٤)

[مِنَ البَسِيط]

يَا سَوْأَةً يُكْثِرُ الشَّيْطَانُ إِنْ ذُكِرتْ مِنْهَا التَّعَجُّبَ جَاءَتْ مِنْ سُلَيْمَانَا[٤٨]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٢٠. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/١٦٦.

(٤٥)

بَاقِي الأَبياتِ ببَابِ: **مَا قُلْتُ إلَّا مَا وَجَدْتُ حَقِيقَة... البيت**[٤٩]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٠٥/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/ ١٢٧.

(٤٦)

[مِنَ السَّرِيع]

وَاسْتَفْتِ فَهْمِي لَكَ عَمَّا بَدَا ... يُفْتِ وَسَلْ تَجْرِبَتِي تُخْبِرِ

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٠٥/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/ ١٢٧.

(٤٧)

[مِنَ الخَفِيف]

يَا زَمَانَ الصِّبَا عَلَيْكَ السَّلَامُ ... وَعَلَيَّ السُّلُوُّ عَنْكَ حَرَامُ

أيُّ عيشٍ قَطَعْتُهُ فِيكَ لَوْ دَا ... مَ وَهَلْ يُرْتَجَى لِظِلٍّ دَوَامُ؟[٥٠]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٦٥/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/ ٢٨٠.

(٤٨)

وقول آخر: [مِنَ البَسِيط]

يَا سَاقِيَ القَوْمِ إنْ دَارَتْ إليَّ فَلا ... تمزُجْ فَإنّي بِدَمْعِي مَازِجٌ كَاسِي

وَيا فَتَى الحَيِّ إنْ غَنَّيت مِنْ طَربٍ ... فَغَنِّ وَاحَرَبَا مِن قَلْبِكَ القَاسِي

الصَّخرُ أَلْيَنُ لي من قَلْبِكَ القاسي ... يَا مَنْ طَوَانِي وَحيّا كُلَّ جُلاّسِي

مَا لي وَللنَّاس كَمْ يَلْحُونَني سَفَهًا ... دِينِي لِنَفْسِي وَدِينُ النَّاس للنَّاس؟

إنْ كَانَ عَهْدُكمُ كَالوردِ مُنْصَرِفًا ... فَإِنَّ عَهْدِي لَكمْ أَطْرَى مِنَ الآسِ[٥١]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٦٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/ ٢٨١.

(٤٩)

وَمِنْ بَابِ(هَلِ الدَّهْرُ) قَوْلُ القَاضِي أَبِي الحَسَنِ: [مِنَ الطَّوِيلِ]

هَل الدَّهْرُ يَنْدَى ظِلُّه وَيَطيبُ ... وَيُقلِعُ عَمَّا سَاءَنَا وَيُنِيبُ؟
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلمَكَارِمِ رَوْعَةٌ ... لَهَا فِي قُلُوبِ المَكرُماتِ وَجيبُ؟
تَقَسَّمتِ العَلْيَاءُ جِسْمَكَ كُلَّهُ ... فَمِنْ أَيْنَ فيه لِلسَّقَامِ نَصيبُ؟
فَلا تَجْزَعَنْ تلكَ السَّمَاءُ تَغَيَّمَتْ ... فَعَمَّا قَليلٍ تَبْتَدي فَتَصُوبُ
وَقَدْ تَنْجلي الشَّمْسُ بَعْدَ اسْتِتَارِهَا ... وَينقُصُ ضَوءُ البَدْرِ ثُمَّ يَثُوبُ
تَهَلَّلَ وَجْهُ المَجْدِ وَابْتَسَمَ النَّدَى ... وَأَصْبَحَ غُصْنُ الفَضْلِ وَهْوَ رَطيبُ
فَلَا زَالَتِ الدُّنْيَا بِمِلْكِكَ طَلْقَةً ... وَلا زَالَ فيهَا مِنْ ظِلالِكَ طِيبُ
فَإِنَّ دُعَائِيْ مُسْتَجَابٌ لأَنَّهُ ... سُلالةُ قَلْبي وَالقُلُوبُ ضُرُوبُ(٥٢)

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٦٩/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٤٣/١١.

(٥٠)

قَالَ يَحْيَى بنُ خَالدٍ البَرْمَكيّ الوَزيرِ: أَعْطِ مِنَ الدُّنيا وَهِي مُقْبِلَةٌ، فَإِنَّ إِعْطَاءَكَ لَا يَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا، وَأَعْطِ مِنَ الدُّنْيَا وَهِيَ مُدْبِرَةٌ، فَإِنَّ مَنْعَكَ إِيَّاهَا لَا يُبْقي مِنْهَا شَيْئًا، قِيلَ: وَسَمِعَ ذَلكَ الحَسَنُ بنُ سَهْلٍ فَاسْتَحْسَنَهُ، وَقَالَ: للّه دَرُّهُ! مَا أَطْبعَه في الكَرَمِ، وَأَعْلَمَهُ بِالدُّنيا، وَسَمِعَ بِذَلِكَ الخُثْعَميّ الشَّاعِرُ، فَقَالَ: [مِنَ البَسِيطِ]

لا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا وَهْيَ مُقْبِلَةٌ ... فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّبْذيرُ وَالسَّرَفُ
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا ... وَالحَمْدُ مِنْهَا إذا ما أَدْبَرَتْ خَلَفُ(٥٣)

ويروى: فليس تبقى وباقي شكرها خلف.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٠٤/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٢٥/١١.

(٥١)

وقال آخر: [مِنَ الطَّويل]

إذَا جَادَت الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا عَلَى النَّاسِ طُرًّا إِنَّهَا تَتَغَيَّرُ

فَلَا الجُودُ يُفْنِيهَا إذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلا البُخْلُ يُبْقِيهَا إذَا هِيَ تُدْبِرُ(٥٤)

مَخْطُوطُ الدُّرِّ الفَرِيد ٥/٤٠٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/١٢٥.

(٥٢)

وَقَالَ آخَر: [مِنَ الطَّويل]

فَأَنْفِقْ إذَا أَيْسَرْتَ غَيْرَ مُقَتِّرٍ وَأَنْفِقْ عَلَى مَا خَيَّلَتْ حِينَ تُعْسِرُ

فَلَا الجُودُ يُفْنِي المَالَ وَالجَدُّ مُقْبِلٌ وَلَا البُخْلُ يُبْقِي المَالَ وَالجَدُّ مُدْبِرُ(٥٥)

مَخْطُوطُ الدُّرِّ الفَرِيد ٥/٤٠٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/١٢٥.

(٥٣)

أَبياتُ الرَّضِيِّ المَوْسَوِيّ: [مِنْ مَجْزُوءِ الكَامِل]

١- صَبْرًا عَلَى نُوَبِ الزَمَا ن وَإِنْ أَبَى القَلْبُ القَرِيحُ

٢- فَلَرُبَّ مُبْتَسِمٍ وَقَدْ أَخَذَتْ مَآخِذَهَا الجُرُوحُ

٣- يَسْعَى الفَتَى مُتَمَادِيًا وَيَدُ المَنُونِ لَهُ تُلِيحُ

٤- كَمْ آمِلٍ يَغْدُو عَلَى الـ أَمَلِ البَعِيدِ فَلَا يَرُوحُ؟

٥- بَينَا يُشَادُ لَهُ البِنَا حَتَّى يُخَطَّ لَهُ الضَّرِيحُ

٦- لَا تَيْأَسَنْ مِن أَنْ تَعُو دَ عَوَائِدٌ وَتَهُبَّ رِيحُ

٧- قَدْ يَسْقُطُ العُودُ الجَلِيـ ـدُ وَيَنْهَضُ النِّضْوُ الطَّلِيحُ

٨- وَتُفَرِّجُ الغَمَّاءَ يَخْـ ـرُجُ عِنْدَهَا العَطَنُ الفَسِيحُ

٩- وَلِكُلِّ شَيءٍ آخِرٌ إِمَّا جَمِيلٌ أَوْ قَبِيحُ(٥٦)

مَخْطُوطُ الدُّرِّ الفَرِيد ٥/٤٣٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/١٩٨.

(٥٤)

قَوْلُ عَبْدِ اللّٰه الجَعْفَرِيّ:لا خَيْرَ فِي الوُد ... البيتُ، وبعده: [مِنَ البَسِيطِ]

إذا تَغَيَّبَ لَم تَبرَحْ تُسيءُ به ... ظَنًّا وَتَسْأَلُ عَمَّا قالَ أَوْ فَعَلا

يُرَى الصَّديقُ بِأَدْغالِ مُكاشَرَةً ... وَلا يَقُولُ بِهَا يَوْمًا إذَا غَفَلا

فَلا عَداوَتُهُ تَبْدُو فَتَعْرِفُها ... مِنْهُ وَلا تؤسِّده يومًا لَهُ اعتَذلا(٥٧)

اعتذلا: من العذل.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٣٧/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٠٣/١١.

(٥٥)

لَمَّا ثَارَت الفِتْنَةُ بالشَّام فِي أَيَّام الرَّشيد بن المَهْدِيّ أَنْفَذَهُ الرَّشيدُ لجعْفَر ابن يَحيى بن خَالد إِلَيْهَا نَائِبًا عَنْهُ فِي إِطْفَاءِ تِلْكَ الفتْنَة فَلَمَّا أَصْلَحهَا وَانْصَرَفَ عَنْهَا قَالَ مُسْلم بن الوَليد قَصيدَةً يَمْدَحُهُ فيها، يَقُولُ مِنْهَا: [مِنَ البَسِيطِ]

١- استَفسَدَ الدَّهرُ أَقْوامًا فَأَصلَحَهُمْ ... مُحَمَّلٌ بِكِتَابِ اللهِ مُحتَمِلُ

٢- بِه تَعارَفَت الأَحْيَاءُ وَائتَلَفَتْ ... إِذْ أَلَّفَتْهُم إلى مَعروفه السُّبُلُ

٣- كَأَنَّهُ قَمَرٌ أو ضَيغَمٌ هَصِرٌ ... أَو حَيَّةٌ ذَكَرٌ أَوْ عَارِضٌ هَطِلُ

٤- لا يَضحَكُ الدَّهرُ إلّا حينَ تَسأَلُهُ ... .البيتُ

وبعده:

٥- سَدَّ الخَليفَةُ أَطرافَ الثُغور به ... وَقَد تَهَتَّكَ وَاسْتَرخَى لَها الطِّوَلُ

٦- كُلُّ البَرِيَّة مُلقٍ نَحوَهُ أَمَلًا ... للرُّغب وَالرُّهب مَوصولًا به الأَمَلُ

٧- داوَى فلسطينَ من أدوائها بَطَلٌ ... فِي صُورَة المَوت إلّا أَنَّهُ رَجُلُ

٨- سَلَّ المَنُونُ عَلَيهم من مَنَاصله ... مِثْلَ العَقيق تَرامَى دونَهُ الشُّعَلُ

٩- أَمَّنتَ بالشَّام أَرواحًا وَأَفئِدَةً ... قَدْ حَلَّ مُستَوطنًا أوكارها الوَجَلُ(٥٨)

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٥٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٤١/١١.

(٥٦)

يَقُولُ في مَدْحِ الفَتْحِ بنِ خَاقَانَ: [مِنَ البَسِيطِ]

هَا إنَّ سَعيَ ذَوِي الآمَالِ قَدْ نَجَحَا وَإنَّ بَابَ النَّدَى بِالفَتحِ قَدْفُتِحَا
أَغَرُّ يَحسُنُ مِنهُ الفِعْلُ مُبتَدِئًا نُعمى وَيَحسُنُ فِيهِ القَولُ مُمتَدِحَا(٥٩)

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٥٦. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/٢٥١.

(٥٧)

أَبياتُ عَبدِ العَزيزِ بنِ زُرَارَةَ الكِلابِيّ: [مِنَ البَسِيطِ]

مَرَّتْ عَلَيَّ فَملْ أَطْرَحْ لَهَا سَلَبِي وَلَا اشْتَكَيْتُ لَهَا وَهْنًا وَلا ضَلَعَا
وَلَا رَمَيْتُ عَلَى خَصْمٍ بِنَافِرَةٍ إلَّا رَمَيْتُ بِخَصْمٍ فَرَّ لِي جَذَعَا
كُلًّا لَبِسْتُ فَلَا النَّعْمَاءُ تُبْطِرُنِي وَلَا تَخَشَّعْتُ مِنْ لَأْوَائِهَا جَزَعَا(٦٠)

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٥٧،يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه١١/٢٥٣ .

(٥٨)

[مِنَ البَسِيطِ]

فَإِنَّهَا الرِّيحُ لَا تَسْطِيعُ تَحْبِسُهَا إِذْ أَنْتَ لَسْتَ سُلَيْمَانَ بنَ دَاودِ(٦١)

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٦٠. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/٢٦١.

(٥٩)

وَقَوْلُ آخَر: [مِنَ الخَفِيفِ]

يَا بَعِيدَ المَزَارِ وَهْوَ قَرِيبُ لَكَ فِي القَلْبِ شَاهِدٌ لَا يَغِيبُ
لَسْتُ أَنْسَاكَ مَا حَيِيتُ وَإِن كُنْـ ـتُ مَلُولًا وَكَيْفَ يُنْسَى الحَبِيبُ

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٦٢. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/٢٦٧.

(٦٠)

وَأَنْشَدَ إبراهيمُ الحَرْبِيّ: [مِنَ الخَفِيفِ]

يَـا حَـيَـائـي ممّــنْ أُحـــبّ، إذَا مَـا قَــالَ بَـعـدَ الــفِــرَاق: إنِّي حَـيِـيتُ
لَوْ صَدقتُ الهوَى حَبيبًا، عَلى الصّـ ـحّة لَـمَّـا نَـأَى، لَكُنْتُ أَمُــوتُ[٦٢]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٢٦٣. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/٢٧٢.

(٦١)

ومن بابِ (يا دهر) قولُ الملكِ العَزيز: [مِنَ الكَامِلِ]

يَا دَهْـرُ عَادَيْتَ الكِرَامَ مُعَانِدًا أَبَــدًا وَسَــالَمْـتَ الـلِّـئَـامَ مُـسَـاعِـدَا
وَغَـدَوْتَ كَالمِيزَانِ تَرْفَعُ نَاقِصًا فِينَا وَتُخْفِضُ لَا مُحَالَةَ زَائِـدَا[٦٣]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٢٦٣. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/٢٧٢.

(٦٢)

وَقَوْلُ عَبدِ الرَّحمنِ بن دَارةَ الفَزَارِيّ فِي الإِغْرَاءِ: [مِنَ الطَّوِيلِ]

أَيَـا رَاكِبًـا إِمَّـا عَـرَضْـتَ فَبَلِّغَنْ مُغَلْغَلَةً عَنِّي القَبَائِلَ مِـنْ عُكلِ
لَئِـنْ أَنْـتُـمُ لَمْ تَـثْـأَرُوا بِأَخِيكُمُ فَكُـونُـوا نِـسَـاءً لِلخلوقِ وَلِلكَحلِ
وَبِيعُوا الرُّدَيْنِياتِ بِالحُلْيِ وَاقْعُدُوا عَنِ الحَرْبِ وَابْتَاعُوا المَغَازِلَ بِالنَّبلِ[٦٤]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٦٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/٢٧٦.

(٦٣)

وَقَوْلُ حَارِثَةَ بن بَدْرٍ: [مِنَ الكَامِلِ]

يَا طَالِبَ الحَاجَاتِ يَرْجُو نُجْحَهَا لَيْسَ النَّجَاحُ مَعَ الأَخَفِّ الأَعْجَلِ[٦٥]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٦٧. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٨٤.

(٦٤)

[مِنَ البَسِيطِ]

لَـوْ كَـانَ لَـومُـكَ نُصحًا كُنتُ أَقبَلُهُ لَكِنَّ لَومَكَ مَحمولٌ عَلى الحَسَدِ[٦٦]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٦٨. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/٢٨٧

(٦٥)

- قَالَ المَنْصُورُ لَمَّا قَتَلَ أَبَا مُسْلِمٍ الخرَاسَانِيَّ: لَقَدْ شَارَكْتُ عبدَ الملك في قَوْلِ كُثَيِّرٍ فيه، وَأَنْشَدَ: [مِنَ الكَامِلِ]

يَصُدُّ وَيُغضِي وَهو لَيثُ خَفِيَّةٍ... البيت(٦٧)

وَقَالَ له عبدُ الصَّمد يومًا: يَا أميرَ المؤمنينَ: لَقَدْ هَجَمْتَ بالعُقُوبَة، حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بالعَفْو! فَقَالَ: لأَنَّ بَنِي مَرْوَانَ لم تَبْلَ رِمَمُهُم، وَآلَ أبي طالبٍ لَمْ تُغْمَدْ سُيُوفُهُمْ، وَنَحْنُ بَيْنَ أَقْوَام قَدْ رَأَوْنَا بالأَمْسِ سُوقَةً، واليومَ خُلَفَاءَ، فَلَيْسَ تَتَمَهَّدُ الهَيْبَةُ في صُدُورِهِم إِلَّا باطِّرَاحِ العَفْوِ وَاسْتِعْمَالِ العُقُوبَةِ.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٩٩. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/٣٦٣.

(٦٦)

- وَمِنْ بَابِ (يَعْلَمُ) قَوْلُ آخر: [مِنَ الخَفِيفِ]

يَعْلَمُ اللهُ أَنَّ قَلْبِي ضَعِيفٌ ... وَحَبِيبِي مَعْ ضَعْفِ قَلْبِي نَحِيفُ
لَوْ صَحَا القَلْبُ كُنْتُ مِنْ أَسْعَدِ النَا ... سِ وَلَكِنَّهُ المَشُوقُ أَلُوفُ
يَا خَلِيلِي قَدْ مَضَى كَدَرُ العَيـ ... ـشِ وَقَدْ سَاعَدَ الزَّمَانُ العَطُوفُ
إِنَّ طَرْفِي مُمَازِحٌ لِلسَانِي ... وَضَمِيرِي عَنِ الفُسُوقِ عَفِيفُ(٦٨)

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥٠٦. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/٣٧٩، البيت الثَّاني مكرَّر في ١١/٢٧٢.

(٦٧)

[مِنَ الطَّوِيلِ]

وَقَالُوا: يَعُودُ المَاءُ فِي النَّهْرِ بَعْدَمَا عَفَتْ مِنْهُ آثَارُوَجَفَّتْ جَوَانِبُ

فَقُلْتُ لَهُم: أَيْنَ الزَّمَانُ وَصَبْرُهُ لِعُمْرِ أَرَاهُ مُقْبِلًا وَهُو ذَاهِبُ

يَغُرُّ الفَتَى مَا طَالَ مِنْ حَبْلِ عُمْرِهِ وَيُغْرِيهِ بِالآمَالِ حِرْصٌ مُغَالِبُ

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥٠٧، يضاف النَّصُّ إلى مطبوعه ص ٣٨١/١١، البيتُ المُفْرَدُ هُو الأَخِيرُ.

(٦٨)

[مِنَ البَسِيطِ]

مَا لِي مِنَ المَالِ إِلَّا مَا تَقَدَّمَنِي فَذَاكَ لِي وَلِغَيْرِي مَا أُخَلِّفُهُ[٦٩]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٩٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠٥/١١.

(٦٩)

عِدَّةُ أَبيَات حَرْف الهَاءِثَلَاثُ مِئَة وَسَبْعَةٌ وَتِسْعُونَ بَيْتًا، عَدَا مَا عَلَى الحَاشِيَة، وَذَلِكَ فِي كُرَّاسَيْنِ إِلَّا ثَلَاثَةَ سُطُورٍ، وَالحَمْدُ للّٰهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍوَآلِهِ وَسَلَّم.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٩٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٩٩/١١.

(٧٠)

وَمِنْ بَابِ (هَجَرْتُكَ) قَوْلُ يُوسُفَ بن صُبيحٍ الكَاتِبِ: [مِنَ الطَّوِيلِ]

هَجَرْتُكَ لَمَّا لَمْ أَجِدْ فيكَ مُسْكَةً وَصَادَفْتُ منْكَ الوُدَّ غَيْرَ قَرِيبِ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ مِثْلَكَ يَنْثَنِي عَلَى جَنْبِ خَوَّانِ الصَّدِيقِ مُرِيبِ
فِرَاقُ أَخٍ يُعْطِي المَوَدَّةَ حَقَّهَا أَضَرُّ وَأَنْكَى مِنَ فِرَاقِ حَبِيبِ(٧٠)

مَخْطُوطُ الدُّرِّ الفَرِيد ٣٥٩/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/١٩

(٧١)

وَقَولُ أَبي عَبْدِ اللهِ بنِ الحَجَّاج: [مِنَ الطَّوِيلِ]

هَجَرْتُكَ لا أنّ البِعَادَ أَفَادَنِي سُلُوّاً وَلا أَنِّي بِعَهْدِكَ غَادِرُ
وَلَكِنْ هُوَ الهَجْرُ الَّذِي كُلُّ كَائِنٍ لِمُدَّتِهِ فِيهِ وَإِنْ طَالَ آخِرُ(٧١)

مَخْطُوطُ الدُّرِّ الفَرِيد ٣٥٩/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/١٩.

الهوامش

(١) ذكرتُ بعضَ هذه الدِّراساتِ في مجلَّة آفاق الثَّقافة والتُّراث ع ٧٩، ٢٠١٢ م ص ٩٤ – ٩٥، ضمن بحثي: نصوص شعريَّة جديدة مستخرجة من الدُّرِّ الفريد.

(٢) ينظر مقدّمة كتاب الدُّر الفريد وبيت القصيد، تحقيق: مصطفى حُسين عناية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٣ م، وينظر مقدِّمة محمد حُسين الأعرجي لكتاب الدُّر الفريد وبيت القصيدة بتحقيق كامل سلمان الجُبوري، وينظر المقال الموسوم باكتشاف مخطوط نادر لمؤلف متعدِّد المواهب، محمد غريب، مجلَّة البيان الكويتية، ع ٥٢٥، ٢٠١٤ م، ص ٥٥ – ٦٠.

(٣) البيتُ الَّذي تَأَثَّرَ به شَمْسُ الدِّين مَذْكُورٌ في التَّحْقيق، وَهو للأَبْلَه البَغْدَاديّ، وهو:

مَا زَالَ يَعْمُرُ بَيْتَ شِعْرٍ وَاحِدٍ فِيهِ طَوَالَ الدَّهْرِ بَيْتُ الشَّاعِرِ

(٤) المَلَوانِ، بالتَّحْريك، مُثَنَّى المَلاَ: اللَّيْلُ والنَّهارُ. تاج العروس للزبيدي (ط. الكويت) ٣٩/٥٥٤.

(٥) الأبيات للشَّريف الرَّضيّ في ديوانه ٥٤١/٢، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت. وروايةُ البيت الأخير فيه هي: «فنأسى».

(٦) ديوان أبي الفتح البُسْتيّ ٢٠١، تحقيق: شاكر العاشور، دار صادر، بيروت، ٢٠١٤ م. رواية البيت الأول هي: «المشتت جمعنا فللدَّهر حكم للجموع»، ورواية البيت الثاني فيه هي: «وللنجم من بعد الرجوع».

(٧) زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي ١/٢٤٥، تحقيق: محمد حجي، دار الثقافة، المغرب ١٩٨١م.

(٨) في الأصل: «حافيا». تصحيف.

(٩) تكملة البيت كما في المتن:

مَا أحرزَ البَيتَ لِدِينِ الفَتَى ... مُنْفَرِدًا فِيهِ وَمَا أَوسَعَهْ

(١٠) لم ترد الأبيات في محاوَلَتَي جمع شعره وتحقيقه.

(١١) ديوان المسيّب بن علس ٩٥، جمعه وحققه: أنور أبو سويلم، منشورات جامعة مؤتة، عمَّان، ١٩٩٤ م. البيت الأول فيه برواية: «وَكَالشُّهدِ بِالراحِ أَخلاقُهُم× وأحلامهم».

(١٢) ديوان دعبل بن عليّ الخزاعيّ ١٦٩، صنعة:عبد الكريم الأشتر، دمشق، ١٩٨٣ م . رواية البيت الثَّاني فيه هي: «دُكَّ الشَّاهق»، ورواية البيت الثَّالث هي: «تمازج الماء». سلمى: أحد جبلي طيء. هامش الدِّيوان. الأبيات مكرَّرة في ٢/ ٤٠ أيضًا في مطبوع الدُّر الفريد، البيتان ٢، ٣ مكرَّران في ٤/٥١٥، ولكنها لم ترد هنا حيث قصد المؤلف تكرارها.

(١٣) ديوان البحتريّ ٤٤٢، تحقيق وشرح:حسن الصَّيرفي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م.وصدر البيت فيه برواية: «وَجَدتُ نَفسَكِ مِن نَفسي بِمَنزِلَةٍ».

(١٤) البيت مكرَّر في الدُّرِّ الفريد أربع مرَّات، لم يرد منها فيه إلا ثلاث مرَّات فقد ورد في مطبوعه ٤/٤٢٨، ٩/١٩٨، ١١/٤٢

(١٥) أخل به ديوانابن الرُّومي (ط. حسين نصار).

بهذا البيت وبالبيت المذكور قبله في الدُّر الفريد، وهو:

مات الأكارم وانمحتْ آثارُهم ... فاقطع رجاءَك فالزمان لئيم

(١٦) هو أبو المكارم الحسن بن أبي بكر بن أبي القاسم النَّيسَابوري، تلميذ أحمد بن محمد الميدانيّ، ورد البارع بغداد، وعقد بها مجلس الوعظ، وكان معتزليًّا، وقرَّر قواعد المعتزلة، فوقع بين القوم منازعةٌ، تُوُفِّيَ سنة ٥٤٥ هـ.ترجمته في الوافي بالوَفيات للصفدي ١٢/٧، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وغيره، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠٠م

(١٧) يضاف البيت في الدُّرّ الفَريد بعد بيت أبي المكارم:

مَاتَ الكِرَامُ وَمَرُّوا وَانْقَضُوا وَمَضوا ... وَمَاتَ فِي إِثْرِهِم تِلْكَ الكَرَامَاتُ

والبيتان في النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥/٢٩٨ (ط. دار الكتب المصرية).

(١٨) يُضَافُ البيت بَعد بَيت الخَوَارِزْميّ الذي قَالَه في ميت، وهو:

مَاتَ أَبُو السَّهْلِ فَوَاحَسْرَتَا ... إِذَا لَمْ يَكُنْ مَاتَ مِنَ الجُمْعَهْ

والبيتان في ديوان أبي بكر الخوارزمي ٣٦٢، تحقيق: حامد صدقي، طهران، ١٩٩٧م.البيت مكرَّر

في مطبوع الدُّر الفريد ٩/ ٢٨٠، ولكنه سقط حيث وضعه المؤلف.

(١٩) الأبيات للعبَّاس بن الأحنف في ديوانه٢٧٩، تحقيق: عاتكة الخَزرجيّ، دار الكتب المِصريَّة، ١٩٥٤م، ورواية البيت الثَّالث فيه هي: «وبه عززن». سقطت الأبيات ولم يسقط اسم صاحبها المثبت هنا، وهو الرَّشيد، فأُضيف إليه نص آخر.

(٢٠) الأبيات في ديوان البهاء زهير ٢١٦- ٢١٨، تحقيق: محمَّد الجبلاوي، وآخر، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م. رواية البيت الأول فيه هي: «الطرق والسبل»، ورواية الثَّالث فيه هي: «في الخِطابِ». ورواية الرَّابع فيه هي: «حينَ أَذكُرُكُم»، ورواية الخامس فيه هي: «إن المليحة تغنيها»، ورواية السَّابع فيه هي: «سابِقٌ عَجِلُ»، ورواية الثَّامن فيه هي: «زمانك واحذر»، ورواية التَّاسع فيه هي: «فالله يفعل لا جدي ولا حمل»، وتكملة البيت العاشر كما في المتن:

مَعَ السَّعادَةِ ما لِلنَّجمِ مِن أَثَرٍ   فَلا يَغُرُّكَ مِرّيخٌ وَلا حمل

أبيات البهاء زهير مكررة في أكثر من موضع في الدُّرِّ الفريد. ينظر مطبوعه ٥/ ٢٠٧، ٦/ ٣٢٨، ولكنَّها لم ترد هنا.

(٢١) سقط من التَّحقيق ما تحته خطٌّ.

(٢٢) تكملة البيت على ما ورد في المتن، والبصائر والذَّخائر لأبي حيَّان التَّوحيدي ٢/ ٢٨، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، ط١، ١٩٨٨م:«ولم يك غير ذلك والسَّلام». روايته في البصائر والذَّخائر: «حلقنا».

(٢٣) البيتان لإبراهيم الرِّفاعي في معجم الأدباء لياقوت الحموي ١/ ٦٥، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م. وفيه أنَّ الرِّفاعي هذا اسمه إبراهيم بن سعيد بن الطيب، أبو إسحاق، من واسط، عاش ضريرًا، ورحل إلى بغداد، وصحب أبا سعيد السِّيرافي، وسمع منه بعض كتبه، وبعض الكتب اللُّغوية، ثم عاد إلى واسط ، توفي عام ٤١١ هـ. البيت الثَّاني وحده في مطبوع الدّرِّ الفريد ٩/ ٤١٣.

(٢٤) القصيدة في ديوان ابن أيدمر ٢٩٥ — ٢٩٧، جمع وتوثيق ودراسة: مصطفى حسين عناية، مجلَّة كلِّيَّة اللُّغة العربية، المنصورة، ع ٢٣، ٢٠٠٤ م.

(٢٥) البيتان الأخيران فقط موجودان في الكتاب، ومكان الباقي فيه نقاط. الأبيات ليست في ديوان ابن زيدون، وتمام البيت الأخير على ما ورد في المخطوط والمطبوع:

والمَلْكُ يَأْنَفُ أَنْ يَحُلَّ سَرِيرَهُ   إلا الذين أُنُوفُهُمُ لَا تُرْغَمُ

البيت الثالث مكرر في الدر الفريد، فهو في مطبوعه ١١/ ١٧٦.

(٢٦) سقط البيت الثَّاني، ويضاف لأبيات سوار بن المضرّب العبديّ، والبيت له في الدُّرّ الفَرِيد ٤/ ٥٣٢،

والزَّهرة لابن داود الأصـفهاني ١/ ٤١٤، تحقيق: إبراهيم السَّامرائي، وآخر، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٥ م.وشرح ديوان الحماسةلأبي علي المرزوقي ٩٥٢، تحقيق: غريد الشّيخ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣ م،وشـرح ديوان الحماسـة للتّبريزي ٢/ ١٣٧ ط. دار القلم، بيروت، والتّذكرة السّـعدية في الأشعار العربيّة للعبيديّ ١٢٠، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، وبلا نسـبة في الحماسـة البصريَّةلصـدر الدِّين البصـري، ٢/ ٧٣ تحقيق: مختار الدّين أحمـد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٤، والوَسـاطة بين المتنبي وخصـومه للقاضـي الجرجاني٣٥٢، تحقيق: محمّد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا. وفي بعض هذه المصادر: «سأستر».

(٢٧) ديوان ابن الرُّومي ٥/ ١٨٢٥، ورواية البيت الأول فيه هي: «أدع».

(٢٨) أخلّ بها ديوان ابن المعتزّ (ط. السّامرائي).

(٢٩) الأبيـات لوجيهة بنت أوس الضّـبّية في الزهرة ١/ ٤٣٠، وشـرح ديوان الحماسـة للمرزوقيّ ٩٨٦، وشـرح ديوان الحماسة للتّبريزي ٢/ ١٦٣، والحماسة البصـريّة ٢/ ١٤٨، ورواية البيت الثّالث فيه هـي: «فلو أن»، ورواية الرّابع فيه هي: «فقلت لها». ورواية البيت الثّاني في الزّهرة هي: «وأبغضـت طرفاء».

(٣٠) سقط ما تحته خط.

(٣١) أخلَّ به ديوان الصَّـاحب بن عباد، جمع وتحقيق:محمَّد حسـن آل ياسين، مكتبة النَّهضة، بغداد، ١٩٦٥ م.

(٣٢) ديوانه ٩٦ برواية: «إِلَينا كَما لاَ».

(٣٣) شـرح ديوان المتنبي(معجز أحمد) ٣/ ٩٥ المنسوب لأبي العلاء المعري، تحقيق:عبد المجيد دياب، دار المعارف، ١٩٩٢م. برواية: «وما تحسن». البيت مكرَّر في الدُّر الفريد في مطبوعه في موضع آخر ٥/ ٢٢٢، وليس مذكورًا هنا.

(٣٤) البيت بلا نسـبة في محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّـعراء والبلغاءللرَّاغب الأصفهانيّ٣/ ٣٩٨، تحقيق: رياض مراد، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤ م. وهو مكرَّر في مخطوط الدُّر الفريد، ولم يرد في هذا الموضع من المطبوع، وينظر مطبوعه ١١/ ١٦١.

(٣٥) ديوانه ١/ ٢٢٦، وفيه: «وما يغنيك».

(٣٦) ديوانه ٣/ ٧١. وفي هامشه: «أي ما تستقر مملكة سيف الدولة، ولا تستقر سيوف في مملكته حتى يقلقل أعداءه، وتتحرك سيوفه دهرًا في رؤوس الأعداء».

(٣٧) ديوانه ٢/ ٢٢٨.

(٣٨) ديوانه ٣/ ١٧٣٩.

(٣٩) البيت لعبد المحسن الصوري في ديوانه ٢/ ١٢١.

(٤٠) البيت بلا نسبة في البيان والتبيين للجاحظ١/ ٢٤٤، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ٢٠٠٣م، ومحاضرات الأدباء ١/ ٣٦، ونهاية الأرب ٦/ ٤٦ (ط. دار الكتب المصرية). وروايته فيهما: « فأيسر سَعيهاأبدًا تبار».

(٤١) القَتَبُ: الرَّحْلُ. تاج العروس ٣/ ٥١٦. البيت مكرر في سياق أبيات أخرى معه في الدر الفريد، ينظر مطبوعه ١١/ ١٦٠.

(٤٢)ديوانه ٣/ ٣٨٠، وفيه: «ومن يجعل الضرغام بازًا للصيد بازه».

(٤٣)ديوانه ٣/ ١٦٠، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ١٩٨٣م.

(٤٤)البيت الثاني فقط في شرح ديوان المتنبي(معجز أحمد)٣/ ٣٠٧.

(٤٥) الأبيات لأبي العتاهية في ديوانه ٦٦٥- ٦٦٦، وتنسب لغيرهما، ينظر هامش الديوان، ورواية الأخير فيه هي: «وَلِلشَّكلِ عَلى الشَّكلِ».

(٤٦) السَّبَجُ: خَرَزٌ أَسودُ. تاج العروس ٦/ ٢٧.

(٤٧) يوضع البيتان بعد البيت:

لا تُعجِبَنّك أَثْوَابٌ عَلَى رَجُل ... دَعْ عَنْكَ أَثْوَابَه وَانْظُر إِلَى الأَدَبِ

البيتان للشافعي كُرِّرَا ثلاث مرات، منهما ثنتان فقط في المطبوع ٣/ ٣٩٤، ١٠/ ١٣٠. غير هذا الموضع.

(٤٨) يوضع البيت قبل البيت:

لا تَعْجَبَنّ لخيرزَلَّ عَنْ يَدِه ... فَالكَوكَبُ النَّحْسُ يَسْقِي الأَرْضَ أَحْيَانا

(٤٩) وَرَدَ في كتاب ابن أيدمر المحقق البيت التَّالي:

لَا تعجَبُوا لِتَجَلُّدِي وَتَبَسُّمِي ... في بَاطِنِي بِخِلَافِ مَا فِي ظَاهِرِيْ

وَعَلَّق عَليه في الحاشية بقوله: «باقي الأبيات بباب: ما قلت إلا ما وجدت حقيقة... البيت». قلت: الأبيات لابن الحلاوي الموصلي في الدُّرّ الفَريد ٩/ ١٧٤، وكان من اللازم الإتيان بها، أو على الأقل كتابة تعليق ابن أيدمر المتمثِّل في قوله: «باقي الأبيات بباب: ما قلت إلا ما وجدت حقيقة... البيت». والإشارة إلى الصَّفحة .

(٥٠) البيتان لابن شمس الخلافة في مختاراته من ديوانه الموسومة بدرِّ النَّظم ونظم الدُّر ٢١٧ – ٢١٨، تحقيق: عبد الرازق حويزي، النَّادي الأدبي، المدينة المنورة، ط ١، ٢٠١٧ م.

(٥١) الأبيات بلا نسبة في المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسَّري الرَّفاء ٤/ ٢٦٤، تحقيق:ماجد

الذَّهبي وآخر، دمشق، ١٩٨٦م. البيتان الأولان بلا نسبة في نهاية الأرب ١٣٠/٤، والبيت الأول بلا نسبة في المدهش لابن الجوزي ٤٣٥، تحقيق: مروان قبَّاني، دار الكتب العلميَّة، ١٩٨٥م، ورواية البيت الثَّاني في نهاية الأرب هي: «قلبه القاسي». البيت الرابع وحده مكرَّر في الدُّر الفريد ٢٠٣/٩ برواية: «مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَستَغوونَني سَفهًا».

(٥٢) الأبيات في ديوانه ٧٣، صنعة وتقديم: عبد الرَّازق حويزي، مطبعة الشروق، ٢٠٠٣م. البيت الأول فيه برواية: «بك الدهر... ويتوب»، والبيت الرَّابع مكرر في الدُّر الفريد ١٥٢/٨، والبيت قبل الأخير مكرَّر في الدُّرِّ الفريد ١٧٩/٨.

(٥٣) البيت الأول وحده في الدُّرِّ الفريد دون الثَّاني. النص في المستطرف في كلِّ فنٍّ مستظرف للأبشيهي ٤٩٩/١، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م .ورواية البيت الثَّاني فيه هي:

فإن تَولَّت فأحرى أن تجودَ بها ... فليس تبقى ولكن شُكرها خلف

(٥٤) النص مكرَّر ثلاث مرَّات في الدُّر الفريد ٤٠٣/٢، ١٤٧/٨ باختلاف يسير في الرواية، ولكنه لم يرد هنا.

(٥٥) البيتان لعبيد الله بن طاهر في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٣٢/٩، تحقيق: إحسان عباس، وآخرَين، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، وهما لبعض المحدثين في عيون الأخبار لابن قتيبة ١٨٠/٣، دار الكتب المصريَّة، ١٩٣٠م. ورواية البيت الأول فيه هي: «فانفق إذا أنفقت إن كنت موسرًا»، ورواية البيت الأول في الأغاني هي: «انفق إذا أيسرت»، ورواية البيت الثَّاني فيه هي: «والمال مقبل».

(٥٦) الأبيات في ديوانه ٢٦٢/١. رواية البيت الأول فيه هي: «القلب الجريح»، ورواية البيت الثامن هي: «ويفرِّج».

(٥٧) تمام بيت عبد الله الجعفري هو:

لا خيرَ في الوُدِّ ممَّن لا تَزَالُ له ... مُسْتَشْعِرًا أَبَدًا من خِيفَةٍ وَجَلا

الأبيات في ديوان عبد الله بن معاوية ٦٨ جمعه: عبد الحميد الرَّاضي، مؤسَّسة الرِّسالة، ١٩٨٢م في أربعة أبيات ليس من بينها البيت الأول، وهو البيت المفرد، ولكنه لعبد الرَّحمن بن حسَّان ومعه آخر في عيون الأخبار ٧٧/٣ هما:

لا خَيْرَ في الوُدّ ممَّن لَا تَزَال لَهُ ... مُسْتَشْعِرًا أَبَدًا من خِيفَةٍ وَجَلا

إِذَا تَغَيَّب لم تبرحْ تسيءُ به ... ظنًا وتسأل عمَّا قَالَ أَوْ فَعَلا

ورواية البيت الثَّاني في ديوان عبد الله بن معاوية: «لم تبرح تظن به»، ورواية البيت الثَّاني فيه هي:

يُري الصَّديقَ لَهُ مِنهُ مُكاشَرَةً ... كَيما يَصولَ بِهِ يَومًا إذا غَفَلا

ورواية البيت الثَّالث فيه هي:

فَـلا عَــداوَتُــهُ تَـبـدو فَـتَـعـرِفُـهـا   مِـنـهُ وَلا وُدُّهُ يَـومًـا لَـهُ اعـتَـدَلا

(٥٨) الأبيات في ديوان مسلم بن الوليد ٢٥٠ – ٢٥٢، تحقيق: سامى الدَّهان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م،وتمام بيت مسلم بن الوليد كما ورد في المتن، وديوانه:

لا يَضحَكُ الدَّهرَ إلّا حينَ تَسأَلُهُ   وَلَيسَ يَعبُسُ إلّا حينَ لا يُسَلُ

ورواية عجز البيت الأول في ديوان مسلم بن الوليد هو: «مُحَمَّلٌ نَكَباتِ الدَّهرِ مُحتَمِلُ»، ورواية البيت الخامس فيه هي: «وَاستَرخى بِهِ»، ورواية البيت السادس فيه هي: «بِالرُّغبِ وَالرُّهبِ»، ورواية البيت التاسع فيه هي: «مُستَوطِنًا أَوطانُها».

(٥٩) البيتان في ديوان البحتري ١/٤٤٠.

(٦٠) سقطت هذه الأبيات من نصِّ عبد العزيز بن زرارة، والبيت الأول منها له في التَّذكرة الحمدونيَّة لابن حمدون ٤/٣١٤، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت ١٩٩٦ م.

(٦١) يوضع هذا البيت بعد بيت الصَّاحب بن عبَّاد:

يا ابْنَ الحَضِيرِيّ لا تَذْهَبْ عَلى خَجَلٍ   لِحَادِثٍ كانَ شِبْهَ النَّاي وَالعُودِ

لم يرد النَّص في هذا الموضع، وهو مكرَّر في الكتاب في موضع آخر ٧/١١٠.

(٦٢) مصارع العشَّاق لجعفر السَّرَّاج ٢/٢٦١ دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م، ومعجم الأدباء ١/٤٧، ورواية البيت الأول فيهما: «قلت: بعد الفراق»، ورواية البيت الثَّاني هي: «لكُنتُ تموتُ».

(٦٣) للسَّري الرَّفَّاء في ديوانه ٢/١٣٦ تحقيق: حبيب حُسين الحسني، دار الرَّشيد، بغداد،١٩٨١م. نُسبت مقطوعة الميكاليّ التَّالية للملك العزيز، ورواية البيت الثَّاني فيه هي: «فغدوت... يرفع ... ويخفض»، ورواية البيت الأوَّل فيه:

يا دَهْرُ صَافيتَ اللِّئامَ مُساعِدا   لَهُمُ وجانَبْتَ الكِرامَ مُعانِدا

(٦٤) في البيت الأول خرم. الأبيات في الأغاني ٢١/١٦٦، والتَّذكرة الحمدونيَّة ٥/٢٠٠، وهي لسالم بن دارة في الحماسة البصريَّة ١/٧٤، والوافي بالوفيات ١٨/١٦٧، وهي لعبد الرَّحمن بن دارة في الوَساطة ٣٥٦، والبيت الثَّاني فيه برواية: «على الذل»، ورواية البيت الأول فيه هي:

فإن أنتم لم تقتلوا بأخيكم   فكُونوا بَغايا للخَلوق وللكحل

(٦٥) البيت له في ديوانه ضمن شعراء أمويِّين ٢/٣٥٨. جمع وتحقيق: نُوري حمودي القيسي، عالم الكتب، بيروت،١٩٨٥م.النَّص مكرَّر في الدُّر الفريد ٤/٣١٢، ٧/٣٧٢، ولكنَّه لم يرد في هذا الموضع الذَّي قصد المؤلف تَكراره فيه.

(٦٦) البيت لأبي نواس في ديوانه ٣/١١١ ،تحقيق: إيفالدفاغنر، وزميله، الهيئة العامَّة لقصور الثَّقافة، مصر،٢٠٠٠م

(٦٧) البيت بتمامه على ما ورد في الأصل ١١/٣٦٣:

يَصُدُّ وَيُغضِي وَهُو لَيثُ خَفِيَّةٍ   إِذَا أَمكَنَتهُ فُرصَةٌ لَا يُقيلُهَا

(٦٨) الأبيات لوَضَّاح اليَمن في ديوانه ٥٨ جمع: محمَّد خير البقاعي، دار صادر، ط ١، ١٩٩٦ م هكذا:

يَا خَلِيلَيّ قَدْ صَفَا كَدَرُ العَيـ   ـشِ وَقَدْ أَسْعَدَ الزَّمَانُ الخَرِيفُ

إنَّ طَرْيِفِ مُمَازِحٌ وَلِسَاني   وَضَمِيري عَنِ الفُسُوق عفيفُ

لَو سَلَا القَلْبُ كُنْتُ مِن أَسْعَد النا   سِ ولكنَّه المشوم أَلُوفُ

طَرقتنا بِعَسْقَلان أُلوف   مَرحبًا بالخَيالِ حِينَ يُطِيفُ

يَعْلَمُ اللهُ أَنَّ قَلْبِي ضَعِيف   وَفُؤَادي مَعْ ضِعْفِ قَلبي نَحيفُ

(٦٩) هذا البيت مكرَّر في ٩/٢٠٩، ولكنه لم يرد حيث أراد المؤلف تكراره هنا. يوضع بعد بيت أبي علي البصير:

لَا أَجْعَلُ المالَ لي رَبًّا فَيَصْرِفني   لَا بَل أَكُونُ لَهُ رَبًّا فَأَصْرِفُهُ

(٧٠) الأبيات له في معجم الشُّعراءللمَرْزُباني٥٠٤ – ٥٠٥، تحقيق: عبد السَّتَّار فراَّج، هيئة قصور الثَّقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م،والبيتان الأخيران في له ربيع الأبرار وفصوص الأخبار:للزَّمخشري ١/٢٦١، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٩٢م .يوسف هذا هو أبو أحمد بن يوسف، وزير المأمون، كتب لعبد الله بن عليّ عمّ المنصور، وهو من أهل بيت شعر وأدب في الكوفة. ينظر معجم الشُّعراء ٥٠٤. البيت الأخير وحده مكرَّر في الدُّرِّ الفريد ٧/٤٩٠.

(٧١) البيتان له في التَّذكرة الحمدونيَّة ٦/١١٠ – ١١١.

من انتسب إلى وظيفته أو مهنته من علماء الأندلس

د.محمود أحمد هدية

إنَّ الإحاطة بدراسة أحوال العلماء والتطرق للجوانب الخفية من حياتهم تكشف لنا أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية لما نالوه من علو المكانة والمنزلة الاجتماعية داخل تلك المجتمعات التي نشؤوا بها أو قَدِموا إليها، وتقدم لنا المصادر التاريخية وخاصة كتب التراجم والأدب والتاريخ والمناقب سردًا لعدد من العلماء ممن انتسبوا لمِهَن وحِرَف مارسوها على الرغم من انشغالهم بمجالهم العلمي، مايوضح الجانب المعيشي للعلماء في الأَنْدُلُس لبيان أهمية العمل لديهم وطبيعة الأعمال التي تناسب مكانتهم، وهذا لايعني تدني الوضع المعيشي لعلماء الأَنْدُلُس في الوقت الذي جنى عدد منهم ثروات طائلة نتيجة ممارستهم التجارة بكافة أنواعها، ومن بينها تجارة الكتب بيعًا وشراءً، ومنهم من احترف الصناعة، وبعض الحِرَف الدقيقة، ومن خلال هذه الأعمال والوظائف نستطيع إبراز المستوى المعيشي لهؤلاء العلماء الذي شهد فترات تأرجح ولم يكن مستقرًّا عند حدٍ معيّن، نظراً لطبيعة الأعمال، وأثر الأوضاع الاقتصادية عليهم. إلا أنَّ ذلك لم يحل دون مشاركتهم لبعض أوجه النشاط المِهَني والحِرَفي، وذلك نابع من طبيعة المجتمع الأَنْدُلُسي فاتّصفوا بالدقة والجد والصبر في أداء أعمالهم فكانوا

«صينيون في إتقان الصنائع العملية وأحكام المِهَن التصورية فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع»[١]، وكانوا أيضًا «متى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة، وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس إليهم ويصير الذكر لهم»[٢].

وظهر الانتساب للمِهَن والحِرَف في المجتمع الأَنْدُلُسي في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ولكنه كان أوسع انتشارًا في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، إذ نجد في ثنايا تلك الكتب بعض الألقاب والكُنى الدالة على التسمي بالحِرَف والمِهَن آنذاك والتي تقدم معلومات غاية في الأهمية من خلالها نستنبط أبرز الأعمال التي مارسها العلماء، وقد نبع ذلك التقليد من دراية العلماء الأَنْدُلُسيين بقيمة العمل والانتصاب له لما أعلاه الإسلام من شأن الحِرَف والصناعات والقائمين عليها بشكل عام، بعد أنَّ كانت تلاقي نوعًا من الاحتقار والازدراء والمهانة في ثقافات العالم القديم، وكذلك العرب قبل مجيء الإسلام[٣] فإن أراد أحدهم أنَّ يسب شخص يقول له: «يا ابن الصَانع»[٤].

غير أنَّ تلك المفاهيم –عن الصِّناعة– تأرجحت بين التحقير تارة والتقدير تارة أخرى، خلال فترات متعددة من التاريخ الأَنْدُلُسي، فنجد الأمير مُحَمَّد بن عبد الرحمن (٢٢٨-٢٧٣هـ) في حديثه إلى وزيره هشام بن عبد العزيز يذكر: «كنا لا نخلف آباءكم فيكم، ولا نخلفكم في أبنائكم، فعند من نضع إحساننا ونرب معروفنا؟ عند أبناء القَزّازين والجزارين والحجامين وأشباههم من الغاضين للهيئة المخلين بالأبهة»[٥]، فنجد كثيرًا من ألقاب العلماء منتسبة للحِرَف والمِهَن ولم يجد البعض حرجًا في ممارسة وتأدية بعض المِهَن والحِرَف رغبة في تحسين أوضاعهم المادية والمعيشية، خاصة وأنَّ المجتمع الأَنْدُلُسي بلغ من الحذق والدراية بالحِرَف والصنائع مافاق أهل العدوة المغربية، وجعلهم يورثونها لأبنائهم وذويهم وحرصوا على الحفاظ على أسرارها وموروثاتها والإبقاء على صنعة الآباء والأجداد وإنّ كانت حقيرة ومزدرية في المجتمع، ومنهم من عمل بأجرة في الأماكن

العامة أو العمل لدى الصُنّاع الكبار والمعلِّمين، ومنهم أيْضًا من عمل لحسابه في حانوته أو منازله، ومنهم من سعى لتعلم الحِرَفةُ أو الصنعة أو توارثها عن الآباء والأجداد وفي هذه الحالة فإنهم يتقنونها بشكل جيد يسمح لهم بمزاولتها(٦)، رغبة منهم في المحافظة علي مِهْنتهم وأسرارها بتوريثها لأولادهم، فساعدوهم ونقلوا خبراتهم المكتسبة عبر السنين، ثم توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد(٧)، وهو ما جاءت به أمثال العامة «صنعة والدك، ولو كان حشاش»(٨)، وفي ظل تلك الظروف عانى المبتدئين من ثقل الجهد المُوكول إليهم نتيجة لاستغلال مُعَلّميهم لهم بشكل قاس ومهين خاصة وإن كانوا أيتامًا لا وليّ لهم أو مُعيل، أمَّا في حالة تعلّم الأبناء من الآباء والأجداد فإنهم يتقنونها بشكل بارع حتى يتوارثوا الحِرفةُ فيما بينهم ولا تندثر، مثلما فعل أهل الذمة وبخاصة الصُنّاع اليهود(٩).

وجاءت الأمثال العامية في الأَنْدُلُس لتضيف وتقدم عددًا من الحِرَف والمِهَن الأَنْدُلُسية، بشقيها النظيفة التي يتعاطاها أصحابها دون أنَّ تتسخ ثيابهم أو أبدأنهم أو يلوثوا أماكنهم التي يشتغلون بها، والوسخة والتي يتسخ فيها بدن أو ثوْب متعاطيها، أو تلوث المكان الذي يعمل به، فكانت تلك الحِرَف والمِهَن مرآة للوضع الاقتصادي عند الأَنْدُلُسيين أوساط المجتمع، ومن بين الأمثال التي حثّت على مزاولة العمل وإتقانه وتجويده في المثل«كُل أحد من صَنْعَته يَنْفِق»، والمثل«من كَثُرَة الصنّاعُ، قَلَّتْ القَطّاعُ»، فكان الحفاظ على أسرار الصنعة وأصولها أمرًا مهمًا بقولهم:«صَاحِبْ صَنْعَتَك عَدُّوك، وَلَو كَانَ أَخُوك»(١٠).

حِرَف ومِهْن العلماء:

على الرغم من تفاوت علماء الأَنْدُلُس في العلم والمكانة والتأثير داخل المجتمع، إلا أنَّ هذا عكس في مجمله الوضع الاجتماعي لهم وكيف أنَّ غالبيتهم ينتمون لأبناء الطبقة الوسطى والدنيا التي شكلت السواد الأعظم من أبناء المجتمع الأندلسي.

وقبيل الحديث عن حِرَف ومِهَن العلماء وجب التعريف بالحرفة؛ فهي الكسب والحصول على شيء، ومزاولة أعمال دقيقة مختصة يقوم بها العاملين المهرة وتتطلب جهدًا فكريًّا وبدنيًّا عاليًا، يمارسها أفراد معينون لفترات طويلة ويتوافر فيها عنصر الإبداع، لغرض الارتزاق، ويكون العمل فرديًّا على الأغلب فيها، ويتصف بالندرة في بعض الأحيان، واكتساب العمل يتم بالتتلمذ بين العاملين أنفسهم، وتنحصر بين جماعات وعوائل معينة يتوارثونها فيما بينهم ويشتهرون بها في أغلب الأحيان، ولكل الحِرَف أسرار وتقاليد وقواعد يُعمل بها[١١]، وهي تشمل الزراعة والتجارة ووكالات الدعاوى وتعليم العلوم والسمسرة والدلالة والقبالة وغيرها[١٢].

أمّا المِهْنة فمفهومها يتداخل مع الصناعة والحرفة، فقيل عنها هي العمل باليد والحذاقة بها، ولاتتطلب إبداعًا في تأديتها في كثير من الأحيان[١٣]، أمّا الصِّناعة هي عمل يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع الذي يعمل به، كالطحانة والخبازة والطباخة، أو في صفته كالنجارة والحدادة والصياغة[١٤]، وعرّفها ابن خلدون بأنها «ملكة في أمر عملي فكري»[١٥]، فهي إجادة الفعل، فكلّ صُنع فعلٌ وليس كلّ فعل صنعًا، ومنها يقال رجل صَنع اليدين إذا كان حاذقًا بها وماهرًا في عملها[١٦].

وتنقسم المِهْن والحِرَف إلى:

أولا: المِهْن والحِرَف المكتسبة:

سعى بعض الأئمة والعلماء في الأَنْدُلُس -كما أشارت كتب التراجم والسير والمناقب- لتعلم واكتساب فنون بعض المِهَن والحِرَف على اختلاف أنواعها وأصنافها ومراحلها رغبة في الحصول علي قوت يومهم من صنع أيديهم، فزاولوا الحِرَف ونسبوا إليها وتسموا بمفرداتها، مما يعطي مؤشرًا على أنَّ بعض العلماء ممن اختاروا الانخراط في الأعمال المِهْنية والحِرَفية لم تسعفهم

المكانـة أو المنزلـة لدى الدولة لأن ينضـموا للجهـاز الإداري لها، أو أنَّ بعضـهم فضـل الابتعاد عن السلطة ليتقي الشبهات على الرغم من قساوة المعيشة فقرروا امتهـان الأعمـال والحِرَف للعيشـ أيًّا كانت طبيعتهـا ومدى تناسـبها لمكانتهم، إمّا لاتصـالها بأمور الزهد والتقشـف أو رغبة في الحصول علي قوت يومهم من صـنع أيديهم، كالعالم ظاهر بن يزيد الزاهد من أهل قُرْطُبَة فقد كان قَزّازا[17] يبيع القزّ ويصـنعه[18]، وعبد العزيز بن الحسـين بن حبيب الزجَّاج[19]، ومحمد ابن سـعيد بن حسان الصـائغ[20]، ومحمد بن غصـن الحداد، من أهل قرطبة، قيـل عنه أنه صـالحٌ مغتنٍ بالعلم[21]، ومحمد بن عبـد الله المطماطي البزَّاز[22]، وابـن محمـد بـن عبدالله بـن حسـان الأمـوي العطـار مـن أهـل قرطبـة (ت٥٠٩هـ/١١١٥م)[23]، ويوسـف بن سموأل من أهل قرطبة يعرف بالدّقّاق وكان يفتي في السوق بقرطبة[24].

ثانيًا: الحِرَف والمِهْن المتوارثة:

مجموعـة المِهْـن والحِـرَف التـي امتهنهـا وتعلمهـا بعضـ علمـاء الأَنْدُلُس وتوارثوها عن آبائهم وأجدادهم فاقترنت بأسمائهم وألقابهم وكناهم فأتقنوها، حيـث تفرد لنا كتب التراجم والمناقب والأدب الأندلسـية قائمة طويلة من علماء وفقهاء وقضاة الأَنْدُلُسِ ممن عُرفوا ونسبوا لأعمالهم وحرفهم أو لأعمال وحرف آبائهـم وأجدادهم ومن بين أولئك: محمد بن سـعيد بن أصـبغ من أهل قرطبة، يعرف بابن الطحان[25]، وعلي بن محمد بن هيصـم (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) الملقب بابن الفخّار نسـبة لصنعة أبيه الذي حرص على تعليم ابنه صناعة الفخارة[26]، وعبدالرحمـن بـن أحمـد المعـروف بابن الجبّـان[27]، وأيضـا محمـد بن غالب المعـروف بابـن الصـفّار (ت٢٩٥هـ/٩٠٨م)[28]، وكذلك نـرى إبراهيم بن لبيب من أهـل قرطبة عُرف بابن الحائك[29] ومنهـم إبراهيم بن هارون وهو من قوم يعرفون ببني السـقّا[30]، وأحمد بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن باز (ت٢٧٣هـ/٨٨٦م)

مـن أهل قُرْطُبَة يعرف بابن القزَّاز، وأبو عبد الله مُحَمَّد بن عبادة المعروف بابن القزَّاز[٣١]، وكذلك أحمد بن مُحَمَّد الإشـبيلي أبو عمر (ت٣٧٣هـ/٩٨٣م) يعرف بابـن الحرّار[٣٢]، وأحمد الحرّار التجيبي (كان حيًّا في القرن السـابع الهجري) استقر في القاهرة وعمل في صناعة الحرير فيقول «كنت أكبّ زنارًا حريرًا بدرهم وأجعله عند الزيات فاخذ في عشـيته كل يوم رغيفـاً اقتات به، فاذا فرغ الدرهم أكبّ زنارا غير وهكذا ... فلم أزل علي حالتي أكبّ الحرير»[٣٣]، كما انتسب الأديب أبـو بكر مُحَمَّد بن عيسـى الداني والمعـروف بـ «ابن اللبانـة» لوالدته التي عملت ببيع اللبن «حتى غلب اسـم اللبن عليها، ونسـب أولادها بـه إليها»[٣٤]، وعبد الله ابن مُحَمَّد المعروف بابن بركة الصابوني كان له في مدينة قُرْطُبَة «دكاكين يصنع فيها خدمه الصابون ومنه عيشه»[٣٥]، وحسن بن عبد الله بن حسن التميمي من أهل تدمير، ويعرف بابن ربيب القلاس[٣٦]، ومُحَمَّد بن سـعيد بن خصيب يعرف بابن القُسَّام[٣٧][٣٨].

ثالثًا: أصناف مِهْن وحِرَف علماء الأندلس:

تنوعـت الحِـرَف والمِهَن التي مارسـها علمـاء الأَنْدُلُس ما بـين مِهَن وحِرَف تتناسـب مـع المكانة والوضـع العلمي لهم، وأخـرى أقل مكانـة ولكنها تطلبت في تأديتهـا مهارة وإتقان، وهي وفي غالبيتها حرف متوارثة، ومِهَن وحِرَف لم تتوافق مع مكانة العلماء ولكن الحالة المعيشية اضطرتهم لذلك.

أ | مِهْن وحِرَف تناسبت مع الوضع العلمي لعلماء الأندلس:

هـي مجموعة مـن المِهَن ارتبطت بالطبيعـة والمنزلة العلميـة للعلماء، فنجد عددًا كبيرًا منهم عمل مؤدّبًا أو معلّمًا أو كاتبًا أو مُقْرِئا أو مؤذنًا، لسـد معيشتهم وتحسين أحوالهم المادية ولارتباطهم بسلك التعليم وتماسها بالعلم والدين، وهي من المِهَن التي اكتسـبها علماء الأَنْدُلُس وانتسـبوا إليها، فاقترنت بأسمائهم ومن بينها:

المُقْرِئ[٣٩]:

نجد في كتب المناقب والتراجم عددًا كبيرًا منهم على سبيل المثال: الحسين بن يوسف البلنسي المُقْرِئ (ت٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، ونذير بن وهب البلنسي المُقْرِئ (ت٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)[٤٠]، وصاعد المقرئ وهو من الغرباء الذين قدموا للأَنْدَلُس وكان له نصيب من العربية[٤١]، ومُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد العزيز المُقْرِئ (ت٥٨٦هـ/١١٩٠م) من أهل بَلَنْسِيَّة، كان يقرئ القرآن بمسجد ابن حزب الله داخل بَلَنْسِيَّة(٤٢)، مُحَمَّد بن قاسم بن شمعلة المُقْرِئ، كان مقرئًا آخذ الناس عنه (ت٤٤٢هـ/١٠٣١م)[٤٣]، مُحَمَّد باسة بن أحمد أرذمان المُقْرِئ (ت٥١٥هـ/١١٢١م)، كان مقرئًا عارفا بالقراءات[٤٤]، ويحيى بن إبراهيم المُقْرِئ (ت٤٩٦هـ/١١٠٢م) كان مقرئًا ويقرئ الناس القرآن[٤٥]، يحيى بن مُحَمَّد المُقْرِئ، من أهل المرية يعرف بابن الفوال[٤٦].

المُؤَدِّب:

المُـؤَدِّب؛ هو من يأخذ المؤدَّب بعد معرفته لمبادئ وأوليات العلم، ويكون قادرًا على متابعة ما يتصل بالأدب من قرآن، وحديث، وكلام العرب نثرها وشعرها، وأخبار الماضين، وحكايات المعاصرين، وما في الكلام من ملح وطرائف، ونكات وعجائب، واختيار ما يستجاد من ذلك، ويعين على اختياره الذوق السليم، مع صفاتٍ أخرى فيه[٤٧]، ومن بين أولئك الذين عملوا مؤدِّبين وورد ذكرهم؛ مُحَمَّد بن أحمد الشذوني المُؤَدِّب سكن قُرْطُبَة فكان مغتنيًا بالعلم ومنه يتعايش (ت٣٠٥هـ/٩١٧م)[٤٨]، عمر بن حفص بن عمر المُؤَدِّب، من أهل طليلطة (ت٣٧٣هـ/٩٨٣م)[٤٩]، ومُحَمَّد بن سليمان الأنصاري النحوي المكفوف (٣٢٦هـ/٩٣٧م) عمل مؤدِّبًا للنحو ومقرئًا[٥٠]، وعبد الله بن مهران المُؤَدِّب[٥١]، ومُحَمَّد بن حَامِد المُـؤَدِّب وهو من أهل قُرْطُبَة[٥٢]، مُحَمَّد بن يحيى بن عوانة كان إمامًا في المسجد الجامع بقُرْطُبَة ومؤدبا[٥٣]، وحمزة بن موسى المُؤَدِّب من

أهـل إشْـبِيليَّة(٥٤)،وعبد اللّه بن نصـر الصـري في (ت٣١٥هـ/٩٢٧م) كان مؤدبًا في مسـجد أبى علاقة بقُرْطُبَة(٥٥)، ومسـعود بْـن مُحَمَّد المُؤدِّب مـن أهل قُرْطُبَة من الْعلمَاء بِالْفَروضِ والحسـاب(٥٦)، وأصـبغ بْن عِيسَـى المُـؤَدِّب القُرْطُبيّ(٥٧)، وأبو إسْـحَاق المُـؤَدِّب من أَهْل قُرْطُبَـة(٥٨)، وأحمد بن مُحَمَّد بن هاشـم من أهل قُرْطُبَـة كان مؤدِّبًـا(٥٩)، ووليد بن عبـد الوارث المُؤَدِّب من أهـل المرية كان معلمًا بالقرآن(٦٠)، وعفان بن قريش بن مروان المُؤدِّب من أَهْلَ إشْبِيليَّة كان ببلده يقرئ القُرآن وَيعلم بِهِ(٦١)، وعثمان بن نصـر بن عبد اللّه المُؤَدِّب من أهل قُرْطُبَة، أدّب المستنصـر باللّه (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م)(٦٢)، وعبـد العزيز بن مهلب بن معلا المُؤَدِّب مـن أهل قُرْطُبَة(٦٣)، وشـيبان بن سـليمان المُـؤَدِّب من أهل قُرْطُبَـة(٦٤)، ومُحَمَّد ابـن خليفة ابن عبد الجبار المُـؤَدِّب (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م)(٦٥)، ومُحَمَّد بن أحمد ابن عبيد اللّه القيسـي القبري المُؤَدِّب، من أهـل قُرْطُبَة (ت٣٦٢هـ/٩٧٣م) قيل عنـه أنه خير مـؤدّب(٦٦)، ومُحَمَّد بن عبـد اللّه بن مُحَمَّد البهـراني المُؤَدِّب، كان سـكناه خلـف الوادي بمنيـة العجب من أهـل قُرْطُبَة، وعمـل أيْضًـا معلّم هِجاء (٣٨٥هـ/٩٩٥م)(٦٧)، ويوسـف بـن مُحَمَّـد بن يوسـف بن عمـرو المُؤَدِّب سـكن قُرْطُبَـة(٦٨)، ومُحَمَّد ابن أحمد بن مدرك أبو عبد اللّه القبري المُؤَدِّب(٦٩)، وأحمد ابن قزلمان المُؤَدِّب من أهل قُرْطُبَة(٧٠).

المعلِّم:

المعلِّم ذاك الذي ينشـئ أو يُنشـأ له حلقة علم في مسجد أو مدرسة، أو مكان مـا، ويكون مشـاعًا لعامـة الناس أو بشـروط(٧١)، ومـن العلماء من عمـل معلِّمًا وانتسب إلى مِهْنته؛ نذكر: مُحَمَّد بن الوليد القيشاطي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، كان معلِّـم العربية بقُرْطُبَة وقيل عنه «عنده تعلم العربية»(٧٢)، وعبد العزيز بن مُحَمَّد بن عبدالعزيز بن المعلِّم، من أهل قُرْطُبَة(٧٣)، وإسـحاق بن قاسم بن سمرة سكن قُرْطُبَة كان معلِّمًا(٧٤)، ومُحَمَّد بن عبد العزيز بن الخشني، المعروف بابن المعلِّم من

أهل قُرْطُبَة سكن إشْبِيلِيَّة (ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م)(٧٥)، ومُحَمَّد بن عبد الله المؤمن المعلِّم من أهل قُرْطُبَة (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م)(٧٦)، ومُحَمَّد بن يوسف بن مُحَمَّد النجاد من أهل قُرْطُبَة، كان له نصيب وافر من علم العربية وعلم الفرائض بالحساب وأقرأ الناس بقُرْطُبَة بمسجده(٧٧)، وأحمد بن إبراهيم العلاكي المعلِّم من أهل قُرْطُبَة(٧٨)، وعبد الوَاحد المعلِّم من أَهْل قُرْطُبَة(٧٩)، والْقَاسم بن مُحَمَّد المعلِّم(٨٠)، وحزم المعلِّم من أَهْل قُرْطُبَة كَانَ هُوَ وَابْنه مُحَمَّد وابنته تجمعهم في تعليمهم دار واحدة(٨١)، وأبو عمر المعلِّم من أهل قُرْطُبَة كان يُؤَدب بالفخارين وله مكانة في الصناعة(٨٢)، وأحمد بْن عيسَى المعلِّم من أَهْل إشْبِيلِيَّة(٨٣)، ومُحَمَّد بن إبراهيم ابن حزم المعلِّم من أهل أستجة(٨٤)، وعبد اللَّه بن أحمد بن سعيد الْهَمدَاني المعلِّم من أهل جيان عمل بالتعليم والإقراء (ت٥٢٠هـ/١١٢٨م)(٨٥)، وعبد اللَّه بن الفقيه من أهل غرناطة يعرف بالألشي من أهل الْمعرفَة بالفرائض والحساب مُتَقَدم بهما يعلم بهما(٨٦)، ومُحَمَّد بن سليمان الطليطلي المعلِّم من قُرْطُبَة(٨٧)، وعلي بن خلف المعلِّم من أَهْل إشْبِيلِيَّة كان يُؤَدب بالقرآن(٨٨)، وإسماعيل ابن أحمد بن المعلِّم من أَهْل سرقسطة يعرف بالدراج(٨٩)، وحمدون بن مُحَمَّد من أَهْل بلسنية يعرف بابن المعلِّم(٩٠)، والحسن بن أحمد بن عبد اللَّه المعلِّم من أَهْل إشْبِيلِيَّة(٩١)، ومُحَمَّد بن أبي سليمان الطليطلي المعلِّم سكن قُرْطُبَة(٩٢)، ومُحَمَّد ابن حزم المعلِّم من أهل قُرْطُبَة، وكان مجتهدًا في طلب العلم فاضلاً(٩٣)، وعبد الله بن مُحَمَّد بن الطفيل المعلِّم، من أهل قُرْطُبَة كان من القراء(٩٤)، وعباس المعلِّم من أهل قُرْطُبَة(٩٥)، وعامر المعلِّم من أهل قُرْطُبَة وعمل بها معلمًا(٩٦)، وغوث المعلِّم، من أهل قُرْطُبَة(٩٧)، وعلي بن رافع بن أحمد بن حلبس الأموي من أهل بَلَنْسِيَّة، كان من أهل المعرفة بالفرائض والحساب معلمًا بذلك وهو أخو عيسى بن رافع الْمُقْرِئ وكان أخوهما الثالث مُحَمَّد أستاذًا في العربية «ذكرهم ابن عياد وقرأت ذلك بخط ابنه مُحَمَّد»(٩٨).

المُكَتِّب:

نُسب عددٌ من العلماء لعلمهم في تعليم وتأديب طلاب العلم خاصة معلم الكُتَّاب فهو أول شخصية علمية يلتقي بها الطالب ويتأثر بها ومن ضمن أولئك؛ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله البلنسي المُكَتِّب(ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م) كان بارعًا في علم القراءات، وصلى بالناس في مسجد رحبة القاضي مدة طويلة[٩٩]، وأيوب ابن مُحَمَّد بن يحيى بن غالب المُكَتِّب(ت٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) تصدر للإقراء والتعليم، من أهل الصلاح والتحقيق والتجويد والقيام على كتاب اللّه[١٠٠]، ومُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي زاهر المُكَتِّب[١٠١]، وإبراهيم ابن علي بن ترحيب المُكَتِّب (ت٥٥٠هـ/١١٥٥م أو ٥٥١هـ/ ١١٥٦م) وقد اُستخلف على الصلاة والخطبة بالجامع لصلاحه وميل الناس إليه[١٠٢]، ومُحَمَّد بن موفق المُكَتِّب (ت٥٦٣هـ/١١٦٧م) كان يُعلم القرآن وكان صنع اليد عارفًا بمرسوم الخطّ في المصاحف معروفًا بالضبط وحسن الوَرَّاقة يغالي فيما يكتب مع التجويد والإتقان[١٠٣]، وأبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن خلف المُكَتِّب (ت٥٧٠هـ/١١٧٤م) الذي عمل معلمًا بالقرآن وإمامًا في صلاة الفريضة بمسجد حميد في بَلَنْسِيَّة[١٠٤]، مُحَمَّد بن رفاعة بن محدوب المُكَتِّب من أهل قُرْطُبَة (٣٧٢هـ/٩٨٢م)[١٠٥]، وسعيد بن عبد الله المُكَتِّب من أهل قُرْطُبَة[١٠٦]، وتاشفين بن مُحَمَّد المُكَتِّب من أهل فاس كان زاهدًا عابدًا معلمًا للقرآن له حظ من قرض الشعر[١٠٧]، وشعيب بن عامر بن مُحَمَّد القيسي المُكَتِّب من أهل إشْبِيلِيَّة أخذ القراءات عن جده لأمه[١٠٨]، وعبد الله بن عيسى بن عبد الله الأنصاري المُكَتِّب(ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م) من أهل قُرْطُبَة «قعد للتعليم بمسجد من شرقي قُرْطُبَة وكان يؤم به ويعيش من كراء ربع له وكان منقطع القرين في الزهد» [١٠٩]، ومُحَمَّد بن عبد الله بن خيار المُكَتِّب (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م) من أهل ميورقة انتقل إلى قُرْطُبَة فسكنها «وعلم بها القرآن وكان يكتب المصاحف ويؤم الناس في صلاة الفريضة بمسجد من

داخل قُرْطُبَة»(١١٠)، وعمرو المُكَتِّب من بعض ثغور الأندلس(١١١)، ومحمد بن رفاعة ابن محبوب المُكَتِّب، من أهل قرطبة(١١٢)، وخلف بن محمد بن خلف الخولاني المُكَتِّب، من أهل قرطبة؛ كان معلمًا، وكان عسرًا في الإسماع(١١٣)، وداود ابن إسماعيل المُكَتِّب من أهل تطيلة(١١٤)، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عياض اليحصبي المُكَتِّب من أهل سرقسطة يكنى أبا زيد كان من أهل العلم بالقراءة والحساب والأدب(١١٥)، وعبد الرحمن بن سعدون المُكَتِّب يعرف بالركاني(١١٦)، وعلي بن مُحَمَّد بن خلف المُكَتِّب من أهل شاطبة(١١٧)، وعبد المنعم بن يحيى ابن خلف بن النفيس الحميري المُكَتِّب من أهل غرناطة «كان له حظ من العربية»(١١٨)، وعمروس بن إسماعيل العبدري المُكَتِّب الزاهد من أهل قُرْطُبَة اشتغل بتعليم القرآن(١١٩)، وعبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أحمد المُكَتِّب من أهل شاطبة(١٢٠)، وعلي بن حيي الأنصاري المُكَتِّب من أهل سرقسطة تصدر ببلده للإقراء وكان مقرئًا فاضلًا (ت٥١٢هـ/١١١٨م)(١٢١)، وأحمد بن عبد الله ابن مفرج المُكَتِّب (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) سكن إشبيلية(١٢٢)، وفتح السكوني مولاهم المُكَتِّب من أهل إشْبِيلِيَّة علم بالقرآن وأخذ عنه ابنه(١٢٣)، وأحمد بن غرسية المُكَتِّب من أهل مدينة الفرج(١٢٤)، وخالص المُكَتِّب من أهل إشْبِيلِيَّة أقرأ القرآن ببلده(١٢٥)، وعبد الملك ابن خلف بن مُحَمَّد الخولاني المُكَتِّب من مدينة سالم بالثغر الشرقي وسكن غرناطة وتصدر للإقراء بها(١٢٦)، وإبراهيم بن أحمد ابن مُحَمَّد الأزدي المُكَتِّب سكن قُرْطُبَة علم بالقرآن(١٢٧)، وأحمد بن مُحَمَّد ابن خلف بن اليسر المُكَتِّب من أهل غرناطة(١٢٨)، وأحمد بن سعيد بن عبد الله المُكَتِّب (ت٤٢٨هـ/..) من أهل إشبيلية(١٢٩)، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد المُكَتِّب من أهل بَلَنْسِيَّة سماه أبو الربيع بن سالم في شيوخه وهو كان معلمه في الكتّاب(١٣٠)، وأحمد بن أبي عبد الملك المُكَتِّب من أهل قُرْطُبَة(١٣١)، ومسعود المُكَتِّب من أهل مرسية أخذ القراءات وأقرأ بها القرآن (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م)(١٣٢)، ومُحَمَّد بن مسعود المُكَتِّب (ت٥١٠هـ/١١١٦م)(١٣٣)، ومغاور بن حكم بن مغاور

السلمي المُكَتِّب من أهل شاطبة وأصله من غرب الأَنْدُلُس أدب بالقرآن وأقرأ بالسبع وذلك في مسجده (ت٥٠٩هـ/١١١٥م)[١٣٤]، وأبو بكر الصقلي المُكَتِّب سكن قُرْطُبَة وكان من كبار النساك والفضلاء نزل قُرْطُبَة قنع بأدنى معيشة مقتصرًا على أخرجة صبية تنقّى حِرَف آبائهم يعلمهم القرآن «متعيشا بالقليل الذي يؤثر به غير متقص عليهم ولا مقصّر في تعليمهم»[١٣٥]، وعبد الله بن مُحَمَّد ابن علي بن وهب القضاعي المُكَتِّب من أهل إشْبِيلِيَّة من أهل المعرفة بالقراءات والنحو والأدب وعمل بذلك كله وكان حسن التعليم والتفهيم[١٣٦]، ويوسف ابن خلف بن سفيان المُكَتِّب سكن قُرْطُبَة يعلم القرآن «كان وراقًا محسنًا، حسن الرتبة، كثير الدربة»[١٣٧]، ومفرج بن يونس المُكَتِّب، سكن قُرْطُبَة واستوطنها وكان يعلم بمسجد مسرور[١٣٨]، ومنهم أَيْضًا مُحَمَّد بن أحمد بن يحيى الزهري من أهل قُرْطُبَة كان معلم كُتّاب[١٣٩]، وكذلك مُحَمَّد بن خمسين الأحدب من أهل قُرْطُبَة كان معلم كتّاب[١٤٠].

الوَرَّاق:

الوِرَاقة من المِهَن التي ارتبطت بالوضع العلمي لعلماء الأَنْدُلُس، فعكفوا عليها لتحسين أحوالهم، ومن ضمن العلماء الذين امتهنوا الوَرَاقة: عبد الرحمن ابن سعيد المعروف بابن الوَرَّاق[١٤١]، ومُحَمَّد بن سليمان بن سيدراي الوَرَّاق من أهل قلعة أَيُّوب وَسكن بَلَنْسِيَّة كان يبيع الكتب في دكان لَهُ وكان أَبوهُ أَيْضًا ورّاقًا[١٤٢]، وعبد الله بن إبراهيم بْن منتيال الوَرَّاق من أهل مربيطر وسكن بَلَنْسِيَّة وَكَانَ لَهُ دكان بالقيسارية يقْعد فِيهِ للتِّجَارَة وَيبيع الكتب[١٤٣]، ومُحَمَّد ابن سليمان الكلابي الوَرَّاق (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) سكن بَلَنْسِيَّة وعمل ببيع الكتب في دكان لهُ، وكان أبوه أَيْضًا ورّاقاً[١٤٤]، وإبراهيم بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن مفرج البلنسي الوَرَّاق يذكر عنه ابن الأبار: «إنه كان حسن الخط، محترفًا بالوَرَاقة، عاكفًا عليها، ذا إتقان وضبط»[١٤٥]، ومُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سليمان الأنصاري

(ت٦١٠هـ/١٢١٣م) من أهل بَلَنْسِيَّة، وأصله من سرقسطة «كتب بخطه علمًا جمًّا، وربما تعيّش من الوِرَاقة.... وقد نقلتُ من خطه مانسبته إليه، وأجاز لي بلفظه، وسمعتُ منه بعض نظمه»(١٤٦)، وعبدالله بن إبراهيم بن الحسن الوَرَّاق البلنسي (ت٦١١هـ/١٢١٤م) كان له دكان بالقيسارية، يقعد فيها للتجارة ويبيع الكتب(١٤٧)، ومُحَمَّد بن سعيد الوَرَّاق المعروف بابن الحنان كان مغتنيًا بالكتب (ت٣٦١هـ/٩٦١م)(١٤٨)، ومحمد بن علي الوَرَّاق الأندلسي، كان حسن الخط كتب جزءًا من صحيح بخاري(١٤٩).

كما مارس الوراقة حكم بْن عِمْرَانَ الْمُقْرِئَ النّقّاط من أَهْل قُرْطُبَة وتصدر بقُرْطُبَة في مِهْنة النقاطة، أي عمل بنقط الْمَصَاحِف(١٥٠)، وشهاب بن مُحَمَّد ابن عبد الرزّاق من أهل إشْبِيلِيَّة كان في عداد النبهاء ببلده مع الصلاح والخير وكان يكتب المصاحف ويعلم القرآن (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)(١٥١)، مُحَمَّد بن عبدالرحمن بن أحمد بن عبد العزيز من أهل مرسية ويعرف بابن حمنال كان يكتب المصاحف ويجيد نقطها ويعرف رسمها مع براعة الخط وحسن الوِرَاقة (ت٦٣٣هـ/١٢٣٦م)(١٥٢)، فضلًا عن مُحَمَّد بن إبراهيم المعروف بابن المؤذن وهو من أهل طليطلة(١٥٣)، ومُحَمَّد بن موسى بن مصباح المؤذن من أهل قُرْطُبَة كان مؤذنًا ملحقًا بالمسجد الجامع(١٥٤)، ومحمد بن عبد الله المؤذن، من أهل إلبيرة(١٥٥)، ويوسف بن مؤذن (ت٣٠٩هـ/٩٢٢م) وهو من أهل وشقة اشتهر بين أهل بيته بالمؤذن(١٥٦).

ب| مِهَن وحِرَف تناسبت مع علماء الأَنْدُلُس وتطلبت المهارة والإتقان:

مارس علماء الأَنْدُلُس بعض الحِرَف التي كانت أقل حظوة ومكانة ولكنها استلزمت في تأديتها الخبرة والإتقان والحذقة وارتبطت بحياة المجتمع وذات صلة بالأشياء الضرورية والتكميلية التي احتاجها الناس، فكان لبعض العلماء حضور فيها من خلال تأديتهم لتلك الأعمال والحرف، فمنهم طاهر بن يزيد

الزاهد من أهل قُرْطُبَة الذي انتسب لبيع القزّ وعمله[١٥٧] فكان قزّازا[١٥٨]، وكذلك محمد بن أحمد بن سعيد المعافري (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م) من أهل البيرة كان يُعرف بالقزّاز[١٥٩]، وأبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزّاز[١٦٠]، وأحمد بن إبراهيم بن محمد بن باز (ت٢٧٣هـ/٨٨٦م) من أهل قُرْطُبَة عرف بابن القزّاز، بينما كان محمد بن عبيد بن أيوب (ت٣١٧هـ/٩٢٩م) يعرف بالدبّاج من أهل قُرْطُبَة، فكان يصنع الدِّيباج[١٦١]، والشيخ الحسن من أهل مالقة عمل بنسج الدِّيباج هو الآخر[١٦٢]، بينما كان أحمد بن محمد الإشْبِيليّ أبو عمر (ت٣٧٣هـ/٩٨٣م) يُعرف بابن الحرّار[١٦٣]، ومحمد بن بكر المعروف بابن الحرّار من أهل قُرْطُبَة كان والده يتاجر بالحرير[١٦٤]،كذلك عيسى بن علي عيسى الأندلسي الذي حل بدمشق خلال النصف الأول من القرن ٨هـ/١٤م، وعرف بمهارته في صباغة الحرير وتكوينه، فكان معلّمًا لهذه الصناعة في دمشق[١٦٥].

كما نجد عددًا من العلماء زاولوا حرفًا ارتبطت بالقطن وانتسبوا إليه[١٦٦]، فهذا قاسم بن مطرف بن عبد الرحمن من أهل قُرْطُبَة كان يُعرف بالقطّان[١٦٧]، وكذلك محمد بن عبد الرحمن بن أبيه (ت٣٨١هـ/٩٩١م) من أهل قُرْطُبَة، عُرف بالقطنيّ[١٦٨]، ومحمد بن سليمان بن أحمد (ت٤١٩هـ/١٠٢٨م) من أهل إشْبِيليّة عُرف هو الآخر بالقطانيّ[١٦٩]، كما نجد عددًا من العلماء عمل بالكتّان وانتسبوا لصنعته كمحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) من أهل قُرْطُبَة عرف بالكتّانيّ[١٧٠]، والطبيب المعروف محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي (توفي قرابة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م) من أهل قُرْطُبَة عرف بالكتّاني[١٧١] وهو منسوب لصنعته هذه[١٧٢]، وإسحاق بن مسرة (ت٣٥٢هـ/٩٦٣م) عمل في سوق الكتّان في دكان[١٧٣].

ويمكن أنّ نضيف لهؤلاء من عمل في بعض الحرف التكميلية كعبد الرحمن بن يوسف بن نصر من أهل قُرْطُبَة كان رفّاءً يرفأ الثياب ومنها يتعيّش[١٧٤]،

أو نسب لحرفة كإبراهيم الزاهد الأندلسي الذي عمل خيّاطًا[١٧٥]، وأحمد ابن خلوف المسيلي (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) كان يُعرف بالخيّاط[١٧٦]، وأبو عبدالله الصوفي كان يزاول الخياطة وربما العطارة[١٧٧]،كما تعيّش محمد بن أحمد ابن عبد الرحيم الأنصاري الساحلي (ت٧٣٥هـ/١٣٣٥م) من حرفة الخياطة[١٧٨]، في حين عُرف وليد بن سعيد بن وهب الحضرمي الإشْبيليّ (ت٤١٩ هـ/١٠٢٨م) بالجبَّاب[١٧٩]، نسبة لخيط وبيع الجِباب[١٨٠]، وأبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد القرطبي المعروف بابن بالجبَّاب نسبة لبيع الجِباب[١٨١]،كما كان عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م) من أهل قُرْطُبَة ويعرف بالقنازعي[١٨٢] وهو منسوب لصنعته وهي عمل القنازع ويُرجّح أنَّ القنازع هي غطاء للرأس شبيه بالقلانس[١٨٣]، كذلك أحمد بن عبدالله أبا عمر (ت٤٠٤ هـ/١٠١٣م) من أهل قُرْطُبَة عرف بالقنازعي[١٨٤]، في حين أطلق أهل الأنْدُلُس على صانع القلنسوة القلَّاس[١٨٥]، فهذا محمد بن عيسى بن رفاعة الخولاني (ت٣٣٧هـ/٩٥٨م) من أهل رية، والمعروف بالقلَّاس[١٨٦]، وحسن بن عبد الله ابن حسن التميمي (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م) المعروف بابن ربيب القلّاس، وابنه محمد ابن حسن والمعروف بربيب القلَّاس[١٨٧].

كما نجد الكثير من العلماء ممن أطلق عليهم البزَّاز وهي لفظة تقال لمن يبيع البزّ[١٨٨]، وهي من المِهَن المرموقة، كأحمد بن عبد الله بن عمر القيسي (ت٣٧٢هـ/٩٨٢م) كان بزَّازًا[١٨٩]، وخلف بن سليمان بن عمرون (ت٣٧٨هـ/٩٨٨م) من أهل أستجة سكن قُرْطُبَة وكان بزَّازًا كذلك[١٩٠]، وخلاص ابن منصور بن سملتون (ت٣٨٠ هـ/٩٩٠م) من أهل بطليوس سكن قُرْطُبَة كان بزَّازًا[١٩١]، وعبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي عمر البكري (ت٣٧٠ هـ/٩٨٠م) من أهل قُرْطُبَة عمل بزَّازا[١٩٢]، وعثمان بن سعد (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م) من أهل قُرْطُبَة كان بزَّازًا[١٩٣]، ومحمد بن هشام بن العباس بن الوليد (ت٣٨٧هـ/٩٩٧ م) من أهل قُرْطُبَة عمل بزَّازًا كذلك[١٩٤]، وأحمد بن قاسم

ابـن عبـد الرحمـن بـن عبـد الله البـزّاز (ت٣٩٥هــ/١٠٠٤م)[١٩٥]، ومحمـد ابن عبد الله بن هاني اللخمي (ت٤١٠هـ/١٠١٩م) من أهل قُرْطُبَة كان بزّازاً[١٩٦]، وكذلك هشـام بن محمد بن عبـد الغافر المعافري كان يعمل بـزّازًا[١٩٧]، ويحيى ابـن عمر بـن عبد الله بن قحطة الأنصـاري البـزّاز[١٩٨]، ومحمـد بن عبد الله المطماطي كان بزّازًا أيضا[١٩٩].

كمـا أشـارت كتـب التراجم لمـن مارس مـن العلماء حرفـة القصـارة[٢٠٠] وعُرف من مارسـها بالقصاري وهو الذي يقصر الثياب[٢٠١]، فهذا عبد الرحمن ابـن عبدالله بن خالد بن مسـافر الهمذاني الوهـراني (ت٤١١هـ/١٠٢٠م) من أهـل بجانة كان معاشـه من ثياب يبتاعها ببجانة ويقصـرها ويحملهـا لقُرْطُبَة، فتباع له ويبتاع في ثمنها ما يصلح لبجانة[٢٠٢].

ج| مِهَن وحِرَف لاتناسب مكانة علماء الأندلس:

مارس عددًا من علماء الأَنْدُلُس بعضًا من المِهَن التي لا تناسب مكانة العلماء في المجتمع ولكن الحالة المعيشـية دفعتهم لذلك، حيث نجد الأفوه البسطي «كان خرّازًا ببسـطة»[٢٠٣]، ومحمد بن عبد العزيز المعـروف بابن الخرّاز وهو من أهل قُرْطُبَـة[٢٠٤]، ويحيـى بن عبـد الرحمن المعـروف بابن وجه الجنّـة (ت٤٠٢هـ) كان يعمل خرّازًا «كان يلزم صـناعة الخرّازين»[٢٠٥]، ومحمد بن سـعيد بن حزم الشـقندي الخـرّاز من أهـل قُرْطُبَة[٢٠٦]، وعبـد الرحمن بن عبـد الله بن خالد ابن مسـافر الهمـذاني الوهـراني (ت٤١١هــ/١٠٢٠م) ابـن الخرّاز مـن أهل بجانة[٢٠٧]، بينما نجد إبراهيم بن هارون انتسب لقوم يعرفون ببني السقّا[٢٠٨].

وزاول بعض العلمـاء حرفـة صـناعة الحصـر[٢٠٩]، وانتسـبوا إليهـا، مثل محمـد بن عبـد العزيز بن يحيـى (ت٣٧٢هــ/٩٨٢م) من أهـل قُرْطُبَة ويعرف بابن الحصَّـار[٢١٠]، وأحمد بن سـعيد بـن محمد بن بشـر (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) مـن أهـل قُرْطُبَة عُرف بابن الحصَّـار[٢١١]، وأبـو عمر الحصَّـار الإمام الزاهد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)[٢١٢]، وعبد الله بن سـعيد (ت ٤٣٦ هـ/١٠٤٤م) عرف بابن

الحصَّــار(٢١٣)، وكذلك عبد الرحمن بن محمد بن عباس بن جوشن، عرف أيضا بابن الحصَّــار(٢١٤)، وقاضــي الجماعة بقُرْطُبَة عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد ابن غرسية؛ ابن الحصَّار(٢١٥).

كمــا اشــتهر محمــد بــن حــارث الخشــني (ت٣٦١هـ/٩٧١م) بصــناعة الأصــباغ(٢١٦) وخاصة المتعلقة بالتزويق وتركيب الأصــباغ والأدهان ويتصرف في ضروب من الأعمال اللطيفة(٢١٧) فأقام ببلاط الإمارة ثم اضطر لأن يفتح دكانًا بقُرْطُبَة ليبيع فيه الأدهان وتحضــير عقاقير الكتابة والتزويق(٢١٨)، وكان يحصل على اللون الأصفر من نبات العصفر والزعفران ومن يعمل في صباغة تلك الألوان أطلق عليه العصــفري(٢١٩)، وقــد كان محمد بن سـعيد (ت ٣٦٣ هـ/٩٧٣م) من أهل قُرْطُبَة يعرف بالعصــفري(٢٢٠)، ومحمــد بن يحيى بن خليل اللخمي الحباب (ت ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م) من أهل قُرْطُبَة يعرف بابن العصفري(٢٢١).

ومنهــم مــن تاجر عبر البلاد المشــرقية والمغربية كعبــد الله بن عبد الجبار الشاطبي (ت٦١٤هـ/١٢١٨م) إذ تنقل بين الإسكندرية وصعيد مصر واليمن(٢٢٢)، كذلك إبراهيم بن يوسف الأرسي(ت٦١١هـ/ ١٢١٤م) كان يتجر بسوق الغزل في مالقة(٢٢٣)، وأيضا الشيخ علي بن محمد صالح الأندلسي (كان حيا في القرن ٩هـ) الذي تنقل ما بين غرناطة وفاس وامتلك حانوتاً في قيسارية غرناطة(٢٢٤)،وكذلك أحمد بن خالد بن يبقى الجذامي التاجر من أهل قُرْطُبَة(٢٢٥).

هذا ماتيسّر لي جمعه من أسماء العلماء الذين انتسبوا إلى مهنهم وحرفهم وعُرفـوا بهـا، فلعل القــارئ الكريم يجد فيهــا مايفيد أو تكون نــواة بحث لباحث مهتهم بدراسة ألقاب العلماء.

الهوامش

(١) ابـن غالـب، محمـد بن أيـوب(ت في ق ٦هـ): نص أندلسـي جديد مـن كتاب فرحـة الأنفس من تاريـخ الأندلـس. تحقيـق. لطفي عبـد البديع. مصـر، مجلة معهـد المخطوطـات العربية، مجلد

(١)، الجزء الثاني، ١٩٥٦م، ص١٣ ؛ المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ج٤، ص ١٤٧.

(٢) المقري: المصدر نفسه، ج٤، ص ١٤٨.

(٣) احمادو تال ديالوا: المرجع السابق، ص ٥٠.

(٤) الإمام سحنون: المدونة الكبرى للإمام مالك من رواية سحنون عن ابن القاسم ويليه مقدمات ابن رشد لما اقتضته المدونة من الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ج٧، ص٣٩٥.

(٥) بوادلية بواتية: رؤية السلطة والمجتمع إلى الصُنّاع والحِرَفيين ببلاد الأَنْدُلُس عصري الأمارة والخلافة، دورية كان التاريخية، ع(١١)، ٢٠١١م، ص٢٣.

(٦) نافذ سويد: الحِرَفيون ودورهم التاريخي في المدينة الإسلامية، ص ١٥٥.

(٧) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص٢٦٠؛ مصطفى عبد الرحيم: النشاط الاقتصادي، ص١٠٩.

(٨) الزجالي: أمثال العوام في الأَنْدُلُس، ص٣٨٨.

(٩) نافذ سويد: الحِرَفيون ودورهم التاريخي في تطور المدينة العربية الإسلامية، مجلة التراث العربي، السنة (١٩)، ع(٧٦)، ١٩٩٩م، ص١٥٥.

(١٠) للمزيد من الحرف التي مارسها المجتمع الأندلس. محمود أحمد هدية: اقتصاد العوام في الأَنْدُلُس من خلال الأَمْثال العامية، مجلة رواق التاريخ، ع (٨)، ٢٠١٩م، ص١٣٠.

(١١) سولاف فيض الله حسن: الحِرَف والمِهَن في أسواق بغداد في العصر العباسي، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ٢٠١٧، ع. ٥٧، ٢٠١٧م، ص٣٩٧.

(١٢) ظاهر خير الله الشويري: المرجع السابق، ص٥٧.

(١٣) سولاف فيض الله حسن: الحِرَف والمِهَن في أسواق بغداد في العصر العباسي، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ٢٠١٧، ع. ٥٧، ٢٠١٧م، ص٣٩٨.

(١٤) ظاهر خير الله الشويري: الحِرَفةُ وتوابعها، مجلة المقتطف، القاهرة، ١٩٠٤م، مج ٢٩، ج١، ص٥٨.

(١٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٩م): المقدمة لابن خلدون، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧م، ج٢، ص ٨٥٦.

(١٦) احمادو تال ديالوا: الصِّناعة بالقيروان من خلال مدونة سحنون ونوادر ابن أبى زيد، جامعة الزيتونة، منشورات وحدة بحث تاريخ القيروان، ٢٠٠٧م، ص ٤٥.

(١٧) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدُلُس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م، ص ٢٠٧ (رقم ٦٢١).

(١٨) السمعاني: الأنساب، وضع حواشيه: مُحَمَّد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ج٤، ص٤٩.

(١٩) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٣٧٥.

(٢٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٨٥.

(٢١) مثل:. ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٩٥.

(٢٢) مثل:. ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٨١-٣٨٢.

(٢٣) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٩٩.

(٢٤) تاريخ العلماء، ص٥٨٣.

(٢٥) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٥٠٢.

(٢٦) جهاد غالب: الحرف والصناعات، ص٢١٨.

(٢٧) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٣٥١.

(٢٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٩٨.

(٢٩) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص١١.

(٣٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص١٢.

(٣١) المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٢٣٤.

(٣٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ١٠٨.

(٣٣) علي أحمد: العاملون في الاقتصاد في مصر، ص ١٤٩.

(٣٤) جهاد غالب: الحِرَف والصناعات، ص٢١٨.

(٣٥) جهاد غالب: الحِرَف والصناعات، ص٢١٨.

(٣٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص١١١.

(٣٧) القُسَّام: هو مقدر عيوب الدور والخبير بها، والعارف بتفاصيلها من تصدعات وانهيارات وغيرها من الأمور التي تعيب الدور، وتقاضى القسَّام أجرًا نظير القيام بهذا العمل سواء من قبل الأشخاص أو من قبل القاضي الذي يكلفه بالعمل "إذ المعلوم في القسَّام أنهم لا يشهدون في مثل هذا إلا بالأجرة، فقال لي: ذلك يظن بهم وليس يتيقن، ولو تيقن أنهم يشهدون بالأجرة ما جازت شهادتهم فيه. ابن سهل، ديوان الأحكام، ص.٤٠٣.

(٣٨) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٩٦.

(٣٩) القراءات جمع قِراءة، و يقال: قرأ يقرأُ قِراءةً، وقيل :رجل قارئ من قوم قُراء وقارئين، وأقرأ غيره يقرئُه أقرأءً ومنهُ قيل: فلان المُقْرِئ، وأقرأهُ القرآن فهو مقرئ. ابن منظور، لسان، ج١، ص ١٢٩.

(٤٠) المصدر نفسه، م٢، ص ٦٣٦-٦٣٧ .

(٤١) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٤٢) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص ٦٥ .

(٤٣) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٣٢.

(٤٤) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٧٢.

(٤٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٦٧٠.

(٤٦) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص١٧٦.

(٤٧)سليمان بن إبراهيم بن مُحَمَّد العايد: المُؤَدِّبون وتجربتهم في تعليم اللغة العربية، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ع (١)، محرم ١٤٢٠هـ، ص١٣.

(٤٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٠٦.

(٤٩) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٣٩٤.

(٥٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٢٣.

(٥١) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٢٩.

(٥٢) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٨٩.

(٥٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٤٩.

(٥٤) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٢٥.

(٥٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٢٢٣.

(٥٦) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٩٥.

(٥٧) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٧٠.

(٥٨) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٦٢.

(٥٩) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص٤٧.

(٦٠) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص١٥٢.

(٦١) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص٤١.

(٦٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٠٥.

(٦٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٢٧٧.

(٦٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص١٩٧.

(٦٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٨٢.

(٦٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٥٠.

(٦٧) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٧٦.

(٦٨) الضبي: المصدر السابق، ص٤٨٨.

(٦٩) الضبي: المصدر السابق، ص٥٢.

(٧٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص٥٣.

(٧١)سليمان العايد: المُؤَدِّبون وتجربتهم في تعليم اللغة العربية، ص١٤.

(٧٢) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٤٢.

(٧٣) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٣٦٩.

(٧٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص٧٢

(٧٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٢١.

(٧٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٧٧.

(٧٧) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٢١.

(٧٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص٥٩.

(٧٩) ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ص١١٦.

(٨٠) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص٧٠.

(٨١) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٣١.

(٨٢) ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ص٢٥٣.

(٨٣) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٥٩.

(٨٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٤٨.

(٨٥) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٢٩.

(٨٦) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٢٩.

(٨٧) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٤٢.

(٨٨) ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ص٢١٧.

(٨٩) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٥٢.

(٩٠) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٣٤.

(٩١) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢١٢.

(٩٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٢٤.

(٩٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٠٣.

(٩٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٢٢٢.

(٩٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٢٩٦.

(٩٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٢١٠.

(٩٧) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٤٧.

(٩٨) ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ص١٩٩.

(٩٩) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص ١٣٥ .

(١٠٠) المصدر نفسه، ج١، ص١٦٧ .

(١٠١) بابن الأبّار (ت٦٥٨هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس ،دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م، ج٢ ،ص١٣٥.

(١٠٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٢٨

(١٠٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣ .

(١٠٤) المصدر نفسه ،ج٤ ،ص١٧٨- ١٧٩ .

(١٠٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٦٢.

(١٠٦) ابن الأبّار، التكملة، ج٤، ص١١٢.

(١٠٧) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص١٩٠.

(١٠٨) ابن الأبّار، التكملة، ج٤، ص١٣٨.

(١٠٩) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص٢٨٥.

(١١٠) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص١٢٦.

(١١١) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣١٨.

(١١٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٦٢.

(١١٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص١٣٦.

(١١٤) ابن الأبّار، التكملة، ج٤، ص ٢٥٥.

(١١٥) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص١٤.

(١١٦) ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ص١٤.

(١١٧) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص١٩٩.

(١١٨) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص١٢٦.

(١١٩) ابن الأبّار، التكملة، ج٤، ص٤٢.

(١٢٠) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص٣١.

(١٢١) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص١٨٣.

(١٢٢) ابن بشكوال: الصلة، ق١، ص٥٨.

(١٢٣) ابن الأبّار، التكملة، ج٤، ص٦١-٦٢.

(١٢٤) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص١٨.

(١٢٥) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص٢٥٤.

(١٢٦) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص٧٣.

(١٢٧) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص١٣٨.

(١٢٨) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص٨١.

(١٢٩) ابن بشكوال: الصلة، ق١، ص٤٢.

(١٣٠) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص٧٧.

(١٣١) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص١٩.

(١٣٢) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص٣٣٥.

(١٣٣) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص١٩٦.

(١٣٤) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص٢٠٥-٢٠٦.

(١٣٥) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص١٨١-١٨٢.

(١٣٦) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص٢٧٧-٢٧٨.

(١٣٧) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٦٧٤-٦٧٥.

(١٣٨) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٦١٨.

(١٣٩) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٢٢.

(١٤٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٢٣.

(١٤١) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٣٥١.

(١٤٢) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص١٤-١٥.

(١٤٣) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٢٨٧.

(١٤٤) ابن الأبّار، التكملة، ج٢ ،ص١٥.

(١٤٥) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص ١٣٠.

(١٤٦) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٣ .

(١٤٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٨٧.

(١٤٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٥١.

(١٤٩) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٣٤.

(١٥٠) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٢٥.

(١٥١) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص١٣٨.

(١٥٢) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص١٣٥.

(١٥٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤١٣.

(١٥٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٧٣.

(١٥٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٢٢.

(١٥٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٥٨١.

(١٥٧) السمعاني، الأنساب، ج٤، ص ٤٩.

(١٥٨) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٢٠٧.

(١٥٩) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٦٧.

(١٦٠) المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٢٣٤.

(١٦١) ابن الفرضي: المصدر السابق،ص٤١٥.

(١٦٢) الباديسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف، ص١٠٦.

(١٦٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ١٠٨.

(١٦٤) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٨٠-٤٨١.

(١٦٥) علي أحمد: العاملون في الاقتصاد في مصر، ص ١٥٠.

(١٦٦) السمعاني: المصدر السابق، ج٤١٠، ص ١٨٤.

(١٦٧) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٣٦٨.

(١٦٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٤٧٤.

(١٦٩) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٥١٣.

(١٧٠) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٢٥.

(١٧١) ابن الآبار: التكملة، ج١، ص ٣٨٣ (طبعة الحسيني).

(١٧٢) المراكشي: الذيل والتكملة، س٦، ص ١٦٠ (رقم ٤٢٨) .

(١٧٣) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٤، ص ص ٤٢٤، ٤٢٦؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٧٢.

(١٧٤) ابن بشكوال: الصلة، ق١، ص٣٢٠.

(١٧٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص١٤.

(١٧٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٦٣.

(١٧٧) التادلي: التشوف، ص٢٥٧.

(١٧٨) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص٢٣٩.

(١٧٩) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٦٤٤؛ التادلي: التشوف، ص٢٨٩.

(١٨٠) السمعاني: الأنساب، ج١، ص ٣٨٠.

(١٨١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣، ٨١٥.

(١٨٢) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٣٢٢-٣٢٤.

(١٨٣) انظر خير الدين الزركلي: الإعلام، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ج٣، ص ٣٣٧.

(١٨٤) ابن بشكوال: الصلة، ص٢٧.

(١٨٥) ابن هشام اللخمي: الفاظ مغربية، ج١، ص ٢٩٣.

(١٨٦) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٤٣.

(١٨٧) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص١١١.

(١٨٨) السمعاني: الأنساب، ج١، ص ٢٣٩.

(١٨٩) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٥١.

(١٩٠) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص١٣٦.

(١٩١) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص١٤١.

(١٩٢) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٢٦٥.

(١٩٣) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٣٠٧.

(١٩٤) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٧٨.

(١٩٥) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ٨٥.

(١٩٦) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٥٠٢.

(١٩٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٤٧.

(١٩٨) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٦٦١.

(١٩٩) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٣٨١.

(٢٠٠) القصارة: هي دق الثياب وتحويرها وبلها وغلسها خاصة غزل الحرير والكتان والصوف، حتى تبييض وتجفيفها. محمود أحمد هدية: اقتصاد النسيج، ص١٣٦.

(٢٠١) السمعاني: الانساب، ج٤، ص ٦٠.

(٢٠٢) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٣٢٦..

(٢٠٣) جهاد غالب: الحرف والصناعات، ص٢١٨.

(٢٠٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٣٨٥

(٢٠٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٦٦٣.

(٢٠٦) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٩٤.

(٢٠٧) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٧٥ (رقم ٦٩٧) .

(٢٠٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص١٢.

(٢٠٩) الزبيدي: لحن العامة، ص ٧٠ ؛ ابن عبد الرؤوف: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ص ١٠٢.

(٢١٠) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٦٢.

(٢١١) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٦٠.

(٢١٢) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٠٤.

(٢١٣) الضبي: بغية الملتمس، ص ٣٤٥.

(٢١٤) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٣٣٠.

(٢١٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٣٢٦.

(٢١٦) الصباغة: هي طريقة يتم بها رسب مادة ملونة على نسيج ما شريطة أنَّ يبقى اللون دون تغيير بعد تعرضه للهواء والشمس، وتعددت اللألوان المستخدمة في عمليات الصبغ حسب المواد المتوفرة ومن بينها النباتات الطبيعية. محمود أحمد هدية: اقتصاد النسيج،ص٢٢٢-٢٢٣.

(٢١٧) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٦١.

(٢١٨) ابن الفرضي، المصدر نفسه ؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٤، ص ص ٣٥١ – ٥٣٢.

(٢١٩) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص ٣٤٨.

(٢٢٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٤٥١.

(٢٢١) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٥٢. .

(٢٢٢) علي أحمد: العاملون في الاقتصاد، ص ١٥٣.

(٢٢٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٢٢٤) الكتاني: سلوة الانفاس، ج٢، ص ٢٧٧.

(٢٢٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٥٥

نقد الشِّعرالصقلِّي قديمًا

أ. د. نزار شكور شاكر

المستخلص:

الهدف من الدراسة الحالية بيان نقد الشعر الصقلي في المصنفات القديمة الذي توزَّع بعد عملية الاستقراء على مبحثين اثنين مراعيًا السياقات المتّبعة في النَّقد القديم، وفي الوقت الذي نرى فيه تظافر جهود القدامى نلمح غياب جهود النّقّاد الصّقليين ومؤلَّفاتهم الرّائدة في هذا الحقل المعرفي، ولا سيَّما ما يتعلَّق بشعراء صقلّية أو الشِّعر الصقلي، ومن المؤمَّل أن يسفر الكشف العلمي في هذا المجال عن إثراء هذه الحلقة النّقدية التي تسطِّر جهود القدامى من المشارقة والمغاربة في بيان الوثيقة النقديَّة للشِّعر الصقلِّي.

المقدّمة:

الشعر ميدان فسيح يستقطب إليه الكثير من الشعراء والنقاد والمتلقين، وتأتي أهمية هذه الدراسة في ضوء بيانها ماتطرَّق إليه القدامى ضمن جهودهم التأسيسيةلنقد الشِّعر الصّقليّ في إطار حلقة نقديّة ارتبطت بالشِّعر الصّقليّ والشعراء الصِّقليّين الذين جرى التّطرق إليهم في المصادر العربية القديمة، ويجد الدّارس في هذا الأمر إشكاليّة من نوعها لاتؤثّر على نحو كبير في رسم المشهد الثقافي النّقدي وخطوطه الرئيسة على الرغم من أثرها في فضاء العمليّة النّقدية القائمة. آملين تحقيق النفع العلمي، والله من وراء القصد.

الدراسة:

المبحث الأول: من قضايا نقد الشِّعر:

سنتطرق في هذا المبحث إلى بعض القضايا النقديَّة التي وردت في المصنَّفات القديمة التي تناولت الشِّعر الصقلِّي النحو الآتي:

١-قضية المعنى واللفظ:

أ-من النصوص الحاضرة الدالة على قضية المعنى ما جاء في بيان ابتكار المعنى في ضوء اعتماد المصنِّف أسلوب الموازنة الذي خرج بتفضيل نص (مشرقي) على آخر (صقلي) من جهة المعنى القائم على سبيل الاستفهام الإنكاري بما يفيد في الإشارة إلى السَّبق الشعري المتحقّق مشرقيًّا، الذي كان التطرُّق إليه قد جرى من زاوية هذه القضية النقديَّة كما ورد في ذكر الأديب أبي الحسن بن الطوبي «وله من [قصيدة] أخرى:

أما من وقفةٍ أم من مقامِ ... أبثّك عنده داءً دخيلا

الأبيات... أين هذا من قول القاضي أبي بكر الأرجاني حيث قال وابتكر المعنى:

يروِّي ضاحِيَ الوجناتِ دمعي ... ويعدلُ عن لهيبِ جوىً دخيلِ
وما نفعي وإن هطلَتْ غيوثٌ ... إذا أخطأن أمكنةَ المحولِ»(١)

وقريب من ذلك جاء قول التجيبي في بيت أبي الحسن الربعي:

«ولم يُبْكَ فقدانُ الشباب لعلّةٍ ... سوى أنه داعٍ لفقدِ مشيبِ

وأين من هذا قول مُسلم وقد أعاده فقال:

لا يَرحل الشَّيب عن دار أقام بها ... حتى يُرَحّل عنها صاحبَ الدارِ»(٢)

ومن نحو ما جاء في ذكر ابن حمديس، بما يفيد السَّبق في هذا المجال

للشاعر الصقلي: «وله:

طَـرَقَـتْ والَّـلـيـلُ مَمـدودُ الجـنـاحْ   مَرْحَبًا بالشَّمسِ من غيرِ صباحْ

أتى فيه بكل معنى مبتكر بديع، معدود من الطراز الأول الرفيع».[٣]

وللتجيبي في تحديد مكان الاختراع في قول أبي الحسن الربعي، نقرأ:

«ولقد أحُكَّ العـين أُوهِمُ بالقَذَى   واللَّحْظُ بيـن جفونهـا متواترُ

ولرُبَّما غفـلوا ففُزْتُ بنـظرة   عَجِلًا كما قبضَ الجناحَ الطائرُ

وهـذا معنى فيما أراه مخترع وتشبيه مبتدع؛ أعني عجز بيت أبي الحسن هذا».[٤]

وأفاد قراءة غرض النَّسيب في دحض مزاعم (الاختراع) له ليرسم ملامح اتجاه نقد بعض النصوص الشعريَّة من جهة المعنى من لدن بعض (الصقليين) على نحو ساخر أوجبه التَّحول الملموس على مستوى الغرض الشِّعري المرصود من الناقد الصقلِّي، إذ ورد في جواب أبي عبد الله الصقلي للأديب أبي حفص القعيني الأندلسي بعد حدث أوجب ذلك «فأجابه الصقلي برقعة أخرى يقول في فصل منها: زعمتَ أنَّك شديدُ الغرام بشقيقةِ الظلام، وأني أخطأتُ في عَتْبِكَ على حبِّها، وظلمتُ في نهيك عن قربها، وجعلتَ أشعارَكَ في النَّسيب بها حجَّةً لتمييزك، وإنكارَ التأنيبِ عليها عذرًا من تعجيزك، وطفقتَ تُنشِدُ رافعًا عقيرتَك، مستصغرًا كبيرتَك:

أستودِعُ اللهَ مولىً مُلّكَتْهُ يدي   ودَّعتُ إلا شجوني إذ أودّعُهُ

الأبيات... فجعلتها مسكًا فتيقًا، وذهبًا عتيقًا، وقطعةً من فؤادك، ومَضنَّةً لودادك، وسببًا لانقيادك، وألبستها من الأصيل ثوبًا لا يُخلع، ودرْعًا لا يُنزع، وزعمتَ أنك اخترعت في هذا النَّسيب معنىً لم يُسْمَعْ، فانتصرتَ لمذهبك وحلَّيْتَ عاطلَ مركبك، وما أدري ما أقبلُ من شِعْرَيْكَ، ولا ما آخذ من قوليك، أهذا الأول

الذي زعمتَ أنك قلتَهُ في عنفوان الصَّبابة، وإفراط الكآبة،أم حين جلَّى الله عن بصيرتك غَيابَتها، وكشفَ عنها عمايتها – حين قلت:

ياسوءَ مااخترتُها في الحب ضفدعةً   جحوظَ عينٍ وقدًّا مفرطَ القصرِ

الأبيات... فمتى عادتِ الضفدعةُ غزالًا، وصار هذا النقصُ كمالًا؟[٥].

وضمن هذا الإطار جاءنقد المعنى في ضوء توجيهه– على سبيل التقويم– وجهة منطقية تقترن بتضمين القول القديم من نحو ماوردبعد مذاكرة جرت بين أبي طاهر التجيبي وأبي الحسن الربعي في أبيات شعرية،قال التجيبي:«وعلى ذكر الشكوى أنشدني إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري القيرواني –رحمه الله– ليَموت بن المزرَّع:

شكوتُ إليه باللِّحاظ رقيبَه   وذلك منّي غايةُ الجُهد والوُسْعِ
فكان جوابي منه أنْ قَطرَتْ له   بياقوتَتَي خَدَّيْه لُؤلؤتا دمعِ

وذاكرتُ أبا الحسن الربعي هذا المعنى فقال: وما فائدة الشَّكوى إذا لم تُفدْ جَدْوَى؟إنما القول في هذا ما قاله ابن المقفَّع في وصف صاحبه:كان لا يشكو وجعًا إلاّ لمن يرجو عنده بُرْءً، ثم أنشدني فيه من أوّل قصيدة:

عجبتُ ولم أعجب بغير عجيبِ   لمن يشتكي داءً لغير طبيبِ

الأبيات».[٦]

ومن الجدير بالذكر أن هنالك بعض التَّنبيهات على المعنى الشِّعري والاستدراكات التي وردت، ومنها نطالع:

١–التَّنبيه النقدي على تكرار المعنى الشعري من المصدر الذاتي (الشاعر)[٧].
ومن البدهيّ أن يقع ضمن هذا الميدان الجمعيّ تداول المعنى الشِّعري بين الشُّعراء، ويفيد قيام التتبع بيان السابق في ذلك «قال أبو العرب للمعتمد من جملة قصيدة:

كأنَّ بلادَ الله كفّكَ إن يسِرْ... البيتان

وهــذا المعنــى قد تداولتــه جماعةٌ مــن الجاهليين والمخضــرمين، والمحدثين والمولّدين، وأرى أن أوَّلَ مَنْ أثاره ورفعَ مناره النَّابغة حيث يقول:

فإنَّك كالليل الذي هو مدْركي... البيتان

وقال المتنبي:

ولكنّك الدُّنيـــا إليَّ حَبِيَبةٌ ... فما عنكَ لي إلاَّإليْكَ ذَهَـــابُ

والــذي هو أشـبه وأقرب، بقول أبــي العرب، ومنه أراه نقــل وعليه عوَّل، قول الأول:

كأنَّ بـــــلادَ الله وهي عريضةٌ ... على الخائفِ المطلوبِ كفّةُ حابلِ

تؤدّي إليـــه أنَّ كـــلَّ ثنيَّةٍ ... تيمّـــــمها ترمي إليـــه بقاتلِ

واستقصاء المناسبة والملاحظة في كلّ معنى حبلٌ ممدود»[٨].

٢-التنبيه على الضّديَّة في المعنى الشعري القائم عن طريق الموازنة ففي قول أبي الحسن الربعي:

«أهْـلاً بطيفِ حَبابة من زائـرٍ ... أهْلًا به هَجَرَتْ وليــس بهاجرِ

مُتَجَمّـــلٍ لَمَّـــا أراد زيـارَةً ... أهدى الرُّقَادَ إلى جفون السـاهرِ

قال التجيبي: وهذا ضِدّ ما أنشدنيه علي بن جيش الشيباني من أول قصيدة له:

رَعَى الله مــــن ليلَى خيالا تأوَّبا ... وإن كان لم يشف الفؤاد المعذَّبا»[٩]

٣-التنبيـه علـى (القـول المفترع المعنى المتسـع). قـال التجيبي في أبيات

أبي الحسن الربعي:

«رُبَّ جليسٍ لي فيه وَطَرْ ... يَفْهمه عنّي بكرِّ النَظَرْ

الأبيات. وهذا قول مفترع ومعنى متسع وقد كثر فيه إحسان المحدثين وتوليد المولّدين «.[١٠]

٤-بيان معاني بعض الألفاظ وأثرها في الدلالة في قول ابن القطاع الصقلِّي في الزهد:

«تنبَّهْ أيها الرجلُ النؤومُ ... فقد نجمتْ بعارضِكَ النجومُ

وقد أبدى ضياءُ الصبح عمًّا ... أجنَّ ظلامه الليلُ البهيم

عنى بالضياء الرشاد، وبالصبح الشيب، وبالظلام الغي، وبالليل الشباب»[١١].

ونلحظ أيضًا تسليط الضوء على معنى أحد الألفاظ من الوجهة النَّحوية التي وردت في قول أبي العرب الصقلِّي من أبيات:

«ألا إنني لما عَدَدْتُكَ أولًا ... ختمتُ وما استثنيتُ بعدكَ ثانيا

«استثنيت» هاهنا: عددت ثانيًا، لا مِن الاستثناء الذي هو إخراج بعض من كل»[١٢].

ب-وانصرف النَّقد إلى (اللفظ) في ضوء تأشير عنصر الاضطراب فيه بإزاء المعنى الذي أردف بآخر اعتمد على جودة السَّبك فيه كما ورد في قول الأديب أبي عبد الله الصقلِّي:

«قالوا بفيكَ حرارةٌ ... فعجبتُ كيف يكونُ ذاكا

ورضابُ ريقِكَ مطفئٌ ... نيرانَ أقوامٍ سواكا

يقع لي أن المعنى حسن ولكن اللفظ مضطرب.

وقوله في المعنى وهو أجود سبكًا:

شكا لحـرارةٍ فيـه أَعْيَتْ معالجةً فبـات لها كئيبا
وكيف يصحّ ذا تفديه نفسي وبردُ رضابه يُطْفِي اللهيبا»[١٣]

ووقع أيضا أن اقترح المصنف إبدال بعض الألفاظ بغيرها لتحقيق عنصر الجماليَّة في النَّص الشِّعري كما ورد في معجم الأدباء في قول عثمان بن علي الصقلي، مما يشير إلى حضور الأثر التقويمي – التطبيقي في هذا الإطار:

«يهونُ عليها أن أبيت متيّمًا وأصبحَ محزونًا وأضحى مغرّما

ومنها:

صِلِي مُدْنفًا أو واعديه وأخلفي فقد يترجى الآلَ من شفّه الظّما

الأبيات. قلت: لو قال في موضع (أضحى) من البيت الأول (أمسى) كان أجود ليقابل به (أصبح) ولو قال في البيت الثاني (وقد يشتفي بالآل من شفَّه الظما) كان أحسن في الصنعة وأجود».[١٤]

وفضلًا عن توافر المنطلقات الفنيَّة في توجيه عملية التَّقويم في النَّص في أعلاه، نقرأ من المنطلقات اللغويَّة ما جاء في قول ابن حيوس الدِّمشقي:

«لكَ اليومُ الذي شَابتْ قُرونٌ به مِنْ بَعْدِأنْ فَنِيَتْ قُرُونُ
بحيثُ بَنَيْتَ مُرهَفَةَ المواضِي صَوَالِجَ والرؤوسُ لها كُرِينُ

وكُرين: جمعُ كرة؛ لأنه يقال في جمعها :كُرات وكرين. ولهذا أُخِذَ على القائل في وصف النّارنج:

كأنَّ السّماءَ هَمَتْ بالنُّضارِ فَصَاغَتْ لنا الأرضُ مِنْهُ أُكَرْ

وعلى أبي نُواسٍ قبله في قوله في أرجُوزته:

يَحْدُو بِحُقبٍ كالأُكَرْ

قالَ ابنُ جِنِّي: قد أخطأ في جمع كرة على أُكَر». [١٥]

وجاء تأشـير اللَّحن[١٦] على وجه الكثرة لدى الشـاعركما ورد في قول العماد الأصـفهاني وقد تحرى هذا الأمر لدى الغاون الصـقلي: «وجدت في شـعره لحنا كثيرًا»[١٧].

وتحيـل بعضٍ سـياقات قضـية المعنـى إلـى الكشـف عـن بعض الفنـون البلاغية (البيانية والبديعية) التي وردت في قول الشُّـعراء الصقليين كما ورد في قول ابن حمديس يمدح المعتمد:

«إذا النديمُ حَساها خلتَ جريتها   نجمًا تَصَوّبَ حتى غابَ في قمـرِ

... قوله: نجمًا تصّوب حتى غاب في قمر معنىً قد طوي ونُشر»[١٨].

«وقول مُجبر بنِ محمَّد:

فسقَى مَحَلَّ الجِزعِ مـن مَحْـلٍ به   غَيْثٌ تَدُورُ على الرُّبَى كاسَـاتُهُ

سفحٌ سَفَحْتُ عليه دَمْعِي فـي ثَرَىً   كالمِسْكِ ضَاعَ مـن القَنَاةِ فُتَاتُه

فقد ورَّى بضَاعَ من الضيَاع عن ضَاعَ من التَّضَوعُّ»[١٩].

ومن نحو قول أبي الفضـل مشرف بن راشـد «يصف القتلى وطابق أربعة في بيت واحد:

فأقصاهمُ رضوانُ عن رَوْحِ جنّةٍ   وأدناهمُ من نفحةِ النار مالكُ

وأنـا أقول إن كان قد طابق ولكن في البيت اضـطراب بـيِّن من قبل المطابقة فأمعن النَّظر[٢٠].

ومن عكس التَّشبيه نقرأ «قال البُحتري في التشبيه بالجَوشن ووَصَفَ بِركةً:...

الأبيات. وعكس الربعي أبو الحسن هذا التشبيه فقال وأنشدنيه من قصيدة له:

ليلاً حسبت به المجرَّة جدولا وحسبت أنجمها حصىً مرصوفا»[٢١]

٢- قضية السَّرقات/ الأخذ: أفادت بعض السياقات النصيَّة تسليط الضوء على هذه القضية النقدية والعلاقة الوثيقة بينها وبين قضية اللفظ والمعنى، بما أفصح أحيانًا عن تبنّي الرّأي المعتدل في هذا الحقل المعرفي إزاء اتجاه المولدين بتوظيف مصطلح المواردة على مستوى المعنى الشعري[٢٢]، والقياس على ذلك في اللفظ، يأتي هذا في إطار اختصار مباحث كتاب العمدة من لدن أبي عمرو الصقلي في باب السَّرقات، إذ «قال عثمان الصقلّي في مختصره للعمدة وقد ذكر السرقات...والمواردة قال: وهو ما ادُّعِي في شعر امرئ القيس وطرفة من كونهما لم يفرقا بين بيتيهما إلاَّ بالقافية قال امرؤ القيس: (تجمَّلِ). وقال طرفة: (تجلَّدِ). قال الصقلي: وأعجب من ذلك أني صنعت قصيدة أولها:

يهونُ عليها أن أبيت متيّمًا وأصبحَ محزونًا وأضحى مغرّما

قال: ثم قرأت بعد ديوان البُحتري فوجدت معظم هذه الألفاظ مبددةً فيه. قال: فإذا كانت أكثر المعاني يشترك فيها الناس حتى قطع ابن قتيبة أن قوله تعالى: ﴿يريدُ أن ينقضَّ﴾ لايعبر عنه إلاَّ بهذه العبارة ونحوها فغير مستنكر أن يشتركوا وتتفق ألفاظهم في العبارة عنها، ولكن أبى المولدون إلاَّ أنها سرقة»[٢٣].

ونجد أن قضية الأخذ قد أفادت في بيان الزيادة المتحققة بوصفها تحصيل فاعل على قول (المبتكر) في الغرض الشعري، مع تحديد موضع الزيادة، قال ابن دحية في ابن حمديس: «ومما أخذه فملَكه فاسترقَّه، واستوجبه بزيادة فيه على مبتكره واستحقَّه قوله في وصف فرس سابق:

كأنَّ له في الأُذن عينًا بصيرةً ترى اليوم أشباحا تمرُّ بها غَدا

يقيَّد بالسـبق الأوابـدَ فوقَه ولو مـرَّ في آثارهـنَّ مُقَيَّدا

أخذَه من قول امرئ القيس بن حجر، وهو أوَّلُ من قصَّـد القصـائد، وقيَّد الأوابد، فقال في لاميَّته المعلَّقة:

وقد أغتدي والطيرُ في وكناتها بمنجَردٍ قـيد الأوابد هَيْكَلِ

وزيادةُ عبد الجبَّار عليه قوله : ولو مرَّ في آثارهن مقيَّدا

ومن مليح أخذه المستحسن قوله من أخرى:

لهم رياض حُتـوف فالذُّباب بها يَشدوهمُ في الهوادي كلما اقتحمُوا

بيض يضعن المنايا السَّودَ صارخةً وهي الذُّكور التي افتُضت بها القمم

أخذه من قول أبي نصر عبد العزيز بن نُباته السَّعدي:

ومن العجائب أنَّ بيضَ سيوفه تلد المنايا السُّودَ وهي ذُكورُ

إلاَّ أنه زاد عليه، بعدما ساواه في المقابلة، بذكر البيض والسّود. وذكر الذكورية مع ذكر الوضع الذي ذكره في موضع (تَلدُ) بقوله: (صارخة)، إذ من شأن المولود أن يَسـتهلَّ صارخًا عن الوضـع. وكذلك الواضعة تصرخ أيضًا حالة الطَّلق، فتمَّم بهذه الزيادة قوله: (يضعنَ المنايا السود). كما زاد عند ذكر الذكور، وتمَّم المعنى بقوله: (افْتُضَّتْ بها القِمَمُ)، فجعل سيلان دماء القمم بذكور الصَّوارم كسيلان دماء العَذارى لدى افتضاص ذُكور الرِّجال لها»[٢٤].

ومن الإشـارات التي وردت إلى الأخذ من (المصـدر الذاتي) ما جاء في قول محمَّد بن الحسن الطوبي«في فص أحمر:

حمرتي مـن دمِ قلـبي أيـنَ من ينـدبُ أينا

أنـا مـن أحجـارِ أرضٍ قتلوا فيهـا الحسينا

هو من قول الشاعر في فصّ أخضر:

لا تـعـجـبـوا مــن خُـضْـرَتـي   فإنـــــــها مَــرَارتي
تَـفَـطـرَّتْ لمـــــــــا رأتْ   ما صَنَعُوا بسَــــــــادتي»[٢٥]

وجـاء من باب أخذ الشـعـراء الصـقليين من الآخرين من نحـو أبي العلاء المعرّي والمتنبي والبحتري[٢٦] في ذكر مجبر الصقلي «وله:

أرأيــت بـرقًـا بـالأبـارقِ قـد بـدا   في أُفْقِـــــهِ متبسمًا متوقدا

هو مأخوذ من قول ابن أبي الخليل:

ومن العجائب أن أتى من نسجه   -وخيوطه بيض–بساط أخضر»[٢٧]

وجاءت المواردة في المقطع الشِّعري لدى التجيبيب صحبة الإلمام أو (الصبِّ على القالِب) إذ ذكر الإلمام / أو المواردة في قول أبي الحسن الربعي:

ومـا كـلّ حين يتبع السّعدُ ربَّه   بلى كل سعد ليلة النّحس ذابحُ

وألمَّ في قوله: - بلى كل سعد ليلة النحس ذابح – بقول ابن بسَّام أو وارده، قال ابن بسَّام في سعد حاجب الوزير الخاقاني:

يا حاجب الـوزراء إنَّـك عندهم   سعد ولكن أنت سعد الذابح»[٢٨]

وأقرن التجيبي بين الصبِّ على القالِب والمواردة في قول أبي الحسن الربعي:

ومـا طمَعُ الإنسان إلاّ مــذَلَّة   ومَن قَنع استغنَى وإن لم يَنَلْ وَفْرَا
وبعضُ الرجال كلَّما زاده الغنى   غنىً زاده بالحرص في نفسه فقرا

صَــبَّ أبو الحســن على قالِب أبي العتاهية هذا البيت الثاني من بيته ووارده في قوله:

أرَى صاحبَ الدنيا بها حيثما أمَّا   إذا ازداد مالًا زاده مـَــاله غَمَّا»[٢٩]

«وذكر ابن خلكان قول ابن حمديس:

رفعت لساني بالقيامة قد دنتْ   فهذي الجبالُ الراسـيات تسيرُ

وقـد ألمَّ في البيت... بقول عبد اللّه بن المعتز في مرثيته للوزير أبي القاسـم عبيد اللّه بن سليمان بن وهب:

قد استوى الناس ومـات الكمالْ   وقال صَرْفُ الدهـر:أين الرجالْ

هذا أبـو القــــاسم في نَعْشِـهِ   قوموا انظروا كيف تزول الجبالْ[٣٠]

ومن الإيماء إلى المعنى في قول المتنبي في صفة جيش:

ورب جــواب عـن كـتـاب بعثته   وعنـــوانه للنــــاظرين قتـــام

وقد أومأ إلى هذا المعنى أبو الحســن ابن الخيَّاط فيما أنشدنيه لنفسه من قصيدة ...».[٣١]

وجاءت الإشارة إلى الأخذ من الشاعر ذاته القائل في المعنى كما ورد في قول أبي الحسن الربعي «في مدح انتصار الدولة وابنه من قصيدة:

عَلِّقْ رجاءك بالحُسيــــن وبابنه   إنَّ العلائق بالــــــكِرام أواصرُ

واعـلَـمْ بـأنك إن غـزوتَ نَدَاهـمـا   بِلواء مدحهما فإنَّــــــكَ ظافر

وقال أبو الحسن هذا المعنى عندي من عجز بيت أبي تمَّام:

إذا ما أغارُوا فَاحْتَووا مالَ معشرٍ   أغارت عليهم فاحتوَتْهُ الصنائِعُ»[٣٢]

٣- قضـيّة الطَّبع:وردت الإشـارة إلى هذه القضـية بوصـفها مزيَّة تحسـب للشعراء الصّـقليّين من نحو ما ورد لأبي محمَّد الأنصاري الـ «متصرِّف في فنون

الشِّـعر كما هو مُلَقَّى على لسـانه فهو يجري مع نفسـه جَرْيَ الزّلال الرّضراض، ولو مُزِجَ شـعره بشـعر أبي العتاهية، لم يفرّق بينهما إلاَّ من كان راوية»(٣٣)، ومن الحقل الأدبي نقرأ في ذكر محمَّد بن سـدوس الصقلي:«وكان النظم والنثر طوع عنانه»(٣٤).

ومن الجدير بالذكر في هذا الإطار تأشير القصور في القدرة الشعريَّةإذ ورد أن «لبعضِ شُـعراء المجلس العالي – ثَبَّتَ الله سـلطانهُ- في ملك غانة، لما وصَـل مصـر يريد الحجّ، وقد شـاهد أهل مملكة مولانا ماناله من الحِبَاءِ الذي سَـهَّل حجَّهُ، والعطاء الموضّح له سبيل مرادِه ونهجه:

كذا يجيبُ دُعَـاءَ اللهِ مـن عَـرَفَـهْ   من غَانةٍ غايةِ الدُّنيـا إلـى عَـرَفَـهْ

ولما اجتمع الملك به طالبَهُ بعمل ثانٍ فذكَرَ قُصورَ قدرتهِ عنه»(٣٥).

المبحث الثاني: النقد الانطباعي

هنالـك العديدمن المظاهر المألوفةللنَّقد الانطباعي في هذا الحقل،ولم يفلح بعضـها في الخـروج من هذا الإطـار على الرغم مـن الارتباط ببعض القضـايا النقديـة والبلاغية والبنائية والغرضـية، من ذلك التعلُّق بـ (المعنى / الصـحيح والمبنى / القويم) في الشـعر نقرأ في ذكر ابن السوسي:«وله شعر صحيح المعنى، قويم المبنى»(٣٦).

ومن الالتفات إلى الشَّـكل البنائي (المقطعات العجيبة)، ورصـد فن التَّشبيه البلاغي(المصيب) نقرأماجاء للوزير ابن دابق: «وله مع ذلك مقطَّعات عجيبة، وتشبيهات مصيبة»(٣٧).

ومنـه في غرض الوصـف في قـول أبي الحسـن الرّبعي نقـرأ: «ومنه أيضًـا مـا ملَّح فيه وشـبَّه الماء في حين اجتماعه في الجدول بالسَّـيف وفي اسـتقراره في البِرْكة إذا ضـربته الرّيح بالدّرع، وأوجز فيه وأحسـن كل الإحسان،فقال ووصف

عين ماءٍ جُلبت إلى بِركة بدار الإمارة:

حتى استقرَّت لــــديه في قرارتها ثم استمرَّت بــه في مَرمرِ سَــــــرِبِ

لهاعلى الجمــــع والتفريق أمثلة في الدرع مسرودةً والسَّيف في الشُّطُبِ

وهذا إن لم يكن أبو الحســن أخذه من الصَّـنَوبري فقد أحســن مواردته فيه قال الصنوبري:

بــرَكٌ تُوصــــف الجواشـن فيها وســواقٍ تسيل سَيل السيوفِ

يُرعَد الماء فيه خــوفًا إذا ما لَمَسَتْه يد النســيم الضعيفِ[٣٨]

ومــن التَّنبيــه على تطـرق الشـعراء إلى الغرضـ الوصـفي، واختيار مليح ما قيل فيه على وجه المعاصــرة نقرأ «وقد تعاور الشُّعراء وصف وقوع الشُّعاع على صــفحات الماء، ومن مليح ما قيل فيه قول بعض أهل العصر وهو أبو الحسن علي بن أبي بشر الكاتب:

شربنا مَعْ غروبِ الشَّمس شمسًا مشعشعةً إلـــى وقــتِ الطلوعِ

وضوءُ الشمسِ فــوق النيلِ بادٍ كأطراف الأسنَّـــــة في الدروعِ»[٣٩]

يشـير النَّص في أعلاه إلى أن من مظاهر النقـد الانطباعي الذوقيّة اختيار (أحسن /أبدع) ما لدى الشاعر المصاحب للتقديم له في المصنَّفات القديمة على نحو مألوف[٤٠] ومن مظاهره الشـكليَّة قيامه على نظام السَّـجع والتَّقفية من نحو مــاورد في ذكـر أبي عبد الله الفقيه «وقد أورد من شـعره ما يهز أعطاف القلوب مراحًا، ويدير على الأسماع من الرحيق المختوم راحًا»[٤١].

وقـد ارتبط هـذا الجانب ببعضـ الأغراضـ الشـعريَّة من نحو الغـزل[٤٢] والمراثي، ومنها لأبي عبد الله الفقيه «وله من المراثي ما يحل للقيام حبى المستمع الجاثي، فمنه قوله من قصيدة طويلة:

عـزَّالـعـزاءُ وجـلَّ الـبـينُ والجـزعُ وحلَّ بالنفس منه فوقَ ما تَسَعُ»[٤٣]

ومن الاسترسال في هذا الأسلوب القائم على التزام السَّجع نقرأ في ذكر ابن الثيري: «وأورد من شعره ما يروع ويروق، ويضوع ويفوق، ويطرب ويشوق، وتحسده عقود العقيان والعيوق، وتصف مرحه ووهجه الرّحيق والحريق»[٤٤].

ومن آليات النَّقد الانطباعي قيامه على الموازنة بين النصوص الحاضرة في هذا السياق، نقرأ لمجبر الصقلِّي «يصف فوارة:

وفـوّارةٍ يستـمدّ السحـا بُ من فضـل أخـلافها المـحتلبْ
رأت حـمرةَ القيظِ محمـرَّةً لها شـررٌ كرجـوم الشـهب
فظلَّتْ بهـا الأرضُ تسقي السما ءَ خوفًا علـى الجـوّ أن يلتـهب

أحسن ما قيل في الفوارة قول البُحتري:

وفـوّارة مـاؤهـا في السـماءِ فليستْ تُقَصِّرُ عـن ثارها
تـردُّ علـى المـزنِ مـا أسبلت على الأرضِ من فَيْضِ مدرارها»[٤٥]

وجاء الالتفات الموازن إلى القول القديم بفائدة ضمنيَّة تحسب لأبي العرب الصقلي أيضًا- على أساس مبدأ الجودة الشعرية- الذي «قال:

كأن فجاجَ الأرضِ يمناك إن يَسِرْ ها خائفٌ تجمعْ عـليه الأناملا
فأنَّى يفـرُّ المرءُ عنـكَ بجرمهِ إذا كان يَطْوِي في يديكَ المراحلا

ليس يخرج هذا في الجودة عن قول النابغة الذبياني:

فإنَّك كاللّيلِ الـذي هو مدركي وإنْ خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ»[٤٦]

الحصاد:

أسفرما سبق عن بيان الملمح النَّقدي للشِّعر الصقلي قديمًا، وأبرز ما فيه هو

توافر الجانب الموضـوعي، والنمطيِّة الهادفة في التعامل مع النَّص الشِّـعري من لـدن المؤلفين القدامـى الذين لم يؤلُوا جهدًا في الرَّصـد والتتبع وتوظيف الآليات النقديَّة لهذه الغاية.

ويمكن القول إنَّ المشـهد النقدي للشِّـعر الصقليّ كان ذا فائدة كُبرى لو بقي ذلـك الإرث النقدي للنّقّاد الصّـقليّين وضـمَّ إلى مجمل الجهـود في هذا الحقل المعرفي وتيسَّر للدارسين، ولا سيَّما وأنَّ المصادر تشير إلى ضياع مؤلفاتهم في هذا المجال كما تشـير إلى العديد من العلماء الصّقليّين الذين نبغوا في الشِّعر والنَّقد والأوزان والأعاريض كانوا على صلة وطيدة بمن حولهم ولاسيما بمعاصريهم من الشُّعراء والأدباء الصّقليّين، ومنهم من ترك آثاره في فضاء العمليّة النقديَّة التي هي جهد مشـترك بين الصّقليّين وسـواهم، ولاسـيَّما الذين أفادوا من المؤلَّفات الأدبيّة والنقديّة الصقليّةآنذاك،فضـلاً عن جهودهم النقدية في شريحة الشِّعر الصقلي.

الهوامش:

(١)الأصـفهاني، العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب /١، تح: محمَّد المرزوقي (باشتراك)، الدار التونسـية للنشر، تونس، النشرة الثالثة، ١٩٨٦،٩٣. عبَّاس، د. إحسان،معجم العلماء والشعراء الصقليين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٤،٩٣. وينظر البيتان:يروي ضـاحي الوجنات...:الأرجاني، ديوان، م٢، تقديم وضبط وشرح: قدري مايو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٨،١٥٨. وأبو الحسـن علي بن الحسـن بن الطوبي إمام البلغاء، وزمام الشـعراء، مؤلف دفاتر، ومصنف جواهر، ومقلد دواوين، ومعتمد سلاطين رحل إلى المشرق، وكان في زمان المعزّبن باديس. ينظر: الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب /١: ٩٣.

(٢) التجيبـي، أبـو طاهر، المختار من شـعر بشَّـار / اختيار الخالديين، تح: السـيِّد محمَّـد بدر الدين العلوي، لجنة التأليف والترجمة والنشـر، القاهـرة (د.ت)، ٣٣٨. والبيت:لايرحل... ابن الوليد، مسـلم، شـرح ديوان صريع الغواني، تح: د. سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ط٣، (د. ت)، ٢٢٣. أبو الحسـن علي بن محمَّد بن علي الربعي المعروف بابن الخياط، أطنب في الثناء عليه من طريقة الشعر والأدب ابن القطاع، وهو أحد أعلام الشِّعر. ينظر:عباس،مصدر سابق،١٢٨.

(٣) ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري (باشتراك)، دار العلم للجميع، بيروت، (د.ت)، ٥٥.ابن حمديس، ديوان تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ت).٨٢. وفيه:في غير صباح.

(٤) التجيبي،مصدر سابق، ٦٢.

(٥) الشنتريني، ابن بسَّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤م١، تح: د. إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ٣١-٣١٤ عباس،مصدر سابق، ٢١٦-٢١٧.أبو عبد الله محمَّد ابن علي بن الصباغ الكاتب الأديب الشَّهير، كان في عهد ابن رشيق، وبينهما مراسلات ذكر انه ناظم ناثر. ينظر: الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٠٨. الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٨٣.

(٦) التجيبي، مصدر سابق، ١٤٧.عباس،مصدر سابق، ١٤٢.

(٧) ينظر:الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٢٣.والتجيبي، مصدر سابق، ١٧٢.

(٨) الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٠٦-٣٠٨.وبيت المتنبي،البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر، ٢٠١٤،١٨٦ وفيه: ولكنك الدنيا، وعنك بدلًا عن منك. الأديب أبو العرب مصعب بن محمَّد بن أبي الفرات من أهل صقلية ومن شعراء المعتمد ابن عبَّاد، كان عالمًا بالآداب مفننًا شاعراً مفلقًا (٤٢٣- ٥٠٦هـ). ينظر:الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٠١. الأصفهاني، مصدر سابق،قسم شعراء المغرب والأندلس / ٢، تح:آذرتاشآذرنوش، نقَّحه وزاد عليه: محمَّد العروسي المطوي (باشتراك)، الدار التونسية للنشر، تونس ط٢، ١٩٨٦، ٢١٩.البلنسي، ابن الأبَّار، التكملة لكتاب الصلة، ج٢، تح: د. عبد السَّلام الهراس، دار الفكر،بيروت،١٩٩٥، ١٨٩.

(٩) مصدر سابق، ٦٠.

(١٠) مصدر سابق،٦٣.

(١١) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٥٥. عباس،مصدر سابق، ٨٨. علي ابن جعفر المعروف بابن القطاع اللغوي النحوي الكاتب، قال الشِّعر صبيًا، من تصانيفه:كتاب تهذيب أفعال ابن القوطية في اللغة.كتاب شرح الأمثلة. كتاب الدرة الخطيرة في شعر أهل الجزيرة كتاب المجموع الأدبي (٤٣٣- ت في حدود ٥١٥) ينظر: الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٥١.القفطي،جمال الدين،إنباه الرواة على أنباه النُّحاة، ج٢، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة (باشتراك)، ط١، ١٩٨٦، ٣٣٦-٣٣٧.

(١٢) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب والأندلس / ٢: ٢٢٢. عباس،مصدر سابق، ٢٤٣.

(١٣) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٥٦. عباس،مصدر سابق، ١٨٦.أبو عبد الله محمَّد بن الحسن ابن الطوبي صاحب ديوان الرسائل والإنشاء، ومن ذوي الفضائل البلغاء،

طبيب، مترسّل، ينظر: الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٥٥.

(١٤) الرومي، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، تح:د.إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣،١٦١٠.عباس مصدر سابق، ٧٩- ٨٠. عثمان بن علي بن عمر الخزرجي الصقلي:أبو عمرو النحوي، كان من العلم بمكان نحوًا ولغة، له تواليف في القراءات والنحو والعروض، ومن مصنفاته الحاشية على كتاب الإيضاح، ومختصر عمدة ابن رشيق، وله كتاب مختصر في القوافي، وكتاب مخارج الحروف مختصر ينظر:السّلفي، أبو طاهر، معجم السّفر، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣،٢٤٤–٢٤٥. الرومي،مصدر سابق، ٤: ١٦٠٨ – ١٦٠٩.

(١٥) ابن الصيرفي، أبو القاسم، الأفضليات، تح: د. وليد قصَّاب، د. عبد العزيز المانع،مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٢، ٦٤–٦٥. البيتان:لكَ اليومُ الذي ليسا في الدّمشقي، ابن حيوس، ديوان، تح: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤.البلنوبي، علي بن عبد الرحمن، ديوان، تح: هلال ناجي، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٦، ٥٢. أبو نواس، ديوان، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي بيروت (د. ت)، ٤٣٩. والشطر الثاني:ترى بأشباح القصر.

(١٦) ينظر المصطلح لطفاً: مطلوب، د. أحمد،معجم مصطلحات النقد العربي القديم، عربي – عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١ ٢٠٠١، ٣٣٥.

(١٧) مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٢٦. عباس،مصدر سابق، ٣٨.أبو علي حسن بن واد الملقب بالغاون.ينظر: الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٢٦.

(١٨) الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٢١–٣٢٢. ابن حمديس،مصدر سابق، ٢٠٥، وفيه غار بدلًا عن غاب.

(١٩) ابن الصيرفي، مصدر سابق، ١١٣.الصقلي، شعر مجبر (ت قبل ٥٤٠ه)، صنعة وشرح: د.عبد الرزاق حويزي، مجلة آفاق الثقافة والتراث مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ع٨٩، مارس ٢٠١٥، ١٠٨.مجبر بن محمَّد بن عبد العزيز الصقلي(٤٦٤ –ت قبل ٥٤٠ هـ) من أهل الأدب البارع والشعر الرائع، من فحول الشعراء. ينظر: السّلفي، مصدر سابق، ٣٨١ –٣٨٢.الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء مصر/٢، نشره: أحمد أمين (باشتراك)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ٨٢.

(٢٠) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب/١: ٩١. عباس،مصدر سابق، ٢٣٥.

(٢١) التجيبي، مصدر سابق، ٣١٩.

(٢٢) ينظر المصطلح لطفًا: مطلوب، مصدر سابق، ٤١١.

(٢٣) الرومي،مصدر سابق ٤: ١٦٠٩–١٦١٠. عباس،مصدر سابق، ٧٩-٨٠.الآية الكريمة، الكهف: ٧٧. وينظر:امرؤ القيس، ديوان (القسم الأول رواية الأصمعي من نسخة الأعلم)، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، (د.ت)،٩.طرفة بن العبد، ديوان شرحه وقدَّم

له: مهدي محمَّد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢، ١٩.

(٢٤) ابن دحية، مصدر سابق، ٥٥-٥٦. ابن حمديس، مصدر سابق، باختلافات يسير في الرواية: ١٤٤، امرؤ القيس، مصدر سابق، ١٩.

(٢٥) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٦٠. عباس،مصدر سابق، ١٨٩.

(٢٦) ينظر:الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٣٨. ابن الصيرفي، مصدر سابق، ١١٧-١١٨. ابن خلكان، أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، م٣، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ٢١٣.

(٢٧) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء مصر/ ٢: ٨٦. الصقلي،مصدر سابق، ١١١.

(٢٨) التجيبي، مصدر سابق، ٧٦.

(٢٩) التجيبي، مصدر سابق، ١٩٨- ١٩٩.والبيت ليس في أبي العتاهية، ديوان، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٦.

(٣٠) ابن خلكان، مصدر سابق ٣: ٢١٤. ابن حمديس، مصدر سابق، ٢٦٩ باختلاف في رواية عجز البيت.ابن المعتز، ديوان، دار صادر بيروت، (د.ت)،٣٨٩.وعجز البيت الأول:ونادت الأيام أين الرجال.

(٣١) التجيبي، مصدر سابق، ٤-٥.البرقوقي،مصدر سابق، ١٢٢٢.

(٣٢) التجيبي، مصدر سابق، ١٧٤-١٧٥.التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمَّام، ج٢، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤، ٤٥٣.

(٣٣) عباس،مصدر سابق ٦١ -٦١. عبد العزيز بن عبد الرحمن:كاتب مبرَّز، وشاعر مفلق، كان يشبَّه بأبي العتاهية. ينظر:النيفر، محمَّد عنوان الأديب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ٣٧١.

(٣٤) القفطي،إنباه الرواة ٣: ١٥٠.القفطي،جمال الدين،المحمدون من الشعراء وأشعارهم، تح: حسن معمري، جامعة باريس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٧٠، ٣٣٩. عباس،مصدر سابق، ٢٠٥. جاء فيها: محمَّد بن سدوس أبو عبد الله النَّحوي الكاتب، برع في النَّحو على أهل زمانه. وينظر:القفطي،إنباه الرواة ٣: ١٠٧. عباس،مصدر سابق، ١٨٤ -١٨٥.

(٣٥) ابن الصيرفي، مصدر سابق، ٢٥٩-٢٦٠. في الحاشية:مجبر بن محمَّد الصقلِّي.والبيت في: الصقلِّي،مصدر سابق، ١١٤.

(٣٦) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٤٦. عباس،مصدر سابق، ٧٤. عثمان ابن عبد الرحمن ابن السوسي، قرأ على أبيه الأدب نيَّف على السَّبعين. الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٤٦.

(٣٧) عباس،مصدر سابق، ٦٠.

(٣٨) التجيبي، مصدر سابق، ٣١٩.عباس،مصدر سابق،١٣٧-١٣٨.

(٣٩) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٦. عباس،مصدر سابق،١١١. البيتان:البلنوبي، مصدر سابق، ٥٣-٥٤.

(٤٠) ينظر:الحميدي، أبو عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح: بشَّار عواد معروف (باشتراك)، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١ ٢٠٠٨، ٣٢٠. السَّبتي، القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج٨، تح: سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٨٣،١١٥. الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب والأندلس / ٢: ٢٢١. عباس،مصدر سابق، ١٩، ٤٧.

(٤١) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب١/: ٣٤. عباس،مصدر سابق، ٢٢٤.أبو عبد الله محمَّد بن عيسى بن عبد المنعم الفقية: كاتب شاعر، بارع ماهر، مهندس منجِّم، مذكور بين الحكماء. الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب١/: ٣٤.القفطي، جمال الدين إخبار العلماء بأخبار الحكماء، علَّق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ٢١٨.

(٤٢) ينظر: الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب/١: ١٧، ٢٧. عباس،مصدر سابق، ٢٨، ١٥٩.

(٤٣) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب/١: ٣٨. عباس،مصدر سابق،٢٢٧.

(٤٤) عباس،مصدر سابق، ٢٣٢.

(٤٥) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء مصر / ٢: ٨٩. عباس،مصدر سابق،١٧٧. البيتان:البحتري، ديوان، ج٥، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، (د.ت). ٢٥٨٤. وأبيات مجبر: ابن الصيرفي، مصدر سابق، ١١٧ -١١٨ جسرة بدلًا عن حمرة، الصقلي مصدر سابق، ١٠٦.

(٤٦) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب والأندلس / ٢: ٢١٩. عباس،مصدر سابق، ٢٤١. وينظر: البيت:فإنك... الذبياني النابغة، ديوان، (صنعة ابن السكيت)، تح: د. شكري فيصل، دار الفكر،بيروت، ١٩٦٨، ٥٢. ينظر:الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٠٦.

مصادر الهَمْداني عن قبيلة حرب

كتبه/ سلطان بن نواف الحربي

تمهيد:

تُعد شخصية الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني(١) من أهم الشخصيات التي اعتمد الباحثون عليها في تاريخ وجغرافية جزيرة العرب(٢). فهو من أعيان مطلع القرن الرابع الهجري(٣)، وألّف في تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية عددًا من الكتب التي عدّها كبار المؤرخين والبلدانيين العرب من أهم وأجل ما كُتِب في المجالات المتعلقة بجزيرة العرب(٤)، ومنها كتاب (الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْير)، وقد تطرّق الهَمْداني في هذا الكتاب إلى تاريخ القبائل اليمنية وأنسابها، فتجد ذلك جليًّا في ذكره قبيلة حِمْير في الجزء الأول والجزء الثاني، وأيضًا ذكره قبيلة هَمْدان في الجزء العاشر من هذا الكتاب. وقد أفاد العلماء في مجالي التاريخ والبلدانيات كثيرًا من مؤلف الهَمْداني هذا طوال القرون الماضية(٥)، فكان مرجعهم الأول في حديثهم وبحوثهم عن تاريخ القبائل اليمنية وأنسابها(٦)؛ يقول شيخ حفّاظ الحديث في عصره الإمام عبدالغني الأزدي عن عِلم الهَمْداني في الأنساب: «عليه المعوّل في أنساب الحِمْيَريين»(٧). وفي وقتنا المعاصر يُعدّ كتاب «الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْير»من أهم المصادر التي استفاد منها الباحثون والمهتمون في تاريخ القبائل اليمنية(٨). وتحديدًا قبيلة خولان ابن عمرو القضاعيّ، التي تُنسب إليها قبيلة حرب في الحجاز ونجد. وقد

استفاد من هذا المصدر مؤرخون وباحثون من قبيلة حرب[٩] في معرفة نسبها، كما أنّهم نقلوا أخبار نزولها واستقرارها في منطقة ما بين الحرمين الشريفين في الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين.

وهذه ورقة بحثية عن مصادر الهَمْداني في كتابه (الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْير). عندما تحدث عن نسب قبيلة حرب وأخبارها في الحجاز مطلع القرن الرابع الهجري. وستجري دراسة نصوص الإكليل المعنيّة في هذا البحث من مخطوط الجزء الأول من كتاب الإكليل في مكتبة برلين الحكومية، ومن النسخة المطبوعة من الجزء الأول لكتاب الإكليل التي حقّقها القاضي محمد بن علي الأكوع[١٠] طبعة عام ٢٠٠٨م، وأيضًا من النسخة المطبوعة من الجزء الأول لكتاب الإكليل التي حققها العالم أوسكار لوفجرين[١١] عام ١٩٥٤م. وعليه يجدر إيضاح الطريقة التي جرى بها اعتماد الأصل في هوامش هذه الورقة البحثية عند النقل من كتاب الإكليل، حيث سيكون الأصل هنا هو النّصوص التي حقّقها الأكوع، ومقابلتها بالنّصوص التي حققها أوسكار، وإن وُجِد اختلافٌ بين النّصوص التي حققها الأكوع مع النصوص التي حققها أوسكار سنستعين بالنصوص التي في المخطوطة ونجعلها هي الأصل.

وفي البداية ننوّه عن مصادر الهَمْداني في كتابه الإكليل، حيث أكدّ الهَمْداني في مقدمته للجزء الأول من كتابه الإكليل أنه اعتمد عند روايته للأنساب والأخبار على نوعين من المصادر، مصدر مكتوب وهي السجلات المتوارثة والزّبر والمسانيد المنقوشة[١٢]، والنوع الثاني المصدر التقليدي أي الأخذ من أفواه الرّواة، رواة عصره[١٣]. وفي هذا البحث سيكون التركيز فقط على مصادره في روايته لنسب قبيلة حرب وأخبارها في الحجاز[١٤].

المصادر المكتوبة:

اعتمد الهَمْداني في روايته لنسب حرب وأخبارها في الحجاز على أربعة

مصــادر كتابية هي: سجل ابن أبان الخنْفَري[١٥]، سجل خولان[١٦]، سجل صعدة و ســجل الهميســع بن حِمّــير[١٧]. فمن هــذه الســجلات الأربعة أخــذ الهَمْداني نســب خولان بن عمرو القضــاعي وقام بتعداد بنيه، ومنهم ســعد بن الملك سعد ابن خولان[١٨]. ومن ســجل خولان و ســجل صــعدة نقل الهَمْداني أنســاب وبطون حرب بن سعد بن الملك سعد بن خولان[١٩]، و أيضًا من سجل خولان وسجل صعدة نقل الهَمْداني كذلك بقية فروع حرب التي في الحجاز غير فروع زياد بن ســلمان ابن الفاحش بن حرب وهي فروع عامر بن حرب وحظي[٢٠]، ومن سجل صعدة نقل الهَمْداني سبب هجرة قبيلة حرب وتاريخ هذه الهجرة من اليمن إلى الحجاز[٢١].

الرواة:

رواة الهَمْــداني عند حديثه في الجزء الأول من كتابه الإكليل عن قبيلة حرب في الحجاز هما الأمير أبو جعفر إبراهيم بن إسماعيل بن العباس المحابي، وابنه عالم الأنســاب محمد بن إبراهيم بن إســماعيل المحابي،و أسرة آل المحابي بفتح الميــم والحــاء المهملة بعدها ألف وباء موحدة وياء مثنــاة من تحت، من حِمّير ثم من الكَلَاع، وإليهم تنســب المحابية[٢٢]، قرية من قرى الجعاشــن في مديرية ذي سُــفَال وأعمال محافظة إب[٢٣]. وقد يظنهم من لا معرفة له بالأنساب والبلدان، أنهــم المخائــي بالخــاء المعجمة بعد الميــم ثم ألف وهمــزة وياء، نســبة إلى المخا الثّغــر المعــروف. وقد تســرّب هذا الوهم بالتصــحيف إلى كثــير، كما في طبقات ابن ســمرة، وشــفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاســي[٢٤]. وكان لهم شــهرة وصيت ورياسة[٢٥]، ورياستهم قديمة بسبب جهادهم للقرمطي أيام الحوالي[٢٦].

الأمير أبو جعفر إبراهيم بن إسماعيل بن العباس المحابي:

أول أمــراء مخــلاف جعفر بعــد إنهاء حكــم القرامطة فيه، وكانــت إمارته عــام ٣٠٤هـ[٢٧]،ومخــلاف جعفــر هو مايســمى اليــوم بالعُدَيــن وإب والمُذَيخرة والسُّحول[٢٨]،وفي إمارةإبراهيم المحابي نقل أسعد بن أبي يعفر الحوالي[٢٩]إدارة

مخلاف جعفر من حصــن المُذَيخرة إلى حصن التّعكَر[30]. و التّعكَر بتشديد التاء وسكون العين، جبل في العُدَين (الكَلَاع) تقع في سفحه الشمالي مدينة جِبلَة ومن جنوبـه مدينة ذي السُّـفَال، يبلغ ارتفاعــه نحو ٣٠٠٠متر من سـطح البحر. قال القاضي محمد بن علي الأكوع: التّعكَر أشهر جبال اليمن وأبعدها صِيتًا، وأمنعها حَصانة، وأعلاها شموخًا، وهو خزانة الملوك،وحافظ مهجها من غارات المغيرين وعاديات الأيام[31].

ونقـل الهَمْـداني عن الأمير أبـي جعفر إبراهيـم المحابي تفاصـيل عن يوم الرّغَامـة[32] الذي رواه ابنه محمد للهَمْداني[33]، حيث أضــاف الأمير أبو جعفر المحابي لرواية ابنه محمد سبب وقوع يوم الرّغَامة، بأن هناك معركة قد سبقتها وهــي يوم الحَرّة[34] بين بني عمرو بن زياد وقبيلة بني سُـلَيْم[35]، وقُتل من قبيلة بني سُـلَيْم ٧٠ رجـلًا، وقُتل من بني عمرو بن زياد جماعة منهـم أربعة من أبناء محمود؛ هم: محمد وأحمد والحسـن والحسـين[36]، ليُصَـبّحهم محمود في يوم الرّغَامــة، ويقتـل من قبيلة بني سُـلَيْم ١٠٠ رجل، وفي تلك المعركـة كانت عمائم رجال قبيلة بني سُلَيْم خزّ زُرق، وبعد هذه المعركة لم يلبس سُلَميٌّ عمامة زرقاء[37]. وذكـر الأمير أبو جعفـر إبراهيم المحابي يوم آخر لقبيلـة حرب في الحجاز، وهو يوم شــرف الأُثاية، حين ســار إلى حرب أميرُمكة ابن ملاحـظ[38]، فقتلت حربُ أصــحابَهُ وأســرتّه، فأقــام ابن ملاحظ عند حرب مـدّة، ثم منّوا عليــه وأطلقوا سراحه[39].

وقد روى الهَمْداني في الجزء الثاني من كتابه الإكليل عن أبي جعفر إبراهيم المحابي، حين نقل عنه قصيدة الأعشى في ذي فايش الأصغر[40].

محمد بن إبراهيم بن إسماعيل المحابي:

عالم في الأنســاب سَـمِع منه الهَمْـداني وروى عنه[41]، وهو أحــد أبناء أمير مخلاف جعفر؛ الأمير أبو جعفر إبراهيم بن إســماعيل المحابي. حدّث الهَمْداني

بأنه جاورقبيلة حرب في الحجاز عام ٣٢٢هـ[٤٢]، وقال إنه نزل على سيّد بني حرب؛ محمود بن علي بن عمرو[٤٣]، ثم ذكر محمد المحابي نسب محمود، وعدَّد فروع قبيلة حرب في الحجاز،فذكر فروع زياد بن سلمان[٤٤]، وهم بنو عمرو وزُبَيّد وبنوالسَفَر[٤٥].ثم عدَّد فروع بني عمرو[٤٦]، ثم تحدّث عن زُبَيّد وقال أن عددهم زهاء ٣٠٠ [٤٧]، وذكر سيد زُبَيّد وهو أبو الحسين يحيى الزُّبَيّدي[٤٨]، وذكر مصاهرة آل يحيى الحسينيين وأبي الحسين يحيى الزُبَيّدي[٤٩]، ثم ذكر سيّد بني السَّفَر واسمه المُسَلّم[٥٠]. ثم عدَّد محمدُ المحابي أبناء محمود وكذلك أصهاره من الحسينيين[٥١]، بعدها تحدّث محمد المحابي ناقلًا عن موالي بني حسن أحداث يوم الرَّغَامة[٥٢]، ثم عاد محمد المحابي واستكمل تعداد ذريّة محمود، حيث ذكر أحفاد محمود من أبنائه الذين قتلوا[٥٣]، وأكمل تعداد بقية أصهار محمود من الحسينيين، وذكر أن من أصهاره من ذرية عمر بن الخطاب[٥٤]-رضي الله عنه- ليختم محمد المحابي كلامه للهَمْداني بالحديث نقلًا عن محمود أخبار قبيلة حرب حين وصلت إلى الحجاز[٥٥]، وذكر محمد المحابي أنّه وبعد سيطرة قبيلةحرب على البلاد مابين مكة والمدينة، تعلَّقت قريش بمصاهرة حرب[٥٦]، وكان لقبيلة حرب خفارة الطّريق ما بين مكة والمدينة[٥٧]، وقال محمد المحابي أن الخليفة العباسي المقتدر بالله كان يبعث بمال خفارة الطريق طوال حياته إلى حرب[٥٨].

ونجد أن الهَمْداني في الجزء الثاني من كتابه الإكليل قد روى أكثر من مرة عن محمد بن إبراهيم المحابي، حيث نقل عنه قصيدة لعلقمة بن ذي جدن[٥٩]، وقصيدة تُبّع الأصغر في بني السُّلُف[٦٠].

ومن مشاهير أسرة آل المحابي، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المحابي؛ أمير الكلاع أيام أسعد الحوالي[٦١]، وكان أمير مخلاف جعفر بعد وفاة والده أبي جعفر إبراهيم بن إسماعيل المحابي حتى عام ٣٤٢هـ[٦٢]، وتوفي في أول

سنة ٣٤٤هـ[٦٣]. ومن آل المحابي عدد من الفقهاء؛منهم: أبو عبدالله جعفر بن عبدالرحيم المحابي، وقيل جعفر بن أحمد بن محمد بن عبدالرحيم المحابي ثم الكلاعي[٦٤]، عالم مبرّز في فروع الفقه وأصوله، انتهت إليه رئاسة الفتوى في ناحيته، وتوفي بقرية الظّرافه في وادي نخلان عام ٤٦٠هـ، من آثاره كتاب التقريب في الفقه وكتاب الجامع في الخلاف[٦٥]. ومنهم الفقيه أبو بكر بن جعفر بن عبدالرحيم المحابي، عالم مبرز في الفقه، انتهت إليه رئاسة العلم باليمن، أخذ عنه جمع كبير لا يكاد الحصر يدركهم، توفي سنة ٥٠٠ هـ[٦٦].

المصادر والمراجع:

- الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمّير، الجزء الأول، للهَمْداني، مخطوط مكتبة برلين الحكومية.
- الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمّير، الجزء الأول، للهَمْداني، تحقيق أوسكار لوفجرين طبعة ١٩٥٤م.
- الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمّير، الجزء الأول، للهَمْداني، تحقيق محمد ابن علي الأكوع طبعة ٢٠٠٨م.
- الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء، محمد بن موسى الموسى و محمد ابن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- السلوك في طبقات العلماء والملوك، للجَنَدي، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .
- أنباء الزمن في أخبار اليمن، يحيى بن الحسين بن المؤيد، تصحيح محمد عبدالله ماضي.
- تاريخ اليمن الإسلامي، أحمد المطاع، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ١٤٠٧هـ.
- تاريخ صنعاء، للطبري الصنعاني، تحقيق عبدالله محمد الحبشي.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد علي النجار

وعلي محمد البجاوي، طبعة المكتبة العلمية.
- رافضة اليمن على مر الزمن، لأبي نصر محمد بن عبدالله بن الإمام، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
- سيرة الهادي إلى الحق، تحقيق سهيل زكار، ١٣٩٢هـ .
- صفة جزيرة العرب، للهَمْداني،تحقيق محمد بن علي الأكوع،الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- طبقات فقهاء اليمن، للجعدي، تحقيق فؤاد سيد.
- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين بن القاسم، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م .
- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون،لإبن الديبع، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، للحمادي المعافري، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الطبعة الأولى ٢٠١٤م .
- معجم البلدان والقبائل اليمنية،للمقحفي، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
- مقالة الدكتور إحسان النص، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٦٩، الجزء٤.
- مقالة الدكتور مقبل التام عامر الأحمدي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٢ ، الجزء ٢ .

الهوامش

(١) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني، لقّب نفسه بلسان اليمن، ولد سنة ٢٨٠هـ وتوفي بعد سنة ٣٦٠هـ ، فيلسوف وعالم في النسب والجغرافيا وشاعر، له مؤلفات عظيمة في التاريخ والجغرافيا، منها كتاب صفة جزيرة العرب وكتاب الإكليل. للتوسع أكثر انظر ترجمة علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر للهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب ص٦-٣٦.

(٢) المرجع السابق. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٦٩ (٤/٦٣١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) مجلة العرب سنة ٣٠ الجزء١ و٢ من ص٦٧ . تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ص١٣٨٧ .

(٨) مثل محمد الحجري في كتابه مجموع بلدان اليمن وقبائلها، وكذلك إبراهيم المقحفي في كتابه معجم البلدان والقبائل اليمنية

(٩) مثل حمد الجاسر في كتابه بلدة البرود، و عاتق البلادي في كتابه نسب حرب، وفائز البدراني في كتابه فصول من تاريخ قبيلة حرب في الحجاز ونجد.

(١٠) اقرأ ما قاله الإمام والعالم الرباني الشيخ ابن باز عنه في كتاب الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء ص٢١ .

(١١) أوسكار أندرس فالفريد لوفجرين، مستشرق سويدي، أستاذ في اللغات السامية، درّس في جامعة جوتنبرج في عام ١٩٥١م، وفي عام ١٩٥٦ انتقل إلى التدريس في جامعة أوبسالا، حقق العديد من المخطوطات الأثيوبية والعربية الجنوبية، توفي سنة ١٩٩٢م، وبموجب إتفاقية أبرمها مع دار النشر Brill Editore في لايدن بهولندا عام ١٩٨٧م انتقلت ملكية مكتبته الخاصة إليها بعد وفاته .

(١٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد٨٢(٢/٣٠١).

(١٣) الإكليل(١/٦٠-٦٥).

(١٤) الإكليل(١/٢٦٦-٢٧٢).

(١٥) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد٨٢(٢/٣٠٤-٣٠٨). محمد بن أبان بن ميمون الحِمْيَري، شاعر وفارس من نسل معاوية بن صيفي ابن حِمْيَر، سيد بني خَنْفَر الحِمْيَريين في صعدة، ثار على معن بن زائدة الشيباني الذي تولى اليمن سنة ١٤٠هـ، توفي محمد بن أبان الخَنْفَري في صعدة سنة ١٧٥هـ وعمره ١٢٥ سنة. للتوسع أنظر المحمدون من الشعراء ص١٣٦، قصة الأدب في اليمن ص٢٤٤ و ص٢٩٣، الأعلام لخير الدين الزركلي الجزء الخامس ص ٢٩٣.

(١٦) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد٨٢(٢/٣٠٩-٣١١).

(١٧) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد٨٢(٢/٣١٢-٣١٥).

(١٨) الإكليل(١/١٩٥-١٩٨).

(١٩) الإكليل(١/٢٦٦).

(٢٠) الإكليل(١/٢٦٨).

(٢١) الإكليل(١/٢٧٢).

(٢٢) نقل بتصرف الإكليل(١/٢٦٧).

(٢٣) معجم البلدان والقبائل اليمنية(٢/١٤١٤).

(٢٤) نقـل بتصـرف الإكليـل(١/٢٦٧)، والتصـحيف كذلك نجده في كتاب سـيرة الهـادي إلى الحق ص٤٠٣، وفي كتاب طبقات فقهاء اليمن ص١٠٥، وكتاب رافضة اليمن على مر الزمن ص٢٢٢.

(٢٥) معجم البلدان والقبائل اليمنية(٢/١٤١٤).

(٢٦) طبقـات فقهـاء اليمن ص١٠٥، والمقصـود بالحوالي هو الأمير أبي حسـان أسـعد بـن أبي يعفر الحوالي.

(٢٧) كشـف أسـرار الباطنية وأخبار القرامطة ص١٦٩، أنباء الزمن في أخبار اليمن ص٦٣، سـيرة الهـادي إلى الحق صـ٤٠٣-٤٠٤، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون صـ١٥١، غاية الأماني أخبار القطر اليماني ص٢٠٩، رافضة اليمن على مر الزمن ص٢٢٢.

(٢٨) معجم البلدان والقبائل اليمنية(١/٣٣٧).

(٢٩) الأمير أبو حسان أسعد بن إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبدالرحمن بن كريب الحوالي، أشهر حـكّام الدولة اليعفريـة الحوالية، ودام حُكمه قرابة الثلاثين عام، قلده الخليفة العباسـي المقتدر بالله ما بين عدن جنوبًا إلى ما وراء البون شـمال صـنعاء، وهو الذي أمر بسـجن الهَمْداني سـنة ٣١٩هـ، توفي رحمه الله سنة ٣٣٢هـ.

(٣٠) كشـف أسـرار الباطنية وأخبار القرامطة ص١٦٩، أنباء الزمن في أخبار اليمن ص٦٣، سـيرة الهـادي إلى الحق صـ٤٠٣-٤٠٤، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون صـ١٥١، غاية الأماني أخبار القطر اليماني ص٢٠٩، رافضة اليمن على مر الزمن ص٢٢٢.

(٣١) نقل بتصرف معجم البلدان والقبائل اليمنية(١/٢٣٣).

(٣٢) الرّغَامة تقع شـرقي جدة، عسـكر فيها الملك عبدالعزيز-طيب الله ثراه- وجيشـه عندما حاصر جدة، وامتد إليها في الوقت الحاضر عمران مدينة جدة. انظر معجم معالم الحجاز ص٦٩٩.

(٣٣) الإكليل(١/٢٦٩).

(٣٤) المعروفة قديمًا بحَرّة بني سُـلَيْم، حَرّة عظيمة ممتدة من نخلة الشـامية قرب مكة إلى أن تفترق عن المدينة المنورة. انظر معجم معالم الحجاز ص٤٣٨.

(٣٥) الإكليل(١/٢٧٢).

(٣٦) المرجع السابق.

(٣٧) المرجع السابق.

(٣٨) هو محمد بن ملاحظ بن عبدالله الرومي، قائد يمني، تولى إمارة مكة عام ٣١٠هـ، وظل فيها إلى أن قتلـه القرامطة عام ٣١٧هـ. شـاهد أخباره في كتاب تكملة تاريخ الطبري للهمداني المقدسـي، وكذلك كتاب تاريخ أمراء مكة المكرمة تأليف عارف أحمد عبدالغني.

(٣٩) المرجع السابق.

(٤٠) الإكليل(٢/١٦٠).

(٤١) معجم البلدان والقبائل اليمنية(٢/١٤١٥).

(٤٢) الإكليل(١/٢٦٧).

(٤٣) المرجع السابق.

(٤٤) الإكليل(١/٢٦٨).

(٤٥) المرجع السابق.

(٤٦) المرجع السابق.

(٤٧) المرجع السابق.

(٤٨) المرجع السابق.

(٤٩) المرجع السابق.

(٥٠) المرجع السابق.

(٥١) الإكليل(١/٢٦٩).

(٥٢) المرجع السابق.

(٥٣) الإكليل(١/٢٧٠).

(٥٤) المرجع السابق.

(٥٥) المرجع السابق.

(٥٦) الإكليل(١/٢٧١).

(٥٧) المرجع السابق.

(٥٨) المرجع السابق.

(٥٩) الإكليل(٢/٢٢٥).

(٦٠) الإكليل(٢/٢٤٩).

(٦١) معجم البلدان والقبائل اليمنية(٢/١٤١٥).

(٦٢) طبقات فقهاء اليمن ص١٠٥.

(٦٣) تاريخ صنعاء ص٨٦ .

(٦٤) السلوك في طبقات العلماء والملوك ص٢٣٣-٢٣٤ .

(٦٥) معجم البلدان والقبائل اليمنية(٢/١٤١٥).

(٦٦) المرجع السابق.

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

ج ٧ و ٨ س ٥٧
محرم وصفر ١٤٤٣ هـ
آب-أيلول/أغسطس-سبتمبر ٢٠٢١م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــدد

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء السابع والثامن - السنة ٥٧

محرم وصفر ١٤٤٣هـ

آب - أيلول/أغسطس - سبتمبر ٢٠٢١م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - طريق الإمام سعود بن عبدالعزيز - حي الشهداء

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخـلاً ضمن اهتمامات المجلة، وهي الموضوعـات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكـد الكاتب من سلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة في ملف (word) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤١٨

ردمد (ISSN) : ٢٦٧١- ١٣١٩

الفهرس

السـفَّاح التَّغلبـيّ
من شعراء الجاهلية المَنسِّيين

محمد عبد الشافي القُوصِـي

مـا مِـن عصـرٍ مـن العصــور إلَّا ويوجد بـهِ شعـراء حالفهم حـظ الشهرة والذيوع والانتشار؛ وشعراء آخَـرون جفاهم الحظ؛ وسقطوا من سلسلة الشعراء الذهبية، وغابوا عن تاريخ الأدب، وضاعت قصائدهم، وأهملهم النقّاد، ونَسيَهم الدارسون!

ويُعدُّ «السفَّاح التَّغلبيّ» (٠٠— ٦٩ ق.هـ/ ٠٠ — ٥٥٥م)، أحد الشعراء الذين لمْ يحالفهم حظ الشهرة، كغيرهِ من مجايليه؛ الذين طبّقت شُهرتهم الآفاق!

فمن هو السفَّاح التَّغلبيّ؟ وإلى أيّ الحقب ينتمي؟ وما هي المصادر التاريخية التـي أشارت إليـه؟ وما هي قضايـاه الشِّعرية؟ وما هو موقعـه في ميزان النقد؟ ولماذا اختفتْ أشعاره وقصائده؟!

تقـول بطاقـة أحواله الاجتماعية: إنـه شاعر جاهليّ فـذ، وفارس جرّار من فوارسـ عصره! ينحـدِر من (تغلب)، وهي من أعظم قبائـل ربيعة شأنًا في بلاد العرب؛ التي تنتسب إلى: تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفّصى بن دُعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. أيّ: أنها من عرب الشمال.

وأشهَـر بطْنَيْن مِن تغلب بنو جشم بن بكر، وبنو مالك بن بكر؛ رهط السفاح التغلبيّ، وقبيلته الأقربون. ومنازلهم كانت بالجزيرة الفُراتية.

أمَّا عن ديانة تغلب: فيؤكد ابنُ قتيبة أنَّ النصرانية كانت «في ربيعة، وغثان، وبعض قضاعة ...»[١]. ويشير ابن حزم الأندلسي إلى ديانات العرب في الجاهلية، فيقـول[٢]: «إنَّ إيادًا كلها، وربيعة كلّها، وبكرًا، وتغلب، والنمر، وعبد القيس كلهم نصارى».

أمَّا عـن حياتها السياسية فهـي مفعمة بالقتال والغـزوات والغارات، شأنها شـأن قبائل شمال الجزيرة العربية؛ لأنَّ هذه القبائل «أكثر بداوة وأعرابية، ومِن طبعها: الخصومة، والتنازع، والتحاسد. ولم تجتمع معدٌّ كلها إلاَّ على ثلاثة رهط من رؤساء العرب، وهم[٣]:

١. عامـر بن الظّـرب: قائد معدّ (يوم البيـداء) وهـي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن.

٢. ربيعـة بن الحارث بن مرّة: والد كليّب، وقائد معدّ يوم السَّلان، وهو يوم بين تهامة واليمن أيضًا.

٣. كليـب بن ربيعة: قائـد معدّ (يـوم خزاز)،وهو اليوم الـذي أظهرت لنا المصـادر شخصيـة السفّاح التغلبيّ مشيدة بدوره فيـه. ومن شِعر كليب نفسه الذي يذكر فيه وقعة (خزاز)[٤]قوله:

لَقَد عَرَفَت قَحطانُ صَبري وَنَجدَتي ... غَـداةَ خَـزازٍ وَالحُـقـوقُ دوان

غَداةَ شَفَيتُ النَّفسَ مِن ذُلِّ حِميَرٍ ... وَأَورَثـتُـهـا ذُلّاً بِصِـدقِ طِعـاني

زَلَفتُ إِلَيهِم بِالصَّفائِحِ وَالقَنا ... عَلى كُلِّ لَيثٍ مِن بَني غَطَفانِ

وَوائِلُ قَد جَذَّت مَقادِمَ يَعرُبٍ ... فَصَدَّقَها في صَخرِها الثَّقَلانِ

وقـد خرج من تغلب عدد من مشاهير شعـراء الجاهلية، منهم – كما يقول لويس شيخو[٥]:

كُلَيْـب وائـل، المهلهل أخو كُلَيْـب، الأخنس بن شهاب، جابر بـن حُنَيّ، أُفنون (صـيريم بن معشـر)، عَميرة بن جُعيل، عمرو بن كلثـوم، والسَّفَّاح التغلبيّ؛ وهو موضوع هذا البحث.

حياة «السَّفَّاح» وأخباره:

«السفـاح» هـو سلمة بن خالد بـن كعب بن زهير، من بنـي مالك بن بكر بن حبيـب التغلبـيّ. جدّه كعب بن زهـير، المشهور: بــ(ذو البرة)[٦] الذي يفتخر به عمرو بن كلثوم في مُعلّقته:

وَذو الـبُرَةِ الَّـذي حُـدِّثتَ عَنهُ ... بِـهِ نُحمَـى وَنَـحـمِي المُلْجَئينا

وقـد لُقِّبَ بالسفاح (يوم الكُلاب الأول)؛ «لأنـه لمَّا دنا من الكُلاب –وهو ماء بين البصرة والكوفة– عمد إلى مزاد أصحابه، فشقَّها وسفح ماءها، وقال: لا ماءَ لكم إلا ما القوم؛ فقاتلوا، وإلاَّ فموتوا عطشا»، وإلى هذا يشير الأخطل وهو يمدح قومه، ويهجو جريرًا:

أَبَـنـي كُـلَيـب إِنَّ عَـمَّـيَّ الـلَذا ... قَـتَـلا المُـلـوكَ وَفَـكَّـكا الأَغـلالا

وَأَخـوهُـمـا الـسَفّاحُ ظَمَّـأَ خَيلَهُ ... حَـتّـى وَرَدنَ جِـبـى الـكُـلابِ نِـهالا

كان «السفاح» أحد خُطباء تغلب في حرب البسوس؛ وفارسًا مقدامًا، يقال له: فارسـ (نُباك) –ونُباك فرسه– الذي يفتخر به في قوله لعمرو بن لأْيٍ[٧] ساخرًا من بني الزمان، قائلاً:

فَــإنِّي لَــنْ يُـفَـارِقـنـي نُـبـاكٌ ... يـرى الـتّـعـداءَ والـتّـقـريـبَ دِينا

وكان –أيضًــا– جـرّار قومه «يوم كاظمة». وكانت العرب تقول للرجل إذا قاد ألفًا: جرَّارًا.

ولم تمدُّنا المصـادر بكثيرٍ من أخبار السفاح، سوى ما يتصل بدوره في بعض حـروب تغلب، وهـذه في الحقيقة معلومـات دون حجمه بكثير؛ إذ إنـه كان قائدًا مظفـرًا ثقـة في (يوم خـزاز)، ودوره في (يـوم الـكُلاب الأول)، وبينهما ما يربو علـى نصف القـرن بكثـير، وإنّ كان الشمشاطي التغلبيّ قد ذكـر أيامه في كتابه "الأنوار ومحاسن الأشعار"؛ والتي تبرز مواقفه الحربية، وتجلي منزلته في قومه وفي غيرهم، وبخاصة أعداؤهم بنو بكر بن وائل.

هـذا، أمَّا عن (يـوم خزاز)[٨] الذي خرجت فيه قبيلتا بكـر وتغلب، يَشدّ من أزرهمـا قبائـل أخرى من معدّ، بقيـادة كليب بن وائل، لترفع عـن كاهليها النِّير اليمنـي، واستطاعتا أن تهزما جمـوع مَذْحج مِن عرب الجنوب –فقد جعل كليْب السفـاح التغلبي على مقدمته في ذلك اليوم، «وأمرهم أن يوقدوا على خزار نارًا؛ ليهتدوا بها. وقال له: إنّ غشيك العدو فأوقد نارَيْن».

فلمَّـا وصلـت «مذحـج» بجموعها إلى خزاز ليـلا؛ صدع السفـاح بما أمر به «فلما رأى كُليْب النارَيْن أقبل إليهم بجموعه، فصبّحهم ... واقتتلوا قتالاً شديدًا، أكثروا فيه من القتل، فانهزمت مذحج، وانفضت جموعها». وفي ذلك اليوم يقول السفاح التغلبي مفتخرًا[٩]:

وَلَـيلـةَ بـتُّ أُوقِــدُ في خَـزازي	هَــديْــتُ كـتـائـبًـا مـتـحـيِّراتِ
ضُـلِـلْن مـن الـسُّـهاد وكُـنَّ لـولا	سُـهادُ الـقـومِ –أَحْسَبُ– هـاديـاتِ
فـمِـلْن مـعَ الـصَّـباحِ علـى جُـذامٍ	ولَخْـــمٍ بـالـسُّـيـوفِ مُـشـهَّـراتِ

ويقول أيضًا:

شفينا النّفس من أوْلاد عادٍ	وأوْردنـاهُـمُ حَـوْضَ الحِـمـامِ
وسُقنا الخيلَ ملجمةً إليهم	بـفُـرسـانٍ غـطـارفـةٍ كـرامِ

وقد افتخر بهذا اليوم بعض شعراء تغلب، منهم عمرو بن كلثوم في قوله[١٠]:

ونحـنُ غـداةَ أُوْقـــدَ في خـزازي رَفَـــدْنـــا فـــوقَ رفـــدِ الـرَّافـديـنـا
بـنـا اهـتـدتِ الـقـبـائـلُ مِـن معدٍّ بـــنـــارَيْـــنَـــا وكُـــنَّـــا المُـوقـديـنـا

ومنهم الفرزدق في قوله من قصيدة يخاطب بها جريرًا، ويهجوه[11]:

لـولا فـوارسُ تغلبَ ابنـةِ وائـلٍ دخـــل الـــعـــدوُّ عـلـيـك كـــلَّ مـكـانِ
ضربوا الصَّفائحَ والملوكَ وأوقدوا نـــاريْـــن أشـــرفـتـا عـلـى الـــنِّـيرانِ

هـذا، وقـد صور أبو عبيدة معمر بن المثنى في روايته لـ«يوم الكُلاب الأول» مدى إصرار السفاح التغلبيّ على الانتقام من عدوه، فيقول[12]:

«... ثـم ورد سلمة ببني تغلب، سوعد، وجماعة الناس. قال: وعلى بني تغلب السفـاح؛ وهـو: سلمة بن خالد بن زهير بن كعب بن أسامـة بن مالك بن بكر بن حبيب، وهو يقول:

إنّ الـكُـلابَ مـاؤُنَـا فـخَـلُّـوهْ وسَـــاجِـرًا واللهِ لَـــنْ تَحُـلُّـوهُ

ثمَّ يضمن روايته بعض ما قاله السفاح بعد انتصاره في هذا اليوم، فيقول:

«وقال السفاح في ذلك (مخاطبا إحدى نسائه):

هَـلاّ سَأَلت وَرَيـبُ الـدّهـرِ ذُو غِيَرٍ أَن كيفَ صَفقَتْنا ذُهْـلَ بـنَ شَيبانا
أَما بَنو الحصنِ إذ شالَت نَعامَتُهُم فَـيَـخـرُجُ المَـرءُ مِـن ثَـوبَـيـهِ عُـريانا
أَمـا الـرِبـابُ فَـوَلَّـونا ظُـهـورَهُـمُ وَأَجـزَرونـا أَبـا سَـلمـى وَسُـفـيانا

وقال السفاح في ذلك أيضًا:

وردنـــا الـــكُـــلابَ عــلـى قـومـنـا بـأحـســنِ ورْدٍ لـهـيـجـا شـعـارا
وقـــد جَـمـعُـوا جـمـعَـهـمْ كـلَّـه وجـمـعَ الـرِّبـاب لـنـا مـسـتـعـارا

أمَّـا عن وفـاة السفاح التغلبـي، فقد قيل إنـه قُتِل في أُخَر يـوم الكلاب نحو ٥٥٥م. ويؤكـد هذا التاريخ «منذر الجبوري» الذي انتهى من خلال الحوادث التي

كان ذكرها ثمّة إلى إمكانية القول: «بأن الكُلاب الأول يعود في تاريخه إلى أواخر النصف الأول من القرن السادس الميلادي»[١٣].

أغراض السفاح الشّعرية:

قليلة هي المصادر التي تناولت شِعر السفاح والأيام التي شارك فيها. واكتفى بعضها بإيراد بعض الأبيات أو المقطوعات له. وأقدم هذه المصادر هو كتاب (نقائض جرير والأخطل) المنسوب لأبي تمام؛ الذي يتضمن أحد عشر بيتًا من شِعره، جاءت في مقطوعتيّن؛ الأولى: ستة أبيات، والثانية: خمسة أبيات.

أمَّا أكثر هذه المصادر اهتمامًا بشعر السفاح فهو (كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار) لأبي الحسن على بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي –من رجال القرن الرابع الهجري، ولعلَّ سِر هذا الاهتمام هو أن المؤلف من بني عدي من تغلب، كما أنه كان في خدمة بني حمدان (الحمدانيين)، وهم بطن من بطون تغلب؛ فلا غرابة أن يجمع في عهدهم ما يُعلي مِن قدرهم، ويشيد بمحتدهم– ومظهر هذا الاهتمام أن الكتاب قد احتوى على (٤٤) بيتًا من شعر السفاح موزعة في ثلاث مقطعات، وقصيدتين[١٤].

أمَّا حَظُّ شعر السَّفَّاح في العصر الحديث، فقد نلتمسه في ثلاث تجارب[١٥]:

التجربة الأولى: قام بها «لويس شيخو» في مُصنفه (كتاب شعراء النصرانية في الجاهلية)، حيث جعل السَّفَّاح ممن يدينون بالنصرانية، وترجم له ترجمة وجيزة، وسجّل من شِعره عشرة أبيات فقط، جاءت في عدة مقطعات، وبيت مفرد.

التجربة الثانية: قام بها «أيمن ميدان» في جمعه (شعراء تغلب) وتحقيقه. وكان حَظُّ السَّفَّاح منه اثنين وعشرين بيتًا فقط.

أمَّا التجربة الثالثة: فقد قام بها الدكتور «علي أبو زيد» في كتابه (شعراء تغلب في الجاهلية: أخبارهم وأشعارهم)، وها هو ذا يقول في ترجمته للسفاح:

وليس للسفاح ديوان شِعر معروف، ولم يصل إلينا من شِعره إلاَّ ما تناثر في ثنايا أخبار الأيام التي شارك فيها، ولم نقف له إلاَّ على عدد من المقطعات مجموع أبياتها ثلاثة وستون بيتًا.

وعلى الرغم من قلة هذا العدد الذي وصل إلينا من شعره؛ فإننا نستطيع أن نقف على أهم أغراضه، وأبرز سماته الفنية؛ حيث يدور شِعر السفاح الذي بين أيدينا –مهما تعددت أغراضه: وصفًا، وفخرًا، ومدحًا، وقدحًا، وعتابًا، وتهديدًا، وحكمة– يدور هذا الشعر في دائرة المعارك والحروب، ولا يخرج منها.

فها هو ذا الشمشاطي التغلبي يُحدِّثنا عن (يوم أقطان ساجرا)[١٦]. فيقول: كان سبب هذا اليوم أن كثيف بن حبيّ التغلبي أغار على بكر بن وائل، في خيل من تغلب فظفر بهم، وأكثر القتل والأسر فيهم، وغنم سبْيًا ونَعمًا كثيرة.

ولحقه من بني ذُهل بن ثعلبة في خيل من بكر بن وائل؛ مالك بن الصامت – «وأُمُّه كَومةُ بنت ضليع، وبها كان ينسب» وعمرو بن الزّبان، فحميَ الوطيسُ بينهم، وأُسر كثيف؛ أسره مالك وعمرو ثم اختلفا في أمره؛ حيث ادَّعى كلٌّ منهما أنه هو الذي أسره. وأخيرًا احتكما إلى كثيف نفسه، فشهد لمالك بن كومة؛ مما أغضب عمرًا على كثيف، ولطم وجهه. وهنا ثار مالك، وأنكر على عمرو فعلته، واشترى نصيبه بمائة من الإبل، وأعتق كثيفًا للطمة عمرو إياه.

فقال كَثيفٌ: يا مالكُ، أَمَا ودِين آبائك لا أُحلُّ حَلالاً ولا أُحرِّم حَرامًا، ولا يَمسُّ رأْسي غِسْلٌ، حتى أُدرِكَ ما صنَعَ بي عمرٌو، وأَمّا أنتَ فقد استوجَبْتَ المِنّةَ عليَّ. وقال كَثيفٌ:

حَلَفْتُ بما لَبَّي له كُلُّ مُحْرِم ... له لِمّةٌ حُفَّتْ من الشّعرِ الجَثْلِ
يَمينًا أَرَى مِنْ آلِ زَبّانِ وَاتِرًا ... ليَطْلُبَ منّي دُونَ قَاطعة الحَبْلِ
جَزاءً بما أَسْدَى إليَّ أَخوهمُ ... ليعْلَمَ أنّ الحِلْمَ أَدْنَى من الجَهْلِ
وأَجْزي بمَا أَسْدَى من الخَيْرِ مالِكًا ... أُكافِئ ذَوِي الأَحْسابِ والفَضْلِ بالفَضْلِ

وظل كثيفٌ بعد ذلك مدة؛ منتظرًا الفرصة التي واتته حين خرج ستةُ نفرٍ من بنـي الزبان فيهم عمرو؛ لطلب إبلٍ نـدّت منهم، حين وجدوها، نحروا ولد واحدة منهـا قد نتجت لوقتهـا، وبينما هم يأكلـون؛ إذ رآهم (خوتعـة) –وهو رجل من غفيلـة بـن قاسط– الذي ضربت العرب المثل به، فقيـل: «أشأم من خوتعة»؛ ففرَّ مسرعًـا؛ وعرّف كثيفًا خبرهـم. فركب توًّا في أربعين فارسًـا، فأخذهم مقتدرًا، وقتلهـم «وجعـل رءوسهـم في غـرارة (مخلاة) وعلقهـا في عنـق الدُّهيم –ناقة لعمـرو بن الزبان– وفيها يقول العرب «أشأم من الدُّهيم» مثلا، و«أثقل من حَمْلِ الدُّهيم».

وحين وصلت الناقة إلى الزبان، ونظر رؤوس أبنائه، صرخ مستنجدًا بقومه، فهُرعـوا إليه من كل صوْب، بيد أنهم ظلـوا جميعًا حينًا من الدهر لا يعرفون عن الجُناة شيئًا، حتى وقف عمرو بن لأُي على الحقيقة كاملة، بدءًا من الغفلي الذي دلَّ عليهـم، ونهاية بمـن قتلهم ومثّل بهم. حينئذ آلى الزبـان على نفسه ألاَّ يحرِّم "دم غُفلـيٍّ أبـدًا، حتى يدلّوه على عدوّه، كما دلُّوا على بنيه، ويدرك ثأره من بني تغلب". وأنشد في ذلك شعرًا، منه قوله مصوِّرًا، مُحرِّضًا، مهددًا:

إنَّـنـي قـدْ أتَـتْ إليَّ قَلُوصي ... بـأُمـورٍ يَطِـيـحُ فيهـا الـكِـبارُ
عُضْلَةٌ تَحْمِلُ الدَهيَّ مِنَ الأمْـرِ ... وفـيـهـا تَـشَـدُّدٌ ونِـفَـارُ
قَـتَـلُـوا سِـتَّـةً بِـغَـيْرِ قَتِيـلِ ... ذلـكَ الـذُّلُّ بَعْدهُمْ والصَّغارُ
إن نَجتْ نَجْوَةً بتَغلبَ أو نَجَّـ ... ـتْ عـلَـى نَـأْيِـهـا غُـفَـيلَـةَ دارُ
قَبْلَ أن نَـثْـأرَ الـقتِيلَ بقَتْلَي ... بـعْـدَ قَـتْـلَـى وتُـنْـقَـضَ الأَوْتَـارُ
فـلَـقَـدْ نَـالَـنَـا بِـذلـك عـارٌ ... وكَـفَـانَـا بِـذِي الـرَّزِيَّـةِ عـارُ

هـذا، وقد قال السّفاح التغلبيّ في شأن هـذه المغاورة، وما صنعه كثيف ببني الزبان، مُعَرِّضًا بهم، متهكمًا بعمرو بن لأُي:

أَلاَ يـا لـلـظَّـعَـائـنِ لـوْ سَـرِيْـنَـا ... لَـعـلَّ الخَـيْـلَ يقْضِيهنّ دَيْـنَـا

فلَمّا أنْ أَتَيْنَ على ثَميل ... تَأَزَّرْن المَجاسِدَ وارْتَدَيْنَا
أَلا من مُبْلِغٌ عَمْرو بنَ لأْيٍ ... بأَنَّ بَنَانَ ولدته لَديْنَا
فلَم نَقْتُلْهُمُ بدَمٍ ولكِنْ ... هَوانُهُمُ ولُومُهُمُ علَيْنَا

ويشير الشمشاطي أن الزّبان ظل عشر سنين لم يدرك ثأره، حتى جاءه (وقشٌ) -وهو رجل من غُفيلة- فأسرَّ إليه أن بعضًا من أعدائه (بالأَقَاطن)؛ فنهض الزبان فورًا، ونادى: يالَبكر، فهُرع إليه بنو ثعلبة وسار بهم، وفاجأ أعداءه وقتل منهم ثلاثة عشر رجلا؛ منهم «أبو محيّاة بن زهير؛ عمّ السفاح»، وغيره ممن ورد في قول عمرو بن لأي شامتًا، مفتخرًا:

ألا مَن مُبلغُ السفّاح أَنّا ... قَتَلْنَا عن زُهير ما ابْتَغَيْنَا
قَتَلْنَا مالكًا وأَخاه عَمْرًا ... وحَيَّ بني أُسَامَةَ واشْتَفَيْنَا
وأَنا لَن يُقَوِّمَنا ثِقَافٌ ... ولا ضَرْبٌ إذا نحْنُ الْتقَيْنَا
قَتَلْنَاكُمْ بِقَتْلانا، وزِدْنَا ... ورأْسَ أَبِي مُحَيّاةَ اخْتَلَيْنَا

وتقول الرواية: «فقالت بنو تَغلب للسّفاح أَجِبْ عَمْرًا فقال: لا، أَوَ تَفْعلوا كما فعَلَ القومُ». ويبدو أن الشّمشاطيّ بحكم تعصّبه لقومه بني تغلب، لمْ يُشِر إلى ما صنعه الزبان بجثث القتلى... من حيث تفيد رواية أبي تمام(١٧) أن الزّبان قتلهم، وقذف جيفهم بالأقطانتين، وهي ركية - أي بئر، وهذا ما أكّده السفاح التغلبيّ بقوله منصفًا، معاتبًا، مهددًا خصمه:

أَبني أَبي سَعد وَأَنتُم إخوَةٌ ... وَعتابُ بَعد اليَوم شَيءٌ أَفقَمُ
هَلا بِخَيركُمُ كَفَفتُم شَرَّكُم ... عَنّي وَلَم يُهتَك لَكُم بي مَحرَمُ
هَلا خَشَيتُم أَن أُصادفَ مثلَها ... منكُم فَتَترككم كَمَنْ لا يَعلَمُ
مَلأوا مِن الأَقطانَتَينِ رَكيَّةً ... مِنّا وَآبُوا سالمين وَغُنِّمُوا
قَتَلوا تَعَنِّيَةً بِظَنَّةِ واحِدٍ ... تِلكَ المُقَطِّرُ مِن أَسِرَّتِها الدَّمُ
فيدي لَكُم رَهنٌ بِيَومٍ مُفسِدٍ ... وَبِوَقعَةٍ فيها عِقابٌ صَيلَمُ

هــذا وتتصــل أحداث (يوم بطن حنين) بأحداث ما قبلــه، إذْ إن السفاح قد رحـل ببنــي مالك وبني جشم؛ فظنــت بكر بن وائل أن بني تغلــب قد رحلت خوفًا منهم «فأمنوا، وقالوا: لا ترجع تغلب إلى عزها، أو يرجع إليها كليب».

وكان الزبــان بعد أن أدرك ثأره، قد أطلق سراح (وقْشٍ الغُفليّ) وجماعةً من الغُفَليّين معه. وتصادف –وهمْ في طريقهم إلى أهاليهم– خروج السفاح التغلبيّ يريـد بكر بن وائل، فأخذهم «وقال: هــذا أول الظّفر، هؤلاء أحبُّ إليَّ من ظفري ببني ثعلبة بن عكابة، فقتلهم».

وتحسّــس السفاح طريقــه إلى بكر بن وائــل، وأرسل طلائعــه وعيونه إليهم فحــزروا بيوتهــم «فإذا هي نيّف وســتــون بيتًا». ولمَّا قرب السفــاح منها عند طلوع الفجّــر «سمع غلامًا يمْتــح دلوًا ليسقيَ نَعمــه، وهو ينادي برفيق لــه: أوْرِدْهُنَّ يا عــوف. فقال السفــاح: لبيك لبيك وصــب عليهم الخيل، فلم ينهضــ القوم حتى واسطهــم البيوت، فقتل منهــم ثمانية وخمسين رجلا، وأفلــت نفر في سواد الليل وأخذ رؤوسهم على الإبل. وقالت بنو تغلب للسَّفاح: أجب الآن عمرو بن لأْيٍ، فقال: أمَّــا اليوم فنعم». وقالواصفًا مسيرته إلى عدوه، متهكمًا بهم، مفتخرًا بدرْكٍ ثأره منهم(١٨):

جَلبنَا الخيـلَ مـن قَـنَـوَيْـن قُبًّا ... فــأَوْرَدْنَـــا نَــوَاحِـيَـهَـا حُـنَـيْـنَـا
ولَمّــا صَــاحَ صَـائـحُـهـمْ جِـهَـارًا ... أَلاَ يـا عَـــوْفُ أَوْرِدْهــــا عَـلَـيْـنَـا
فَـلَـبَّـيْـتُ الـصَّـرِيـخَ ولمْ يَـرَوْنَـا ... ولا حَـسُّــوا بـنـا حَـتَّـى اعْـتَـلَـيْـنَـا
فنلْتُ الـثَّـأْرَ واسْـتَـضْـعَـفْـتُ منهمْ ... مِــنَ الـقَـتْـلَى بمـا أَسْــدَوْا إلَـيْـنَـا
ومِــنْ حَـيَّـيْ غُـفَـيْـلَـةَ قَـدْ شَـفَـيْـنَـا ... نُـفُـوسَ بَـنـي أَبِـيـنَـا واشْـتَـفَـيْـنَـا
أَلاَ يَــا آلَ ثَـعْـلَـبَـة بــنِ ذُهْــلٍ ... أَجُــرْنَــا فِي الـعِـقَـاب أم اهْـتَـدَيْـنَـا؟!

ويبــدو أن السّفــاح كان مزهُوًّا سعيدًا بما حقّق (يــوم بطن حنين)؛ إذ إنه لمَّا رجــع إلى قومــه طفق يعزف على قيثارة شعره؛ واصفًــا معركته؛ مشيدًا بشجاعة

جنوده وبسالتهم وأصالتهم وخبرتهم، واكتمال أدواتهم؛ مفتخرًا بقوته وشجاعته وبلائه، قائلا:

وكَتيبةٍ لَفَّفْتُها بكَتيبةٍ ... شَهْباءَ باسلةٍ يُخافُ رَداهَا
خَرْساءَ ظاهِرَةِ الأَداةِ كأنّها ... نارٌ يُشَبُّ سَعيرُها بلَظاهَا
فيها الكُماةُ بَنُو الكُماةِ كأَنهُمْ ... والخَيلُ تَعْثُرُ في الوَغى بقَنَاهَا
شُهُبٌ بأَيْدي القَابسينَ إذا بَدتْ ... بأَكُفِّهِمْ بَهَرَ الظَّلامَ سَنَاهَا
مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ مَاجِدٍ ذي مِرَّةٍ ... أَنَّى إذَا لَحِقَتْ خُصىً بكُلاَهَا

ومنها قوله مفتخرًا ببلائه:

وغَشِيتُ قَيْسًا في القَليبِ غُدَيّةً ... وطَعَنْتُ أَوَّلَ فارسٍ أُولاَهَا
وضَرَبْتُ في أَبْطالِهِمْ فتَجَدَّلُوا ... وحَمَلْتُ مُهْرِى وَسْطَهَا فحَمَاهَا

ومنها قوله متهكمًا بعمرو بن لُأَي، ومفتخرًا بنفسه وقومه:

قُلْ لابْنِ لأْيٍ هَلْ ثَأَرْتُ بمَعْشَري؟! ... أَمْ هَلْ مُغَاوَرَةٌ ولا أَغْشَاهَا
للهِ درُّ بَني زُهَيْرٍ في الوَغى ... يَوْمَ الطِّعَانِ إذا انْتَمَى قِرْنَاهَا

ويبدو كذلك أن السّفاح التغلبيّ لا همَّ له في حياته إلاَّ تأريث الحروب، وإشعال المعارك، والخروج من معركة إلى أخرى؛ فها هو ذا الشمشاطي يمدنا بأحداث يوم آخَر، نرى السفاح فيه ملجأ لمن يستغيث به، وحماية لمن يلجأ إليه –مما يؤكد بُعد صيته، وسمو منزلته فارسًا مغوارًا– كما نراه في هذا اليوم قائدًا مظفرًا، ومُنصفًا، هذا اليوم هو (يوم لتغلب على هوازن)– يوم أن خرج السفاح في خيل غفيرة من بني تغلب ناشدًا الغارة على بني تميم، بَيْد أنه لم يجاوز بيوت الحيّ، حتى التقى في حلك الليل براكب يتغنّى قائلا[١٩]:

هلْ من رَسُولٍ إلى السَّفّاحِ يُخْبِرُه ... أَنَّ القَبِيلَيْنِ مِنْ نَصْرٍ ومن جُشَمِ

سَارُوا إِلى الخَيْفِ أَنْصارًا لإِخْوَتِهِمْ فالدَّارُ تنْعشُ بالنِّسْوانِ والنَّعَم
إمَّا تَنَلْهُمْ بِأَمْرٍ كُنْتَ تَأْمُلُه أَو يَسْبِقُوا تَنْهَسِ الكَفَّيْنِ مِنْ نَدَم
إِنِّي إِذَا ذَكَرتْ نَفْسِي غَنِيمَتَهمْ جَاشتْ إِليَّ ولَيْس الأَمْرُ بالأَمَم
لَسْنَا إِلى جُشَمٍ نَهْدِي رِيَاسَتَها يَا ابْنَ الكِرَامِ ولاَ عَمْرٍو ولا عُصَم

وعلِمَ السفاحُ منه أنه رجل من خثعم كان جارًا لبني جُشم، وأنهم خرجوا لينصروا هوازن على قومه... وهنا يقول الخثعمي مخاطبًا السفاح:

«فعاهدت اللّه أن أقود إليهم فرسان تغلب، فكنتُ رئيسها وزمامها. فقال: ما أردنا غير تميم، وإنَّ عهدنا بهوازن لقريب، ولكن مُشَفّعوك بحاجتك، فسِر أمامنا».

وساروا حتى صبَّحوا القومَ على ماءٍ لهم، «وقد اجتمع كعبٌ وكلاب ونصر وجُشم وغدانة؛ مخافة الغارة عليهم ورئيس القوم عُمارة بن مالك، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، وحمل عُمارة على السفاح فطعنه فصرعه. ولكن بنو زهير قد حاموا حوله، واستنقذوه، فركب فرسه مغضبًا، وشدَّ على عُمارة فقتله، وقُتل كثيرٌ ممن معه على رأسهم عبدالله بن كعب بن ضباب، فانهزموا هزيمة منكرة، وغنم السَّفاحُ ما في دارهم من نَعَم، وسبى سبْيًا كثيرًا.

هذا، وقد قال السفاح في قتله عامرة ومحاماة بني زهير عليه. وفي قوله إنصاف للخصم؛ قوته وعدته؛ واعتراف بجميل قومه والتفافهم حوله، وإنقاذهم له، وإشادةٌ بشجاعتهم وخبرتهم؛ ووصفٌ لمعركته؛ وفخرٌ بقوته وظفره:

لقد حامَتْ عليَّ بَنُو زُهيرٍ ببِيضِ الهِنْدِ والأَسَلِ الحِرَارِ
غَدَاةَ عُمَارَةُ الجُشَميُّ يَسْمُو سُمُوَّ الفَحْلِ في ضَبَعِ البِكَارِ
علَى قبَّاءَ تَخْفِقُ أَيْطَلاَهَا سنُون المَتْنِ كالمَسَدِ المُغَارِ
فيَطْعُنُنِي وأَطْعُنُه خِلاَسًا كخَطْفِ الصَّقْرِ أَعْشَاشَ القِفَارِ

مَـلِـيًّـا ثُـــمَّ أَضْـــرِبُـــهُ بـعَـضْـبٍ ... تُـطِـيرُ ظُـبَـاتُـهُ لَـهَـبَ الـشَّـرارِ
فـخَـرَّ لِـوَجْـهِـهِ يَـكـبُـو صَـرِيـعًـا ... كـــأَنَّ شـئـونـهـا فِـلَـقُ الـنُّـجـارِ

ولـمَّـا رجع السّفّاح إلى قومه «أقبل عليه بعض نسائه تلومُه على كثرة غزواته، ومباشـرة الحـرب بنفسه، فقال» –وفي قوله إشادة بعدَّتـه: سيفه وفرسه؛ وفخر بنفسـه وبلائه في المعارك وبخاصة يوم هوازن؛ وفيـه كذلك التغنِّي بفرسان بني تغلب مبداهم ومحضرهم–:

تَـقُولُ ابنَـةُ العَمْرِيِّ مَالَكَ لا نَرَى ... لك الـدَّهْـرَ إلاَّ هَـمَّ حَـرْبٍ تَـسَـعَّـرُ
عَــتَـادُك مـنـهـا لأُمَـــةٌ تُـبَّـعِـيَّـةٌ ... وأَبْـيَـضُ مـن مَـاءِ الحَـديـد ومِـغْـفَـرُ
وأَســمَــرُ خَــطِّــيٌّ كَـــأَنَّ كُـعُـوبَـه ... نَـوَى الـقَـسْـبِ فيه كالذُّبَالة يَـزْهَـرُ
وأَجْــرَدُ مِـثْـلُ الـقِـدْحِ جَــأْبٌ كـأَنَّه ... ظَـلِـيـمٌ بـأَعْـلَـى الـرَّقْـمـتَـينِ مُـنَـفَّـرُ

ومنها قوله:

وإنَّــك لـو أَبْـصَـرْتـنـي يـوْمَ صَـبَّـحتْ ... هَـــوازِنَ أَمْـثَـالُ الـسَّـراحـين ضُـمَّـرُ
عَلَيْهَا الأُلَـى مِـنْ تَغْلبَ ابْنـة وَائِـلٍ ... لهُمْ في قَديم المَجْد مَبْدًى ومَحْضَرُ
لأَيـقَـنْـت أَنّي فَـارِسُ الخَـيْـلِ والَّـذي ... إلـيـه الـعَـوَالي والـصَّـفـيـحُ المُـذَكَّـرُ
كَـيَـوْمَـيَّ في حـيَّـيْ فُـقَـيْـمٍ ونَـهْـشَـلٍ ... ولا مِـثْـلَ مـا لاقـى الـضِّـبَـابُ وجَـعـفَـرُ

هذا؛ وقد يبدو طابع الفخر واضحًا جليًّا عند السفّاح، في حين جاءت الحكمة قليلـةً سطحية فيمـا وصلنا من شعره، منها قوله مخاطبًـا زوجه ابنة العمريّ في القصيدة السابقة:

فقلتُ لَـهـا: لا الـغَـزْو يُـدْني منيّةً ... وَلَـنْ يَـدْفَـعَ الإشْـفَـاقُ ما كُنْتُ أَحْـذَرُ

وقوله من شعر بعد انتصاره (يوم الكلاب الأول) مخاطبًا زوجه:

هـلاَّ سـألتِ وريـبُ الـدَّهـر ذو غِـيَرٍ ... أن كيفَ صفقتنا ذُهْلَ بن شيبانا؟!

شاعرية السفاح في ميزان النقد:

أ) اللغة والأسلوب :

شاعرية «السفاح التغلبيّ» صورة من حياته التي لا تعرف الراحة والاستقرار، ولا تسمح له بفرصة للتأمل في اختيار ألفاظه، أو صياغة معانيه، أو تصوير أفكاره؛ كما لم تُهيِّئ له أمر مراجعتها وإعادة النظر فيها لتنقيحها شأن أصحاب الحوليّات من الشعراء، بل جاء شعره ابن اللحظة الخاطفة، صادرًا في ألفاظه ومعانيه وصوره عن بيئته العامة، ومهمته الخاصة في حياته –قائدًا حربيًّا، يعشق الحروب، ويطرب لصليل السيوف، ويلذُّ له منظر الدماء– ومن ثَمَّ نرى خفّة في الألفاظ، وسهولة في الأسلوب، وقُربًا في التصوير وتدفّقًا في الموسيقى»، والمنظوم الجيّد ما خرج مخرج المنثور في سلاسته، وسهولته، واستوائه، وقلة ضروراته»[٢٠].

لم يخرج السفاح التغلبي عن الواقعية في شعره، وقد التزم بعرض الأحداث والظروف والملابسات التي أحاطت بها أو دفعت إليها فقط، دون النظرة المثالية إليها، كما اعتمد على الوقائع، وعُني بالتعبير عنها تعبيرًا صادقًا أمينًا، لا تكلُّف فيه ولا تهويل.

ومن مظاهر التزامه بتلك الواقعية: كثرةُ ورود أسماء القبائل والأعلام – الذين لهم أثر في معاركه، وظهور في حياته– في شعره، مثل:

(جذام ولخم – ذهل بن شيبان – آلُ ثعلبة بن ذهل – بنو الحصن – الرّباب – الضباب – هوازن – فقيّم ونهشل – بنو أبي سعد – عمارة بن مالك سيد هوازن – عمرو بن لأْيٍ من أشراف بكر بن وائل في الجاهلية، وفارس مِجْلَز – أبو سلمى، وهو «هرمي بن رياح بن يربوع بن حارثة بن سليط بن يربوع» – وسفيان «بن حارثة بن سليط بن يربوع ، (وقيل): ابن سعدان جارية ابن سليط»

– بنو زهير – ابنة العمري وهي إحدى نسائه)، وغير ذلك مما ورد في شعره.

ومـن مظاهر التزامه بالواقعيـة أيضًا: كثرة ورود أسمـاء الأماكن والجبال والمياه التي دارت معاركه فيها وأحوالها، مثل:

خـزاز– الـكلاب– ساجـر –الأقطانتـان –الرقمتان –قنـوان –حنين – ثُمَيّل– القليب، وغيرها.

هـذا، والسفـاح التغلبي لا يصور معاركه إلا بعد الانتهـاء منها، ومن ثَمَّ كان موقفـه منها موقف القاصـ أو الحاكي، ولعل هذا كان مـن أسباب شيوع الأفعال في شعـره ، حيث بلغت الجمل الفعلية –في هذا القدر الذي وصل إلينا من شعره، وهـو (٦٣) بيتًـا– بلغت هذه الجمـل (١١٥) جملة. كان نصيـب الجملة الفعلية الماضويـة منها (٧٠)، وحظ الجملـة المضارعية (٤٢)، أمَّا فعـل الأمر فقد ورد (٣) مرات فقط.

ولا غرابـة أن يسـود الفعل الماضي في شعره – بلْ يسود في المقطوعة الواحدة أحيانًا فالماضي من أقوى الوسائل لتأكيد الحوادث وتقريرها.

على أن السّفاح إذا أراد أن يعيد تصوير هذه الأحداث أمام الآخَر –وبخاصة زوجه– فقـد تتعادل الجمل المضارعيـة والماضويّة، وقد تتفـوّق الأولى عليها؛ لِما للجملـة المضارعيـة من قيمة تصويريّـة، وما تفيده الأفعـال المضارعة من تجدد واستمـرار يجعلان للأحداث حضـورًا متصلاً، وكأنها تقـع في الوقت الحاضر، وتتوالى أمام المتلقي.

ومـن الأدلة على ذلك قصيدته الرائية التي يخاطـب فيها زوجه التي تلومه علـى كثرة غزواته وبماشـرة الحرب بنفسـه. والقصيدة من خمسـة عشر بيتًا، تشتمـل على خمسـ عشرة جملة فعلية فعلها مضـارع، وإحدى عشرة جملة فعلها ماض، ومنها:

تَقُولُ ابنَةُ العَمْرِيِّ مَالَكَ لا نَرَى ... لك الدَّهْرَ إلاَّ هَمَّ حَرْبٍ تَسَعَّرُ
فقلتُ لَها: لا الغَزْوُ يُدْني منيّةً ... وَلَنْ يَدْفَعَ الإشْفَاقُ ما كُنْتُ أَحْذَرُ
وإنَّك لو أَبْصَرْتِني يوْمَ صَبَّحَتْ ... هَوَازِنَ أَمْثَالُ السَّرَاحِينِ ضُمَّرُ
أُعَرِّضُهَا للطَّعْنِ في كُلِّ غَمْرةٍ ... فتَسلَمُ أَحْيَانًا وحِينًا تُعَفَّرُ
لأَيقَنْتِ أَنّي فَارِسُ الخَيْلِ والَّذي ... عليه العَوَالي والصَّفيحُ المُذَكَّرُ

هذا، وإذا كنّا نرى أن موقف السفاح من تجاربه موقف القاص أوْ الحاكي؛ فإننا كذلك نحسّ أن كل تجربة من تجاربه، أو كل مقطعة من مقطعاته تُمثِّل قصة قصيرة، عُني فيها السفاح برسم شخصياته، وإبراز الصفات التي تتميز بها كل شخصية منها؛ كما عُني بعرض الأحداث، وتحديد زمانها ومكانها، كقوله بعد انتصاره في (يوم الكُلاب الأول)؛ مخاطبًا زوجه:

هَلاّ سَأَلت وَرَيبُ الدَهرِ ذو غِيَرٍ ... أَن كيفَ صَفَقتُنا ذُهْلَ بنَ شيبانا
صَدُّوا عَنِ الماءِ يَسقُونَ ذا كَلَمٍ ... وَنَحنُ نَسقي عَلى الأَحساءِ كَلمانا
في كُلِّ حَيٍّ مِنَ الحَيَّينِ أُبَّهَةٌ ... وَنَحنُ أَكثَرُ مَغبوطًا وَجَذلانا
أَما بَنو الحِصنِ إذ شالَت نَعامَتُهُم ... فَيَخرُجُ المَرءُ مِن ثَوبَيهِ عُريانا
أَما الرِّبابُ فَوَلَّونا ظُهورَهُمُ ... وَأَجزَرونا أَبا سُلمى وَسُفيانا

ففي هذه الأقصوصة –أوْ المقطوعة– نرى مدى احتفاء الشاعر بذِكْر الشخصيات التي تتمثل في شخصيته وشخصية بني زهير المنتصرين المظفرين: (صفقتنا – ونحن نسقي – ونحن أكثر ... – و(نا) في قوله (فَوَلَّونا)، (وأجْزرونا). كما تتمثل في شخصية أعدائه عامة (ذهل بن شيبان)، ثم (بني الحصن)، منهم الذين غنموا الذل والعار، ثم (الرِّباب) الذين فروا، أو كما يقول أبو تمام[٢١]: «وكان شرحبيل في تميم والرِّباب، فولت تميم والرِّباب»،– مع ما تحمله عبارة السفاح في شأنهم من تهكم، وإقذاع في قوله: (فَوَلَّونا ظُهورَهُمُ)،

ثم شخصيتي أبي سُلمى وسُفيان، وما نالهما من مهانة القتل التي تتبدى في قول السفـاح: (وَأَجْزَرونـا) كأنهما حيوانان قُدِّما للذبح نجـاة لإخوانهم، أو فدية لمن نجا منهم.

أمَّـا الأحداث في تلك الأقصوصة فواضحـة في مجريات المعركة من (صفق ذهل بن شيبان)، وصدّهم عن الماء، وهزيمة بني الحصن وتفرق كلمتهم، وفرار الرِّباب، وقتل –جزر– أبي سُلمى وسُفيان.

أمَّـا المكان فهـو (الكُلاب: بين البصرة والكوفة وذلـك على بضع عشرة ليلة مـن اليمامـة)، كما يقـول أبو عبيـدة[٢٢]، وقد حـدَّدَه السَّفَّـاح في أقصوصته –مقطوعته– بقوله:

صُدّوا عن الماء، ما يسقُون ذا كلَمٍ ونحن نسقي على الإحساء كلمانا

أمَّـا الزمان فهو وقت وقوع القتال بين الفريقـين، وهو الوقت الذي حلت فيه الهزيمة ببني شيبان، كما أشار السفاح في قوله:

هَلا سَأَلت وَرَيبُ الدَهرِ ذُو غِيَرٍ أَن كيفَ صَفقَتُنا ذُهلَ بنَ شَيبانا

صَـدُّوا عَـنِ المـاءِ يَسقُونَ ذا كَلَمٍ وَنَحنُ نَسقي عَلى الأَحساءِ كَلمانا

أيّ: يـوم صُـدُّوا عن الماء، وهذا الزمن يشير إليـه أبو عبيدة معمر بن المثنى في قولـه[٢٣]: «فاقتتل القوم قتـالاً شديدًا، وثبت بعضهم لبعض حتى إذا كان آخِر النهـار مـن ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميـم والرِّباب بكرَ بن وائل، وانصرفـت بنـو سعد وألفافها عن بنـي تغلب، وصبر ابنا وائلٍ بكـرٌ وتغلبٌ، ليس معهـم غيّرهم حتى غشيهم الليل، ونادى منادي شرَحْبيل: من أتاني برأس سلمة فلـه مائـة من الإبل، ونادى منادي سلمة: من أتـاني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل ...» إلى آخر أحداث ذلك اليوم «يوم الكُلاب الأول».

هـذا، ومن أبـرز سمات السَّفَّـاح الأسلوبية: اتكاؤه على الوصـف، وميله إلى

تعـدّد الصفات، وكثرة المترادفات، فضلاً عن ولعـه بتوضيح الشيء بعد إبهامه، وتفصيلـه بعد إجماله، وبيان هيئته عند ملابسـة الحدث له. وأجود الوصف «ما يستوعـب أكثر معاني الموصـوف، حتى كأنه يصـوّر الموصوف لك، فـتراه نُصْبَ عينك»[٢٤]، كما يقول أبو هلال العسكري.

ومن شواهد ذلك في شعر السفاح قوله في (يوم خزاز):

شَفَينا النّفسَ من أولادِ عادٍ وأوْرَدْناهُمُ حَوْضَ الحِمامِ

وسُقنا الخيلَ ملجمةً إليهم بفُرسانٍ غطارفةٍ كِرامِ

وقوله لمّا رجع إلى قومه (يوم بطن حنين):

وكَتيبةٍ لَفَّفْتُهَا بكَتيبةٍ شَهْبَاءَ باسِلةٍ يُخَافُ رَدَاهَا

خَرْسَاءَ ظاهِرَةِ الأَدَاةِ كأنّها نَارٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بلَظَاهَا

لم يعتمد السَّفاح في التعبير عن هذه الأحداث في شعره على عنصري السرد والحكـي، وتعدد الصفات وحدهما، بلّ نجد لعنصر الحوار أثرًا في نسيج أسلوبه وحيويته على ما يظهر من قوله مخاطبًا زوجه:

هلاَّ سألتِ وريبُ الدَّهرِ ذو غِيَرٍ أنْ كيف صفقنا ذُهْلَ بن شيبانا؟

وقوله مخاطبًا إياها أيضًا:

تقولُ ابنةُ العمريِّ مالكَ لا نَرَى لكَ الدَّهرَ إلاَّ هَمَّ حربٍ تُسَعِّرُ؟

فقلتُ لها: لا الغزوُ يُدْني منيّةً ولن يدفعَ الإشفاقُ ما كنت أحذَرُ

هذا، ومما زاد خفّة تعبير السفاح في شعره تنوعُ أسلوبه بين الخبر والإنشاء، كقوله في نهاية قصيدته، بعد عودته من (يوم بطن حنين) وانتصاره:

قلْ لأبن لأْيٍ: هل ثأَرت بمعْشَري أم هل مُغارةٌ ولا أغْشاها؟

لله دَرُّ بني زهيرٍ في الوغى يومَ الطِّعانِ إذا انتمى قِرْنَاها

وقوله: «لما رجع إلى بني تغلب، وقد قتل بني الزبان»:

أَلاَ يا للظَّعائنِ لوْ سَرينَا ... لَعلّ الخَيْلَ يقْضيهنّ دَيْنَا
فلَمّا أنْ أَتَيْنَ على ثَميلٍ ... تَأَزَّرْنَ المَجَاسِدَ وارْتَدَيْنَا
أَلاَ من مُبْلِغٌ عَمْرو بنَ لأْيٍ ... بأَنّ بَنَانَ ولدته لَديْنَا
فلَم نَقْتُلْهُمُ بدَمٍ ولكِنْ ... هَوانُهُمُ ولُومُهمُ علَيْنَا

ومن الأساليب الشائعة التي وظَّفها السفاح في شِعره؛ تأكيدًا لمعانيه، وتجديدًا لعباراته أسلوبُ التقديم والتأخير الذي يرى فيه عبد القاهر الجرجاني أنه: «باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، كثير التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعه، ويقضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، يلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك؛ أن قُدِّم فيه شيء وحُوّل اللفظ عن مكان إلى مكان»(٢٥).

ومن شواهده قول السفاح من قصيدته التي يخاطب فيها زوجه – مزهوًّا بخيله ورجله:

وإنَّكِ لو أبْصَرْتِني يومَ صَبَّحَتْ ... هَوازنَ أَمْثَالُ السَّرَاحينِ ضُمَّرُ
أُعَرِّضُهَا للطَّعنِ في كُلّ غَمْرةٍ ... فتَسلَمُ أَحْيَانًا وحينًا تُعَفَّرُ
عَلَيْهَا الأُلَى مِنْ تَغْلبَ ابْنةِ وَائلٍ ... لهُمْ في قَديمِ المَجْدِ مَبْدًى ومَحْضَرُ
لأَيقَنْتِ أنّي فَارسُ الخَيْلِ والّذي ... إليه العَوَالي والصَّفيحُ المُذَكَّرُ

وقوله من قصيدته التي تغنَّى بها لمَّا رجع إلى قومه (يوم بطن حُنين) منتصرًا على بني ثعلبة، مشيرًا إلى كتيبته، فخورًا باكتمال أدواتها:

فيها الكُماةُ بَنُو الكُماةِ كأنَّهُمْ ... والخَيْلُ تَعْثُرُ في الوَغَى بقَنَاهَا
شُهُبٌ بأَيْدِي القَابسِينَ إذَا بَدتْ ... بأَكُفِّهِمْ بَهَرَ الظَّلامَ سَنَاهَا

ب) الصـورة الفنيّـة :

الصورة في شعر السَّفَّاح جزئية غالبًا، وهي قريبة بسيطة تعتمد على التشبيه الـذي يزيـد المعنى وضوحًـا، ويكسبه تأكيدًا. ولعـلَّ السبب في قربهـا وبساطتها انتزاعهـا مـن البيئة الجاهلية؛ حروبهـا وصحرائها، وعاداتهـا وتقاليدها. ومن نماذج الصورة الجزئية، قوله في وصف (كتيبة):

خـرسـاءَ ظـاهـرةِ الأداة كـأنـهـا ... نـــارٌ يـشـبُّ سـعـيرُهـا بـلـظـاهـا

وقوله في وصف سيفه وفرسه:

وأَســمَـرُ خَـطِّـيٌّ كـأَنّ كُـعُـوبَـهُ ... نَـوَى الـقَـسْـبِ فيه كالـذُّبَالـةِ يَـزْهَـرُ

وأَجْـرَدُ مِـثْـلُ الـقِـدْحِ جَـأْبٌ كـأَنَّـه ... ظَـلِـيـمٌ بـأَعْـلَـى الـرَّقْـمـتَـيِن مُـنَـفَّـرُ

وقولـه كناية عن ظفره وانتصـاره على بكر بن وائل ومـن انتمى إليهم «يوم الكلاب الأول»:

وردنـــا الــكُــلابَ عـلـى قـومـنـا ... بـأحْـسَــنِ وِرْدٍ لـهـيْـجـا شِـعـارا

وقـــد جـمَـعُـوا جـمْـعَـهـمْ كُـلَّـه ... وجـمـع الـرِّبــاب لـنـا مُـسـتـعـارا

هذا، وقد توفّرت في شعر السّفاح الصورة الكُلّيّة التي تضمُّ عنصر الحركة، واللـون، والصـوت، والشكل، وغيرهـا؛ كقوله في قتال هـوازن، ورئيسهم في هذه الغـارة عُمارة بن مالـك الجشميّ الذي حمـل على السفاح فطعنـه، وحامت بنو زهير علـى السفاح حتى استنقذوه، فركب مغضبًا، فشد على عمارة فقتله. وهذا الشعر يُعد من المنصفات:

لـقـد حـامَـتْ عـلـيَّ بَـنُـو زُهــيْـرٍ ... بـبِـيـضِ الـهِـنْـدِ والأَسَــلِ الـحِـرَارِ

غَـــدَاةَ عُـمَــارَةُ الجُـشَـمـيُّ يَـسْـمُـو ... سُـمُـوَّ الـفَـحْـلِ في ضَـبَـعِ الـبِـكَـارِ

عـلَـى قـبَّـاءَ تَـخْـفِـقُ أَيْـطَـلاَهَـا ... سـنُـون المَــتْنِ كـالمَـسَـدِ المُـغَـارِ

فـيَـطْـعُـنُـنـي وأَطْـعُـنُــه خِلاسًـا كخَطْفِ الصَّقْرِ أَعْشَاشَ القِفَارِ
مَـلِـيًّـا ثُــمَّ أَضْــرِبُـهُ بِـعَـضْـبٍ تُـطِـيرُ ظُـبَـاتُـهُ لَـهَـبَ الـشَّـرارِ
فـخَـرَّ لِـوَجْـهِـهِ يَـكـبُـو صَـرِيـعًـا كـأَنَّ شئونـهـا فِـلَـقُ الـنُّـجـارِ

ومـن نماذج الصـورة الكليـة في شعره أيضًـا قولُه من قصيـدة مشيرًا إلى صنيعه في قتال بني الزّبان (يوم بطن حنين):

وعـصَـابَـةٍ شُـمِّ الأُنُــوف بَـعَـثْـتُـهُـمْ لَـيْـلاً وقَـدْ مَـالَ الـكَـرَى بِطُـلاَهَا
فسَرَيْتُ في وَعْثِ الظَّلاَمِ أَقُودُهمْ حتَّى رَأَيْـتُ الشَّمْسَ زَالَ ضُحَاهَا
وغَشِيتُ قَيْسًا في القَلِيبِ غُدَيَّةً وطَـعَـنْـتُ أَوَّل فـارِسٍ أُولاَهَــا
وضَـرَبْتُ في أَبْطَالِهِمْ فتَجَدَّلُوا وحَمَلْتُ مُهْرِي وَسْطَهَا فحَمَاهَا
حَتَّى رَأَيْـتُ الخَيلَ بَعْدَ سَوَادِهَا كُمْتَ الجُلُود خُضِبْنَ مِنْ جِرْحَاهَا
يَـعْـثُـرْنَ في عَـلَـقِ الـنَّـجِـيعِ وتَـارَةً وَسْطَ العَجَاجِ يَطَأْن مِنْ صَرْعَاهَا

ج) الموسيقى:

"الشعـر كلام منظـوم بان عن المنثور الـذي يستعمله الناس في مخاطبتهم؛ بمـا خُصَّ به من النظم الـذي إن عُدل به عن جهته، مجّتـه الأسماع وفسُد على الـذوق -أوْ كمـا يقول الدكتـور/ إبراهيم أنيـس-[٢٦]: «كان القدمـاء من علماء العربيـة لا يـرون في الشعر أمـرًا جديدًا، يميزه من النثر إلا مـا يشتمل عليه من الأوزان والقوافي».

والموسيقى الخارجية للشعر المأثور للسفاح التغلبيّ قد وقفت من وجهة الوزن، عند بحور خمسة فقط، هي:

١. بحـر الوافـر الذي جاءت عليـه خمس مقطعات، مجمـوع أبياتها (٢٢) بيتًا. منها قوله:

وليلةَ بتُّ أُوقِدُ في خَزازي ... هَديْتُ كتائبًا متحيِّراتِ
ضَلِلْنَ من السُّهادِ وكُنَّ لولا ... سُهادُ القوم -أَحْسَبُ- هادياتِ
فمِلْنَ مع الصَّباحِ على جُذامٍ ... ولْخمٍ بالسُّيوفِ مُشهَّراتِ

ومنها قوله:

شَفَينا النَّفسَ من أوْلاد عادٍ ... وأوْرَدْناهُمُ حَوْضَ الحِمامِ
وسُقنا الخيلَ مُلجمةً إليهم ... بفُرسانٍ غطارفةٍ كرامِ

ولا غرابة أن يكون بحر الوافر هو الأكثر استخدمًا فيما أثر للسفاح من شعر؛ لأنه بحر ذو خصوصيّة أشار إليها الناقد الدكتور/ عبدالله الطيّب، في قوله(٢٧): «الوافر بحر مسرع النغمات متلاحقها، مع وقفة قوية سُرْعان ما يتبعها إسراع وتلاحق، وهذا يتطلب من الشاعر أن يأتي بمعانيه دُفَعًا دُفَعًا كأنه يخرجها من مضخة، ولهذا فإنك أكثر ما تجد الوافر في نظم الشعراء ذا أساليب تغلب عليها الخطابة التي يتجلّى فيها عنصر التكرار والمزاوجة والمطابقة».

وأحسن ما يصلح في إظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر، والتفخيم في معرض المدح، على نحو ما استخدمه السفاح التغلبيّ في مقطعاته التي بين أيدينا، والتي يبدو فيها هذا التدفق الموسيقي، وهذا النغم القويّ الأخّاذ.

٢) بحر الكامل الذي جاء عليه (١٩) بيتًا، تشتمل على قصيدة تقع في (١٣) بيتًا، وهي التي قالها لمَّا رجع إلى قومه (يوم بطن حنين) مطلعها:

وكتيبةٍ لفّفْتها بكتيبةٍ ... شهباءَ باسلةٍ يُخافُ رداها

كما تشتمل الأبيات التي جاءت على (بحر الكامل) على مقطعة في (٦) أبيات. وهي التي أنشدها بعد أن قتل الزبان جماعة من تغلب، وقذف جيفهم في الأقطانتين، ومنها قوله:

مَــلأوا مــن الأَقــطـانَـتَـيـنِ رَكـيَّـةً		مِــنّــا وَآبـــوا ســالِمين وَغُــنِّــمُــوا
قَــتَـلــوا تَـعَــنِّـيَــةً بِــظَــنَّــةِ واحِــدٍ		تِــلـكَ المُقـطَّـرُ مِــن أَسِـرَّتِـهـا الـدَمُ

وقــد وفــق السفاح في اختيار بحــر الكامل نغمًا عامًّا لهاتــين التجربتين؛ لأنَّ جرس الكامل يناسب الترنّم والزَّجر وما إلى ذلك، «وهو أكثر بحور الشعر جلجلةً وحــركات. وفيــه لون خاص من الموسيقــى يجعله فخمًا جليلاً مــع عنصر ترنميّ ظاهــر... وهو بحر كأنما خلق للتغنِّي المحض، سواءٌ أريد به جدٌّ أم هزل. ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يمكن فصله عنها بحال من الأحوال»[٢٨].

٣) بحــر الطويل الذي جاء إطارًا لقصيــدة واحدة، تقع في (١٥) بيتًا، وهي أطول ما وصل إلينا من شعره، قالها حين عودته من معركة له على هوازن، بعد أن لامته بعض نسائه على كثر غزواته، ومباشرة الحرب بنفسه. ومطلعها:

تـقـولُ ابنـةُ العمريِّ مالكَ لا تَـرى		لـكَ الـدَّهْـرَ إلا هَـمَّ حـربٍ تُـسَعِّرُ

ومــن يقف على بيئة هذه القصيــدة، ويلمّ بمناسبتها، ثم يقــرأ أبياتها؛ وما فيها من اتجاه إلى الإخبار والقص، والتفصيل في داخل نطاق التلميح والإشارة؛ ومــا فيها أيضًا من رغبة في التأكيد والتعميق؛ وما فيها كذلك من شعور بالعظمة والاختيــال والمباهاة؛ ومــا يتطلبه كل ذلك من موسيقى هادئة، ونغم رائق، ونفس طويــل؛ يُسلّــم بمدى توفيــق السّفاح في الضــرب على أوتار بحــر الطويل في هذه التجربة؛ فهو بحر يصلح لكل هذه المعاني والعواطف.

٤) بحــر البسيــط الذي جاء إطارًا لمقطعة واحدة فقــط، تقع في(٥) أبيات، أنشدهــا السّفــاح التغلبــيّ بعد انتصــاره «يــوم الــكُلاب الأول»، مخاطبًا زوجه، ومطلعها:

هـلاَّ سـألتِ وريْـبُ الـدَّهْـرِ ذو غِـيَرٍ		أنْ كيفَ صَفقَتَنا ذُهْلَ بن شيبانا؟

٥) بحـر المتقارب الـذي جاء إطارًا لبيتـيْن فقط –ممـا ورد إلينا من شعر السفاح– أنشدهما «يوم الكُلاب الأول»، وهما:

وردنـــا الـــكُـــلابَ عـلـى قـومِـنـا ... بـأحْـسَـــنِ وِرْدٍ لـهـيْـجـا شِـعـارا

وقـــد جَـمَـعُـوا جـمـعَـهـمْ كُـلَّـه ... وجـمـعَ الـرِّبـاب لـنـا مُـسـتـعـارا

وواضح ما في هذيْن البيتيْن من تدفُّق مشاعر الزهو واختيال الشاعر بموقفه، ونبــذه وتهكمــه بخصمه. وقد وفق في اختيــاره بحرًا سهلَ النغـم سهولةُ معانيه، منسابًا انسياب عواطفه، مرتفع الإيقاع ارتفاع لذته وفرحته، مضطرد التفاعيل، اضطراد وجدانه ورقصات قلبه.

هــذا، وقــد توفرت الموسيقى الداخليــة في شعر السفاح التغلبــي، وإن جاءت عفــوًا لا صنعــة فيها ولا تكلف، وأبرزهــا عنصر الإيقاع المتمثــل في التكرار، وكل تكرار مهما يكن نوعه تستفاد منه زيادة النغم وتقوية الجرس.

أمّــا لماذا سقط "السفاح" مــن "سلسلة الشعراء الذهبية"؟ وكيف ضاعت قصائده؟!

فهذا سؤال يُفجِّر المواجع، وينكأ الجراح، ويلطم الوجوه، ويُجدّد الأحزان... ولا أُريد أن أفيضَ في الحديث مِن حيث أفاض الناس!

الهوامش

(١) المعارف لابن قتيبة، صـ ٦٢١، تحقيق: ثروت عكاشة. دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة ١٩٨١م.

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي، صـ ٤٩١،دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧م.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه، ٥/ ٢١٣، شرح: أحمد أمين؛ أحمد الزين. دار الكتاب العربي– بيروت.

(٤) أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي، لمنذر الجبوري، صـ٩٩.

(٥) شعراء الصرانية في الجاهلية، لويس شيخو: ١ / ١٥٦، مكتبة الآداب، القاهرة / ١٩٨٢م.

(٦) السفّاح -الشاعر التغلبي: صـ٩، د. محمد عبد الحميد سالم، بحث غير منشور.

(٧) عمرو بن لأي بن موألة بن عائذ بن ثعلبة من أشراف بكر بن وائل، وهو فارس مِجْلَزْ (معجم الشعراء، صـ ٢٤).

(٨) أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي/ صـ١٣٤، مرجع سابق.

(٩) شعراء تغلب،: ٢ / ١٦٩، على أبو زيد، الكويت – السلسلة التراثية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

(١٠) جمهرة أشعار العرب، ٢٩٠ – ٢٩١، مرجع سابق.

(١١) نقائض جرير والفرزدق،صـ٣٦١، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، بيروت، ١٩٦٨م.

(١٢) المرجع السابق، صـ ٤٥٤.

(١٣)شعراء النصرانية: ١/ ١٨٣، مرجع سابق.

(١٤) وقد وقعت القصيدة الأولى في (١٣) بيتًا؛ في يوم بطن حنين – انظر شعراء تغلب صـ ٢٥٨- ٢٦٠، والقصيدة الثانية في (١٥) بيتا، في يوم الغلبة على هوازن.

(١٥) السفّاح -الشاعر التغلبي: صـ٤٣، مرجع سابق.

(١٦)كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار؛ لأبي الحسن على بن محمد بن المطهر العدوي، المعروف بالشمشاطي، ١/ ٢٤٦،تحقيق د/ السيد محمد يوسف. الكويت – سلسلة التراث العربي، ١٩٧٧م.

(١٧) المنسوب إليه، نقائض جرير والأخطل، صـ ٨٢.

(١٨) كتاب الأنوار، ١/٢٥٧،مرجع سابق.

(١٩) كتاب الأنوار،١/٢٦١)، مرجع سابق.

(٢٠) كتاب الصناعتين؛ صـ ١٧١، لأبي هلال العسكري. تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة الحلبي، القاهرة، ١٩٧١م.

(٢١) نقائض جرير والأخطل،صـ١٢٠، مرجع سابق.

(٢٢) المرجع السابق ١/٣٥٣.

(٢٣) المرجع السابق، صـ ٤٥٤.

(٢٤) كتاب الصناعتين، صـ١٢٩، مرجع سابق.

(٢٥) كتاب دلائل الإعجاز، صـ ١٦. عبد القاهر الجرجاني. مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤م.

(٢٦) موسيقى الشعر، صـ١٤. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٤/ ١٩٧٢م.

(٢٧) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ١/ ٣٣٢؛ عبد الله الطيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م.

(٢٨) المرجع السابق،صـ٢٤٦.

التمثُّل بالشِّعر
دراسة نقديَّة

د. عبد الحميد محمد شُعَيب

المُقدِّمة:

الشِّعرُ قَيْدُ الأخبار، وبَرِيدُ الأمثال، وحُجَّة الأدب، وحكمة العرب، وشاهد ثبت، وقاض عدل، ولكلِّ أُمَّة لسان، ولسانُ العرب هو الشِّعر؛ يلجؤون إليه في الأمور المُهِمَّة والخطوب المُلِمَّة.

والتمثُّل بالشِّعر ضرب من الاستعانة بالنَّظم، ولون من التَّعبير بالشِّعر، يُجسِّد التَّواصل بين الإنسان والفنِّ، ويُصوِّر التَّفاعل بين الحياة والنَّظم، ويُبرز دور المُتلقي في إحياء الشِّعر، وإعادة إنتاج النَّظم. وهو (أي التمثُّل بالشِّعر) ظاهرة أدبيَّة عريقة، له في حياة العرب دور بارز، وأثر واضح، ومع ذلك لم يلقَ عناية من الأدباء والنُّقاد، ولم يحظَ باهتمام الباحثين والدارسين؛ فما زال الحديث عنه -فيما أعلم- مُبعثرًا في ثنايا الكتب، وتقتصر غاية التأليف فيه على ذكر أمثلة وشواهد فحسب من غير تأصيل أو تحليل، وهو ما دفعني للكتابة في الموضوع؛ رغبةً في تسليط الضوء عليه، وإبراز معالمه، وإظهار مراسمه، والوقوف على حدوده وقضاياه، والإجابة عن كثير من الأسئلة المتعلقة به مثل: ما مفهوم

التَّمثُّل بالشِّعر؟ وما هي الأغراض التي دار حولها؟ وما صورته في النقد الأدبي؟ ومن أعلام هذا الفنِّ؟ وهل هناك قيم نقدية خاصة بهذا الفن؟ وما دور المُتمثِّل في بعث الشِّعر وإحيائه؟...إلخ

وجدير بالذِّكر الإشارة إلى ما وقفت عليه من دراسات سابقة في الموضوع وهي دراسة العلاَّمة الحافظ الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد (التَّمثُّل بالشِّعر)، وقد تماسَّ معي في العنوان، واختلف في المضمون؛ فكتابه امتداد للظَّاهرة في العصر الحديث؛ فجعله ذيلًا على كتاب أبيات الاستشهاد لابن فارس، وجمع فيه سلسلة من الأبيات الصَّالحة للتَّمثُّل بها في شتى المُناسبات.

هذا وقد قسَّمتُ البحث إلى مُقدِّمة وخمسة مباحث وخاتمة وفهرسين على النَّحو الآتي:

المُقدمة: وفيها سبب الكتابة في الموضوع، وخُطَّة البحث بالتَّفصيل.

المبحث الأول: التَّمثُّل بالشِّعر حدوده ونشأته.

المبحث الثاني: التَّمثُّل بالشِّعر وقضاياه الموضوعية.

المبحث الثالث: التَّمثُّل بالشِّعر والنقد الأدبي.

المبحث الرابع: أعلام التمثُّل بالشِّعر.

المبحث الخامس: نماذج من التمثُّل بالشِّعر تحت مجهر النقد.

ثم جاءت الخاتمة مُتضمنة أهم النتائج، وتلاها فهرسا المراجع والموضوعات.

وشرطت فيما أذكره من أمثلة على مدار البحث أن تكون مما ورد في المصادر تحت مصطلح التمثُّل، أو أن تكون مما لا خلاف في دلالته على الظاهرة.

وجدير بالذكر الإشارةُ إلى أني استخدمتُ المنهج التَّكامُلي على حسب مُجريات الدراسة ومتطلبات البحث، وقد التزمتُ بتوثيق النُّصوص، وضبط

الأشعــار ضبطًا تامًّا، ونسبتها ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، وضبط ما أَشْكَل من الأماكــن والأسمــاء، والترجمة لغير المشاهير من الأعــلام، والاكتفاء مع غيرهم بذكــر تواريــخ وفياتهــم، مقتصرًا علــى التاريــخ الهجري فقــط في شتى مناحي البحث.

وأخيرًا يديــن هذا البحث بالفضل في دقة حواشيه وغزارة مصادره للعالمين الجليلين؛ الأستاذ الدكتور عبد المجيد محمد الإسداوي والأستاذ الدكتور إبراهيم صبري راشد حفظهما الله.

المبحث الأول

التمثُّل بالشِّعر حدوده ونشأته

مفهوم التَّمثُّل بالشِّعر:

التَّمثُّــل لغةً: مأخوذ من المَثَل، والمَثَل: الشيء الذي يُضْرَب لشيء مثلًا فيُجْعَل مثلــه، والمَثَــل: الصِّفَــة قــال تعالــى: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ (الفتــح: ٢٩)، والمَثَــل: الآية قال تعالى في صفة المسيــح: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الزخرف: ٥٩)، والمِثْــل: كلمة تدل على التسوية (المساواة) والتكافؤ في المقدار، والمِثْــل: الشَّبــه والشَّكل، ومَثَّلْتُ لــه كذا تمثيــلًا: إذا صوَّرت له مثالَــه، والتِّمثال: الصُّــورة قــال تعالــى: ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ (مــريم: ١٧)، وامتثلــتُ الأمر: احتذيتُــه، والمثال: القالب الذي يُقدَّر على مثله، وتَمَثَّل به: تشبَّه به، وتَمَثَّل فلان: ضرب مثلًا، وتَمَثَّل بالشيء: ضربه مثلًا، قال جَريرٌ:

وَالــتَّــغْــلِــبِــيُّ إِذَا تَــنَــحْــنَــحَ لِــلــقِــرَى ... حَــكَّ اسْــتَــهُ وَتَــمَــثَّــلَ الأَمْــثَــالَا

وتمثَّــل: إذا أنشــد بيتًا ثم آخَر ثــم آخَر، وتمثل بالشِّعــر: إذا أنشده مرة بعد مرة[1].

واصطلاحًـا: أن يُنشِـد المُتمثِّل شعرًا في مقـام يناسبه؛ ليُعـبِّر عن غرضه، ويُصوِّر شعوره تجاه قضيَّة من القضايا أو موقف من مواقف الحياة.

والغالب أن يكون الشِّعر لغير المُتمثِّل كما في تمثُّل النبي ببيت طَرَفَة بن العَبْد (٦٠ق.هـ) عندما استبطأ خبرًا[٢]:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّـامُ مَـا كُنْتَ جَاهِلًا ... وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

ومنـه تمثُّل علي بن أبي طالب (ت٤٠هـ) في صِفِّين عندما خالفه أصحابه في قضية التحكيم وخرجوا عليه[٣]:

أَمَـرْتُـهُـمْ أَمْـرِي بِمُـنْـعَـرَجِ اللِّـوَى ... فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى الغَدِ

وعلى ذلك جرت معظم الأمثلة، وسيأتي ذكر كثير من هذا النَّوع في تضاعيف الدراسة.

ويجـوز أن يكون الشِّعر للمُتمثِّل نفسه، أجراه على لسانه يتمثَّل به ولكن هذا النَّوع قليل، ومنه تمثُّل الأعرابية[٤] التي كانت تجلس إلى نساء النبي[٥]:

وَيَـوْمُ الوِشَاحِ مِنْ تَعَاجِيبِ رَبِّنَا ... أَلَا إِنَّـهُ مِـنْ بَـلْـدَةِ الكُفْرِ أَنْجَـانِي

فلمـا أكثرت من التمثُّل به؛ سألتهـا أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-عن ذلك فقالـت: شهدتُ عُرسًا، وفُقِدَ وشاح، فاتهمها القـوم به، فحملوا عليها، ولم يقبلوا منها قولًا ولا عُذرًا؛ فاستغاثت الغيَّاث، فجاءت الحِدَأة وألقته، فلما ظهرت براءتهـا، اعتـذروا لها، فلـم تقبل منهـم، وكان ذلك سبب هجرتهـا إلى المدينة وإسلامها.

ومـن ذلك تمثُّل عبد الله بن رواحة رضـي الله عنه (ت٨هـ) يوم مُؤْتَة بشعر من نظمه يرجو فيه الفوز بالشهادة، يقول مخاطبًا ناقته[٦]:

إِذَا أَدْنَـيْـتِـنِـي وَحَـمَـلْـتِ رَحْـلِـي ... مَـسِـيرَةَ أَرْبَـعٍ بَـعْـدَ الحِسَـاءِ
فَـشَـأْنُـكِ فَـانْـعَـمِـي وَخَـلَاكِ ذَمٌّ ... وَلَا أَرْجِـعْ إِلَــى أَهْـلِـي وَرَائِــي

وآبَ المُسلمونَ وغادَروني بأرضِ الشَّامِ مُشْتَهيَ الثَّواءِ[٧]
ورَدَّكَ كُلُّ ذي نَسَبٍ قريبٍ إلى الرَّحمنِ مُنْقَطِعَ الإخاءِ
هُنالِكَ لا أُبالي طَلْعَ بَعْلٍ ولا نَخْلٍ أَسافِلُها رِواءِ[٨]

ومنه تمثَّل بلال بن عقيل بن جرير[٩] بشعره، قال: «سمعتني أعرابية وأنا أتمثَّل شعرًا قلتُه:

وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّهَا غَيْرَ آثِمٍ بِمَهْضُومَةِ الكَشْحَينِ رَيَانَةِ القَلْبِ

فقالت لي: هلَّا أثمتَ حربك الله»[١٠].

والتمثُّل بالشِّعر قريب من التمثيل، وهو ما يعرف عند البلاغيين بتشبيه التمثيل كقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ (الكهف: ٤٥)، وقوله صلى الله عليه وسلم «مَثَلي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي»[١١]، ولكنْ ثَمَّة اختلاف بين التمَثُّل وتشبيه التمثيل في غاية الأهمية؛ وهو أن التمَثُّل أوسع ضربًا وأعمق مسلكًا فيأتي تمثيلًا وغير تمثيل، تتداخل فيه خيوط الإبداع بين الشاعر والمتلقي، وبين الإنشاء والإنشاد، فضلًا عن التطابق الكامل، والاتحاد التام، والتباس الحدود، والتعبير عن النفس بالشِّعر بطريقة فنيَّة مُدهشة[١٢]، وقد أدرك بياجيه (jean piaget) الاتحاد في الشُّعور بين المنشئ والمُتمثِّل، والملاءمة بين الماضي والحاضر من خلال التمَثُّل بصفة عامة في قوله: «التمَثُّل نشاط عقلي يتجه إلى إدماج موضوع معين أو موقف معين في مخطط نفسي أشمل»[١٣]، والموضوع المعين والموقف المعين يكون في الحاضر، والمخطط الأشمل هو اختزال النفس لموضوعات قديمة أو حكايات سابقة؛ فعندما تواجه النفس موقفًا جديدًا طارئًا فإنها تستجيب إليه بتكييفه مع المخططات السابقة[١٤].

التمثُّل بالشِّعر وصلته بالمصطلحات الأخرى

بين التمثُّل بالشِّعر والاستشهاد به:

الاستشهاد بالشِّعر نوع من الاختيارات يُسَمَّى (شعر الشواهد) يكون في شتى العلوم والفنون، وهو مأخوذ من الشاهد، والشاهد هو البرهان والدليل، قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (يوسف: ٢٦)، فيكون الشِّعر دليلًا، تقوم به الحُجَّة، ويثبت به الدليل، ويتضح به الرأي في تفسير معنى أو شرح مسألة أو حلِ مُعضلة... إلخ، أمَّا التَّمثُّل بالشِّعر فهو تجربة وجدانية، وقضية إنسانيَّة، يلجأ فيها المُتمثِّل للتَّعبير بالشِّعر عن معاناته النَّفسيَّة، وما يمور في وجدانه. والاستشهاد مسألة عقليَّة خالصة يجنح فيها العقل للبحث عن الدليل والحُجَّة بعيدًا عن معاني الأبيات، بينما التمَثُّل تعبير عن وجيب القلب وأنين الرُّوح من خلال معاني الأبيات.

أما من ناحية المصطلح؛ فالتمثُّل أخفُّ في لفظه، وأدقُّ في بنائه؛ ففيه عبق الفنِّ، ورائحة الشِّعر، ويشفُّ عن ما تحسُّ به النفس، بخلاف الاستشهاد الذي ثقُل لفظه لطوله، وتقاسمته حقول متباعدة (الجهاد-العلم-القضاء)، فإن سُمِّي التمَثُّل بالشِّعر استشهادًا فهو من باب المجاز والتشابه الظاهري ليس غير، وعليه جاء كتاب أبيات الاستشهاد لابن فارس.

بين التمَثُّل بالشِّعر والمَثَل:

المثل أسبق في الوجود من التمَثُّل بالشِّعر كأسبقيَّة النثر للنظم، والتمَثُّل مأخوذ من المثل فما سُمِّي المثل مثلًا إلا لتمَثُّل الناس به قال الجاحظ: «والمثل الذي يتمثَّل به الناس...»[١٥]، والمثل كما يعرفه المرزوقي: «جملة من القول مقتضَبةٌ من أصلها، أو مرسلةٌ بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتُنقَل عما وردت فيه إلى كلِّ ما يصح قَصْدُه بها من غير تغيير يلحقها في لفظها»[١٦]، والتمثُّل بالشِّعر

محمـول في مُسمَّاه ومعناه على باب المثل، جارٍ مجـراه؛ لأنه شعر سائر يُشبَّه فيه مضربه بمورده غالبًا، ويفارقه في أن التمثُّل بالشِّعر يأتي موجزًا أو مطنبًا، بيتًا أو أبياتًـا، وليس بالضرورة أن يشتمل على حِكَمة أو حكاية، ويجوز أن يلحقه التغيير والتبديل على ما يرى المُتمثِّل كما سيأتي.

يبقى سؤال مهم لا بديل عن طرحه: هل التمثُّل بالشِّعر هو الأمثال الشِّعريَّة؟

وأقـول: المثـل الشِّعري هو أن يأتـي الشاعر في بيت أو بعضـ بيت بما يجري مجـرى المثل؛ لاشتماله علـى حكمة أو موعظـة أو معنىً نـادرٍ، كالأمثال في شعر النابغـة الذبيـاني وزهـير بن أبـي سلمى مـن القدمـاء وأبي تمـام والمتنبي من المحدثين...إلخ، وليس هذا من التمثُّل في شيء؛ لأن التمَثُّل مرحلة تالية للإنشاء، يُستخـدَم فيها الشِّعر للتعبير عن موضوعات جديدة، ثـم إنه ليس بالضرورة أن يُتمثَّل بالمثل الشِّعري، فهناك من الشِّعر ما يُتمثَّل به وليس بمثل شعري، وعليه إذا أُنشِـد المثل الشِّعري في مناسبـات مختلفة على جهة التأسي والوعظ والتعبير عن غرض جديد كان تمثُّلًا وإلا يبقى مثلًا شعريًّا خارج نطاق الظاهرة.

بين التمثُّل بالشِّعر والرواية والإنشاد:

الروايـة: مصـدر روى، وروى الحديثَ والشِّعر: يرْويه رِوايـة، ورجل راوٍ: هو الذي يروي الشِّعر، قال الفرزدق:

أَمَـا كَـانَ في مَعْدَانَ وَالفِيلِ، شَاغِلٌ	**لِعَنْبَسـةَ الـرَّاوِي عَلَـيَّ القَصَـائِدَا**

ويقـال: روَّى فلان فلانًا شعرًا: إذا روَّاه لـه حتى يحفظه الرَّاوية عنه. ورجل راوية: كثير الرِّواية، والجمع رُواة[١٧].

فالرواية: عمل يُقْصَد به حفظ الشِّعر وحمله ونقله إلى الجمهور عبر الزمن من خلال رواة مختصين بالشِّعر وضروبه.

فالغرضـ الأساس مـن الرواية هو نقـل الشِّعر، بينما الغرضـ الأساس من

التمثُّل هو التعبير عن آمال المُتمثِّل وآلامه...إلخ، ومن الإشارات التي تُظْهِر الفرق بينهما ما حُكِي عن قاضي البصرة سَوَّار بن عبدالله (ت١٥٦هـ)[١٨]، عندما قصده رجل من بني دَارِم ليقيم شهادة عنده فتمثَّل بشعر للأسود بن يَعْفُر، فقال له سَوَّار: أتروي هذا الشِّعر؟ قال: لا، قال: أفتعرف من يقوله؟ قال: لا، قال سَوَّار: رجل من قومك له هذه النباهة وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويها ولا تعرفه[١٩]!

أما الإنشاد: فمصدر أنشد، والإنشاد: رَفْعُ الصَّوت، ومنه نشدتُ الضَّالة: رفعتُ صوتي بطلبها، ومنه نشد الشِّعر: أَشاد بذكره، وأَنشده إذا رفعه، وتناشدوا الشِّعر: أَنشد بعضهم بعضًا، والنَّشِيدُ من الأَشعار: ما يُتناشَدُ[٢٠].

فالإنشاد: هو إلقاء الشِّعر في المنتديات والمحافل على الجمهور، سواء ألقاه الشاعر أو الرَّاوية أو غيرهما، والهدف منه هو إذاعة الشِّعر بهدف التأثير في السَّامع، ممزوجًا بما تحتويه طريقة الإلقاء من الترنُّم والطرب الذي يجري به الطبع، وهو رديف الغناء، وليس الغناء بالشِّعر ولا الحِداء به أيضًا من التمثُّل في شيء؛ لأن الشِّعر في هذه الأحوال الثلاثة-الإنشاد والغناء والحداء- مازال رهن تجربة الشَّاعر[٢١]، أما التمثُّل فهو إنشادٌ للشِّعر قُصِد به إنشاء تجرِبة جديدة للمتمثِّل، فهو طريق من طُرق التعبير بالشِّعر أشبه بالمنولوج في القصة (الحوار الداخلي)، لا يخلط من يسمعه بينه وبين الرواية والإنشاد والغناء؛ لأنها هذه الثلاثة شجى الشاعر والتمثُّل شجى المُتَمَثِّل؛ لأن للمُتمثِّل قضية جديدة ودورًا جوهريًا يخصُّه، ليس كالدور الذي يؤديه المُمثِّل في السينما والمسرح. وربما استخدم الناقل والناقد مجازًا وتوسعًا أنشد في موطن تمثَّل لا العكس.

بين التمثُّل بالشِّعر والتضمين:

التمثُّل أقدم في النشأة من التضمين، وأشهر منه، لذلك أحال عليه النقاد في تعريف التضمين، وجعلوه مقياسًا له، فقالوا في حد التضمين: «هو قصدك إلى البيت من الشِّعر أو القسيم فتأتي به في أواخر شعرك أو في وسطه كالمُتمثِّل»[٢٢].

فهما يشتركان في المقدار والحجم وطريقة الإيراد، فكلاهما يكون-غالبًا- نـذرًا يسيرًا؛ البيت والبيتين والثلاثة، ولا يقعان -غالبًا- ابتداءً، وكلاهما يستخدم في موضوع جديد متصلًا بالغرض القديم أو منقطع الصِّلة عنه، بيد أن التضمين لا يقع إلا في الشِّعر تأكيدًا أو استعانة أو إيداعًا...إلخ، أما التمثُّل فيقع في غير الشِّعر كالحوار والمقامة والخطابة والرسائل والتوقيعات...إلخ، قال الجاحظ: «وأكثر الخطباء لا يتمثَّلون في خطبهم الطوال بشيء من الشِّعر ولا يكرهونه في الرسائل إلا أن تكون إلى الخلفاء»(٢٣).

قلت: والفيصل في عدِّ الشِّعر حيثما ورد تمثُّلًا من عدمه هو حكم النقاد والقرينة والسياق وألا ينصرف إلى غيره من الفنون كالرواية والإنشاد والاستشهاد...إلخ.

نشأة التمثُّل بالشِّعر:

التَّمثُّل بالشِّعر قديم النشأة؛ ظهر مع أولية الشِّعر العربي، وفطن له الشعراء منذ العصر الجاهلي، وأدركوا كونَه سببًا من أسباب جودة النظم، وطريقًا من طرق خلود الشِّعر، قال المُسَيَّب بن عَلَس(ت ق هـ)واصفًا شعره(٢٤):

فَلأُهْدِيَنَّ مَعَ الرِّيَاحِ قَصِيدَةً ... مِنِّي مُغَلْغَلَةً إِلَى القَعْقَاعِ
تَرِدُ المِيَاهَ فَمَا تَزَالُ غَرِيبَةً ... فِي القَوْمِ بَينَ تَمَثُّلٍ وَسَمَاعِ

ومنه وصف كعب بن زهير(ت٢٦هـ) لشاعريته وشاعرية الحُطيئة، وحديثه عن رِفْعَة التمثُّل وجودته(٢٥):

فَمَنْ لِلْقَوَافِيْ شَانَهَا مَنْ يَحُوكُهَا ... إِذَا مَا ثَوَى كَعْبٌ وَفَوَّزَ جَرْوَلُ
يَقُولُ فَلا يَعْيَى بِشَيءٍ يَقُولُهُ ... وَمِنْ قَائِلِيهَا مَنْ يُسِيءُ وَيَعْمَلُ
كَفَيْتُكَ لا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا ... تَنَخَّلَ مِنْهَا مِثْلَ مَا يَتَنَخَّلُ
يُثَقِّفُهَا حَتَّى تَلِينَ مُتُونُهَا ... فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يُتَمَثَّلُ

وامتــد حديــث الشعراء عنه إلــى العصر الأموي، قــال الفرزدق (ت١١٠هـ) مشيرًا إلى التَّمَثُّل من شعر الجاهليين في موطن افتخاره بشعره[٢٦]:

وَالأَعْشَـيَـانِ كِـلاهُـمَـا وَمُـرَقَّـشٌ ... وَأَخُــو قُـضَـاعَـةَ قَـوْلُـهُ يُـتَـمَـثَّـلُ[٢٧]

وظـلَّ تقديـر الشعراء لأثره ورصدهـم له عبر عصـور الأدب، وعلى امتداد الحِقب[٢٨].

وتبقــى سلسلة من القضايا الجوهرية المُتعلِّقة بالتمثُّل بالشِّعر في حاجة إلى تفسير وتفصيل أولها: الحديث عن أغراضه ومحاور موضوعاته...إلخ.

المبحث الثاني

التَّمثُّل بالشِّعر وقضاياه الموضوعية

هذا باب قد جعلتُه للحديث عن أغراض التمثُّل بالشِّعر وقضاياه الموضوعيَّة، والمعــاني التــي يتناولها؛ فمضمون الشِّعر باب مُهم في بنائــه، وأفكاره ركن رئيس في إنشائه، فهو غاية المتكلم والسامع، والتمثُّل بالشِّعر ضرب من الشِّعر، ومن ثَمَّ تـبرز كثير من الأسئلــة المُهمَّة المُتعلِّقة به من هذا الجانــب منها: ما هي أغراض التمثُّل بالشِّعر؟ وهل هنـاك اختلاف بينها وبين أغراض الشِّعر؟ وهل يمكن تحويل الشِّعر في التمثُّل عن أغراضه الأصلية؟...إلخ

أغراض التمثُّل بالشِّعر:

يجـري التمثُّل على أغراض الشِّعـر المُتعارف عليها؛ المدح والرثاء والفخر... إلــخ فيقصد المُتمثِّل بتمثُّله مــا يقصده الشَّاعر بقصيدته؛ ومــن أغراض التمثُّل بالشِّعـر الذائعــة المدح، ومن أمثلتــه: لما قدم المُهلب بن أبــي صُفْرة على الحجاج أجلسه بجانبه، وأظهر إكرامه وبرَّه ثم قال[٢٩]:

وَقَـلِّـدُوا أَمْـرَكُـمْ لِلَّهِ دَرُّكُـمُ ... رَحْـبَ الـذِّرَاعِ بِأَمْـرِ الحَـرْبِ مُضْطَلِعَا

لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثَ يَبْعَثُهُ هَمٌّ يَكَادُ حَشَاهُ يَقْصِمُ الضِّلْعَا
لَا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا
مَا زَالَ يَحْلُبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطُرَهُ يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبَعَا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ مُسْتَحْكِمَ الرَّأْيِ لَا قَحْمًا وَلَا ضَرَعَا

فمدحـه الحجاج من خلال التمثُّل بالقوة والشجاعة والثبات، والخبرة بأمور الحروب، وعدم الفزع من المصائب أو الخضوع للنوائب.

والمدح بالتمثُّل قصده كثير من متمثِّلي الشِّعر، من ذلك أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يحب همدان ويُقرِّبهم لنصرتهم له، ودفاعهم عنه، وكان إذا رأى أحدًا منهم تمثَّل بقول الشاعر(٣٠):

نَادَيتُ هَمْدَانَ وَالأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ وَمِثْلُ هَمْدَانَ سَنَّى فَتْحَةَ البَابِ
كَالهِنْدِوَانِيِّ لَمْ تُفْلَلْ مَضَارِبُهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَقَلْبٌ غَيْرُ وَجَّابِ

والمعـاني التي يسلكها المادح في التمثُّل هي معاني شعر المدح من ذكر فضائل النفس؛ الشجاعة والكرم والوفاء وحسـن السياسة...إلخ؛ لأنَّها مُعدَّة سلفًا، فلا يمكـن الخروج عليها، لكنها غالبًا توجد في الممدوح الجديد، وليس مدحه بها من قبيل المجاز والمبالغة.

ومـن الأغراض التـي يأتي التمثُّل عليهـا كثيرًا الرِّثاء، ومنـه تمثُّل قُتيبة بن مُسلم (ت٩٦هـ) حين أتاه موت الحجَّاج بقول الحطيئة(٣١):

لَعَمْرِي لَنِعْمَ المَرْءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِحَورَانَ أَمْسَى أَعْلَقَتْهُ الحَبَائِلُ
لَقَدْ فَقَدُوا عَزْمًا جَلِيلًا وَسُؤْدُدًا وَحِلْمًا أَصِيلًا خَالَفَتْهُ المَجَاهِلُ
إِذَا عِشْتَ لَمْ أَمْلَلْ حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
وَمَا كَانَ بَيْنِي لَوْ لَقِيتُكَ سَالِمًا وَبَيْنَ الغِنَى إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلُ

وتمثَّل بهذه الأبيات أبو العيناء (ت٢٨٢هـ) معزيًا سليمان بن وهب (ت٢٧٢هـ) لما مات أخوه الحسن (ت٢٥٠هـ): [٣٢] فقال سليمان: أحسن الله جزاءك، ووصل إخاءك، إن هذا لمن أحسن الشِّعر... ولكني أقول كما قال كعب بن سعد الغَنَوِيّ يرثي أخاه أبا المِغْوار [٣٣]:

أَخـي، مَا أَخـي، لَا فَاحشٌ عنْدَ بَيْته وَلَا وَرَعٌ عِـنْـدَ الـلِّـقَـاءِ هَـيُـوبُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا سَوْرَةُ الجَهْلِ أَطْلَقَتْ حُبَى الشَّيْبِ، لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غَلُوبُ
حَبِيبٌ إِلَـى الـزُّوَّارِ غِشْيَانُ بَيْته جَـمِـيـلُ المُحَيَّا شَـبَّ وَهْـوَ أَرِيـبُ
إِذَا مَـا تَـرَاءَاهُ الـرِّجَالُ تَحَفَّظُوا فَـلَـمْ تُنْطَقِ الـعَـوْرَاءُ وَهْـوَ قَـرِيبُ

وقد حاز هذا التمثُّل إعجاب السامعين. وكلا النموذجين جيد، بيد أن النموذج الثاني أغزر معنىً وأبرع تصويرًا، وهو الأقرب إلى طبيعة الحسن بن وهب؛ فقد كان أديبًا كاتبًا لا فارسًا مُحاربًا.

وثالث الأغراض التي تأتي في التمثُّل بالشِّعر هو الفخر، ومنه تمثُّل يزيد بن معاوية بعد غلبته لأهل المدينة سنة (٦٣) ثلاث وستين من الهجرة في موقعة الحَرَّة [٣٤]:

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَينَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا
لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا [٣٥]

تمثَّل من القصيدة بلُبابها، وهو -أي يزيد- أحق بهذه الأبيات من عمرو بن كلثوم لسعة مُلكه وعظم سلطانه وقوة بطشه، ولكن معناها فيه شيء من الإسراف في القوة والتجبر الذي يأباه الإسلام.

وأحسن منه تمثُّل عبد الملك بن مروان لما قتلَ مُصْعَبَ بن الزبير، ودخل الكوفة، وصعد المنبر، وافتخر، وهدد وتوعد، وتمثَّل بأبيات قيس بن رفاعة، وهي طويلة اكتفيت منها بقوله [٣٦]:

مَنْ يَصْلَ نَارِي بِلاَ ذَنْبٍ وَلاَ تِرَةٍ ... يَصْلَ بِنَارِ كَرِيمٍ غَيْرِ غَدَّارِ
أَنَا النَّذِيرُ لَكُمْ مِنِّي مُجَاهَرَةً ... كَي لاَ أُلاَمَ عَلَى نَهْيٍ وَإِنْذَارِ
فَإِنْ عَصَيتُمْ مَقَالِي اليَومَ فَاعْتَرِفُوا ... أَنْ سَوْفَ تَلْقَونَ خِزْيًا ظَاهِرَ العَارِ
لَتَرْجِعُنَّ أَحَادِيثًا مُلَعَّنَةً ... لَهْوَ المُقِيمِ وَلَهْوَ المُدْلِجِ السَّارِي

ففيه العظة والنصح والعقاب، وهو مسلك جيد من القائد والحاكم الذي يريد التخويف والزجر لا الفخر والقتل.

ومن الأغراض الشائعة في التمثُّل الاعتذار، ومنه ما تمثَّل به الفضل بن الربيع(ت٢٠٨هـ) كاتب الأمين يطلب العفو من المأمون بعد قتله الأمين، وانقياد الخلافة له[٣٧]:

صَفُوحٌ عَنِ الإِجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ ... مِنَ العَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمَا
وَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الأَذَى ... إِذَا مَا الأَذَى لَمْ يَغْشَ بِالْكُرْهِ مُسْلِمَا

وما أحسن كلمة(صفوح) التي تهش لها النفس. وأحسن منه ما تمثَّل به سهل بن هارون(ت٢١٥هـ) مع صاحب له قد وجد عليه[٣٨]:

إِنْ تَعْفُ عَنْ عَبْدِكَ المُسِيءِ فَفِي ... عَفْوِكَ مَأْوَى الفَضْلِ وَالمِنَنِ
أَتَيْتُ مَا أَسْتَحِقُ مِنْ خَطَإٍ ... فَجُدْ بِمَا تَسْتَحِقُ مِنْ حَسَنِ

ففيه اعتراف بالذنب، وعبودية وضراعة، وثناء ومدح، وهو ما يشرح النفس، ويحركها للعفو.

ودونه تمثُّل جعفر بن عثمان المُصحفيِّ الأندلسيِّ(ت٣٧٢هـ)[٣٩] يطلب العفو من المنصور بن أبي عامر(ت٣٩٣هـ)[٤٠]:

عَفَا اللهُ عَنْكَ أَلاَ حُرْمَةٌ ... تَعُوذُ بِعَفْوِكَ أَنْ أُبْعَدَا
لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ ... فَأَنْتَ أَجَلُّ وَأَعْلَى يَدَا
أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ ... وَمَوْلًى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى

وَمُـفْـسِــدَ أَمْـــرٍ تَـلافَـيْـتَـهُ … فَـعَـادَ فَـأَصْـلَـحَ مَـا أَفْـسَـدَا
أَقِـلْـنِـي أَقَـالَـكَ مَـنْ لَمْ يَـزَلْ … يَـقِـيكَ وَيَـصْـرِفُ عَـنْـكَ الـرَّدَى

والأبيـات على ما فيها من حُسن تجاية طبيعة الاعتذار؛ لاشتمالها على عدم تعظيـم المخاطب (عنـك- عفوك-أنت-أقلني-يقيك)، وربمـا كان لهذا دور في عـدم العفو عنه، ولكنه من جانـب آخر يناسب ابن المصحفـي الذي كان حاجبًا والمنصور كاتبًا. وأبرع من الجميع في تمثُّله تميم بن جميل[٤١] في اعتذاره للخليفة المعتصم(ت٢٢٧هـ)، فقد ضَمَّنَه حديثًا عن الصِّبيـة الصِّغار، وتَرْكهم في مهب الريح وعوادي الزمان بلا ساتر أو عائل[٤٢]:

وَمَـا حَــزْنِي أَنِّي أَمُــوتُ وَإِنَّـنِـي … لأَعْـلَـمُ أَنَّ المَــوْتَ شَـيءٌ مُـؤَقَّـتُ
وَلَـكِـنَّ خَلْفِي صِبْيَةً قَدْ تَرَكْتُهُمْ … وَأَكْـبَـادُهُـمْ مِـنْ حَسْـرَةٍ تَتَفَتَّتُ
كَـأَنِّي أَرَاهُــمْ حِـيْنَ أُنْـعَـى إِلَـيْـهِـمُ … وَقَـدْ خَمَشُوا تِلْكَ الوُجُوهَ وَصَـوَّتُوا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِنِعْمَةٍ … أَذُودُ الـرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مُتُّ مَوَّتُوا

فقال له المعتصم: قد غفرتُ لك، ووهبتُك للّه ولصبيتك. والاعتذار بالصِّبية مَجلبة للعفو، فقد عفا اللّه عن أوس بن الصامت وزوجه خَوْلَة بنت ثعلبة (صاحبة المُجادلـة) بسبب الصِّبية، وعفا النبي صلى اللّه عليه وسلم عن أبي عَزَّة الشاعر للصِّبية، وعفا عمر رضي اللّه عنه عن الحطيئة لاعتذاره بالصِّبية.

ومـن أبرز أغراض التمثُّـل بالشِّعر الحِكمـة، فهي معدن التمثُّـل وجوهره، يُستخـدم الشِّعر فيها كالمثل، وأكثر ما يكون في الأبيـات المفردة التي تشتمل على معنـى شـرود أو فريد، وهـو ما يسمى بالأمثـال الشِّعرية، ومن ذلـك ما يقال في الشجاعة[٤٣]:

لَبِّثْ قَلِيلًا يَلْحَقِ الهَيْجَا حَمَلْ
مَا أَحْسَنَ المَوْتَ إِذَا حَانَ الأَجَلْ[٤٤]

تمثل به سعد بن معاذ رضي اللّه عنه(ت٥هـ) يوم الخندق.

ومن ذلك تمثُّل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت٦٨هـ) لما خرج الحسين ابن علي(ت٦١هـ) من مكة وخلا الجو فيها لعبد اللّه بن الزبير (ت٧٣هـ)[٤٥]:

يَـا لَـكِ مِـنْ قُـبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ
خَلاَ لَكِ الْجَوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي
وَنَقِّرِي مَا شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِي

ومن ذلك تمثُّل الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ) كلما ضاقت عليه سُبل الرزق[٤٦]:

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ

ويلاحظ البحث تأخر بعض الأغراض الشعرية في التمثُّل بالشِّعر كالهجاء والغزل، وغياب البعض الآخر كالوصف.

أغراض التمثُّل بالشِّعر بين الكثرة والقلة:

إذا أردنا أن نتصور كثرة أغراض التمثُّل بالشِّعر بدقة، فعلينا أن نُحرِّرها من ارتباطها بأغراض الشِّعر، ونضع بدلًا منها (مقامات التمثُّل بالشِّعر)، ونستطيع أن نقف على أثر ذلك من خلال (أبيات الاستشهاد) لابن فارس، فقد ذكر فيه (١٣٣) مئة وثلاثة وثلاثين مقامًا للتمثُّل بالشِّعر منها: ما يُتَمَثَّل به عند العِتاب، والألم، والشكوى، والزيارة، والسؤال، والتحذير، وتَغيُّر الحال، ورؤية غائب، وعند الوعد والمطال...إلخ، وهذه المقامات قابلة للزيادة على حسب تَغيُّر الأحوال، وتصرُّف المُتمثِّل في المقال، ومن ثَمَّ فأغراض التمثُّل بالشِّعر أغزر من أغراض الشِّعر؛ لأنه-أي التمثُّل- يشارك الشِّعر في جُلِّ أغراضه، ويشارك النثر في كلِّ أغراضه، وأغراض النثر أوفر من أغراض الشِّعر، وموضوعاته أكثر من أن تُحد، فيأتي التمثُّل في المعاني الفرعية كالصَّبر والحزم والحِلم والزهد... إلخ، ومن هذه المعاني الفرعيَّة التمثُّل في الشوق والحنين إلى الأوطان، ومنه تمثُّل

بلال بن رباح رضي الله عنه لما هاجر إلى المدينة فغلبه الشوق إلى مكة، فقال وقد أشرف على الهلاك(٤٧):

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِفَخٍّ وَحَوْلي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ(٤٨)
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِياهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

ومن التَّذكير بالرَّحيل تمثُّل الحسن البصري (ت١١٠هـ) بقول الشاعر(٤٩):

المَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ ... فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ البَابِ مَا الدَّارُ

ومن إظهار الوُدِّ والتَّرحيب تمثُّل أبي الميمون القُشَيريِّ يحيى بن عبادة بن جَحَّاف وهو داخل على أبي علي الهَجَريِّ (ت٢٨٨هـ تقريبًا) بيته زائرًا(٥٠):

حَيَّا الإِلَهُ خَيَالَ مَنْ لَوْ زَارَنَا ... عَدَدَ اللَّيَالي خِلْتُ ذَاكَ قَلِيلا

أغراض التمثُّل بالشِّعر بين التبعية والاستقلال:

التمثُّل بالشِّعر يأتي غالبًا تابعًا لغيره، ومسبوقًا بحديث أو حوار، والتمثُّل في هذه الحالة مشارك لغيره في غرض الكلام، يتعاون مع النثر على إتمامه، ودور التمثُّل (الشِّعر) يقتصر في هذه الحالة على التأكيد والإعانة، وقد يستقل التمثُّل بنفسه، ويستولي على الغرض كله، فلا يسبقه ولا يلحقه كلام في غرضه، ومن ذلك لما رأت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- النبي صلى الله عليه وسلم يومًا وقد عَرِق وجهه، وتلألأ جبينه، فقالت: لو رآك أبو كبير الهُذليُّ لعلم أنك أحق بشعره فقال لها: وما يقول يا عائشة أبو كبير؟ قالت: يقول(٥١):

وَمُبَرأٌ مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ... وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءِ مُغْيلِ
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسِرَّةِ وَجْهِهِ ... بَرِقَتْ كَبَرقِ العَارِضِ المُتَهَلِّلِ

ومن ذلك لما حبس الرشيد أبا العتاهية، وبينما هو في السجن ذاهلًا يعاني الوجد وآلام الحبس، وجد رجلًا صابرًا صامتًا ثم تمثَّل الرجل فجأة(٥٢):

تَـعَـوَّدْتُ مَـسَّ الـضُّـرِ حَـتَّـى أَلِـفْـتُـهُ وَأَسْلَمَنِي حُسْنُ العَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَصَـيَّرَنِي يَـأْسِـي مِـنَ الـنَّـاسِ وَاثِـقًـا بِحُسْنِ صَنِيعِ اللهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي

هكـذا تمثَّل بها الرجـل لم يسبقها حديـث ولم يتبعها حديث، فجـاء التمثُّل مستوليًا على الغرض كله لا يشاركه فيه غيره.

ومنـه تمثُّل علي بن عيسـى بن الجراح (ت٣٣٤هـ) لما استـوزه المقتدر، ورأى اجتماع الناس عليه، وكان ديِّنًا فقيهًا عالمًا بالحديث فتمثَّل بقول أبي العتاهية[٥٣]:

مَا النَّاسُ إلاَّ مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا فَكَيْفَمَا انْقَلَبَتْ يَوْمًا بِـه انْقَلَبُوا
يُعَظِّمُونَ أَخَـا الـدُّنْيَا فَإِنْ وَثَبَتْ يَـوْمًـا عَلَيْـهِ بِمَـا لَا يَشْتَهِي وَثَبُـوا

التمثُّل ونقل الشِّعر إلى أغراض جديدة:

مـن المعـروف أن التمثُّل إنشاء من إنشاء، وأخذ من بنـاء، وأن المُتمثِّل يقطع جـزءًا من قصيـدة سابقة ويستخدمهـا في مناسبة خاصة به، وهنـا سؤال مهم هـل يأتي التمثُّـل في غرض الشِّعر السابق نفسه دائمًا؟ أم يجوز تحويله ونقله إلى أغراض جديدة؟

بتتبع شواهد التمثُّل بالشِّعر تبيَّن مُفارقة بعض الأشعار لغرضها الأصلي، وتحويلها إلى أغراض جديـدة؛ من ذلك ما فعله يحيى بن مالك بن عائذ (ت٣٧٦هـ)[٥٤] حين دخل المسجد والصلاة تُقام فتمثَّل بأعلى صوته[٥٥]:

يَـا رَبِ لَا تَسْلُبَنِّي حُبَّهَا أَبَـدًا وَيَـرْحَـمُ اللهُ عَبْـدًا قَـالَ آمِينَـا

فنقـل البيـت من الغزل إلـى الشِّعر الدينـي، لكـن وإن كان الغرض مختلفًا في الظاهـر إلا أن العاطفـة مُتحـدة في الباطـن، والغرضـان يجمعهمـا جـذر واحد (الحب).

ومن ذلك تمثُّل المكتفي بالله (ت٢٩٥هـ) لما مرض وزيره القاسم بن عبيد الله

ابــن سليمان(ت٢٩١هــ) واستخلف ابن أخيه عبد الوهاب بــن الحسن، وزار أبو القاسم المكتفي، فلما خرج من عنده تمثَّل المكتفي[٥٦]:

وَلَمَّـا أَبَــى إلَّا جِـمَـاحًـا فُــؤَادُهُ ... وُلَمْ يَسْلُ عَنْ لَيْلَى بِمَالٍ وَلا أَهْلِ
تَسَلَّى بِأُخْرَى غَيْرِهَا فَـإِذَا الَّتِي ... تَسَلَّى بِهَا تُغْرِي بِلَيْلَى وَلا تُسْلِي

ومن الملاحظ أن أكثر النقل والتغيير يقع في شعر الغزل[٥٧]؛ وهذه الإشارات تدل على ما بين الغزل وسائر أغراض الشِّعر من وشائج وصلات.

جدية أغراض التمثُّل بالشِّعر:

بقــي أن أنوه إلى جدية أغراضــ التمثُّل بالشِّعر ورزانتهــا، وخلوها من اللهو والمجــون، ومجيئها في موضوعــات مهمة، فندر أن تجد تمثُّــلًا في فحش، أو خمر أو غــزل ماجــن أو هجــاء، وربما يرجــع السِّر في ذلــك إلى شرف أعــلام التمثُّل ومكانتهم -وسيأتي الحديــث عنهم- فكلهم سادة نُجُب من الذين إذا مروا على اللهــو مرُّوا كراما، وهذا يعكس من جانب آخــر صورة الحياة العربية المبنية على الكفاح والجِدِّ والمؤسسة على العِفَّة والفضيلة.

المبحث الثالث

التمثُّل بالشِّعر والنقد الأدبي

اهتمام النقد بالتَّمثُّل بالشِّعر:

هــل احتفى النقد الأدبــي بالتمثُّل بالشِّعــر كمصطلح نقــدي وظاهرة أدبية واجتماعيــة؟ هــل تناولها من كافــة الزوايا؟ وكيف ارتسمــت الظاهرة في مخيلة النقاد؟

ظهـر التَّمثُّـل بالشِّعـر في مدونـات النقـد الأولى علـى استحيـاء في صورة أخبـار أدبية مجردة، يستدعيه سرد الأخبـار والحديث عن الشعراء، فذكره ابن سلام (ت٢٣١هـ) أربـع مرات[٥٨] من غـير تعليق، وتوسَّع ابـن قُتيبة (ت٢٧٦هـ) في تناولـه للظاهرة علـى نحو يرشح القول بأن التمثُّـل كان أحد أدوات الناقد في تقـويم النتاج الشِّعـري، وتتبُّع أثره في المجتمع، فـأورده (٢٤) أربعًا وعشرين مرة تقريبًـا[٥٩]، سلَّـط الضوء فيها علـى القضية من زاوية فنيـة خالصة؛ هي زاوية الشِّعـر والشَّاعر، فـكان يذكر الأبيات التـي يتمثَّل بهـا النـاس –غالبًا– من شعر الشاعـر من غـير تفصيل لموضوع التمثُّـل وقصته، أو دور المتمثِّـل فيه، من ذلك قوله عن امرئ القيس: «ومما يُتَمَثَّل به من شعره قوله:

وَقَـدْ طَـوَّفْـتُ فِي الآفَــاقِ حَتَّـى ... رَضِـيْتُ مِـنَ الغَـنِيمَـةِ بِـالإِيَـابِ»[٦٠]

ورؤيته على جلالتها أحاديَّة النظرة؛ لأنه اهتم بزاوية الشاعر، وأهمل زاوية المُتمثِّـل، بينما ربط ابن رشيق (ت٤٥٦هـ) بين المثل والتمثُّل، فأعلى من قيمة المثل بسبـب التمثُّـل، ونقـل رأي حماد في رفعة شعـر النـابغة لصحـة التمثُّل منه ببيت أو نصفه، وضرب مثالًا بقوله:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْـرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَـةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ[٦١]

وذكـر تقسيم عبـد الكريم للشِّعر، وجعله المثل الشِّعـري من أجل أقسامه في قوله: «والمثل العائد على من تمثَّل به بالخير»[٦٢].

ثمَّة اتجاه آخر للتمثُّل في النقد الأدبي؛ وهو محاولة تزويد القارئ بما يصلُح لـه من الشِّعر، وقد جاء هذا عبر سلسلة مـن المؤلفات جمع فيها النقد ما يصلح للتمثُّـل وطرحه على الجمهور من ذلـك: (رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثُّل عـن صدورها) للمبرد (ت٢٨٥هـ) جمـع فيها [٨٤] أربعة وثمانـين شطرًا لأعجاز أبيـات تصلح للتمثُّـل بها، جمعها لمختلـف الشعراء ما بين مشهـور ومغمور حتى

العصر العباسي، وتضمنت الرسالة كثيرًا مما شُهِر من أبيات التمثُّل[٦٣]، ومما أورده من الأمثلة قول زهير بن أبي سُلمى (ت١٣ق.هـ):

وَلَا مَحَالَةَ أَنْ يَشْتَاقَ مَنْ عَشِقَا

وقول القُطَامي(ت١٣٠هـ):

وَقَدْ يَكُونُ مَعَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وقول نُصَيب(١٠٨هـ):

وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ[٦٤]

ومن الملاحظ أن الرسالة خلت من الشرح والتفسير، ومن تعريف التمثُّل وقيمته.

ونلقى (أبيات الاستشهاد) لابن فارس(ت٣٩٥هـ)، وقد جمع فيه(١٣٣) مئة وثلاثة وثلاثين مقامًا للتمثُّل تقريبًا، ساقها على لسان رجل أديب بارع أعد للأمور عُدتها بلسان فصيح ونهج مليح، ومهد لها على لسانه بذكر ما يناسبها من المواقف والأحوال. وغالب ما ذكره أبياتٌ مفردة إلا عشرة نماذج كلٌّ منها بيتان، ونموذجان نصف بيت، وكان يكتفي بذكر مثال واحد في كل مناسبة إلا في ست مناسبات ذكر فيها مثالين. ومجمل ما ذكره من أبيات(١٤٩) مئة وتسعة وأربعين بيتًا. ومن أمثلته، وإذا حضر رئيس من الرؤساء وأراد مدحه أنشد:

لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَكْرُمَةٍ … أُفْقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفُّهُ الأُفُقَا

وإذا فخر بمن تقدم أنشد:

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا … وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَّفُوا

وإذا أخذ إنسان يتهم أحدًا غيره أنشد:

رَأَيْتُ الحَرْبَ يَجْنِيهَا رِجَالٌ … وَيَصْلَى حَرَّهَا قَوْمٌ بِرَاءُ[٦٥]

وابـن فارس وإن توسَّع في تناول الظاهرة والإشـادة بها، كان تناوله كسابقه خِلوًا من أي إشارات نقدية عن الظاهرة.

ونلقـى أبـا منصـور الثعالبي(ت٤٢٩هـ) وكتابه التمثيـل والمحاضرة، جمع فيـه ما يصلح للتمثُّـل من القرآن والسنة، وأقوال سلـف الأمة، وبثَّ في تضاعيفه مـا يصلُح للتمثُّل بـه من الشِّعر، وعقـد في الفصل الأول عنوانًا لمـا يتمثَّل به من شعـر الجاهليين والإسلاميـين والمُحدثـين والمولدين...إلـخ[٦٦]. ونلقى جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ) وكتابه (ديوان التمثُّل)[٦٧]، ولم يصل الكتاب، والغالب من عنوانـه أنه اشتمل على التمثُّل بالشِّعر، ويأتي بعده النَّهْرَوَالي(ت٩٨٨هـ)[٦٨] وقد ألف كتابه (التمثيل والمحاضرة بالأبيات المفردة النادرة)[٦٩]، وقد قصره صاحبه علـى التمثُّل بالشِّعر، وجعله في الأبيات المفردة دون غيرها، وتطورت الفكرة عند الوزير حسين رضا باشا من وزراء الدولة العثمانية (ت بعد ١٣٢٠هـ)[٧٠]، وكتابه (أحسن ما قيل في مصاريع التمثيل) غاب الكتاب في طي النسيان، و بقي العنوان يوحـي بأنه جمع فيـه أبياتًا تصلُح للتمثُّل مـن العربية والفارسيـة والتركية[٧١]، ونلقى في العصـر الحديث محمد بن إبراهيم الحمد(١٣٨٥هـ-٠٠٠)[٧٢] وكتابه (التمثُّـل بالشِّعر)، وقد جعله صاحبه ذيلًا على كتـاب (أبيات الاستشهاد) لابن فارس، جمع فيـه(٤٢٨) أربع مئة وثمانيـة وعشرين مقامًا للتمثُّـل للشعراء من شتى العصور، وكان يأتي في المقام الواحد بالشاهد والاثنين والثلاثة[٧٣]، والكتاب كسابقيه خلا من أي إشارات نقدية عن الظاهرة.

وتجـدر الإشارة إلـى سلسلة من الكتب تناولت الموضـوع ضمن موضوعاتها سأكتفي بالتمثيل لها بمثالين الأول: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري(ت٧٣٣هـ)، أفرد فيه عنوانـًا للتمثُّل، تناول فيه ما يُتَمثَّل به من شعر الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين...إلخ. والثاني: زهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي(ت١١٠٢هـ)، ذكـر فيه باب الأمثال الشعريـة وصدَّره بالحديث عن التمثُّـل بالشِّعر[٧٤]، وهذه الكتب لا تختلف في رؤيتها عن الكتب السابقة.

نخلُص من ذلك إلى أن النقد الأدبي تنبَّه للتمثُّل بالشِّعر وأثره، ورصده، ورفده بسلسلة من المؤلفات تُغذي الظاهرة وتُنمِّيها، ولكن في هذه وتلك لم يتناوله بالدراسة والتحليل.

ثمة دور آخر قام به النقد في حديثه عن التمثُّل بالشِّعر ينبغي الإشارة إليه ولو في عُجالة، وهو أن النقد الأدبي وقف عند بعض النماذج بالنقد، وسأكتفي- لضيق المقام- بمثالين:

فمن التمثُّل الحسن؛ لما دخل منذر بن سعيد قاضي الجماعة بقرطبة(ت٣٥٥هـ) على عبد الرحمن الناصر (ت٣٥٤هـ) وهو يبني الزهراء، فوعظه منذر بن سعيد لإسرافه في البناء، فتمثَّل الناصر:

هِمَمُ المُلُوكِ إذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَا ... مِنْ بَعْدِهِمْ فَبِأَلْسُنِ البُنْيَانِ
أَوَ مَا تَرَى الهَرَمَيْنِ قَدْ بَقِيَا وَكَمْ ... مُلْكٌ مَحَاهُ حَوَادِثُ الأَزْمَانِ

قال المَقَّري: «فإن كان شعره فقد بلغ فيه غاية الإحسان، وإن كان تمثَّل به فقد استحقه بالتمثُّل في هذا المكان»[٧٥].

قلت:

وقد اخترت هذا النموذج لنفاسته ونفاسة التعليق عليه؛ فالنموذج مؤشر على أن المغرب العربي يشارك صنوه المشرق في الاحتفاء بالظاهرة ونموها، وإن بدا الاهتمام بها في المغرب أقل من المشرق بكثير. أما نفاسة التعليق عليه فلأن المَقَّرِيَّ صاحب النفح حكم بشاعرية المُتمثِّل (الناصر)، وأنه أحق بالأبيات من منشئها لحسن تمثُّله بها.

وجهة نظر الناصر صحيحة؛ فعِظَم البناء يدل على عظمة الباني قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ (الشعراء: ١٤٩)، وعدَّه القرآن من مفاخر عاد وعظمتها فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ (الفجر: ٦-٨).

بناء الرجال أجدى وأنفع من بناء البلاد، لذا كان الخليفة المأمون (ت٢١٨هـ) بارعًا في تمثُّله لما رأى أخاه المعتصم (ت٢٢٧هـ) يُعِدُّ الرجال وابنه يَتَّخِذ الضياع فأنشد(٧٦):

يَبْنِي الرِّجَالَ وَغَيْرُهُ يَبْنِي القُرَى ... شَتَّانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَرِجَالِ
قَلِقٌ بِكَثْرَةِ مَالِهِ وَسِلاحِهِ ... حَتَّى يُفَرِّقَهُ عَلَى الأَبْطَالِ

ولله درُّ الحطيئة في إشادته ببناء الأمجاد لا بناء البلاد(٧٧):

أولَئِكَ قَوْمٌ إنْ بَنَوا أَحْسَنُوا البُنَى ... وَإنْ عَاهَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

أما التمثُّل المعيب فمنه ما تمثَّل به يزيد بن معاوية (ت٦٤هـ) في وقعة الحَرَّة لمَّا بلغه انتصار قائده مُسلم بن عُقْبَة المُرِّيِّ (ت٦٣هـ) على أهل المدينة(٧٨):

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ

وأقول:

الكلام في نسبة التمثُّل إلى يزيد كثير، واحتمال كذبه عليه كبير، ولكن أورده كثير من الثِّقات منسوبًا إليه، والفصل في صحة النسبة يوم الفصل(٧٩).

اعترض كثير من الأعلام -والحق معهم- على تمثُّل يزيد بهذا البيت حتى وصل الأمر إلى اتهامه بالنفاق وتكفيره ولعنه(٨٠).

لو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيًّا لعاقبه عقابًا شديدًا على تمثُّله هذا، فقد عَذَّر في أقل منه حين مرَّ رجل من مُزينة على باب رجل من الأنصار، وكان يتّهم بامرأته فتمثَّل:

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ ... أَمْ حَبْلُهَا إذْ نَأَتْكَ اليَوْمَ مَصْرُومُ؟

فاستعدى ربُّ البَيْت عَلَيْهِ عمر، فأمر به عمر فَحُدَّ(٨١).

ربما دفع يزيد إلى هذا التمثُّل ما كانت تُكنُّه بنو أمية من ضغينة لأهل المدينة

لمقتل عثمان رضي اللّه عنه بين ظهرانيهم، ولخروجهم عليهم بعد مقتل الحسين رضي اللّه عنه، والخزرج ثُلَّة منهم، وكان يزيد -قبل ذلك- لما ضجِر من أهل المدينة قال لكعب بن جُعَيل (ت٥٥هـ تقريبًا): "إن عبد الرحمن بن حسَّان قد فضحنا، فاهجُ الأنصار! فقال له كعب: أرادِّي أنت إلى الشرك! أأهجو قومًا نصروا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وآوَوْه؟"(٨٢)، فهجاهم الأَخْطَل.

المبحث الرابع

أعلام التمثُّل بالشِّعر

هذا باب قصدنا فيه وجهًا جديدًا من وجوه التمثُّل بالشِّعر، وهو الحديث عن أعلامه ونجومه، لنقف على أثر المُتمثِّل في الشِّعر، ونستبين مدى انتشار التمثُّل بالشِّعر بين العرب، ونكشف عن مدى تقديرهم له على اختلاف مشاربهم، وتنوع مذاهبهم، وشرطنا فيمن نورد ذكره في هذا الباب أن يكون ممن شُهِد له بكثرة التمثُّل بالشِّعر، أو ممن نال تمثُّله حظًا موفورًا من الشهرة.

وأول من نلقى في هذا الباب حبيبي وشفيعي، رسول السلام وهادي الأنام؛ محمد صلى اللّه عليه وسلّم يتمثَّل بقول الشاعر: «(كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا) فقال أبو بكر رضي اللّه عنه: يا رسول اللّه! إنما قال الشاعر: كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيا. فجعل أبو بكر رضي اللّه عنه يقول بالشيب والإسلام، والنبي صلى اللّه عليه وسلّم يقول: «بالإسلام والشيب»، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول اللّه، ما علمك اللّه الشِّعر وما ينبغي لك»(٨٣).

والبيت لعبد بني الحَسْحَاس (ت٤٠هـ) وتمامه(٨٤):

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ، إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا ... كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

فقدم الشيب على الإسلام ولو كان هذا في غير الشِّعر ما قبلتُه منه، وقد

صحَّح النبي صلى اللّه عليه وسلّم ما وقع فيه الشاعر من خطأ فقدم الإسلام على الشيب، ولا بأس في هذا، فالبيت ملك للمُتمثِّل، يجوز له أن يقدم ويؤخر فيه أو يُغيِّر كلمة بأخرى يراها أحسن في موضعها وأثبت في معناها؛ لأن العرب إنما يتمثَّلون بالشِّعر لغير الغرض الذي قامت به الرواية[٨٥].

ومن أعلامه الثاني التالي المحمود مشهده، مُذِلُّ الدنيا مُعِزُّ الآخرة الصديق أبو بكر رضي اللّه عنه (ت١٣هـ) في موطن ذكر منن الأنصار وفضائلهم قال: «ما وجدتُ لنا ولهذا الحي من الأنصار مثلًا إلا ما قال طُفَيل الغَنَوِيِّ:

جَزَى اللّه عَنَّا جَعْفَرًا حينَ أَزْلَقَتْ ... بِنَا نَعْلُنَا فِي الوَاطِئِينَ فَزَلَّت
أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا ... تُلاقِي الَّذي لاقَوْهُ مِنَّا لَمَلَّت
هُمْ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَأَلْجَئُوا ... إِلَى حُجُرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظَلَّت[٨٦]

وهذا التمثُّل لقطة قصيرة مكثفة، تنطوي على وحدة الانطباع والحدث كالقصة القصيرة تمامًا، عامرة بالصدق العاطفي، تُبرز في جلاء فضل الأنصار وبرهم بإخوانهم المهاجرين، وتصور على وجه دقيق أبرز وجوه المؤاخاة بينهما، وقد استطاع أبو بكر رضي اللّه عنه من خلال تمثُّله أن يجمع بين طرفي القضيَّة المهاجرين والأنصار متلاحمين في مشهد واحد، وهو –أي هذا التمثُّل- يمثِّل ضربًا من ضروب أسلمة الشِّعر وتحويل مساره،؛ كان في الجاهلية يُعبِّر عن قضيَّة إنسانيَّة، فصار بعد الإسلام يُعبِّر عن قضية إسلاميَّة (إنما المؤمنون إخوة).

ومن أعلام التمثُّل بالشِّعر الخليفة العادل، الفاروق عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه (ت٢٣هـ) ما عرض له أمر إلا تمثَّل فيه ببيت من الشِّعر[٨٧].

روى أنه رضي اللّه عنه لما حجَّ مرَّ بوادي ضَجَنَان[٨٨] فذكر نعمة اللّه عليه، وذكر أنه كان مُستضعفًا يرعى إبلًا للخطاب في هذا الوادي، وقد أمسى اليوم خليفة للمسلمين ليس بينه وبين اللّه أحد، ثم تمثَّل[٨٩]:

لَا شَـيءَ مِمَّـا تَـرَى تَبْقَـى بَشَاشَتُـهُ ... يَبْقَـى الإلَـهُ وَيُـودى المَالُ وَالْـوَلَـدُ

لَمْ تُغْـنِ عَـنْ هُـرْمُـزٍ يَـوْمًـا خَزَائِنُـهُ ... وَالخُلْدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا

وَلَا سُلَيْمَانَ إِذْ تَجْـرِي الـرِّيَـاحُ لَـهُ ... وَالجِـنُّ وَالإِنْـسُ فِيمَا بَيْنَهَا تَـرِدُ

وتمثُّلـه يصـور نفسًا زكيَّـة طيبة لم يفتنهـا زخرف الدنيـا، ولم تغتر بعظم مكانــه، وسعــة سلطانه، فكل نعيم لا محالة زائل، وهو وغيره من تمثُّلات عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجسِّد توجهه الإسلامي في الشِّعر ونقده.

ومـن أعـلام التمثُّـل بالشِّعر الخليفـة الشهيـد عثمان بن عفـان رضي الله عنه (ت٣٥هـ) في رسالته لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الدار[٩٠]:

أمـا بعد، فإنه قد جاوز الماء الزُّبـى، وبلغ الحزام الطُّبْيَين[٩١]، وتجاوز الأمر بي قدره، وطمع فيَّ من لا يدفع عن نفسه:

فَـإِنْ كُنْتُ مَـأْكُـولًا فَكُنْ خَـيْرَ آكِـلٍ ... وَإِلَّا فَـأَدْرِكْـنِـي وَلَمَّـا أُمَـزَّقِ

والتمثُّـل يصور حـال الخليفة المحاصر أدق تصوير، ووضعـه التمثُّل في آخر الرسالـة يجعله الخُلاصة والخَلاص. ومن الطريف أن هذا البيت ميمون الطائر يوم إنشائه ويوم إنشاده؛ لما سمعه النُّعمان بن المُنذر قال لشَأْس بن نَهَار (المُمَزَّق العَبْدِي): لا آكلك ولا أُوكِلك غيري، ولما سمعه عليٌّ أرسل حسنًا وحسينًا لحراسة عثمان، ولما تمثَّل به بختيار سارع عضد الدولة البويهي لنجدته، ولما تمثَّل به أسد الديـن محمد بن الحسن أرسل السلطـان الرسولي لنجدته، ولما تمثَّل به الخليفة المستنصر، نَجَدَهُ البدر الجمالي ونزل بجيشه مصر[٩٢].

ومن أعلام التمثُّل بالشِّعر علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت٤٠هـ) ومن ذلـك تمثُّله، وقد شاهـد طلحة بن عبيد الله مقتولا في موقعـة الجمل[٩٣]، فقال: أَعْزِزْ عليَّ أبا محمد أن أراك مُعَفَّرا تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية، شَفَيتُ نفسي وقتلتُ معشري! إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري ثم تمثَّل[٩٤]:

فَتًى كَانَ يُدْنيه الغنَى مِنْ صَديقه إذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الفَقْرُ
فَـتًـى لا يَـعُـدُّ المَــالَ رَبًّــا وَلا تُــرَى بِـه جَـفْـوَةٌ إنْ نَـالَ مَـالًا وَلَا كِـبْرُ
فَتًى كَانَ يُعْطي السَّيْفَ فِي الرَّوْعِ حَقَّهُ إذَا ثَوَّبَ الدَّاعي وَتَشْقَى به الجُزْرُ
وَهَوَّنَ وَجْدِي أَنَّنِي سَوْفَ أَغْتَدِي عَلَى إثْرِهِ يَوْمًا وَإنْ نُفِّسَ العُمْرُ

وتمثُّلـه يعبِّر عن مرحلة عصيبة من حياة الصحابة رضي الله عنهم ويُظْهِر أن مـا تُكنُّـه النفوس يناقض ما تفعلـه السيوف والتروس. وتصـرُّف الإمام علي رضـي الله عنه في الشِّعر بإهمال النِّسبة والتقـديم والتأخير وظروف الاستدعاء ترقـى بهـذا التمثُّل إلى دائـرة الإبداع الفنــي، فالتمثُّل بالشِّعر مـن رجاله أشبه بإنشائه وارتجاله.

ومـن أعلام التمثُّل بالشِّعر الحصان الرَّزَان المبرأة النقية أمي عائشة رضي الله عنها (ت٥٨هـ) وقد تمثَّلت[٩٥]:

ذَهَـبَ الـذِيـنَ يُعَاشُ فِي أَكْنَـافِـهِـمْ وَبَـقِـيـتُ فِي خَـلْـفٍ كَـجِـلْـدِ الأَجْـرَبِ

والبـكاء والألم منهـا سائغ مقبول، وكفاها فراق النبـي لها، فتلك مصيبة لا تعدلهـا مصيبة، فما بالها وقد أدركت زمن الفـتن، وخاضت موقعة الجمل، ولله درُّ سُفيـان بـن عُيينـة! يأسى علـى ما وصل إليه مـن علم ومكانة لفـراق الأحبة ويتمثَّل[٩٦]:

خَلَتِ الـدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيرْ مُسَوَّدِ وَمِـنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّوْدُدِ

ومـن أعـلام التمثُّل بالشِّعر معاوية بـن أبي سفيان (ت٦٠هــ) والحسين بن علي (ت٦١هـ) -رضي الله عنهما- وهذا تمثل طريف يجمع بينهما؛ مرض معاوية مرضًا شديدًا، فجاءه الحسين يعوده، فقال معاوية: ساندوني وتجلَّد وتحامل على نفسه وتمثَّل[٩٧]:

وَتَجَـلُّـدِي لِـلـشَّـامِـتِـينَ أُرِيـهُـمُ أَنِّي لِـرَيـبِ الـدَّهْـرِ لا أَتَـضَـعْـضَـعُ

فسلَّم الحسين ثم تمثَّل:

وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا   أَلْفَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

والعرب وإن تشعبت بها المسالك، واختلفت المذاهب، فالمورد واحد؛ جمع بين الخصمين في التمثُّل قصيدة واحدة لأبي ذؤيب الهُذليِّ. وتمثُّلهما يحمل نَفَسًا سياسيًا واضحًا، ولكنه لم يجز على الاثنين، فكلاهما أعرف بصاحبه، صحيح في تمثُّله.

ومن أعلام التمثُّل بالشِّعر عبد الملك بن مروان (ت٨٦هـ)، وكان وفد الكوفة دخل عليه، فَكَلَّمَهُ رجل طويل آدم فأعجبه بيانه فتمثَّل[٩٨]:

وَإِنَّ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ   فَإِنِّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذَا المَنْكِبِ العَمَمْ

فضحك الرجل، فقال عبد الملك: رُدُّوه عليَّ، فلما سأله عن سبب ضحكه، قال: أنا عِرَار يا أمير المؤمنين، فأكرمه عبد الملك وسامره سائر يومه.

هذا بيت من قصيدة طويلة لعمرو بن شَأْس يزجر زوجه ويحذرها من الإساءة لعَرَار ابنه وفيها يقول:

أَرَادَتْ عِرَارًا بِالهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ   عِرَارًا بُنَيَّ بِالهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ
فَإِنْ كُنْتِ مِنِّي أَوْ تُرِيدِيْنَ صُحْبَتِي   فَكُونِي لَهُ كَالسَّمْنِ رُبَّتْ لَهُ الأَدَمْ

ومن الطريف توارد الشاعر والمتمثِّل على من قيل فيه البيت (عِرَار). ومن الواضح أن عبد الملك يُؤَسِّس بتمثُّله إلى أن مناحي الجمال كثيرة ومتعددة، وأفضلها اللسان والقلب؛ فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه (بيانه وجنانه)، ولله درُّ إبراهيم بن المهدي (ت٢٢٤هـ)، وكان قد خرج على المأمون (ت٢١٨هـ) فقال له المأمون هازئًا بعد أن قدر عليه: أنت الخليفة الأسود؟! فتمثَّل إبراهيم بن المهدي[٩٩]:

أَشْعَارُ عَبْدِ بَنِي الحَسْحَاسِ قُمْنَ لَهُ   عِنْدَ الفَخَارِ مَقَامَ الأَصْلِ وَالوَرِقِ
إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا   أَوْ أَسْوَدَ الجِلْدِ إِنِّي أَبْيَضُ الخُلُقِ

فقد يكون القبح جمالًا إذا صفت النفس، وطاب بها الأنس[١٠٠].

هذا عدا سلسلة من الأعلام شَهِدت لها كتب التراجم أنهم يكثرون من التمثُّل بالشِّعر، سأكتفي بالإشارة إلى بعضهم من الأندلس خاصة؛ لأن البحث دار في سائر فصوله على أعلام التمثُّل بالشِّعر في المشرق، من هؤلاء: أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية، سمعت أباها، وكانت حاضرة النادرة، سريعة التمثُّل بالشِّعر، ومن تمثُّلها لما ولي أبوها قضاء المَرِيَّة دخل داره وعيناه تذرفان لمفارقة وطنه، فأنشدته مُتمثِّلة:

يَا عَيْنُ صَارَ الدَّمْعُ عِنْدَكِ عَادَةً   تَبْكِينَ فِي فَرَحٍ وَفِي أَحْزَانِ[١٠١]

ومنهم إبراهيم بن يحيى بن محمد بن خليفة بن ينق من شاطبة ...من الأدباء والكُتَّاب، وكان يُكثر التمثُّل بالأشعار[١٠٢].

وبعد...؛

فما أكثر أعلام التمثُّل بالشِّعر! ولولا الإطالة، وخوف الملالة، لذكرتُ مئات الأعلام، وفيما ذكرت غنى وكفاية، وخلاصة القول في ذلك:

أعلام التمثُّل بالشِّعر من العرب في موضع السواد من العين؛ فزادوا الشِّعر بتمثُّلهم به عُلوًا ونفاسة ورفعة، وإن لم يَصْدُق قول الفرزدق عن العلاقة بين الشِّعر ومُنشئه[١٠٣]:

وَخَيْرُ الشِّعْرِ أَشْرَفُهُ رِجَالا   وَشَرُّ الشِّعْرِ مَا قَالَ العَبِيدُ

فإنه يَصْدُق على الشِّعر والمُتمثِّل به.

أعلام التمثُّل بالشِّعر من غير الشُّعراء، يضاهون أعلام الشُّعراء في كثرتهم وتنوعهم واختلاف مذاهبهم.

أكثرت العرب من التمثُّل بالشِّعر وأنشدته في بنات الدهر، وتسلَّت به عن النوائب، فصفت لها الأيام، وراقت لها الحياة.

المبحث الخامس

نماذج من التمثُّل بالشِّعر

تحت مجهر النقد

هذا باب قد خصصته للحديث عن التمثُّل بالشِّعر من وجهة نقدية، متناولاً مناسبة التمثُّل وأبعاده، ومُبرزًا مقوماته الجمالية والفنية، وموازنًا بينه وبين غيره من شواهد التمثُّل، ومن ذلك:

لما أرسل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي أميرًا على العراق، وقلوبها مازالت مُعلَّقة بابن الزُّبير، وأهلها يتقاعسون عن الخروج مع المُهلب بن أبي صُفرة لقتال الخوارج، فنزل الحجاج الكوفة، وقصد موكبه مسجدها، وجُمِع له الناس، فصعد المنبر واستهلَّ خطبته الشهيرة مُتمثِّلا(١٠٤):

أَنَا ابْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا ... مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

وأقول:

-لم ينفرد الحجاج بالتمثُّل بالشِّعر في أول الخطبة، فقد سبقه عبد اللّٰه بن الزبير؛ لما زاره وفد العراق في مكة، فسألهم عن أخيه مُصعب، فأثنوا عليه خيرًا، فصعد المنبر وبدأ متمثِّلا(١٠٥):

قَدْ جَرَّبُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي

مِــنْ غَـلْـوَتَــيْنِ وَمِـــنَ الْمِـئِـيْنْ
حَـتَّـى إذَا شَـابُـوا وَشَـيَّـبُـوني
خَـلَّـوْا عِـنَـاني ثُـمَّ سَـيَّـبُـوني(١٠٦)

وتمثَّـل بالبيتين نفسهما وكيـع بن حسَّان التميمي في صـدر خطبته بعد قتله قُتَيْبَة بن مُسلم سنة٩٦هجرية(١٠٧).

- امتلـك الحجـاج هذا البيـت بتمثُّله بـه، فشُهِر بـه، ولم ينازعه أحد في التمثُّل به على مرِّ العصور.
- يقـال إن الحجـاج تمثَّل حالًا تناسـب البيت، فصعد المِنـبر مُلثَّمًا، وظلَّ بُرهة صامتًا، فمنح تمثُّله حيويَّة وإثارة.
- البيت بما يشتمل عليه من مفـردات فنيَّة (أنا-ابن جلا-طلاع الثنايا) يُعبِّر عن قوة وكبرياء الأمير الطاغي.
- عزَّز الحجاج تمثُّله هذا بتمثُّل في آخر الخطبة، فشد من أزر تمثُّله الأول وعبَّر عن مراده(١٠٨):

هَـذَا أَوَانُ الـشَّـد فَـاشْـتَـدِّي زِيَمْ
قَـدْ لَـفَّـهَـا الـلَّـيْـلُ بِـسَـوَّاقٍ حُـطَـمْ
لَـيْـسَ بِـرَاعِـي إبِـــلٍ وَلَا غَـنَـمْ
وَلا بِـجَــزَّارٍ عَـلَـى ظَـهْـرِ وَضَـمْ

- مُجمـل ما وقفت علية من تمثُّل الحجاج بالشِّعـر يصوره أميرًا شَمُوسًا، صعب المَراس، ركَّاب الصعاب مع حزم وعزم(١٠٩).

ومن التمثُّـل بالشِّعر لما مات الوليد بن عبد الملك (ت٩٦هـ) وولي سليمان بن عبد الملك (ت٩٩هـ) الخلافة عزل محمّد بن القاسم الثقفي (ت٩٨هـ) عن إمارة

السِّنْـد لنقمته عليه، وولَّى عليها يزيد بن أبى كَبْشَــة السَّكْسَكِيَّ (ت٩٦هـ)، فأخذ يزيد محمدًا وحمله إلى العراق مُقيَّدًا، فقال محمد مُتمثِّلا(١١٠):

أَضَـاعُـونِي وَأَيُّ فَتًى أَضَـاعُـوا ... لِـيَـوْمِ كَـرِيْـهَـةٍ وَسِــدَادِ ثَـغْـرِ

وأقول:

- هــذا بيــت طائر وقريــب منــه في معنــاه وفي ظــروف إنشائه قــول أبي فراس(١١١):

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ ... وَفِي اللَيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

فكلاهمــا قيل في الحبس، وصاحباهما يعانيان القهر؛ بيد أن الأول قضى في حبسه، والثاني فك أسره.

- هذا البيت ملاذ المغلوبين وأنيس المقهورين؛ يدور على ألسنة المُتمثِّلين على مرِّ الزَّمن؛ تمثَّل به عبد الله بن علي لما حبسه أبو جعفر المنصور، وتمثَّل بــه جار أبي حنيفة المُغنِّي، فلما أخــذه العسس، شفع له أبو حنيفة، وقال لــه: هل أضعناك؟ و تمثَّل به كَنَّاس البصرة في حواره مع الأصمعي(١١٢)، وكان الصِّحاب كثيري التمثُّل به في زمن الشبيبة في حجرات الدراسة.

البيــت ومــا ينطوي عليه من استنــكار ظاهر، وما يشتمــل عليه من مقومات فنية (أي فتى- يوم كريهة-سداد ثغر) يصوره أميرًا فارسًا، وبطلًا محاربًا.

ومن ذلك تمثُّل سلسة من أعلام الأمة بقول بَشَامة بن الغدير:

أَذُلُّ الحَـيَـاةِ وَخِــزْيُ المَـمَاتِ ... وَكُــلًّا أَرَاهُ طَـعَـامًـا وَبِـيـلا

فَــإِنْ كَــانَ لَابُــدَّ مِــنْ وَاحِــدٍ ... فَسِيرُوا إِلَى المَوْتِ سَيْرًا جَمِيلا

وأقول:

- للّه درُّ العــرب! يؤثــرون الموت في عِزٍّ على الحيــاة في ذُلٍّ، ويرفعون شعار (المنيَّــة ولا الدنيَّــة)؛ هذه الأبيات تمثَّل بهــا الحسين رضي اللّه عنه يوم قتله، وزيد بن علي بن الحسين، ومروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وابــن لمسلمــة بن عبد الملك بن مــروان، ومحارب شجــاع (امرأة في زي رجل)، وقد بُذِل لهم جميعًا الأمان فأبوا[١١٣].

- تُــرى هل تواردهم على هذا التمثّل مــن قبيل المصادفة أم وراءه سر من الأسرار؟!

- هذا التمثُّل فيه انكسار من يشعر بقرب الهزيمة ودنو الأجل، وقريب منه تمثُّــل الخليفة المنصور (ت١٥٨هـ) حين أتاه خروج إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت١٤٥هـ) بالبصرة[١١٤]:

وَسَوْمَةُ ذُلٍ نَجْعَلُ المَوْتَ دُونَهَا   نَقُولُ بِهَا لِلْمَوْتِ أَهْلًا وَمَرْحَبَا

وأيــن هذا وذاك من قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (التوبــة: ١١١)، وقــد تدارك أبو تمام (ت٢٣١هـ) هــذا النقص في رثائه لجعفر الطائي[١١٥]:

مَثُلَ المَوْتُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالذُّلُ   وَكُلًّا رَآهُ خَطْبًا عَظِيمَا

ثُمَّ سَارَتْ بِهِ الحَمِيَّةُ قُدْمًا   فَأَمَاتَ العِدَا وَمَاتَ كَرِيمَا

فجعلــه يقتــل الأعــداء أولًا ثم يموت ثانيًــا، وما أحلى (كريمــا) التي تصور النهاية (الموت) في شمم وكبرياء، وهو المعنى النفيس نفسه الذي قصده مُصْعَب بــن الزُّبير (ت٧١هـ) وقد أبــى أن يلين بعد أن تفرَّق عنه جنــده، وقد رفض أمان عبد الملك، ولبس سلاحه وانطلق متمثِّلًا[١١٦]:

عَـلَامَ تَـقُـولُ الـسَّـيـفُ يُـثْـقِـلُ عَـاتِـقِـي ... إِذَا أَنَـا لَـمْ أَرْكَـبْ بِـهِ المَـرْكَـبَ الـصَّـعْـبَا
سَـأَحْـمِـيـكُـمُ حَـتَّـى أَمُـوتَ وَمَـنْ يَـمُـتْ ... كَـرِيـمًـا فَـلَا لَـوْمٌ عَـلَـيْـهِ وَلَا عَـتْـبَا

وأحسن من الجميع تمثُّل المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة (ت٨٣هـ) لشجاعته لمَّا لِيم على إقدامه على موارد التهلكة(١١٧):

تَـأَخَّـرْتُ أَسْـتَـبْـقِـي الحَـيَـاةَ فَـلَـمْ أَجِـدْ ... لِـنَـفْـسِـي حَـيَـاةً مِـثْـلَ أَنْ أَتَـقَـدَّمَـا

وهذا تمثُّلٌ أوردته لجودة معناه وعظيم نفعه، وما ينطوي عليه من معنى نفيس: كان قيس بن منقد الكناني (ت ق.هـ) يهوى نُعْمَى الخُزاعية، ولمَّا دعته في يوم زينة للمحادثة، ذبح لها وللنسوة معها، فلما أَكَلْنَ وقُمْنَ ترك الفاضل من الطعام على الأرض ثم تمثَّل(١١٨):

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلطَّيْرِ فِي زَادِ [عُزوَةٍ](١١٩) ... نَـصِـيـبٌ فَـلَـيْـسُـوا فِي الـوَرَى بِـكِـرَامِ

وأقول:

- هذا تمثُّل طريف رائع شعاره (وللطير من زاد الكرام نصيب)، وهو يفيض بالتعاطف والألفة بين الإنسان والطير والحيوان، وهو يتوافق أيما توافق مع الإسلام، قال تعالى حكاية عن سليمان والنملة: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ (النمل: ١٩)، وسبحان من أمَّن الطير في بلده الحرام! وهدي نبيه صلى الله عليه وسلّم يفيض رحمة بالحيوان.
- هذا التمثُّل ليس ضربًا من الخيال في عالم البشر؛ فقد كان عبد المطلب جد النبي الأكرم يطعم الناس، ويفيض كرمه، فيطعم الوحش والطير في قُلَل الجبال(١٢٠)، ومن مفاخر العرب مُجِير الطَّير، ومُجِير الجَرَاد(١٢١)، ولله درُّ عمرو بن العاص! حين عششت قُمْرِيَّة على فُسطاطه فقال: تحرَّمَتْ بجمانا دعوها حتى تطير فراخها(١٢٢)، وكان فخر الدين الرازي محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ) يُلقي درسًا في المسجد في خوارزم فدخلت

حمامة يطردها عقاب، فاحتمت بالرازي، فعصمها وعطف عليها، فقال ابن عُنَيْن (ت٦٣٠هـ) -وكان حاضرًا- على البديهة[١٢٣]:

مَنْ نَبَّأَ الوَرْقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ ... حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلخَائِفِ
وَفَدَتْ عَلَيْكَ وَقَدْ تَدَانَى حَتْفُهَا ... فَحَيَوْتَهَا بِبَقَائِهَا المُسْتَأنَفِ
وَلَوَ انَّهَا تُحْبَى بِمَالٍ لانْثَنَتْ ... مِنْ رَاحَتَيْكَ بِنَائِلٍ مُتَضَاعِفِ

ومن تلك الصور لما قَتَل أشأم العرب عبيد الله بن زياد (ت٦٧هـ) الحسين ابن علي رضي الله عنه، وحُمِلَت الرأس الشريف إلى يزيد بن معاوية تمثَّل[١٢٤]:

يُفَلِّقْنَ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ ... عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

وكان في الأسرى علي بن الحسين رضي الله عنه فقال: كلام الله أولى بك ثم تمثَّل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الحديد: ٢٢-٢٣).

فعبث يزيد بلحيته ثم تمثل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ (الشورى: ٣٠).

وأقول:

- التمثُّل مورد عذب تزاحم فيه المعجزان (القرآن والشِّعر)، وتعاقبا في كثير من المشاهد، يأتي القرآن أولًا ويأتي الشِّعر تاليًا، ومن مواضع اجتماعهما: ما دار بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأسود بن يَعْفُر، وتوارد الاثنان على لسان عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب[١٢٥].
- كلا المُتمثِّلين يرمي لغاية تقابل غاية صاحبه، ولمَّا كان القرآن أعلى منزلة وأجل مقامًا عَدَل يزيد إلى التمثُّل بالقرآن ليتكافأ مع تمثُّل صاحبه.

- وهذا تمثُّل رائع من معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنه في ساحة الموت؛ حيث النقص، والشعور بالعجز؛ مصيبة لا تُدفَع، ونازلة لا تُرفَع(١٢٦):

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ النُّعْمَانَ عَنِّي ... عَلَانِيَةً وَمَا يُغْنِي السِّرَارُ
فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ إِمَّا هَلَكْنَا ... وَهَلْ بِالمَوْتِ يَا لَلنَّاسِ! عَارُ

والغاية من هذا التمثل واضحة، رفع النقص المحتوم في موضع الكمال المعلوم، وقريب منه تمثل علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه وأبي العباس السفاح(١٢٧):

وَمَا مَيْتَةٌ إِنْ مِتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ ... بِعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسَ غَوْلُهَا

وقريب منهم تمثُّل الحسين بن علي رضي اللّه عنه يوم قتله بكربلاء(١٢٨):

فَلَوْ خَلَدَ المُلُوكُ إِذَنْ خَلَدْنَا ... وَلَوْ بَقِيَ الكِرَامُ إِذَنْ بَقِينَا
إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُنَاسٍ ... كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا ... سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

لا شماتة في الموت، وللّه درُّ لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) حين قُدِّم للقتل، وسط شانئيه وحُسَّاده فقال(١٢٩):

بَعُدْنَا وَإِنْ جَاوَرَتْنَا البُيُوتْ ... وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتْ
وَكُنَّا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا ... وَكُنَّا نَقُوتُ فَهَا نَحْنُ قُوتْ
فَقُلْ لِلْعِدَا ذَهَبَ ابْنُ الخَطِيبِ ... وَفَاتَ، وَمَنْ ذَا الذي لَا يَفُوتْ
وَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ ... فَقُلْ يَفْرَحُ اليَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتْ

الأبيات تحتوى على بعض مظاهر العظمة (النعمان-هلكنا)، وبعض مظاهر الحيرة (هل-هل-يا للناس)، وهو ما يناسب الخليفة والمُصاب.

وخلاصة القول في ذلك:

تنوعت مناحي الجمال في التمثُّل بالشِّعر؛ فمنها ما يرجع إلى ما في الشِّعر

مـن خيـال وجمال يوم إنشائـه، ومنها ما يرجـع إلى المناسبة بـين الحالين؛ يوم إنشائه ويوم إنشاده، وثمة قيم جمالية أخرى يفرضها تصرُّف المُتمثِّل في الشِّعر، وظروف الاستدعاء، وطرق الأداء.

الخاتمة

الحمـد لله الـذي بفضله تتـمُّ الصالحات، وأصلـي وأسلم علـى خير خلقه وأفضل رسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه... وبعد؛

فأرجـو بعد هذا العرض أن أكون قد نجحتُ في تسليـط الضوء على التمَثُّل بالشِّعـر، ووفيـتُ في الحديـث عن حـدوده وأبعـاده، وأصبتُ في عرض قضاياه الموضوعية والفنيَّة، وتلك أهم النتائج التي توصَّل إليها البحث:

١. التمثُّل بالشِّعر ظاهرة أدبية واجتماعية نشأت من بدايات الشِّعر العربي، وامتدَّت عبر عصوره المختلفة.

٢. التمثُّـل بالشِّعـر صورة مـن صور تأثـير الشِّعر في المجتمـع، ومعيار من معايـير نجاح العمـل الأدبي، ووجه من وجـوه القـراءة التأويليَّة المُعلنة والمشروعة للشِّعر العربي.

٣. التمثُّـل بالشِّعر فن أدبي خاص بالمتلقي، يشـترك به الناس مع الشعراء في نظم الشِّعر.

٤. إذا كانـت أغراض الشِّعر تنحصـر في بضعة أغراض لا تتعداها فإن أغراض التمثُّل في كثرتها وتنوعها تتخطاها.

٥. إذا كان الشِّعـر يُعـبِّر عن وجدان الشُّعراء وأغراضهـم فإن التمثُّل يُعبِّر عن آمال غير الشُّعراء وآلامهم.

٦. أعــلام التَّمـثُّـل بالشِّعــر نبـض الشِّعــر، وشُريــان حياته، وســر شهرته وانتشاره؛ فكم من بيت عُرِف بمنشده ولم يعرف بمنشئه.

٧. إذا شابت عاطفة الشاعر يومًا رغبة التكسب والنَّوال فقد سلمتْ عاطفة المُتمثِّل من الزيف وطلب المال.

٨. التمثُّــل بالشِّعر كالشِّعر يــوم أن بدأ؛ أبيات ينشدهــا الرجل في حاجته، ويتمثَّل بها في خاصته.

٩. الشِّعر في التمثُّل يصير ملكًا للمُتمثِّل به، فمن حقِّه أن يُحوِّله عن غرضه الذي قيل فيه، وأن يتصرَّف فيه بالتغيير والتبديل على ما يناسبه.

١٠. مــن الأخطــاء الشائعة التي يجــب أن تُصحَّح في النقــد الحديث تسمية التمثُّل بالشِّعر في فنون النثر تضمينًا.

١١. آمــل بعد هــذه الدراسة أن يلقى التمثُّل بالشِّعــر عناية أكثر، وأن يحظى بدراســات تكشــف عن أبعــاده، وأن يغــدو عنوانًــا من عناويــن الأدب، وموضوعًا من موضوعات النقد.

فهرس المصادر والمراجع

- الاختيارين، الأخفش الأصغر، تح: فخر الدين قباوة، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- أساس البلاغة للزمخشري، ط-دار الفكر، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
- الأشباه والنظائر للخالديين، أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم، تح: السيد محمد يوسف-ط لجنة التأليف.
- أشعار الهذليين أبي سعيد السُّكري، تح: عبد الستار أحمد فراج، ط مطبعة المدني.
- الأصمعيــات، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هــارون، ط٧، دار المعارف. مصر١٩٩٣م.

- إعتـاب الكتاب، ابن الأبـار القضاعي، تح: صالـح الأشتر، ط١، مجمـع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.
- الأعلام، الزركلي، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٠م.
- الأمالي للقالي، تح: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط٢، دار الكتب المصرية، ١٣٤٤ه.
- الأمثـال، ابـن سلام الهـروي، تح: عبد المجيـد قطامشـ، ط١، دار المأمـون للتراث، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- أنسـاب الأشراف، البلاذري، تح: سهيـل زكار وآخرين، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
- أنساب الخيل لابن هشام الكلبي، تح: أحمد زكي باشا، ط دار الكتب المصرية، ١٤٢٤هـ.
- أنـوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، تح: شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
- إيضاح المكنون، إسماعيل باشا البغدادي، ط دار إحياء التراث العربي.
- البدايـة والنهاية، ابن كثير، تح: علي شـيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م.
- بلاغـات النساء، أحمـد بن أبي طاهر بن طيفور، مطبعة مدرسـة والدة عباس الأول، القاهرة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م.
- البيـان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هـارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٨٨م.
- تاريـخ آداب العـرب، مصطفـى صـادق الرافعـي، ط١، دار ابن الجـوزي، القاهرة، ٢٠١٠م.
- تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، عنى بنشره عزت العطار، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- تزيين الأسواق، داود بن عمر الأنطاكي، تح: محمد التونجي، ط١، عالم الكتب بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- التعازي والمراثي، المبرد، تح: إبراهيم محمد حسن الجمل، ط نهضة مصر.
- التعليقات والنوادر، أبو علي الهجري، ترتيب حمد الجاسر، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- التكملـة لكتـاب الصلة، ابن الآبار القضاعي، تح: عبد السـلام الهراس، ط دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، تح: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، ط١، مؤسسة قرطبة، مصر، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- التمثُّل بالشِّعر، دكتور محمد بن إبراهيم الحمد، ط١، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ-٢٠١٨م.
- التمثيل والمحاضرة، الثعالبي، تح: د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الحُميدي، ط الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٦م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني، تح: محمد مرسي الخولي، ط١، عالم الكتب، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- جمهرة أشعار العرب، القرشي، تح: علي محمد البجاوي، ط نهضة مصر.
- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.
- الحماسة البصرية، أبو الفرج علي بن الحسن البصري، تح: عادل سليمان جمال، ط١، مكتبة الخانجي، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ط١، دار الكتب، العلمية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- حلية المحاضرة، الحاتمي، تح: جعفر الكتاني، ط دار الرشيد، العراق، ١٩٧٩م.
- حياة الحيوان الكبرى، الدميري، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ.
- الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.
- ديوان الأخطل، صنعة السكري، تح: د. فخر الدين قباوة، ط٤، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.
- ديوان الأعشى، تح: محمد حسين، ط مكتبة الآداب بالجماميز.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تح: الدكتور محمد عبده عزام، ط٤، دار المعارف، مصر.
- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تح: د. نعمان محمد أمين طه، ط٣، دار المعارف، مصر.

- ديـوان الحطيئـة برواية ابـن السكيت، تح: د. مفيـد محمد قميحـة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ديوان سُحَيم، تح: عبد العزيز الميمني، ط دار الكتب المصرية، ١٣٦٩هـ -١٩٥٠م.
- ديوان شكيب أرسلان، تصحيح: محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، ١٣٥٤هـ-١٩٣٥م.
- ديـوان طرفة بن العبـد بشرح الأعلم الشنتمري، تح: دريـة الخطيب ولطفي الصقال، ط٢، المؤسسة العربية. بيروت٢٠٠٠م.
- ديـوان عبد الله بن رواحة، وليد قصـاب، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ديوان أبي العتاهية، ط دار بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ديـوان عمرو بـن كلثوم، جمع وتح: إميل بديع يعقوب، ط دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ديوان ابن عنين، تح: خليل مردم بك، ط٢، دار صادر، بيروت.
- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح: خليل الدويهي، ط٢، دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ديوان الفرزدق، تعليق: علي فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.
- ديـوان كعب بـن زهير بشرح أبي سعيد السكـري، ط٣، دار الكتب المصرية، ١٤٣٢هـ-٢٠٠٢م.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تح: إحسان عبا، ط وزارة الإرشاد الكويت، ١٩٦٢م.
- ديـوان ابن نُباتـة السعدي، تح: عبد الأمـير مهدي حبيب الطائـي، ط وزارة الإعلام. العراق، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- ديوان ابن هانئ الأندلسي، ط دار بيروت للطباعة والنشر،١٩٨٠م.
- سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرين، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- السنـن المأثـورة، الشافعي، تح: عبد المعطـي أمين قلعجـي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- سـير أعلام النبلاء، الذهبي، تح: شعيب الأرنـاؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
- شـذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، تح: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

- شـرح التسهيل، محب الدين محمـد بن يوسف التميمي، تح: محمـد العزازي، ط دار الكتب العلمية.
- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، تح: أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- شرح ديوان زهير، ثعلب، تح: فخر الدين قباوة، ط٣، مكتبة هارون الرشيد، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
- الشِّعـر والشعـراء، ابن قتيبة، تح: أحمـد محمد شاكـر، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- صبح الأعشى، القلقشندي، تح: يوسف علي طويل، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزمخشري، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ.
- رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها للمبرد ضمن نوادر المخطوطات، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- رفع الإصر عن قضاة مصر، ابن حجر العسقلاني، تح: الدكتور علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الروض المعطـار في خبر الأقطار، الحميري، تح: إحسان عبـاس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م.
- زهـر الآداب وثمر الألبـاب، الحصري، تح: يوسف على طويـل، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
- زهـر الأكم في الأمثال والحكم، اليوسي، تح: محمـد حجي ومحمد الأخضر، ط١، دار الثقافة، المغرب، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
- العقد الفريد، ابن عبدربه، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- العقـود اللؤلؤيـة في تاريـخ الدولة الرسوليـة، علي بن الحسن بن أبـي بكر بن الحسن الخزرجـي، تح: محمد بسيوني عسـل وآخريـن، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
- العمدة، ابـن رشيق، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- العين، الخليل بن أحمد، تح: مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، ط مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة، تح: منذر محمد سعيد أبو شعر، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- الفرج بعد الشدة، التنوخي، تح: عبود الشالج، ط دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- قراءة التراث النقدي، جابر عصفور، ط١، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ١٩٩١م.
- قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط مكتبة الكليات الأزهرية.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي، مصر، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ط ١٩٤١م.
- لسان العرب، ابن منظور، ط دار صادر، بيروت.
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية ٢٠٠٢م.
- مجالس ثعلب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار المعارف، مصر.
- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.
- مجمع الأمثال، الميداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- مختصر صحيح البخاري، الألباني، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- المزهر في علوم اللغة، السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط٣، مكتبة دار التراث، مصر.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

- معجــم الشعــراء، المرزباني، تح: عبــد الستار أحمد فــراج، ط الهيئــة العامة لقصور الثقافة.
- معجــم المؤلفــين، عمــر بن رضا كحالــة، ط مكتبة المثنــى، بــيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- معجــم المعــالم الجغرافيــة في الســيرة النبوية، عاتق بــن غيث، ط١، دار مكــة للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- المنتظــم في تاريــخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفــرج بن الجوزي، تح: محمد عبد القــادر عطــا ومصطفى عبد القادر عطــا، ط١، دار الكتب العلميــة، بيروت، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
- مواد البيان، علي بن خلف، تح: حسين عبد اللطيف، ط جامعة الفاتح، ليبيا، ١٩٨٢م.
- نقد النثر، قدامة بن جعفر، ط دار الكتب العلمية،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- نــوادر المخطوطات، تح: عبد السلام محمــد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ -١٩٩١م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، تح: مفيد قمحية، ط١، دار الكتب العلمية.
- وحــي القلم، مصطفى صــادق الرافعي، تح: سعد كريم، ط مكتبــة الإيمان المنصورة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تح: إحسان عباس، ط دار صادر. بيروت.

الهوامش

(١) ينظر: مادة (م ث ل) في معجم العين، الخليل بن أحمد، تح: مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، ط مؤسســة دار الهجــرة، ١٤٠٩هـ. أساس البلاغة للزمخشــري، ط دار الفكر ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م، لســان العرب لابــن منظور، ط دار صادر، بيروت، وبيت جريــر في ديوانه بشرح محمد بن حبيب، ٥٢/١، تح: د. نعمان محمد أمين طه، ط٣، دار المعارف، مصر.

(٢) ينظــر: سنن الترمــذي، الترمذي، ١٣٩/٥، تح: أحمد محمد شاكر وآخرين، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، وبيت طرفة في الشِّعر والشعراء، ابن قتيبة، ١٩٢/١، تح: أحمد

محمـد شاكر، ط١، دار الحديـث. القاهرة، ١٤١٧هــ١٩٩٦م، وديوانه بشرح الأعلـم الشنتمري، ص٥٨، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، ط٢، المؤسسة العربية، بيروت،٢٠٠٠م.

(٣) ينظر في ذلك: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ١٠/١٠، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٠م، والبيـت لدُريـد بن الصِّمة، ينظر: الأصمعيات، الأصمعي، صـ١٠٧، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط٧، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣م، والشِّعر والشعراء، ٢/٧٥٠.

(٤) أمة سوداء مسكينة، ظلمها قومها، وجاروا عليها؛ فهاجرت إلى المدينة وأسلمت، وجعل لها الرسول خِبـاءً في المسجـد، ماتت ليـلاً فدفنتها الصحابة، فلمـا علم رسول الله، ذهب إلـى قبرها، وصلى عليهـا. ينظـر: مختصر صحيـح البخـاري، ١/١٦٤، الألبـاني، ط١، مكتبة المعـارف، الرياض، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٥) ينظر في ذلك: مختصر صحيح البخاري١/١٥٩.

(٦) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ١/١١٩، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ–١٩٨٨م، وينظر في أبيات ابن رواحة: ديوان عبد الله بن رواحة، تح: وليد قصاب، ص١٥١، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ–١٩٨١م مع اختلاف يسير.

(٧) الثواء: طول المقام. لسان العرب (ث و ا).

(٨) بعل: كل زرع أو شجر لا يُسْقَى. لسان العرب (ب ع ل).

(٩) الصحيـح أن عقيلاً ابنُ بـلال، وليس العكس. ينظر: معجم الشعـراء للمرزباني، ص٧٨، تح: عبد الستـار أحمـد فراج، ط الهيئة العامة لقصـور الثقافة. مصر، العمـدة: ٢/٣٠٧، والبيت منسوب لعمـارة بن عقيـل بن جريـر (ت٢٣٩هـ) ينظر: شـرح التسهيـل، محب الدين محمـد بن يوسف التميمي، ٣/٤٧٩، تح: محمد العزازي، ط دار الكتب العلمية.

(١٠) ينظـر: بلاغـات النساء، أحمد بن أبي طاهر بـن طيفور، ص١٦٣، مطبعـة مدرسة والدة عباس الأول، القاهـرة ١٣٢٦هــ – ١٩٠٨م، وممن تمثَّل بشعره هشام بن عبد الملـك، ولم يكن له إلا بيت واحد، فكان يكثر التمثل به:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الهَوَى قَادَكَ الهَوَى   إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ

ينظر: أنساب الأشراف٨/٣٧٥.

(١١) صحيح مسلم، ٤/١٧٩٠، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٢) تشهـد كثـيرٌ من مواطن ذكر التَّمثُّل–كما سيأتي– أنـه (أي التَّمثُّل بالشِّعر) انفجار وهلي مفاجئ بـدون إعـداد مسبق –كأنه إلهـام– استجابة لموقف طارئ. وهو بذلك يتشابه مـع إنشاء الشِّعر في طريقة استدعائه إلى حدٍ بعيد، وخصوصًا شعر البديهة والارتجال.

(١٣) قراءة التراث النقدي، جابر عصفور، ص٩٧، ط١، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ١٩٩١م.

(١٤) ينظر: قراءة التراث النقدي ص٥٤.

(١٥) الحيوان، الجاحظ، ١٠٤/٢، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

(١٦) المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ٤٨٦/١، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط٣، مكتبة دار التراث. مصر، ويتفق العلماء على هذا التعريف ضمنًا أو صراحة. ينظر في ذلك: مجمع الأمثال، الميداني، ١/١، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان، وزهر الأكم في الأمثال والحكم، اليوسي، ٢/١، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط١، دار الثقافة، المغرب، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، وقصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي، ص٢٦١، ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(١٧) لسان العرب مادة (ر و ي).

(١٨) أبو عبد الله سَوَّار بن عبد الله بن قدامة العَنْبَرِيّ التَّمِيمِيّ قاضي البصرة، روى عن بكر بن عبد الله والحسن البصري، تولى قضاء البصرة لأبي جعفر المنصور، فكان دينًا عادلًا محمود السيرة، قال له المنصور: مُلِئت بك الأرض عدلًا، ولما قضى لتاجر على أحد قادة المنصور في أرض، وكان المنصور كتب إليه أن يدفعها لقائده فأبى، فقال المنصور: ملأتُها والله عدلا، صار قضاتي تردني إلى الحق. توفي رحمه الله سنة ١٥٦هـ. ينظر في ترجمته: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ٢١٣/٤، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م.

(١٩) ينظر: الأغاني ١٦/١٣ بتصرف يسير.

(٢٠) لسان العرب مادة (ن ش د).

(٢١) فرَّق ابن قتيبة بين الغناء والتمثُّل، فذكر ما يُتمثَّل به من شعر امرئ القيس ثم قال: (ومما يتغنى به من شعره: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة،١١٣/١، تح: أحمد محمد شاكر، ط١، دار الحديث. القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٢٢) العمدة لابن رشيق، ٨٤/٢، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، وجعله الحاتمي مقياسًا للاجتلاب والاستلحاق. ينظر: حلية المحاضرة، الحاتمي، ٥٩/٢، تح: جعفر الكتاني، ط دار الرشيد، العراق، ١٩٧٩م.

(٢٣) البيان والتبيين، الجاحظ، ١٨٨/١، تح: عبد السلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٨٨م، وتابعه في هذ القول قدامة بن جعفر في نقد النثر، وعلي بن خلف في مواد البيان والقلقشندي في صبح الأعشى. ينظر: نقد النثر، قدامة بن جعفر، ص٩٧، ط دار الكتب

العلمية١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ومواد البيان، علي بن خلف، ١٢٣، تح: حسين عبد اللطيف، ط جامعة الفاتح. ليبيا ١٩٨٢م، وصبح الأعشى، القلقشندي، ٢٩٩/٦-٢٩٥-٢٩٦، تح: يوسف علي طويل، ط١ دار الفكر، دمشق ١٩٨٧م. وذكر أبو الفرج أمثلة تؤكد ذلك. ينظر على سبيل المثال: الأغاني ٢٢/٢١.

(٢٤) الاختياريـن، الأخفش الأصغر، ص٣٢٣، تح: فخر الدين قباوة، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٢٥) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجُمحي، ١٠٤/١، تح: محمود محمد شاكر، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة. مصر، ديوان كعب بن زهير بشرح أبي سعيد السكري، ص٦٠، ط٣، دار الكتب المصرية١٤٣٢هـ-٢٠٠٢م مع اختلاف يسير، واخترت رواية (طبقات فحول الشعراء) في المتن لسلامة مرجع الضمائر فيها.

(٢٦) ديوان الفرزدق، ص٤٩٣، تعليق على فاعور، ط١، دار الكتب العلمية. بيروت١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، وينظر نموذج آخر ص٤٢٢.

(٢٧) الأعشيان: أعشى قيس وأعشى باهلة. ومرقش: هو المرقش الأكبر عوف بن سعد بن مالك. وأخو قضاعة: أبو الطَّمَحَان القَيْنِيِّ.

(٢٨) من ذلك قول جرير (ت١١٠هـ):

تَقُولُ ذَاتُ الطَّرْفِ الهَفْهَافِ ... وَالرِّدْفِ وَالأَنَامِلِ اللِّطَافِ
إِنَّكَ مِنْ ذِي غَزَلٍ لَجَافِ ... ذَهَبْتَ فِي تَمَثُّلِ القَوَافِ

وقول الخُرَيميِّ (ت٢١٢هـ) واصفًا شعره:

مِنْ كُلِّ غَائِرَةٍ إِذَا وَجَّهْتُهَا ... طَلَعَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ كُلَّ نِجَادِ
طَوْرًا يُمَثِّلُهَا المُلُوكُ وَتَارَةً ... بَيْنَ النَّدِيِّ تُرَاضُ وَالأَكْبَادِ

وقول أبي تمام (ت٢٣١هـ) في شعره:

وَيُزْهَى لَهُ قَوْمٌ وَلَمْ يُمْدَحُوا بِهِ ... إِذَا مَثَلَ الرَّاوِي بِهَا أَوْ تَمَثَّلا

وقول ابن هانئ الأندلسي (ت٣٦٢هـ):

ولَمَّا شَهِدْتَ مِنَ الوَقَائِعِ إِنَّهَا ... أَبْقَى مِنَ الشِّعْرِ الَّذِي يُتَمَثَّلُ

وقول ابن نُباتة (ت٤٠٥هـ) في مدح بهاء الدولة:

وَكَمْ مِثْلِهَا لِي فِيكَ مِنْ مُتَمَثِّلٍ ... وَبَيْتٍ شَرُودٍ لَا يَزَال يُغِيرُ

وقول شكيب أرسلان (ت١٣٦٦هـ) في رثاء أحمد شوقي:

يَتَمَثَّلُ العَصْرُ الحَدِيثُ بِشِعْرِهِ ... حَقَّ التَمَثُّلِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِه

وَلَرُبَّ بَيْتٍ يَستَقِلُّ بِجُمْلَةٍ تُغْنِى عَنِ التَّارِيخِ فِي صَفَحَاتِهِ

ينظـر في ذلك على الترتيب: ديوان جرير بشـرح محمد بن حبيب١/٧٣٣، الأشباه والنظائر للخالديين، أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم، ٢٢٦/١، تح: السيد محمد يوسف، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر١٩٦٥م، وديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، ٣/١١٠، تح: الدكتور محمد عبده عزام، ط٤، دار المعارف. مصر، وديوان ابن هانئ الأندلسي، ص٢٨٨، ط دار بيروت للطباعة والنشر١٩٨٠م، وديوان ابن نُباتة السعدي، ٢/٤٢٤، تح: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، ط وزارة الإعـلام. العراق١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، وديوان شكيب أرسلان، صـ٨٤، تصحيح: محمد رشيد رضا، مطبعة المنار١٣٥٤هـ-١٩٣٥م، هذا عدا أشعار كثيرة تتحدث عن التمثُّل أعرضتُ عنها صفحًا؛ لأن الشعراء قصدوا فيها التمثُّل عمومًا دون أن يخصُّوه بالشِّعر.

(٢٩) الكامل ٢/١١٣، والأبيات للَقِيط بن مَعْمَر في الشِّعر والشعراء ما عدا البيت الثاني. ينظر: الشعر والشعراء١/٢٠١.

(٣٠) العقد الفريد٣/٣٣٩، والأبيات لعمرو بن براقة. الأشباه والنظائر للخالديين٢/٢٠٣.

(٣١) الأشباه والنظائر للخالديين٢/٣٣٤، والأبيات منسوبة للحطيئة في الأشباه والنظائر، والبيت الأول والثـاني في ديوانه برواية ابن السكيت، ص١٤٩، تح: مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٣٢)ينظـر: زهـر الآداب وثمـر الألباب، الحصـري، ٢/٤٢، تح: يوسـف على طويـل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(٤٤) ينظـر: زهـر الآداب٢/٤٢، والأبيـات في جمهـرة أشعار العـرب لمحمد بن كعب بـن سعد الغَنَوي مـع اختلاف يسـير. ينظر: جمهرة أشعار العـرب، القرشي، ص٥٥٦ وما بعدهـا، تح: علي محمد البجاوي، ط نهضة مصر.

(٣٤) موقعـة حربية بين يزيد بن معاوية وأهل المدينة سنة٦٣هجرية، خرجوا على يزيد، وطردوا واليه؛ بسبب جوره وقتله الحسين، وانتصر جيش يزيد، ونكَّل ببعض الصحابة. ينظر في ذلك: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣/٣٢٤، تح: شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة. ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

(٣٥) العقـد الفريـد، ابن عبد ربه، ٥/٣٤٤، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، والأبيات لعمرو بن كلثوم. ينظـر: ديـوان عمـرو بن كلثـوم، ٧٨-٩٠، جمـع وتح: إميل بديع يعقـوب، ط دار الكتـاب العربي، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٣٦) أمالي القالي ١/١١، والأبيات لقيس بن رفاعة الواقفي. ينظر: الحماسة البصرية، أبو الفرج علي بن الحسن البصري، ١/١٠٤، تح: عادل سليمان جمال، ط١، مكتبة الخانجي، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣٧) إعتاب الكتاب، ابن الأبار القضاعي، ص١٠٢، تح: صالح الأشتر، ط١، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، والأبيات منسوبة للحسن بن رجاء الكاتب. المصدر نفسه ص ٩١.

(٣٨) إعتاب الكتاب ص١٦٤، والبيتان لأبي الجهم يخاطب نجاح بن سلمة عامل المتوكل. ينظر: عيون الأخبار٢/٥١٧، والشطر الثاني من البيت الأول فيه: فَضْلُكَ مَأْوَى لِلصَّفْحِ وَالمِنَنِ، وبه يصح الوزن.

(٣٩) أبو الحسن جعفر بن عثمان المعروف بابن المُصحفي، عالم شاعر، كان وزيرًا وحاجبًا للحكم المستنصر بالله(ت٣٦٦هـ)، وحاجبًا لابنه هشام المؤيد، حتى استولى المنصور بن أبي عامر(ت٣٩٣هـ) على الأمور، وشاركه في الوزارة لمكانته من صبح أم هشام المؤيد، فنكب جعفرًا، وحبسه وقتله سنة ٣٧٢هجرية. ينظر: جذوة المقتبس ص١٨٧.

(٤٠) إعتاب الكتاب ص٩٥، والأبيات لعلي بن الجهم. ينظر: الأغاني١٠/٢٢٨ خالية من البيت الأخير.

(٤١) غاية ما نُقل عنه أنه تميم بن جميل السدوسي، كان أقام على شاطئ الفرات، ودعا لنفسه، فاجتمع إليه كثير من الأعراب، وعظم أمره، فوكل به المعتصم مالك بن طوق، فظفر به، وحمله إليه موثقًا، فأحسن الاعتذار، فعفى عنه المعتصم وأحسن إليه. ينظر في ذلك: زهر الآداب٢/١٨٠.

(٤٢) ينظر: العمدة١/١٩٥، والأبيات ترد في المصادر بين الإنشاء والتمثُّل. ينظر: الفرج بعد الشدة، التنوخي، ٤/٩٠، تح: عبود الشالجي، ط دار صادر. بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(٤٣) الأمثال، ابن سلام الهروي، ص٣١٧، تح: عبد المجيد قطامش، ط١، دار المأمون للتراث ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠م، ولم أقف على نسبة البيت.

(٤٤) حَمَل: هو حمل بن بدر الفزاري أحد أبطال حرب (داحس والغبراء)، وكان وضع كمينًا يصد به داحس عن الغاية، ويضمن فوز الغبراء فرس أخيه حُذيفة بن بدر، فهاجت الحرب أربعين عامًا، قتله قيس بن زهير العبسي. ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي حماسية رقم٤٤-١/٢٠٣-٤٢٩ حماسية رقم١٤٧، تح: أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط١، دار الجيل١٤١١هـ -١٩٩١م.

(٤٥) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٣/١٤٩، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، والشعر منسوب لطرفة بن العبد. ينظر: الشعر والشعراء١/١٨٨.

(٤٦) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢/٢٤٨، تح: إحسان عباس، ط دار صادر. بيروت، والبيت منسوب للأخطل. ينظر: طبقات فحول الشعراء١/٤٩٣، والبيت في ديوان الأخطل صنعة السكري، ص١١٠، تح: فخر الدين قباوة، ط٤، دار الفكر. دمشق١٩٩٦م.

(٤٧) ينظر: التعازي والمراثي، المبرد، ص٢٦٢، تح: إبراهيم محمد حسن الجمل، ط نهضة مصر، ولم أقف على نسبة الأبيات لغير بلال.

(٤٨) فخ ومجنة: موضعان في مكة. شامة وطفيل: جبلان في مكة.

(٤٩) الأغاني٢١/٣٠٥، والبيت منسوب لأبي العتاهية. ينظر: ديوان أبي العتاهية، ص١٦٨، ط دار بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، والبيت ليس له؛ لأن الحسن البصري مات قبل أن يولد أبو العتاهية بعشرين عامًا.

(٥٠) ينظر: التعليقات والنوادر، أبو علي الهَجَريِّ، ص٩٢٠، ترتيب: حمد الجاسر، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(٥١) زهر الأكم في الأمثال والحكم١/٥٠، وأبيات أبي كبير في: شرح أشعار الهذليين٣/١٠٧٣.

(٥٢) وفيات الأعيان١/٢٤٤، والبيتان لأبي الأسود الدؤلي. ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ٤/١٤٧٣، تح: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٥٣) إعتاب الكتاب ص١٧٨، والبيتان منسوبان لأبي العتاهية. ينظر: ديوان أبي العتاهية ص٣٥.

(٥٤) أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ القرطبي الأندلسي، الإمام المجود، الحافظ المحقق، سمع بالأندلس ثم رحل إلى المشرق فأخذ العلم بمصر وبغداد، وعاد إلى الأندلس فظل يحدث بها وينشر العلم إلى أن مات سنة٣٧٦هـ. ينظر في ترجمته: تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، عنى بنشره عزت العطار، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(٥٥) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الحُميدي، ص١٠٧، ط الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٦م، والبيت لمجنون ليلى. ينظر: ديوان مجنون ليلى، ص٢١٠، تح: عبد الستار أحمد فراج، ط مكتبة مصر.

(٥٦) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج بن الجوزي، ١٣/٢٧، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية. بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، والبيتان منسوبان لدعبل بن علي الخزاعي. ينظر: ديوان دعبل.

(٥٧) ينظر: العقد الفريد٢/٢١، ٤/١٤٠.

(٥٨) ينظر طبقات فحول الشعراء:١/١٤٠-١٤١-٢٤٤، ٢/٧١٠.

(٥٩) ينظر الشعر والشعراء ١/١١٢-١٤٠-١٦٠-١٦٢-١٨٣-١٨٧-١٩٨-٢٣٩-٢٥٦-٢٦٩-٣١٠-٣٢٣-٣١٨-٣٦٢-٤٢١-٥١٣، ٢/٦٤١-٦٤٧-٧٢٢-٧٢٤-٧٢٦-٨١٩-٨٧٨-٨٧٩.

(٦٠) الشعر والشعراء١/١١٢، وكان هذا نهجه غالبًا في سائر الشواهد.

(٦١) ينظر العمدة: ١/٢٨٢، وبيت النابغة في طبقات فحول الشعراء١/٥٦، والشعر والشعراء١/١٥٩.

(٦٢) العمدة١/١١٨.

(٦٣) ينظر: رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها للمبرد ضمن نوادر المخطوطات،

ص١٧٩، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل. بيروت١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٦٤) رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها في نوادر المخطوطات ص١٨٤-١٨٨-١٨٥، وينظر في الأبيات على الترتيب: شرح ديوان زهير لثعلب، ص٥٤، تح: فخر الدين قباوة، ط٣، مكتبة هارون الرشيد، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م، والشعر والشعراء١/٤١٠، ٢/٧٢٦.

(٦٥) ينظر: أبيات الاستشهاد لأحمد بن فارس ضمن نوادر المخطوطات على الترتيب، ص١٦٣-١٦٦، والأبيات لزهير ومجهول والفرزدق. ينظر فيها على الترتيب: شرح ديوان زهير لثعلب ص٥١، وعيون الأخبار، ابن قتيبة، ٢/٦٣، تح: منذر محمد سعيد أبو شعر، ط١، المكتب الإسلامي. بيروت ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، وديوان الفرزدق ص٣٩٣.

(٦٦) ينظر: التمثيل والمحاضرة، الثعالبي، ص٤٥، تح: د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، الدار العربية للكتاب١٩٨٣م.

(٦٧) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ١/٧٨١، ط١٩٤١م، وورد باسم (ديوان التمثيل) في بعض الكتب ينظر في ذلك: معجم الأدباء١/٢٦٩١، وفيات الأعيان٥/١٦٩، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، ٦/١٩٥، تح: محمود الأرناؤوط، ط١ دار ابن كثير. دمشق١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

(٦٨) قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن قاضي خان محمود النَّهْرَوَالي، فقيه مؤرخ شاعر، غزير التأليف، من أهل مكة، تعلم بمصر، ونُصِّب مفتيا بمكة. له: الإعلام بأعلام بلد الله الحرام، البرق اليماني في الفتح العثماني، التمثيل والمحاضرة بالأبيات المفردة النادرة. ينظر في ترجمته: إيضاح المكنون، إسماعيل باشا البغدادي، ٣/٣٢٠، ط دار إحياء التراث العربي، الأعلام، الزركلي، ٦/٧، ط١٥، دار العلم للملايين٢٠٠٢م.

(٦٩) إيضاح المكنون٣/٣٢٠.

(٧٠) حسين رضا بن عصمت الرومي وزير أديب، من وزراء الدولة العثمانية، له العديد من المؤلفات منها: لُباب الانتخاب في الحكم ونوادر الكلم، جراب الأدب في النوادر والحكايات في أربع مجلدات، كان حيًّا سنة١٣٢٠هـ. ينظر في ترجمته: إيضاح المكنون٣/٣٣، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ٤/٧، ط مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٧١) ينظر: إيضاح المكنون٣/٣٣.

(٧٢) محمد بن إبراهيم الحمد ولد في الزلفي بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٨٥هـ، ونشأ في كنف أبيه أمير منطقة الزلفي، تدرج في مراحل التعليم المختلفة، حصل إجازة في اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود١٤٠٩هـ، ثم التحق بقسم العقيدة بجامعة أم درمان في السودان، وحصل عل الماجستير ثم الدكتوراه، له العديد من المؤلفات الدينية، ويعمل أستاذًا في كلية

الشريعة جامعة القصيم. ينظر في ترجمته: الموقع الرسمي للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد www.m-alhamad.com

(٧٣) ينظر: التمثُّل بالشِّعر، دكتور محمد بن إبراهيم الحمد، ط١، دار الحضارة للنشر والتوزيع١٤٢٩هـ-٢٠١٨م.

(٧٤) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ٣/٦٤، تح: مفيد قمحية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، زهر الأكم في الأمثال والحكم١/٥٠.

(٧٥) نفح الطيب١/٥٧٥، ولم أقف على نسبة الأبيات، ولعلها له.

(٧٦) التذكرة الحمدونية٢/٤٨، والأبيات منسوبة فيها لأبي عبد الرحمن الأعمى.

(٧٧) ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، ص٧٢، دراسة: مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية. بيروت١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٧٨) أنساب الأشراف، البلاذري، ٥/٣٣٣، تح: سهيل زكار وآخرين، ط١، دار الفكر. بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، والبيت لعبد الله بن الزِّبَعْرَى في غزوة أحد. ينظر: طبقات فحول الشعراء١/٢٣٨ والرواية فيه (ضجر الخزرج). و(جزع الخزرج) أحسن وأدق لأنها أمكن في الفزع والخوف.

(٧٩) ينظر على سبيل المثال: العقد الفريد٥/١٣٩.

(٨٠) ينظر: السابق الصفحة نفسها، ٧/١٦٩، والبداية والنهاية، ابن كثير، ٨/٢٠٩، تح: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٨١) ينظر: طبقات فحول الشعراء١/١٤٠، والبيت لعلقمة الفحل: السابق١/١٣٩.

(٨٢) الشعر والشعراء٢/٦٤٩، وقوله: (فضحنا) لأن عبد الرحمن بن حسان شبب برملة بنت معاوية.

(٨٣) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، ٤/٢١٦، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط دار ابن حزم بيروت ١٤١٩هـ، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، ٣/٢٧٢، تح: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، ط١، مؤسسة قرطبة. مصر١٤١٦هـ-١٩٩٥م، وقد تمثل النبيr بالشِّعر بضع مرات، من ذلك تمثُّله بقول ابن رواحة:

اللهُمَّ إنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ   فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ

وتمثَّل يوم بناء مسجده الشريف بشعر رجل من المسلمين:

هَذَا الحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْبَرْ   هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا! وأَطْهَرْ

مختصر صحيح البخاري٢/٥٩٩، وبيت ابن رواحة في ديوانه ص١٤١ والرواية: (لاهم إن العيش عيش الآخرة).

وتمثَّل بقول أمية بن الصلت:

إنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا   وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

سنن الترمذي، ٥/٢٩٦، الترمذي، تح: أحمد شاكر، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م. وبيت أمية في طبقات فحول الشعراء١/٣٦٧.

(٨٤) ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/١٨٧، وديوان سُحَيم، ص١٦، تح: عبد العزيز الميمني، ط دار الكتب المصرية١٣٦٩هـ –١٩٥٠م.

(٨٥) ينظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ١/٢٦١، ط١، دار ابن الجوزي. القاهرة٢٠١٠م.

(٨٦) ينظر: السنن المأثورة، الشافعي، ص٢٥٣، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دار المعرفة، بيروت. ١٤٠٦هـ، مجالس ثعلب، ٢/٣١٣، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار المعارف. مصر، وأبيات طفيل في الأغاني١٥/٣٦٨.

(٨٧) ينظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم–اليوسي١/٥٠.

(٨٨) ضَجَنَان وضَجْنَان: جبيل على طريق المدينة، بينه وبين مكة خمسة وعشرون ميلاً، ويعرف اليوم بحَرَّة المحسنية، ذكره النبي في قصة الإسراء والمعراج. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي٣/٤٥٣، ط٢، دار صادر. بيروت ١٩٩٥م، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث، ص١٨٣، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.

(٨٩) ينظر: زهر الآداب وثمر الألباب١/٤٥، والأبيات لورقة بن نوفل. ينظر: الأغاني٣/١٢١مع اختلاف الرواية في البيت الأخير.

(٩٠) العمدة لابن رشيق١/٢٥٦، والبيت للممزق العبدي. ينظر: طبقات فحول الشعراء١/٢٧٤، والشعر والشعراء١/٣٩٩.

(٩١) الطُّبْيَيْن: مثنى مفرده: طبي بضم أوله وفتحه، وهو ضرع الناقة وموضع الأخلاف من الخيل. اللسان(ط ب ي)

(٩٢) الكامل في التاريخ٧/٣٢٤، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن وهاس الخزرجي، ١/١٢٢، تح: محمد بسيوني عسل وآخرين، ط١، دار الآداب، بيروت. ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، رفع الإصر عن قضاة مصر، ابن حجر العسقلاني، ص٩١، تح: الدكتور علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي. القاهرة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

(٩٣) موقعة حربية بين عائشة وطلحة والزبير وبين علي بن أبي طالبy سنة٣٦هجرية في البصرة بسبب مطالبة الثلاثة بالثأر لدم عثمانyمخالفين رأي علي بتأجيله، وانتهت المعركة بانتصار علي

ومقتل طلحة والزبير. ينظر: البداية والنهاية٧/٢٥٧.

(٩٤) الكامل في اللغة والأدب، المبرد، ١/١٧٣، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي. مصر١٤١٧هـ -١٩٩٧م، والأبيات لسَلَمَة الجُعْفِي يرثي أخاه في ديوان الحماسة إلا البيت الثاني، مع اختلاف الترتيب. ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي٢/١٠٨١ حماسية رقم٣٨٥.

(٩٥) ينظر: أنساب الأشراف١/٤١٦، والبيت منسوب للبيد. ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص١٥٧، تح: إحسان عباس، ط وزارة الإرشاد الكويت١٩٦٢م.

(٩٦) ينظر: العقد الفريد٢/١٤٨، والبيت منسوب لحارثة بن بدر. ينظر: البيان والتبيين٣/٢١٩.

(٩٧) ينظر: التعازي والمراثي ص٤٤، والبيتان لأبي ذؤيب الهذلي. ينظر: شرح أشعار الهذليين أبي سعيد السُّكري، ١/١٠-٨، تح: عبد الستار أحمد فراج، ط مطبعة المدني.

(٩٨) ينظر: الشعر والشعراء١/٤٢٦، والأبيات لعمرو بن شَأْس في عِرَار ابنه. ينظر: طبقات فحول الشعراء١/٢٠٠، والشعر والشعراء١/٤٢٥.

(٩٩) ينظر: العقد الفريد٢/١٣٢. وأبيات عبد بني الحَسْحَاس في الأغاني٢٢/٣٠٤، وديوانه ص٥٥.

(١٠٠) ينظر مقال (قبح جميل): وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، ١/١٢١، تح: سعد كريم الفقي، ط مكتبة الإيمان المنصورة١٤١٩هـ-١٩٩٩م .

(١٠١) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار القضاعي، ٤/٢٥٧، تح: عبد السلام الهراس، ط دار الفكر للطباعة، لبنان. ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ولم أقف على نسبة البيت، غير أن ابن الأبار ذكر أن البيت أورده عبد الدائم بن مرزوق القيرواني في شرحه لشعر المتنبي. ينظر: السابق ٤/٢٥٨.

(١٠٢) التكملة لكتاب الصلة١/١٣٠.

(١٠٣) الكامل للمبرد١/١٥٤.

(١٠٤) ينظر: البيان والتبيين٢/٣٠٨، والبيت لسُحَيْم بن وَثِيل الرِّيَاحِيِّ. ينظر: طبقات فحول الشعراء٢/٥٧٩.

(١٠٥) ينظر: أمالي القالي، ١/٢٨٣، تح: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط٢، دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م. ولم أقف على نسبة الأبيات ولعلها لابن الزبير نفسه.

(١٠٦) غلوة: قدر رمية سهم. اللسان(غ ل ا). سيَّب : ترك. اللسان(س ي ب).

(١٠٧) الكامل في التاريخ٤/٧٧.

(١٠٨) والأبيات للأخنس بن شهاب التغلبي يحث فرسه على الإقدام. ينظر: أنساب الخيل لابن هشام الكلبي، ص٨٥، تح: أحمد زكي باشا، ط دار الكتب المصرية ١٤٢٤هـ، وفي أكثر المصادر لرُشَيِّد بن رُمَيض العَنَزي. ينظر: الحماسة البصرية١/٣١٩ حماسية رقم٢١٨، الأغاني١٥/٢٥٤.

(١٠٩) وقفت للحجاج على بضع مرات تمثَّل فيها بالشِّعر. ينظر في ذلك: الأمثال لابن سلام الهروي صـ٢٦٩، الشعر والشعراء١-١٦٠-٤٢١-٢-٤٣٢،٢-٦٤١، الكامل للمبرد١/٢١٥،٢/٨٠، ٣/٢٦٣، العقد الفريد٥/٣٠٦.

(١١٠) الكامل في التاريخ٤/٦٢. والبيت للعرجي: ينظر: الشعر والشعراء٢/٥٧٤.

(١١١) ديوان أبي فراس الحمداني، ص١٦٥، شرح: خليل الدويهي، ط٢ دار الكتاب العربي١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(١١٢) ينظر: الأغاني ١/ ٤٢٨-٤٢٩.

(١١٣) ينظر في ذلك على الترتيب: الأشباه والنظائر للخالديين٢/٣٠٦، عيون الأخبار١/٢٨٤، الكامل لابن الأثير٥/١٦، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني، ١/٢٢٧، تح: محمد مرسي الخولي، ط١، عالم الكتب١٤١٣هـ-١٩٩٣م، والأبيات لبَشَامة بن الغدير المُرِّيّ. ينظر: طبقات فحول الشعراء٢/٧٢٦ مع اختلاف يسير.

(١١٤) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري، ٢/٣٤٣، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤١٢ هـ، والبيت لسلامة بن جندل في المصدر نفسه.

(١١٥) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي٤/٢٠٥.

(١١٦) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي١/٤٥٧، والأبيات لطريف العنبري، ولم أقف على نسبتها له في غير هذا الموضع إلا في تاريخ دمشق.

(١١٧) ينظر: عيون الأخبار١/١٩٣، والبيت للحُصين بن الحُمام المُرِّي. ينظر: شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي١/١٩٧حماسية رقم٤١.

(١١٨) تزيين الأسواق، داود بن عمر الأنطاكي، ٢/٢٥٤، تح: محمد التونجي، ط١، عالم الكتب بيروت ١٤١٣هـ- ١٩٩٣، وأشار المؤلف أن البيت لحاتم الطائي، ولم أقف على البيت في غير هذا الموضع.

(١١٩) ما بين معقوفين ورد في الكتاب هكذا، وأظنه تصحيف وصوابه (عروة).

(١٢٠) حياة الحيوان الكبرى، الدميري، ٢/٢١٣، ط٢، دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٢٤ هـ.

(١٢١) ينظر: جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، ٢/١٣٤، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الجيل .بيروت١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(١٢٢) ينظر: وحي القلم للرافعي١/١٠.

(١٢٣) ديوان ابن عنين، ص٩٥، تح: خليل مردم بك، ط٢، دار صادر. بيروت.

(١٢٤) ينظر: العقد الفريد٥/١٣١، والبيت للحُصين بن الحُمام المُري. ينظر شرح الحماسة للمرزوقي١/١٩٩حماسية رقم٤١مع اختلاف يسير.

(١٢٥) ينظر على الترتيب: الأغاني١٩/١٥، زهر الآداب ١/٨٩.

(١٢٦) الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري، ص٢٩٨، تح: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة١٩٨٠م، والبيتان لعَدِيٍّ بن زيد العبادي لما حبسه النعمان. ينظر: الشعر والشعراء١/٢٢٩.

(١٢٧) الكامل في التاريخ٢/٥٥٩، والتذكرة الحمدونية ٢/٣٠، والبيت منسوب للأعشى. ينظر: ديوان الأعشى، ص١٧٧، تح: محمد حسين، ط مكتبة الآداب بالجماميز.

(١٢٨) أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، ٥/٣٤، تح: شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النجف الأشرف١٣٨٨هـ-١٩٦٩م، والأبيات للعَلَاء بن قَرَظَة الضَّبيِّ خال الفرزدق. ينظر: ينظر البيت الثاني والثالث في: الشعر والشعراء٢/٤٧٨.

(١٢٩) نفح الطيب٥/١١١.

سيل العرم وسد مأرب..
تساؤلات عن الانهيار الكبير

توفيق السامعي

مقدمة:

هطلت سيول جارفة في شهر (أبريل ٢٠٢٠م) على معظم اليمن، وخلفت أضرارًا بشرية ومادية كبيرة، وخاصة في محافظة مأرب، بعثت في مخيلة اليمنيين حادثة هي من أهم أحداث التاريخ اليمني، والتي دوَّنها القرآن الكريم دون غيره من المصادر، وهي حادثة «سيل العرم»، وما علق بها من أساطير وحكايات كثيرة صارت مضربَ الأمثال عند العرب.

دوّن القرآن الكريم قصة سيل العرم، الذي أرسله على قوم سبأ في اليمن، بسبب إعراضهم عن شكر نعمة الله بطلب الترحال وبُعد الأسفار وعدم الاستقرار، كما هو واضح من سياق الآيات القرآنية الواردة في سورة (سبأ) من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا
مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ
الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ
جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا
فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ

بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا
كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

وتعتبر هذه القصة والحادثة محطةً مفصليةً في تاريخ اليمن؛ إذ ترتَّب عليها الكثير من الأشياء، والتي عدت بمثابة زلزال كبير في الجزيرة العربية برمتها، وتاريخًا فاصلاً في الجزيرة كلها.

امتلأت كتب السير والتاريخ عند الإخباريين بهذه القصة فزيد فيها وأُنقص، وكُتبت حولها الأساطير الكثيرة منها الخرافية ومنها الإبداعية في الخيال والتدوين والتنبيش في الذاكرة، ولم تكن كذلك لولا أن القرآن الكريم جعلها من إحدى عبره وقصصه وأحداثه الكثيرة.

فالكتب التاريخية الإخبارية تحكي عن هجرة كبيرة لليمنيين من أرضهم إلى مختلف البقاع، سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها، في الشام والعراق ومصر وأفريقيا.

ربما لم يثر هذا الأمر اهتمام الكثير من المؤرخين الآثاريين أو الباحثين، للتوفيق بين ما رواه الإخباريون في كتبهم والآثاريون الباحثون في النقوش والمدونات اليمنية بالخطوط المختلفة،وفي المساكن وما خلفه الإنسان اليمني والحضارة اليمنية، باستثناء المؤرخ الكبير جواد علي الذي فصَّل في هذه المسألة أيَّما تفصيل في موسوعته «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، وكذلك بشيء من الإشارات واللملمات المختلفة للبروفيسور يوسف محمد عبدالله، أو لبعض الباحثين الآثاريين الآخرين الذين يقفون عند النقوش المجردة بالإحصاء ودراسة تاريخها، وكل له غايته منها من استقصاء وجمع أو دراسة لغوية...إلخ.

وفي هذا البحث حاولنا –قدر الإمكان– أن نستقصي هذه المصادر التي

تحدثت عن سد مأرب وقصة سيل العرم المذكورة في القرآن الكريم،ونوفق بينها وبين الواقع.

مدخل:

عُرِفت اليمن على مرِّ العصور ببنائها للسدود وخزانات المياه، وإجراء السواقي/الأفلاج المختلفة كأنهار صناعية لوسائل ري متطورة تجلب المياه من أماكن بعيدة، من أودية وأنهار إلى المدن والقرى المختلفة للانتفاع بها، واشتهرت الكثير من السدود اليمنية في الدول السبأية والقتبانية والحميرية والحضرمية، ومن ذلك أبيات شعرية نسبت للملك الحميري أبي كرب أسعد (أسعد الكامل) يقول فيها:

ورَيْدَانُ قَصْري في ظَفَار ومَنزلي	بها أسَّ جدِّي دورَنا والمناهلا
على الجنَّة الخضراء من أرضِ يحصب	ثمانونَ سدًّا تقذفُ الماءَ سائلا
مآثرُنا في الأرضِ تصدقُ قولَنا	إذا ما طلبْنا شاهدًا أو دلائلا

ومن هذه السدود: «قصعان» و«ربوان»، وهو سدّ قتاب[1]، وشحران، وطمحان، وسد عباد، وسد لحج، وهو سد عرايس، وسد سحر، وسد ذي شمال، وسد ذي رعين، وسد نقاطة، وسد نضار وهران، وسد الشعباني، وسد النواسي، وسد الخانق بصعدة، وسد ريعان، وسد سيان، وسد شبام، وسد دعان وغيرها. وذكر «الهمداني» أن في مخلاف «يحضب العلو» [يحصب يريم] ثمانين سدًا[2].

وسدٌّ «الخانق» سدٌّ ينسب إلى «نوال بن عتيك» مولى سيف بن ذي يزن، ومظهره في «الخنفرين«من رحبان. وقد خرَّبه»إبراهيم بن موسى العلوي[3]» بعد هدم صعدة[4].

وهناك آثار سدود جاهلية أخرى أقيمت في مواضع متعددة من العربية الجنوبية، منها آثار سدٍّ قتباني أقيم عند موضع «هجر بن حميد» بوادي بيحان، وقد درسه ووصفه «بوون»، كان يسقي بمائه منطقة واسعة من أرض مملكة قتبان[5].

وآثـار سـد «مرخـة»، وآثـار سدٍّ آخـر أقيم عنـد «شبـوة»، وسـدٍّ آخر عند «الحريضـة»، تفرعت منه شبكة من القنوات والمجـاري لإيصال الماء إلى المزارع والأرضين الخصبة التي تعيش عليها(٦).

«واستبـد سدُّ مأرب من بين سائر سدود جزيرة العرب بالاسم والذكر، ونال مكانـة كبـيرة في كتب التفسير والسِّـير والأخبار، ولذكر القـرآن لـ«سيل العرم»، نصيـبٌ كبير في توجُّه أنظار علماء التفسير واللغة والأخبار إليه، وفي خلود اسمه إلى الآن. وقد روى أهل الأخبار قصصًا عنه وعن كيفية خرابه، وتشتت شمل سبأ بسببه، ونزوحهم إلى مواضع بعيدة عن ديارهم القديمة.

ويعـدّ سدُّ «مأرب» من أهم السدود التي أقيمت في اليمن وفي جزيرة العرب، وقـد بني من أجـل السيطرة على مياه الأمطار والسيول التـي تتدفق منها لوقاية المـزارع والقرى منهـا، وللاحتفاظ بهذه السيـول للاستفادة منهـا إذا انقطعت الأمطار، وإرواء مناطق واسعة من الأرضين، جيدة التربة، خصبة مثمرة»(٧).

قصة سيل العرم التي أشار إليها القرآن ووثَّقها كحدث لمرة واحدة في التاريخ على إثرها تم تمزيق اليمنيين شذَرَ مذَرَ في البلاد المجاورة وحتى البلاد البعيدة، لتنشـأ على إثرها شعـوب وأوطان وممالك جديدة كوَّنت فيمـا بعد بعض شعوب العالم العربي، ظلت من أهم الأحداث المحيرة تاريخيًّا، وتلاعب بها الإخباريون.

فقـد مضت معظم التفاسـير والسير الإخباريـة التاريخية تقصُّ علينا أن سيل العرم أرسل على مأرب وسدها، والذي انهار بفعل السيل والقصة الخرافية للفـأر، وبسبب هذا الانهيـار كانت هجرة اليمنيين إلى مناطـق شتى من المحيط الإقليمي، وتكوين الكثير من الشعوب والممالك فيها.

ومـن ذلك مثلاً مـا جاء في تفسير ابـن كثير من قصص كثـيرة ملخصها: «وذكر غير واحد ومنهم ابن عباس ووهب بن منبه وقتادة والضحاك أن الله -عز وجل- لما أراد عقوبتهم [أهل سبأ] بإرسال العرم عليهم بعث على السدِّ دابةً من

الأرض، يقال لها: «الجرذ» نقبته. قال وهب بن منبه: وقد كانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرذ، فكانوا يرصدون عنده السنانير برهةً من الزمان، فلما جاء القدر غلبت الفأرُ السنانيرَ، وولجت إلى السد فنقبته، فانهار عليهم»(٨).

لكن وبقليل من الدراسة والتمحيص لكل تلك الروايات سنتوقف عند بعض المفاهيم والوقائع التاريخية بعيدًا عن الحكايات الأسطورية التي تفتقد لكثير من الدقة، كون كثير مما ذهبت إليه أقوال المفسرين كانت رجمًا بالغيب، لا تستند إلى شاهد أو دليل مادي على الأرض، وسنأخذ تلك الدراسات من خلال الآثار والتاريخ وإعمال الحجة والمنطق والعقل، لنصل إلى نتيجة مرضية للمنهج العقلي والبحثي اليوم، وكذلك سنسرد من خلال هذه الدراسة عدد المرات التي تدمَّر فيها السد، وإعادة إعماره وترميمه من جديد.

بناء السد وتهدمه:

تفتقر الأراضي اليمنية إلى أنهار طبيعية تجري فيها طوال العام للاعتماد عليها في الزراعة، كما هو الحال مثلاً في مصر والسودان مع وجود نهر النيل، أو بلاد الرافدين مع وجود نهري دجلة والفرات، وهي أنهار كونت حضارات زراعية في تلك الدول، واستقرارًا سكانيًّا كبيرًا، فاليمنيون يعتمدون في زراعتهم على مياه الأمطار الموسمية في الصيف وقليل من الربيع والخريف.

تلك الحاجة للمياه جعلت الإنسان اليمني يفكر في إنشاء نمط ريٍّ زراعي يعوضه عن الأنهار الطبيعية التي تجري طوال العام، فاهتدى إلى فكرة بناء السدود والحواجز المائية والمآجل والبرك، وإنشاء القنوات والأفلاج التي تنقل المياه من أماكن بعيدة ليخزنها ويستفيد منها عند الحاجة إليها شتاءً.

من هنا جاءت فكرة بناء سد مأرب في مملكة سبأ القديمة، وغيره من السدود اليمنية الأخرى، وتم دراسة موقع إنشائه بعناية فائقة؛ فإقامته في ميزاب اليمن

الشرقـي، ومن خلفـه سلسلة جبلية مفتوحـة عبارة عن حوض صخـري بإمكانه خزن ملايين الأطنان من المياه.

و«شيد سـدٌّ مأرب في وادي أذنة بين مأزمي الجبلـين؛ البلق الشمالي والبلق الأوسط، وجبـال البلق هي سلسلة من الجبال تؤلـف الحاجز الأخير للمرتفعات الشرقيـة، قبل أن تلتقي بالصحراء، والصحراء المعنية هي ذلك الجزء من فلاة اليمـن أو (جرز اليمن الشرقي) الذي يمتد بين مأرب وشبوة، وتصب فيه معظم أودية المشرق، ويسميه الجغرافيون العرب بمفازة صيهد، ويطلق عليه حاليًّا اسم (رملـة السبعتين). وبين مأزمي الجبلين المذكورين يضيق وادي أذنة بحيث يكون موقعًـا طبيعيًّا يصلـح لإقامة سدٍّ، وتتسع منطقة التجمـع في أعلى المضيق، حيث تبدو وكأنها حوض مثالي لاحتواء المياه. ووادي أذنة هو (أذنت في النقوش اليمنية القديمة) وهو أعظـم أودية اليمن وميزابه الشرقي»[٩]. تنظر الصورة رقم (١) (صورة السد والوادي).

ولبناء السد وظيفتـان رئيستان؛ الأولى: حفظ الأراضي الزراعية من جرف السيـول المتدفقة، والثـاني تخزين المياه للاستفادة منهـا في الري في غير موسم الأمطار.

ويعتـبر سـد مأرب أول السـدود في اليمن وفي جزيرة العـرب على الإطلاق، حيث لم يُذكر سدٌّ في الجزيرة العربية قبل هذا السد.

لكـن خـلال هذه الفترة أو مـا قبلها في القرن الثامن الميـلادي، لم يكن سد مـأرب (رحاب) هو وحده الـذي شيد، فقد وجد سد خاصـ؛ ملكية خاصة لأحد المواطنـين، وقد ذكـره نقش مسندي صغير في متحف مـأرب بنوع خط المحراث، يتحدث عن امتلاك هذا الرجل لسد خاص.

ويعـود تاريخ هذا النقش إلى نهاية القـرن الثامن قبل الميلاد[١٠]، وربما كان أقـدم النقوش التي تتحدث عن السـدود الأخرى حتى الآن، كونـه يسبق تواريخ

النقوش التي تتحدث عن سد مأرب الكبير (رحاب) وبخط المحراث القديم[١١].

يقول النقش المكون من ثلاثة أسطر:

ل ي ح ي/ ع س ي

و ب ن ي/ م أ

خ ذ ن

والمعنى:

ليحيى امتلك

وبنى

سدهو[١٢].

ومـن خلال الأبحاث ومراجعة تاريـخ إنشاء سد مأرب نجد أن سد مأرب تم بنـاؤه وترميمه أكثر من ثماني مرات بين فترات متباعدة، وتهدم أكثر من ثماني مـرات أيضًا، منها تهـدُّم كلي، ومنها تهدُّم جزئي، وفي كل مـرة يتم إعادة بنائه وترميمه.

ويعـود بناء سد مـأرب البناء الأول، على رأي أكـثر الباحثين والمؤرخين، إلى القـرن الثامن قبل الميلاد، أي حوالي بعد بلقيـس بقرنين من الزمن، ومنهم من يعيـد بناءه إلى نهاية الألـف الثانية قبل الميلاد، أي قبل عهد بلقيس بحوالي مائة عام أو يزيد.

ويـرى العـالم الآثاري النمساوي «GLASER» أن عهـد البناء الأول للسد يعـود إلى ما بـين ٧٠٠و٧٥٠ قبل الميـلاد (القرن الثامن)، وقد بقـي قائمًا يؤدي واجبه إلى حوالى السنة «٥٧٥» بعد الميلاد[١٣].

وانفـرد عـالم الآثـار اليمنيـة البروفيسور يوسـف محمد عبـدالله من بين

المؤرخـين والباحثـين بالقول إن إنشـاء السد يعود إلى القـرن الخامس عشر قبل الميلاد[١٤].

ولا توجـد بـين أيدينـا نصوص مسنديـة عن أول رجـل أو حاكـم أقام هذا السـد، وعن العهد الـذي تم فيه البناء، كمـا هو حال النصوصـ الأخرى، سواء عن الاستحداثات والبناءات والترميمات الأخرى أو تدوين أحداث السيول، وعلى وجـه الخصوص «سيل العرم»، رغم أن اليمنيين القدامى كانوا لا يتركون شاردة ولا واردة إلا ودونوهـا بشـكل نقوشـ مسندية، وتفسير هذا الأمـر الأقرب للواقع هـو أنه لم يتم العثـور بعدُ على مثل هذه النقوش، وقـد يأتي زمن تكتشف وتظهر للعيان.

فقـد دوَّن اليمنيون حادثة حمم بركان سائل أصـاب حوالي صنعاء وعمران من قرب جبل «ضين»، ولا تزال آثاره حتى اليوم، وقد ذكره النقش بـ«الثيل»، وهذا النقشـ حققـه المؤرخ مطهر الإريـاني، ويوجد النقش في خربـة همدان، وهو من أهم النقوش التي تدل على الكوارث الطبيعية وخاصة ما عرف في القرآن الكريم بقصـة أصحـاب الجنة من ضروان، في سورة القلـم، والتي يرجحها الإرياني في هـذه الحادثة[١٥]، غير أنها لم تكن كذلك لاختلاف مواصفاتها في القرآن الكريم عما هو في النقش.

صحيـح أن النقوشـ تذكر أن سيولاً مختلفة هدمـت السد بين فترة وأخرى، لكن لم يذكر أيٌّ منها الآثار الكبرى المترتبة على تلك التهدمات والتصدعات؛ لأن ما ذكر في القرآن الكريم يعتبر حدثًا جللاً وضخمًا ترتب عليه التمزيق والتهجير كما تذكره الآيات.

ويظهـر مـن بعض الكتابـات المحفورة على جـدران السد بالمسنـد أن جملة تحسينـات وتعميرات أدخلت عليه في أوقات مختلفة قبل الميلاد وبعدها، وآخرها هـو إصلاح أبرهة الحبشي الذي تم على إثـر تصدعه سنة ٥٤٢ للميلاد. ويظهر

أن تصدعًا آخر وقع للسدّ في أيام طفولة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك في حوالي السنة «٥٧٥» للميلاد، ولم يتم إصلاحه بعد ذلك، بسبب التدهور الاقتصادي لليمن الذي حدث في هذا العهد، وارتباك الأوضاع السياسية، واضطراب الأمن، وانتشار الثورات في كل مكان، وتدخل الأجانب في شؤون البلاد، فتصدع قسم كبير منه، ولم يهتم أحد من الحكام بإعادته إلى أصله بإصلاحه وترميمه، وتحولت بذلك الأرضون الخصبة التي كانت تروى بمائه، والتي كانت واسعة إلى أرضين موات، غطتها الطبيعة بطبقة من الرمال والأتربة، وألبستها أكسية الصحراء الحزينة، حدادًا على فراقها لذلك السدّ العتيد[١٦]، حتى تم إعادة بنائه في يوليو ١٩٨٤م من القرن الماضي في عهد الرئيس السابق علي عبدالله صالح على يد الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة.

توجد نقوش مسندية «على حجارة السد القديم الباقية إلى أيام تعود إلى عهد «المكاربة». وأول اسم يرد في هذه النقوش التوثيقية لعمل السد أو إصلاحه هو سمهعلي ينوف بن ذمار علي[١٧]، وذلك في النقش المرموز إليه بـ CIH ٦٢٣[١٨]، والنقش يذكر عملية إصلاح في السد، وليس إنشائه من الصفر، وقام بحفر ساقية في السد فقط.ونفس الأمر ما قام به من بعده ابنه المكرب «يثع أمر بين» من عملية إصلاح وإجراء ساقية من السد.

في حين يذكر جواد علي أن المكرب «كرب إل بين بن يثع أمر»، ببناء جزء من السد وتقوية أجزائه الأخرى. كما قام الملوك بإضافة أجزاء جديدة إليه، وتقوية الأجزاء القديمة منه، ومن هؤلاء الملك «ذمار علي ذرح» ملك سبأ، والملك «يدع إيل وتر»[١٩]. لكن بالعودة إلى النقش فقد عمل عملية إصلاح فقط.

وهناك إشارة بسيطة إلى بناء السدود والحواجز المائية وقنوات الري المختلفة في مأرب وردت في الفقرة الثانية من نقش النصر ل»كرب إيل وتار»،

لكنها لم تفصل في هذا البناء أو تنسبه إلى «العرم» مثلاً، كما جاء في نقش أبرهة الحبشي كآخر الإصلاحات والترميمات لهذا السد.

تقول فقرة نقش النصر، كما أوردها المؤرخ جواد علي: «ووهبت أرض سبأ مطرًا سال في الأودية، فأخذت الأرض زخرفها بالنبات، وإذ مكنته من إنشاء السدود، وحصر السيول حتى صار في الإمكان إسقاء الأرضين المرتفعة، وإحياء الأماكن التي حرمت الماء، كذلك إحياء أرضين واسعة بإنشاء سد لحصر مياه الأمطار يتصل بقناة «عهل» لسقي «ماودن» «مأدون» والأرضين الأخرى التي لم تكن المياه تصل إليها، فوصلت إليها بامتلاء حوض السد بالماء، حتى سقت «موترم» «موتر» التي جاءها الماء من «هودم» «هوديم» «هودي»، وبإنشائه مسايل أوصلت المياه إلى «ميدعم» «ميدع» و«وتر» و«وقه»، ونظم الري في «ريمن» «ريمان» حتى صارت المياه تسقي كل أرض»[٢٠]، مع اختلاف القراءات للنقش من قبل باحثين آخرين ولكن بتقارب كبير.

في بعض النقوش الموجودة على حائط السد تذكر إما عمليات الترميم والإصلاح، وإما أسماء المكاربة (الملوك) بدون تحديد عمل لهم في السد، كما هو حال نقش المكرب «سمه علي ينوف بن ذمار علي» وابنه «يثع أمر بين» مثلاً اللذين ورد اسمهما وصفتهما دون أي ذكر للعمل[٢١]، وهذا يدل على أن السد لم يكن من إنشائهما، وإنما من عمل من قبلهم من المكاربة/الزعماء والملوك، وهم رمموا وأصلحوا فقط، الأمر الذي يعني قدم تأسيس السد عن زمنهم.

وهناك إشارة مهمة أخرى أيضًا عن تاريخ تأسيس السد بأنها تعود إلى ما قبل الألف الأول قبل الميلاد، وهي أن مختلف المؤرخين والباحثين يجمعون على أن زمن المكاربة سبقت بكثير فترة الملوك، ونحن نجد أن بلقيس مثلاً كانت في القرن العاشر ق.م، وقد ذكرها القرآن الكريم بوصفها ملكة لا مكربة، وهناك فرق بين المكرب والملك كما هو معلوم،فالمكرب المقدم

وكبير الكهنة المقرب من الإله أو كبير سدنة المعبد، في حين الملك كبير القوم وسيدهم والمتحكم في شؤونهم، ومن هنا كان وصف بلقيس بالملكة: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾. وفي النقوش على السد وردت صفة «مكرب» وليس «ملك» بمعنى أن إنشاء السد كان أقدم من الفترة المحددة بالقرن الثامن قبل الميلاد.

ويرى «فون وزمن» أن الملك الحميري ذمار علي يهبر (١٠٠ ب.م) غزا مأرب وقام هو وابنه «ثاران» بترميم سد مأرب وبناء المواضع التي تخربت منه؛ وذلك لأنه كان قد تخرب، وذكر أن تخرُّب السد هذا هو تخرُّب لم يصل خبره إلينا(٢٢).

كما تهدم سد مأرب للمرة الثانية في عهد الملك الحميري «ثاران يهنعم» بحسب نقش مسندي يرمز له بـJamme ٦٧١، وقيام الملك "ثاران يهنعم" بإصلاحه وإعادته إلى ما كان عليه. ويكون هذا الخبر هو ثاني خبر يصل إلينا مدونًا في كتابات المسند عن تصدع السد إلى هذا العهد(٢٣).

وكذلك أصلح الملك «شمر يهرعش» هذا السد، كما رممه الملك «شرحبيل يعفر» في سنة «٤٤٩» للميلاد، ولكن المياه جرفت أقسامًا منه سنة «٤٥٠» للميلاد، أي بعد سنة من الترميمات، فاضطر إلى إعادة إصلاحه وتقويته(٢٤).

واستخدم اليمنيون في بناء السد الرصاص والبرونز، وهي نفس التقنية التي استخدمها ذو القرنين في بناء سد يأجوج ومأجوج، وهي إحدى الأدلة على أن ذا القرنين ملك يمني والتقنية يمنية(٢٥).

في بناء السد والحواجز استخدمت حجارة اقتطعت من الصخور، وعولجت بمهارة وحذق حتى توضع بعضها فوق بعض، وتثبت وتتماسك وتكون كأنها قطعة صلدة واحدة. ونحتت الصخور، بحيث صارت تتداخل بعضها في بعض، بأن يدخل رأس من صخرة في فتحة مقابلة لها، فتكون كالمفتاح في القفل، وبذلك تتماسك هذه الصخور وترتبط ارتباطًا وثيقًا، وتكون كأنها صخرة واحدة. وقد وجد أن

بعض الأحجار قد ربطت بعضها ببعض بقطع من قضبان أسطوانية من المعدن المكون من الرصاص والنحاس يبلغ طول الواحد منها حوالى «١٦» سنتميترًا، وقطرها حوالى الثلاثة سنتمترات ونصف، وذلك بصب المعدن في ثقب الحجر، فإذا جمد وصار على شكل «مسمار»، يوضع الحجر المطابق الذي صمم ليكون فوقه في موضعه بإدخال «المسمار» في الثقب المعمول في الجهة السفلى من ذلك الحجر، وبذلك يرتبط الحجران بعضهما ببعض برباط قوي محكم.

وقد اتخذت هذه الطريقة لشد أزر السد، وليكون في إمكانه الوقوف أمام ضغط الماء وخطر وقوع الزلازل. أما المادة التي استعملت في البناء لربط الأحجار بعضها ببعض فهي من أحسن أنواع الجبس Gips، وقد تصلب هذا الجبس الذي طليت به واجهات السد أيضًا حتى صار كأصلب أنواع السمنت[٢٦].

وقد أقام المهندسون أبوابًا لدخول المياه منها وخروجها، كما أنشأوا فتحات لتقسيم المياه وتوزيعها على المجاري والسواقي تفتح وتقفل بحسب حاجة المزارع والأماكن إلى المياه. ولا يزال بعض جدر السد قائمًا، وآثار السواقي والمجاري التي كانت تجري فيها المياه من الحوض باقية، وهي تدل على مهارة مهندسي الري في ذلك العهد، وعلى براعتهم في كيفية الاستفادة من الأرض ومن الطبيعة لخدمة الإنسان.

صُمِّم السد تصميمًا بديعًا وبارعًا لاستيعاب الكثير من المتغيرات والمؤثرات من خلال السيول، مثل الطاقة الاستيعابية للمياه، وكذلك كمية الطمي الذي يمكن أن يصاحب السيول لتستقر في السد.

وعمل السبئيون للسد مصدات تحويلية مدعمة بالمعدن كي تتلقى صدمات السيول الواثبة والساقطة من الجبال فتخفف الصدمة على حائط السد حتى لا يتحطم مع كمية الطمي الكبيرة التي تحملها السيول، كما استبقوه بسدود تحويلية صغيرة على حوافه، وبالقرب سدود أخرى ومنها سد حبابض.

حيث «قدر العلماء الذين عنوا بدراسة الترسبات في باطن السد أن انكسار (العرم) بسبب الترسبات الخشنة ممكن أن يحدث كل قرن مرة واحدة. ومما قد يؤيد مثل هذا الاستنتاج ما رود في النقوش اليمنية القديمة، حيث تذكر تصدع سد مأرب في الفترات المتأخرة ثلاث مرات، وتؤرخ لذلك مباشرة أو بطريقة غير مباشرة بالتقويم الحميري»[٢٧].

ويرى (Bruno) أنه إذا كان سعة سد مأرب الكبير في بداية أمره حوالي ٥٥ مليون متر مكعب، وكان حجم الطمي النازل سنويًّا إلى داخل بحيرة السد حوالي اثنين ونصف مليون متر مكعب، وإذا كان بالتالي متوسط قوة اندفاع السيول في السد لمدة عامين حوالي ٩٥٠ مترًا مكعبًا في الثانية، ومتوسط عشر سنوات ٣٧٥٠ متراً مكعباً في الثانية؛ فإن طاقة أي سد عادي حينئذٍ لا تقدر على استيعاب تلك السيول وطميها وقوة اندفاعها، بل إن جسم أي سدٍ عادي لا يمكن أن يصمد أمامها لفترة أكثر من قرن. ولهذا فإن سد مأرب العظيم قد صُمِّم وشيد بدقة ومتانة وإحكام بحيث يخدم الغرض منه قروناً طويلة، وبحيث لا يتهدم السد ومرافقه جميعها إن انكسر جداره مرة في كل قرن، وإنما يكون الانكسار بمثابة تنفيس لباطن السد الممتلئ بالطمي[٢٨].

دونت النقوش عمليات بناء السد وترميماته المختلفة وإصلاحه بعد انهياراته المتعددة، وذكرت تلك النقوش بعض أسباب وعوامل تهدم السد، ومنها السيول، لكنها لم تشر إلى أية أسباب أخرى من التي رواها الإخباريون كالفأر مثلاً وغير ذلك، وكذلك لم تذكر تواريخها إلا قليلاً لاقترانها ببعض فترات الملوك، ولم تذكر هجرة ولا أسبابها، لكنها تذكر إعادة إصلاحه وترميمه وتستمر الحياة بشكل طبيعي.

باستثناء نقش باسم jamme٦٥١ ذكر أن سيولاً كبيرة كانت تهدد مأرب في زمن الملك "شمر يهرعش"، فأمر قائد الجيش بأن يقوم على رأس قوة كبيرة من

جيش سبأ ومن كبار (همدان) و(آل بتع) بتقوية سور مأرب وتحصينه وحمايته من مداهمة السيول له، وبإنشاء سدود وموانع لمنع الأمواج العاتية من اكتساح مأرب والأماكن الأخرى وذلك بمن جمعهم من الناس من سوادهم وساداتهم للقيام بهذه الأعمال[٢٩]. وهذه إشارة مهمة إلى أن مأرب تظل مهددة بالسيول طوال فترتها، الأمر الذي يدعم القول إن سيل العرم فعلاً كان مسلطاً على مأرب وسدها في مختلف الفترات.

وهذا يذهب بنا بعيداً عن كل تلك التفاسير القائمة على التخرص أو رواة الأخبار بمبالغاتهم وعدم تنقيحهم للمعلومة والبحث عن مصادر موثوقة لها.

وبناء على هذه الدلائل المادية من النقوش؛ فعلى أية حادثة تهدُّم من أحداثه المختلفة يمكن أن نسقط عليها حادثة سيل العرم؟ وهل في كل حادثة تهدم يكون قد حدث سيل عرم فكان يتجدد بتجدد بناء السد، وبين بنائه وتهدُّمه عوامل مطردة؟!

إذا ما أُسقطت الآيات على مأرب وسدها فقط، فإننا من خلال الرؤية المجردة للمكان وبحثه سنلاحظ أنه لا يوجد خراب كبير حتى يضطر السكان للهجرة وانتهاء حضارة سبأ بهذا التهدم، ولا يمكن لليمنيين كلهم ترك بلادهم والهجرة منها إلى العالم بسبب السد؛ لأن الخراب سيكون محصوراً في مأرب فقط، واليمن وإمبراطوريتها كانت مترامية الأطراف، فإذا حصل خراب في مأرب فأين ذهبت بقية المدن وبقية السكان؟!

ومن خلال النقوش التي مرت بنا على ذكر من أقاموا سدوداً مختلفة وترميمات متعددة سنجد أن في مأرب حوالي ستة سدود مختلفة ذكرتها النقوش، ولم يذكر أي من تلك النقوش سد العرم (سد مأرب الكبير) إلا في الفترة المتأخرة بعد الميلاد، وقد كان السد يسمى بسد «رحبم» (رحاب).

فمثلاً: المكرب «سمه علي ينوف» ذكر أنه بنى سد «رحبم» (رحاب)، ولم يحدد مكان هذا السد، ثم جاء من بعده ابنه الملك «يثع أمر بين» وبنى سد

«حببضم» (حبابض) ولم يعـرف مكانه بالضبط أيضاً، كما قام بتوسيع وترميم سـد «رحــاب»، وجاء مــن بعدهما «كرب إيل وتــر» وذكر أنه أنشأ ســدوداً، ونظم قنــوات للري، ووسَّع بعض السدود ليصل الماء إلى الحرتين اللتين لم يصل إليهما الماء للسقي.

لكن النقش الموسوم بـ Glaser ٥١٤ كان أكثر تخصيصاً للعمل الذي قام به المكرب "سمه علي ينوف" في أنه "ثقب حاجزًا من الحجر، وفتح ثغرة فيه لمرور الميــاه منها إلى سد "رحبم" "رحاب" لتسيل إلــى منطقة "يسرن" (يسران)، وهي منطقــة ورد اسمها في كتابات عديدة، وكانت تغذيها مسايل وقنوات عديدة تأتي بالماء من حوض هذا المسند، وتبتلع ماءها من مسيل "ذنَّة" وهو من المسايل الكبـيرة، فتغذي أرضًا خصبــة"[٣٠]، وهذا يكشف أنه لم يكن أول من بنى السد، فقد جاء على سد قائم وموجود، وإنما رمم بعض أجزائه ووسعه وقام بإصلاحات واستحداثات معينة فيه.

وهنــا تبرز العديد من الأسئلة: أيّ من هــذه السدود هو سد مأرب التاريخي والذي يسمى بسد العرم؟ وأين ذهبت كل تلك السدود التي لم يتبقَ لها أثر اليوم ســوى سد مأرب الكبير؟ أم إنها اندثرت وتهدمت فعلاً بفعل سيل العرم المذكور، أم إن ســد «رحبم» (رحاب) هو نفسه سد مــأرب فذاك اسم تخصيص والأخير نسبة للبلد؟!

الإجابة على هذه الأسئلة ستقودنا إلى تحديد خراب السدود، وتحديد تاريخ وزمــن سيــل العرم، وما شهدته اليمــن من هجرات أولية بطبيعــة الحال وليست هجــرات كبـيرة؛ لأن الحياة في مــأرب استمــرت والمملكة قائمــة والنقوش تدلنا علــى ذلك، إلا أن توجد فجوة تاريخية واكتشافات جديدة تقلب كل الاستنتاجات والمسلمات التاريخية وترتيبات الأحداث التي رتبها المؤرخون حتى اليوم.

وقــد ذُكر اسم الســد في كتابات عدة من أهمها كتابة تشــير إلى تعمير هذا

المكـرب [سمه علـي ينوف] سـد «رحبم» «رحـاب» للسيطرة على ميـاه الأمطار والاستفـادة من السيول. وهو جزء من المشـروع المعروف بـ «سد مأرب» الذي نما على مرور الأيام، وتوسع حتى كمل في زمن «شمر يهرعش» في نهاية القرن الثالث للميلاد، فصارت تستفيد منه مساحة واسعة من الأرض، وقد بقي قائمًا إلى قبيل الإسـلام، وعُـدَّ سقوطه نكبة كبيرة من النكبات التـي أصابت العربية الجنوبية، حتـى ضُرب بسقوطه المثل، فقيل: «تفرقوا أيدي سبأ»؛ ذلك لأن سقوطه أدى إلى تفـرق السبئيين، وإلى هجرتهم من بلادهم التـي ولدوا فيها، وإلى تفرقهم شذرَ مذرَ في البلاد(٣١).

لكـن جواد علـي كان أكثر تحديداً وتخصيصاً للانهيـار الكبير الذي ورد في القـرآن و«أن تلفًا أصابه بعد ذلك فيما بين السنة «٥٤٢ ب. م.» والسنة «٥٧٠ ب. م.»، فلـم يصلح فترك الناس مزارعهم، واضطروا إلى الهجرة منها، وإلى ذلك وردت الإشـارة في القرآن الكـريم»(٣٢) أي قبل إعادة أبرهة الحبشي بناءه، وتمثل هذه الحادثـة قاعدة أساسية اعتمد عليها الإخباريـون في رواياتهم حول التهدم والتهجير.

وهنـا لابـد أن نشـير إلـى أن الآيـات في القـرآن الكـريم خصت أهـل سبأ بهـذا الخـراب، في حين لم تأتِ الأعـوام ٥٤٢ – ٥٧٠ إلا وقد كانـت نهاية الدولة الحميرية –بحسـب بعض التصنيفات والتقسيمات– التـي حكمت اليمن ونقلت العاصمة إلى ظفار يحصب، ومأرب لم تمثل بعدها أي ثقل لا سياسي ولا سكاني، والقـرآن الكـريم أكثر تحديـداً وتخصيصـاً ودقة وهو يذكـر أهل سبـأ، لو أراد الحميريـين لأشار إلـى التبابعة مثلاً، كما أشار إليهم في سـور أخرى من القرآن ﴿ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ ﴾ الدخان(٣٧). والقـوم الذين عاقبهم الله أهل سبأ لا حمير، خاصـة أن الذيـن طلبوا المباعـدة في الأسفار هـم السبئيون التجـار المشتهرون بالتجارة وليس الحميريين، وبالتالي فإن السبئيين هـم المخصوصون بالعقوبة،

ولـو خص بسيل العرم السدود فقد كانت السدود منتشرة أكثر في يحصب وأكثر مـن مـكان في اليمن في زمن الحميريين، وإليها تشير الأبيـات المنسوبة إلى التبع أسعد الكامل بقوله:

وريْـدَانُ قَصْري في ظَفَار ومَنزلي بـهـا أسَّـس جـدِّي دورَنــا والمناهـلا
على الجنَّة الخضراءِ من أرضِ يحصب ثـمـانـونَ سـدًّا تـقـذفُ المـاءَ سائلا
مـآثـرُنـا في الأرضِ تـصـدقُ قولَنا إذا مـا طلبْنا شـاهـدًا أو دلائـلا

كذلك فإن الفترة الحميرية وتاريخها هي من أصدق الفترات اليمنية تاريخاً وترابطاً ووضوحاً في تواريخها وأحداثها، ولم تكن فيها فجوات زمنية وحدثية كما هـو الحال مع سبـأ أو معين أو قتبان وأوسان وحضرمـوت، وأكثر الفترات تدويناً واهتمامـاً بالنقوش، فلو كان حدث السيـل في عهدها لوجدناه مدوناً في نقش من النقوش إلا أن تكون هذه النقوش غير مكتشفة بعد.

غـير أن كثيراً من المؤرخين والباحثـين الآثاريين يقولون لا وجود لمسمى دولة حمير؛ فالدولة هي دولة سبأ تعاقبت عليها بعض الأسر ومنها أسر من الحميريين الريدانيـين، خاصة وأن تسمية سبأ ظلـت حتى الاحتلال الحبشي ومجيء أبرهة وهو آخر من تسمى بملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في طود وتهامة، وبالتالي فإن نعتهم في القرآن بالسبئيين صحيحة مائة في المائة.

مـا نشاهده من بقايـا سد مأرب اليـوم ليس بما كان عليه مـن البناء الأول المتقـدم لدولـة سبأ، بل هو مـن آخر عملية للبنـاء في عهد أبرهــة؛ لأننا لا نجد تلك المواصفات الأولى لاستخدام بعض المواد في البناء كالرصاص المذاب وغيره، ونظـراً لتهدمه حـوالي سبع مرات فإن مـا بقي من أطلاله هو لآخـر عملية بناء وترميم.

وعلى هذا الأمر فإن النقوش الموجودة اليوم على ما تبقى من آثار السد إنما هـي نقوش قديمة في حجارة أعيـد البناء بها وإضافتها إلـى حائط السد، الأمر

الذي يعني ضيــاع الكثير منها في حوادث السيول المختلفة، وقد تكون مطمورة في الطمــي والأتربة حول السد، وقد يتم الكشــف يوماً ما عن نقوش أخرى للسد من تلك الحجارة المفقودة تقودنا إلى الباني الأول المؤسس للسد.

وهــذا يــؤازره التسمية الجديــدة للســد (العرم) علــى اعتبار أنهــا تسمية حميرية ولفظ حميري دخيل على سبأ بدليل أن اللفظ (العرم) لم تذكره أيٌّ من النقوش السبئية بعكس النقوش الحميرية التي ثبتت هذه التسمية؛ إذ إن النقوش السبئيــة والمعينية والقتبانيــة كانت تطلق عليه اسم "مأذن" (سد) وليس "ع رم ن" (العرم) الذي ثبته القرآن الكريم.

كانــت تسميــة السد/الحاجــز في القــرن الأول ق.م يسمــى "ك ل و ت ن" (كلوتن) كما في نقش RES- ٣٩١٣[٣٣].

كمــا أطلق الاســم «ح ر ت» (سد)، ولكن هنا يقصد بــه السد الصغير قليل الارتفاع وهو سد تصريف. وكذلك يسمى «ع ض د م» (سد تحويل).

في عهــد الملــك «شمر يهرعشــر» في القرن الثالــث الميلادي حصلــت أمطار وسيول جارفة أدت إلى تهدم سور المدينة وقصري همدان وبتع، وأمر الملك «شمر يهرعشــر» بإعادة أسوار وأبراج سور مدينة سبأ الذي تهدم بفعل السيول الجارفة (ذ ع ب ن).

كذلــك فــإن المسافة الزمنيــة بين آخر تهدم لــه أو بين عمليــة إصلاح له في عهــد السبئيين كان في زمن «يدع إل وتر» قبل الميــلاد، وبين عملية إنشاء وترميم وإصــلاح في العهــد الحميري بعد الميلاد وتحديداً في زمــن الملك «شمر يهرعش» ومــا قام به من إصلاح، تعتبر مسافة زمنية بعيدة يرجح فيها أن سيل العرم كان ما بين هاتين الفترتين.

وهذه تعتبر ثلاث قرائن متتالية قد ترقى إلى مستوى أدلة بأن السيل حصل خلال هذه الفترة، وخرجت بعض الهجرات منها لتكوِّن الممالك الأخرى ولتكون

المسافة الزمنية معقولة خلال القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول بعد الميلاد لتكوين هذه الممالك؛ إذ لا يعقل أن يتم إنشاء ممالك قوية إلى حد ما (الغساسنة في الشام والمناذرة في العراق، والأزد في عمان) في الفترة البسيطة قبل الإسلام على رأي من يقول إن العرم جاء بعد إنشاء أبرهة الحبشي السد أو في آخر إصلاح له قبل أبرهة في عهد شرح إل يعفر.

هناك قرينة رابعة أيضاً ترقى إلى مستوى الدليل وهي في نقش (GAM ٦٧١) في عهد الملكين «ثاران يهنعم» وابنه «ملك كرب يأمن»، ذكر هذا النقش أن الملك «ثاران يهنعم» أمر الجيش والأعراب المناصرين التوجه إلى السد (عرمن) الذي تهدم عند موضع حبابض (ثبرت عرمن بحببض) وموضع رحبتن (الرحبة) فتداعت جدرانه ومبانيه وأحواضه وسدوده الفرعية و«مضرفن» (مضارفه) وخرب ما مقداره سبعون (شوحطم) وحمدوا الإله المقه وسبحوه؛ لأنه استجاب لدعائهم فحبس الأمطار والسيول والأمواج عنهم حتى تم العمل وأقاموا الأسس والجدران والسد[٣٤].

وهنا في هذه الفترة، وفي هذا النقش، ظهر أول ذكر لتسمية السد بالعرم، وذكره بلفظ «ع ر م ن» (العرم).

ويظهر من خلال النقش أنهم مازالوا على دين الوثنية قبل أن يؤمنوا بديانة التوحيد التي آمنوا بها من بعد هذا الملك، من خلال هذا المعتقد بغير الله يمكن أن يكون السيل هذا أيضاً ضمن العقوبة المرسلة عليهم.

ومن خلال سياق النص فإن هذا الخراب والتهدم لم يكن بذلك الكبير الذي يدمر المنطقة ويهجر أهلها ويمزقهم في الأرض، فقد تم تلافي الخراب وإصلاحه، لكن ما يستشهد منه على وجه التحديد أن أمر السيول مشكلة مؤرقة لمأرب وللسدود عموماً، وتظل تهديداً قائماً.

ولذلك نجد معظم النقوش في الفترة السبئية المتأخرة، والتي يسميها البعض بالعهد الحميري (بعد الميلاد)، والتي تذكر سد مأرب وسيولها، تتحدث هذه النقوش إما عن خراب السد، أو تقديم نذور وقرابين لحمايته من التلف والضرر، بعكس بعض النقوش القديمة التي لم تذكر إلا تهدم السد وعملية إصلاحه وترميمه، وهي قليلة بالنظر إلى العهود المتأخرة، مما يعزز القول إن سيل العرم المذكور في القرآن إنما كان في العهود المتأخرة لسبأ، ومن دقة القرآن لتقرير واقع الحال أنه ذكرها باسم سبأ ولم تذكر باسم حمير.

فنجد هذا الخراب المتعدد للسد، حتى في إطار حكم الملك الواحد يتعرض السد لعدة انهيارات وإصلاحات، سواء كانت جزئية أم كلية، مما يعكس أهميته الكبرى لدى السبئيين.

ففي عهد الملك «شرح إل يعفر بن أبي كرب أسعد» [أسعد الكامل] تهدم السد مرتين؛ حيث قام بإصلاحه الإصلاح الأول سنة ٥٦٤ح و٥٦٥ح = ٤٤٩م و٤٥٠م، بحسب نص مسندي (GLASER ٥٥٤)، وهو وثيقة تتعلق بسد مأرب الشهير، ذكر فيه هذين الإصلاحين وحجم الإنفاق عليهما، ومقدار المشاركة المجتمعية في البناء، وخارطة توزيع العمل والمشاركة بين القبائل اليمنية[٣٥].

لم يلبث هذا الإصلاح فترة بسيطة،فنقشٌ يذكره بعام واحد، ونقش آخر يذكر بستة أعوام حتى أتى سيل كبير خرَّبه مجدداً، ثم تم الإصلاح الآخر في السنة التي تليها (أيضاً موضح في نفس النقش المسندي)، ما اضطر بعض المزارعين إلى الهجرة وترك المنطقة.

في حين ذُكر، في موضع آخر عند دارسين آخرين وبنقش آخر، أن عملية الإصلاح الثالثة كانت سنة ٤٥٧م، أي بعد سبعة أعوام من التهدم الأول وليس عاماً واحداً، كما يذكره النقش الآخر الذي يرمز إليه بـB،Gar Sharahbil A[٣٦].مما يعني أن عملية انهيار السد وإصلاحه،ففي عهد «شرحبئل» حدثت ثلاثة تهدمات وإصلاحات؛ الأول وقد قام بإصلاحه، والثاني الذي حدث بعد

الإصـلاح الأول بعـام واحـد، والثالث الـذي تم إصلاحـه بعد سبـع سنوات من الحادثـة الأولى، خاصة وأن نقشين لـ «شرحبئل يعفر» يذكران العام الأول وسبعة أعـوام أخرى، مما يعني أن هذه الحوادث المتعاقبـة جعلت هؤلاء القوم ييأسون، وربما ترتبت عليه بعض الهجرات.

ومـع كل عملية إصلاح مـن هذه الإصلاحات يتم إدخال مـواد جديدة تكون متينـة وداعمة لهذه الإصلاحات وتقوية السد، ومن ذلك ما ذكره النقش السابق لشرحبئـل يعفر الـذي يرمز إليـه بـ CIH٥٤٠ من أنهم طعَّمـوا الحجارة وشقوق السـد بصفائح الحديد وبالقمـط (الملازم) المثبتة للجدران، كمـا دعموا أسفل السد بحجارة أخرى، وأزالوا الطمي والترسبات من أسفل السد[٣٧].

ومـن ناحيـة الشواهـد المادية وذكر هـذه الهجرة في النص، تعتبر الأقرب إلـى روايـة الإخباريين بتفرق أيـادي سبأ، وحادثـة سيل العـرم في القرآن، لكن تلـك الهجرات كانـت بسيطة جداً لبعض المزارعين المقيمـين حوالي السد الذين خافوا من تكرار مداهمة السيول لأراضيهم، وكانت الهجرة الداخلية إلى المناطق الجبليـة ومنهـا صنعاء، وهنا بدأ نجم صنعاء في الظهور، لكن على أية حال تظل هي الأقرب إلى واقع الهدم والتهجير ولو بنسبة معينة.

فقـد ذكر في النص هجرة بعضـ المزارعين والقبائل من حـول السد، ولكن اقتصـر على منطقة الرحبة الذي يسمى السد باسمها، ولم تُذكر أسماء القبائل التـي هاجرت، ولـو كان النص دوَّن اسـم القبائل التي هاجرت لـكان سهَّل على المؤرخين والباحثين اليوم كثيراً من تلك المعضلات.

لكـن من نواحي أخرى لم تكن بمقدار تلك الهجرة التي تم المبالغة فيها، وأن شعوبـاً وممالك أخرى نمت وترعرعت بسببها، ولم تكـن هجرة خارجية كبيرة، فهي قبل البعثة النبوية بأقل من مائتي عام، إلا أن تكون هجرة أسرية تغلبت على ملك قبائل أخرى بعد فترة من الزمن فصارت تنسب إليها.

الأمـر الآخـر من شواهـد النص اللغويـة والعقائدية الدينيـة لم تذكر لفظ «العـرم»، ولم تصوِّر حجم السيـل إن كان كبيراً أو أقل من كبير، ذلك الذي ترك صـدىً تاريخيـاً حد نزول آيات قرآنيـة توثقه، والذي كان يعتـبر أكبر من زلزال للمنطقة.

فالآيـات القرآنيـة تقـول إن السيـل أرسـل عقوبـة علـى أهـل سبـأ بسبـب الإعراض والكفـر بأنعـم الله، وبسبـب تجـاري وطلـب بعـد الأسفـار ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ... ﴾سبـأ(٢١٩) أيضاً، في حين النص المسندي يوثق أنهم كانوا على ديانة التوحيد المؤمنة بإله السموات والأرض، ومفتتح النص يذكر هـذا الأمر بالقول: «بنصر ورداء إلهن بعل سمـين وأرضن...»، أي: بنصر وعون إله السموات والأرض تم هذا العمل!

الملاحـظ في النقش الأول ((CIH ٥٥٤لشرحبئل أنه لم يذكر إله السموات، وكان فيـه نقصـن....، ولا أية آلهـة أخرى، في حين ذكر النقـش الأخير(B،Gar Sharahbil A) إله السموات والأرض، وهذا يعني تحولاً عقائدياً في عهده.

لكـن يبقى هذا النصـ، وهذا الحدث، هو أقرب الشواهـد والدلائل للحدث وللواقـع الجديد بعده مـن هجرة وغـيره، باستثناء معارضة الآيـات في الجانب العقائدي، والترحال أيضاً (باعد بين أسفارنا)، وهذا يدعم ما أشرنا إليه سابقاً أن الإعراض والكفر لم يكونا كفراً عقائدياً دينيـاً، بل كفر النعمة والبطر وعدم الشكر.

لكن في كل الأحوال استمرت مأرب في الزراعة، واستمرت واحدة من العواصم السياسيـة للدولة، ولم يتم هجرها هجراً كاملاً، واستمرت كذلك عمليات إعادة بنـاء السد وإصلاحاته وترميماته، كما تقول الشواهد النصية للنقوش المسندية، وبعدهـا كان الإصلاح الأخـير لأبرهة الحبشي وتهدمه بعـد ذلك التهدم الأخير أيضاً.

ونجـد أن بين عمليـة الإصلاح الأخـيرة (الثالثة) في عهد الملـك «شرحبئل يعفـر» وبـين إصـلاح أبرهة قرابـة مائة عـام، إذ كان الإصــلاح الأخير في عهد شرحبئـل عام ٤٥٧م، وفي عهد أبرهة ٥٤٣م، بمعنــى أن التهدم الرابع للسد كان بعد شرحبئل مما اضطر أبرهة الحبشي لإعادة بنائه، وكان هو البناء الأخير.

خلال هذه الفترة حصلت صراعات داخلية وضعف داخل الدولة السبئية،فكان الاحتلال الحبشي الثالث لليمن، وهي قرينة تساند الآيات ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.

مـن يزر أرضـ السد ومجرى السيل منه لا يجد آثـاراً لخراب كبير يمكن له تهجـير كافة السكان مـن مأرب، فما وجدنـاه عبارة عن قنـاة (سائلة) بسيطة انسيابيـة للماء حتى يصل وجهته، وقد كانت مدن وقرى مأرب تقع على هضابها المرتفعة قليلاً عن مستوى سطح الأرض، لا تصل إليها مياه السد بالخراب، وخير شاهـد علـى ذلك عاصمة المدينة القديمة التي كانـت في أجمة مرتفعة قليلاً عن سطح الأرض.

ثـم إن السد لم يكن كافياً لسقيا جنتين لحضارة ممتدة طولاً وعرضاً ولو في مأرب وحدها كحقول زراعية مترامية الأطراف؛ فلقد كان السد أقل حجماً بكثير ممـا هو عليه اليوم، وأراضي مـأرب الزراعية لم تكن هي المعروفة اليوم، بل إنها على امتداد المنطقة كلهـا، وقد غطتها الرمال بفعل التصحر الزاحف عليها؛ أي أن هنـاك عوامل ريٍّ أخرى غير السد. فالسد الـذي كان مبنياً بالمواصفات التي وردت في نقشـ أبرهة الحبشـي بارتفاع واحد وأربعين ذراعـاً، وطول ٤٥ ذراعاً، وعرضـ أربعة عشر ذراعاً، كمـا قدر أنه يسقــي ٩٦٠٠ هكتار.وعلى المجمل فقد «كان سعة السد المائية تقدر «بحوالي ٥٥ مليون متر مكعب»[٣٨].

في اعتقادي أن السيل لم يكن مقتصراً على مأرب فقط، وإن كان هو الأبرز، بـل كان في عموم اليمن، وربما في وقت واحد بسبب دخول اليمن بما يسمى اليوم منخفضاً جوياً داهم معظم الأراضي اليمنية بحيث خربت معظم زراعة اليمنيين،

خاصــة وأن اليمنيين يعتمدون على سيــول الأمطار وجريان الأودية لري زراعتهم كما هو حال أودية تهامة وأبين وتعز وغيرها، وما بين فترة زمنية وأخرى تتعرض كثــير من الأودية اليمنية لسيول جارفة تخرب معها الكثير من المزارع، وهو أشبه بطوفان نوح الذي عمَّ الأرض، وهذا باعتقادي عمَّ اليمن كلها.

تسمية العرم:

بإلقاء نظرة جوية على جبلي السد عن يمين وشمال سنجد أنه أشبه بحاجب وسد جبلي طبيعي منتهى سلسلة الجبال الغربية والشمالية الغربية وبداية السهل والصحراء، جعلت وسطها ثغرة بشكل ميزاب إذا سُدت كونت بحيرة طبيعية.

هــذا الحاجـب الحاجز من خلال صفتــه، فهو يشبه «العُـرم»، وربما جاءت التسميــة من هــذه الصفة المكانية والجغرافية.ففي اللغــة اليمنية القديمة والتي مــا زالت محكية إلى اليوم فإن كثيراً مــن اليمنيين يسمي حاجب العين «عُرماً».. (تنظر الصورة رقم١).

وكثــيرة هي المناطق في اليمن التي تسمى «العُـرْم» من مناطق جبلية، ومنها منطقة العرم بين شبوة وأبين مثلاً.

وغالباً تطلــق التسميات عند اليمنيين على الأماكن من خلال صفاتها وواقع حالها.

«ويقــال للسد (عرمن) في العربيات الجنوبيــة، أي: العرم، فلفظة (العرم) تعني السد عند اليمانيين القدماء، ولم تكن علماً على سد معين، أعني سد مأرب. وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾»(٣٩).

وهنــاك عدة تفسيرات لمسمى «العــرم» في القرآن، فمن قائل أنه لفظ يماني يطلــق على السيل الكبير، ومن قائل بأنــه الحاجب وهو السد، ومن قائل هو اسم السد، ومن قائل إنه اسم المنطقة والجبل القائم عليها السد.

ونجد في لسان العرب لابن منظور أن للفظ عدة معانٍ وأوصاف كلها تنطبق على حال سد مأرب، فهو يعني السد، ويعني الحاجز، ويعني الوادي، واسم من أسماء الجرذ، وهو المسناة (ثغرة جبل، ثغرة الشيء)، والشديد، والكثير، والسيل، والمُزارِع ...إلخ. وأنشد بن بري للجعدي:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ   يبنون من دون سيله العرما[٤٠]

ويبدو تعاضد كل هذه الألفاظ التعريفية لمكان واحد هو الذي غلب رواية أن سيل العرم تم إسقاطه على السد.

فالنقوش السبئية تسمي السيل الجارف«ذ ع ب ن»، كما في نقش(JA٧٣٥) الذي يؤرخ بسنة تبع «كرب بن ودد إل بن كبر»، ويتحدث عن أمطار غزيرة وسيول جارفة في مأرب[٤١]، ويعود للقرن الثالث الميلادي في عهد الملك «نشأ كرب يأمن يهرجب».

من خلال التاريخ القديم لإنشاء السد، كما دونته النقوش، لم تذكر نقوش ما قبل الميلاد اسم «العرم» على السد، وإنما ظهرت التسمية بنقوش ما بعد الميلاد، مثل نقش (GAM٦٧١) أو نقش أبرهة الحبشي فقط.

يقول نقش GAM: "بكن/ ثبرت/ عرمن" أي: عندما تصدع العرم (السد). والنقش -في مجمله- يتحدث عن عملية إصلاح سد مأرب في عهد الملكين "ثأران يهنعم" وابنه "ملكي كرب يهأمن" في منتصف القرن الرابع الميلادي..والعرم والعريم هو الحاجز في لهجة أهل اليمن اليوم[٤٢].

لم نجد هذه التسمية (العرم) في النقوش السبئية الأولى، لكننا وجدناها في النقوش السبئية المتأخرة، والتي تسمى بالفترة الحميرية، مما يعني أن لفظ «العرم» حميري مستحدث، وسمي السد باسمه لاحقاً في الفترة الحميرية، وهذه إشارة هامة على أن سيل العرم حدث في الفترة الحميرية المتأخرة.

بـدأت تسمية السد بالعـرم مع بداية القرن الرابع الميـلادي في عهد الملكين «ثـاران يهنعـم» وابنه «ملـك كرب يهأمـن»، ورد ذلك في نقش الملكـين السابقين والمرمـوز لـه بـ(٢٩٤ MaMB= ٦٧١ JA)[٤٣]، ثـم بعد ذلك تكـررت التسمية في نقش «شرحبئـل يعفـر» وما بعد ذلك مـن النقوش إلى العهـد الأخير لأبرهة الحبشي.

كمـا إن تسميـة «العرم» ليست عامة على كل سد مـن سدود اليمن المختلفة، وإنمـا اسـم خاص بسد مـأرب، والـذي كان قبل الميـلاد يسمى سـد «ر ح ب م» (رحـاب)، وهذه دلالة أخرى على أن السيل فعلاً كان مسلطاً على سد مأرب دون غيره من السدود، وهو المهدد دائماً بالانهيار جراء السيول المتدفقة.

وقـد جاء في نقش أبرهة الحبشي، الذي جدد فيه بنـاء السد سنة ٦٥٨ح= ٥٤٣م اسمـه (عرن) وليس عرم، ومعلوم عملية إبدال الحروف في لهجات اليمن بين الميم والنون، فيسمى أحيانًا «عرم» وأخرى «عرن»، أو أنه قد سقط حرف الميم عن الناقل أو انمحى أثره، ويعني (ع ر م ن) كما هو الاسم في نقش GAM٧٦١.

مع أن "العرن" يقصد به أحياناً (الحصن)، كما جاء في نقش RES ٢٦٣٣ وCIH ٦٢١الذي يتحدث عن ترميم "ع ر ن/ موي ت" (حصن ماوية) في شوبة قديما، والذي يسمى اليوم بئر علي[٤٤].

وأيـا تكن التفسيرات لهـذا اللفظ، ولو افترضنا أيضـاً صحة إسقاطها على السد والسيل معاً، فإننا لا نستطيع تجاوز وتغافل الأدلة المادية على أن السد تهدم بالسيـل لحوالي ٦ مرات أو تزيد، وأن الخراب كان محدوداً للغاية، وبقيت البلاد عامرة بأهلها ولم يهاجروا بشكل كلي.

وكمـا هو الحـال والوضـع والتساؤل الذي يتكـرر في كل مـرة: لم تذكر تلك النقوش هجـرات كبـيرة، وعلـى أي عهد منها يمكـن أن نسقط تلـك الهجرات والسيل المخصص في القرآن؟!

فهل في كل سيل من تلك السيول التي هدمت السد يمكننا أن نطلق عليه نفس التسمية (العرم)؟!

لتحليل اللفظ الوارد في القرآن الكريم فإن اللفظ «سيل» كان نكرة، لكن بإضافته إلى معرفة وهو (العرم) يصير معرفة لا نكرة، و«العرم» هنا اسم معرف أيضاً للسد لا صفة للسيل، بل إن السيل هو المضاف لهذا «العلم»، وبالتالي فإن «العرم» هو اسم للمكان الذي انطلق منه السيل أو الذي جرفه السيل مثلاً.

وإذا كان الاسم معرفاً فإنه يكون مقصوراً وأكثر تمييزاً وتحديداً للأشياء وعلى استعمال اسم بعينه، بعكس التنكير الذي يكون مبهماً ومفتوحاً على كثير من التأويلات والاستعمالات.

قصة الفأر/الجرذ:

راجت عند الإخباريين قصة خرافية كانت العامل الأهم في تهدم سد مأرب، وهي قصة الفأر أو الجرذ الذي نحت حجارة السد لينخره من الداخل ليسهل على السيل بعد ذلك تحطيم السد وجرفه.

فلا يكاد يذكر سد مأرب عند الإخباريين إلا وذكر معه الفأر (السبب)، وقصة التنجيم الحاصلة في تهدم السد.

فقد جاءت في تفسير ابن كثير مثلاً قصص كثيرة ملخصها: «وذكر غير واحد ومنهم ابن عباس ووهب بن منبه وقتادة والضحاك أن الله -عز وجل- لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الأرض، يقال لها «الجرذ» نقبته، قال وهب بن منبه: وقد كانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب

هذا السد هو الجرذ، فكانوا يرصدون عنده السنانير برهةً من الزمان، فلما جاء القَدر غلبت الفأرُ السنانير، وولجت إلى السد فنقبته، فانهار عليهم»[٤٥].

ومضى أكثر الإخباريين في مثل هذه القصة التي وردت عندهم كابن إسحاق وابن الأثير وغيرهما، حتى صارت مصادر يستقي منها كلُّ باحث مقلد غير حصيف، وتُردد في أبحاث اليوم، وتغرق بها وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة.

فمن ذلك مثلاً ما ذكره البلاذري: «ثم إن من كان باليمن من ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بغوا وطغوا وكفروا نعمة ربهم فيما آتاهم من الخصب ورفاهة العيش، فخلق اللّٰه جرذاناً جعلت تنقب سداً كان لهم بين جبلين فيه أنابيب يفتحونها إذا شاؤوا فيأتيهم الماء منها على قدر حاجتهم وإرادتهم. والسد العرم فلم تزل تلك الجرذان تعمل في ذلك العرم حتى خرقته، فأغرق اللّٰه تعالى جناتهم وذهب بأشجارهم، وأبدلهم خمطًا وأثلاً وشيئاً من سدر قليل!»[٤٦].

وورد في مروج الذهب للمسعودي كذلك: «ولا خلاف بين ذوي الدراية منهم، أن العرم هو المسناة التي قد أحكموا عملها لتكون حاجزاً بين ضياعهم وبين السيل ففجرته فأرة، ليكون ذلك أظهر في الأعجوبة...»[٤٧].

فتعالوا نفند هذه القصة عقلاً ومنطقاً وواقعاً.

ومما جاء عند هؤلاء في مواصفات الجرذ/الفأر أنه بمقدار الخنزير البري يقلب الصخرة الكبيرة التي لا يستطيع قلبها عشرة رجال. وذكرت قصة الكاهنة طريفة مع عمرو مزيقياء، ومما قالته لهم: «انطلقوا إلى رأس الوادي وسترون الجُرَّذ العادي يجر كل صخرة صيخاد، بأنياب حداد، وأظفار شداد. فانطلق عمران في نفر من قومه حتى أشرفوا على السد، فإذا هم بجرذان حمر يحفرن السد الذي يليها بأنيابها، فتقتلع الحجر الذي لا يستقله مائة رجل، ثم تدفعه

بمخاليب رجليها حتى يسد به الوادي مما يلي البحر ويفتح مما يلي السد، فلما نظروا ذلك علموا أنها صدقت...إلخ!»[٤٨].

لا تستطيع الجرذان نحت الصخور الصلبة؛ إذ لا تمتلك الوسيلة لذلك أصلاً، فأسنانها لا تؤهلها لذلك النحت، ولن تكون أقوى صلابة من الصخر، في حين هؤلاء جعلوا لها أنياباً من حديد، وأظفاراً صلبة!!

حتى لو تم مجاراتهم بوسائلها تلك، فإن أنيابها وأظفارها تكون صغيرة جداً بالقياس إلى جرذ أو فأر، لنفترض حتى أنه قدر الخنزير فإن الصخر الكبير ذاك لا تقتلعه إلا الزبر الصلبة، ولم يعرف في الأرض منذ أن خلقها الله مواصفات حيوان بهذه الصلابة والحدة والشدة على صغره!

ولم يُسلِّم الكثير من المؤلفين والباحثين العرب بهذه الروايات التي اعتبروها خرافية وبعيدة عن الحقائق والواقع. وقد جاء في كتاب المعجم الجامع..، أنه «أوردت عدد من كتب التفسير والتاريخ قصصاً وحكايات حول كيفية انهيار السد وبداية السيل، ومن هو أول من تنبأ به وكيف بدأت هجرة القبائل من اليمن بعد أن عاشوا في رغد من العيش. ويروى أن الله تعالى أرسل إليهم عدداً من الرسل والأنبياء أوصلهم البعض إلى ١٢ ألف نبي يدعونهم إلى الإسلام. وتورد هذه المصادر قصة الفأر ذي المخالب الحديدية الذي حفر صخور السد وتمكن من قلب حجارته الضخمة، إلى غير ذلك من القصص الخرافية التي تبعد عن الحقيقة والواقع التاريخي والآثاري»[٤٩].

وللأسف الشديد فإن بعض المؤرخين اليمنيين المقلدين للإخباريين القدماء، وكذلك الإعلاميين اليوم، ما زالوا يرددون أساطيرهم تلك في رواياتهم وكتبهم، ووسائل الإعلام المختلفة تشويهًا لتاريخهم وتسليماً بأساطير مفتراة، ومن ذلك مثلاً ما نسب لعمارة الحكمي من أبيات يقول فيها:

إذا لم يسالمك الزمانُ فحاربِ ... وباعِد إذا لم تنتفعْ بالأقاربِ

ولا تحتقِر كيدَ الضَّعيف فربما ... تموت الأفاعي من سموم العقاربِ

فقد هدم عرشَ بلقيس هدهدٌ ... وخرَّب فأر قبل ذا سدّ مأربِ(٥٠)

ونجد أن المؤرخ جواد علي، كمؤرخ حصيف، لم يتطرق حتى إلى رواية الإخباريين في قصة الفأر، لا من قريب ولا من بعيد، ويبدو أنه تجاهلها عن عمد، مع أنه كان يفند آراءهم الأخرى بشأن الأساطير التاريخية.

فعوامل اندفاع السيول وتقادم أبنية السدود هي التي تهدم السدود لا شيء آخر، مهما ألفت الأساطير والقصص حول ذلك.

وبحسب المهندسين المعماريين اليوم فإنهم يتجنبون إنشاء السدود والحواجز المائية عند مساقط الجبال المرتفعة؛ لأن اندفاعات السيول تكون أكبر، فلا يصمد سدٌّ مهما كانت صلابته وقوته أمام هذه المساقط واندفاعة السيول.

وقد كان سد مأرب حاجزاً عند أهم ثغرة ومسناة/ميزاب لسلاسل متعددة من الجبال التي تتجمع سيولها في وادي أذنة، فتمر من تلك الثغرة/الميزاب من مكان السد، حيث تأتي هذه السيول من صنعاء وخولان وذمار وجهران ورداع وغيرها من المناطق، فتتجمع من كل شرايين وميازيب تلك المناطق والجبال، وتصل إلى حيث السد، مما يعني اندفاعة شديدة لسيول ضخمة جاءت في توقيت واحد طمت كل منطقة السد بما فيها السد، فهدمته، ولا تحتاج لفتح ثغرة وسط حائط السد.

وخلال هذه السيول تتجمع ملايين الأطنان من الطمي التي تحمله السيول، فتزيد من قوة السيل في اصطدام الجدار.

هذا الطمي لابد وأن السبئيين قد وضعوه في الاعتبار أثناء التشييد، لذلك «أقام السبئيون القدماء سد مأرب لاحتواء تلك السيول للسيطرة عليها مع ما

تحمله من طمي وأحجار وأشجار، ثم ليصمد أمام قوة اندفاعها دون أن يتصدع، مؤدياً الغرض من إقامته، وهو تحويل السيول إلى قنوات الري التي تسقي الحقول على جانبي وادي أذنة أطول فترة ممكنة. ولا ريب أنهم كانوا يدركون أن ذلك يقتضي تشييد سد قوي ومحكم يفوق طاقته إمكانات سدٍّ عادي»(٥١).

عن يمين وشمال:

ما المقصود عن يمين وشمال؟ هل عن يمين السد وشماله أم عن يمين اليمن كلها وشمالها؟ أم عن يمين البحر الأحمر وشماله على اعتبار التمدد الجغرافي لمملكة سبأ إلى أفريقيا؟

تكاد تجمع كل الروايات التي تحدثت عن حادثة السيل، وكما وردت في القرآن الكريم على أنها في مأرب؛ عن يمين وشمال السد لا في مكان آخر. وهذا وارد في سياق الآيات القرآنية المتحدثة عن الجنتين والسيل.

مع أنه قد لا يكون المقصود بها جنتين عن يمين السد وشماله بالمعنى الحرفي، فمن ينظر لمنطقة السد عبر الخرائط والإسقاطات الجوية باستعمال تقنية "جوجل إرث" مثلاً سيجد أن يمين السد وشماله عبارة عن سلاسل جبلية بركانية نارية على هيئة حِرار لا تزرع، وبعضها رملية صحراوية، ولم تكن أراضي زراعية منبسطة، فالأراضي الزراعية الخصبة لم تكن إلا ما دون السد شمالاً، وقد يكون المقصود بذكر الاتجاهات بالقرآن معناه التعدد والكثرة في كل الأراضي اليمنية، كما في ألفاظ أخرى (ذات اليمين وذات الشمال) مثلاً.

حتى النقوش المختلفة التي ذكرت السد والسيول والأراضي لم تكن تصفها بذلك الوصف المبهر في القرآن الكريم (جنتين)، أو كما عند المفسرين والإخباريين، وإنما كانت تتحدث عن أراضٍ زراعية تسقى من السد ،وتظل مهددة بالسيول.

كمـا إن الأراضــي الزراعية خلف السد في ذات الــوادي ليست بالكبيرة التي يمكــن وصفهــا بـ(الآية) ، مع أن الجنــة قد تكون صغيرة كمــا في آيات أخرى من القرآن، كما في سورة الكهف أو سورة القلم أو سورة البقرة:﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾الكهف(٣٢) ، لكن هاتــين الجنتين المذكورتين في سورة «سبأ» علاوة على وصفهما بالجنتين فقد زاد مــن وصفهمــا وإيضاحهما بأنهما (آيــة) وبلدة طيبة. فمعظــم الأراضي اليمنية في أوديتهــا المختلفــة هي جنــان متعددة وتــزرع أفضل أنواع الفواكــه والمحاصيل الزراعية المختلفة، وأيــاً اتجهت منها ستجدها جناناً عن اليمين وعن الشمال في الوديان أيضاً.

غــير أن المقصود بالجنة هنا هــو البستان الذي يحوي كل أنــواع الثمار، ولا توصــف الأرض الزراعية المقتصرة على نــوع أو نوعين من الزراعة بالجنة إلا أن تكون شاملة لكل أنواع الفواكه.

مــن خــلال الإسقاطــات الجويــة لجغرافية سبــأ الممتدة حتــى الحبشة من أفريقيــا ، نجــد أن كل هــذه الأراضي يفصلهــا أخدود البحر الأحمــر ويشطرها إلى نصفين، وبالتــالي قد يكون المقصود بيمين وشمال هما يمين البحر وشِماله، وكلاهمــا تزرع أنواع الثمــار، ومظهرها يكون أثناء الزراعــة خلاباً يمكن أن يتم وصفهمــا بجنتين عن يمين وشمال، وبعد الإعراض عــن شكر النعمة تم التمزيق والمباعدة بين شعوب الدولة المختلفة وصارت عملية التمزيق المختلفة.

لكن النقوش اليمنية وهي تتحدث عن السد وأحداثه تعتبر من الزمن المتأخر الذي صارت فيه الحبشة (أكسوم) دولة قوية ومستقلة بعيدة عن النفوذ السبئي، وهــذا يجعل من مجرد التفكير في أمــر سبأ والبحر الأحمــر والحبشة شيئاً غير منطقي.

هجرة اليمنيين بعد السد:

بعـد كل تلك الأحداث التي رويت في كتـب الإخباريين عن سيل العرم وتهدم السد وتفرق اليمنيين؛ راجت مقولة عن التفرق وصارت مضرب المثل بين العرب، وهـي مقولة «تفرقت أيدي سبـأ»، أي:خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد، فقيل لكل جماعة تفرقت «ذهبوا أيدي سبأ»(٥٢).

من خلال الواقع الميداني للزائر لمنطقة السد وما حولها لا نجد خراباً كبيراً بحيـث يهجِّر هذا الخرابُ اليمنيين من موطنهم، فالخراب محدود جداً، ويمكن إصلاحـه من قبل البسطاء؛ لأن مجرى السيل كان صغيراً، وهو عبارة عن جدول كبـير، وبقيت معظـم الأراضي حول الجدول صالحة إلى اليـوم؛ لأن السد تأثيره محدود فيما حوله فقط،وبالتالي بقيت معظم أراضي مأرب صالحة للزراعة، ولم يصبها الأذى، وهي تلك البعيدة عن السد ومجرى سيوله.

ولنفترض أن خراب السيل فعلاً كان للسد، فإن الأراضي المخربة قليلة جداً حـول السـد في وادٍ بسيط ومحـدود لم يطَل خرابه الأرض كلهـا، وهذا ما يتضح للزائـر على الأرض، ومعظم مأرب بقيـت صالحة على حالها، إلا أن يكون لحقها جدب فترة من الزمن جعلها بيئة غير صالحة للإقامة وطاردة لأهلها السكان.

لكـن تعالوا بنا إلـى ناحية أخرى من خلال النقوش المتعاقبة؛ إذ لم يدوِّن أيٌّ من النقوش هجـرة لليمنيين ورحيلاً كبيراً ولا جدباً ولا آفات أو هلاكًا، باستثناء نقـش «شرحبئـل يعفر» الذي يحمل رمـز (GLASER – ٥٥٤ وCIH ٥٤٠)، فقد بـيَّن بعض الهجـرات البسيطـة، والأمراضـ والموت الـذي خلفه التهـدم الثاني للسـد في عهـد شرحبئل يعفـر سنــة ٥٦٤ح و٥٦٥ح = ٤٤٩م و٤٥٠م، لكن تعاقب النقوشـ في مأرب كلهـا وما حولها، وتدوين مختلف الأحـداث يدل على استقرار تـام للسبئيين والمعينيـين والحميريين الساكنين تلك الأراضـي، إلا من صراعات سياسية وعسكرية، وهذا سيكون واحداً من أسباب الهجرات.

كل سلسلـة المكاربة والملـوك التي وضعها المؤرخـون والباحثون الآثاريون من خلال سلسلة النقوش المستفيضة في مأرب لم تذكر هجرة ورحيلاً لليمنيين منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي، الذي شهد هجرات متعـددة بفعل تحولات الأحداث في الجزيرة العربيـة والتحاق اليمنيين بالإسلام وبالعاصمـة الإسلاميـة المدينـة المنـورة، والتفرق بعد ذلـك في جيوش الفاتحين للأمصار والاستقرار فيها.

وكذلـك لم تذكـر كل تلـك السلسلة أن انقطـع الحكم والملوك عـن الممالك اليمنية المختلفة من معينيـة وسبئية وقتبانية وحضرمية باستثناء انقطاع أوسان لمداهمتهـا من قبـل سبأ، أو معين أثنـاء الانقلاب السبئي عليهـا ودخولها ضمن مملكة سبأ والانصهار فيها.

وهنـا إمـا أن يكون الرحيل والهجـرة الخارجية بشكل قبلـي وأسري، بدليل أن الشعوب التي نشـأت في شمال الجزيرة العربية وشرقها وبلاد الشام والعراق وعمـان كانت على أساس من الوحـدة المجتمعية الأسريـة والقبلية من غساسنة ومنـاذرة وأزد أو يثرب من أوس وخزرج وغيرهـا، أو أن الهجرة كانت في الألفية الثانية قبل الميلاد، وهنـاك احتمال ثالث وارد هنا وهو نظراً للفجوات التاريخية اليمنيـة في التدويـن، فقد تكون وقعت الهجرة فعلاً في أواخـر الألفية الأولى قبل الميـلاد، وما تـزال طي الكتمان والاندثـار، قد تظهر من خـلال نقوش مدونة في اكتشافات لاحقة.

كانـت هجرة الأوسانيين، وبعد ذلك بزمن القتبانيين، على أساس من تكوين سياسـي، وكانت هجرتهم بفعل الصـراع السياسي والتهجير التي قام بها «كرب إيل وتر»، وبشكل جماعي نحو الحبشة والقرن الأفريقي، وتشتتهم وسط الجزيرة، ومحلياً داخل الوطن الأم.

وحتـى الأوسانيـون الذين تم تهجيرهم في القـرن السابع ق.م إلـى أفريقيا

إنما رحلوا إليها ليلحقوا بأهلهم اليمنيين هناك، المتواجدين من قبل، فالنقوش السبئية في الحبشة تعود إلى القرن العاشر ق.م، مما يدل على أن سبأ كانت مزدهرة قبل تلك القرون، تمدد حكمها إلى أثيوبيا وموزمبيق وزيمباوي، كما تقول النقوش السبئية هناك، وما ذكره المؤرخون أن تاريخ سبأ يعود إلى القرن الثامن أو العاشر قبل الميلاد، كما يذكر فيلبي وجلازر وجام وريكمنسورودو كناكس وهومل ومن بعدهم جواد علي، إنما حكموا على ذلك من خلال أقدم النقوش في عهدهم قبل الاكتشافات الأخيرة التي وصلت إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد؛ أي الضعف من الفترة التي تحدثوا عنها عن تكوين سبأ.

وتفسير هذا الأمر يعود من ناحية للاكتشافات المتأخرة، وكذلك يبدو أن سبأ في القرن الثامن وما بعده وصولاً إلى الحملة الكبرى لكرب إيل وتار، الذي باعتقاد المؤرخين أنه أول من تسمى باسم «ملك» وقبله كانوا يسمون «مكاربة» «مكرب»، إنما كان في عهده الانتعاش الثاني للدولة السبئية وتجديد عهدها وفتوتها بعد ضعف وانحسار.

بطبيعة الحال،فالمتأمل والباحث في أمر الهجرة فإنها قد تمت بشكل هجرتين: خارجية وداخلية؛ الخارجية كانت إلى الشام والعراق وعمان ووسط الجزيرة (الحجاز ونجد)، وكذلك إلى أفريقيا الحبشة والقرن الأفريقي أو حتى إلى أطراف شمال أفريقيا، حيث البربر ولغتهم الأمازيغية وخطهم المسندي من أكبر الدلائل التي لا تخفى على الباحثين.

أما الهجرات الداخلية فقد حدثت هجرات إلى المعافر (تعز وإب ولحج وصنعاء وتهامة؛ إذ إن تكوين كثير من القبائل والأسر في تلك المناطق يعود إلى أصول سبئية ومعينية وأوسانية وحضرمية أيضاً.

تذكر الكثير من الكتب التاريخية عند الإخباريين، ومنها كتاب السيرة لابن إسحاق أن الملك «أب كرب أسعد» قام بمحاربة سكان يثرب من الأوس والخزرج

واليهـود، ولم ينتصـر عليهم، وتراجع عن محاربتهم بفعـل نصائح أحبار اليهود هناك أن المنطقة ستكون هجرة النبي العربي من قريش، وعاد وعظَّم يثرب حتى أنه دخل في الدين اليهودي[٥٣].

وعليـه فإن الأوس والخزرج هاجروا من قبل تهـدم سد مأرب لثلاث مرات، كون السد انهار ثلاث مرات بعد أب كرب أسعد، وذلك رداً لمن يقول إن الهجرات كانت عقب تهدم السد في عهد الملك شرحبئل سنة ٤٥٠م.

مـن خلال بعض العوامل الطبيعية من الجدب والجفاف الذي أصاب مأرب لمـدة ثلاثة مواسم؛ أي ثلاث سنوات متتاليات، مما تسبب بموت الأراضي زراعياً وجفـاف الحقول وجفاف الآبار، يمكـن أن نستنتج وجود هجرات لهذه الأسباب، خاصـة وهي من أكثر العوامل التـي تجعل السكان يتركـون أراضيهم ويهاجرون بحثاً عن لقمة العيش والماء والمرعى والزراعة.

فقـد ذكر هذه العوامـل النقش المرموز بـJA ٧٣٥والمـؤرخ بسنة تبع كرب بن ودد إل بن كبر خليل التاسعة[٥٤]، وذلك في بداية القرن الثالث الميلادي، وتحديداً في عهـد الملك شمـر يهرعش، الذي صاحب تبع كرب بـن ودد إل كبير الكهنة في معبد أوام.

صحيـح أن النقش لم يذكر الهجرات، لكن العوامـل الطبيعية والحتمية من هـذا الجفاف واستمراره لثلاثة مواسـم يعني هجرة مؤكدة، وهذا ما نعرفه عبر التاريخ لكثير من الدول والأحداث المشابهة.

التمزيق والقرآن:

ذكرنا أن النقوش على اختلافها لم تذكر تهجير اليمنيين بعد حوادث انهيار السـد؛ لأنـه لم يكـن مقوم معيشتهـم الوحيد، مـع أن مثل ذلك الصـدى الكبير الـذي أحدثته انهيارات السد المختلفة لم يـدوَّن إلا في القرآن الكريم، وعليه سار الإخباريون في كتبهم.

مرجع ذلك إلى سبب مهم، وهو أنه حتى الآن ربما لم تكشف كل النقوش حول السد ومأرب وسبأ، وربما ظهرت نقوش أخرى تدوّن هذه الأحداث أو الهجرات، وخاصة إذا ما تم الحفر والتنقيب في مجرى السيول أسفل السد للكشف عن هذه النقوش.

ومن خلال النقوش والأبحاث التاريخية المختلفة على كثرتها، ودراسة مختلف الفترات التي تلت حوادث انهيارات السد، وخاصة منذ القرن الثالث الميلادي وحتى القرن السادس، فقد دخلت البلاد في اضطرابات سياسية مختلفة؛ حروب بين سبأ وحمير، وبين حمير وحضرموت، وسبأ وقتبان، وقتبان وحمير، وهكذا دواليك.

لكن أهم تلك الصراعات التي كانت تجري بين تلك الممالك واستعانتها بالأحباش ومملكة أكسوم في محاولة التغلب كل طرف على الآخر، حتى استغل الأحباش تلك الصراعات وبدأوا احتلالهم التدريجي لليمن، والذي بدأ من القرن الثاني الميلادي وصولاً للاحتلال العام والكبير في القرن السادس الميلادي.

هذه الصراعات والتمزقات اشتدت منذ القرن الثالث الميلادي صعوداً إلى إنهاء الدولة على يد الأحباش في القرن السادس حوالي ٥٤٥م، ويمكن أن تكون العقوبة الأخرى إلى جانب انهيارات السد المختلفة، وبعدها لم تقم لليمن قائمة، وهي تدعم الوصف الوارد في القرآن الكريم من حالة الشتات والتمزق، وهي قرينة وربما من بعض الدلائل غير القاطعة أن سيل العرم والانهيار الكبير حدث خلال القرون الثلاثة الأخيرة.

كما إن الصراعات عادة تخلف المآسي المختلفة التي ينتج عنها التهجير للمهزوم أو المعتدى عليه، وهذا يعتبر دافعاً من دوافع الهجرة، سواء كانت الهجرات الذاتية أم القسرية.

اندثار مأرب وإحياؤها:

بدأت مأرب بالاندثار بشكل تدريجي وليس بشكل كلي بعد أن تغلب الحميريون على السبئيين في القرن الثاني قبل الميلاد، وكانت ما تزال تسمى سبأ، بالإضافة إلى مسميات مصاحبة مثل مملكة سبأ وذي ريدان ويمنات وحضرموت وتهامة وطود وأعرابهم، مع أن هذه التسمية استمرت إلى عهد أبرهة الذي سمى نفسه ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وتهامة وطود وأعرابهم، بحسب نقشه المذكور عند سد مأرب، واقتصرت تسمية «دولة حمير» على الإخباريين فقط، وتم نقل العاصمة بعد الميلاد إلى ظفار، وأحياناً إلى صنعاء وناعط في عمران، وهنا انتهت «سبأ»، وبدأت الهجرة الكبيرة من مأرب، هجرة داخلية وخارجية، وبقي بعض سكانها مقيمين فيها مع وجود السد وبقائه أيضاً، وتم في الفترات المتلاحقة تهدمه وإعماره وإصلاحه عدة مرات حتى آخر بناء له في عهد أبرهة الحبشي، مما يعني أن مأرب كانت ما تزال حاضرة وعامرة.

ومن الطبيعي جداً في عهد الدول أن ينزاح بعض السكان من المدن تبعاً للتحولات الجديدة في الحكومات والممالك التي تجذب عواصمها المتغيرة السكان من كل مكان لارتباط مصالحهم بالمركز، سواء كانت مصالح سياسية أو اقتصادية أو إدارية، وقد شاهدنا ذلك مثلاً في تحول العاصمة إلى ظفار أو صنعاء من خلال السكان والارتباط بالدولة هناك، أو ما شاهدناه ولمسناه من التحول بعد ذلك إلى صنعاء في عهد الحميريين المتأخرين، وكذلك الحكم الحبشي وصولاً إلى الحكم الإسلامي حينما ازدهرت صنعاء ونمت بفعل هذه التحولات من عهد سيف بن ذي يزن والفرس والأبناء وعبهلة (الأسود العنسي)، أو بعد ذلك في عهد عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فروة بن مسيك المرادي الذي هو من مأرب أساساً، أو وبر بن يحنس الخزاعي، وبعد ذلك عهود ارتباطها بالدولة الأموية فالعباسية وصولاً إلى اليوم. أو كذلك حينما تحولت

العاصمــة إلى تعز بفعــل الدولتين الأيوبية والرسولية وشهــدت جذباً للسكان من أنحاء اليمن لارتباط مصالحهم بالدولة هناك.

وكذلــك من أسباب تدهور مأرب تحويل طريق التجارة من مأرب إلى الغرب والهضبــة الشماليــة الغربيــة من قبــل أبي كــرب أسعد فيما عرف بــدرب أسعد الكامــل، خاصة طريــق التجارة للقوافــل القادمة من الموانــئ الجنوبية الغربية؛ المخا وعدن وذو باب.

بعد الإسلام كانت الدفعات الكبيرة من الهجرات، سواء إلى عاصمة الدولة الإسلاميــة في المدينــة وما بعدهــا في دمشق وبغداد بسبب الانخــراط في جيوش الفتوحــات وما تتناقله الأسماع مــن الاستقرار والإعمار في أراض جديدة أو حتى إلــى عواصم الدولة الإسلامية في اليمن كصنعاء والجند وزبيد وغيرها، وانتقال الجنــود أو الدعاة والعلمــاء أو حتى من سمع بالأراضي الجديدة من بقية الأسر، انتقــل الجميع بأسرهم إلى البلدان الجديــدة، وكانت من أعظم وأكبر الهجرات اليمنية عبر التاريخ، وهذه الهجرات مستمرة حتى اليوم.

بسبــب هذه الهجرات والصراعات المختلفــة، علاوة على الظروف الطبيعية من جفاف وتصحر وغيرها، زحفت الرمال على مأرب وطمرتها ردحاً من الزمن، وكل مــا يعرف عنها من تاريخ اليوم إنمــا بفعل الاستكشافات الأثرية والدراسات التاريخيــة لهذه الاستكشافات، ولم تكــن السيول التي هدمت السد عدة مرات أو التــي عمت أرجاء اليمن إلا واحدة من عشــرات الأسباب الأخرى لهذه الهجرات التي لم يعرف زمنها على وجه التحديد حتى اليوم.

واللافــت في أمر هــذه الهجرات،على أن ظاهرها في القــرآن الكريم عقوبة إلهيــة مسلطة عليهم بفعل الإعراض والكفر، والكفــر هنا كفر النعمة وليس كفر الديــن والعقيدة، أنها كانت من وجه آخر رحمة باليمنيين وإيذاناً إلهياً باستزراع

شعوب أخرى جديدة من هذا التمزيق، فقد زرعوا قبائل وكوَّنوا شعوباً مختلفة في المنطقة، وكانوا أصل العرب بحق.

ولم يكـن السبئيون معتمدين على الزراعة فقط حتـى يهاجروا بسبب تهدم السـد، فقد كانوا رواد التجـارة العالمية يومها، وكانت بلادهم على طريق البخور المتحكمـين بها، وجعلوا لها محطـات يومية يأوون إليها بشـكل حاميات عسكرية تابعـة للمملكة كما هو الفاو (كندة) مثلاً ودادان العلا وغيرها، وهذا ما وضحته الآيات السابقة أيضاً ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾سبأ (١٨)، والظهور يعني هنا القوة والمنعـة والنصـرة كما هو تفسير اللفظ ودلالاته في بقيـة الآيات القرآنية: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾غافـر (٢٩)، ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ التوبـة (٨)، ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾الأحـزاب (٢٦)، ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ الصـف (١٤)، بمعنـى أنهـا كانـت محميـات عسكرية لطرق التجـارة؛ أي إن الهـدف مـن كل هـذا أن اليمنيين لم يتأثروا كثـيراً بتهدم السد فيكون سبب هجرتهم.

حيـث إن هذه التجـارة كانت تعتبر لهـم المورد الأول قبـل الزراعة في بعض الأحيـان، وبالتالي فبإمكانهـم عبر هذه التجارة تأمين توريـد أغذيتهم المختلفة كبدائل مؤقتة عن التي تلفت جراء تهدم السد وتلف زراعتهم.

وقـد يكون كثير ممن عـرف التجارة واشتغل بها ذهابـاً وإياباً إلى الأمصار المختلفـة في الشـام ومصـر وأفريقيا وأواسـط آسيا وفارس، أعجـب بأرض من الأراضي التي تاجروا إليها فاستقروا فيها وهاجروا إليها.

وبالنظـر إلى الآثار الظاهـرة اليوم في مأرب فقد كانـت كنتونات بسيطة لا

ترقـى إلى مستوى المدن العملاقة، والتي إن تفرقت نتج عنها شعوب ودول كثيرة، ويبدو أن هناك مدناً مطمورة تحت الأرض الحالية لمأرب نتيجة التصحر وعوامل القدم والدهرية الزاحفة وغيرها، وهو ما لم ينقب عنه حتى الآن إلا قليلاً، وعلى سبيـل المثال مدينـة صغير مطمـورة في منطقة «يلا»[١] من مـأرب والتي كشفت عنهـا ونقبتها بعثـة إيطالية في ثمانينات القـرن الماضي برئاسـة أليساندرو دي مجريـت، وأيضاً الدليل طمر معبـدي أوام وبرآن (عرش بلقيس) اللذين لم يكن ظاهراً منهما سوى الرأس فقط، وهنـاك مدن يمنية كثيرة مطمورة أصبح الناس يزرعـون فوقهـا وفي أسطح منازلها على أنها حقـول زراعية كما في الجوف وتعز ولحج وحضرموت.

وقـد تكشف التنقيبات الآثاريـة المستقبلية عن مكان الجنتـين اللتين صارتا مطمورتين بالكثبان الرملية وزحف التصحر عليها، وكذلك عن بقية المدن هناك.

فحضـارة عاد إرم مثلاً مطمـورة في رمال حضرموت وشبوة والربع الخالي، وهناك مدينـة مطمورة تحت رمال مدينة صبر لحج ظهر بعض آثارها بالتنقيب الصـدفي عام ١٩٩٦[٢]، فما من أرضٍ يمنية يتم اليوم البحث في الأعماق لإرساء مداميك البيوت والأبنية إلا وجد بعض آثار البناء والسكن في الأسفل مطمورًا ما بين ٤ و٦ أمتار.

معظـم الدراسـات والأبحـاث تفيـد أن جزيرة العـرب وصحـراء الربع الخـالي إنما كانت أودية وغابات ومروجاً وأنهـاراً قبل ٤ آلاف عام، وطمرت بفعـل التصحـر وعوامل أخرى كعقوبات الأمم البائـدة التي كذبت الرسالات السماويـة وأفسـدت في الأرض فعاقبهـا الله بعقوبـات مختلفـة كالخسـف والتدمير والإغراق والرياح التي تدمر وتطمر كل شيء، وبالسحب والعواصف الرمليـة ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤)﴾ الأحقاف (٢٤).

ففي مصر مثلاً كل القصور والمعابد الفرعونية التي تم التنقيب عنها وجدت مطمورة تحت ركام رمال الصحراء في الجيزة وطيبة وغيرها.

فأغلب الظن عندي أن كلاً من محافظات لحج ومأرب وأبين وشبوة وحضرموت والجوف فيها مدن مطمورة بالرمال، خاصة ونحن نعلم أن بعض الحضارات القديمة البائدة أقيمت في هذه المحافظات ولم تكشف عنها الأبحاث الآثارية حتى اليوم، ومنها على سبيل المثال سبأ ومعين وأوسان وقتبان التي وجدت بعض نقوشها وما زالت غير مكتملة المعالم، والأخص منها أوسان التي تتضارب حولها المعلومات حتى اللحظة.

وكذلك من أسباب وعوامل اندثار مأرب تغيير الديانة الرسمية لسبأ من عبادة النجوم والكواكب إلى المسيحية واليهودية، فتم هجران مأرب على اعتبار أنها مقر المعابد الكبيرة للسبئيين مثل معبد أوام ومعبد برآن، وبناء الكنائس في ظفار وغيرها، وتقلصت أهمية مأرب بسبب انهيارات السد المختلفة والتحول في العبادات وتحول العاصمة إلى ظفار وصنعاء وناعط...ودخلت اليمن المسيحية في عهد الملك ثاران يهنعم بين الأعوام ٣٤٩ و٣٥١م بسبب حملة التأثير والتبشير التي قادها ثيوفيلوس مندوب الإمبراطور قسطنطين الثاني «الذي كان قد تمكن من إقناع ملك حمير في الدخول في النصرانية، فدان بها وأمر ببناء كنائس في ظفار وفي عدن. وكان القيصر قسطنطين الثاني (٣٥٠-٣٦١م) هو الذي أرسله إلى العربية الجنوبية ليدعو إلى النصرانية بين أهلها، ويؤيدون رأيهم بالكتابة المذكورة التي يرجع عهدها إلى سنة ٣٧٨م أو ٣٨٤م، فهي غير بعيدة عن أيام الملك ثارانيهنعم، ويحتمل أن يكون لذلك هو الملك الحميري الذي بدل دينه الوثني ودخل في ديانة التوحيد»[٣].

وبدأت تظهر كتابة إلهن ذي سموي إلى الملك ملك كرب يهأمن ابن الملك ثاران يهنعم[٤].

وبعد الملك ثاران جاء ابنه الملك أب كرب أسعد (أبو كرب أسعد الملقب

عنـد الإخباريين بأسعد الكامـل)، الذي اعتنق اليهودية وبـدل الديانة المسيحية والكوكبيــة إلــى اليهودية وقتله أخوه عمرو بتآمر مع عليــة القوم لهذا السبب، ثم انتشرت بعده اليهودية. فكانت تمارس في اليمن ثلاث ديانات: الوثنية، والمسيحية واليهودية، ويطلق على الأخيرتين (التوحيدية).

ويدعـم هذا القول دليل مادي هو مجسم مريم العذراء وابنها عيسى المسيح عبارة عـن إطار مرايا من البرونز عليه صورة مريم العـذراء وابنها المسيح دون أيـة إشارة للصليب عليه مما يعني أنه كان في الزمن التوحيدي الأول للمسيحية، وعثرنا عليه في ماوية من محافظة تعز، تم فحصه في مقر المعهد الألماني للدراسات الآثارية بصنعاء، وأفادوا بأن تاريخه يعود للخمسين السنة الأولى الميلادية[٥].

وتذكـر بعض المصادر أنه أقيمـت كنيسة في إحدى جبـال ماوية شرقي تعز في الفـترات الأولى للدولة الحميرية، قبل الاحتـلال الحبشي لليمن وقبل انتشار عقيـدة التثليث المسيحية. إذ لم تكن هناك بقايا أطـلال لكنيسة مسيحية، لقلنا إن هــذا الدليـل ربما جاء عن طريـق بعض التجارة التي اشتهـر بها اليمنيون في تجارتهم الخارجية قديماً.

***

وتحيا مأرب اليوم مجدداً وتنبعث من تحت الركام بفعل عوامل عديدة، منها الاستكشافات النفطية والغازية وتراكم ثروتها، وكذلك عملية إعادة إنشاء السد من جديد بعد بنائه في عام ١٩٨٤م.

لكـن أهـم عوامـل إحيائها اليوم هو لجـوء كل اليمنيـين الهاربين من بطش المليشيـات الحوثيـة الإمامية إلى مـأرب، وتم إحياؤها بشـكل لم يسبق له مثيل، وعمليـة الإحياء هــذه تذكرنا بعـودة الفرع إلــى الأصل، وأن النــار المتقدة تحت الرمــاد إنما كشفـت عنها الرياح التغييريــة اليوم، وعادت مــأرب مدينة مكتظة بالسكان مـن كل مكان، مزدهرة بعوامل البناء والاستقرار والتجارة، خاصة وأن

أبناءهــا لم ينزعوا إلى النزعات العنصرية والمناطقية المقيتة التي شهدتها بعض المناطق اليمنية، وهو عامل جذب للإنسان اليمني.

وتعـد محافظة مأرب اليوم هي العاصمة الفعلية للشرعية اليمنية التي تأوي كل اليمنيين، ولا أعتقد البتة بعد الاستقرار فيها اليوم أن يتم النزوح منها مجدداً وهجرهــا كما تم مــن قبل حتى لو أعيدت العاصمة صنعــاء لحكم الشرعية وعاد أهلها المهجرون منها، فهي دورة كونية لإعمار الأرض والمدن تجري سنة الله عليها إيذانــاً بإحيائها كما أحيــا مكة الجرداء القاحلة شديدة الحــرارة بفعل الأماكن المقدسة، فإذا أراد الله إحياء أرض هيأ لها أسباب هذا الإحياء.

الخلاصة:

- سد مأرب بني على الأرجح في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد.
- لم يكشــف حتــى اليوم (٦) بدليل مادي مــن نقوش ونحوهــا عن الزمن الأول لبناء سد مأرب التاريخي ولا أول من أنشأه.
- سيل العرم وخراب السد حقيقة واقعة مسلم بها بتسليمنا للنص المقدس في القــرآن الكــريم؛ كونه أوثــق الأدلة والتدوين، عضــده نقش شرحبئل يعفر (Glaser٥٥٤) بنسبة كبيرة.
- الجنتــان عن يمين وشمال قــد لا يكون المقصود بهما جنتي مأرب، وإنما جنــان ممتــدة على يمين وشمــال أرض سبــأ التاريخية، ويمــين وشمال البحر الأحمر في ضفتي الدولة الشرقية اليمن الحالية، والغربية أثيوبيا وأرض الحبشة.

- قصة الفأر الذي ساعد في هدم السد قصة خرافية أسطورية لا يصدقها عقل ولا منطق، ولم توجد أدنى الأدلة عليها، وهي من رواية وتدليس الإخباريين وبفعل التنافس والصراع بين العصبيات التي ظهرت بين القحطانية والعدنانية في فترات الدولتين الأموية والعباسية، وكانت تلفق الكثير من القصص الخرافية تحط من شأن ومكانة كل فريق.

- تهدم السد أكثر من ثماني مرات،وبُني وأُصلح لأكثر من ثماني مرات أيضاً، وبالتالي فلا يستطيع أي باحثٍ كان أن يسقط هذا التهدم المتكرر على سيل العرم لمرة واحدة، ويكون استمرار السيل مهدداً في كل مرة لهذا السد بدليل تعدد الخراب والإصلاحات.

- هجرة اليمنيين لم تكن بسبب تهدم السد وحسب، وإنما بفعل الصراعات السياسية بين الممالك المختلفة والأسر الداخلية للملوك، وحب التوسع، والاحتلال الحبشي، وعامل التجارة أيضاً،واستيطان أراضٍ جديدة أكثر خصوبة من بلادهم، وكذلك الجفاف والقحط، وسيل العرم واحد من تلك الأسباب، لا كلها، وكانت هجرات على مراحل متعددة تحدث بين فترة وأخرى لأكثر من سبب، وتكون هجرات من مختلف مناطق اليمن لا من منطقة معينة، وهي مستمرة حتى اليوم.

- لم يكن اليمنيون يعتمدون اعتماداً كلياً على الزراعة حتى يهجروا أوطانهم بفعل القحط والجدب وخراب السدود وسيل العرم، فقد كانوا رواد التجارة العالمية القديمة المتحكمين بطرقها البرية والبحرية، والمتحكمين بالسلع النادرة، وقد ذكر المؤرخون اليونانيون بذخهم وغناهم اللامحدود بفعل هذه التجارة.

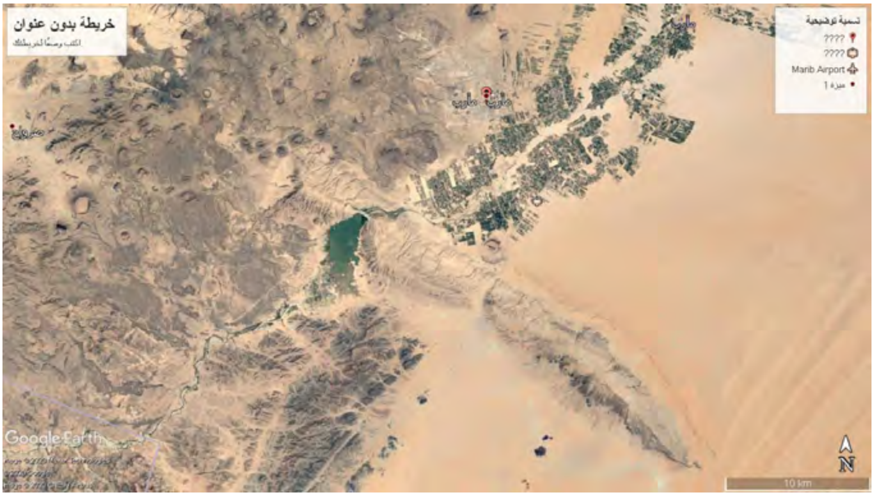
- كانت هناك هجرات تدريجية ومتتالية من بعض المناطق اليمنية وخاصة مأرب والجوف وما حولهما، وأوسان بفعل التنكيل السبئي بهم، وهجران

مدينة مأرب قبل الإسلام وبعده، وهو ما كشفته الرمال الزاحفة وعوامل التصحر وقلة المياه، وانتقال العاصمة السياسية منها إلى ظفار وصنعاء.

- قصـة التمزيق المذكورة في القرآن توحي بعقوبة تجارية ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾، والسفـر والتنقـل لم يكـن إلا للتجارة التـي كان السبئيون روادهـا، وحينمـا حلت عليهم العقوبـة أقام كثير منهـم في البلاد التي كانوا يتاجرون إليها.
- آثـار السد الموجودة اليـوم ليست للبناء الأول للسـد، وإنما لبناء الملكين شرحبئل يعفر وأبرهة الحبشي، كون النقشين يذكران إعادة بناء كاملة.

تم بحمد الله

ملحق الصور



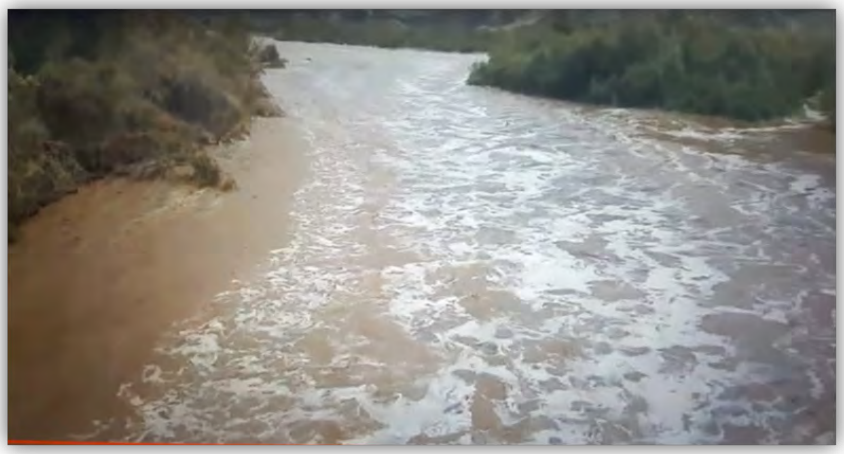
الشكل رقم (١)

صورة جوية لمنطقة السد والعرم الجبلي الطبيعي



الشكل رقم (٢)

ما تبقى من السد القديم



الشكل رقم (٣)

سيول مأرب حوالي السد توضح كيف جرت السيول القديمة لتهديم السد



الشكل رقم (٤)

حجر نقش السد يذكر اسم كرب إل بين بن يثع أمر دون تحديد ماهية العمل في السد



الشكل رقم (٥)

نقش يثع أمر بين في صرواح والذي كتب فيه إنجازاته ومنها إصلاح السد



الشكل رقم (٦)

نقش كرب إل وتر والمسمى نقش النصر في صرواح، وعملية ترميم السد من ضمن ما ورد في النقش



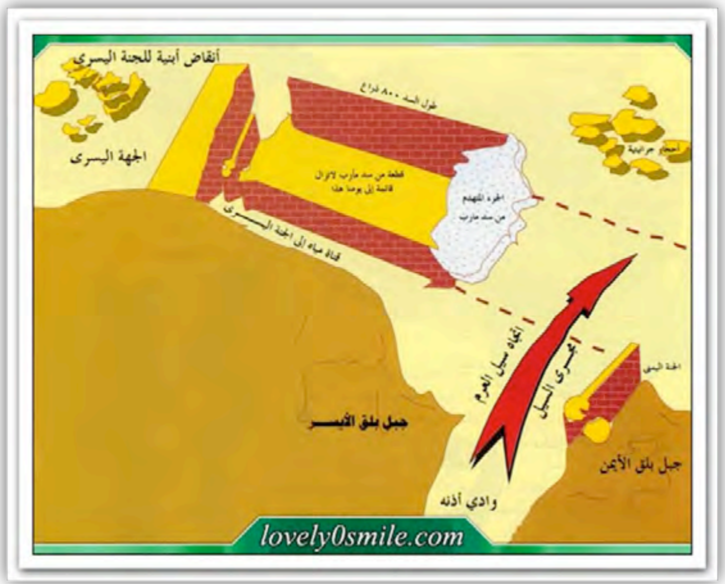
الشكل رقم (٧)

نقش شرحبئل يعفر



الشكل رقم (٨)

نقش ومسلة أبرهة الحبشي الذي يذكر فيه إعادة بناء السد وإصلاحه



الشكل رقم (٩)

خارطة لمنطقة السد



الشكل رقم (١٠)

السد الحديث الذي بني في عام ١٩٨٤م بتمويل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

المصادر والمراجع

١. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي – ط٢ – جامعة بغداد ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره: للدكتور يوسف محمد عبد الله رئيس قسم الآثار بجامعة صنعاء - دار الفكر –بيروت – لبنان –ط١٩٩٠م.

٣. تفسير ابن كثير: لابن كثير الدمشقي–دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض –ط١ – ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤. لسان العرب لابن منظور – نسخة إلكترونية.

٥. السير والمغازي: لابن إسحاق: – ط دار الفكر – ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٦. رسالة ماجستير غير منشورة: فيصل محمد إسماعيل البارد - /١٩٩، ٢٠٣ – ٢٠٠٩، ٢٠١٠م.

٧. موسوعة علوم اللغة العربية: إميلبديع يعقوب– دار الكتب العلمية - ١٤٢٧ – ٢٠٠٦م.

٨. المعجم الجامع لما صرح به وأبهم في القرآن الكريم من المواضع: حمد محمد صراي، يوسف محمد الشمسي - مركز زايد للتراث –ط١ –٢٠٠٠م.

٩. حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري - ط دار الفكر – دمشق – ١٩٧١م.

١٠. التنقيبات الإيطالية في «يلا» في اليمن الشمالي: معطيات جديدة حول التسلسل الزمني للحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام: الدكتور أليساندرو دي مجريت، والدكتور كريستيان روبان – ترجمة الدكتور منير عربش – المركز الفرنسي للدراسات اليمنية – صنعاء- ١٩٩٩م.

١١. فتوح البلدان: أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري - دار الكتب العلمية.

١٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر: لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي– ط مؤسسة دار الهجرة – ١٩٨٤م.

١٣. معالم تاريخ العرب قبل الإسلام: للدكتور أحمد أمين سليم – مكتب كريديه إخوان – بيروت – لبنان.

١٤. تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – بيت الأفكار الدولية للطباعة والنشر.

١٥. معجم البلدان: ياقوت الحموي – ط دار صادر بيروت – ١٩٧٧م.

١٦. نار ضروان وأصحاب الجنة (دراسة): مطهر الإرياني – المؤتمر نت – الاثنين، ٢٨مايو-٢٠٠٧م.

١٧. معمر الشرجبي: دراسة نقوش مسندية – صفحة النقوش على فيسبوك. ذو القرنين وجنسيته: قراءة جديدة: توفيق السامعي – ٢٩ أبريل ٢٠١٨م.

الهوامش

(١) هو ما يطلق عليه اليوم سدُّ كِتاب من يريم، وكتاب تسمية متأخرة والأصل «قتاب».

(٢) جواد علي: المفصل/ج٧/٢١٢.

(٣) الملقب بالجزار، أرسله أخوه محمد بن إبراهيم (طباطبا) لنشر دعوته في اليمن سنة ١٩٨هـ، فقام بأبشع المجازر والقتل بحق اليمنيين، ولقب على إثرها بالجزار لكثرة مجازره، وهو الذي هدم مدينة صعدة وسد الخانق الحميري فيها سنة١٩٩هـ، واتخذت أفعاله تلك دينًا وتشريعًا من قبل الهادي الرسي ومن جاء بعده من الأئمة بحق اليمنيين، وهو باذر بذرة الإمامة الأولى قبل الرسي، وما كل المجازر التي أقيمت عبر التاريخ من قبل الأئمة بحق اليمنيين إلا من بذرة هذا الخبيث السفاح.

(٤) جواد علي: المفصل/ج٧/٢١٢.

(٥) المصدر السابق/ج٧/٢١٢.
(٦)المصدر السابق /ج٧/٢١٣.
(٧)المصدر السابق /ج٧/٢٠٩.
(٨) تفسير ابن كثير: ج٦/٥٠٧
(٩) يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر –بيروت/ لبنان –ط١٩٩٠م، صـ٨٠، ٨١.
(١٠) المصدر السابق/٣٢٤.
(١١) خط المحراث القديم: هو أولى الخطوط اليمنية المعروفة للفترة المتقدمة من استكشافات النقوش السبئية، عرفت به الفترة السبئية دون غيرها، ويكتب من اليمين إلى اليسار، ثم العكس من اليسار إلى اليمين ولذلك سمي خط المحراث.
(١٢)فيصل البارد: رسالة ماجستير/٣٢٥.
(١٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج٧/٢١٠.
(١٤) يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر، بيروت/ لبنان، ط١٩٩٠م،صـ٨٠، ٨١.
(١٥)نار «ضروان» وأصحاب الجنة.. في نقش مسندي: مطهر الإرياني، المؤتمر نت – الاثنين، ٢٨–مايو–٢٠٠٧م.
(١٦) جواد علي: المفصل/ج٧/٢١٠.
(١٧) يرد اسم: سمهعلي ينوف في كل النقوش اليمنية وتفسيراتها لدى كل أو معظم الباحثين مفصولاً (سمه علي ينوف) عدا المؤرخ جواد علي يذكره مشتبكاً (سمهعلي ينوف) ومرة يورده مفصولاً أيضاً كما في ج٢/٢٨٢ س٢٠.
(١٨) فيصل البارد: رسالة ماجستير/٦/ ٢٠٠٩ – ٢٠١٠م.
(١٩) جواد علي: المفصل/ ج٧/٢١٠.
(٢٠)المصدر السابق/ ج٢/٢٨٨.
(٢١) انظر الصورة المرفقة من السد رقم٢.
(٢٢)جواد علي/ المفصل/ج٢/٥٢٢.
(٢٣)المصدر السابق/ج٢/ ٥٦٧.
(٢٤)المصدر السابق/ج٧–٢١١.
(٢٥)معمر الشرجبي: دراسة نقوش مسندية – صفحة النقوش على فيسبوك، توفيق السامعي: من هو

ذو القرنين وما جنسيته/ مأرب برس/ ٢٩ أبريل ٢٠١٨م.

(٢٦) جواد علي: المفصل/ج٧ /٢١١.

(٢٧) يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره/ صـ٨٨.

(٢٨) المصدر السابق/ صـ٨٨.

(٢٩) جواد علي: المفصل/ج٢/٥٤٦.

(٣٠) المصدر السابق ج٢/ ٢٨١.

(٣١) المصدر السابق ج٢/٢٨١.

(٣٢) المصدر السابق: ج٢/٢٨٣.

(٣٣) فيصل البارد: رسالة ماجستير غير منشورة /٢٠٠٩-٢٠١٠م، ص٣٦.

(٣٤) جواد علي: المفصل/ ج٢/٥٦٦، فيصل البارد: رسالة ماجستير/٢٣١-٢٣٣.

(٣٥) لمزيد من التفاصيل ينظر جواد علي: المفصل: ج٢/٥٨٠، ٥٨١.

(٣٦) فيصل البارد: رسالة ماجستير/٢٠٠٩ -٢٠١٠م، ص٣٤٤، ٣٤٧.

(٣٧) المصدر السابق: ص٣٣٩.

(٣٨) يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره/ ص٨٥.

(٣٩) جواد علي: المفصل/ ج٧/٢٠١.

(٤٠) ابن منظور: لسان العرب: ج٣٢/٢٩١٤.

(٤١) فيصل البارد - رسالة ماجستير/ ٢٠٠٩، ٢٠١٠م، ص١٩٩، ٢٠٣.

(٤٢) يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن/ صـ٩٠.

(٤٣) فيصل البارد: رسالة ماجستير/٢٣١.

(٤٤) المصدر السابق/٣٣٠.

(٤٥) تفسير ابن كثير: ج٦/٥٠٧.

(٤٦) البلاذري: فتوح البلدان/ ص٢٤، ٢٥- دار الفكر.

(٤٧) المسعودي: مروج الذهب/ ج٢/١٦٤ – ط مؤسسة دار الهجرة -١٩٨٤م.

(٤٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان/ -ج٥/٣٥ – مادة مأرب – ط دار صادر بيروت – ١٩٧٧م.

(٤٩) حمد محمد صراي، يوسف محمد الشمسي: المعجم الجامع لما صرح به وأبهم في القرآن الكريم من المواضع/مركز زايد للتراث -ط١ -٢٠٠٠م، ص٢٢٥.

(٥٠) كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى/ ط دار الفكر – دمشق – ١٩٧١م، ج٢/١٨٦.

(٥١) يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن – صـ٨٥.

(٥٢) موسوعة علوم اللغة العربية: ج٣/٤٧٤.

(٥٣) ابن إسحاق: سيرة، ط دار الفكر – ١٣٩٨ه/ ١٩٧٨م، ص٥٢.

(٥٤) فيصل البارد: رسالة ماجستير/١٩٩.

(٥٥) التنقيبات الإيطالية في يلا (اليمن الشمالي سابقا): معطيات جديدة حول التسلسل الزمني للحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام: الدكتور إليساندرو دي مجريت، والدكتور كريستيان روبان: صـ٣٦ – ترجمة منير عربش.

(٥٦) كنت أحد المشاركين في بعثة جامعة صنعاء الآثارية إلى هذا المكان للوقوف على هذا الكشف الأثري الهام والمشاركة في دراسته.

(٥٧) جواد علي: المفصل: ج٢/٥٦٨.

(٥٨) المصدر السابق/ج٢/٥٦٨.

(٥٩) يحتفظ الباحث بهذا الرمز الأثري كدليل على ما ذهب إليه من المعلومات الواردة أعلاه.

(٦٠) مع استمرار أعمال التنقيب عن النقوش والآثار قد تظهر نقوش جديدة تفصل في هذا الموضوع.

أبجديات منهجية غائبة في الدراسات التراثية المعاصرة

أميرة الشنّاوي

في حياتنـا الثقافيـة والفكرية الحاضـرة، ثمة ظواهر عديـدة تدلل على أن خلـلاً خطيرًا بدأ يدبُّ في هذه الحياة، وعلـى وجه التحديد فإن الخلل قد أصاب مادة هذه الحركة الثقافية والفكرية وقوامها، أعني الحقيقة ومكانتها ومفاهيمها وضوابط البحث عنها.

فقـد تحولـت الأبحاث الثقافيـة والفكرية المعاصـرة عن دورهـا الأساسي، العلمـي والأخلاقـي في الكشف عن الحقيقة وتجليتها للأذهـان وإضاءة جوانبها والتجـرد لهـا، إلى نوع مـن الاستثمـار والتوظيف لهذه الأبحاث مـن أجل طمس الحقيقـة والتعتيم على معالمها، والاحتيال علـى مرتكزات البحث فيها وضوابطه البديهية، يحدث هذا الخلل تحت تأثير دوافع شتى ونوازع متباينة من الاستئجار السياسي، إلى الانتماء التنظيمي أو العقائدي، إلى الولاء المادي والأدبي لمؤسسات أجنبية سخية لا شرقية ولا غربية، إلا أن الجريمة على كل حال واحدة وثابتة، ألا وهي قتل الحقيقة.

ولم ينـأَ البحـث في تراثنا العربـي والإسلامي عـن انعكاسات هـذه الحالة المرضيـة المؤسفة[١]، بل لا نتجاوز العدل إذا قلنـا إن هذا التراث بفعل التحولات الاجتماعيـة الجديدة قد ناله القسط الأكبر من هذا الطمس والتعتيم والاحتيال

مــن كافــة الاتجاهات الرافضــة أو المعاديــة له، وعلــى الرغم من براعــة هؤلاء (المحترفــين) إلا أننــا لا نعدم الوقوف على إشارة هنــا أو لمحة هناك من عثرات القلــب وفلتــات القلم التي يشاء الله تعالــى أن يكشف للناس مــن خلالها الهوية الحقيقيــة لهذه الأبحاث والنوايا الفاسدة لأصحابها تجاه التراث، وهكذا وجدنا مــن يقرر منهــم في بحثه حول الــتراث أن مثل هذا البحــث، لا يعنيه البحث عن قيمة ذاتية متجردة في التراث، وإنما هو طريقة لازمة لأصحاب (الأيديولوجيات التقدمية)؛كي يستطيعوا النفاذ من خلالها إلى الجماهير المسلمة عن طريق لغة التراث وتحت رايته، بحيث يدمجون قضايا التراث في قوالبهم الأيديولوجية[٢].

أي أن الأمــر بوضــوح شديــد لا يعدو كونــه خداعًا للأمــة في تراثها ودينها، واحتيــالاً على قضايا التراث، بل إن الموقف يتعــرى تمامًا حينما نقف على عبارة واضحة وحاسمة لأحد هؤلاء يصف فيها بحثه للتراث العربي الإسلامي بأنه كان بمثابة (تصفية حساب مع هذا التراث)! ولنا أن نتخيل ما يمكن أن يخرج به قلم يحركــه ضمير ينضح بــكل هذا الحقد، وبكل تلك المــرارة التي لخصتها لنا هذه العبارة.

إن ممــا لا ريــب فيــه أن مثل هــذه الظواهــر وتلــك المواقف تعطينــا المبرر الأخلاقي والموضوعي لتعرية أصحابها، وكشف زيف كتاباتهم، وإضاءة الجوانب الخفية والخطــيرة التي يتحركون من خلالها، بهدف محاولة تدمير هذا التراث أو التعتيم على جوانب الحقيقة فيه.

وعلى هذا السبيل نرى من الضروري في هذا المقام الكشفَ عن بعض القواعد العلميــة والضوابــط المنهجية المشروطة لأي بحث في الــتراث، ولا سيما تلك التي أهــدرت عمــدًا في العديد من دراسات المعاصرين، وبدايــة ينبغي التنبيه على أن المراد بالــتراث بالضبط الاصطلاحي المتواضع عليه هــو النتاج العقلي والنفسي والحركــي والوجداني بــكل تشعباته، والتي أفرزها الوجــود العربي الإسلامي في

حِقَبه المختلفة، وأن الحديث عن القرآن المجيد والسنة المشرفة بوصفهما تراثاً هو من قبيل التجوز غير المحمود -من وجهة نظرنا- في أحيان كثيرة، فالتراث هو النتاج الإنساني الذي يخلفه السابق للاحق، ومن ثم فلا يجوز بحال الخلطُ بين الوحي الرباني وهذا النتاج البشري، فلكلٍّ خصائصُه ومعالمه ومقوماته الذاتية، وبالتالي فلكلٍّ منهجه في النظر والبحث الذي تقتضيه خصوصياته، وأن الخلط بين كلا المنهجين من شأنه أن يسقط كافة نتائج البحث، حيث ترتبت على فساد منهجي، وفوق ذلك فإن من شأنه أن يسقط وصف النزاهة العلمية عن صاحبه.

وفي الإجمال فإن النظر في الوحي وما ارتبط به من اجتهاد، سواء كان هذا النظر على وجه الإنشاء أو على وجه المفاضلة والترجيح، لا يجوز إلا لمن استكمل شرائط الاجتهاد الشرعي وقواعده العلمية المثبتة في كتب أهل العلم، ونتجه الآن بعون الله إلى بيان الضوابط المهدرة في الأبحاث المعاصرة التي تعالج قضية التراث.

أولاً: حيادية البحث وموضوعية التحليل

إن الموقف التاريخي بوصفه حالةً إنسانية صاغتها عدة حوادث جزئية، ينبغي للباحث أن يقرأه من خلال هذه الجزئيات المفردة التي شكلته وصاغته، ولا يجوز لباحث أن يتقدم بإضافة أو حذف حسب رؤيته الشخصية عند محاولته استحضار الموقف التاريخي، إذ من المتقرر أن التاريخ -بوصفه علمًا- هو ما يُرى لا ما يُتخيَّل، وأن الموقف التاريخي -بوصفه نتاجًا لحادثات وقعت- هو ما كان فعلاً لا ما يجب -حسب رأي الباحث- أن يكون.

وبالتالي فنحن مضطرون إلى إسقاط كافة النتائج والتحليلات التي خرج بها باحثٌ قد قرر سلفًا أن النظرية الاشتراكية العلمية (الماركسية) هي المنظار الذي يجب أن ننظر من خلاله إلى التراث، فما استقام منه لها قبلناه «وأما مالا يستجيب منه لذلك فإنه يعزل تاريخيًّا»[٣].

وأقــول: يجــب إسقــاط كافة نتائــج هذا البحــث وتحليلاته؛ لأنهــا –حسب منهجــه– لن تخرج عن كونها حلمًا موهومًا انقدح في مخيلة الباحث تحت ضغط أهواء فاسدة مترسبة فيها، ولن تتحول أبدًا إلى تحقيق علمي تاريخي أو تراثي.

وكذلــك نحن مضطــرون إلى اطِّــراح ما زعمــه باحثٌ معاصــر آخر عندما تحــدث عن مفهوم (الأمة) كظاهرة حية مــن مظاهر الوحدة الإسلامية، فيقرر «أن العــرب هم الذين أقاموا هذه الوحدة، أقاموها لحسابهم الخاص أيام النبي عليه السلام وأبي بكر رضي الله عنه»(٤).

فإننــا إذا جردنــا هذه العبارة من لغة الحوانيــت والتجار، فلن نجد فيها إلا تخليطًــا شائنًا وتحليــلاً فاسدًا يقفز فــوق الأسس العلمية للبحــث، فمن الثابت المتقرر أن مفهوم الأمة مفهوم قرآني أصيل، بل إن هذا المفهوم الذي جسد وحدة المسلمــين في الواقع التاريخي والإنساني القــديم في أروع صورة عرفتها الإنسانية هو تكليف شرعي لا يسع العربي ولا غير العربي من المسلمين أن يتجاوزه(٥).

ولقد ألحَّ النبي الكريم في الشائع المستفيض عنه على ترسيخ هذا المفهوم في ضمائر المسلمين (المسلم للمسلــم كالبنيان)، وقوله: (المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم)، ولقد قاتل العربيُّ أخاه وأباه وعمــه وعصبيته على هذا الدين، ولقد نصر العربيُّ الروميَّ والزنجيَّ والفارسيَّ علــى العربي المشرك، فأين وجد الباحــث في روافد هذه الحقيقة الرائعة ما سوغ له طرحه الغريب.

المؤســف أن هذا الباحث تحت تأثير إيمانــه بالنظرية القومية العلمانية أراد –أو زعم– التحيُّزَ للعرب والتعصب لهم على حساب الحقيقة، ولكنه قد انتهى فعلاً إلى سب العرب بأشنع سبة، حيث أظهرهم كنفر من الانتهازيين والمتحايلين الذين سعــوا إلى استعباد الشعــوب بطريق المخادعة والسيطــرة على مقدراتهم (لحسابهــم الخاصــ)، فهل يجد حانق على العرب خيرًا مــن هذه المقولة ليطير

بهـا كل مطير؟ ناهيك عن تجريح النبــي نفسه وأصحابه خير القرون، والإسلام ذاته من وراء العبث.

ثانيًا: صرامة البحث وأخلاقياته

وذلــك أن هذا التراث مــن حيث جذوره العميقة وروافــده الجوهرية وروحه العامــة، يمثل إفــرازًا دينيًّا بكل أبعاده هذا من جانب، ومــن جانب آخر فإن هذا الــتراث من حيــث نتائجه العقليــة والمعرفيــة، وحركاتــه السياســية، وإبداعاته الوجدانيــة والإنسانيــة في شتى مناحــي النشاط الإنساني هــو بمثابة ضمير أمة بأسرها تناقلته وأثرته عبر أجيالها المتعددة، ومن ثم كان البحث في هذا التراث يتعرضــ حتمًا للخوض في ضمــير أمة أو قضية دين، مما يكــون من شأنه فرض صرامة ودقة في البحث -أشد ما تكون الصرامة والدقة- وأخلاقيات في التناول -أسمى ما تكون الأخلاقيات- لجلال الأمر وخطورته.

نخلص من ذلك إلى بيان أننا حين ننسب حركة ما أو موقفًا ما أو مذهبًا ما إلــى الإسلام، فإنه يلزمنا ضــرورة أن نحاكم تلك الحركة أو ذلك الموقف أو هذا المذهــب إلى الإسلام ذاته ووفــق قواعده، وبالتالي يجب إخضاع ذلك كله لهيمنة القــرآن والسنــة بوصفهما مــادة الإسلام وقوامــه، وإن أيَّ تجــاوز لتلك المبدئية المنهجيــة تحــت أي دعوى كانت لن يعدو كونه افتئاتًا علــى الإسلام، وتعتيمًا على الحقيقة، وتعمُّدًا للإضلال.

لقــد كتب أحد الباحثين المعاصرين يقول: «وباســم الذين يريدون أن يتمتعوا بحريــة الاختيار أمــام قوى المجهول.. أعلــن المعتزلة أن الإنســان هو الذي يخلق عملــه، لا الله، ولا أي سلطان آخر، فالإنســان ليس جماداً تحركه يد المجهول، يد السلطان»(٦).

وقضية خلق أفعال العباد كما هو ثابت في كافة كتب الأصول والعقائد والفرق مسألــة عقائديــة خالصة تحكمها النصوص وقواعد النظر الصحيــح، ثم إنها

من حيث معطياتها العلمية والسلوكية لا يفترق فيها السلطان عن السوقة، بل إن السلطان نفسه، وفي ثلاثة أدوار متعاقبة من أدوار الخلافة العباسية – كان يدين بمذهب الاعتزال في ذلك، ثم آن لنا أن نسأل: هل حقاً طرح المعتزلة قضية (خلق أفعال العباد) ردًّا على من نسبها إلى (المجهول) وإلى (السلطان)؟ أم أن الأمر هو نوع من الفوضى العلمية، ومحاولة لتفريغ قضايا العقيدة من مضمونها الديني، وطرحها في سياق مادي لاديني فاسد؟

وقد انتهى الباحث فعلاً إلى أن زعم «كان الفكر المعتزلي هو المظهر الفلسفي للأهداف السياسية التي يريدها الشعب؟»[٧]، ونسأل من هو (الشعب) الذي يعني؟ وأي طائفة منه على وجه التحديد؟ وفي أي بقعة بالتحديد من ديار المسلمين الممتدة من الهند حتى الأندلس؟ وأين هو الإحصاء العلمي الموثق الذي بنى عليه الباحث (وهمه)؟ وكم نفسًا أحصاها فيه؟ ثم نسأل أخيرًا في عجب: لماذا يستبدل الباحث اسم (المسلمين) باسم علماني آخر (الشعب)؟ ألا يسعنا أن نقرر أن الباحث قد تعمد الهرب من الاسم الشرعي (والتراث) كذلك، لعامة الأمة لأنه في لفظه يعطي أن الأمة بوصفها مسلمة فهي تحتكم في عقائدها إلى قاعدة الإسلام ومادته (القرآن والسنة)، ومن ثم فإن تمييزها أو اعتقادها أو انتماءها لا يرتبط –في ذلك الأمر– بسلطان ولا بغيره؟ وهو الأمر الذي يفضح تحايل الباحث على الحقيقة في الموقف التراثي.

إن مثل هذا التدليس الفاحش في الموقف التراثي لا يقف عند مجرد الخلل في الرؤية للوقائع، بل إن من شأنه أن يحدث انعكاسات خطيرة على ذهن المسلم المعاصر، تمس صلب دينه ومعتقده، فضلاً عن إخلاله بنظرة هذا المسلم نحو تاريخ أمته وبنائها الحضاري كله وثقته فيه.

وبيان ذلك أن الباحث عندما يرسم الموقف على هذه الشاكلة الموهومة مبرزًا فيها موقف المعتزلة كموقف ثوري مستنير ضد الظلم والسلطان الجائر، فإنه ينتج

حتمًا من هذه الصورة الطعن والتشهير بخصوص المعتزلة في ذلك جميعًا، فترتسم صورة أهل السنة والجماعة وعامة المسلمين –من غير المعتزلة– كمُمالِئينَ للظلم والجور، ومبررين لأهواء السلطان الجائر، ومعاندين لدعاة الفضيلة والاستنارة، ولما كان هذا الموقف من أهل السنة –مثلاً– ينبثق من مذهب عقائدي، فإن هذا التشويه والطعن ينعكسان –ضرورة– على العقيدة ذاتها بوصفها الموجه للسلوك العملي، ثم لا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يتعداه إلى اتهام الأمة وعلمائها وفقهائهاومتكلميها ودعاتها وأدبائها ومؤرخيها وساستها وعامتها، وعلى مر أجيالها المتعاقبة بالتواطؤ على الكذب ونصرة الباطل،وطمس الحقيقة من حيث أخفوا جميعًا الأسباب الحقيقية لموقف المعتزلة وخصومهم –والتي كشفها هذا الباحث العبقري واتفقت كافة نتاجاتهم وموروثاتهم العلمية والفكرية والتاريخية–إلا الشاذ– على الانتصار لأهل السنة في ذلك الأمر، ولفظ مذهب الاعتزال.

فماذا يُبقي الباحث بعد ذلك من شرف الأمة ونقاء ضميرها التاريخي؟ إن هذا الكلام ينتظم كافة الطروحات المعاصرة من أقلام معروفة، والتي تتعمد القلب الحاد لحقائق التاريخ الإسلامي ومعالمه الرئيسة، فيتوجهون إلى إبراز الحركات الإلحادية والمنحرفة في التراث، والإعلاء الكاذب من مكانتها ودورها في التاريخ، وتقديمها على أنها البديل (الإسلامي) العقلاني والمستنير، مهدرين في ذلك أبسط شرائط العلمية في البحث والأخلاقية عند الباحث.

ويستطيع القارئ والدارس مراجعة ترهات هذه الدراسات حول حركات مثل (القرامطة – والباطنية – والزنج)، أو شخصيات مثل (ابن الريوندي) وأشباهه، إن من حق الباحث أن يعيد النظر والتقليب ألف مرة في مواقف التراث أو حركاته واتجاهاته، ولكن شرط الالتزام بحدود الأمانة العلمية وضوابطها المنهجية والأخلاقية.

ثالثًا: خصوصية حركة التاريخ الإسلامي

إن التراث الإسلامي بوصفه نتاجًا لخصوصيات حضارية متميزة قامت وارتبطت ببناء عقائدي وعبادي وتشريعي وقيمي متميز، لا يصح ولا يجوز ضبطه وفقًا لقوالب ومفاهيم ومصطلحات غربية عنه، تمثل إفرازات لخصوصية حضارية أخرى قامت وارتبطت ببناء عقائدي وعبادي وقيمي وتشريعي مخالف أو مناقض للخصوصية الإسلامية؛ لأن مثل هذا الإخضاع والضبط لن يخلو من أحد أمرين:

إما أن يؤدي بالباحث إلى تعديل هذا القالب أو المفهوم أو المصطلح الغريب في حدوده ودلالته وإيحاءاته، وبذلك يفقد مصداقيته العلمية الذاتية مما يجعل اللجوء إليه على هذه الحال محضَ عبثٍ غير مبرر.

وإما أن يؤدي بالباحث إلى تعديل مفاهيم التراث ذاته وحقائقه ومعالمه بحيث يمكن تفريغها في هذه القوالب المجلوبة أو ضبطها وفق هذه المفاهيم أو الاصطلاحات الوافدة، وفي ذلك ضلال أي ضلال، وحيف أي حيف، وإهدار للحقيقة بكل معاني الإهدار.

فمحاولة إقحام تعبير (القرون الوسطى) –على سبيل المثال– كقالب تاريخي تضبط من خلاله حركة التاريخ الإسلامي وتراثه، ستؤدي حتمًا إلى أهدار الحقيقة العلمية والتاريخية على النحو الذي بيَّناه آنفاً.

إذ من المعروف أن تعبير (القرون الوسطى) كان إفرازًا لخصوصية تاريخية في الحضارة الأوروبية، وهو موضوع هناك –على وجه التحديد– للتعبير عن العصور الأوربية المظلمة التي توسطت بين إشراقات الحضارة الهيلينية وبين البعث الحضاري الأوربي الحديث، أي أنه يعني –في حركة التاريخ الإنساني العام– تلك المرحلة التاريخية التي برزت فيها إشعاعات الحضارة الإسلامية المبدعة والخلاقة، حيث هيمنت على حركة الفكر في التاريخ الإنساني، فإذا ما

أراد باحثٌ نقل هذا القالب التاريخي ليضبط من خلاله حركة التاريخ الإسلامي فهو –إن التزم حدوده ودلالته وإيحاءاته– سينتهي حتمًا إلى جعل عصور النهضة الحضارية الإسلامية الوضيئة عصورَ ظلام وانحطاط، وبالتالي يتعامل مع إفرازاتها الفكرية والثقافية والمعرفية والإنسانية من هذا المنظور، وهذا هو الغالب الشائع في دراسات المعاصرين ممن لجأوا إلى هذا القالب.

وإما أن يعمد الباحث إلى التبديل والتحوير والتغيير في حدود هذا القالب ومعطياته وإيحاءاته، وهنا يحق أن نسأل: فما هي إذن الضرورة العلمية الملحة التي تجعلني كباحث ألجأ إلى هذا القالب التاريخي الغريب إذا كنت قد تثبَّت من عدم مصداقيته للتعامل مع حركة التاريخ الإسلامي؟ اللهم إلا أن يكون الأمر تعبيرًا عن روح الهزيمة النفسية أمام النموذج الأوروبي، أو قصدًا إلى التشويش على العقول والتعتيم علي الحقيقة.

وقل مثل ذلك في العديد من المفاهيم والقوالب والمصطلحات الوافدة، والتي لا تتوافق بحال مع خصوصيات تراثنا الإسلامي وحركته التاريخية، مثل رجال الدين والكهنوت والثيوقراطية وغيرها، بل إن الأمر في ذلك قد تعدى إلى مراحل خطيرة، حيث بدأت بعض الدراسات المعاصرة تضبط العقائد والتشريعات الإسلامية ذاتها وفق قوالب واصطلاحات العقيدة النصرانية حتى وجدنا من يصف عصر الخلفاء الراشدين بأنه (عصر العلاقات البطريركية في الإسلام)[٨]،ووجدنا آخر يصف عقائد أهل السنة والشيعة بأنها تمثل (العقل الأرثوذكسي في الإسلام)[٩]، هذا مع التنبيه على أن ثمة طوائفَ تعمد إلى التلويح بمثل هذه القوالب والمصطلحات على سبيل الإرهاب المصطلحي ضد دعاة الفكر الإسلامي وحملته، بيد أن لذلك مقامًا آخر وحديثًا يختلف.

الهوامش:

(١) في تعليقه على دراسات الدكتور (محمد النويهي) في التراث، يقول الدكتور طيب تيزين إنها حلقة متقدمة من تكتيك فكري سياسي، (من التراث إلى الثورة) ص٣٦٧، ط بيروت الثالثة ١٩٧٩م.

(٢) في سبيل ثقافة عربية ذاتية، عبد الله النديم، ص ١١٢- ١١٣، ط بيروت الأولى ١٩٨٣م.

(٣) د. طيب تيزين، المصدر السابق، ص١١٠٣.

(٤) نفس المصدر ص٣٤٧.

(٥) الوحدتان، د. محمد أحمد خلف الله، مجلة الوحدة عربية تصدر في باريس، العدد الأول، السنة الأولى،أكتوبر ١٩٨٤م

(٦) قراءات في الفكر الإسلامي، عبد الرحمن الشرقاوي، ص١١، ط دار الوطن العربي، ١٩٧٥م.

(٧) المصدر نفسه ص١٥.

(٨) د . طيب تيزين، المصدر السابق ص٤٩.

(٩) محمد أركون ومكونات العقل الإسلامي الكلاسيكي، د/ هاشم صالح مجلة الوحدة، العدد الثالث، السنة الأولى، ١٩٨٤م.

أعلام في الظل:
يوسف الشيخ يعقوب

(١٣٥٠-١٤٣٢هـ/١٩٣١-٢٠١١م)

التقيته بمدينة الخبر، وكنت في زيارة لها مع الأستاذ عبدالكريم الجهيمان عند زيارته لأصدقائه بالمنطقة وكان أحدهم إذ كان يصدر جريدة (الفجر الجديد) بعيد صدور جريدة (أخبار الظهران) الذي كان يرأس تحريرها الجهيمان.

طلبت منه زيارته في منزله بالخبر والتسجيل معه ضمن برنامج (التاريخ الشفهي للمملكة) لمكتبة الملك فهد الوطنية فرحب بذلك، وكانت زيارته يوم ١٢/٣/١٤٢٢هـ. تحدث عن ولادته وطفولته بالجبيل، ودور والده الشيخ يعقوب اليوسف وعلاقته بالملك عبدالعزيز الذي أقنعه بالانتقال من قطر للمنطقة الشرقية لتولي القضاء وإدارة أول مدرسة ابتدائية تفتح بالجبيل على ضفاف الخليج العربي. ولنترك للأستاذ عبدالرحمن العبيّد رواية ترجمته التي كتبها في (الأدب في الخليج العربي) عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م. «يوسف الشيخ يعقوب: شخصية متوقدة، وافرة الفكر والإحساس، ولد بالجبيل، وأتم دراسته الابتدائية

فيها، ثم شغف بالمطالعة حتى برع في الكتابة، فأسهم في إحياء الحركة الفكرية في هذه المنطقة، وعني بكتابة البحوث الاجتماعية التي تدرس مشاكل المجتمع، وقد نشرها في بعض صحف الخليج والصحف المصرية، أسهم في مستهل شبابه بإحياء الحركة الرياضية، وله مؤلف مطبوع عن (نظام الرياضة)، وقد تحول عنها إلى الصحافة حيث أسس بالاشتراك مع أخيه أحمد جريدة أدبية أسبوعية باسم (الفجر الجديد)، وقد صدر منها ثلاثة أعداد في مدينة الدمام ثم أوقفت وهي في خطوها الأول».

- وترجم له الدكتور علي جواد الطاهر في (معجم المطبوعات العربية.. المملكة العربية السعودية) ج٢، ناقلاً ما سبق أن نشره العبيد في (الأدب في الخليج العربي)، ومحيلاً إلى مجلة المنهل وكتاب (ساحل الذهب الأسود لمحمد سعيد المسلم).

- كما ترجم له وكتب عن جريدة (الفجر الجديد) عثمان حافظ في (تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية)، «الفجر الجديد: جريدة أسبوعية جامعة. يشرف على تحريرها نخبة من المثقفين هكذا جاء في صفحتها الأولى.. وجاء في ركن إحدى صفحاتها الداخلية، الفجر الجديد، جريدة أسبوعية جامعة تصدر مؤقتًا نصف شهريًّا، يحررها نخبة من الشباب المثقف، صاحب امتيازها ومدير التحرير أحمد الشيخ يعقوب، ورئيس التحرير يوسف الشيخ يعقوب، والاشتراكات ٢٥ ريالاً سنوياً و١٥ ريال عن ستة أشهر».

وقد أوضح أحمد يعقوب صاحب الامتياز في افتتاحية العدد الأول تحت عنوان: (كلمة الأسبوع.. اعتراف لا بد منه) موضحًا خطة الجريدة وسياستها، والمتاعب التي لاقاها في تأسيس الجريدة، والأسباب التي دعت لإصدارها. وقد جاء في هذه الافتتاحية: «..مرت حقبة طويلة على هذه المنطقة وهي تغط في نوم عميق

منعزلـة عن العالم وما يجري فيه من أحداث، وكان الأدب فيها آخذاً في الركود، أو الانـزواء إلا مـن أقلام ضئيلة يخطها الكتَّاب في الصحـف العربية البعيدة إن لم يذهـب أغلبها في سلة المهملات لا لهزالها، بل لعدم الاهتمام بأدب الغير، وأن الصحافـة تهيمن عليها النزعة الإقطاعيـة في الأدب، لكأن الأدب في مفاهيمهم هيـكل مقدسـ لا يدخله إلا من يرضونه ما عدا بعضـ صحفنا الداخلية وصحف إحـدى جاراتنـا الشقيقة التي اهتمت اهتماماً بالغاً بإنتـاج أدبائنا... ولما عزمنا علـى فكرة إنشاء صحيفة تخدم الوعـي والأدب الشعبي، وتجاري قافلة الإصلاح في هذا العهد، وجدنا تشجيعاً عارماً من أصدقائنا، ثم رحنا نقدم ونؤخر خطانا عندما سمعنا كلمات (طوباوية) من بعض الذين يثبطون الهمم والعزائم معللين أقوالهـم الواهنة بشتى التعليـلات المختلفة...» ومضى السيـد يعقوب في حديثه عـن إصدار (الفجر الجديد) ذاكـرًا ما وجده من تشجيع الأصدقاء.. وقال: «إن كلمات التشجيع القوية والحماس الشديد من الأصدقاء قد دفعه لإصدارها..».

- وقـد ترجـم ليوسف الدكتـور عبدالعزيز بـن صالح بن سلمـة في كتابه (اليمامـة وكتابها من ١٣٧٢ إلى ١٣٨٢هـ)، وقال بعد أن أحصى له ١٦ مقـالاً في الأعـداد الأسبوعية وقبلهـا عددين في الإصـدار الشهري من اليمامـة. وقـال عنـه في الهامش: «يوسـف الشيخ يعقـوب: أحد مثقفي وكتـاب المنطقـة الشرقيـة، نشرت المجلـة في عددها الثامـن من السنة الثانية شعبان ١٣٧٤هـ/أبريل ١٩٥٥م ص٣٩، خبراً عن صدور الصحيفة التـي أسسها هو وأخـوه أحمد بالعبارات التالية: صـدور الأعداد الأولى من الفجر الجديـد لصاحبيها أحمد ويوسف الشيخ يعقوب، وطبعت في المطبعة السعودية التي أنشأها خالد الفرج رحمه الله، وذكرت في العدد الخامس من السنة الأولى، في ربيع الثاني ١٣٧٣هـ، يناير ١٩٥٤م ص٣٦، أن يوسف الشيخ يعقوب مـن الجبيل فاز بالجائزة السابعة للقصة التي

نظمتها مجلة (صوت البحرين)، وذلك عن قصته (ظلال القصور)، وابتداء من العدد ٣٠ نشرت له صحيفة اليمامة مقالات مطولة، عدد منها أتى في مكان الافتتاحية، بعضها باسمه الصريح وأغلبها باسم (فتى الخليج العربي)، وتذكر اليمامة في العدد ١٩٦ أنه مراسلها الخاص في المنطقة الشرقية».

- وقد جاء ذكر جريدة (الفجر الجديد) وترجمة لرئيس تحريرها في كتابي (رواد الصحافة المبكرة – صحافة الأفراد) من إصدار نادي تبوك الأدبي، وذكرت عنه: «عمل في شركة الزيت العربية (أرامكو) بالظهران عدة سنوات. تنقل في عدة وظائف حكومية في المحكمة الشرعية والشرطة والجمارك».
- افتتح مكتباً للمحاماة في الخبر مع عبد الله الحقيل عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- كتب في عدد من الدوريات المحلية والعربية، وله مساهمات في الحركة الرياضية.
- أصدر مع شقيقه أحمد الشيخ يعقوب جريدة الفجر الجديد بالدمام عام ١٣٧٤هـ.
- كان يوقع مقالاته باسم (فتى الخليج العربي).
- أنشأ مكتبة أهلية تحتوي على مجموعة كبيرة من الكتب الدينية والأدبية.
- يكتب مقالاً أسبوعياً بجريدة اليوم بعنوان: (كلمات من القلب).

من مؤلفاته:

- نظام الرياضة.
- قوس قزح، رواية اجتماعية.

- تاريخ مدينة عينين [الجبيل].

- فلسفة الخوف.

- من أجل مكتبة أفضل.

وذلك نقلاً من (معجم الصحفيين في المملكة، سمير مرتضى)

- جريدة الفجر الجديد:

صدر العدد الأول يوم السبت ١١ رجب ١٣٧٤هـ، الموافق ٥ مارس ١٩٥٥م، وصدر العدد الثالث والأخير يوم السبت ٩ شعبان ١٣٧٤هـ، الموافق ٥ أبريل ١٩٥٥م.

كتب بها: الأساتذة: عبدالعزيز القاضي، عبدالله بن خميس، سعد البواردي، عبدالرسول الجشي، يوسف الشيخ يعقوب، حسن عبدالله القرشي، عبدالرحمن محمد المنصور، عبدالغني ناضرين، عبدالرحمن العبيد.

كتب افتتاحية العدد الثاني أبو عمر: محمد الهوشان (نريد فكرة لا أسلوباً)، وافتتاحية العدد الثالث رئيس التحرير يوسف الشيخ يعقوب بعنوان: (رئيس التحرير في قفص الاتهام) نختار منها قوله:

«مزقوا هذه الصحيفة.. ودوسوها بنعالكم.. وابصقوا عليها.. عندما تشق طريقاً ينحو بها إلى الخطل والباطل!!..». وقد نشر أو اختار بعض رسائل القراء التي تتهم الجريدة بالجبن عن قول الحقيقة، والخوف أن تجرفه عجلة (الدولار) عن قول الصدق.. وقال: «.. وهنا أكتفي بنشر نموذج هذه الرسائل، وأحس برعدة تسري في مفاصلي، فقد عشت بجو هادئ، بعيداً عن هذه الاتهامات والتهديدات، قبل أن آخذ على عاتقي تحرير صحيفة في منطقة يشتد فيها التفكير والوعي الاجتماعي، .. فليعذروني وليقبلوا عذري، فأنا لا أستطيع أن أتخطى الحدود

المرسومة لهذه الجريدة، بل لهذا (الوليد) فلا مناص لي من الوقوف أمام الأمر الواقع.. فلولا صبري وإيماني بالرسالة العظيمة التي أحملها لهذا الوطن العظيم لحطمت قلمي ولمزقت الورق. فهذه الرسائل التي تطعن المحرر في كيانه، والتي لو وجهت لغيري لأشرف على الجنون واليأس... فليكتبوا ما شاءوا لي من نقد أو تهجم، فأنا أستحق كل سخط لو انحرفت عن الصراط المستقيم، بل مزقوا هذه الصحيفة، ودوسوها بنعالكم، وابصقوا عليها عندما تشق طريقاً ينحو بها إلى الخطل والباطل». يوسف الشيخ يعقوب.

وبعد أن عرفته عن قرب وسجلت معه أهم المحطات المهمة في حياته العلمية والعملية طلبت منه تزويدي بشهادة مفصلة عن ظروف إصدار الجريدة وظروف إيقافها؛ لأنني بصدد إعداد كتاب عن البدايات الصحفية بالمنطقة، فرحب بالفكرة، وبعد أيام وصلتني منه الرسالة التالية:

شهادة رئيس التحرير..

في البدء كانت الكلمة، وكان الحرف!!

بقلم: يوسف الشيخ يعقوب

قبل أن أتلقى الرسالة الكريمة، المتفجرة من ينبوع تشجيع روح الثقافة والمعرفة، الذي يفتش القارئ للبحث عنه، في منطويات تاريخ المنطقة الشرقية، الذي أثاره ونبشه الأستاذ (محمد عبدالرزاق القشعمي) مسؤول الشؤون الثقافية بمكتبة الملك فهد الوطنية، في مدينة الرياض، منطلق الثقافة الكبرى إن شاء الله، ومن الصدف أن تلك الرسالة جاءت مشابهة للرسالة التي وردت لي من جريدة اليوم، وقمت بالرد عليها، وكان مضمونها حول بداية الصحافة في المنطقة الشرقية، التي كان لي الشرف أن أكون أحد كتاب زاوية الفكر والرأي

فيهـا، منذ بـدء إشراقة صدورها، والتـي حملت رسالة الفكـر والثقافة والأدب، واستمـرار نشاطهـا والحمـد لله حتـى هـذه اللحظة التي بـادرت بإعـداد هذه الرسالـة الموجهة (لأبي يعرب) حـول المشاركة بالكتابة عن بدايات الصحافة في المنطقـة الشرقية، كشاهد للعصـر الفكري الذي عشتـه وعاصرته وبالذات عن إصـدار صحيفـة (الفجـر الجديد) وحمل رسالـة تحريرهـا، أو بالأصح رئاسة صدورهـا وتحمل مسئوليتهـا، بمعاونة ومشاركة أخي (أحمـد) رحمه الله، كنوع مـن المعاضدة، وحمل شرف قداسة الكلمة والحرف، وإبرازها ورفعها في ظروف تدعـو لتحقيق ظهورها مهما كانت المتاعب المادية والفكرية ومهما كانت العقبات والتضحية، التي تقف في طريقنا في تلك الفترة الزمنية، للبارقة التي ستحقق لنا إضـاءة الطريق لتلك التجربة، التـي لا تتعدى ولا تخرج عن نطاق روح الإخلاص لتلك الرسالة التي حملناها، كمحاولة أدبية جادة لسباق الزمن والفرص، وبدافع عـن نطـاق روح الحاجـة الملحة لذلـك التعطش الـذي لا يخرج أيضـاً عن نطاق الإخلاص والمحبـة لهذا الوطن الغـالي، ولا غرابة في ذلك فمحبـة الأوطان من الإيمـان!! وعندما عدت لقراءة الرسالة الكريمة التـي تحمل الكثير من المشاعر الوطنية التي دفعت الأستاذ (أبا يعرب) والتي قال فيها متسائلاً:

(بعـد مضي هذه السنـوات الطويلة من العمر التي تقـارب نصف قرن، هل أنتم راضون عن هذه التجربة؟). والجواب على ذلك، أن قداسة الكلمة والتفاني بمحبـة الأوطـان وروح الإخلاص للأهداف، هي التي مهـدت الراحة والاستقرار النفسـي لذلك الواجب الذي قمنا بتأديته في تلـك التجربة الصعبة، التي سبقنا الكثـيرون لها ممن تجردوا وعملوا من أجل المغامرة والتضحية بالغالي والنفيس لأجـل نشـر الثقافة والإصرار على محبة الوطن وراحـة الضمير، وأرجو أن تكون هـذه المشاعر دعمـاً وسنداً من بعض مشاعري نحو مـا عزمتم تحقيقه من عمل ثقـافي وأدبي وتاريخي له أبعـاده لذلك الكتاب أو التأليف، الـذي تنوون إخراجه ونشـره، وتقديمه للقـارئ الذي يتعطش لقراءتـه، حول البدايـات الصحفية في

المنطقــة الشرقية، كما ألمحت عنه في تلــك الرسالة الكريمة التي تلقيتها، وسوف تجـدون ولا شك التقدير لكـم بإنجاز ذلك العمل كخطوة أولــى للعاملين في هذا القطاع الأدبي الفكري المشرف.

إن هـذا الطلب الذي ألح به الأستاذ (أبو يعرب) عن البدايات الصحفية في المنطقة الشرقية قد يحتاج إلى الكثير من التوسع الثقافي والتاريخي والجيولوجي أيضاً لكون هذه المنطقة لها دور واسع وبارز في العراقة لتاريخ الحضارات البعيدة التـي تزيد علـى السبعة آلاف سنة لتاريخ الجزيــرة العربية الحضاري فمن عهد بعيــد عرفت فيه، دلمون، والفينيق، والآشوريين، والسامريين، وكانت الحدود تبدأ مــن حوض الرافدين شمالاً، وحتــى هضاب الربع الخالي، أو واحة يبرين جنوباً، كما حددها علامــة الجزيرة العربية ومؤرخها الشيــخ (حمد الجاسر) –رحمه الله– في المعجــم الجغرافي للمنطقة الشرقيــة من البصرة، حتى أطراف عُمان، فهــذه المنطقة الشاسعــة التي أتى عليها حــين من الدهر، وتتالــت عليها ظروف جيولوجيــة وحضاريــة مختلفة ومتعــددة، ضاربة في أحقــاب سحيقة من القرون الواسعة لتكوين إنساني وحضاري عرفه وحدده التاريخ البشري لتلك الحضارات، ممــا يدعو الأمــر إلى تنقيــب واسع وجادّ عــن تلك الآثــار الشاسعــة والواسعة، فهــذه المنطقــة لا زالت تحمل بصمات لآثــار لا زالت تحت الرمــال الكثيفة ولكن الأجهزة العلمية الحديثة كفيلــة لاكتشافها وتحديد أزمانها، وأهميتها التاريخية والحضاريــة وبالذات على أطــراف البحار والسواحل التي رفعــت المفكر والمؤرخ الكبــير (ابن خلدون) رحمه الله، يؤكد لهذا الجيــل في فلسفة بروز الحضارات، بــأن الحضارات تنشأ وتبــدأ في التوسع والازدهار في الغالب على السواحل وقرب البحــار والأنهــار، وإن مثل هــذه الأماكن هي ولا بد أن تكــون منطلقاً للحضارات والأفكار العلمية، وقد حفظ التاريخ الشيء الضحل عمّا تناقلته الأجيال البعيدة، كما حفظ لنا البعض عن حضارة دلمون، أو البحرين، وعن رحلة ذلك المغامر بما

وثقتـه عنه تلك الرحلة الاكتشافية أو البحث عـن المعرفة البدائية بزيارة جريئة وموثقـة لدلمـون، للبحث عن الأسبـاب المؤدية لخلـود الحياة، واستفـاد من تلك الرحلـة بإجادة الغوص في أعماق بحر الخليج العربي، وربما أن ذلك المكان على ساحل مدينة (الجبيل) التاريخية أو (عينين) التي عرفت بمغاصات اللؤلؤ فيها، وقد توهم ذلك الرحالة أنه اكتشف سر الوجود أو الخلود في أرض الخلود في هذه المنطقة، وكان اسم ذلك المغامر (جلجامش). وفي المنطقة الشرقية، القريبة من مدن الأحسـاء عرفت حضارة مدينة (الجرهاء)، وقد تعرضت تلك المدينة التي اشتهرت بالثروة والغناء وأن أبوابها وسقفها مزخرفة بالذهب والفضة والجواهر الثمينـة، وقد تعرضت هذه المدينة لغزو أحد ملـوك الفرس، الذي أراد أن يحقق حلمـه بالاستيلاء على هذه المدينة واحتلالها بالقـوة، وعندما رست سفنه قريباً مـن تلك المدينة شعـر أهلها بذلك الخطر المحيط بهم، فهـب رجال هذه المدينة للتخلـص من ذلـك الشـر، فأرسلوا له بعضـ وجهائهم للتفاوض معـه، وعندما تمكنـوا مـن مواجهتـه على ظهر سفينتـه، تقدم لـه رئيس الوفـد وخاطب الملك الغازي قائلاً: أيها الملك العظيم، خذ منا ما شئت من الأموال والجواهر والذهب والفضـة، واترك لنا مـا أعطاه ووهبه الله لنا، وهو الحرية والاستقلال، ولما سمع الملك ذلك القول الحكيم والشجاع، أحس بالخجل من نفسه، وأمر جنوده بالعودة إلـى حيث أتـوا، دون أن يتعرض لهم بأي سوء، وكان هـذا الموقف من جانب أهل هذه المدينة، يدل على وعيهم وتمسكهم بالحرية والاستقلال، كما أن هذا الموقف مما يدل على أنهم سبقوا العالم في ذلك التاريخ، بتقديس الحرية والاستقلال.

وأعـود للرسالة التي تلقيتها مـن الأستاذ (محمد القشعمـي) الذي جعلني أكبر روحه الثقافية ونظرته البعيدة باهتمامه الفكري الواسع الذي اختار السرب مـن الذيـن طلب منهـم الاستعانة برأيهـم، حول عزمـه بالكتابـة والتأليف عن بدايـات الصحافـة في (المنطقة الشرقية) ما دام أن لهم الـدور الثقافي، بتنفيذ

الأخذ بفكرة إصدار الصحف في المنطقة الشرقية، ذلك الاجتهاد والحماس الثقافي والأدبي، لتحقيق إصدار وخلق وإبداع أكثر من صحيفة، للحاجة الملحة التي دفعت بهم بتحقيق تلك الرغبة، لأهمية المنطقة من الناحية التاريخية، وكان خاتمة تلك الأعمال الثقافية من أولئك الشباب أو الرجال تحقيق تلك الأعمال الثقافية التي لا تقدر بثمن، لقداسة وقيمة الكلمة والحرف، فكان لهم الدور، في نفض غبار التخلف ووضع أساس القواعد العلمية والأدبية، التي تغلبت بتوجيهها لمحاربة الجهل والتخلف، كما صور ذلك الشاعر العربي في قوله:

الجهلُ لا تُبنَى عليه أمةٌ ... كيفَ الحياةُ على يدي عزريلا

ولا شك أن هذه الصحف التي صدرت شعَّ ضوؤها في المنطقة وما حولها، فاتحة نوافذها لكل محبي الثقافة والأدب.

وعودة ثانية لتحقيق ما طلبه الأستاذ في تلك الرسالة إكمالاً لتلك الرغبة بأنه استعان برأيي حول العزم بتأليف كتاب يتناول فيه البدايات الصحفية بالمنطقة الشرقية بدءاً من عام ١٣٧٣ حتى ١٣٨٢هـ، إضافة إلى ما ورد في الرسالة، حول جريدة (الفجر الجديد) وما تحملته أنا وأخي أحمد رحمه الله الذي كان موظفاً حكومياً في كتابة عدل المنطقة الشرقية، شاكراً للأستاذ (أبا يعرب) اهتمامه بمساهمتي الثقافية، أنا وأخي أحمد، في بدء بواكير الصحافة في المنطقة (رغم عدم توفر الإمكانيات المادية، ولكنها روح التحدي والحماس لحمل المشعل لإنارة الطريق) كما يقول أبو يعرب، ومن منطلق أن هذه المشاعر، والكلمات وروح التقدير الدافعة، هي التي دفعتني أن أقدر له تلك الروح العربية، التي دفعته وحملته لكشف روح الإخلاص والتقدير للدوافع الوطنية بالإقدام لتنفيذ فكرة إصدار جريدة (الفجر الجديد) وكانت بالنسبة لإصدارها فرحة لا حدود لها، عندما استطعت إقناع أخي أحمد رحمه الله بتنفيذ فكرة التقدم، لصاحب الجلالة الملك (سعود بن عبدالعزيز) رحمه اللّه، ،وإدراكي الصادق والبعيد أنه من أحد المشجعين لمثل هذه الأعمال الثقافية والوطنية. وقد انتهزنا فرصة زيارتنا

لجلالتـه في مدينة الرياض بعد العودة مـن أداء فريضة الحـج بصحبة الوالد (الشيـخ يعقوب اليوسف) رحمه الله أحـد قضاة (الجبيل) -والذي رشح مديراً لأول مدرسـة حكوميـة فيها- وقد نجحت الفكرة بموافقـة جلالته بإصدار أمره الكـريم للجهات المختصة بالسماح لنا بإصدار جريـدة (الفجر الجديد)، وكان اختيـار ذلك الاسم تيمناً بعهده. وكانت موافقة جلالته فرحة بالنسبة لي ولأخي أحمـد لا حـدود لها، وعندما تم لنا إصـدار الأعداد الثلاثة، كانـت تلك الأعداد سابقـة للعصر الذي حققته، أنا وأخي أحمد، وكان اهتمام الأستاذ (أبي يعرب) في تلك الرسالة الكريمة بالفجر الجديد وزميلاتها من تلك الصحف التي اختفت قد أدت رسالتها -ولا شك- في معالجة الكثير من الأمور الاجتماعية والوطنية، وساهمـت ببناء روح النهضة الأدبية والعلمية في سلك الصحف الأخرى، بدءً من عهـد الملـك عبدالعزيز -خلـد الله روحه في الجنة- وأبنائه مـن بعده بما أبرزه وحققه المحررون والكتاب والأساتذة، الذين ساهموا في تلك الصحف. وكان اسم (الفجر الجديد) الذي اخترناه تفاؤلاً بتلك النهضة العلمية والفكرية التي بدأت منـذ عهد الملك عبدالعزيز الموحـد الأول لأطراف المملكة، وتثبيـت أعمدة العلم والمعرفـة، وتطبيق روح التحضر المستمد من الشريعة الإسلامية السمحاء التي لا زالت المنطلق الأول والأخير بالتمسك بها.

وبعد: إن المتاعب النفسية التي واجهتها وأخي (أحمد) رحمه الله بعد إيقاف (جريدة الفجر الجديد) الذي شبه أحد المازحين ذلك الإيقاف بقصة (سنمار) التاريخيـة، ولكن الذي أزاح سحب تلـك المتاعب الثقيلة، وفجر الفرحة في قلوبنا -بما في ذلك الآباء والأمهات والأطفال الذين كنا نعيلهم- صدور بيان الديوان الملكي الكريم، الذي أعاد وحقق الثقة بنا وبكرامتنا كما نص بذلك البيان المنشور في الصحف المحلية بتاريخ ربيع الأول عام١٣٩٥هـ، وجاء في النص ما يلي: (أسوة بمـا قـام به المغفور لـه جلالة (الملك فيصـل) طيب الله ثراه، مـن إطلاق قسم مـن المعتقلـين في قضايا سياسيـة، والسماح لبعض الذين فروا مـن بلدهم هرباً

من تنفيذ الأحـكام الصادرة بحقهم بالعودة لوطنهم، ونظراً لأن جميع من عفي عنهـم أصبحوا عناصر طيبة، وساهموا بإخلاص في خدمة دينهم ووطنهم، فقد أمـر حضرة صاحب الجلالة (الملك خالد بـن عبدالعزيز) بإطلاق سراح جميع الباقـين مـن المعتقلين المحكومـين، والعفو عـن جميع الموجوديـن في الخارج من المتهمـين والمحكومين في قضايا سياسية، ودعوتهم للعـودة إلى وطنهم ليساهموا جميعًـا، في خدمة البلد وتطوير ازدهـاره)، وإن هذا البيان الكريم الذي شمل الجميـع بالعفو، الذي حقق الفرحة في قلوبنـا ونفوسنا وجميع أهلنا الذين رفعوا أياديهم إلى السماء بالدعاء إلى الله أن يحفظ ويديم حكومتنا الرشيدة بعطفها على أبنائها مشيدة بذلك البيان بأن جميع من عفي عنهم عناصر طيبة ساهمت بالإخلاص في خدمة دينهم ووطنهم.

وختامًـا وحتـى أوضح ما طلبـه مني الأستـاذ (أبو يعـرب) في رسالته، بأن أعطيه معلومـات واسعة تتعلق بجريدة (الفجر الجديـد)، وإكمالاً لهذا البحث، فقـد كان لموقـف الأستاذ (خالـد الفرج) رحمه الله الدور الكبـير في حل مشكلة طباعـة الجريدة في مطابعه التي كانت تعمل في مدينة (الدمام)، فقد أوعز إلى ابنـه (محمـد) وكلفه بطباعـة الجريدة عنـده، وكنا ننوي طبعهـا في البحرين، وقـد رحب غايـة الترحيب. كمـا أن الشيخ (حمـد الجاسر) رحمـه الله عندما سمـع بالسماح لنا بإصدار الجريدة بارك لنا ذلـك وأبدى الاستعداد بطبعها في مطابعـه بمدينة الرياض، وقـد شكرنا له هذه الروح الوطنيـة. وكنت آنذاك من أحـد الذين يكتبـون في (اليمامة)، وعندما بدأنا في طبـع الجريدة وجدنا إقبال القـراء عليهـا، ضاعفنا العدد الثاني علـى ثلاثة آلاف نسخة، أمـا العدد الرابع الـذي جرى إيقافـه ومصادرته من قبل مديـر الأمن العام والـذي لم يوضح لنا الأسبـاب، فقد كانت الأعداد الجاهزة للتوزيع أربعة آلاف نسخة. أما عن أسباب الإيقـاف الذي طلب الأستـاذ (أبو يعرب) معرفة ذلك، فحتى الآن لم نعرف تلك الأسباب؟ وقد كثرت التخرصات والأقاويل، فمنهم من خمن أو ظن، أن الحديث

أو المقابلة التي تمت بين الأستاذ (محمد الهوشان) أحد المحررين في الجريدة ورئيس الأرامكو المستر (باركر) حول البترول، وقلة عدد توظيف السعوديين، وعدم تشجيعهم، ربما أن ذلك قد ضايق رئيس الشركة، ولكني أستبعده ولا أظنه، فقد كنت مستمعًا لذلك النقاش، والمقابلة الطيبة، دون أن تبدو منه أي مضايقة، بل رحب كثيراً في تلك الزيارة والحديث الشيق معه. وقد وعد بتشجيع الجريدة ما أمكن بالإعلانات، وما يتعلق بالنفط، وقد عرف عنه أنه من خيرة الرؤساء الأمريكيين الذين عملوا في المملكة. ومهما كانت الأسباب حول إيقاف الجريدة، فنحن على ثقة أن المواضيع الأدبية والثقافية والتعليقات التي نشرناها، تؤكد الروح والمشاعر الطيبة، ومدى إخلاصنا ومحبتنا للوطن. وتأكيدًا وإيضاحًا للتاريخ، فإنه بعد فترة من إيقاف العدد الرابع، وفي زيارة من أخي أحمد لسمو أمير المنطقة الشرقية المرحوم (عبدالعزيز بن جلوي) [نيابة عن والده الأمير سعود بن جلوي لسفره للعلاج بالخارج] طلب من أخي أحمد إعادة طبع ونشر الجريدة، ولكن أخي اعتذر من ذلك، وشكر لسموه تلك المشاعر والاهتمام تاركاً الأمر إلى فرصة أخرى.

يوسف الشيخ يعقوب

هذا وقد استمر الأستاذ يوسف يكتب مقاله الأسبوعي (كلمات من القلب) بجريدة اليوم حتى بلغ الثمانين من عمره فوهن عزمه، ولم نلبث أن سمعنا بوفاته رحمه الله يوم الأربعاء ١٧/١٠/١٤٣٢هـ الموافق ١٥/٩/٢٠١١م. والمعروف أنه من الأعضاء المؤسسين لجريدة اليوم في بداياتها مع عصر المؤسسات الصحفية ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

ولا ننسى أن الراحل قد عمل بعض الوقت في مكتب العمل عند إنشائه بالدمام برئاسة عبدالعزيز المعمر، ولقي مع بعض العمال كثيراً من المضايقات

مــن الشركــة بسبب انحيــازه لمصالح العمــال ومطالبته بحقوقهــم، مما عرضه للسجــن مرتــين الأولى خمس سنــوات، والثانية عشر سنــوات، وبعد خروجه من السجن عمل بالتجارة، واستمر يكتب في جريدة اليمامة، وأخيراً جريدة **اليوم**.

وأخــيراً تعرضــ في سنواتــه الأخــيرة لأمراض كثــيرة منها: فقــده للذاكرة (الزهــايمــر). وقد كرمته الدولــة من خلال وزارة الثقافــة والإعلام ضمن رواد الصحافــة السعودية، عند افتتاح معرض الكتاب الدولي بالرياض عام ١٤٢٨هـ، وقد ناب عنه ابنه يعقوب.

وقــد أبَّنــه مركــز حمد الجاســر الثقافي بُعيــد وفاته –رحمــه الله– بتاريخ ١٤٣٢/١١/١هــ الموافق ٢٠١١/٩/٢٩م. أقامت خميسيــة الجاسر ندوة تأبين له شــارك بها الأساتــذة: سعد البواردي، ومحمد القشعمــي، وإدارة الدكتور موسى مبروك بحضور عدد كبير يتقدمهم ابنه الأستاذ سمير.

محمد بن عبدالرزاق القشعمي

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

ج٩ و١٠ س ٥٧
الربيعان ١٤٤٣هـ
تشرين الأول-تشرين الثاني/نوفمبر-ديسمبر ٢٠٢١م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية

في هذا العــــــــــدد

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء التاسع والعاشر - السنة ٥٧

الربيعان ١٤٤٣هـ

تشرين أول - تشرين ثاني/أكتوبر -نوفمبر ٢٠٢١م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - طريق الإمام سعود بن عبدالعزيز - حي الشهداء

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخــلاً ضمن اهتمامات المجلة، وهي الموضوعـات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكـد الكاتب من سلامة اللغة، وحســن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة في ملف (word) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤١٨

ردمد (ISSN) : ٢٦٧١- ١٣١٩

الفهرس

التراث الفكري في الحكم الإسلامي

المكتبات الشخصية

من القرن الثاني إلى القرن العاشر الهجري

أ.م.د. أشرف صالح محمد سيد

مقدمة:

تعدُّ المكتبات الشخصية من أوائل المكتبات التي عُرفت في العالم؛ لأن حب التملك هو غريزة فطرية لدى البشر، ولأن الإسلام حث على طلب العلم وتحصيله من مظانه المختلفة، لذا أقبل المسلمون على اقتناء الكتب وتكوين المكتبات، فكانت المكتبات الشخصية (الخاصة) من أوائل المكتبات التي عُرفت في العالم الإسلامي.

والمكتبات الشخصية كما يبدو من اسمها كانت خاصةً بأفراد معينين قد أنشؤوها لفائدتهم أو لمصلحتهم الشخصية، ولاستخدامهم الخاص، إلا أن بعض تلك المكتبات كثيرًا ما كان يُسمح لأفراد آخرين باستخدامها، سواء للاطلاع الداخلي أو للاستعارة الخارجية، فكانت تلك المكتبات بمنزلة مكتبات خاصة عامة[١].

وتزخر المصادر العربية بعديدٍ من الأمثلة على هذا النوع من المكتبات، سواء لأفراد لهم مكانة في الدولة كالوزراء والعلماء، أم لأفراد عاديين، فقد انتشرت

المكتبـات الشخصيـة في جميع أنحاء العالم الإسلامـي، ونعرض فيما يلي نماذج لتلـك المكتبـات في مصر والشـام والأندلس عرضًـا تاريخيًّا، بـدءًا من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وانتهاءً إلى منتصف القرن العاشر الهجري.

اقتناء الكتب وتكوين المكتبات الشخصية:

- مكتبـة الإمـام الكبـير أبي عبـد الرحمن بن عبـد الله لهيعـة المِصْرَي (ت. ١٧٤هـ/ ٧٩٠م)، قاضـي الديـار المِصْرَيـة (١٥٥هـ) وعالمهـا ومحدثهـا، كانـت لديـه مكتبة كبـيرة، وقد تـرك لنا مجموعـة مدونة من الحديث تعدّ أقدم مجموعة أوراق بردي[٢].
- مكتبـة أبـي عبـدالله محمـد بـن إدريـس الشافعـيّ المطّلِبـيّ القرشيّ (ت. ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م)، وهو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهـب الشافعي في الفقه الإسلامي، صنف في مِصْرَ ما يربو علـى مائة كتاب بعد أن ارتحل إليهـا سنة ١٩٩/ ٢٠٠هـ، ولاشك في أنها كانـت ضمن مكتبتـه الخاصة التي كان يرجـع إليها لأغراض القراءة والتأليف[٣].
- مكتبـة الفقيه عبـد الملك بن حبيب بـن مرداس السلمـي (ت. ٢٣٨هـ/ ٨٥٣م). قـال ابن عبـد الـبر: «وكان جمّاعًا للعلم، كثـير الكتب، طويل اللســان، فقيهًا، نحويًـا، عروضيًا، شاعرًا، نسابـة، إخباريًا، وكان أكثر من يختلـف إليه الملوك وأبناؤهـم»[٤]. وقال إبراهيـم المنذر الجذامي: «أتـاني صاحبكم ابن حبيب بغرارة مملوءة كتبًـا، فقال لي: هذا علمك تجيـزه لي؟ فقلـت له: نعم، ما قـرأ عليّ منه حرفًـا، ولا قرأته عليه»[٥]. وتُعَـدّ مكتبة ابن حبيب هذه أول مكتبة أندلسية خاصة تذكرها المصادر التي بين أيدينا.

ولم يكـن تأسيس المكتبات قاصرًا على الأغنياء وحدهم، وإنما كان البسطاء وذوو الدخول المحدودة يعنون بأن تكون لهم مكتباتهم الخاصة في بيوتهم في ضوء ما تسمح به إمكاناتهم، ويقدمونها على مظاهر الحياة الأخرى كالملبس والمأكل.

- مكتبـة محمد بـن حزم (ت. ٢٨٢هــ/ ٨٩٥م)، كان «يعلـم الأولاد فيها بمساعـدة ابـنٍ له يقـوم على تعليـم الصبيـان، وابنة تقوم علـى تعليم الفتيـات، والمبالغ التي يدخرها يشتري بها كتبًا، وفي أوقات الفراغ يقوم بنسخ الكتـب التي يعيرها له أصدقاؤه، وبالرغـم من ظروفه المتواضعة التـي لا تسمـح لـه أن يستخـدم خازنًا لمكتبتـه، كانت مكتبتـه منظمة، وفيهـا كتب قيمـة، وأحيانًا نـادرة، وكان أدبـاء قرطبـة يحسدونه على دقـة كتبـه وروعتها، التي أحضرهـا في رحلة كانت له إلـى المشرق لهذا الغرض، وكان راوية للأدب والطُّرف، ولم يكن قبله أجمع للدواوين منه، ولا أصبر على الكتاب، ولا أدوم على النظر، وخرج حاجًا فأدركته الوفاة في مسيره وقد ركب البحر فكفن، وصُلّي عليه وألقي في البحر»(٦).

- مكتبة أبي زكريا، يحيى بن عابد بن كيسان (ت. ٣٧٥هـ/ ٩٨٦م)، مولى هشام بـن عبدالملك وكانت مكتبـة قيمة. ويروي ابـن الفرضي عنه أنه قـال: «لو عددت أيـام مشيي في المشرق وعددت كتبـي التي كتبت هناك بخطي لكانت كتبي أكثر من أيامي بها، وقضى اثنتين وعشرين سنة»(٧)، ويعنـي ذلك أنه كان ينسخ كل يوم كتابًا! ولـذا فإن مكتبته كانت تحتوي على أكثر من ثمانية آلاف مجلد.

- مكتبـة يعقوب بن كلس (٣١٨- ٣٨٠هـ/ ٩٣٠ – ٩٩٠م)، وهو يعقوب بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس، أبو الفرج، كان وزيرًا للعزيز بالله الفاطمـي (ت. ٣٨٦هـ/ ٩٦٦م) صاحب مِصْرَ، وكان محبًا للعلم وأهله، يجتمـع لديه العلماء، وقـد رتب لنفسه مجلسًا في كل ليلـة جمعة؛ ليقرأ فيها مصنفاته على النـاس، وقد أوجد لنفسه في داره مكتبة ضخمة جعل

بها نساخًا مهرة لكتابة القرآن والحديث والفقه والأدب وحتى الطب، وكانت تدور بينهم المناقشات في أمور كثيرة(٨).

وهو أول وزير للدولة الفاطمية في الديار المِصْرَية، وصاحب فكرة تحويل الجامع الأزهر إلى جامعة علمية يتحلق فيها العلماء والفقهاء والأدباء لدراسة وتعليم العلوم الدينية والعقلية، وكان يهودي الديانة، ثم أسلم في عهد كافور الإخشيدي، وكان من العلماء المشهورين بحبه للعلم والمعرفة، وله دور كبير في ازدهار الحركة العلمية والأدبية في العصر الفاطمي(٩).

وكان ابن كلس الوزير المخلص للخليفة العزيز بالله، ويده اليمنى في نشر المذهب الإسماعيلي، وكان بطبعه عالمًا أديبًا، له همة عالية في تأليف الكتب وجمعها، فقد ألف بعض الكتب لنشر المذهب الإسماعيلي، من أشهرها كتاب مختصر في الفقه الإسماعيلي سماه «الرسالة الوزيرية»، يتضمن كل ما سمعه من مولاه المعز وابنه العزيز بالله، وكان يجلس كل يوم جمعة في الجامع العتيق لقراءة هذا الكتاب بنفسه وحوله جماعة من الناس والفقهاء والقضاة والقُرّاء والأدباء، كما ألف كتابًا في القراءات، وكتابًا في الأديان، وكتابًا في علم الأبدان وصلاحها بلغ حجمه ألف ورقة، وكتابًا في آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا فضلاً عن كثير من المصاحف والكتب التي كان يمتلكها(١٠).

ونتيجة لولع ابن كلس بتأليف الكتب وجمعها، حرص على أن تكون لديه مكتبة خاصة به في داره، تضم مؤلفاته الشخصية والمؤلفات التي أُلفت له، كما كان حريصًا أيضًا على اقتناء المؤلفات في كل أنواع العلوم، حيث كان يجتمع في داره «قوم يكتبون القرآن الكريم، وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب، حتى الطب، ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها»(١١). وإلى جانب حبه للعلم والمعرفة فقد كان ابن كلس يقدر أهل العلم والأدب ويقربهم إليه، ويجزل لهم العطايا والمنح، فكان من الطبيعي أن تكون داره ومكتبته ملتقى العلماء والأدباء،

حيث «رتب في داره العلماء من الأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين، وأجرى لهم جميعًا الأرزاق»[١٢].

كما خصص ابن كلس يومًا في داره لإجراء المناظرات بين العلماء والأدباء، فإذا جاء يوم الثلاثاء «يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل وتجري بينهم المناظرات»[١٣]، وكان من بين جلسائه الحُسين بن عبد الرحيم المعروف بالزلازلي مؤلف كتاب «الأسجاع»[١٤]، كما كان حريصًا على استضافة العلماء المتخصصين في بعض العلوم في مكتبته، وتشجيعهم على تأليف الكتب، ومنهم: الطبيب المشهور محمد بن أحمد بن سعيد التميمي الذي ألف له كتابًا كبيرًا في عدة مجلدات[١٥].

وقد ظلت هذه المكتبة الشاملة لكل أنواع العلوم والمعارف تخدم العلماء والفقهاء والمترددين عليها، بما أتاحته لهم من كتب في جميع فروع المعرفة، وبما وفرته من وسائل للراحة والاطلاع والنسخ، كما كان لها أكبر الأثر في نشر المذهب الفاطمي نظرًا لمجالس المحاضرات ودروس الفقه التي كانت تعقد بين العلماء، واستمرت على هذا الحال إلى أن مات ابن كلس فنُقل جزء كبير منها إلى مكتبة القصر الفاطمي، فزادتها ثراء وعظمة، وأضافت إليها كثيرًا من كنوز المعرفة[١٦].

- مكتبة أبي الفتوح برجوان (ت. ٣٩٠هـ/ ١٠٠١م)، أستاذ الخليفة الحاكم بأمر الله ومعلمه ومدبر دولته وخادمه المخلص، نظر في الوزارة سنة (٣٨٨هـ/ ٩٩٩م)، واشتهر بالتدريس للخلفاء والأمراء، وكان من الطبيعي أن يكون لديه مكتبة كبيرة تساعده في تنمية معلوماته ومداركه العلمية، حيث وجدت بعد وفاته من بين ثروته كتب كثيرة لا تعد ولا تحصى[١٧]، وقد وصفه المقريزي بأنه كان له «من الكتب شيء كثير»[١٨].

- مكتبــة خديجــة بنت جعفر بــن نصر التميمــي، زوج عبــد اللّه بن أسد الفقيــه، فقد «حدثت عــن زوجها عبد اللّه، وقيــدت سماعها بخطها في سنــة ٣٩٤هـ ... وحبســت مكتبتها عنــد ابنتها»[١٩]، وبهــذا كانت المرأة المسلمة متفوقة في مجال العلم والأدب في ذلك العصر المزدهر، في حين كانت مثيلاتها من النساء في أوروبا يرزحن تحت الجهل والعبودية[٢٠].

- ومــن أشهر مكتبات مدينــة طليطلة، مكتبة أحمد بــن محمد بن عبيدة الأمــوي المعروف بابــن ميمون (ت. ٤٠٠هــ/ ١٠٠٩م)، الذي «جمع من الكتب كثيرًا في كل فن، وكانت جلها بخط يده، وكانت منتخبة مضبوطة صحاحًــا، أمهات، لا يدع فيهــا شبهة مهملة، وقلما يجوز عليه فيها خطأ ولا وهم، وكان لا يزال يتتبع ما يجده في كتبه من السقط والخلل بزيادة في اللفــظ أو نقصان منه، فيصلحه حيث ما وجده ويعيده إلى الصواب، وكانت كتبه وكتب صاحبه إبراهيم بن محمد أصح كتب في طليطلة»[٢١]. ومــن الطريــف أنه يوم وقع الحريــق في سوق طليطلــة احترقت دار ابن ميمون إلا البيت الذي كانت فيه كتب أحمد، وكان ذلك الوقت في الرباط، «وعجب الناس من ذلك، وكانوا يقصدون البيت ينظرون إليه»[٢٢].

- لم يكــن الاهتمام بجمع الكتب وتكوين المكتبــات الشخصية في الأَنْدَلُس مقتصــرًا على الرجال فقط، بل لقد وجدت نساء عالمات اهتممن بجمع الكتــب وبالأدب مثل عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم (ت. ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م)، التــي كانــت أكــثر أهل زمانها علمًــا وأدبًــا وفصاحة، وكانت حسنة الخط تكتــب المصاحف والدفاتر، وتجمع الكتــب، وتهتم بالعلم، وكانــت لها خزانة كتــب كبيرة اشتملــت على نفائس الكتــب في مختلف صنوف العلم[٢٣].

- مكتبة إبراهيم بن عبداللّه المعروف بـ «ابن النوالة» (ت. في بداية القرن الخامــس الهجــري)، وكان يُستعــان بهــا في التأليــف والتصنيف، وقد

وصف الحجازيّ ابن نوالة بأنه «مما كان يؤخذ من ماله وأدبه، وأنه استعان بخزائن كتبه على ما صنفه كتاب المسهب»[٢٤].

- ومن أشهر المكتبات الشخصية مكتبة القاضي أبي المطرف عبد الرحمن محمد بن عيسى بن أصبغ (٣٤٨-٤٠٢هـ/ ٩٥٩-١٠١١م)، قاضي الجماعة (قاضي القضاة) في قرطبة سنة ٣٩٤هـ، من أئمة المحدثين وكبار العلماء، واسع الرواية والحفظ، فكان يملي الحديث من حفظه في مسجد والناس يكتبون، «وكان حسن الخط، جيد الضبط، جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من أهل عصره... وكان له ستة وراقين ينسخون له دائمًا، وكان قد رتب لهم على ذلك راتبًا معلومًا، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه، وبالغ في ثمنه، فإن قدر على ابتياعه وإلا انتسخه منه ورده عليه»، ويذكر أن «أهل قرطبة اجتمعوا لبيع [كتبه]... مدة عام كامل في مسجده في الفتنة في الغلاء، وأنه اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية»[٢٥]. «وكان لا يعير كتابًا من أصوله البتة[٢٦]، وكان إذا سأله أحد ذلك وألح عليه السؤال، أعطاه للناسخ فنسخه وقابله ودفعه إلى المستعير، فإن صرفه وإلا تركه عنده»[٢٧]. وقد أعدّ لمكتبته مكانًا خاصًا وتفنن في زخرفته، «وكانت كتبه في مجلس جدرانه بالخضرة، وسمكه ومسطحه والبرطل أمامه، والبسط الذي فيه والنمارق كلها خضر»[٢٨].

- مكتبة فاتن الصقلبي (ت.٤٠٢هـ/ ١٠١١م)، وهو أحد موالي المنصور الصقالبة، وقد جمع في خزانته عددًا كبيرًا من الكتب المضبوطة الصحيحة، «وكان أوحد لا نظير له في علم كلام العرب، وناظر صاعد فقطعه وظهر عليه وبكته، فأعجب المنصور به، ولما توفي فاتن بيعت في تركته كتب مضبوطة جليلة مُصححة»[٢٩].

- مكتبة ابن الفرضي (ت.٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، عبدالله بن محمد بن نصر الأزدي، وهـو من العلماء الذيـن لديهم مكتبة عامرة تعينه على التأليف والتصنيـف، «فقـد كان جمَّاعًـا للكتب حتى اقتنى منها عـددًا كبيرًا لم يقتنِه أحد من أهل قرطبة»[٣٠].

- مكتبـة سلمة بن سعيد سلمة بن سعيد بـن حفص بن عمر، أبي القاسم (٣٢٧- ٤٠٦هــ/ ٩٣٨- ١٠١٥م)، يعدُّ أحد أكابر شيوخ الأَنْدَلُس الذين اعتنـوا بالكتـب أشد الاعتناء، فـكان الرجل يرحل إلـى المشرق ومصر ليجمـع من كتب العلم ما شاء، فـكان كلما اجتمع لديه مقدار من الكتب أرسل بـه إلى الأَنْدَلُس، فجمع بذلك مكتبـة ضخمة حوت الكتب من كل فن[٣١].

- مكتبـة هشام بـن عبد الرحمن (ت.٤٢٣هــ/ ١٠٣١م)، فقد عُرف عنه جودة النسخ، والاهتمام بالكتب، وحيازته للكثير منها[٣٢].

- مكتبة راضية مولاة الإمام عبد الرحمن ابن محمد الناصر (ت.٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م)، تدعى نجم، فقد روى عنها أبو محمد بن خزرج وقال: «عندي بعض كتبها»[٣٣].

- مكتبـة الوزير أبي جعفر أحمد بن عباسـ (ت.٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م)، الذي كان له عناية بالأدب والعلوم، وكان جمّاعة لكتب العلم فغالى في أثمانها، جمع منها ما لم يكن عند ملك، إلا أنه كان ضنينًا بها، إذ إنه كان بخيلاً ومغـرورًا في الوقت نفسه، ويقال: إن كتبه بلغت أربع مئة ألف مجلد[٣٤]. «وكان قد بذ أهل زمانه بأربعة أشياء: المال، والعجب، والبخل، والكتابة، ويقـال: إن ما جمعه من الدفاتر بلغـت أربع مئة ألف مجلد، أما الدفاتر المخرومـة فلم يوقف على عددها لكثرتها»[٣٥]، ويقول عنه ابن الخطيب: إنـه «كان جامعًا للدواوين العلمية، معنيًا بها، مقتنيًا للجيد منها، مغاليًا

فيهـا، نفاعًا مـن خصه بها، لا يستخرج منها شيئًـا لفرط بخله بها، إلا لسبيلها، حتى لقد أثرى كثير من الوراقين والتجار معه فيها، وجمع منها ما لم يكن عند ملك»(٣٦).

وقـد صُودرت كتب ابن عباس في أثناء الفتن الداخلية التي حدثت في البلاد على عهد ملوك الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ/ ١٠٣١-١٠٩١م)، حيث اتسم ذلك العهد بالتفكك السياسي، فكانت كل إمارة تحاول الاستيلاء على ما حولها من الإمارات الأخـرى، فقد كان ابن عباس وزيرًا لزهير العامري (ت. ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م) ملك المريـة (من أعمـال الأَنْدَلُس)، وحدثـت بينه وبين باديس بـن حيوس بن ماكس الصنهاجي (ت.٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م) ملك غرناطة منازعات انتهت لصالح باديس، وأُسـر الوزيـر ابن عباس فيمن أُسر من أتباع زهـير، واستولى باديس على جميع كتبه وأملاكه(٣٧).

- مكتبة ابن الموصل، محمد بن يحيى الغافقي (ت. ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م)، إذ كان «أديبًـا كاتبًا جامعًا لدفاتر العلم من لـدن صباه، مقتنيًا لكرائمها، بصيرًا بخيارها، عارفًا بخطوطها يحتكم إليه في ذلك، مؤثرًا لها على كل لـذة، حتى اجتمع منها عنده ما لم يجتمع لأحد في الأَنْدَلُس بعد الخليفة الحاكـم، وبعد وفاته باع ورثتـه المكتبة وأغلوا فيها حتى قومت الورقة في بعضهـا بربع مثقـال»(٣٨). وما من ريب؛ أن في ذلك إشـارة واضحة إلى مـدى ما اتصف به الأندلسيـون من اهتمام وعنايـة بالكتب، واستعداد كثـير منهم ببذل الغالي من الأثمان في سبيل المعرفة بشراء كتبها، وفيه دلالة أيضًا على الرقي العلمي الذي كان يعيشه المجتمع الأندلسي(٣٩).
- مكتبـة عمر بن عبيد الله الزهراوي (ت.٤٥٤هــ)، الذي «حاول النجاة بمكتبتـه، فشد ما اختـاره منها في ثمانية أحمـال ليخرجها من داره في الربض الغربـي إلى مـكان آخر أكثر أمنًـا، ولكن لم يستطـع أن يحقق غايته، فقد انتهبها البربر»(٤٠).

- ومن المكتبات التي نالت شهرة كبيرة في الأندلس مكتبة ابن حزم (٣٨٣-٤٥٧هـ/ ٩٩٣-١٠٦٤م)؛ «علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب» الذي نشأ في قرطبة، وكان من أهم علمائها في الحديث والفقه، وكانت له عناية خاصة بعلم المنطق وألف فيه كتبًا خالف فيها أرسطاليس واضع هذا العلم، فلقد كانت مخالفته دالة على عدم فهم، ولذلك جاءت كثيرة الغلط فيما يذكر ياقوت الحموي(٤١). وقد كان لابن حزم مكتبة ضخمة، فيقال: إن كتبه كانت تشتمل على نحو أربع مئة ألف مجلد، كل مجلد ثمانون ورقة(٤٢)، وقد أُحرقت معظم كتب ابن حزم بأمر من المعتضد بن عباد؛ «عباد بن محمد بن إسماعيل، أبي عمرو» (٤٠٤- ٤٦١هـ/ ١٠١٣- ١٠٦٩م) ملك إشبيلية، وذلك بإيعاز من الفقهاء في ذلك العصر، حيث كان ابن حزم في بادئ الأمر شافعيًا يسير على مذهب الإمام الشافعي ويدافع عنه حتى عُرف ونُسب إليه، ثم تحول إلى المذهب الظاهري فابتعد عنه الفقهاء، وأخذوا يحذرون الناس منه(٤٣).
- مكتبة عبد الله بن حيان الأروشي (ت.٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، كان له همة عالية في اقتناء الكتب وجمعها، وجمع من ذلك شيئًا عظيمًا، وقد تعرضت مكتبته لنكبة لا يعرف سببها، فقد ذكر المؤرخون أن المأمون ابن ذي النون صاحب بلنسية «أخذ كتب الأروشي من داره، وسيقت إلى قصره، بلغت مئة وثلاثة وأربعين عدلاً من أعدال الحمالين، يُقدر كل عدل بعشرة أرباع، وقيل: إنه قد أخفى منها نحو الثلث»(٤٤).
- مكتبة الطبيب أفرائيم بن الزفان، وهو أبو كثير، أفرائيم بن الحسن ابن يعقوب بن الزفان (ت. ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م)، الطبيب اليهودي المشهور في الديار المِصّرية في العصر الفاطمي، في أيام ولاية الوزير الأفضل بن أمير الجيوش. وقد حرص أفرائيم على أن تكون لديه مكتبة ضخمة

تشمـل كثيرًا مـن المراجع والكتب الطبية وغيرها مـن الكتب في مختلف العلـوم؛ لكـي تُعينه على مهنتـه الإنسانيـة، وقد تحقق لـه ذلك بفضل سعيـه الدائم وجهـده في «تحصيل الكتـب، وفي استنساخها حتى كانت عنـده خزائن كثيرة من الكتـب الطبية وغيرها»[٤٥]. وقـد بلغت مكتبته «مـا يزيد على عشرين ألف مجلد»، بفضل النُسـاخ الموجودين دائمًا في داره بصفـة مستمرة يكتبون وينسخون، ولهم منه ما يقوم بكفايتهم من رواتـب وعطايـا وأرزاق. وتعدت شهرة هذه المكتبـة الطبية المتخصصة إلـى البلاد الأخرى، فأتى إليها تُجار الكتـب من كل مكان ليشتروا كتبه القيمة، وقـد اشترى الوزير الأفضل بعضًا من كتـب هذه المكتبة، لذلك وُجـد عـدد كثير من كتبه الطبيـة يحمل اسم أفرائيم عـلاوة على اسم الأفضل[٤٦].

- مكتبة الأمـير مبشر بن فاتك الآمدي (ت.٥٠٠هـ/ ١١٠٦م)؛ «محمود الدولـة، أبـي الوفاء، من أعيان أمـراء مِصْرَ وأفاضـل علمائها المحبين للعلـم وأهلـه، ومن المعروفين بتفوقهـم في العلوم الرياضيـة والمنطقية، أصلـه من دمشق، واستوطـن الديار المِصْرَية في أيـام الخليفة الظاهر والمستنصر. كان كثير الكتابة والتأليف، حيث وجدت له كتب كثيرة بخط يـده من تأليف المتقدمين عليـه، ومن مؤلفاته كتـاب «الوصايا والأمثال والموجز حُلم الأقوال»، وكتاب «البداية في المنطق»، وكتاب «مختار الحكم ومحاسـن الكلم»، وله كتاب عن سيرة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في ثلاثـة مجلـدات. ملك مـن الكتب عددًا كبـيرًا يصعـب حصره[٤٧]، فكانـت له خزائن كتب لا يفارقها في أكثر أوقاتـه، وصفها الشيخ سديد الديـن المنطقي، فقال: «كانت له خزائن كتـب، فكان في أكثر أوقاته إذا نـزل من الركـوب لا يفارقها، وليس لـه دأب إلا المطالعة والكتابة، ويرى

أن ذلــك أهم ما عنــده»[٤٨]، فانصــرف عن أمور الحيــاة وانشغل بهذه الخزائــن، حيث ملك مــن الكتب ما لا يحصى عدده كـثرة. ومن الأمور الطريفــة أن تلك المكتبة قد دُمرت على يــد زوجته، فقد كان لابن فاتك زوجــة كبيرة القدر، ولكنها كانت تكــره كتبه لانشغاله بها عنها، فعندما توفي الأمير قامت هي وجواريهــا إلى خزانة كتبه، وأخذت الكتب وألقت بهــا في بركة ماء كبيرة كانت في وسط الدار، وقد رُفعت الكتب بعد ذلك من الماء، إلا أنه قد غرق أكثرها[٤٩].

- مكتبة محمد بن أحمد؛ أبي حامد الغزالي (ت. ٥٠٥هـ/ ١١١١م)، حجة الإســلام، الذي لم يكن في الآخرين مثله، فقــد كانت مكتبته في دمشق، وفيهــا تسع مئة وتسعة وتسعون مصنفًا، ومــن أهمها «ياقوت التأويل في تفسير القرآن»، أربعون مجلدًا[٥٠].
- مكتبــة الوزير الأفضل بــن بدر الجمالي (ت. ٥١٥هــ/ ١١٢٢م)، الذي تقلــد الوزارة في مِصْرَ الفاطمية خــلال الفترة (٤٨٧ – ٥١٥هـ)، وكان رجــلاً يحب العلم ويقــدر العلماء ويغدق عليهم، وكانــت له مكتبة كبيرة حوت خمســ مائة ألف مجلد من الكتب العلميــة[٥١]، عُثر عليها في داره بعــد مقتلــه في عهد الخليفــة الآمر بأحــكام الله، فقــد كان يحب العلم والعلماء ويقدرهم، وكان محبًّا لجمع الكتب، شديد المحافظة عليها[٥٢].

وقــد تميز الأفضل عن غيره من الــوزراء بحرصه على الكتب وغيرته عليها، ومنــع بيعهــا وتصديرها إلى خــارج البلاد، ولاسيمــا إذا كانت هــذ الكتب ذات قيمــة علمية عالية، وفي ضياعهــا وفقدها إفقار للحركة العلمية والثقافية للبلاد، والدليل على ذلك كشفه للصفقة التي كادت أن تتم بين الطبيب اليهودي أفرائيم ابن الزفان (ت.٥٩٤هـ/ ١١٩٨م) والتاجر العراقي الذي جاء إلى مِصْرَ في ولاية الأفضل لشراء عشرة آلاف مجلد من خزائن الطبيب والتوجه بها إلى العراق[٥٣]،

فعلم الوزير بذلك، وأراد أن لا تخرج هذه الكتب من مِصْرَ، فقام بشرائها ونقلها إلــى مكتبته الخاصة ليضيف إليها فنًا من فنــون العلم هو الطب، وليضرب مثلاً رائعًــا على حرص الحاكم المستنير والمسئول عن هذه الـثروة الهائلة من الكتب، باعتبارها ثروة قومية للبلاد لا يجوز التصرف فيها(٥٤).

والجدير بالذكـر أن مكتبـة الوزيـر الأفضـل نُقلت بعـد وفاته إلــى مكتبة القصــر(٥٥)، عندما صادر الخليفة الآمـر كل ممتلكاته وأقام في داره في القاهرة مدة أربعين يومًا، والكُتّاب بين يديه يسجلون ما ينقل إلى القصر من تركة الأفضل وذخائـره النفيسـة، وكان من ضمن هــذه الذخائر مكتبته الخاصــة، ودواة كان يكتــب بها مرصعة بالجواهر، وورق بلغت قيمتهــا مئتي ألف وعشرين دينار(٥٦)، فــكان ذلك عاملاً من عوامـل إثراء مكتبة القصر، وزيــادة مقتنياتها من الكتب والمجلدات.

- مكتبــة ابن روبيــل (ت. ٥٣٠هــ/ ١١٣٦م)؛ سليمان بن عبــد الملك، إذ كان لديــه مكتبة قيمة، فقد اشتهر ابن روبيــل «بجمع الدواوين، واقتناء الأصول، وكتب بخطه الحسن علمًا كثيرًا»(٥٧).

- مكتبة بلمظفر نصر بن محمود بن المعرف (ت. ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م)، الذي كان من المهتمين بالعلوم الفلسفية والطبية والكيميائية، وكتب بخط يده كثـيرًا مــن الكتب التــي صنفت في هــذه العلوم، حيــث كان جيد الخط، فكانــت لديه مكتبة ضخمة بلغت آلافًا كثيرة من الكتب والمجلدات في كل الفنون، وصفها الشيخ سديد الدين المنطقي بقوله: «كان في داره مجلس كبــير مشحــون بالكتب على رفوف فيــه، وإن بلمظفــر لم يزل في معظم أوقاته في ذلك المجلس مشتغلاً في الكتب وفي القراءة والنسخ»(٥٨).

- مكتبــة أبي جعفر، أحمد بن الحصن بن عطــاف العقيلي (ت. ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، وكانت مكتبة كبيرة، فقد كان أبو جعفر «أعلى عصره همة في

اقتناء الكتب، وأشدهم اعتناءً بها، ينتخبها ويتخذ لأعلاقها صوانات وحفائظ، وجمع منها في كل فن الكثير والنفيس، وكتب بخطه كثيرًا»[٥٩].

- مكتبة القاضي محمد بن عبد الله بن العربي المعافري (ت. ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)، وكان يُتيح مكتبته لأقرانه: «قال القاضي أبو القاسم: كُنا نبيت معه في منزله في قرطبة، فكانت الكتب عن يمين وعن شمال، وينام في مكتبته إذا غلبه النوم دون أن يغير أثوابه، وكلما استيقظ مد يده إلى كتاب والمصباح لا يطفأ»[٦٠].

- مكتبة عائلة ابن ملجوم (ت. ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) التي استوطنت الأَنْدَلُس منذ نهائية القرن الخامس الهجري، فقد كان عيسى بن يوسف بن علي المعروف بابن ملجوم «راوية مكثرًا جمَّاعة للدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة، وبذل مالا جليلا للحصول على الأصول لمكتبته»[٦١].

- مكتبة عبد الرحمن بن يوسف بن ملجوم (ت. ٦٠٥هـ/ ١٢٠٧م)، فكان لديه خزانة دفاتر جليلة الشأن، لم يكن لأحد من أهل العصر مثلها، وتصدق بها على ابنة له، ولم يترك عقبًا غيرها، ويقال: إنها باعتها بأربعة آلاف دينار[٦٢].

- مكتبة عبد الرحيم بن عيسى بن ملجوم (ت. ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م)، وقد اقتنى من الدفاتر والدواوين كثيرًا، وآلت إليه مكتبة والده عيسى وخزانة عمه عبد الرحمن، كما صارت إليه مكتبة أستاذه محمد بن أحمد الخزرجي الجياني، وكانت مكتبة حافلة بالنفائس والذخائر[٦٣].

- مكتبة المنصور بن داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني (ت. ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م)، وهو من الشخصيات التي اشتهرت بجمع الكتب في العصر المرابطي، وكان «ملوكي الأدوات، سامي الهمة، نزيه النفس، راغبًا في

العلـم، منافسًا في الدواوين العتيقة والأصول النفيسة، جمع من ذلك ما أعجز أهل زمانه»[٦٤].

- مكتبـة الشيـخ أبـي الحسن علي بن عبـد الله بن محمد بـن أبي جرادة (ت.٥٤٨هـ/١١٥٣م)، المدرس الأبرز للعلـوم الدينية والأدبية في حلب، صاحب الأشعار العذبة، سمع على أدباء كل من حلب، وبغداد، والموصل، ولـه خط جميل عبّر فيه عن كل ما جال بخاطـره، وما حصّله من علم، فكتـب كثيرًا حـتى استقرّ عنده مـن الكتب التي بخط يـده مقدار ثلاث خزائـن، كما عمل خزانتين آخريين لكل من ولديه «أبي البركات»، و«أبي عبد الله». ويعود أصل بني جرادة إلى محمد بن عامر بن ربيعة، المشهور بأبـي جرادة، صاحب الإمام علـي -كرّم الله وجهه-، كان مقر إقامتهم الأول في البصـرة لكن بحجة التجارة، أو تفشـي الطاعون، يهاجر أحد أجدادهم إلى حلب بعد (١٢٠٠هـ/٨١٥م)، واشتهر هـا البيت في الوسط الحلبـي بأنـه بيت علم، خـرج عدد من الشعـراء، والأدبـاء، والفقهاء، والقضاة[٦٥].

- مكتبة محمد بن عبد الرحيم، المعروف بابن الفرس (ت.٥٦٧هـ/١١٧١م)، وكان في وقتـه أحد حفـاظ الأندلس مـع المعرفة بـالآداب والأغربة إلى الضبط وجـودة الخط، وكانت أصوله أعلاقًـا نفسية لا نظير لها، جمع منهـا شيئًـا عظيمًا، وكتـب بخطـه أكثرها[٦٦].وقد انتقلت هـذه المكتبة فيما يبـدو إلى ابنه عبد المنعـم بن محمد (ت. ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، فقد كان فقيهًـا تولّى القضاء في عدد من المـدن الأندلسية[٦٧]، وقد زود هذه المكتبة بعدد كبير من الكتب، ثم صارت إلى أحد أبنائه وهو عبد الرحمن بن عبد المنعـم (ت.٦٣٣هـ/١٢٦٥م)، ثم أصابها مـا أصاب غيرها من الضيـاع أو الحرق نتيجة الزحف النصراني. وكانـت أسرة بني الفرس من الأسر العلمية في الأندلس، وظهر فيها عدد من العلماء.

- مكتبــة أحمــد بن عبــد الرحمن بــن الصقــر الخزرجــي (ت. ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، فقــد كان لديه مكتبة عظيمة مليئة بالذخائر والنفائس، «وقد اقتنــى من الكتب جملة وافرة سوى مــا نسخه بخطه الرائق، ولكنه نُكب في مكتبته بدروب من المحن كالغرق والنهب خلال فتنة كانت وقعت أيام مقامه في غرناطة، كذلك نُهبت كتبه في مراكش حين دخلها عبد المؤمن (٥٤١هــ/ ١١٤٦م)، وكان معــه عند توجهه إلــى مراكش خمسة أحمال كتبًا»[٦٨].

- مكتبــة ابــن خــير الإشبيلــي (ت. ٥٧٥هــ/ ١١٧٩م)، فقد جمــع مكتبة ضخمــة، «وكانــت غايــة في الصحــة والإتقــان، فقد خصصــص كل وقته لتصحيــح كتبه ومعالجتها مع حسن خطه وجودة تقييده وضبطه، فلحق بالمتقدمين وأربى على المتأخرين، وأدى ذلك إلى المغالاة فيها بعد وفاته، وتنافــس النــاس في اقتنــاء ما يوجد بخطه حتى بلغت أثمانها الغاية، ولم يكن له نظير في هذا الشأن مع الحظ الأوفر من علوم اللسان»[٦٩].

وتعدُّ مكتبة ابن خير الإشبيلي نموذجًا، على أن أكثر من ثلثي مكتبات العلماء يتعلــق بالكتب التي تفيد في دراساتهم الخاصة، وأن أقل من ثلثها يتناول المعارف الضروريــة التي تناســب عصرهم، ويسهم في إبراز علومهــم، فقد ضمت قائمة مكتبته (١١٢٤) كتابًا؛ كان منها في القراءات (١٠٨) كتب، وفي الحديث الشريف (١١٢) كتابًــا، وفي النحــو (٥٠) كتابًا، وفي اللغــة (١٣٣) كتابًا، وفي النثر (٨٧) كتابًا، وفي الشعر (١٦٢) كتابًا، فيكون مجموع هذه الكتب (٦٥٢) كتابًا من أصل (١١٢٤) أي أكــثر مــن النصف[٧٠]، وهذا يؤكد اهتمــام المؤلفين بتكوين مكتبات خاصة بهم تساعدهم وتمدهم بالمصادر التي هم في حاجة إليها للتأليف في ذات الموضوع.

- مكتبــة الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني (٤٧٢–

٥٧٦هـ/ ١٠٧٩ – ١١٨٠م)، الـذي قـام بكثـير من الرحـلات في طلب الحديث والعلم، وكتب كثيرًا مـن الأمالي والتعاليق، وجاء إلى مِصْرَ في عهد الخليفة الظافر بأمر الله الذي أمر وزيره الأمير العادل بن السلار ببنـاء مدرسة لـه في الإسكندرية سنة (٥٤٦هـ/ ١١٤٨م)، فأقام فيها الحافظ إلى أن توفاه الله، وكانت مدة بقائه في الإسكندرية أربعًا وستين سنـة، لازم فيها مدرستـه، وكان كثير المطالعة والقـراءة في الكتب، وله من المؤلفات: (معجم مشيخة أصبهان، ومعجم شيوخ بغداد)[٧١]. وكان للحافظ مكتبة خاصة به، حيث روى الذهبي أنه كان مغرمًا بجمع الكتب والاستكثار منها، وما يحصل عليه من المال ينفقه في شرائها، وكان عنده خزائـن كتب لا يتفرغ للنظر فيها، وعندما توفي وجد أن معظم الكتب في هـذه الخزائن قد تلف منها الكثير، فتعفنت والتصقت ببعضها البعض، لشدة نداوة البلدة، حتى كانوا يُخلصونها بالفأس فتلف أكثرها[٧٢].

- مكتبـة محمـد بن أبـي السعـادات أبـي عبـد الله البندهـي المسعودي (ت. ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، وهو من درَّس الملك الأفضل (أبا الحسن علي بن السلطان صلاح الدين)، وانتهت إليه الرياسة في علم الحديث، والفقه، والأدب. بـذل جهـدًا غير عـادي في دراسـة وفهم المقامـات الحريرية، فشرحها في خمسة مجلدات كبار، وكان محدثًا صوفيًا جوالاً[٧٣]. حصّل بترحالـه كتبًـا نفيسـة[٧٤]، وغريبة، استعـان بها في شرحـه للمقامات. يقـول السيوطي: «وأقبلت عليه الدنيا فحصّل كتبًا لم تحصل لغيره»[٧٥]، وقيل: لمـا فتح السلطان صـلاح الدين مدينة حلـب (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) نـزل المسعـودي جامع حلـب، وجلس في خزانـة وقفـه، وراح يختار من مخطوطاتها ويعبئها في عُدل[٧٦] دون أن يوقفه أحد، فتكونت لديه مكتبة عظيمـة بالكم والنوع، وقفهـا آخر المطاف على الخانقـاه السميساطية التي كان يسكنها في دمشق[٧٧].

- مكتبة الحكيـم موفق الدين ابن المطـران (ت. ٥٨٧هـ/ ١١٩١م) موفق الدين أبي نصر أسعد بن الفتح إلياس بن جرجس المطران، كان متميزًا في مهنة الطب، خدم صلاح الدين الأيوبي (ت. ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) وحظي عنـده بمنزلة رفيعة، كان له اهتمام خاص بالكتب واقتنائها حتى ليذكر أنـه مـات وفي خزانته من الكتـب الطبية وغيرها ما يزيـد على العشرة آلاف مجلد، فقد كان كثير المطالعة للكتب، لا يفتر عنها في أغلب أوقاته. والجديـر بالذكر أن مكتبة ابن المطران كان مصيرها البيع، فمما يُذكر عنه أن كتبه قد بيعت بعد وفاته بثلاثة آلاف درهم، وقد كان عنده أيضًا حـين وفاته مسودات عديـدة لمصنفات طبية وغيرهـا، فأخذها أخواته وضاعـت فيما بينهن، وقيل إنه شوهد عند إحداهن صندوق وقد بطنته بجملة من هذه الأوراق التي بخطه[٧٨].

- مكتبة أبي علي عبد الرحيم بن علي بن محمد اللخمي البيساني المعروف بالقاضـي الفاضـل (ت. ٥٩٦هــ/ ١٢٠٠م)، ولـد في مدينـة عسقلان، ثم جاء إلى مِصْرَ في عهد الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي، واشتغل في صناعة الإنشاء وعلـوم الأدب وتفسير القرآن، وكان من أئمة الكُتَّاب المترسلـين، وقد اشتهر القاضـي الفاضل بحبه للكتب، فقـد كان وزيرًا لصـلاح الدين الأيوبي (ت. ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) استخلصه لنفسه عندما ملك الشام، فكان يقـول: «لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم الفاضل»[٧٩].

وكان للقاضـي الفاضل مكتبة ضخمة يقال: إنهـا بلغت مائة ألف مجلد[٨٠]، حيـث كان مغرمًا بجمع الكتب، وكانت لديه مكتبـة عظيمة تُعَدّ من أهم المكتبات في العصـر الفاطمي، فقد كان يقتني الكتب في كل أنواع العلوم، ويأتي بها من كل البلـدان، كما كان حريصًا على إثـراء مكتبته بالكتب في مختلـف ألوان المعرفة، لذلـك كان لديه نُساخ ومجلدون يعملـون عنده في نسخ الكتب وتجليدها لحسابه،

وكان يرسل آخرين للبحث عن الكتب في البلدان المختلفة قبل وفاته بعشرين سنة[٨١].

فعندما قام صلاح الدين بتصفية مكتبات الفاطميين، قام القاضي الفاضل بانتقاء أفضل ما فيها، فكان ينظر إلى خزانة الكتب في القصر وكل كتاب «صلح له قطع جلده ورماه في بركة كانت هناك، فلما فرغ الناس من شراء الكتب، اشترى تلك الكتب التي ألقاها في البركة على أنها مخرومات، ثم جمعها بعد ذلك»[٨٢]، وبهذا حصل له قدر كبير من الكتب حيث شغف بحبها.

ويقال كذلك إنه عندما سقطت مدينة آمد سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) في يد صلاح الدين، وهب للقاضي الفاضل خزانة كتبها ليختار منها ما شاء، وكانت تلك الكتب تبلغ فيما قيل مليونًا وأربعين ألف مجلد، فاختار القاضي الفاضل منها ما حمولته سبعون حملاً، بالإضافة إلى الكتب التي قام بشرائها من أماكن مختلفة، ولذلك كانت مكتبته ضخمة بلا شك، وفيها نسخ مكررة من الكتاب الواحد، فيقال إنه كان عنده معجم الصحاح ثماني عشرة نسخة[٨٣].

والدليل على أن مكتبة القاضي الفاضل تميزت بأنها كانت تضم أكثر من نسخة للكتاب الواحد، أنه عندما طلب ابنه كتاب الحماسة ليقرأه، أمر الفاضل خازن مكتبته أن يحضر له الحماسات «فأحضر خمسًا وثلاثين نسخة، وصار ينفض نُسَخَهُ ويقول: هذه بخط فلان، وهذه عليها خط فلان، حتى أتى على الجميع، وقال: ليس فيها ما يصلح للصبيان»[٨٤]، وهذا أيضًا يدل على مقدرة القاضي الفاضل على التمييز بين الكتب ومعرفته بها وبقيمة كل نسخة منها، فقد كان لديه خطاطون مهرة وعلماء مشهورون، وكان يقضي معظم وقته في القراءة والكتابة وتجميع الكتب.

وقد أسهمت هذه المكتبة في تكوين المكتبة الملحقة بالمدرسة الفاطمية التي بناها القاضي الفاضل سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) في القاهرة بدرب ملوخيا بعد

سقــوط الدولــة الفاطميــة، ووقف عــددًا كبيرًا مــن كتبها على فقهــاء المذهبين الشافعــي والمالكــي بلغت «مئة ألف كتاب مجلــد»[٨٥]، وظلت هذه الكتب في خدمة الطــلاب والأساتذة حتى وقع الغلاء في مِصْــرَ سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٦م)، فأصاب النــاس الضر والجوع، وأخذوا «يبيعون كل مجلــد برغيف خبز حتى ذهب معظم مــا كان فيها من الكتب»[٨٦]، وهكذا تبددت هذه المكتبة العظيمة وما بها من كنوز المعرفــة التي ظل صاحبها يجمع فيها ويجتهد في تكوينها طوال حياته، والتي كان معظــم محتوياتها من خزائن القصور الفاطمية التي اشتملت على أمهات الكتب والمجلدات المعدومة المثل في سائر الأقطار[٨٧].

- مكتبــة الأمير عضد الدين (٥٢٠ - ٦١٣هــ/ ١١٢٦ - ١٢١٦م) «أسامة ابــن مرشد بن مقلد، أبــي الفوارس»، كان من أمراء شيرز، وهي حصن قريب من حماة في الشام، روى عنه ياقوت الحموي أنه قابله ووصفه بأنه شيخ ظريف، واســع الخلق، جمَّاعة للكتب، وقد زار ياقوت داره واشترى أبــو الفوارس منه كتبًا، وذكر له أنــه عنده من الكتب ما لا يعلم مقداره، إلا أنــه قــد باع منها أربعة آلاف مجلد في نكبــة لحقته، غير أنها لم تؤثر في حجــم كتبه، وكان قد أقعــد في نهاية حياته عن الحركــة، ولكنه كان صحيح العقل والذهن والفطنة والبصر، غير أن سمعه كان ثقيلا[٨٨].
- مكتبة القاضي أبــي الحسن أحمد بن القاضي هبة الله بن أبيب جرادة (ت. ٦١٣هـ/ ١٢١٧م)، والد كمال الدين بن العديم المؤرخ الشهير، كان لديه مكتبة حوت بين جدرانها مصنفات بخط «ابن البواب»، ذكرها ابنه كمــال الدين في معرضــ حديثه عن فضل أبيــه في تعليمه الخط، وكيف كان يقدم له هذه الأصول حتى يتقن رسم الأحرف على منوالها[٨٩].
- مكتبــة أبــي اليمن زيد بن الحسن بن زيد بــن الحسن بن سعيد الكندي (ت. ٦١٣هــ/ ١٢١٧م) الملقــب تــاج الديــن، البغدادي المولــد والمنشأ،

الدمشقي الدار والوفاة، المقرئ النحوي الأديب[٩٠]، كان كبير المنزلة والحظوة عند الملوك والأمراء والأعيان، وازدحم على بابه شيوخ العلم، وطلبه أولاد الملوك، وجمع أصول الكتب[٩١]، فقد اقتنى من خزائن كتب الديار المصرية كل نفيس وعاد بها إلى الشام[٩٢]، فتكونت لديه مكتبة نفيسة منتقاة بعناية، أتت في خزانة كبيرة بـ (٧٦١) مجلدًا في علوم القرآن، والفقه، واللغة، والحديث والشعر، والنحو والتصريف، وعلوم الأوائل من طب وغيره[٩٣]، أوقفها على فتاه ياقوت الذي أوقف قسمًا كبيرًا منها في مقصورة (ابن سنان الحلبية)، في الزاوية الشمالية الشرقية من الجامع الأموي في دمشق[٩٤].

- مكتبة أبي القاسم أحمد بن حسان الإشبيلي (ت. ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، الذي كان «من جلة رؤساء بلده، وأتمهم مروءة، وأكملهم سراوة ... جانحًا إلى الأدب، حافظًا للأخبار، حسن الكتابة، نبيل الخط عدلاً، عُني بجمع دفاتر العلم فاقتنى من أصولها العتيقة كثيرًا»[٩٥]، وكانت مكتبته في بهو قصره الذي ملأه من الكتب، «وكان الناس يلجؤون إلى خزانة كتبه في حالة احتياج الكتب»[٩٦].

- مكتبة أحمد بن مفرج الأموي المعروف بالعشاب ابن الرومية (ت. ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، وهو من الذين تفخر بهم الأَنْدَلُس في عشق الكتب وتكوين المكتبات، فقد كان لديه مكتبة من كبريات المكتبات الخاصة في هذا العصر، فكان «كثير الكتب جمَّاعًا لها، في كل فن من فنون العلم، سمحًا لطلبة العلم، وربما وهب منها لملتمسه الأصل النفيس الذي يعز وجوده احتسابًا وإعانة على التعلم»[٩٧].

- مكتبة الوزير جمال الدين القفطي المعروف بالقاضي الأكرم (٥٦٠-٦٤٦هـ/ ١١٦٤- ١٢٤٨م) «علي بن يوسف إبراهيم بن عبد الواحد

ابـن موسى» وزير حلب، كان عالمًا بالنحـو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والمنطق وله تصانيف كثيرة[٩٨]، قال عنه ياقوت إنه لم يرَ مَنْ هو أكـثر منه حرصًا علـى الكتب واقتنائهـا[٩٩]، كان منزله في حلب منتدىً أدبيًـا وعلميًّا يجـد كل عالم فيه ضالته، وكان القاضـي الأكرم حريصًا على تحصيل الكتب، فلم يرَ ياقوت الحموي رغم تجارته الكثيرة بالكتب أشـد اهتمامًـا منه بها، فجمـع ما لم يمكن وصفه، حيـث قُدرت قيمتها بخمسـين ألف دينار، كانت مكتبته ضخمة زاخرة بالمخطوطات القديمة والنادرة، وأوصى بها الناصر صاحب حلب[١٠٠].

- مكتبـة أبي بكر محمد بن البنـاء الإشبيلي (ت. ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، فقد كان مولعًـا باقتناء نفائس الكتب، كمـا كان مولعًا بنسخ الكتب النفيسة، ويودعهـا مكتبته، وقد اتسعت هذه المكتبة للكثير من الكتب حتى قيل إنه لما غادر إشبيلية حمل معه نحوًا من خمس مئة كتاب بخط يده[١٠١].

- مكتبـة أمـين الدولـة الحسن بـن غزال بـن أبـي سعيـد (ت. ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، وزيـر الملـك الصالح، عـالم وطبيب، كان سامريًـا وأسلم في دمشق، واستـوزره بها الملك الأمجد «بهرام شاه»، فلم يزل عنده إلـى أن تـوفي الأمجد سنة ٦٢٨هـ، فاستوزره الملك الصالح إسماعيل، فأقام إلى أن ملـك دمشق نجم الدين أيوب سنة ٦٤٣هـ، ونقـل الصالح إسماعيل إلى بعلبك واليًا عليها، فأراد ابن غزال اللحاق به فاعتقله نائب السلطنة في دمشـق، وأرسـل إلى مِصْـرَ فسجن في قلعة القاهـرة خمس سنوات، ثم أعدم شنقًا، وكان غزير العلم، استوعب قوانين صناعة الطب كلياتها وجزئياتها، ومن مؤلفاته في الطب «النهج الواضح»[١٠٢].

- مكتبـة الإمـام المحـدث الرحال شيـخ المحدثـين، وراوية الإسـلام أبي الحجـاج شمس الديـن (ت. ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، نزيـل حلب، فكان لديه مكتبة أوقف كتبها على مكتبات مدينة حلب[١٠٣]، وقد وجد في حلب مكتبة

عظيمـة جمعها المفتـي الإمام «أبو طالب بن عبـد الرحمن بن العجمي» (ت. ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م)، منشـئ المدرسة الشرفية فيهـا، والتي صرف عليهـا ما يزيد علـى أربع مئة ألف درهم، إضافـة لأوقاف جليلة كثيرة، منها الكتب النفيسة في فنون الحديث، والفقه، والتفسير، والنحو، وغير ذلك[١٠٤].

- مكتبـة الشيـخ الصالح المحـدث أبي الفتـح محمد بن أبـي بكر الكوفي (ت. ٦٦٧هـ/ ١٢٦٧م)، فقد كانت له خزانة كتب خاصة وقفها على طلبة العلم[١٠٥]، وقد ذكر العيني أن الشيخ جلال الدين القونوي (ت. ٦٧٢هـ/ ١٢٧٢م) كان يجلس في بيته وحوله الطلبة والكتب، وقد احترقت خزانة كتبه إثر حريق أصاب البيت في العام نفسه الذي توفي فيه[١٠٦].
- مكتبـة أبي عثمان سعيد بن حكم القرشي (ت. ٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م)، وكان «حسـن الخـط، بارع المنازع فيـه، يكتب خطوطًا مختلفـة كلها في نهاية الحسـن، شديد العنايـة بجمع الدفاتر وأعلاق الكتـب، حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة، وكون مكتبة ضخمة، إذ كان مقصودًا بها من المسلمـين والنصارى، فكان يتخدم بهـا إليه النصارى، ويتقرب بها إليه المسلمون»[١٠٧].
- مكتبـة علي بن موسى بن سعيد (ت. ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وكان «واسطة عقـد بيته، ودرة قومـه، المصنف الأديـب الرحال، الطرفـة الإخباري، العجيـب الشـأن في التجـول في الأقطـار، ومداخلـة الأعيـان، والتمتـع بالخزائـن العلمية، وتقييد الفوائد المشرقيـة والمغربية، استعان بمكتبته في كتابة مؤلفاته العديدة، وقيل إنه خلف كتابًا يسمى (المرزمة) يشتمل علـى وِقْرَ بعير مـن رزم الكراريس، لا يعلم ما فيها مـن الفوائد الأدبية والإخبارية إلا الله عز وجل»[١٠٨].

- مكتبــة الشيخ نور الدين أبي العباس بــن مصعب الدمشقي (ت. ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م)، وهــي من المكتبــات المملوكة الخاصة في مدينة دمشق، وقد حصل في مكتبه كتبًا نفيسة، وكان نور الدين من الأدباء[١٠٩].

- مكتبــة الأمير بكتاش المنصوري (ت. ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م)، أحـد أُمَرَاء دمشــق، نائب مدينة بعلبك، تجاوزت مقتنيــات مكتبته المئة؛ لأن الأمير كان مغرمًا باقتناء الكتب النفيسة والمصاحف الغالية[١١٠].

- مكتبــة الإمــام شمســ الدين أبــي عبد الله محمــد المقدســي الشافعي (ت. ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م) في مدينة القدس، اقتنى بها كتبًا نفيسة[١١١].

- مكتبة عياش بن الطفيــل العبدي الأندلسي (ت. بعد سنة ٧٠٠هـ)[١١٢]، وهــي من أشهر المكتبات الخاصة في الجزيــرة الخضراء، وتسمى مكتبة آل عظيمة، وقد حرص ابن عبد الملك المراكشي على زيارتها عندما نزل بالجزيرة الخضراء، قال: «وقد وقفت بالجزيرة الخضراء عند صاحبنا أبــي عياشــ بــن الطفيل على جملــة وافرة مــن كتب سلفه ممــا تملكوه أو كتبوه أو ألفه مؤلفوه»[١١٣].

- مكتبــة الصوفي المحدث الحافظ أبي الحسن علــي بن مسعود بن نفيس الحلبي الحنبلي (ت.٧٠٤هـ / ١٣٠٤م)، نزيل دمشق، كان يجوع ويشتري لمكتبته أجزاء الكتب[١١٤].

- مكتبة الوزيــر محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمي (ت. ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)، كان ممَــنْ يعشقــون اقتناء الكتب، وكانت لديــه مكتبة قيمة، قال عنه ابن الخطيب: «وكان ذا صبابة باقتناء الكتب، جمع من أمهاتها العتيقــة وأصولهــا الرائقــة الأنيقة مــا لم يجمعه في تلــك العصور أحد سواه، ولا ظفرت به يداه... أحيا معالم الأدب، وأكرم العلماء، ولم تشغله السياسة عن النظر، ولا عاقه تدبير المُلك عن المطالعة والسماع، وأفرط

في اقتنــاء الكتب حتى ضاقــت قصوره عن خزائنهــا، وأثرت أنديته من ذخائرهــا، وقد استولت أيدي الغوغاء يوم قتله على تلك الكنوز فنهبتها وأتلفتها»(١١٥).

- مكتبــة أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت. ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)، كان يمتلك مكتبة خاصة، «ونظرًا لعلــو مكانته سعى الوشاة بينه وبين حاكم مالقة، حتى أجبروه على الرحيل إلى غرناطة، ودهموا منزله، واستولت الأيدي علــى مكتبتــه الخاصة التي بها ذخائر كتبه، وفوائــد تقييده عن شيوخه ممــا سبب لــه حسرة كبيرة، ولجــأ إلى سلطــان غرناطــة محمد الأول ابــن يوسف (٦٣٥ -٦٧١هـ) الــذي أكرم مثواه، وعرف قــدره، ورد إليه مكتبته»(١١٦).

- مكتبــة الشيخ الفاضل الفقيه النحوي يحيى بن عبد الوهاب الدمنهوري الشافعي (ت. ٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، كانت له خزانة كتب خاصة وقفها على خزانة جامع الظاهر(١١٧).

- مكتبــة الإمام الأديب شافع بن علــي (٦٤٩- ٧٣٣هـ/ ١٢٥١- ١٣٣٢م)، وهــو شافع بن علي بن عباس بــن عساكر الكناني العسقلاني المِصْرَي، كان متوليًا لديوان الإنشاء في مِصْرَ إلى أن أصابه العمى في أواخر حياته بسبب سهــم أصابه سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) فبقــي ملازمًا بيته إلى أن تــوفي، وكان جامعًا للكتب يتعرف عليها وهو أعمــى، فكان إذا لمس كتابًا قــال هذا الكتــاب الفلاني ملكته في الوقت الفــلاني، وإذا أراد أي كتاب قــام إلى خزانة كتبــه واستخرجه كمــا وضعه، وقد خلــف ابن علي بعد وفاته ثماني عشرة خزانة مملوءة كتبًا، كان مصيرها البيع، حيث كانت زوجتــه تعرف ثمن وقيمة كل كتاب من كتبه، فبقيت تبيع منها بعد وفاته إلى سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)(١١٨).

- مكتبة إبراهيم بن عيسى بن عبد السلام المفسر (ت.٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)، كان بها كثير من الكتب، وأوقفها على مكتبات زوايا مدينة المعرة التابعة لمدينة حماه(١١٩).

- مكتبة محمد بن أحمد جزي الكلبي (ت. ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، فقد كان عاكفًا على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيهًا حافظًا قائمًا على التدريس، مشاركًا في فنون العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب، مستوعبًا للأقوال، جماعًا للكتب، ملوكي الخزانة، له تواليف كثيرة(١٢٠).

- مكتبة محمد بن أحمد بن المنجا التنوخي الحنبلي (ت.٧٤٦هـ / ١٣٤٥م)، ناظر الجامع الأموي في دمشق، اقتنى في مكتبته شيئًا كثيرًا؛ ولأنه كان جمَّاعة للكتب(١٢١)، يذكر ابن الخطيب عن الشيخ سعيد ابن أحمد بن ليون (ت. ٧٥٠هـ) قوله: «وكانت بضاعته خزانة كتب جمعت الآباء والأمهات والفرقد... والحقائق والترهات، ولا يزال عاكفًا على ذنانها، جانيًا لألفاف جنانها»(١٢٢).

- مكتبة ابن القيم الجوزية (٦٩١- ٧٥١هـ/ ١٢٩٢- ١٣٥٠م) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، كان تلميذًا لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١- ٧٢٨هـ/ ١٢٦٣- ١٣٢٨م)، وكان يتبعه في كل أقواله حتى إنه سُجن وعُذب بسبب ذلك(١٢٣)، وكان ابن القيم الجوزية مولعًا بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصى، وما لا يتهيأ لغيره تحصيل عُشره من كتب السلف والخلف(١٢٤)، فكوَّن بذلك مكتبة مصيرها البيع على يد أبنائه، فقد استمر أبناؤه يبيعون كتبه بعد وفاته لفترة طويلة سوى ما اصطفوه لأنفسهم(١٢٥)، ومن الأمور الجديرة بالذكر هنا أن بيع الكتب كان من العوامل التي أثرت على مصير الكتاب الإسلامي بصورة

سلبيــة أكثر منه إيجابية، حيث أدى بيــع الكتب إلى تشتتها وضياعها في أماكن متفرقة(١٢٦).

- مكتبــة شمــس الديــن محمد بــن يحيــى بن محمــد بن سعــد بن نمير (ت. ٧٥٩هـ/١٣٥٧م)، المتقن المحدث المفيد الحنبلي، في مدينة القدس، جمع بها كتبًا لا تحصى(١٢٧).
- مكتبــة زيــن الدين عمر بــن عثمان بن سالم بن خلف بــن فضل المؤدب الحنبلــي (ت. ٧٦٠هــ/١٣٥٨م)، خطيب مدينة بعلبــك، التابعة لنيابة دمشق، كان أكثر كتبها في الحديث(١٢٨).
- مكتبة الشيخ الخطيب أبي عبد الله بن حربلة (ت. قبل ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م)، فكانت عنده خزانة كتب أسفارها عديدة، وأغراضها سديدة»(١٢٩).
- مكتبــة يعقــوب عبد الكريم الحلبــي في دمشــق (ت. ٧٦٣هـ/١٣٦١م)، اقتنى بها من الكتب النفيسة شيئًا كثيرًا للغاية(١٣٠).
- مكتبــة شهــاب الديــن أحمــد بن حمــدان بن ســالم بــن داود الأذرعي (ت. ٧٨٣هــ/١٣٨١م)، نزيــل حلــب، حصّــل بهــا مــا لم يحصل عند غيره(١٣١).
- ذكــر ابــن حجــر العسقلاني عــن القاضــي برهــان الدين بــن جماعة (ت. ٧٩٠هـ/ ١٣٨٧م) أنه «اقتنى من الكتب النفيسة بخطوط مصنفيها وغيرهم ما لم يتهيأ لغيره»(١٣٢)، وتُعَدّ هذه المكتبة الخاصة به نواة مكتبة المدرسة المحمودية، فقد اشتراها الأمير محمود الأستادار (ت.٧٧٩هـ/ ١٣٩٦م) مــن تركته بعد موته، ووقفها وشــرط ألا يخرج منها شيء من مدرسته(١٣٣).
- مكتبــة الإمــام الفقيــه الشافعي المحــدث المفســر الواعظ زيــن الدين

أبي حفص عمر بن مسلم بن سعيد بن بدر الدمشقي (ت. ٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، كان فيها من نفائس الكتب شيء كثير[١٣٤].

- مكتبة عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن زين الدين عبد الرحمن الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية (ت. ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، فقد احتوت على كتب نفيسة أخذها من عمه الشيخ شمس الدين بن القيم، وكان أبو الفداء من الأفاضل[١٣٥].
- مكتبة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد (ت.٨٠٣ هـ/١٤٠٠م)، نزيل بيت المقدس، كان فيها كثير من الأجزاء والكتب[١٣٦].
- مكتبة محمد بن محمد المراغي (ت. ٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، فقد ترك كتبًا كثيرة جدًا، وقد تلف أكثرها بالأرضة وغيرها[١٣٧].
- مكتبة أحمد بن سليمان (ت. ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، فيُذكر أنه كان يمتلك مكتبة خاصة في بيته، وقف عدة كتب منها، وجعل مقرها في رباط الخوري في مكة المكرمة[١٣٨].
- مكتبة أحمد بن محمد بن عماد الشهاب القدسي الشافعي (ت.٨١٥ هـ/١٤١٢م)، كان بها مصنفات كثيرة، منها على سبيل المثال: «البيان في تفسير غريب القرآن»[١٣٩].
- مكتبة «علي بن محمد بن سعد الحلبي الشافعي» (ت.٨٤٣ هـ/١٤٣٩م)، احتوت على تصانيف كثيرة مثل «الطيبة الرائحة في تفسير الفاتحة»، وكان الحلبي عالمًا في أنواع العلوم[١٤٠].
- مكتبة تغري برمش سيف الدين الجلالي الناصري (ت. ٨٥٢هـ/ ١٤٣٣م)، الذي كان نائب القلعة في القاهرة، ويعرف بالفقيه، وذكر السخاوي أنه كان مستكثرًا من الكتب[١٤١]، ويذكر أنه قال: «إذا مات

شيخ الإسلام ابن حجر، تكثر ديوني»، إشارة إلى أنه سيشتري كثيرًا من كتبه، فيكون في ذلك إثقاله بالديون، مما يكشف عن نفاسة وضخامة مكتبة ابن حجر، فضلاً عن ولع الجلالي بتحصيل نفائس الكتب(١٤٢).

- مكتبة الأمير يشبك بن مهدي الظاهري جقمق (ت. ٨٨٥هـ/ ١٤٩٠م)، أحد أمراء المماليك، وقد «تحصل من الكتب النفيسة شراءً واستكتابًا»(١٤٣).

- مكتبة الأمير جكمق قرا العلائي الظاهري جقمق، ويعرف بأمير أخور الجمال (ت. ٨٨٧هـ/ ١٤٩٢م)، ولي نيابة الإسكندرية بعد إينال الأشرف قايتباي، وكان ذا همة عالية ورغبة في لقاء العلماء، وكان يجمع الكتب العلمية ويقتنيها(١٤٤).

- مكتبة القاضي نجم الدين يحيى بن حجي (ت. ٨٨٨هـ/ ١٤٩٣م)، فقد روى ابن إياس في كتابه «بدائع الزهور بين حوادث سنة ٨٨٨هـ» أنه كان عالمًا فاضلاً، ولما مات في العام المذكور، وُجد عنده خزانة كتب بها أكثر من ثلاثة آلاف مجلد من الكتب النفيسة(١٤٥).

- مكتبة الإمام الفقيه الخطيب محمد بن طولون (ت. ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، في دمشق، احتوت على كثيرٍ من الكتب، ولكن دمّرتها يد العساكر العثمانيين في نهاية الدولة المملوكية في بلاد الشام(١٤٦).

- مكتبة أحمد بن إينال العلائي (ت. غير معروف) داودار برسباي، إذ كان عالمًا فاضلاً، وتمتع بالإقبال على التحصيل من نفائس الكتب، فحصل منها الكثير(١٤٧).

- مكتبة المحب ابن الشحنة (ت. ٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، الذي تولى منصب القضاء الأكبر في مِصَرَ عصر المماليك الجراكسة، ويذكر أنه كان ولعًا بتحصيل الكتب النفيسة، جحدًا لما يستعيره من مكتبات غير، على حد

قول السخاوي فيه: «عظيم العناية في تحصيل كتب العلوم، بحيث اجتمع عنده من نفائس كل فن، ما قل أن يجتمع لغيره، وربما اغتصبها ممَنْ هي عنده، كان يستعيرها، ثم لا يعيدها»(١٤٨).

خاتمة:

وضع الأقدمون حجر الأساس للثقافة والحضارة اللتين نرى ثمارهما قد بلغت في عصرنا من النضج والاكتمال مبلغًا بعيدًا، ومما لا شك فيه؛ أن مبعث الثقافة والحضارة في كل عصر وأوان هو العلم، ولا يقوم علم إلا على مؤلفات تُدوّن ومعلومات تُكتَنز في أسفار، تتألف من اجتماع شملها وانضمام بعضها إلى بعض، ثروة أدبية وعلمية زاخرة، يُطلق عليها داخل البيت (المنزل) اسم «خزانة كتب» أو «مكتبة شخصية». والحق أن عدد المكتبات الشخصية (الخاصة) في العصور الإسلامية لا يمكن حصرها، ومن المؤكد أن عدد المكتبات الخاصة بالأفراد كان يفوق الحصر؛ لأن المصادر لم تشر إلى عددها ولو حتى بطريقة تقريبية، ولكن ذكرت عددًا كبيرًا من أصحاب هذه المكتبات في مصر والشام والعراق والأندلس، ومَنْ لم تأتِ المصادر على ذكر مكتبته من أصحاب العلم والفكر –على سبيل المثال– لا يعني ذلك أنه لم يكن يمتلك واحدة، فقلَّ أن تجد عالمًا إلا وله مكتبة كانت تحوي آلافًا من الكتب.

الإحالات المرجعية:

(١) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها، القاهرة: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٠م، ص ٨٦.

(٣) شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٧م، (١/ ص٢١٥)، سيدة إسماعيل الكاشف، مِصْرَ في عصر الولاة: من الفتح إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة: الهيئة المِصْرَية العامة للكتاب، ١٩٨٨، ١٨٣.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٤/ ١٦٣- ١٦٩)، ديوان الإمام الشافعي، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٤، ٣ – ٢٦.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٣، (٣/ ٥٤٩).

(٥) عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، بيروت: دار الحياة، (د.ت)، (مج٢/ ٣/ ٣٤). ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٩٦، (١/ ٢٧١).

(٦) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥، (١/ ٢٨٦، ٢٨٧). خوليان ريبيرا، "المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية"، ترجمة: جمال محمود محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، (١/ مج٤/ مايو ١٩٥٨/ ٩٢).

Olga Pinto, “The libraries of Arabs during the time of Abbasids”.- Islamic culture.- Vol.3 (April 1929). P.218

(٧) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، (٢/ ١٩٤).

(٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٧/ ٢٧).

(٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٧/ ٢٨).

(١٠) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المعروف بالخطط المقريزية، بيروت: دار صادر، ١٩٨٣، (٢/ ٦، ٨، ٣٤١).

(١١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٧/ ٢٩).

(١٢) المقريزي، الخطط، (٢/ ٦، ٣٤١).

(١٣) المقريزي، الخطط، (٢/ ٣٤١).

(١٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٧/ ٢٩).

(١٥) القفطــي، إخبار العلماء بأخبار الحُكماء، القاهرة: مكتبة المتنبي، (د.ت)، ٧٤. ابن أبي أصيبعة، عيــون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: عامر النجــار، القاهرة: الهيئة المِصْرَية العامة للكتاب، ٢٠٠١، (٣/ ١٤٤).

(١٦) حنــان عبد الله محروس، المكتبات في مِصْرَ في العصر الفاطمــي (أطروحة ماجستير إشراف/ عبد الستار الحلوجي)، الجيزة: كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧، ٥٨.

(١٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١/ ٢٧٠).

(١٨) المقريزي، الخطط، (٢/ ٤).

(١٩) ابن بشكوال، الصلة، ٦٩٣.

(٢٠) وفاء البياتي، "الكتب والمكتبات"، (مرجع سابق)، ٢٨٢.

(٢١) ابن بشكوال، الصلة، ٢٢. ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس، (مرجع سابق)، ١٨٣ – ١٨٤.

(٢٢) ابن بشكوال، الصلة، ٢٣.

(٢٣) ابن بشكوال، الصلة، (٢/ ٦٥٤).

(٢٤) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، (١/ ٧١).

(٢٥) ابــن فرحــون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهــرة: دار التراث، ١٩٧٤، (مج١/ ٤٧٨). ابن العماد الحنبلــي، شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهــب، بــيروت: دار إحياء الــتراث العربــي، د.ت، (٣/ ١٦٣). شعبان خليفة، الكتــب والمكتبات، (مرجــع سابــق)، ٢٦٩. حامــد الشافعي، الكتب والمكتبــات، (مرجع سابــق)، ١٠٢. محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨، ٩٧. وانظر أيضًا:

Thompson, Moslem libraries (Mediaeval).- Encyclopedia of library and information science. Vol. 30. (1983). P. 372.

قاسمية، نسبة إلى الدنانير التي ضربها القاسميون في قرطبة، أولهم حمود القاسم الذي ضرب دينارًا في قرطبة سنة ٤١٤هـ، راجع: الشيخ عبد الحي الكتاني، تاريخ المكتبات الإسلامية ومَنْ ألف في الكتب، الرباط: المكتبة الحسنية، ٢٠٠٥، هامش (١)، ٦٠.

(٢٦) عبد الله الحبشي، الكتاب في الحضارة، الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٦، ١٠٣.

(٢٧) متــز، الحضــارة الإسلاميــة في القــرن الرابع الهجــري، ترجمة: محمــد عبد الهــادي أبو ريدة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ١٤٦

(٢٨) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس (كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، القاهرة: دار

الكاتب المصري، ١٩٤٨، ٨٨.

(٢٩) ابـن بسـام، الذخـيرة في محاسن أهـل الجزيرة، تحقيق: إحسـان عباس، بـيروت: دار الثقافة، ١٩٧٩، (ق٤/مج١/ ٣٤). المقري، نفح الطيب، (٣/ ٨٢). ابن الأبار، التكملة، (٢/ ٦٧).

(٣٠) الحميـدي، جـذوة المقتبس في ذكـر ولاة الأندلس، القاهـرة: الدار المصريـة للتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ٢٥٤. ابـن بشكـوال، الصلة، ٢٥١. أنجل حنثاليث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥، ٢٧١.

(٣١) ابـن بشكـوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلـس وعلمائهم وحديثهم وفقهائهـم وأدبائهم، تحقيق: عزت العطار الحسيني، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤، (١/ ٢١٩- ٢٢٠)

(٣٢) صوريـة متاجر، علم الوثائق والوثائقيـين في الأندلس ما بين القرنين الثاني والسادس الهجريين: دارسة توثيقية بيبلوغرافيـة (أطروحة دكتوراه/ إشراف: محمد صاحبي)، الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ٢٠١٤، ٥٦.

(٣٣) ابن بشكوال، الصلة، ٦٩٤.

(٣٤) ابـن سعيد الأندلسـي، المغرب في حُلي المغرب، وضع حواشيه: خليـل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧، (٢/ ١٧٠- ١٧١)

(٣٥) دوزي، ملـوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة: كامل كيلاني، القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٣، ٤٧. فيليب دي طرازي، خزائن الكتب العربية، (مج٢/ ٧٥٩).

(٣٦) ابـن بسـام، الذخيرة في محاسن أهـل الجزيرة، (ق١/ مج٢/ ٦٦٤). ابن عبـد الملك المراكشي، الذيـل والتكملـة، (السفـر الأول/ ق١/ ٢٧٧). ابن الخطيـب، الإحاطة في أخبـار غرناطة، (١/ ٢٥٩).

(٣٧) ابـن بسـام، الذخـيرة في محاسن أهـل الجزيرة.- القاهرة: لجنـة التأليف والترجمـة والنشر، ١٩٣٩، (مج٢/ق١/ ١٦٦- ١٦٧).

(٣٨) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، (١/ ٣١٢). ويشير ابن خلدون إلى أن: "وزن المثقال من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير" وبناءً عليه فربع المثقال يساوي ثمانية عشر حبة من الشعير، انظـر: ابـن خلدون، المقدمة، تحقيـق علي عبد الـواي، القاهرة: دار نهضة مصـر، ١٩٨١، (٢/ ٧٠٣).

(٣٩) سعد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، (أطروحة ماجستير إشـراف: أحمد السيـد دراج)، مكة المكرمـة: كلية الشريعـة والدراسات الإسلاميـة ، جامعة أم القرى، ١٩٨٢، ١٣٠.

(٤٠) شريـن السيد عبده محمود، الاتصال الوثائقـي في الأندلس (أطروحة ماجستير إشراف: حمدي عبد المنعم، السيد النشار)، الإسكندرية: كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٢. ١٤٩.
(٤١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٠، (٣/ ٥٤٦– ٥٤٧).
(٤٢) عبـد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغـرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، القاهرة: دار الاستقامة، ١٩٤٩، ٤٧. المقري، نفح الطيب، (٢/ ٨٣).
(٤٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (٣/ ٥٥٢– ٥٥٣).
(٤٤) ابـن بشكوال، الصلـة، ٢٨٨. الضبي، بغية الملتمسـ في تاريخ رجال أهل الأندلـس، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧، ٣٤٣.
(٤٥) متولي قمر الدولة، المكتبة ودورها، (مرجع سابق)، ١٠٣.
(٤٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، (٣/ ١٧٤ – ١٧٥).
(٤٧) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (٥/ ٥٣).
(٤٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، (٣/ ١٦٣).
(٤٩) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، (٣/ ٤٠٠– ٤٠١).
(٥٠) الأدنـروى، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الغزي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٧، ١٥٢ — ١٥٣.
(٥١) المقريـزي، اتعـاظ الحنفا بأخبـار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمـد حلمي محمد أحمد، القاهـرة: المجلس الأعلى للشئـون الإسلاميـة، ١٩٧٣، (٣/ ٧٠). ابن مُيَسّـر، المنتقى من أخبار مِصْـرَ، انتقاه تقى الدين أحمد بن علـي المقريزي، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه: أيمـن فـؤاد سيد، القاهرة: المعهد العلمـي الفرنسي للآثار الشرقيـة، ١٩٨١، ٨٠. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد محمد أمين، محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٢، (٢٨/ ٢٨٢).
(٥٢) حنان محروس، المكتبات، (مرجع سابق)، ٥٩.
(٥٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، (٣/ ١٧٤ – ١٧٥).
(٥٤) متولي قمر الدولة، المكتبة ودورها، (مرجع سابق)، ١٠٥.
(٥٥) سعيـد إسماعيل علـي، معاهد التعليم الإسلامي، القاهرة: دار الثقافـة للطباعة والنشر، ١٩٧٨، ١٩٩.
(٥٦) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مِصْرَ، ٧٩ — ٨٢. النويري، نهاية الأرب، (٢٨/ ٢٨١).
(٥٧) ابـن عبـد الملك المراكشي، الذيـل والتكملة، تحقيق: إحسان عباس، بـيروت: دار الثقافة، ١٩٦٤،

(السفر الرابع/ ٧٥).

(٥٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، (٣/ ١٧٩ - ١٨٠).

(٥٩) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، (السفر الأول/ ٩٨).

(٦٠) الضبي، بغية الملتمس، ٩٤.

(٦١) ابن الأبار، التكملة، (٢/ ١٦).

(٦٣) ابن الأبار، التكملة، (٣/ ٥٢).

(٦٣) محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، تطوان: معهد مولاي الحسن، ١٩٤٩، ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٦٤) ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي أبو علي الصدفي، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧، ٢٠٢.

(٦٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (١٦/ ١-١٥). وانظر: سعيد الجوماني، مكتبات بلاد الشام، ٥٨.

(٦٦) ابن الأبار، التكملة، (٢/ ٣٧ – ٣٨).

(٦٧) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ١١٠.

(٦٨) عُمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٢، (٥/ ٤٠٧). أحمد شوقي بنبين، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي، الرباط: كلية الآداب، ١٩٩٣، ١٤٩.

(٦٩) الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٧هـ، (مج٢/ ٢/ ١٣٦٦).

(٧٠) يوسف العش، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العرق والشام ومصر في العصر الوسيط، ترجمه عن الفرنسية: نزار أباظة، محمد صبَاغ، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩١، ٣١٢ – ٣١٧.

(٧١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١/ ١٠٥ - ١٠٦)

(٧٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، (٤/ ١٣٠٣).

(٧٣) ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٨، (٤/ ٣٩٠). ابن قاضي شهبة: تقي الدين أبي بكر الأسدي، طبقات النحاة واللغويين، تحقيق: محسن غياض، بغداد: مطبعة النعمان، ١٩٧٤، (١٦١ - ١٦٢).

(٧٤) الذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٢، (٢١/ ١٧٤).

(٧٥) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٦٤، (١/ ١٥٨).

(٧٦) العُدل: حقيبة تعبأ فيها الأشياء والمتاع.

(٧٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٤/ ٣٩١). ابن قاضي شهبة، طبقات النحاة، (١٦١).

(٧٨) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أب العباس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، [ب.ت]، (٤/ ١٣١- ١٥١). وانظر: يسري عبد الغني عبد الله، "من تاريخ المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية: المكتبات الخاصة"، دورية كان التاريخية، (القاهرة): العدد(١٦)، يونيو ٢٠١٢، ٥٤.

(٧٩) يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨، ٢٣٠.

(٨٠) عبد القادر النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨، (١/ ٨٩ - ٩٢)

(٨١) المقريزي، الخطط، (٢/ ٣٦٧).

(٨٢) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، بيروت: دار الجيل، (د.ت)، (١/ ٢٠٠).

(٨٣) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨، ١١٦.

(٨٤) المقريزي، الخطط، (٢/ ٣٦٧).

(٨٥) المقريزي، الخطط، (١/ ٤٠٩).

(٨٦) المقريزي، الخطط، (٢/ ٣٦٦)، ومما بقي من نفائس هذه المدرسة إلى زمن المقريزي (٧٦٦ – ٨٤٥هـ/ ١٣٦٤ – ١٤٤١م) مصحف عثمان، وصفه المقريزي بقوله: "وفي مكتبة المدرسة الفاضلية إلى الآن، مصحف قرآن كبير القدر جدًا، مكتوب بالخط الأول الكوفي، يسميه الناس مصحف عثمان بن عفان... وهو في خزانة مفردة له بجانب المحراب من غربيه، عليه مهابة وجلالة". الخطط، (٤/ ١٩٧)

(٨٧) حنان محروس، المكتبات، (مرجع سابق)، ٦٣.

(٨٨) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣، (٢/ ١٠٠- ١٠٢).

(٨٩) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (١٦/ ١-١٥). وانظر: سعيد الجوماني، مكتبات بلاد الشام، (٥٨).

(٩٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢/ ٣٣٩).

(٩١) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، دمشق: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٤٧، (٩٥).

(٩٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢/ ٣٤٠).

(٩٣) أبو شامة، الذيل على الروضتين، (٩٨).

(٩٤) النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠، (١/ ٣٧١).

(٩٥) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، (السفر الأول/ ق١/ ٦)

(٩٦) ابن سعيد المغربي، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، اختصار: محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٥٩، ١٤٨ – ١٤٩.

(٩٧) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (١/ ٢٠٨). ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس، (مرجع سابق)، ١٩٠.

(٩٨) ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد: المكتبة العربية، ١٩٣٢، ٢٣٧– ٢٣٨.

(٩٩) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (٤/ ٣٨٨).

(١٠٠) أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧، ٢٣٧.

(١٠١) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، (١/ ٢٥٤). عُمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، (مرجع سابق)، (٦/ ١٦٨).

(١٠٢) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة: الهيئة المِصْرَية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ٤٦. ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٢، (٨/ ٧٨٤ – ٧٨٥).

(١٠٣) شيرين فوزي، تاريخ المكتبات، ٦١.

(١٠٤) ابن شداد، عز الدين أبي عبدالله محمد بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (تاريخ مدينة حلب)، تحقيق: يحيى زكريا، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩١، (١/ ٢٥٨). محمد راغب الطباخ، "دور الكتب في حلب قديمًا وحديثًا"، مجلة مجمع اللغة العربية، (دمشق): (مج(١٥)، ع(٧،٨) تموز وأب ١٩٣٧، ٣٠٣.)

(١٠٥) العينـي، عقـد الجمـان، (٢/ ٥٥). الذهبـي، العبر في خـبر مَنْ غبر، الكويـت: مطبعة الكويت الحكومية، ١٩٦٦، (٥/ ٢٨٦- ٢٨٧).

(١٠٦) العيني، عقد الجمان، (٢/ ١٢٩).

(١٠٧) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، (السفر الرابع/ ٣٠ – ٣١).

(١٠٨) ابـن فرحـون، الديباج المذهب، (مج٢/ ١١٢ – ١١٣). مصطفـى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٤، ٦٥٢.

(١٠٩) ابن الحبيب، حسن بن عمر، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد أمين، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٦، (١/ ١٩٧).

(١١٠) السخـاوي، شمس الديـن محمد بن عبد الرحمن، الذيل التام على دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل، بيروت: دار ابن العماد، ١٩٩٢، (١/ ١٥٥).

(١١١) ابن العماد، شذرات الذهب، (مج٧/ ٧٨٨).

(١١٢) الذهبـي، الإمـام شمس الديـن أبي عبد الله محمد بـن أحمد (ت. ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، معرفة القـراء الكبـار على الطبقات والأعصـار (سلسلة عيون التراث الإسـلام؛ ٢)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، استانبول: ١٩٩٥، (مج٣/١٤١٢).

(١١٣) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، (السفر الثامن/ ق١/ ١٢٥).

(١١٤) ابن العماد، شذرات الذهب، (مج٨/ ٢٠).

(١١٥) المقـري، نفـح الطيب، (٥/ ٤٩٩ – ٥٠٤). المقـري، أزهار الرياض في أخبـار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩ – ١٩٤٢، (٢/ ٣٤٢).

(١١٦) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (١/ ١٩٠ – ١٩٣).

(١١٧) العسقلاني، الدرر الكامنة، (٤/ ٤٢١ - ٤٢٢).

(١١٨) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠، (١/ ٤٧٤).

(١١٩) شيرين فوزي، تاريخ المكتبات، ٦٧.

(١٢٠) ابن فرحون، الديباج المذهب، (مج٢/ ٢٧٤). المقري، نفح الطيب، (٥/ ٥١٤).

(١٢١) ابـن أيبـك الصفدي، صـلاح الدين خليل، الـوافي بالوفيات، تحقيق: أحمـد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠، (٢/ ١٠٨).

(١٢٢) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ٨٦.

(١٢٣) خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠، (٦/ ٥٦).
(١٢٤) ابـن كثـير، أبو الفداء الحافظ، البدايـة والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحـم، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، (١٣/ ٢٤٦).
(١٢٥) شعبـان عبـد العزيز خليفة، الكتـب والمكتبات في العصـور الوسطى، القاهرة: الـدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧، ٢٦٩.
(١٢٦) وسـام منـير عبد الرحمن، مصائـر الكتب الإسلاميـة، (أطروحة ماجستـير إشراف: محمود عباس حمودة)، القاهرة: كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٧، ٩٠.
(١٢٧) ابن العماد، شذرات الذهب، (مج٨/ ٣٢٣).
(١٢٨) ابن العماد، شذرات الذهب، (مج٨/ ٣٢٥).
(١٢٩) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في مَنْ لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٣، ٥٣.
(١٣٠) العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تصحيح: سالم الكرنكوي، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣، (٤/ ٢٨٧ – ٢٨٨).
(١٣١) الأدنروى، طبقات المفسرين، ٣٢٦.
(١٣٢) العسقـلاني، الـدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ضبـط وتصحيح: عبد الوارث محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧، (١/ ٣٨). العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٩، (٣/ ٢٩٩).
(١٣٣) فؤاد سيد، "نصان قديمان في إعارة الكتب"، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٨، (مج١/ ١٢٧ – ١٢٨).
(١٣٤) الأدنروى، طبقات المفسرين، ٣٢٥ – ٣٢٦.
(١٣٥) ابن العماد، شذرات الذهب، (مج٨/ ٤٧٩ – ٤٨٠).
(١٣٦) ابن العماد، شذرات الذهب، (مج٩/ ٤٤).
(١٣٧) السخاوي، الضوء اللامع، (٩/ ٢٩).
(١٣٨) السخاوي، الضوء اللامع، (١/ ٣٠٨).
(١٣٩) الأدنروى، طبقات المفسرين، ٣١١ – ٣١٢.
(١٤٠) ابن العماد، شذرات الذهب، (مج٨/ ٥٥٤ – ٥٥٥).
(١٤١) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: دار التراث، ١٩٨١، (٣/ ٣٣ – ٣٤).
(١٤٢) محمـد كمـال الدين عز الدين، الحركـة العلمية في مِصْرَ في دولة المماليـك الجراكسة: دراسة

عـن التاريـخ والمؤرخين (٧٨٤ – ٩٢٢هـ/ ١٣٨٢ – ١٥١٧م)، (أطروحة دكتـوراه إشراف: سيدة إسماعيل كاشف)، القاهرة: كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٩، ٨٣.

(١٤٣) السخاوي، الضوء اللامع، (١٠/ ٢٧٢ - ٢٧٤).

(١٤٤) السخاوي، الضوء اللامع، (٣/ ٧٥).

(١٤٥) مجاهـد محمـد سعيد، الحيـاة العلمية في دولة المماليـك البحريـة (٦٤٨ – ٧٨٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٣٨٢م)، (أطروحة دكتوراه إشراف: عبد القادر عثمان محمد)، أم درمان: كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠١١، ١٠٠.

(١٤٦) الأدنروى، طبقات المفسرين، ٣٢٥ – ٣٢٦.

(١٤٧) السخاوي، الضوء اللامع، (٦/ ٦٩٥).

(١٤٨) محمد كمال، الحركة العلمية في مِصْرَ، (مرجع سابق)، ٨٤.

إتحاف النبهاء بنحو الفقهاء
لابن طولون الصالحي الدمشقي
(٨٨٠هـ - ٩٥٣هـ)

تحقيق: د. محمد باسل عيون السود

تقديم:

يتنــاول هذا البحث تحقيق مخطوطة (إتحاف النبهــاء بنحو الفقهاء) لابن طولون الصالحــي، أحد علماء دمشق في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي.

ويتألف البحث من قسمين:

القسم الأول: يتضمن دراسة مكونة من مبحثين:

المبحث الأول: ترجمة المؤلف.

المبحث الثاني: دراسة المخطوط.

القسم الثاني: يتضمن متن النص المحقق مذيلاً بقائمة المصادر والمراجع.

القسم الأول

المبحث الأول: ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه وولادته وأسرته:

تحـدث ابـن طولون عن اسمـه ونسبه فقال: (وهو محمد بـن علي بن أحمد المدعـو محمد بن علي بن خُمارَوَيّـه بن طولون الصالحـي، الدمشقي، الحنفي، الملقب بشمس الدين، والمكنى بأبي الفضل)[١].

ولـه كنية أخرى هي أبو عبـد الله[٢]. ويبدو أنه لم يذكر اسم جده والد أبيه، بـل أنهى نسبه إلى جدّه الأول خُمارَوَيّه بن طولون. وتتمة نسبه نجدها في ترجمة عمـه: (يوسف بن محمد بن علي بن عبـد الله بن طولون)[٣]، وفي ترجمة والده: (علـي بن أحمد، المدعو محمـد بن علي الزرعي الصالحي، عـلاء الدين والدي الشهير بابن طولون)[٤].

وبنـاء على ذلك فإن نسبه الأتمّ يكـون: محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن خُمارَوَيّه بن طولون الزرعي، الصالحي، الدمشقي، الحنفي. ولد في صالحية دمشق من سفح قاسيون سنة ثمانين وثمانمائة[٥].

١- أسرته:

نـشر ابن طولون أخبار أسرتـه في بعض مؤلفاته، ولم تكن أسرة كبيرة، إذ لم يتجاوز عددها العشرة أفراد، هم:

١. جـده: الخواجـا محمـد بن علي بـن عبـد الله، كان يعمـل بالتجارة في الصالحية. توفي فجأة بالصالحية سنة ٨٨٧هـ[٦].

٢. أخو جده، عم والـده ووالدته: قال عنه ابن طولون: (إبراهيم بن قنديل الصالحـي، الخواجا برهان الديـن، عم والد الشمس بـن طولون. نشأ

يتيماً، ثم مَنَّ الله عليه حتى صار أحد التجار الكبار، وكان من ذوي الخيرات، توفي سنة ٨٨٧هـ)[٧]. والبرهان هذا هو أخو جد ابن طولون، وقد سكنوا في بيت واحد، قال ابن طولون متحدثاً عن نفسه: (نشأ ابن طولون في كنف والده وعمه ووالدهما وأخيه من أمه الخواجا برهان الدين بن قنديل)[٨]. وفي الوقت ذاته فإن البرهاني هو عم والدته، فقد قال ابن طولون: (وقد كان عم والدتي البرهاني إبراهيم بن قنديل يتكسب بالتجارة في دمشق، وجدي بصالحيتها)[٩]. وتوفيا في عام واحد، قال ابن طولون متحدثاً عن نفسه: (توفي هذا العام ٨٨٧هـ جده شمس الدين بن طولون، ثم أخوه الخواجا برهان الدين بن قنديل)[١٠].

وعلق محقق متعة الأذهان على ترجمة البرهاني قائلاً: (هو عم والد الشمس ابن طولون زوج أمه، وقد توفي ابن قنديل عن ولديه بدر الدين وشهاب الدين[١١] أولاد قنديل، وهما أبناء عم والد صاحب الأصل)[١٢]، والمقصود بصاحب الأصل: ابن طولون.

٣. والده: ترجم له ابن طولون ترجمة قصيرة فقال: (علي بن أحمد، المدعو محمد بن علي الزرعي الصالحي، علاء الدين، الشهير بابن طولون، كان يتسبب بسوق القطن، ثم ترك ذلك... مات يوم الأربعاء ثاني شوال سنة إحدى عشرة وتسعمائة)[١٣].

٤. والدته: هي أزدان الرومية، كانت تحسن لسان الأروام. توفيت شهيدة بالطاعون، وابن طولون ما زال رضيعاً[١٤].

٥. عمه: يوسف بن محمد بن علي... مترجم له ابن طولون في متعة الأذهان في صفحة كاملة. ولد في الصالحية سنة ٨٦٠هـ تقريباً، قرأ القرآن، وحفظ ألفية ابن مالك، وأجازه عدة مشايخ، ثم تفقه على مذهب أبي حنيفة، وتولى الإفتاء بدار العدل، ودرّس بالجامع الأموي، وعدة

مدارس، وانتهت إليه مشيخة الحنفية بدمشق. كان له بنت تزوجها نقيب الجيش المنصور العلاء بن طالوا[١٥]. وحج عمه مع صهره سنة ٩٢٧هـ[١٦]، كما جاور عمه بمكة سنة ٩٣٢هـ[١٧]. توفي بعلة الإسهال رابع محرم سنة ٩٣٧هـ، ودفن بتربته بالصالحية[١٨].

٦. والد زوجته: إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عون الشاغوري الحنفي برهان الدين (٨٥٥هـ- ٩١٦هـ): مهر في فقه الحنفية، وجلس للإفتاء بجامع دمشق[١٩]. قال ابن طولون: عمي وشيخي البرهاني ابن عون[٢٠].

٧. زوجته: هي ابنة شيخه إبراهيم بن محمد الشاغوري. تزوجها ابن طولون بعد وفاة أبيه سنة ٩١١هـ، وربما كان زواجهما سنة ٩١٤هـ، إذ أنجبت له ثلاثة أولاد، أولهم خديجة التي ولدت سنة ٩١٤هـ، ولا ندري متى توفيت زوجته.

٨. أولاده: رزق ابن طولون بثلاثة أبناء، ماتوا جميعهم قبله، وترجم لهم في متعة الأذهان، وهم:

(أ) خديجة (٩١٥هـ- ٩٢٠هـ): لها ترجمة في متعة الأذهان جاء فيها: (خديجة بنت محمد بن علي بن طولون الصالحي، المدعوة ست العلماء، ولدت في ربيع الثاني سنة ٩١٥هـ، أجاز لها الخطيب سراج الدين ابن الصيرفي وجماعة، ثم أدركتها الوفاة، فماتت في ذي القعدة سنة ٩٢٠هـ بالطاعون)[٢١].

(ب) عائشة: (٩٢٦هـ- ٩٤٣هـ) جاء في ترجمتها: (أجاز لها السيد كمال الدين بن حمزة وأبو الفضل المقدسي، والشيخ أحمد الشويكي وهو مجاور بمكة سنة ٩٣٢هـ)[٢٢].

(ج) عثمان: (٩٣١هـ- ٩٣٨هـ): جاء في ترجمته: (قرأ جانباً من القرآن العظيم، وأخذ في الكتابة، وأجاز له خلق، وبيّض له أبوه)[٢٣].

٢- **سيرته العلمية:**

نشأ ابن طولون في دمشق وترعرع فيها منذ ولادته حتى وفاته، وأخذ عديدًا من العلوم على شيوخها، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ،وصلى إماماً وحضر خلفه في الصلاة شيخ الإسلام زين الدين بن العيني الصالحي والشيخ محمد ابن عيسى البغدادي، وغيرهما من الأعيان(٢٤)، ثم حفظ المختار(٢٥) في الفقه على مذهب أبي حنيفة، وكتاب المنار في أصول الفقه للعلامة حافظ الدين النسفي. واشتغل بعلم التفسير والقراءات والحديث وعلوم اللغة، واستوعب علوماً كثيرة، بلغ مجموعها ما أحصاه بنفسه ثمانية وثلاثين علماً(٢٦)، وقال: (وقد اشتغلت بعلوم أخر على أشياخ غرباء أعرضت عن ذكرها هنا لقلة اهتمامي بها، ومن أراد الاطلاع على معرفة ما تيسر لي نوع إلمام به من أنواع العلوم فعليه بكتابي المسمى باللؤلؤ المنظوم)(٢٧).

ويهمنا هنا أن نعرف تبحره في كتب النحو الذي أتقنه وأجاده، ونجم عن ذلك عدة مؤلفات، فقد حفظ الاقتراح للسيوطي، والآجرومية لأبي عبدالله الآجرومي، والبُصروية للشمس البُصروي، وملحة الإعراب للحريري، وقواعد الإعراب وشذور الذهب وشروحه الثلاثة لابن هشام الأنصاري، ثم ألفية ابن مالك وشرحها لابنه بدر الدين(٢٨).

وهذا التحصيل النحوي أينعت ثماره، فتمخض عن تأليف الكتب النحوية الآتية:

١. إتحاف النبهاء بنحو الفقهاء(٢٩).

٢. حاشية على الاقتراح(٣٠).

و«الاقتراح في علم أصول النحو» ألفه جلال الدين السيوطي(٣١)، ووُضعت عليه شروحٌ وحواشٍ عديدة(٣٢)، من بينها حاشية ابن طولون.

٣. حاشية على شرح الكافية للرضي.

ألف ابن الحاجب[٣٣] كتابه الكافية، وقام كثير من العلماء بشرحها[٣٤]، ومن بينهم الرضي[٣٥] الذي يعد شرحه من أفضل شروح الكافية، واهتم العلماء بهذا الشرح، فوضعوا عليه حواشي وتعليقات[٣٦]، ومن بينهم ابن طولون[٣٧].

٤. الحاوي لشرح الكافية لملا جامي، والحاشية عليه لتلميذه ملا عبد الغفور.

تقدم أن الكافية لابن الحاجب شرحها كثير من العلماء، ومن بينهم الملا عبد الرحمن بن أحمد الجامي[٣٨]، وعلى هذا الشرح وضع العلماء حواشيَ عديدة، ومن هؤلاء العلماء عبد الغفور بن صلاح اللاري[٣٩]، ووضع ابن طولون كتابه الحاوي الذي علّق فيه على شرح الجامي وحاشية عبد الغفور على هذا الشرح[٤٠].

١. شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك، حققه د. عبد الحميد الكبيسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢. شرح ممزوج على ألفية الجلال السيوطي التي حذف فيها من ألفية ابن مالك[٤١] زوائدها ووضع عوضها ما لابد منه[٤٢].

٣. شرح ممزوج على مغني اللبيب لابن هشام[٤٣]

قال ابن طولون: (تم مسودةً، وفُقد في الفتنة الغزالية)[٤٤].

لكن هذا الكتاب لم يعد مفقوداً، فهو موجود ضمن: (شرح مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام). وجاء في فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود: (الحمد لله الذي جعل كتابه تبياناً لكل شيء، فهو مغني اللبيب بالحقيقة لا بالمجاز... وبعد: فهذا شرح لطيف ممزوج... على كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب...)[٤٥] والمخطوط محفوظ برقم (٧٩٧٩) ويضم (٤٥٩ ورقة).

١. الكلام على مسألة: «ضربي زيداً قائماً»[٤٦]

٢. المسائل الملقبات في النحو[٤٧]

طبع بتحقيق د. عبد الفتاح سليم، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٣. منير الدياجي الليلية في الأحاجي النحوية[٤٨]

٤. النجوم الزواهر في الأشباه والنظائر[٤٩] يضم سبعة مؤلفات هي:

الأول: الرياض الزهرية في القواعد النحوية[٥٠].

الثاني: تدريب أولي الطلب في ضبط كلام العرب[٥١].

الثالث: سلسلة الذهب في البناء من كلام العرب[٥٢].

الرابع: اللمع والبرق في الجمع والفرق[٥٣].

الخامس: بهجة الطراز في الألغاز[٥٤].

السادس: التبر الذائب في الأفراد والغرائب[٥٥].

السابع: لطائف الإشارات في المناظرات والمجالسات والمذاكرات والمحاورات والفتاوى والواقعات والمكاتبات والمراسلات[٥٦].

١. نشر الشذا بمسألة كذا[٥٧].

وهذا التبحر في علم النحو جعله جديراً بلقب (سيبويه عصره وزمخشري زمانه)[٥٨].

ومن أراد معرفة سائر مؤلفاته فعليه الرجوع إلى كتاب «الفلك المشحون» لابن طولون الذي ذكر فيه (٧٢٦) كتاباً، وأضاف محقق الفلك المشحون كتباً أخرى، فأوصل العدد إلى (٧٥٣) كتاباً.

أما كتبه المطبوعة فقد ذكر محقق الفلك المشحون أنها بلغت ثمانية وعشرين

كتاباً[٥٩]، وهــذا الإحصــاء لعدد الكتــب المطبوعة كان سنــة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، واستمــرت مسيرة تحقيق كتبه إلــى الآن، وأصبح عددها يتجاوز الخمسين كتاباً، ومــا زالــت بقية مخطوطاتــه تنتظر جهود المحققــين، فهناك أكثر مــن سبع مئة مخطوط دون تحقيق.

شيوخه:

تلقى ابن طولون علومه على علماء زاد عددهم على الخمس مئة عالم حضوراً ومكاتبة، وقد ذكر العلوم التي أخذها عن العديد منهم ضمن ترجمة كل منهم في كتابه (التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران) رواية ودراية.

تلاميذه:

انفــرد ابــن طولون عن غيره من المؤرخين بتقديم تراجــم لتلاميذه في كتابه (ذخائــر القصر في تراجم نبلاء العصــر)، وبلغ عددهم فيه (١٢١) تلميذاً من مجموع (١٣٧) ترجمة، والتراجم الباقية خصها لبعض شيوخه ومعاصريه.

في هــذه التراجــم نلحظ العلاقــة التي كانت تربــط ابن طولــون بتلاميذه، وطريقــة تعامله معهــم، ومواقفــه منهم، وكذلــك علاقته بشيوخــه ومعاصريه، والمواقــف المتبادلة بينهم، إضافة إلى ذلك نلحظ تنــوع العلوم التي تم تدريسها، وتنوع طرق الانتفاع به، من سماع وقراءة وكتابة وغير ذلك، وعليه فإن ابن طولون قد خرّج جيلاً من العلماء والفقهاء والمؤرخين يشار إليهم بالبنان لما تمتعوا به من المكانــة العلميــة الرفيعة والثقافــة الواسعة، ليس في دمشــق فحسب، بل كان لهم حضور واضح في مناطق ومدن أخرى غيرها[٦٠].

٣- مكانته العلمية:

تسنم ابن طولون مكانة علمية رفيعة، لا يصل إليها إلا الأفذاذ القلائل الذين آتاهم الله بسطة في العلم، وغزارة في الذكاء والفهم.

وكانت مخايل الذكاء والنجابة واضحة لدى ابن طولون منذ صغره، فقد حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ولفت أنظار شيوخه إليه، فقال فيه شيخه ابن زريق: (إنه مع صغر سنه وقرب أخذه فاق من تقدم عليه بجده واجتهاده، وتحريه وانتقاده)[٦١]. وكتب شيخ الشافعية تقي الدين ابن قاضي عجلون: (فقد عرض عليّ الولد المبارك، اللبيب الأريب النجيب، ذو الهمة العليّة، والفطنة الزكيّة، أبو الفضل، عرضاً حسناً محرراً متقناً، دلّ ذلك على حفظه لجميع الكتب المذكورة، أعانه اللّه على درايتها، كما وفقه لروايتها، وجعله من العلماء العاملين، والأئمة المهديين)[٦٢]، وقال فيه ابن المبرد: (أوحد النبلاء، وعين الفضلاء، من تزيّا من التقى بأفخر حلّة، وحاز من المحاسن جملة)[٦٣].

أما عمه جمال الدين بن طولون فقد قال: (الفاضل الوجيه، المفيد النبيه، المحصل للفرائد بجودة ذهنه، أنشأه اللّه نشوء الصلاح، وسلك به مسالك أهل الفلاح)[٦٤]، أما شيخه ووالد زوجته فقال: (الشيخ العالم المتقن المحرر المحدث الفقيه المقرئ سيدي الشيخ شمس الدين زين الطالبين، فقيه المحدثين).

ومن شهادات علماء عصره ما كتبه إليه علامة عصره شمس الدين بن الشيخ علوان الحموي: (إلى حضرة الإمام الفاضل، والعالم العامل، ذي التحقيقات التي سارت بها الركبان، والتدقيقات التي حارت فيها العقول والأذهان، مالك أزمّة المعاني بلطف بيانه، فلذا أضحى سيبويه عصره وزمخشري زمانه، العلم المفرد، المحقق العلامة، ذي البَدَح[٦٥]، والفخر والفخامة، الدر المكنون، والجوهر الفرد المصون أبي عبد اللّه الشيخ شمس الدين محمد بن طولون...)[٦٦].

وكتب إليه صدر المدرسين بدر الدين الحسين بن النصيبي الحلبي الشافعي: (إلى حضرة كثير الفضائل، وبحر الفواضل، قسّ[٦٧] الفصاحة والأدب، عالي المقام والرتب، ذي الفصاحة التي سارت بها الركبان، والبلاغة التي بهرت صعصعة بن صوحان[٦٨]، حامل راية الحديث، ورافع ألوية الإسناد، متقن الأصول

والفـروع بما حواه من فضائـل الإسعاد، الإمام العلامـة، والبحر الفهّامة، مفتي الأنام، وبهجة الليالي والأيام، صدر المدرسين، وعمدة المحققين، وإمام المدققين، الشيخ شمس الدين محمد بن طولون).

وأشـاد به ابـن أيوب الأنصـاري قائـلاً: (كان عالماً، فاضـلاً، بارعاً، خاتم المحققين، شيخ المشايخ بالاتفاق، سيبويه الزمان على الإطلاق)[٦٩]. ووصفه الغزي بقولـه: (الشيخ، الإمام، العلامـة، المسند، المفنن، الفهامـة... الحنفي، المحدث، النحوي... كان ماهراً في النحو، علّامة في الفقه، مشهوراً بالحديث)[٧٠].

وهذه المكانة العالية التي وصل إليها ابن طولون جعلت أحد معاصريه يحسده، وينـال من منزلته وعلومه، وهو أبو الفتح المالكي الذي قال فيه: (ليس له ناطقة، يلحن في جميع كلامه، حتى في مصنفاته. ودعواه في تاريخه أنه أنحى أهل زمانه، وليس لـه في علم النحو والحديث قريـن، وأنه انفرد بهذيـن العلمين، مع اللحن الجلـي، ووضع الأحاديث الموضوعـة في تأليفه من غير أن ينبه عليها... والعجيب منه كيف أثبـت ذلك وهو يدعى علم الحديث، ولكن الجهل غالب والعامية)[٧١]. وقـال مـرة أخرى: (ما أقرأ قط أحداً في فقه ولا غيره، ولا سيما في الفقه فإنه لم يكـن له فيه يَدٌ، وليس له ناطقة ولا لسان في شـيء من العلوم، وما تخرّج إلا عليّ رحمه الله وإيانا)[٧٢].

ولكن مـن هو أبو الفتح المالكي؟[٧٣] وماذا كتبت عنـه التراجم؟ قيل فيه إنه (كان علامـة في النحو والصرف والمعاني والبيـان والبديع والعروض والمنطق... إلا أنه كان متكيفاً، يأكل البرش والأفيون كثيراً، لا يكاد يصحو منه، وكان يقع في حق العلماء والأكابر)[٧٤]، حتى إنه (غلب عليه الحمق والسخف وقلة العقل)[٧٥].

كما قيل فيه: (عيب عليه ما انطوى عليه من شرب الخمر فما دونه، وتسليط الحشيشة على عقله، والاختلاط بمنهي الغلمان جهراً من غير مبالاة بذلك)[٧٦]، وجاء في الروض العاطر أنه (كان كثير الهجاء، وعلى هجوه طلاوة... وكان رحمه

الله مسرفـاً على نفسـه، يستعمل البرش، ويبلعه في كل يوم مـراراً متعددة)[٧٧].

وهـذه الشخصية القلقة المضطربـة جعلته متقلباً وغير متـوازن في حياته (وإذا وصل نوال من أحدهم مدحه، أو أثنى عليه، وكانوا يخافون من لسانه)[٧٨]، فليس عجيباً من شخص تلك صفاته أن ينال من ابن طولون، ويقول فيه ما قال.

٤- وفاته:

تقدم أن ابنته عائشة توفيت سنة ٩٤٣هـ، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، وقد بـدأت الأمراض والعلل تفتك بصحته مدة عشر سنوات إلى أن توفي سنة ٩٥٣هـ، ودفن بتربتهم عند عمه القاضي جمال الدين، بالسفح قبلي الكهف[٧٩].

المبحث الثاني: دراسة المخطوط

١- وصف المخطوط:

ليـس لهـذه المخطوطة نسخة أخرى فهي نسخة فريـدة، شأنها في ذلك شأن معظـم مؤلفـات ابن طولون التي نـادراً ما يكون لها نسخة أخـرى، وهذا ما جعل كثيراً من كتبه في حكم المفقود، أو أصبح مفقوداً بسبب محن أصابت ابن طولون. وهذا الكتاب ورد اسمه في فصل قائمة مؤلفاته في كتابه الفلك المشحون[٨٠]، ولم يعلق محققه عليه بشيء مما يشي أنه عدّه من الكتب المفقودة.

واستأثرت مكتبة جامعة ليدن في هولندا بأصل المخطوط تحت رقم (٢٥٠٥) مع غيره من مؤلفات ابن طولون التي لم تمتد إليها أيدي المحققين، ويعود الفضل للأستـاذ الدكتور محمد بـن تركي التركي في التوصل إلى هـذه المخطوطة، فقد نشرهـا علـى موقعـه في الشابكـة العنكبوتيـة، ويقـع المخطوط في سـت ورقات، مسطرتهـا ثلاثة وعشرون سطراً، وهي بخط ابن طولون المعروف بخطه الصغير والعسير القراءة.

٢- مضمون المخطوط:

قسم ابن طولون كتابه على ثلاثة فصول:

خصّ الفصل الأول ببعض المناظرات النحوية التي جرت بين الكسائي وبعض معاصريه من العلماء النحويين، وهذه المناظرات مثبتة كلها في معجم الأدباء لياقوت الحموي، باستثناء المناظرة الثالثة، فقد نقلها من كتاب نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري.

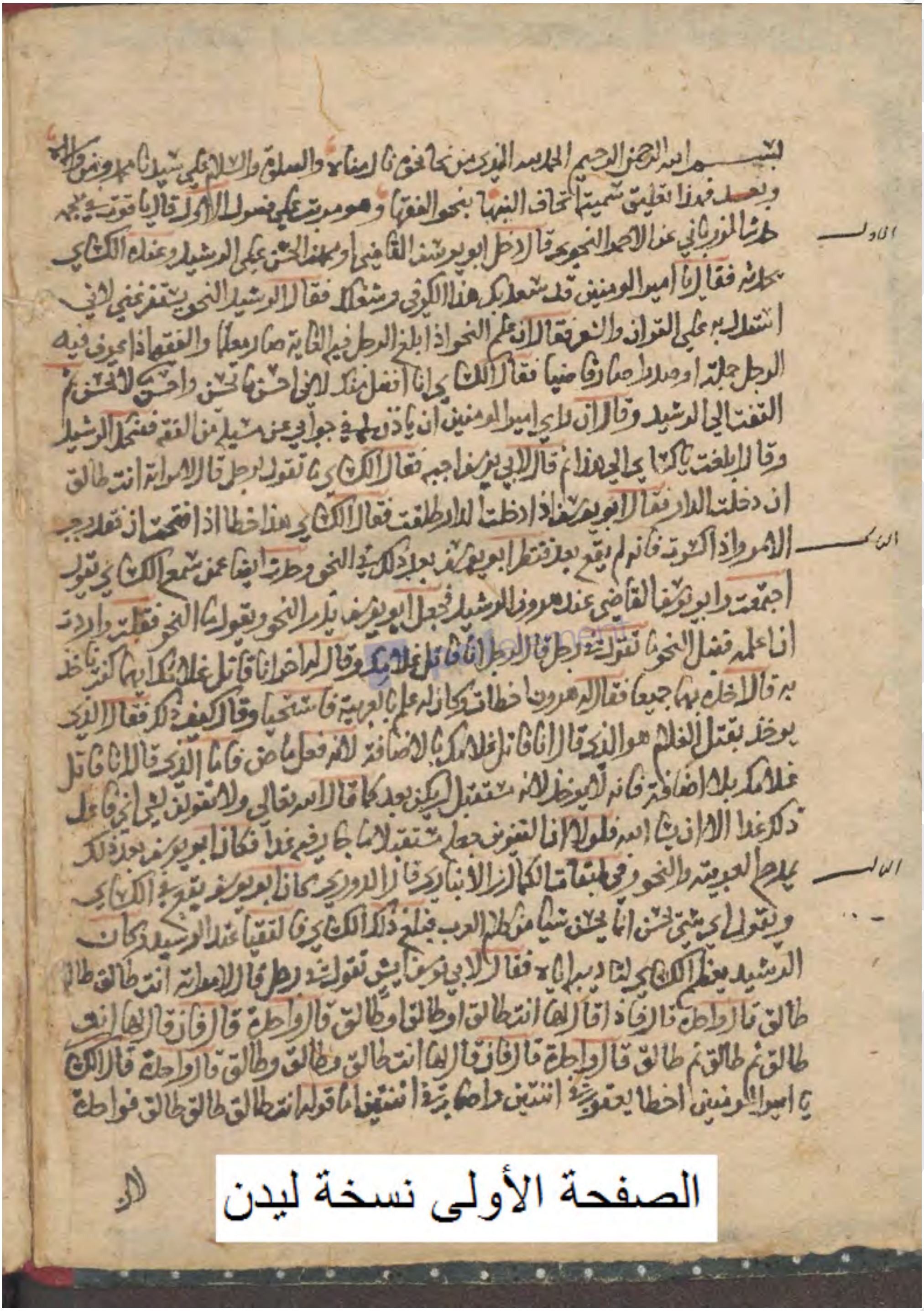
وضمّن الفصل الثاني رسالة (الادّكار بالمسائل الفقهية) لعبد الرحمن الزجاجي، وتعد من الرسائل النادرة، وتضمن خمس عشرة مسألة نحوية فقهية تتعلق بلفظ الطلاق.

أما الفصل الثلاث فيضم مسائل نحوية من فوائد جمال الدين ابن هشام الأنصاري.

وهذه الفصول الثلاثة نقلها ابن طولون من كتاب الأشباه والنظائر في النحو لشيخه جلال الدين السيوطي، باستثناء آخر خبر ورد في نهاية الفصل الثالث، يتناول مجلساً للكسائي في حضرة هارون الرشيد.

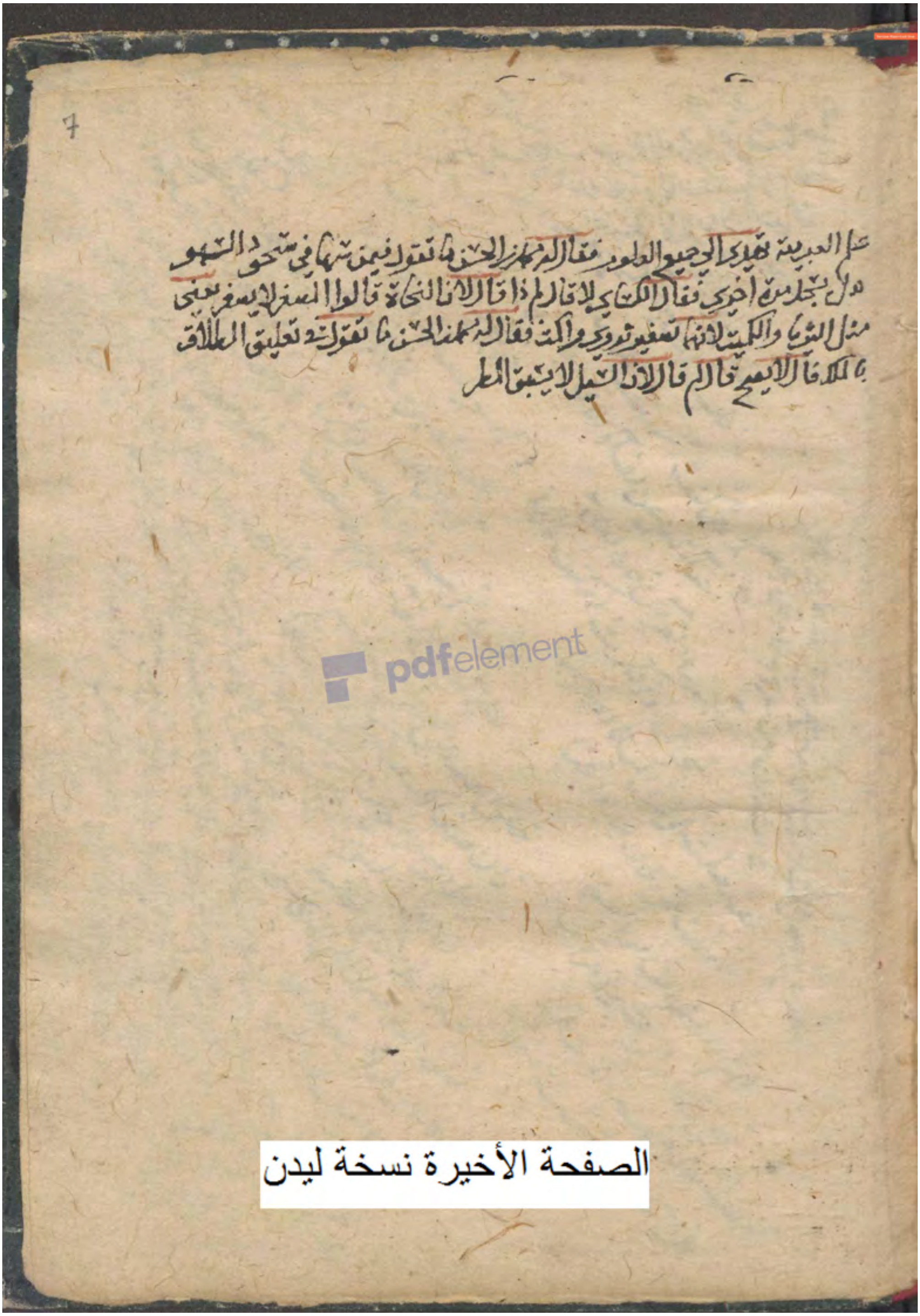
٣- عملي في المخطوط:

نسخت المخطوط كاملاً، وعارضته بكتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي؛ لأنه يعد المصدر الرئيس لمواد إتحاف النبهاء، ووثقت المسائل والأخبار والأشعار من مظانها، وترجمت للأعلام الواردة في المتن، ووضعت تعليقات على بعض القضايا الواردة في المتن.



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المؤيد من نحا نحو ثنائه والصلاة والسلام على سيدنا محمد ومن والاه
وبعد فهذا تعليق سميته تحاف النبهاء بنحو الفقهاء وهو مرتب على فصول الأول قال ياقوت في معجمه
حدث المرزباني عن الأصمعي النحوي قال دخل أبو يوسف القاضي وبعض الحسن على الرشيد وعنده الكسائي (الأول)
يحادثه فقال يا أمير المؤمنين قد سعد بك هذا الكوفي وشغلك فقال الرشيد النحو يستفرغني لأني
استدل به على القرآن والشعر فقال إن علم النحو إذا بلغ الرجل فيه الغاية صار معلما والفقه إذا عرف فيه
الرجل جملة أو صلاة صار قاضيا فقال الكسائي أنا أفضل منك لأني أحسن ما تحسن وأحسن ما لا تحسن ثم
التفت إلى الرشيد وقال إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في جوابي عن مسألة من الفقه فضحك الرشيد
وقال أبلغت يا كسائي إلى هذا ثم قال لأبي يوسف أجبه فقال الكسائي ما تقول لرجل قال لامرأته أنت طالق
أن دخلت الدار فقال أبو يوسف إذا دخلت الدار طلقت فقال الكسائي هذا خطأ إذا فتحت أن فقد وجب
الأمر وإذا كسرت فإنه لم يقع بعد فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو وحكى أيضا عمن سمع الكسائي يقول (الثاني)
اجتمعت وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد فجعل أبو يوسف يذم النحو ويقول ما النحو فقلت وأردت
أن أعلمه فضل النحو ما تقول في رجل قال لرجل أنا قاتل غلامك وقال له آخر أنا قاتل غلامك أيهما كنت تأخذ
به قال آخذهما جميعا فقال له هارون أخطأت وكان له علم بالعربية فاستحيا وقال كيف ذلك فقال الذي
يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال أنا قاتل غلامك بالإضافة لأنه فعل ماض فأما الذي قال أنا قاتل
غلامك بلا إضافة فإنه لا يؤخذ لأنه مستقبل لم يكن بعد كما قال الله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل
ذلك غدا إلا أن يشاء الله فلولا أن التنوين مستقبل ما جاز فيه غدا فكان أبو يوسف بعد ذلك
يمدح العربية والنحو وفي طبقات النحاة لابن الأنباري قال الزجاجي كان أبو يوسف يقع في الكسائي (الثالث)
ويقول أي شيء يحسن إنما يحسن شيئا من كلام العرب فبلغ ذلك الكسائي فالتقيا عند الرشيد وكان
الرشيد يعظم الكسائي لتأديبه إياه فقال لأبي يوسف أيش تقول في رجل قال لامرأته أنت طالق طالق
طالق قال واحدة قال فإن قال لها أنت طالق أو طالق أو طالق قال واحدة قال فإن قال لها أنت
طالق ثم طالق ثم طالق قال واحدة قال فإن قال لها أنت طالق وطالق وطالق قال واحدة قال الكسائي
يا أمير المؤمنين أخطأ يعقوب في اثنتين وأصاب في اثنتين أما قوله أنت طالق طالق طالق فواحدة
ان

الصفحة الأولى نسخة ليدن


7

علم العربية تهدي الى جميع العلوم فقال الرشيد لمحمد بن الحسن ما تقول فيمن سها في سجود السهو
هل يسجد مرة اخرى فقال الكسائي لا فقال لم ذا قال لان النحاة قالوا المصغر لا يصغر يعني
مثل الثريا والكميت لانهما تصغير ثروى وكمت فقال الرشيد لمحمد بن الحسن ما تقول في تعليق الطلاق
بالملك قال لا يصح قال لم قال لان السيل لا يسبق المطر

الصفحة الأخيرة نسخة ليدن

[النص المحقق]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من نحا نَحْوَه نال مُناه، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّدٍ ومَنْ والاه، وبعد:

فهذا تعليق سمّيته إتحاف النبهاء بنحو الفقهاء، وهو مرتب على فصول.

الفصل الأول

(١) قال ياقوت(٨١):(٨٢)

حدَّث المَرْزباني(٨٣) عن(٨٤) الأحمر النَّحويِّ(٨٥) قال: دخل أبو يوسف القاضي(٨٦) أو محمد بن الحسن(٨٧) على الرشيد(٨٨) وعنده الكسائي(٨٩) يحدِّثه، فقال: يا أمير المؤمنين قد سَعِدَ بك هذا الكوفيّ وشغلك، فقال الرشيد: النحو يستفرغني لأنّي أستدلُّ به على القرآن والشعر، فقال(٩٠): إنَّ علم النحو إذا بلغ فيه الرجل الغاية صار معلِّماً، والفقه إذا عرف فيه الرجل جملة أو صدراً صار قاضياً(٩١)، فقال الكسائي: أنا أفضل منك لأنّي أحسِن ما تحسن وأحسِن ما لا تحسن، ثم التفت إلى الرشيد وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في جوابي عن مسألة من الفقه، فضحك الرشيد وقال: أبلغت يا كسائي إلى هذا؟ ثم قال لأبي يوسف: أجبه، فقال الكسائي: ما تقول لرجلٍ قال لامرأته: ((أنتِ طالقٌ إنْ دخلت الدار))؟ فقال أبو يوسف إنْ دخلت الدار طلقت، فقال الكسائي: خطأ، إذا فُتِحَتْ أَنْ فقد وجب الأمر، وإذا كسرت فإنه لم يقع [الطلاق](٩٢) بعد. فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو.

(٢) وحدَّث أيضاً عمَّن سمع الكسائي يقول(٩٣): اجتمعت [أنا](٩٤) وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذُمُّ النحو ويقول: [و](٩٥) ما النحو؟ فقلت وأردت أن أعلِّمه النحو: ما تقول في رجل قال

لرجـل: أنا قاتلُ غلامك؟ وقال لـه آخر: أنا قاتلٌ غلامَـك، أيُّهما كنت تأخذ به؟ قـال: آخذهمـا جميعاً[٩٦]، فقـال له هارون: أخطـأت، وكان على علـم بالعربية، فاستحيـا وقال: كيف ذلك؟ فقال[٩٧]: الـذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامـك، بالإضافة، لأنَّه فعلٌ ماضٍ، فأمَّا[٩٨] الـذي قال: أنا قاتلٌ غلامك، بـلا إضافـة[٩٩] فإنَّـه لا يؤخـذ لأنَّـه مستقبل لم يكن بعـد، كما قـال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الكهف ١٨/ ٢٣-٢٤]، فلولا أنَّ التنويـن[١٠٠] مستقبـل ما جاز فيه غداً، فكان أبو يوسـف بعد ذلك يمدح العربية والنحو[١٠١].

(٣) وفي طبقات[١٠٢] الكمال لابن الأنباري[١٠٣]:

قال الـدُّوري[١٠٤]: كان أبو يوسف يقع في الكسائي ويقـول: أيَّ شيء يُحسنُ؟ إنما يُحسن شيئاً من كلام العرب، فبلغ ذلك الكسائي، فالتقيا عند الرشيد، وكان الرشيـد يعظِّم الكسائـي لتأديبه إيَّاه، فقال لأبي يوسف: [يـا يعقوب][١٠٥]: أيش تقـول في رجل قال لامرأتـه: أنت طالقٌ طالقٌ طالقٌ؟ قال: واحـدة، قال: فإن قال لها: ((أنت طالقٌ أو طالقٌ أو طالقٌ))؟ قال: واحدة، قال: فإن قال لها: أنت طالقٌ ثـم طالـقٌ ثم طالقٌ؟ قال: واحدة، قـال: فإن قال لها: أنت طالـقٌ وطالقٌ وطالقٌ؟ قـال واحـدة، قال الكسائي: يا أمـير المؤمنين أخطأ يعقـوب في اثنتين وأصاب في اثنتين، أمَّا قوله: أنت طالقٌ طالقٌ طالقٌ فواحدة، لأنَّ الثنتين الباقيتين تأكيد، كما تقول: أنت قائم قائم قائم، وأنت كريمٌ كريمٌ كريمٌ، وأمَّا قوله: أنت طالقٌ أو طالقٌ أو طالـقٌ فهذا شكٌّ، وقعت[١٠٦] الأولى التي تُتيقن، وأما قوله: أنت طالقٌ ثم طالقٌ ثم طالقٌ فثلاث لأنه نسق، وكذلك قوله: أنت طالقٌ وطالقٌ وطالقٌ.

(٤) وقال أبو عبدالله بن مُقْلَة[١٠٧]:

حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى[١٠٨] قال: اجتمع الكسائي والأصمعي[١٠٩] عنـد الرشيد، وكانا معه يقيمان بمُقامـه، ويَظْعَنان بظَعْنِه[١١٠]، فأنشد الكسائي:

[البسيط]

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به   رئمان أنفٍ إذا ما ضنّ باللبن(١١١)

فقال الأصمعي: رئمان بالرفع، فقال له الكسائي: اسكتْ، ما أنت وهذا؟ يجوز رئمانُ ورئمانَ ورئمانِ، ولم يكن الأصمعي صاحب عربية، فسألت أبا العباس كيف جاز ذلك؟ فقال: إذا رفع رُفع بـ ينفع، أي: أم كيف ينفع رئمان أنفٍ، وإذا نُصب نصب بتعطي، وإذا جُرّ جر بردّه على الهاء في به، قال: والمعنى: وما ينفعني إذا وعدتني بلسانك ثم لم تصدقه بفعلك؟ يقال ذلك للذي يبرُّ ولا يكون منه نفعٌ كهذه الناقة التي تشمُّ بأنفها مع تمنُّع درَّتها(١١٢)، والعلوق: التي علق عليها ولدها(١١٣)، وذلك أنَّه نحر عنها، ثم حُشي(١١٤) جلده تبناً أو حشيشاً وجُعل بين يديها حتى تشمَّه وتدرَّ عليه، فهي تسكُن إليه مرَّة ثم تنفر عنه ثانية، تشمُّه بأنفها ثم تأباه بقلبها(١١٥)، فيقول: فما ينفع هذا البَوّ(١١٦) إذا تشممته ثم منعت درَّتها؟

(٥) وحدَّث المرزباني عن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب قال(١١٧): سأل اليزيدي(١١٨) الكسائي بحضرة الرشيد فقال: انظر، في هذا الشعر عيبٌ وأنشده(١١٩): [م. الرمل]

ما رأينا خرباً نقـ   ـر عنه البيض صقرُ

لا يكون العير مهراً   لا يكون المهر مهرُ

فقال الكسائي: قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي: انظر فيه، فقال: أقوى، لا بدَّ أن ينصب المهر الثاني على أنَّه خبر كان، فضرب اليزيدي بقَلَنْسُوَته الأرض وقال: أنا أبو محمد، الشعر صواب، إنّما ابتدأ فقال: المُهْرُ مُهْرُ. فقال له يحيى ابن خالد(١٢٠): أتتكنّى بحضرة أمير المؤمنين؟ وتكشف راسك؟ واللّه لخَطأُ الكسائي مع أدبه أحبُّ إلينا من صوابك مع سوءِ فعْلك. فقال: لذّة الغَلَبَة أنسَتني من هذا ما أحسن.

(٦) وقال ياقوت[١٢١]:

قــرأت بخطّ أبــي سعيد عبد الرحمن بــن علي اليَزْدادي اللغــوي الكاتب في كتاب «جلاء المعرفة»[١٢٢] من تصنيفه:

قيل: اجتمع إبراهيم النّظّــام[١٢٣] وضرارٌ[١٢٤] بين يَدَي الرشيد، فتناظرا في القَــدَر حتى دقّتْ مناظرتهما فلم يفهمها، فقال لبعض الخدم[١٢٥]: اذهبْ بهذين إلــى الكسائي حتى يتناظرا بين يديه ثم يخبرك لِمَن الفلج[١٢٦] منهما، فلما صارا إلــى بعض الطريق قال إبراهيــم لضرار[١٢٧]: أنــت تعلم أنّ الكسائــي لا يُحسن شيئــاً مــن النّظر، وإنما معوَّله على النحو والحساب، ولكــن تهيِّء له مسألة نحوٍ، وأهيِّــئ له مسألة حســاب، فنشغله بهما، لأنَّا لا نأمن أن يسمــع منَّا ما لم يسمعه ولم يبلغــه فهْمُه أن ينسبنــا إلى الزندقة فلما صارا إليه سلَّما عليه، ثم بدأ ضرار فقال: أسألك -أصلحك اللّه- عن مسألة النحو؟ قال: هاتها، قال: ما حدُّ الفاعل والمفعول به؟ قال الكسائي: حدُّ الفاعل الرَّفع أبداً وحدُّ المفعول [به][١٢٨] النصب أبــداً، قــال: فكيف تقول: ضُرب زيدٌ، قال: ضُرب زيد، قــال: فلِمَ رفعت زيداً وقد شرطــت أنَّ المفعــول بــه منصوب أبداً؟ قــال: لأنه لم يسمَّ فاعله، قــال[١٢٩]: فقد أخطــأت في العبــارة إذ لم تقــل: إنَّ من المفعولــين ما[١٣٠] إذا لم يســمَّ فاعله كان مرفوعــاً، ومن جعل لك الحكم بأن تجعل الرفــع لِمَن لم يُسمَّ فاعله؟ قال: لأنَّا إذا لم نذكر الفاعل أقمنا المفعول به مكانه[١٣١]، لأنَّ الفعل الواقع عليه غير مُستحكِم النقصــ و[عــدم][١٣٢] النقص مطابق للرفع، فإذا ذكرنا مــن فعل به وأفصحنا بذلــك نصبناه قال له: فإن كان النقص مطابقــاً للنصب[١٣٣] فمَا لم يسمَّ فاعله أولــى به، لأنَّا إذا قلنا: ضُرب زيدٌ فقد يمكن أن يكون ضَربَه مئة رجل، وإذا قلنا: ضرب عبد اللّه زيداً فلم يضربه إلا رجل واحد، فالذي أمكن أن يضربه مئة رجل أولــى بالنصــب والنقص ممَّن لم يضربه إلا [رجــلٌ][١٣٤] واحد، فوقف الكسائي فلم يدرِ ما يقول.

(٧) ثـم قال له إبراهيم: أسألـك -أصلحك الله- عن مسألة من الحساب؟ قـال: قلْ، قال: كم جذر عشرة؟ قال: اجمع[١٣٥] الحُسَّاب على أنَّه لا جذر لعشرة، قـال: فهـل علم الله جذرها؟ قال: الله تعالى عالم كل شـيء، قال: فما أنكرت أن يكـون الله [تعالـى][١٣٦] إذ علم جذرها ألقاه[١٣٧] على نبـيٍّ من أنبيائه، ثم ألقاه ذلـك النبي إلى صفـيٍّ من أصفيائه، ثم لم يزل ذلك العلـم[١٣٨] ينمي حتى صار علـم جذر عشرة عندي، وأكون أنا أعلم جذرها[١٣٩] ولا تعلمه أنت وتكون مخطئاً فيما قلت.

[فالتفـت الكسائـي إلى الغلام وقال: اذهب بهذين إلـى أمير المؤمنين فقل: إنهمـا زنديقان كافران بالله العظيم. قـال: وكان الخادم لبيباً حصيفاً؛ فأحسن العبارة عنهما، وحسّنَ أمورهما، فأمر لهما بجائزة سنيّة وصرفهما][١٤٠].

(٨) وقال ياقوت[١٤١]:

حدّث المرزباني في أخبار الكسائي ممّا أسنده إلى المغيرة بن محمد عن أبيه قال: لما دخل الكسائي البصرة أوّل دخلة جلس في حلقة يونس[١٤٢] ينتظر خروجه، فسأله ابن أبي عُيَيْنَة عن (أَوْلَق) هل ينصرف أو لا ينصرف؟ فقال: [أولق][١٤٣] أَفْعَل لا ينصرف. فقال ابن أبي عُيَينة: خطأ والله، وخرج يونس فسُئل عن (أَوْلَق) فقـال: تقول: أُلِقَ الرجلُ فهـو مألوق، فثبتت الهمزة، وكذلـك (أرنب) مصروف لأنه فَعْلَل، لأنّك تقول: أرضٌ مُؤَرْنِبَة، فتثبت الهمزة. قال: والمألوقُ المجنون. انتهى

(٩) وفي معجـم ياقـوت[١٤٤]: قال: وحدَّث محمـد بن إسحـاق النَّديم[١٤٥]، قـال[١٤٦]: لمَّا أراد المتـوكل[١٤٧] أن يتخذ المؤدِّبين لولده جعل ذلـك إلى إيتاخ[١٤٨]، كاتبـه، أن يتولـى ذلـك، فبعث إلـى الطُّـوال[١٤٩] والأحمـر[١٥٠] وابن قـادم[١٥١] وأبو عصيـدة[١٥٢] وغيرهم من أدبـاء ذلك العصر، فأحضرهـم مجلسه، وجاء أبـو عصيـدة فقعـد في آخـر الناس، فقال لـه من قرب منـه: لو ارتفعـتَ فقال: بل أجلس حيث انتهى بي المجلس، فلمَّا اجتمعوا قال لهم الكاتب: لو تذاكرتم وقفنا

علـى موضعكم مـن العلم واخترنا، فألقـوا بينهم بيت ابن عنقـاء الفزاري[١٥٣]: [الوافر]

ذريني إنَّما خطئي وصوبي عـلـيَّ وإنَّ مـا أنـفـقـتُ مـالُ

فقالـوا: ارتفـع مـال بإنَّمـا، إذ كانت بمعنـى الذي، ثـم سكتوا، فقـال لهم أبو عصيدة من آخر الناس: هذا الإعراب، فما المعنى؟ فأحجم الناس عن القول، فقيـل له: فما المعنـى؟ قال: أراد ما لَومُـك إيَّاي وإنّما أنفقت مـالاً[١٥٤] ولم أنفق عِرضـاً[١٥٥]؟ فالمـال لا أُلام على إنفاقـه، فجاءه خادم صدر المجلس فأخذ بيده حتى تخطَّى به إلى أعلاه، وقال له: ليس هذا موضعك، فقال: لأَن أكون في مجلس أرتفـع[١٥٦] منـه إلى أعلاه أحبُّ إليَّ من أن أكون في مجلس أحطّ عنه، فاختير هو وابن قادم.

(١٠) وفيه قال[١٥٧]:

قـرأت بخـط عبد السـلام البصري في كتـاب محمد بن أبـي الأزهر، قال: حدثنـي وهـب بن إبراهيم خـال عُبَيْد الله بـن سليمان بن وهب، قـال: كنَّا يوماً بنيسابـور في مجلـس أبـي سعيد أحمـد بن خالـد الضريـر[١٥٨]، وكان أبو سعيد عالمـاً باللغة إذ هجـم علينا مجنون من أهل قُم[١٥٩]، فسقط على جماعة من أهل المجلس، فاضطرب النـاس لسَقطتِه ووثب أبو سعيد لا يشُكُّ أنَّ آفة قد لحقتنا من سقـوط جـدارٍ أو شرود بهيمة، فلمَّا رآه المجنون علـى تلك الحال قال: الحمد للّه رب العالمـين، علـى رِسلِكَ يا شيخ لا تُرَع، آذاني هـؤلاء الصبيان، وأخرجوني عن طبعـي إلى ما لا أستحسنه من غيري، فقال أبـو سعيد: امنعوا عنه عافاكم اللّه، فوثبنـا فشرَّدنـا من كان [يعبث به][١٦٠] ورجعنا، فسكـت ساعة لا يتكلم، إلى أن عدنـا إلى مـا كنَّا فيه من المذاكرة، وابتـدأ بعضنا يقرأ قصيدة مـن شعر نَهْشَل ابن جرير التميمي حتى بلغ قوله[١٦١]: [الطويل]

غلامان خاضا الموت من كل جانب		فآبا ولم تُعقد وراءهما يدُ

متى يلقيا قرناً فلا بد أنه		سيلقاه مكروه من الموت أسودُ

فما استتم هذا البيت حتى قال: قِف يا أيها القارئ، تتجاوز المعنى ولا تسأل عنه؟ ما معنى قوله: (ولم تعقد وراءهما يد)؟ فأمسك مَنْ حضر عن القول، فقال: قل يا شيخ، فإنَّك المنظور إليه والمقتدى به، فقال أبو سعيد: يقول إنهما رميا بأنفسهما في الحرب أقصى مراميها ورجعا موفورين لم يؤسرا فتعقد أيديهما كتفاً، فقال: يا شيخ أترضى لنفسك بهذا الجواب؟ فأنكرنا ذلك على المجنون، فنظر بعضنا إلى بعض، فقال له أبو سعيد: هذا الذي عندنا، فما عندك؟ فقال: المعنى يا شيخ: آبا ولم تعقد يد بمثل فعلها بعدهما، لأنهما فعلا ما لم يفعله أحد، كما قال الشاعر[١٦٢]: [السريع]

قومٌ[١٦٣] إذا عدَّت تميمٌ معاً		ساداتها عدُّوه بالخنصرِ

ألبسه الله ثياب النَّدى		فلم تطل عنه ولم تقصرِ

أي: خُلقت له، وقريب من الأول قوله:[١٦٤] [الرجز]

قومي بنو مذحج من خير الأمم		لا يصعدون قدماً على قدم

يعني أنهم يتقدمون الناس ولا يطؤون على عقب أحد، وهذان فعلا ما لم يفعله[١٦٥] أحد. فلقد رأيت أبا سعيد وقد احمرَّ وجهه واستحيا من أصحابه، ثم غطَّى المجنون رأسه وخرج وهو يقول: يتصدَّرون فيغرُّون الناس من أنفسهم، فقال أبو سعيد بعد خروجه: اطلبوه، فإنِّي أظنُّه إبليس، فطلبناه فلم نظفر به[١٦٦].

[الفصل الثاني][١٦٧]

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزّجّاجي[١٦٨] النّحْوي في كتابه الادّكار بالمسائل الفقهية[١٦٩]:

المسألة الأولى[١٧٠]:

قال: إذا قال الرجلُ لامرأته: (إنْ أعطيتك، إن وعدتُك، إن سألتني [٣ب] فأنت طالقٌ ثلاثاً) فهذه لا تطلق حتى تبدأ بالسؤال ثم يعِدها ثمَّ يعطيها بعد العِدة؛ لأنه ابتدأ بالعطية واشترط لها العِدَة، واشترط للعِدة السؤالَ، فقد جعل شرط كلِّ شيءٍ قبله، فالعدة بعد السؤال، والعطية بعد العدة، وكذلك يقع الترتيب في الحقيقة. وليس ههنا إضمار الفاء لأن جواب كلِّ جزاء[١٧١] قد تقدَّم قبله فصار مثل قولك: "أقوم إن قُمت"، ألا ترى أنه لا يلزمك القيام حتى يقوم مخاطَبُك، وأنَّ الجواب مبدوء به.

وكذلك إن قال لرجلٍ: (إن أعطيتك، إن وعدتك، إن سألتني فعبدي حر)، فليس يُعتق حتى يُبدأ بالسؤال ثمَّ يكون منه العدة، ثم العطية، فإن ابتدأ بالعطية من غير سؤال ولا عِدَة لا يعتق، وكذلك المرأة لا تطلق، وكذلك إن وعده من غير سؤال ثم أعطاه[١٧٢].

المسألة الثانية:

فإن قال لها: (إن سألتني، إن أعطيتك، إن وعدتك فأنت طالق) فهو مضمرٌ للفاء في الجزاء الثاني؛ لأن العطية لا تكون إلا بعد السؤال، كأنه قال: إن سألتني فإن أعطيتك، إن وعدتك فأنت طالق. ولا تضمر الفاء في الجزاء الثالث لأن العِدَة قبل العطية، فهذه أيضاً لا تطلق حتى تسأله ثم يعدها ثم يعطيها، كأنه قال: إن سألتني فإن أعطيتك بعد أن أعدك فأنت طالق. فهي من جهة الطلاق ووقوعه في الترتيب مثل الأولى، إلا أنها في تقدير الفاء وإضمارها تخالفها، فإن أعطاها من غير سؤال لم تطلق، وإن وعدها ولم يعطها لم تطلق، وإن وعدها وأعطاها من غير أن يتقدم سؤال لم تطلق.

وكذلك إذا قال لعبده: (إن سألتني، إن[١٧٣] أعطيتك، إن وعدتك فأنت حر)،

وكذلك تضمر الفاء في الجزاء الثاني[١٧٤]، كأنه قال: إن سألتني فإن أعطيتك إن وعدتك فأنت حر.

المسألة الثالثة:

فإن قال: (إن سألتني، إن وعدتك، إن أعطيتك فأنت طالق)، فهو مضمر للفاء في ذلك كله، لأنه قد أوقع كل شيء في موضعه لأن السؤال يكون ثم العِدَة ثم العطية، فكأنه قال: إن سألتني، فإن وعدتك، فإن أعطيتك فأنت طالق.

وهذه المسائل الثلاث في ترتيب وقوع الطلاق سواء، وفي تقدير العربية مختلفة.

المسألة الرابعة:

فإن قال لها: [إن][١٧٥] أجنبت[١٧٦] إجنابة، فإن اغتسلت في الحمام فأنت طالق، فأجنبَ ثلاث مرات، واغتسلَ مرة في الحمام فإنها تطلق واحدة؛ لأن الاغتسال في الحمام مشترط مع الإجناب فلا يقع الطلاق حتى يقعا معاً.

المسألة الخامسة:

فإن قال: (كلما أجنبت منك إجنابة، فإن مات فلان فأنت طالق) فأجنب ثلاث مرات ومات فلان فإنها تطلق ثلاثًا، لأن موت فلان لا يتردد مع كل إجنابة، والمعنى: أنت طالق إن مات فلان بعدد كل إجنابة أجنبتُ منك.

وكذلك: «إذا سقط الحائط» و«إن قدم زيد» يجري هذا المجرى، لأنه ليس مما يتكرر.

وقد قال بعض الفقهاء في قوله: (كلما أجنبت منك إجنابة، فإن اغتسلت في الحمام فأنت طالق) فأجنب ثلاثاً واغتسل في الحمام مرة واحدة فإنها تطلق ثلاثاً. [٤أ] وجعله بمنزلة الفعل الذي لا يتردد، وهذا غلط، لأن الفعل إذا كان يجوز أن يقع مع شرطه فلا يقع الطلاق حتى يقعا معاً.

المسألة السادسة:

إذا قـال لهـا: (إن كلمتك، وإن دخلت دارك فأنت طالـق) فإنها تطلق بأحد الفعلين لأن المعنى [به][١٧٧]: إن كلمتك فأنت طالق، وإن دخلت دارك فأنت طالق، لأنــه قد كــرر (إن) مرتين، ولا بد لكل واحدة من جــواب لأنهما شرطان. وكذلك إن قــال لها: (إن كلمتك، وإن دخلت دارك فعبــدك حر) فإنه يعتق بأحد الفعلين لما ذكرت لك. وإذا كان ذلك يجب بأحد الفعلين فوجوبه بهما جميعاً إذا وقعا معاً ألزم.

المسألة السابعة:

إذا قال لها: (إن دخلت الدار وكلمتك فأنت طالق) فهذه تطلق بوقوع الفعلين جميعــاً ولا تطلق بأحدهمــا دون الآخر، إن دخل ولم يكلمهــا لم تطلق، وإن كلمها ولم يدخــل لم تطلــق، وإذا جمع بينهما طلقت، ولا يبــالي[١٧٨] بأيهما بدأ بالكلام أم بالدخــول، أي ذلــك بــدأ به وقع الطلاق بعــد أن يجمع بينهمــا؛ لأن المعطوف بالــواو يجــوز أن يقــع آخره أن يكــون عمرو في الرؤيــة قبل زيد، قــال الله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي﴾ [آل عمــران ٣/ ٤٣]. وكذلك إن قال لعبده: (إن دخلت الدار، وكلمــت زيــداً فأنت حر)، فإنه لا يعتق إلا بوقوع الفعلــين جميعاً كيف وقعا لا فرق بينهما[١٧٩] في وقوع الأول قبل الثاني أو الثاني[١٨٠] قبل الأول.

المسألة الثامنة:

إن قــال لها: (إن دخلت الــدار فكلمتك فأنت طالق) [فهذه][١٨١] لا تطلق إلا بوقــوع الفعلين جميعــاً، وتقدم المتقــدم فيهما في الشرط؛ فــلا تطلق حتى يدخل الــدار أولاً ثــم يكلمهما فإن كلمها قبل الدخول لم تطلق، وكذلك العبد لا يعتق لأن المعطوف بالفاء لا يكون إلا بعد الأول وكذلك (ثم)[١٨٢].

المسألة التاسعة:

فإن قال لها: (إن كلمتك أو دخلت دارك فأنت طالق) طلقت بواحد من الفعلين وإن لم يكرر (إن)، فأيهما وقع طلقت؛ لأن (أو) لأحد الشيئين، وهو بمنزلة قولك: «إن كلمتك، وإن دخلت دارك فأنت طالق»، لا فرق بينهما في وقوع الطلاق. وكذلك في العتاق إذا قال: (إن كلمت زيداً أو دخلت الدار فعبدي حر) عتق بواحد منهما. وإن وقع الفعلان وقع الطلاق والعتاق، لأنه إذا وقع بواحد فالاثنان أجدر أن يقع بهما.

المسألة العاشرة:

إذا قال لها: (أنت طالق وإن دخلت الدار) طلقت في وقتها على كل حالٍ، لأن المعنى: أنت طالق إن لم أدخل الدار وإن دخلتها، لأن الواو عاطفة على كلام محذوف، وكذلك إذا قال: (عبدي حر وإن دخلت دارك) عتق على كل حال لأن المعنى: عبدي حر إن لم أدخل دارك وإن دخلتها، وكذلك إذا[١٨٣] قال: (عبدي حر وإن لم أدخل دارك) عتق لوقته[١٨٤] على ما ذكرت لك.

المسألة الحادية عشرة:

فإن قال لها: (أنت طالق إذا دخلت الدار) لم تطلق حتى تدخل الدار. أما (إن) فشرط لا يقع الطلاق إلا بعد وجود ما بعدها، وأما (إذا) فوقت مستقبل، فيه معنى [٤ب] الشرط فكأنه قال: أنت طالق إذا جاء وقت كذا، فهي تطلق وقت دخول الدار، فقد استوت (إن) و(إذا) في هذا الموضع في وقوع الطلاق، ولهما مواضع كثيرة يفترقان فيها في هذا المعنى ستمر بك إن شاء الله تعالى.

المسألة الثانية عشرة:

فإن قال لها: (أنت طالق) أَنْ دخلت الدار -بفتح أنْ- طلقت لوقتها؛ لأن المعنى: أنت طالق من أجل أن دخلت الدار، أو لأن دخلت الدار، فقد صار دخول الدار علة طلاقها، والسبب الذي من أجله طلقها، لا شرطاً لوقوع الطلاق كما

كان في باب (إنْ). وهي تطلق إذا فتح (أنْ) كانت دخلت الدار أو لم تدخل، فإن الطلاق يقع بها في وقته. وكذلك إذا شدد (أنَّ) وفتحها فقال: (أنت طالق أنك دخلت الدار) طلقت لوقتها كانت دخلت الدار أو لم تكن دخلت.

وشرح ذلك أنه لو بلغه أنها دخلت دار زيد ولم تكن دخلتها في الحقيقة فقال لها: أنت طالق ثلاثاً، فقالت له: لم طلَّقتني؟ فقال من أجل أنك دخلت دار زيدٍ، فقالت: إني لم أدخلها قط، وقع الطلاق، ولم يكن ذلك بمانع من وقوعه.

وكذلك لو قال لها: (أنت طالق إن دخلت الدار) -فكسر (إنَّ) وشدَّدها- طلقت، وهذا لم يُخبرها بالعلة التي من أجلها طلَّقها، ولكنَّه طلقها ثم خبَّرها بخبرٍ منقطع من الأوَّل، وكأنه خبَّرها بما ليس مما هما فيه بشيءٍ، فالإخبار به والإمساك عنه سواء، إذ ليس بشرطٍ للطلاق، ولا بعلة له. فهذا الفرق بين كسر (إنَّ) وتشديدها، وبين فتحها وتشديدها، وفتحها وتخفيفها، وكسرها وتخفيفها، فاعلم ذلك.

المسألة الثالثة عشرة:

فإن قال لها: (أنت طالق إذ(١٨٥) دخلت دار زيدٍ) فكأنه قال لها: أنت طالق وقت دخولك دار زيد فيما مضى، وهي في تقدير: أنت طالق أمس، فالطلاق يقع بها وذكرُهُ المضيَّ لغوٌ. وهذا في اللغة كلام متناقضٌ، فقد نقض آخره أوَّلَهُ، اللهم إلا أن يكون قد طلقها يوم دخولها دار زيدٍ، ثم خبَّرها الآن بما كان منه في ذلك الوقت، وإن كانت لم تدخل دار زيد قط، فقال لها: أنت طالقٌ إذ دخلت دار زيد فكأنه قال لها: أنت طالقٌ أمس، ثم كذب عليها بقوله: دخلت دار زيدٍ، فسواءٌ هذا وقوله: (أنت طالقٌ أمس)، و: (أنت طالق إذ دخلت دار زيد). ولو حُمل هذا على حقيقة اللغة كان قوله: (أنت طالق إذ دخلت دار زيد)، و: (أنت طالقٌ أمس) كلاماً مستحيلاً، لأنه متناقض؛ كأنه قال: «طلقتك أمس»، وأما قوله: (أطلِّقُك

أمس) فمحالٌ، لانتقاض أوله بآخره. وأما قوله: (طلقتك أمس)؛ فإن كان قد فعل فقد مضى القول فيه، وإن كان لم يفعل فإنما كذب في إخباره، وباب وقوع الطلاق فيه ما يذهب إليه الفقهاء في ذلك[١٨٦].

المسألة الرابعة عشرة:

إذا قال: (كلما دعوتكَ، فإن أجبتني فعبدي حر)، فدعاه ثلاث مرات وأجابه مرَّة فإنه يعتق واحدٌ من عبيده؛ لأن الإجابة مشترطة مع الدعاء، وهي تتردد [٥أ] فلا يعتق العبد إلا بدعاء معه إجابةٌ. وكذلك إن[١٨٧] قال لامرأته: (كلما ناديتك، فإن أجبتني فأنت طالق تطليقة)، فناداها ثلاث مرات فأجابته مرة طلقت واحدة.

المسألة الخامسة عشرة[١٨٨]:

أنشد الكسائي[١٨٩]: [الطويل]

فإن ترفقي يا هند فالرفق أحزم ... وإن تخرقي يا هند فالخرق أشأمُ[١٩٠]

فأنت طلاق والطلاق عزيمة ... ثلاثاً ومن يخرق أعقُّ وأظلمُ[١٩١]

فبيني بها إن كنت غير رفيقة ... وما لامرئ بعد الثلاث تقدمُ[١٩٢]

أما قوله[١٩٣]: (أنت طالقٌ)[١٩٤]، ففيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدراً موضوعاً موضع اسم الفاعل كما قيل: رجلٌ عدلٌ أي: عادلٌ، ورجلٌ صومٌ أي: صائمٌ، وفطرٌ وزورٌ، أي: مفطرٌ وزائرٌ، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرًا﴾ [الملك ٦٧/ ٣٠]. وقد يقع المصدر في موقع [اسم][١٩٥] المفعول أيضاً كما قيل: "رجلٌ رضىً أي: مرتضيٌّ". فكأنه قال: أنت طالق، فوضع طلاقاً موضع طالق اسم الفاعل كما ترى. وهذه المصادر إذا وُضعت موضع أسماء الفاعلين والمفعولين فإن شئت تركتها [أيضاً][١٩٦] على لفظ واحدٍ مفردٍ في الواحد والاثنين والجمع والمؤنث فتقول: رجلٌ عدلٌ، [ورجلان

عــدلٌ][197] ورجال عدلٌ، ونسوة عدل، وإن شئت ثنيــت وجمعت، فقد قيل: عُدولٌ ومقانــع، أنشدنــا أبــو عبــد الله نفطويــه[198] قــال: أنشدنا أحمد بـن يحيى عن ابن الأعرابي[199]: [الطويل]

طمعتُ بليلى أنْ تُريع وإنما تقطِّع أعناقَ الرجال المطامعُ[200]

وبايعتُ ليلى في خلاءٍ ولم يكن شهودٌ على ليلى عدولٌ مقانعُ

فجمع «عدلاً» و«مقنعاً»، فقال: «عدول»، و«مقانع»، كما ترى.

والوجـه الثـاني في قولـه: (فأنت طالـق) أن يكون حـذف المضـاف، وأقام المضـاف إليه مقامه كما قيل: صلى المسجد، يـراد: صلى أهل المسجد، وكما قال الله عـز وجـل: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف ١٢/٨٢] يريـد أهل القرية، وأصحاب العير؛ فحذف المضاف وأقـام المضاف إليه مقامه. فكذلك أراد: أنت ذات طلاقٍ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

قالت الخنساء[201]: [البسيط]

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار[202]

أي: ذات إقبال وإدبار. وقد يجوز أن يكون جعلُها الإقبالَ والإدبارَ لكثرة ذلك منها مجازاً واتساعاً، وأنشد سيبويه: [المتقارب]

وكيف أواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب[203]

يريد: كخلالة أبي مرحب، والخلالة الصداقة.

وأما قوله: (والطلاق عزيمة ثلاثاً): فإنه إذا نصب الثلاث فكأنه قال: فأنت طالق [ثلاثـاً][204]، فوقع بهما الطـلاق الثلاث[205]، ويكون قولـه «والطلاق...» عزيمة مني جداً غير لغو[206].

وإذا قـــال: فــأنــت طــلاق والـــــطـــــلاق عـــزيـمـــة ثـــلاثُ

برفـع «ثلاث» فكأنه قال: أنت طالـقٌ، ثم قال(٢٠٧): والطلاق عزيمةٌ ثلاثٌ أي الطـلاق ثلاثٌ، أي: الذي بمثله يقع الفراق هو الثلاث فيكون (ثلاث) خبراً ثانياً عن الطلاق أو موضحاً للعزيمة(٢٠٨).

وإن شـاء كان تقديـره: «فأنت طالقٌ ثلاثاً»، ثم فسـر ذلك بقوله: (والطلاق عزيمـة ثلاث)، كأنه قال: والطـلاق الذي ذكرته أو نويته عزيمـة ثلاثٌ؛ ففسره بهذا. ودليل هذا: إذا نوى الثلاث، ودليل قصد(٢٠٩) الثلاث، وقوله في البيت الذي بعده: (فبيني بها)، فهذا يدل على أنه أراد الثلاث والبينونة.

ويجوز [٥ب] نصب (عزيمة) إذا رفع الثلاث فقال: «والطلاق عزيمةً ثلاثٌ» فينتصـب على إضمار فعلٍ، كأنه قـال: والطلاق ثلاثٌ أعزم ذلك عزيمةً، ويجوز أن يكـون تقدير قوله: «والطـلاق إذا كان عزيمةً ثلاثٌ» كما تقول: عبد الله راكباً أحسن منه ماشياً، وكما تقول: هذا بُسراً أطيب منه رطباً(٢١٠).

وأمـا قوله: (ومـن يخرقْ أعقُّ وأظلـم) فمن كلام الشعـر لا يجوز في منثور الكلام(٢١١). انتهى(٢١٢).

الفصل الثالث(٢١٣)

قال ابن هشام(٢١٤):

سئلـت عن الفرق بين قولنا: «واللّه لا كلمت زيداً، ولا عمراً، ولا بكراً» بتكرار (لا) وبـدون تكرارها، حتى قيل: إن الـكلام مع التكرار أيمانٌ في كل منها كفارة، وأنه بدون التكرار يمين، في مجموعها كفارة.

والجـواب: أن بينهمـا فرقـاً ينبنـي على قاعدة، وهـي أن الاسمـين المتفقَي الإعـراب المتوسط بينهما واو العطف تارةً يتعـيَّن كونهما متعاطفين، وتارة يمتنع

ذلك، ويجب تقديرٌ مع الباقي، ويكون العطف من باب عطف الجمل؛ وتارة يجوز الأمران.

فالأول[٢١٥] نحو: «اختصم زيد وعمرو»، واصطلح زيد وعمرو» و«جلست بين زيد وعمرو» و«هذان زيد وعمرو»؛ وذلك لأن الاختصام والإصلاح [هـ-٩٣] والبينية والمبتدأ الدال على متعدد، لا يكتفي بالاسم المفرد.

والثاني[٢١٦] نحو: «قامت هند وزيد»، وقوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة ٢/٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ [المائدة ٥/٢٤]، ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ [طه ٢٠/٤٢]، ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ﴾ [البقرة ٢/٣٥]، ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ﴾ [طه ٢٠/٥٨].

فهذه ونحوها يتعين فيها إضمار العامل، أي: ولا يأخذه نومٌ، وليذهب ربك، وليذهب أخوك، وليسكن زوجك، وكذلك التقدير: ولا تخلفه، ثم حذف الفعل وحده فبرز الضمير وانفصل. ولولا ذلك[٢١٧] لزم إعمال فعل الأمر والفعل المضارع ذي النون في الاسم الظاهر أو الضمير المنفصل، وإسناد الفعل المؤنث إلى الاسم المذكر. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [الحشر ٥٩/٩]، وقوله الشاعر[٢١٨]: [الوافر]

.... وزججن الحواجب والعيونا[٢١٩]

وقول الآخر[٢٢٠]: [الرجز]

علفتها تبناً وماء بارداً

وقوله[٢٢٢]: [م.الكامل]

... . متقلداً سيفاً ورمحاً والعيونا[٢٢٣]

أي: والفوا الإيمان، أو وأحبوا الإيمان، وكحلن العيون، وسقيتها ماء، وحاملاً

رمحاً. ومن ذلك قولهم: «ما جاءني زيد ولا عمرو؟» أي: ولا جاءني عمرو؛ لأن حرف النفي لا يدخل على المفردات؛ لأن الذي يُنفى إنما هو النسبة. وكذلك القول في حرف الاستفهام إذا قيل: «أجاءك زيد أو عمرو» -بتحريك الواو- تقديره: أو جاءك عمرو.

فإن قلتَ: ما ذكرته في النافي منتقض بقولهم: «جئت بلا زاد»، وما ذكرته في الاستفهام منتقض بقوله تعالى: ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات ١٦/٣٧][٢٢٤]،[٢٢٥]، قاله الزمخشري.

قلتُ: أما هذا الإعراب فمردود، والصواب أن (آباؤنا) مبتدأ، وخبره محذوف مدلولٌ عليه بقوله تعالى: ﴿لمبعوثون﴾ كما أنها في قراءة من سكَّن الواو كذلك[٢٢٦].

وأما المثال المذكور فأصله: ما جئت بزادٍ، ولكنهم عدلوا عن ذلك لاحتماله خلاف[٢٢٧] المراد، وهو نفي المجيء البتة، فإن من لم يجِئ يصدق عليه أنه لم يجئ بزادٍ، فلذلك أدخلوا (لا) على مصبِّ النفي، ومن ثم سماها النحويون: مقحمة، أي داخلة في موضعٍ ليس [٦أ] لها بالأصالة.

فإن قلتَ: فلم يقولون: «ما جاءني زيد ولا عمرو» حتى احتيج إلى إضمار العامل؟

قلتُ: إنما يقولونه إذا أرادوا الدلالة على نفي الفعل عن كل منهما بصفتي الاجتماع والافتراق، إذ لو لم يكرروا الثاني احتمل إرادة نفي اجتماعهما، ونفي كل منهما.

فإن قلتَ: فهلا أجازوا في الاستفهام «هل جاءك زيدٌ وهل عمرو؟» إذا أرادوا التنصيص على الاستفهام عن مجيء كل منهما، ورفع احتمال الاستفهام عن اجتماعهما في المجيء في وقت؟

قلتُ: لئلا تقع أداة الصدر حشواً.

فإن قلتَ: قُدِّرَ العاملُ، وقد صار ذو الصدر صدراً.

قلت: نعم، لكن تبقى صورة اللفظ حينئـذٍ قبيحةً، إذ الأداةُ داخلةٌ في اللفظ في حشو الكلام، وهم معتنون بإصلاح الألفاظ كما يعتنون بإصلاح المعاني.

والثالث(٢٢٨) نحو: «قام زيد وعمرو».

فإن قلتَ: فهل نص أحدٌ على جواز الوجهين في ذلك؛ على وجوب تقدير العامل مع تكرار النافي؟

قلتُ: أما مسألة تكرار النافي، فقد أوضحتُ بالدليل السابق وجوب تقدير العامل فيها. وأما ما أجزت فيه الوجهين فلا سبيل إلى دفع الإمكان فيه، على أنني قد(٢٢٩) وقفت في كلام جماعة على ذلك، قال بعض المحققين:

«اعلم أن الواو ضربان: جامعة للاسمين في عامل واحد، ونائبة مناب التثنية، حتى يكون قولك: «قام زيد وعمرو» بمنزلة «قام هذان»، ومضمر(٢٣٠) بعدها العامل، وينبني عليها مسائل:

أحدها: «قام زيد وهندٌ» بترك تأنيث الفعل، فهذا جائزٌ على الوجه الأول دون الثاني؛ لأنا نقول على الأول: غلَّبنا المذكر، ولا يقال ذلك على الثاني؛ لأن الاسمين لم يجتمعا(٢٣١).

الثانية: «اشترك زيدٌ وعمروٌ».

الثالثة: «زيد قام عمروٌ وأبوه». وهاتان(٢٣٢) جائزتان على التقدير الأول دون الثاني.

الرابعة: النفي، فنقول على الأول: «ما قام زيد وعمروٌ»(٢٣٣) فيفيد النفي، كما تقول: ما قام هذان. وتقول على الثاني: ما قام زيدٌ ولا عمروٌ(٢٣٤)، فيفيده

كمـا تقول: «ما قام زيـدٌ ولا قام عمروٌ» انتهى. وهو كلام حسـنٌ بديعٌ، وقد أورده أبو حيان[٢٣٥] في الارتشاف وهو كالمنكر له للطفه وغرابته.

وقـال الزمخشري في تفسير قولـه تعالـى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحـزاب ٣٣/٣٦]: «فـإن قلـتَ: كان من حـق الضمـير أن يوحَّد كما تقول: ما جاءني من رجـل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا وكذا.

قلـتُ: نعم، لكنهما وقعـا تحت النفي فعمّا كل مؤمن ومؤمنة، فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ»[٢٣٦]. انتهى.

وقـد أشكل هذا الـكلام على بعضهم فاعترضه؛ وذلـك لأن النحويين نصُّوا علـى: أنَّ الضمـير [بعد الـواو][٢٣٧] -لكونهـا موضوعة للجمع- يكـون[٢٣٨] على حسب المتعاطفـين، تقول «زيدٌ وعمرو أكرمتهما»، ويمتنع (أكرمته)، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾، وأن[٢٣٩] الضمير بعد (أو) -لكونها موضوعـة لأحد الشيئـين أو الأشياء -يكـون على حسب أحـد المتعاطفين، تقول: «زيـداً أو عمراً أكرمـه»، ولا تقـول: (أكرمهما)، وأجابوا عن قولـه تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا [٦ب] فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء ٤/١٣٥].

فلمـا رأى هـذا المعترض هـذه القاعدة أشـكل عليه قـول الزمخشري: كان مـن حق الضمير أن يوحـد؛ لأن العطف فيهما بالواو، وسـؤال الزمخشري، على مـا قدمت تقريره، أن الكلام مع النـافي جملتان لا جملة، والواو إنما تكون للجمع إذا عطفـت[٢٤٠] مفـرداً على مفرد، لا إذا عطفت جملة على جملة، ومن ثم منعوا أن يقـال: «هذان يقوم ويقعـد»، وأجازوا: «هذان قائمٌ وقاعـدٌ»؛ لأن الواو جمعت بينهما وصيرتهما كالكلمة الواحدة المثناة التي يصح الإخبار بها عن الاثنين.

وقال سيبويه[٢٤١] -رحمه الله-: «إذا قيل: «رأيت زيداً وعمراً» ثم أدخل حرف

النفـي فإن كانت الرؤية واحدة قلتَ: «مـا رأيت زيداً وعمراً»، وإن كنت قد مررت بـكل منها على حدة قلتَ: «ما مررت بزيدٍ ولا مـررت بعمرٍو»، وهذا معنى ما نقل عنـه ابن عصفور في شرح الجمل. فأوجـب تكرار النافي عند تكرار الفعل، ولكنه صـرَّح بالفعل مـع النافي، وقد بينا أن تكرار النافي كافٍ لأنـه مستلزمٌ تكريرَ[٢٤٢] الفعل.

إذا تقرر هذا فنقول:

إذا كـرر الحالـف النافي فهي أيمانٌ لما بينا مـن أن تكرار (لا) يؤذن بتكرار [الفعـل][٢٤٣] وصار قولـه: «والله لا كلمت زيداً ولا عمراً ولا بكـراً» بمنزلة قوله: «والله لا كلمت زيداً ، ولا ما شيت عمراً، ولا رأيت بكراً».

وهـذه أيمـان قطعاً، يجـب في كل منهـا كفارة، فكذلـك في المثـال المذكور، لا يفترقـان[٢٤٤] إلا فيمـا يرجـع إلى التصريـح والتقدير، وكـون الأفعال متَّحدة المعنى أو متعددة، وكلا الأمرين لا أثر له.

وإذا لم يكـرر النـافي فالكلام محتمل لليمـين والأيمان بناء علـى نية الفعل وعدمهـا، وإنما حكموا بأنها يمـين واحدة بناء على الظاهر، كما أنهم لم يحكموا باتحاد اليمين مع تكرار (لا)، مع احتمالها للزيادة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ بعـد قوله سبحانه وتعالـى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ [فاطـر٣٥/١٩-٢٠] لأنه خلاف الظاهر[٢٤٥]. نعم، إن قصد المتكلم بقولـه: «والله لا كلمـت زيداً وعمراً» معنى: ولا كلمت عمراً، فهو يمينان؛ لأنّ ذلك أحـد محتملي الكلام، وقد نـواه؛ وإن قصد بقوله: «لا كلمت زيداً ولا عمراً» معنى «لا كلمت زيداً وعمراً» الذي لم يضمر فيه الفعل، وقدر (لا) زائدة فيمينٌ واحدة، لا يلزمـه في نفس الأمر إلا كفارة واحدة إن كان قد يلزم في الحكم بخلاف ذلك، بناء على ظاهر لفظه.

وقد يقال بامتناع هذا الوجه بناءً على أن (لا) إنما تزاد إذا كان في اللفظ ما يشعر بذلك كقرينة قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي﴾ فإن الاستواء لا يعقل منسوباً إلى واحدٍ، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف ١٢/٧] فإن من المعلوم أن التوبيخ على امتناعه من السجود، لا على امتناعه من نفي السجود؛ لأنه إذا امتنع من نفيه كان مثبتاً له. فأما المثال المذكور(٢٤٦) فلا دليل فيه على ذلك، فلا تكون (لا) فيه إلا نافية، اللّه أعلم. انتهى

وقال(٢٤٧) الكسائي لمحمد بن الحسن في مجلس الرشيد: من تبحّر في [١٧أ] علم العربية تهدّى(٢٤٨) إلى جميع العلوم. فقال له محمد بن الحسن: ما تقول فيمن سها في سجود السّهْو، هل يسجد مرةً أخرى؟ فقال الكسائي: لا. قال: لمَ ذا؟ قال: لأنّ النُّحاةَ قالوا(٢٤٩): المصغّر لا يُصَغّر(٢٥٠). يعني مثل الثُّريا والكُمَيْت؛ لأنهما تصغير ثَرْوَى وأكْمت، فقال له محمد بن الحسن: ما تقول في تعليق الطلاق؟ قال: لا يصحُّ. قال: لمَ؟ قال: لأنّ السَّيْلَ لا يسبق المطر(٢٥١).

المصادر والمراجع

- الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي. تحقيق إبراهيم عبدالله (الجزء الثالث) وأحمد مختار الشريف (الجزء الرابع). مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. وطبعة أخرى بتحقيق د.عبدالعال سالم مكرم. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان التوحيدي. تحقيق د. رجب عثمان محمد. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- الأعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٠م.
- إعلام الورى: محمد بن طولون الصالحي الدمشقي. تحقيق محمد أحمد دهمان. دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- أمــالي الزجاجي: أبو القاسـم عبد الرحمن بن إسحــاق الزجاجي. تحقيق عبد السلام هارون. دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- أمــالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي. تحقيــق د. محمــود الطناحي. مكتبــة الخانجي، القاهــرة، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- أمالي القالي: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم.
- إنبــاه الــرواة علــى أنباه النحــاة: جمال الديــن أبو الحسن علــي بن يوسف القفطــي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيــم. دار الفكر العربي، القاهرة - مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- الإنصــاف في مسائــل الخــلاف بــين النحويــين البصريــين والكوفيــين: عبدالرحمــن بن محمد الأنباري. تحقيق محمــد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكــر، بيروت، لاط، لات، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٧٩م.
- بغيــة الوعــاة في طبقات اللغويين والنحــاة: جلال الديــن السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- تاج العروس مــن جواهر القاموس: السيد محمــد مرتضى الزبيدي. مكتبة الحياة، بيروت، لاط، لات.
- تاريــخ بغداد: الخطيب البغدادي (أحمد بن علي). دار الفكر، بيروت، لاط، لات.
- تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني، استناداً إلى مخطوطات نادرة وإعادة جمــع الصفحات الضائعة من كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لابن طولــون الصالحي الدمشقي :دراسة وتحقيــق د.أحمد إيبش. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث،ط١ ،١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

- تحفة الطالبين في إعراب: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾: ابن طولون الصالحي. تحقيق د. زيان أحمد الحاج إبراهيم. مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، المجلد السابع عشر، العدد الرابع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- تجربتي في تحقيق المخطوطات، أنموذجاً: ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر لابن طولون: د.ندى عبد الرزاق الجيلاوي. مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث والستون، الجزء الرابع (ص ٦٩-١٤٢).
- تحليل موارد ابن طولون في كتابه قضاة دمشق: د.فاطمة زبار عنيزان، مجلة ديالى، العدد الرابع والخمسون، ٢٠١٢م.
- التذكرة الفخرية: الصاحب بهاء الدين المنشئ الإربلي. تحقيق د. حاتم صالح الضامن. دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- جامع الشروح والحواشي: عبدالله محمد الحبشي. الجمع الثقافي، أبوظبي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- جمهرة اللغة: ابن دريد محمد بن الحسن. تحقيق رمزي منير البعلبكي. دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق وشرح عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة ط٣، ١٩٨٩م.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق محمد علي النجار. دار الكتاب العربي، بيروت، لاط، لات.
- الدرر اللوامع على همع الهوامع: أحمد أمين الشنقيطي. تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- ديوان البعيث (شعر البعيث المجاشعي). جمع وتحقيق د. عدنان محمد أحمد اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.
- ديوان الخنساء تماضر بن عمرو. تحقيق أنور أبو سويلم. دار عمار للنشر، عمان، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

- ديــوان الراعي النميري. جمعه وحققه راينهرت فاييرت. دار فرانتس شتايز بفيسبادن، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- ديــوان عبدالله بن الزبعرى (شعر عبدالله بــن الزبعرى). تحقيق د. يحيى الجبوري. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- ديوان علقمــة بن عبدة الفحل. تحقيق لطفي الصقــال ودرية الخطيب: دار الكتاب العربي، حلب، ط١، ١٩٦٩م.
- ديــوان قيس بــن ذريح: قيــس ولبنى. تحقيق حســين نصــار. مكتبة مصر، القاهرة، لاط، لات.
- ديــوان مجنون ليلى. جمعه وحققــه عبد الستار أحمد فــراج. مكتبة مصر، القاهرة، لاط، لات.
- ديوان المعــاني: أبو هلال العسكري. تحقيق د. النبــوي عبد الواحد شعلان. مؤسسة العلياء للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
- ديــوان النابغة الجعدي (شعر النابغة الجعــدي). تحقيق عبد العزيز رباح. المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٦٤م.
- الروض العاطر فيما تيسر من أخبار القرن السابع إلى ختام القرن العاشر: شــرف الدين موسى بن يوسف الأنصاري .مخطوطة مكتبة الدولة في برلين بخط المؤلف برقم ٩٨٨٦ .
- سمــط اللآلي في شرح أمالي القالي: أبو عبيــد البكري. تحقيق عبد العزيز الميمني. دار الحديث، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- شرح أبيات مغني اللبيب: عبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق. دار المأمون للتراث، دمشق، ط.
- شــرح اختيــارات المفضل: الخطيب التبريــزي يحيى بن علــي. تحقيق فخر الدين قباوة. دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

- شرح التصريح: خالد الأزهري. تحقيق محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الإشبيلي. تحقيق فواز الشعار. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- شرح ديوان الحماسة: أحمد بن محمد المرزوقي. تحقيق عبد السلام هارون. مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م.
- شرح شواهد مغني اللبيب: جلال الدين السيوطي. دار مكتبة الحياة، بيروت، لاط، لات.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري. تحقيق د. السيد محمد يوسف. مجمع اللغة العربية بدمشق، لاط، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- شرح المفصل: ابن يعيش. عالم الكتب، بيروت، لاط، لات.
- شرح ابن الناظم. تحقيق محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- طبقات النحويين واللغويين: أبو بكر محمد بن الحسن الزَّبيدي الأندلسي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف، القاهرة، ط٢.
- فص الخواتم فيما قيل في الولائم: (ابن طولون) محمد بن علي الصالحي. تحقيق نزار أباظة. دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الفلك المشحون في أحوال ابن طولون: (ابن طولون) محمد بن علي الصالحي. تحقيق محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود /١٣ النحو .
- الفهرست (النديم): محمد بن إسحاق. دار المعرفة، بيروت، لاط، لات.

- القلائـد الجوهريـة في تاريـخ الصالحيـة: (ابـن طولون) محمـد بن علي الصالحـي. تحقيق محمد بـن أحمد دهمان. مجمع اللغـة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
- كتـاب سيبويه: سيبويه عمرو بن عثمـان. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- الكشـاف: جـار الله محمود بن عمر الزمخشري. خـرج أحاديثه وعلّق عليه خليل مأمون شيحا. دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: نجم الدين محمد بن محمد الغزي وضـع حواشيه خليل المنصـور. دار الكتب العلمية، بـيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- لسان العرب: (ابن منظور) محمد بن مكرم. دار صادر، بيروت، لاط، لات.
- متعة الأذهان من التمتع بالإقران: محمد شمس الدين ابن طولون الصالحي ويوسف الشيباني الموصلي. دار صادر، بيروت، لاط، لات.
- مجالـس العلماء: عبـد الرحمن بن إسحاق الزجاجـي. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- مسالك الأبصـار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العمري. تحقيق كامل سليمان الجبوري. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- معجم الأدباء: ياقوت الحموي الرومي. تحقيق د. إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي الرومي. دار صادر، بيروت، لاط، لات.
- معجـم القراءات القرآنية: أحمـد مختار عمر وعبد العال حالم مكرم. عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.

- مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، لاط، ١٩٨٧م.
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان: ابن طولون الصالحي. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـم ١٩٩٨م.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: بدر الدين محمود بن أحمد العيني. تحقيق محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- مقاييس اللغة: ابن فارس. تحقيق عبد السلام هارون. دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. يوسف بن تغري بردي. دار الكتب المصرية، لاط، لات.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري. تحقيق د. إبراهيم السامرائي. مكتبة الأندلس، بغداد، ط٢، ١٩٧٠م.
- نَكْت الهِمْيان في نُكَت العُمْيان: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. تحقيق أحمد زكي. المطبعة الجمالية بمصر بحارة الروم. لاط، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.
- النوادر في اللغة: أبو زيد سعيد بن أوس. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.
- نور القبس المختصر من المقتبس: اختصار يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري. تحقيق رودلف زلهايم. دار فرانتس شتاينر بفيسبادن، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٣٢٧هـ.

- هديــة العارفــين: إسماعيل بن محمد أمين البغــدادي. مكتبة المثنى، بغداد. لاط، لات.
- الوافي بالوفيــات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفــدي. دار فرانزشتاينر بفيسبادن.
- وفيــات الأعيان وأنباء أبنــاء الزمان: ابن خلطان أحمــد بن محمد. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت، لاط، لات.

الهوامش

(١) الفلك المشحون ص٢٧.

(٢) المصدر السابق ص ٣٣.

(٣) متعة الأذهان ص٨٤٣.

(٤) المصدر السابق ص٥٠١.

(٥) الفلك المشحون ص٢٧.

(٦) الفلك المشحون ص٢٨.

(٧) متعة الأذهان ص٢٦٤.

(٨) الفلك المشحون ص٢٧.

(٩) المصدر السابق ص١٦١.

(١٠) المصــدر السابق صــ٢٨. ووهم د. أحمد إيبشــ حين حسب برهان الدين بــن قنديل أخاً للعلامة ابــن طولــون من جهة أمه، وأن أمه كان لها زوج آخر قبــل أبيه. انظر: تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني ص٦١.

(١١) ذكره ابن طولون في مفاكهة الخلان ص٣٢٢.

(١٢) متعة الأذهان ص٢٦٤.

(١٣) المصدر السابق ص٥٠١.

(١٤) الفلك المشحون ص٢٧.

(١٥) مفاكهة الخلان ص٣٢٤.

(١٦) تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني ص١١٧. وفي مفاكهة الخلان ص٤١٣: (سافر نقيب الجيش العلاء بن طالوا وصهره شيخ الحنفية عمي جمال الدين بن طولون...).

(١٧) تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني ص١٩٢، ٢٣٨.

(١٨) المصدر السابق ص٢٣٧، والكواكب السائرة ٢/٢٥٧، ومتعة الأذهان ص٨٤٧.

(١٩) متعة الأذهان ص٢٨٢.

(٢٠) المصدر السابق ص٤٢٥.

(٢١) المصدر السابق ص٨٧.

(٢٢) المصدر السابق ص٤٩٢.

(٢٣) المصدر السابق ص٨٧٦.

(٢٤) الفلك المشحون ص٢٨.

(٢٥) المصدر السابق ص٢٨.

(٢٦) المصدر السابق ص٥٣.

(٣٧) المصدر السابق ص٥٢.

(٢٨) المصدر السابق ص٤٤.

(٢٩) المصدر السابق ص٧٩، رقم ٨٩.

(٣٠) المصدر السابق ص٩٩، رقم ٢٩٩.

(٣١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي (٨٤٩- ٩١١هـ/ ١٤٤٥- ١٥٠٥هـم): إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف. ولد في القاهرة، وتوفي فيها. من كتبه: الأشباه والنظائر، والإتقان في علوم القرآن، والاقتراح، وغيرها. الأعلام ٣/٣٠١.

(٣٢) جامع الشروح والحواشي ١/٢١١.

(٣٣) عثمان بن عمر بن أبي بكر، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب (٥٧٠-٦٤٦هـ/ ١١٧٤- ١٢٤٩م)، فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. نشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية. من تصانيفه الكافية، والشافية، وجامع الأمهات في فقه المالكية، وغيرها. الأعلام ٤/٢١١

(٣٤) انظر جامع الشروح والحواشي ٢/١٤١٥- ١٤٤١.

(٣٥) محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م): عالم بالعربية، من أهل أستراباذ من أعمال طبرستان. من كتبه: شرح الكافية، وشرح الشافية. الأعلام ٦/٨٦.

(٣٦) جامع الشروح والحواشي ٢/١٤١٧.

(٣٧) الفلك المشحون ص٩٩، رقم ٣٠٠.

(٣٨) عبـد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي (٨١٧- ٨٩٨هـ/ ١٤١٤- ١٤٩٢م): مفسر، فاضل. ولد في جـام، وانتقل إلى هـراة، وتفقه، وصحب مشايخ الصوفية. من كتبـه: تفسير القرآن، والفوائد الضيائيـة؛ وهمشـ رحمه الله علـى كافية ابن الحاجـب، وشرح فصوص الحكـم لابن، وغيرها. الأعلام ٣/٢٩٦.

(٣٩) عبـد الغفـور بن صلاح اللاري (ت٩١٢هـ/١٥٠٧م)، أديب، نحـوي. كان تلميذاً للملا جامي. من كتبه: حاشية على الفوائد الضيائية، وحاشية على رسالة القوشجي في البلاغة. الأعلام ٤/٣٢.

(٤٠) الفلك المشحون ص٩٩، رقم ٣٠٧.

(٤١) محمـد بن عبد الله، ابـن مالك الطائي الجيّاني (٦٠٠- ٩٧٢هـ/ ١٢٠٣- ١٢٧٤م)، أحد الأئمة في علـوم العربيـة. ولد في جيّان بالأندلـس، وانتقل إلى دمشق، أشهر كتبـه الألفية في النحو، وله: التسهيل، وشرح التسهيل، والكافية الشافية. الأعلام ٦/٢٣٣.

(٤٢) الفلك المشحون ص١١١، رقم ٤١٠.

(٤٣) ابـن هشـام: عبـد الله بن يوسف بـن أحمد، جمال الديـن، ابن هشـام (٧٠٨- ٧٦١هـ/ ١٣٠٩- ١٣٦٠م): مـن أئمة العربية. مـولاه ووفاته بمصر من كتبه: مغني اللبيـب، وشذور الذهب، وقطر الندى، وغيرها. الأعلام ٤/١٤٧.

(٤٤) الفلك المشحون ص١١١، رقم ٤١١.

(٤٥) فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود/١٣- النحو، ص١٨٣.

(٤٦) الفلك المشحون ص١٢٦، رقم ٥٥٩.

(٤٧) المصدر السابق ص١٣٦، رقم ٦٥٦.

(٤٨) المصدر السابق ص١٣٤، رقم ٦٢٩.

(٤٩) المصدر السابق ص١٣٨، رقم ٦٩٣.

(٥٠) المصدر السابق ص١٠٦، رقم ٣٦١.

(٥١) المصدر السابق ص٨٨، رقم ١٧٤.

(٥٢) المصدر السابق ص١٠٨، رقم ٣٨٦.

(٥٣) المصدر السابق ص١٣٠، رقم ٥٨٧.

(٥٤) المصدر السابق ص٨٦، رقم ١٥١.

(٥٥) المصدر السابق ص٨٨، رقم ١٧٥.

(٥٦) المصدر السابق ص١٣٠، رقم ٥٨٨.

(٥٧) المصدر السابق ص١٣٩، رقم ٧٠٤.

(٥٨) المصدر السابق ص١٥٤.

(٥٩) المصدر السابق ص١٥.

(٦٠) انظر: تجربتي في تحقيق المخطوطات ص١٠٦- ١٠٧.

(٦١) الفلك المشحون ص٣٥.

(٦٢) المصدر السابق ص٢٩.

(٦٣) المصدر السابق ص٥٣.

(٦٤) المصدر السابق ص٥٤.

(٦٥) من بَدّح إذا باح، وبدح السحاب: أمطر.

(٦٦) الفلك المشحون ص١٥٤.

(٦٧) قس بن ساعدة الإيادي: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية. توفي نحو ٢٣ ق.هـ. الأعلام ٦/٣٩.

(٦٨) صعصعة بن صوحان العبدي: من سادات عبد القيس، من أهل الكوفة. كان خطيباً بليغاً عاقلاً. شهد صفين مع علي رضي الله عنه. توفي نحو ٦٠هـ. الأعلام ٣/٢٩٤.

(٦٩) الروض العاطر ٢٣٥ب.

(٧٠) الكواكب السائرة ٢/٥١.

(٧١) الروض العاطر ٢٣٦أ.

(٧٢) المصدر السابق ٢٣٧ أ.

(٧٣) هو محمد بن محمد بن عبد السلام بن أحمد أبو الفتح المالكي الربعي التونسي (٩٠١هـم ٩٧٥هـ) كان فقيهاً أصولياً، يفتي الناس على مذهبه، وله باع طويل في الأدب ونقد الشعر. وكان يتعاطى الخمر والأفيون والاختلاط بالغلمان. الكواكب السائرة ٣/١٩- ٢١، وشذرات الذهب ١٠/٥٥٦- ٥٥٧.

(٧٤) الكواكب السائرة ٣/١٩- ٢٠.

(٧٥) المصدر السابق ٣/١٩.

(٧٦) المصدر السابق ٣/٢١.

(٧٧) الروض العاطر ٢٣٧ب.

(٧٨) الكواكب السائرة ٣/٢٠.

(٧٩) المصدر السابق ٢/٥٣.

(٨٠) الفلك المشحون ص٧٩، رقم تسلسل الكتاب فيه ٨٩.

(٨١) ياقـوت بـن عبدالله الرومي الحمـوي، أبو عبدالله (٥٧٤- ٦٢٦هـ = ١١٧٨- ١٢٢٩م): من أئمة الجغرافيـين، ومـن العلماء باللغـة والأدب. أصلـه من الروم. مـن كتبه: معجم الأدبـاء، ومعجم الشعراء، ومعجم البلدان. (الأعلام ٨/١٣١).

(٨٢) معجـم الأدباء ٤/١٧٤١، وانظر الخبر في مجالس العلماء صـ١٩٦، وطبقات النحويين واللغويين ص١٢٧، ونور القبس ص٢٨٥، وإنباه الرواة ٢/٢٦٠، والأشباه والنظائر ٣/٥٣٤.

(٨٣) المرزبـاني: محمد بن عمران بن موسى، أبو عبيد الله المرزباني (٢٩٧- ٣٨٤هـ = ٩١٠- ٩٩٤م): إخباري مؤرخ أديب. أصله من خراسان، ومولده ووفاته ببغداد. من كتبه: معجم الشعراء، والموشح (الأعلام ٦/٣١٩).

(٨٤) في معجـم الأدبـاء ٤/١٧٤١: (فيمـا رفعه إلى الأحمـر)، وهذا الأصح، لأن بـين وفاتيهما حوالي مائتي سنة.

(٨٥) الأحمـر النحوي: علـي بن الحسن (أو المبارك) المعروف بالأحمر (... - ١٩٤هـ = ... - ٨١٠م): مـؤدب المأمـون العباسـي، وشيخ النحـاة في عصره. أخـذ العربية عن الكسائي، مـن كتبه: تفنن البلغاء، والتصريف. (الأعلام ٤/٢٧١).

(٨٦) أبـو يوسف القاضي: يعقوب بن إبراهيـم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي (١١٣- ١٨٢هـ = ٧٣١- ٧٩٨م): صاحـب الإمام أبـي حنيفة، وتلميذه. وهو أول من دعـي قاضي القضاة، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه. من كتبه: الخراج، والآثار. (الأعلام ٨/١٩٣).

(٨٧) محمـد بـن الحسن بن فرقد، من مـوالي بني شيبان (١٣١- ١٨٩هـ = ٧٤٨- ٨٠٤م): إمام ولاه الرشيـد قضـاء الرقة ثم عزله. من كتبـه: المبسوط، الجامع الكبير، الجامـع الصغير. (الأعلام ٦/٨٠).

(٨٨) هـارون الرشيد بن محمد الهادي بـن المنصور العباسي (١٤٩- ١٩٣هـ = ٧٦٦- ٨٠٩م). خامس الخلفاء العباسيين وأشهرهم. كان عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه. (الأعلام ٨/٦٢).

(٨٩) الكسائـي: علـي بـن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء (... - ١٨٩هـ = ... - ٨٠٥٨م): إمام في اللغـة والنحـو والقراءة. وهو مـؤدب هارون الرشيد وابنـه الأمين. من كتبـه: المتشابه في القرآن، ومعاني القرآن، والقراءات. (الأعلام ٤/٢٨٣).

(٩٠) في معجم الأدباء: (فقال محمد بن الحسن أو أبو يوسف).

(٩١) في معجم الأدباء: (والفقه إذا عرف الرجل منه جملة صار قاضياً).

(٩٢) إضافة من معجم الأدباء.

(٩٣) معجم الأدباء ٤/١٧٤١، وانظر الخبر في النور القبس ص٢٨٥- ٢٨٦، والأشباه والنظائر ٣/٥٣٥.

(٩٤) إضافة من معجم الأدباء.

(٩٥) إضافة من معجم الأدباء.

(٩٦) في الأصل: (آخذ بهما جميعاً)، والتصويب من مصادر الخبر.

(٩٧) في معجم الأدباء: (قال).

(٩٨) في نور القبس ومعجم الأدباء: (وأما).

(٩٩) في نور القبس ومعجم الأدباء: (أنا قاتلٌ غلامك، بالنصب).

(١٠٠) في نور القبس: (ولولا أن المنوّن).

(١٠١) في نور القبس: (النحو والعربية).

(١٠٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص٦٢- ٦٣، وانظر الخبر في تاريخ بغداد ٤٠٦/١١، وإنباه الرواة ٢٦٠/٢، والأشباه والنظائر ٥٣٩/٣.

(١٠٣) ابن الأنباري: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري، كمال الدين الأنباري (٥١٣-٥٧٧هـ = ١١١٩- ١١٨١م): من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال. سكن بغداد وتوفي فيها. من كتبه: نزهة الألباء، وأسرار العربية، والإنصاف. (الأعلام ٣٢٧/٣).

(١٠٤) الدوري: حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي الدوري (... - ٢٤٦هـ - ... - ٨٦٠م): إمام القراءة في عصره. كان ثقة ثبتاً ضابطاً. كان ضريراً. نسبته إلى «الدور» محلة ببغداد. من كتبه: قراءات النبي صلى الله عليه وسلم، وما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن. (الأعلام ٢٦٤/٢).

(١٠٥) إضافة من نزهة الألباء وتاريخ بغداد وإنباه الرواة.

(١٠٦) في نزهة الألباء: (فوقعت).

(١٠٧) معجم الأدباء ١٧٤٤/٤، وانظر الخبر في: أمالي الزجاجي ص٥٠، ومجالس العلماء ص٣٥-٣٦، وطبقات النحويين ص١٢٨- ١٢٩، وأمالي ابن الشجري ٥٤/١، والأشباه والنظائر ٥٣٧/٣، وخزانة الأدب ١٤٧/١١، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢٤٧/١.

(١٠٨) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، المعروف بثعلب (٢٠٠- ٢٩١هـ = ٨١٦-٩٠٤م): إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثاً، ثقة، حجة. ولد ومات ببغداد. من كتبه: الفصيح، وقواعد الشعر، ومجالس ثعلب. (الأعلام ٢٦٧/١).

(١٠٩) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي (١٢٢- ٢١٦هـ = ٧٤٠-٨٣١م): راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. مولده ووفاته في البصرة. من مؤلفاته: خلق الإنسان، والأضداد، والإبل. (الأعلام ١٦٢/٤).

(١١٠) الظعن: السفر.

(١١١) البيت لأفنون التغلبي في مصادر الخبر، وشرح اختيارات المفضل ص١١٦٤، وشرح شواهد المغني ١٤٤/١، ١٤٥، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤١٨، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٢٨٨/١١، ٢٩٣، والخصائص ١٨٤/٢، وشرح المفصل ١٨/٤، ولسان العرب ٢٢٣/١ (رأم)، ومغني اللبيب ٤٥/١.

(١١٢) الدِّرَّة: كثرة اللبن وسيلانه. والدر: اللبن ما كان. (اللسان: درر).

(١١٣) في معجم الأدباء: (علق قبلها بولدها).

(١١٤) في الأصل والنسخ الخطية للأشباه والنظائر: (حتى لو حشي)، تعريف. والمثبت في معجم الأدباء.

(١١٥) في معجم الأدباء: (بمقلتها).

(١١٦) في معجم الأدباء: (فما نفع هذا البو)، وفي الأشباه والنظائر: (فما ينفع من هذا البوّ).

(١١٧) معجم الأدباء ١٧٤٢/٤. وانظر الخبر في مجالس العلماء ص١٩٥، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص١٥٤، ووفيات الأعيان ١٨٦/٦، والأشباه والنظائر ٥٣٨/٣- ٥٣٩.

(١١٨) اليزيدي: يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد (١٣٨- ٢٠٢هـ = ٧٥٥- ٨١٨م): عالم بالعربية والأدب، من أهل البصرة. اتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون. من كتبه: النوادر، والمقصور والممدود، ومناقب بني العباس. (الأعلام ٨/ ١٦٣).

(١١٩) البيتان بلا نسبة في مصادر الخبر.

(١٢٠) يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل (١٢٠- ١٩٠هـ = ٧٣٨- ٨٠٥م): الوزير السريّ الجواد. اشتهر بجوده وحسن سياسته. (الأعلام ١٤٤/٨).

(١٢١) معجم الأدباء ١٧٤٨/٤. وانظر الخبر في الأشباه والنظائر ٥٤٠/٣- ٥٤١.

(١٢٢) ذكره البغدادي في هدية العارفين ٥١٨/١، وذكر لقب مؤلفه باسم: «اليزداوي»، وقال: (عبدالرحمن بن علي أبو سعيد اليزداوي النحوي اللغوي الكاتب المتوفى سنة... له جلاء المعرفة. معجم البلدان).

(١٢٣) النظام: إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام (... - ٢٣١هـ = ... - ٨٤٥م): من أئمة المعتزلة. تبحر في علوم الفلسفة. وكان شاعراً أديباً بليغاً. (الأعلام ٤٣/١).

(١٢٤) ضرار بن عمرو الغطفاني (... - نحو ١٩٠هـ = نحوه ٨٠م): قاض من كبار المعتزلة. (الأعلام ٢١٥/٣).

(١٢٥) في معجم الأدباء: (فقال لبعض خدمه ومن يثق به ويرضى برأيه: اذهب بهذين...).

(١٢٦) الفلج: الظفر والفوز.

(١٢٧) في معجم الأدباء: (إبراهيم النظام لضرار)، وسقطت كلمة (لضرار) من الأشباه والنظائر.

(١٢٨) إضافة من معجم الأدباء، والأشباه والنظائر.

(١٢٩) في معجم الأدباء: (قال له).

(١٣٠) في معجم الأدباء (من)، وكذلك في النسخ الخطّية للأشباه والنظائر، كما في حاشية المحقق.

(١٣١) في معجم الأدباء: (مقامه).

(١٣٢) إضافة من معجم الأدباء، وكذلك أضافها محقق الأشباه والنظائر.

(١٣٣) في معجم الأدباء: (كان النصب مطابقاً للنقص).

(١٣٤) إضافة من معجم الأدباء.

(١٣٥) في الأشباه والنظائر: (أجمع).

(١٣٦) إضافة من الأشباه والنظائر.

(١٣٧) في معجم الأدباء: (علم كل شيء ألقاه).

(١٣٨) في معجم الأدباء: (فلم يزل ذلك العلم).

(١٣٩) في الأصل والأشباه والنظائر بعد كلمة جذرها: (قال: الله عالم)، وأسقطتها لأنها مقدمة تخلّ بالسياق، ولم ترد في معجم الأدباء.

(١٤٠) إضافة من معجم الأدباء.

(١٤١) لم يرد الخبر في معجم الأدباء. وانظره في: نور القبس ص٢٨٧، ومجالس العلماء ص١٩٤، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص١٥٥، والوافي بالوفيات ٢٩/ ٣٨٤- ٣٨٥، والأشباه والنظائر ٣/٥٤٤- ٥٤٥.

(١٤٢) يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن (٩٤- ١٨٢هـ = ٧١٣- ٧٩٨م): كان إمام نحاة البصرة في عصره. أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة. من كتبه: معاني القرآن، والنوادر، واللغات. (الأعلام ٨/٣٧٣).

(١٤٣) إضافة من نور القبس، ومجالس العلماء، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف.

(١٤٤) معجم الأدباء ١/٣٦١. وانظر الخبر في الفهرست ص١٠٨- ١٠٩، ومجالس العلماء ص٤٩، ونزهة الألباء ص١٥٨، وإنباه الرواة ١/١١٩- ١٢٠، والوافي بالوفيات ٧/٢٦٦، والأشباه والنظائر ٣/٥١٦- ٥١٧، والدرر اللوامع ٢/١٦٩.

(١٤٥) محمد بن إسحاق النديم (... - ٤٣٨هـ = ... - ١٠٤٧م): صاحب كتاب الفهرست، من أقدم كتب التراجم وأفضلها. وهو بغدادي. يُظن أنه كان وراقاً يبيع الكتب. وكان معتزلاً متشيعاً. من كتبه: الفهرست، والتشبيهات. (الأعلام ٦/٢٩).

(١٤٦) قبله في معجم الأدباء: (كان أبو عصيدة وابن قادم يؤدبان ولد المتوكل).

(١٤٧) المتـوكل: جعفـر بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد (٢٠٦- ٢٤٧هـ = ٨٢١- ٨٦١م): خليفة عباسي، بويع بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ه. كان جواداً ممدحاً محباً للعمران. (الأعلام ١٢٧/٢).

(١٤٨) إيتـاخ: هو إيتـاخ التركي المعتصمي القائد (... - ٢٣٤هـ = ... - ٨٤٥م): كان موكلاً بقتل من يأمـره به المعتصم أو الواثق. تولى الحكم بالديار المصرية ٢٣٣هـ. ثم اتخذه المتوكل حاجباً وقائد الحرس وصابح شؤون القصر. قتله المتوكل سنة ٢٣٤هـ. (النجوم الزاهرة ٢٧٥/٢- ٢٧٨).

(١٤٩) الطـوال: محمـد بن أحمد بن عبد الله الطوال النحوي (... - ٢٤٣هـ = ... - ٨٥٧م): من أهل الكوفـة. أحد أصحـاب الكسائي. حدث عن الأصمعي. وكان حاذقاً بإلقـاء العربية. ولم يشتهر له تصنيف. (إنباه الرواة ٩٢/٢، وبغية الوعاة ٥٠/١).

(١٥٠) الأحمـر: كذا أورده ياقوت عن فهرست النديم، وفيه نظر، فإن الخليفة المتوكل ولد سنة ٢٠٦هـ، وخلافتـه كانـت بين سنة ٢٣٢ و ٢٤٧هـ. والمشهورون بالأحمر أربعـة: خلف البصري (ت ١٨٠هـ)، وعلـي بن الحسن الكوفي (ت١٩٤هـ)، وأبو عمرو الشيباني (ت٢١٣هـ)، وأبان بن عثمان المعروف بالأحمـر البجلـي، وهو من شيوخ أبي عبيدة (ت٢٣١ه). ولم يعـرف عن الأحمر البجلي أنه اتصل بأحد من الخلفاء.

(١٥١) ابـن قـادم: محمد بن عبد الله بن قـادم، أبو جعفر (... - ٢٥١هـ = ... - ٨٦٥م): مؤدب من أهـل بغـداد. كان يعلم المعتز قبل أن يلي الخلافـة. من كتبه: الكافي في النحـو، وغريب الحديث. (الأعلام ٢٢٢/٦).

(١٥٢) أبو عصيدة: أحمد بن عبيد بن ناصح، أبو جعفر (... - ٢٧٣هـ = ٨٨٦م): أديب، ديلمي الأصل. تولـى تأديب المعتـز العباسي. مـن كتبه: عيـون الأخبار والأشعـار، والزيادات في معـاني الشعر. (الأعلام ١٦٦/١).

(١٥٣) كـذا ورد اسمـه في الأشبـاه والنظائر ٥١٦/٣، والـوافي بالوفيات ٢٦٦/٧، وهـو لأوس بن غلفاء في سائـر مصادر الخبـر، ونوادر أبي زيد صـ٤٦، واللسان ٥٣٥/١ (صـوب)، والمقاصد النحوية ٢٤٤/٣، وخزانـة الأدب ٣١٣/٨، وبـلا نسبـة في جمهـرة اللغـة صـ٣٥١، ١٣١١، ومقاييس اللغة ٣١٨/٣، وهمع الهوامع ٥٣/٢.

(١٥٤) في الأصـل: (مال) بالرفع، والتصويب من مصادر الخبر، عدا الأشباه والنظائر ففيه: (وإنّ ما أنفقت مال).

(١٥٥) في نزهة الألباء: (لا عرض) مكان (ولم أنفق عرضاً).

(١٥٦) في مجالس العلماء وإنباه الرواة والأشباه والنظائر: (أُرفع).

(١٥٧) معجـم الأدباء ٢٥٥/١، وانظـر الخبر في نكت الهميان ص٩٧- ٩٨، والـوافي بالوفيات ٣٧٠/٦، والأشباه والنظائر ٥١٢/٣- ٥١٦.

(١٥٨) في معجـم الأدبـاء: (في مجلس أبي سعيد الكفيف)، وفي الوافي بالوفيات: (أحمد بن أبي خالد) بزيادة (أبي)، وفي بغية الوعاة ٣٠٥/١: (أحمد بن خالد أبو سعيد الضرير البغدادي اللغوي. كان عالماً باللغة جداً. استقدمه طاهر بن عبد الله بن طاهر من بغداد إلى خراسان، وأقام بنيسابور، وأملـى بها المعاني والنوادر. ولقي أبا عمرو الشيباني وابـن الأعرابي)، وانظر إنباه الرواة ٧٦/١، ومعجم الأدباء، والوافي بالوفيات.

(١٥٩) في معجم البلدان ١٧٥/٤: (قم؛ بالضم وتشديد الميم؛ وهي فارسية، مدينة تذكر مع قاشان).

(١٦٠) إضافة من نكت الهميان.

(١٦١) البيتان لنهشل بن جرير التميمي في مصادر الخبر.

(١٦٢) البيتـان بـلا نسبـة في مصادر الخبر، وديوان المعـاني ٧٥/١، والتذكرة الفخريـة ص٥٣، ٣١٢، والبيت الأول لابن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم في سمط اللآلئ ١٨٢/١، مع بعض الاختلاف.

(١٦٣) في نكت الهميان (قوم)، وفي ديوان المعاني (فتى).

(١٦٤) الرجز بلا نسبة في مصادر الخبر.

(١٦٥) في معجم الأدباء ونكت الهميان: (يعطه).

(١٦٦) في نكت الهميان: (فخرجوا فلم يظفروا به).

(١٦٧) النص بتمامه في الأشباه والنظائر ٥٨٧/٤- ٦٠٢.

(١٦٨) عبـد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجـي (... - ٣٣٧هـ = ... - ٩٤٩م): شيخ العربية في عصـره، ولد في نهاوند، ونشأ في بغداد، وسكن دمشق، وتوفي في طبرية. من كتبه: الجمل الكبرى، والإيضاح في علل النحو، والزاجر. (الأعلام ٢٩٩/٣).

(١٦٩) لهـذا الكتاب -وهو رسالة نحويـة- مقدمة وردت في الأشباه والنظائر ٥٨٥/٤- ٥٨٦. وله نسخة خطية في مكتبة إزمير ملي تحت الرقم (١/١٩١٦) ورقة ٢٨١- ٢٨٣. انظر: معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم ص١٦٤١.

(١٧٠) ينظـر مـن أجل مسائل الطـلاق الثـلاث (١- ٢- ٣) مسألة لابـن هشام الأنصـاري عنوانها: اعتراض الشرط على الشرط في الأشباه والنظائر ٧٨/٤ وما بعد.

(١٧١) المراد بالجزاء هنا: الشرط

(١٧٢) انظر كلاماً لابن هشام حول هذا في الأشباه والنظائر ٩٩/٤.

(١٧٣) في الأصل: (فإن) تحريف، والمثبت في الأشباه والنظائر.

(١٧٤) لأن الإعطاء لا يسبق السؤال.

(١٧٥) إضافة من الأشباه والنظائر.

(١٧٦) يقـال: أجنب، وجَنُبَ من باب ظَرُفَ. ورجل جُنُـبٌ من الجنابة سواء فرده وجمعه ومؤنثه. وربما قالوا في جمعه: أجناب، وجُنُبون.

(١٧٧) إضافة من الأشباه والنظائر ٤/٥٩٠.

(١٧٨) وفي الأشباه والنظائر ٤/٥٩١: (ولم يبالِ).

(١٧٩) في الأصل: (بينه وبين) مكان (بينهما في)، والمثبت في الأشباه والنظائر.

(١٨٠) في الأصل: (والثاني)، والمثبت في الأشباه والنظائر، وهو أوجه.

(١٨١) إضافة من الأشباه والنظائر ٤/٥٩٢.

(١٨٢) لأن كلاً منهما يفيد الترتيب.

(١٨٣) في الأصل: (إذا)، والتصويب من الأشباه والنظائر ٤/٥٩٣.

(١٨٤) في الأصل: (طلقت لوقتها)، والتصويب من الأشباه والنظائر ٤/٥٩٣.

(١٨٥) في الأصل (إن)، والمثبت في الأشباه والنظائر ٤/٥٩٥، لأن الأسلوب فيما بعد يدل على أنها (إذ) الظرفية التي تدل على الماضي.

(١٨٦) انظر شرح المفصل ١/١٣، فقد ذكر معظم هذه الصور التي ذكرها الزجاجي.

(١٨٧) في الأشباه والنظائر (إذا).

(١٨٨) ورد خبر الأبيات التالية في مجالس العلماء ص٢٥٩، وشرح أبيات مغني اللبيب ١/٣٢٧ مروياً عن ثعلب عن سلمة عن الفراء قال: (كتب الرشيد في ليلة من الليالي إلى أبي يوسف صاحب أبي حنيفة: أفتنا حاطَك الله في هذه الأبيات -وذكر أبيات الطلاق ثم قال: فقد أنشد البيت «عزيمة ثلاث» و«عزيمة ثلاثاً» بالنصب، فبكم تطلق بالرفع؟ وبكم تطلق بالنصب ...».

(١٨٩) الأبيات بلا نسبة في مجالس العلماء ص٢٥٩، وشرح المفصل ١/١٢، ومغني اللبيب ص٥٤- ٥٥، وشرح شواهد المغني ١/١٦٨، والأشباه والنظائر ٤/٥٩٧- ٥٩٨، وخزانة الأدب ٣/٤٦١، وشرح أبيات المغني ١/٣٢٤، وعدا الثالث في تاريخ بغداد ١١/٤١٣.

(١٩٠) في مجالس العلماء وتاريخ بغداد وشرح المفصل وخزانة الأدب ومغني اللبيب: (أيمن) مكان (أحزم). وفي شرح المفصل: (ألأم) مكان (أشأم). الرفق: الملاءمة والملاطفة. خرق يخرق خرقاً: إذا عمل شيئاً فلم يرفق به، والاسم الخُرْق. أشأم: ذو شآمة ونحوسة.

(١٩١) في خزانة الأدب: (يجني) مكان (يغرق)، وفي تاريخ بغداد: (يعقّ ويظلم) مكان (أعقّ وأظلم).

(١٩٢) في مغني اللبيب وشرح أبيات المغني وخزانة الأدب: (مقدم) مكان (تقدم).

(١٩٣) هنا يبدأ شرح الزجاجي، والنص الوارد هنا مختلف بعض اختلاف عما جاء في مجالس العلماء.

(١٩٤) في الأصل: (أنت طالق)، والمثبت في مجالس العلماء والأشباه والنظائر.

(١٩٥) إضافة من الأشباه والنظائر. وفيه: (في موضع اسم المفعول).

(١٩٦) إضافة من الأشباه والنظائر.

(١٩٧) إضافة من الأشباه والنظائر.

(١٩٨) نفطويــه: إبراهيم بن محمد بن عرفــة الأزدي العتكي (٢٤٤- ٣٢٣هـ = ٨٥٨- ٩٣٥م): إمام في النحــو، وكان فقيهــاً، مسنداً في الحديث ثقــة. ولا بواسط ومات ببغداد من كتبــه: غريب القرآن، وأمثال القرآن. (الأعلام ٦١/١).

(١٩٩) ابــن الأعرابي: محمد بن زياد المعروف بابــن الأعرابي (١٥٠- ٢٣١هـ = ٧٦٧- ٨٤٥م): راوية، نسابة، علامة باللغة؛ من أهل الكوفة. قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مائــة إنسان. من كتبه: أسماء الخيل، والنوادر، وأبيــات المعاني (الأعلام ١٣١/٦). وهو غير ابن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد المتوفى ٣٤٠هـ.

(٢٠٠) البيتــان للبعيث في ديوانه صــ٥٦، ومعجم البلدان ٣٧٨/٤ (القعاقــع)، وأمالي القالي ١٩٦/١، واللســان والتاج (ريــع، قطع)، ولمجنون ليلــى في ديوانه ص١٨٦، ولقيســ في ديوانه ص١٠٤، وبلا نسبة في شرح المفصل ١٢/١، ٥١/٣، ٥٥/٥، والثاني لكثير عزة في اللسان والتاج (عدل).

(٢٠١) الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد (... - ٢٤هـ = ... - ٦٤٥م): أشهر شواعر العــرب، وأشهرهن علــى الإطلاق. استشهــد أبناؤها الأربعة في حرب القادسيــة ١٦هـ. (الأعلام ٨٦/٢).

(٢٠٢) البيــت للخنســاء في ديوانها ص٣٧٣، وخزانــة الأدب ٤٣١/١، ٣٤/٢، والكتاب ٣٣٧/١، واللسان (رهط، قبل، سوا)، وبلا نسبة في شرح المفصل ١١٥/١.

(٢٠٣) البيــت للنابغــة الجعــدي في ديوانه ص٢٦، وسمــط اللآلئ ص٤٦٥، والكتــاب ٢١٥/١، واللسان (رحب، خلل)، ونوادر أبي زيد ص١٨٩.

(٢٠٤) إضافة من الأشباه والنظائر.

(٢٠٥) في الأشباه والنظائر: (يوقع بها الثلاث) مكان (فوقع بها الثلاث).

(٢٠٦) في مجالســ العلماء: (وقوله «ثلاثاً» تروى بالنصب والرفع) فمن نصب أراد: فأنت طالق ثلاثاً، هذه تطلق لا محالة. ويكون قوله: «والطلاق عزيمة» ابتداءً وخبراً، ويكون التقدير: والطلاق عزيمة من أمري لا بهزل ولا لعب).

(٢٠٧) (ثم قال)، ليست في الأشباه والنظائر.

(٢٠٨) أي على البدل. انظر شرح المفصل ١٣/١.

(٢٠٩) في الأصل: (نصب)، والمثبت في الأشباه والنظائر.

(٢١٠) انظر مسألة للسيوطي حول هذا المثال في الأشباه والنظائر ٦٥٢/٤.

(٢١١) بعــده في مجالســ العلماء: (لأنه حذف الفاء التي هي جواب الجــزاء وحذف المبتدأ أيضاً... ثم قــال: «..وكان سبيلــه أن يقول: ومن يخرق يندم، ومن يخرق فهــو أعق وأظلم، ولكنه حذف، فهذا الحذف جائز في الشعر).

(٢١٢) انظـر الكلام المبسوط على هذه المسألة الأخيرة من مسائل الزجاجي في: شرح المفصل ١/١٢-١٣، والمغني ٥٤- ٥٥، وشرح أبيات المغني للبغدادي ١/ ٣٢٤- ٣٣٦.

(٢١٣) الفصل بتمامه في الأشباه والنظائر ٤/٢٢٨- ٢٣٨، عدا الحكاية الأخيرة، وفي الأشباه والنظائر: (ومن فوائد الشيخ جمال الدين بن هشام - مسألة).

(٢١٤) ابـن هشـام: عبـد الله بن يوسف بن أحمد، أبـو محمد جمال الديـن (٧٠٨- ٧٦١هـ = ١٣٠٩-١٣٦٠م): مـن أئمـة العربية، مولده ووفاته بمصر. من كتبه: مغنـي اللبيب، وقطر الندى، وشذور الذهب. (الأعلام ٤/١٤٧).

(٢١٥) وهو الذي يتعين فيه كون الاسمين متعاطفين.

٢١٦ (٢١٦) وهو الذي يمتنع فيه كون الاسمين متعاطفين.

(٢١٧) أي: (ولولا التقديرات السابقة).

(٢١٨) صـدر البيـت: (إذا ما الغانيات بـرزن يوماً)، وهو للراعي النمـيري في ديوانه من ٢٦٩، والدرر اللوامع ١/٤٨٣، وشرح شواهد المغني ٢/٧٧٥، واللسان (زجج)، وبلا نسبة في الإنصاف ٢/٦١٠، وأوضـح المسالك ٢/٤٣٢، والدرر اللوامـع ٢/٤١٣، وشرح التصريـح ١/٣٤٥، وشرح ابن الناظم ص٢٠٦، ٣٩٠، واللسان (رغب)، وهمع الهوامع ١/٢٢٢، ٢/١٣٠.

(٢١٩) زججـن: دققـن. والشاهد في البيت هنـا أنه على تقدير فعل محـذوف، أي: وكحلن العيون. لأن «زجج» أن يتسلط على العيون من جهة المعنى.

(٢٢٠) الرجـز بلا نسبة في اللسان (زجج، قلا، علـف)، والإنصاف ٢/٦١٣، وأوضح المسالك ٢/٢٤٥، والدرر اللوامع ٢/٤١٣، وشرح التصريح ١/٥٣٥، وشرح شواهد المغني ١/٥٨، ٢/٩٢٩، وشرح ابن الناظم ص٢٠٩.

(٢٢١) زججـن: دققـن. والشاهد في البيت هنـا أنه على تقدير فعل محـذوف، أي: وكحلن العيون. لأن «زجج» أن يتسلط على العيون من جهة المعنى.

(٢٢٣) صدر البيت: (يا ليت زوجك قد غدا)، وهو لعبد الله بن الزبعرى في ديوانه ص٣٢، وله أيضاً في ديوان علقمة ص١٠٠، وبلا نسبة في الغنصاف ٢/٦١٢، وخزانة الأدب ٢/٢٣١، ٣/١٤٢، ٩/١٤٢، وشرح المفصل ٢/٥٠، واللسان (رغب، زجج، مسح، قلد، جدع، جمع، هدى).

والشاهد في البيت هنا نصب (رمحاً) على تقدير عامل محذوف، أي وحاملاً رمحاً، إذ لا يصح تسليط (متقلـداً) عليه، لأنه لا يقال: تقلد رمحه. وبعض النحويين يحمل (تقلد) معنى (احتمل)، وعند ذلك يكون العطف من عطف الاسم على الاسم، وفي اللسان (قلد) "تقلد الأمر: احتمله، وكذلك: تقلد سيفه".

(٢٢٣) زججن: دققن. والشاهد في البيت هنا أنه على تقدير فعل محذوف، أي: وكحلن العيون. لأن «زجج» أن يتسلط على العيون من جهة المعنى.

(٢٢٤) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم (٤٦٧-٥٣٨هـ = ١٠٧٥- ١١٤٤م): من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر، وتنقل في البلدان. من كتبه: المفصل، وأساس البلاغة، والكشاف. (الأعلام ١٧٨/٧).

(٢٢٥) قال الزمخشري «آباؤنا: معطوف على محل إن واسمها، أو على الضمير في «مبعوثون»، والذي جوّز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام» الكشاف: ٣٣٧/٣. ويلزم عن قوله هذا أن العطف من عطف المفرد على المفرد.

(٢٢٦) هي قراءة ابن عامر ونافع وقالون وأبي جعفر وشيبة. انظر: معجم القراءات القرآنية ١٩٨/٤.

(٢٢٧) في الأصل: (بخلاف)، والمثبت في الأشباه والنظائر.

(٢٢٨) وهو الذي يكون العطف فيه محتملاً لكون الاسمين متعاطفين، أو كون العطف من عطف الجمل.

(٢٢٩) سقط (قد) من الأشباه والنظائر.

(٢٣٠) وهو الضرب الثاني للواو.

(٢٣١) لأن العطف في الثاني على إضمار عامل بعد الواو، والتقدير فيه: «قامت هند وقام زيد».

(٢٣٢) يريد المثالين في الثانية والثالثة.

(٢٣٣) سقط ما بينهما من الأشباه والنظائر، وهو خطأ طباعي، لأنه مثبت في طبعة مؤسسة الرسالة ٢٣٦/٧.

(٢٣٤) أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني (٦٥٤-٧٤٥هـ= ١٢٥٦- ١٣٤٤م): من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في غرناطة، وأقام في القاهرة وتوفي فيها. من كتبه: البحر المحيط، ومجاني العصر. (الأعلام ١٥٢/٧).

(٢٣٥) الارتشاف ص١٩٨٤ وفيه: (والظاهر أن مثل «ما قام زيد ولا عمرو» هو من عطف المفردات، وبعضهم يزعم أنه من قبيل عطف الجمل).

(٢٣٦) سقط «وكذا» من الكشاف ٢٦٢/٣.

(٢٣٧) زيادة اقتضاها سياق المعنى. وكذا فعل محقق الأشباه والنظائر.

(٢٣٨) في الأصل: (تكون)، تحريف، والمثبت في الأشباه والنظائر.

(٢٣٩) قال محقق الأشباه والنظائر ٢٣٥/٤: (والمراد بقوله: «أجابوا عنه» أن النحويين لم يخرجوا

عمـا نصـوا عليه من أن الضمير بعد الواو يكون على حسب المتعاطفين، وقد خرجوا الآية على نحو لا يخالـف القاعدة المذكورة ولهذا جاء تقديرها عند سيبويه: «والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضـوه»، وعند المبرد: «والله أحق أن يرضوه ورسوله»، وعند الفراء: «ورسوله أحق أن يرضوه» على أن (الله) افتتاح كلام.

وعلـى هذه التقادير الثلاثة يعود الضمير إلى مفرد. انظر: مشكل إعراب القرآن ١/٣٦٥- ٣٦٦، وإملاء العكبري ٢/٩- ١٠، والبيان ١/٤٠١، والمغني ٤٣٥).

(٢٤٠) في الأصل: (عطف)، تحريف، والمثبت في الأشباه والنظائر ٤/٢٣٦.

(٢٤١) سيبويـه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (١٤٨- ١٨٠هـ = ٧٦٥- ٧٩٦م): إمام النحاة، وأول مـن بسـط علم النحو. صنف كتابه المسمى كتاب سيبويه، لم يصنـع قبله ولا بعده مثله. (الأعلام ٥/٨١).

(٢٤٢) في الأصل: (تقدير)، والمثبت في الأشباه والنظائر.

(٢٤٣) إضافة من الأشباه والنظائر.

(٢٤٤) أي لا يفترق المثالان المذكوران.

(٢٤٥) زيادة (لا) في: «ولا النور» لأمن اللبس. مغني اللبيب ص٣٩٣.

(٢٤٦) يريد قول المتكلم: «لا كلمت زيداً ولا عمراً».

(٢٤٧) انظـر الخـبر في وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٦، ومسالك الأبصـار ٥/٩٧، والوافي بالوفيات ٢١/ ٦٦- ٦٧.

(٢٤٨) في مسالك الأبصار والوافي بالوفيات: (يُهدى).

(٢٤٩) في وفيات الأعيان ومسالك الأبصار: (تقول)، وفي الوافي بالوفيات: (يقولون).

(٢٥٠) في وفيات الأعيان والوافي بالوفيات: (التصغير لا يصغر).

(٢٥١) بعـد ذلـك في وفيات الأعيان: (وذكر الخطيب في تاريخ بغـداد أن هذه القضية جرت بين محمد ابـن الحسـن والفراء، وهما ابنا خالـة)، ومثل ذلـك ورد في مسالك الأبصار والـوافي بالوفيات. وانظر الخبر بين محمد بن الحسن والفراء في تاريخ بغداد ١٤/١٥١.

لاميةُ الشَّنفَرَى وشروحُها
بين المخطوط والمطبوع

أ. سامح السعيد

المقدمة:

تُعدُّ لامية العرب التي أبدعها شاعر الصعاليك الجاهلي شمس بن مالك الشَنْفَرَى من النصوص التي اعتمدها النُّحاة في مسائل الاحتجاج اللغوي والاستشهاد النحويّ، إذ استخرجوا منها أكثر من ستة عشر شاهدًا نحويًّا، وهو عددٌ ليس بالقليل[١].

ومن طريف ما رُوِيَ في فضلها والحث على تعلمها هذا الأثر الذي رواه الأصمعي من قول أحد الأعراب: «علِّموا أولادكم لاميَّة العرب؛ فإنَّها تُطْلِقُ الألسُنَ بالفصاحَةِ، وتَزيدُ في العقلِ، وتُهذِّبُ الأخلاقَ، وفيها ثَبْتُ كلامِ العربِ».

ولا عجب، إذ هي من أكثر اللاميات الشعرية شهرة، فقد ملأت الدنيا وشغلت العلماء بما لَقِيَتْهُ من اهتمام كبير، وحظيت بما لم يكن لغيرها من قصائد العرب الشعرية في العصر السالف والخالف، حتى كادت أن تزاحم -بل زاحمت- المعلقات السبع، وقدَّمها بعض الشُّرَّاح والنُّقَّاد على المجمهرات والمنتقيات والملحمات.

انتظمـت الدراسة في ستة مباحث: ترجمـت في أولها للشنفرى، وتحدثت في الثـاني عن شعـره وتوثيق نسبة لامية العرب إليه، وتناولـت في الثالث الكلامَ عن لاميـة العرب بين المخطوط والمطبـوع، أما الرابع فقد أحصيـت فيه مخطوطات شـروح لامية العرب، وذكرت في الخامس ما وقعـت عليه من شروح لامية العرب المطبوعة، وختمت بإحصاء الشروح المعاصرة والدراسات الحديثة عن الشنفرى ولاميته، ثم الخاتمة وذكرت فيها أهم النتائج التي خرج بها البحث.

المبحث الأول: ترجمة موجزة للشنفرى

تباينـت مصادر ترجمة شاعرنا في تحديـده، وانحصر تباينها في اتجاهين؛ أحدهمـا جعـل الشنفرى اسمًا وعلمًا عليه(٢)، والآخر عـدَّ الشنفرى لقبًا له، وقد عدَّ أصحـاب الاتجاه الثاني له أسماء، وهي: ثابت بن أوس(٣)، ثابت بن جابر(٤)، عمرو بن برَّاق(٥)، عمرو بن مالك (٦) ، عامر بن عمرو(٧).

في حين اكتفت أكثر المصادر الأخرى بإيراد اسمه هكذا (الشَّنْفَرَى الأَزْديّ) دون خوض في التفصيلات الأخرى، ولعله اكتفاء بما اشتهر به لما كان القصد إلى دراسة شِعرِه لا غير.

فـإذا استثنينا مـن الأسماء المتقدمة مـا ابتدئ منها بثابـت وعمرو؛ لأنهما اسمان لصاحبيه في الغزو والإغارة والصعلكة، لم يبقَ إلا أن نراوح بين: الشنفرى وعامر بن عمرو.

وبمراجعة كلام ابن الكلبي النسَّابة لا نجده يطلق عليه إلا اسم الشنفرى(٨)، بما يؤكد مذهب أصحاب الاتجاه الأول من أن الشنفرى هو اسمه لا لقب له، وابن الكلبي هو أقرب النسَّابة زمنًا من الشنفرى، إذ هو من أهل القرن الثاني الهجري ت(٢٠٤هـ)، كما أنه أكثر النسَّابة تخصصًا في نسب اليمانية.

ويؤكـد هذا القولَ الروايةُ التي ذكرهـا البغدادي في الخزانة(٩): «والشنفرى

شاعـرٌ جاهلي قحطاني من الأزد، وهو كما في الجمهرة وغيرها من بني الحارث ابـن ربيعة...، وزعم بعضهـم أن الشنفرى لقبه، ومعناه عظيم الشَّفة، وأن اسمه ثابـت بـن جابر، وهذا غلطٌ كما غلط العينيّ في زعمـه أن اسمه: عمرو بن بَرَّاق؛ بـل همـا صاحباه في التلصص»، فهذه الروايـة تؤكد محاولة البغـدادي تحقيق التسميـة، واطلاعه على نسبه في غير ما مصدر، وعلى الروايات والآراء المتعددة في شأن اسمه الذي صرَّح بكونه (الشنفرى).

وقـد مال بعضهم إلى الرواية التي خطَّأهـا البغدادي؛ من أن الشنفرى لقب معناه عظيم الشفة. ومن أدلة ترجيح هذه التسمية ما نقله ابن منظور في اللسان: «والشنفرى اسم شاعر من الأزد، وهو فَنْعَلَى، وفي المثل: أعدى من الشنفرى»[١٠].

بـل يورد القول فيـه كَرَّةً أُخرى في مـادة (شَنْفَرَ) قائـلاً: «والشنفرى: اسمُ رَجُلٍ»[١١].

وأيضـا قول ابـن عطاء الله المصـريُّ في شرحهِ للامِيّـة؛ في معرض تعريفه بكتابـه: «هذا تعليق لطيفٌ... على القصيدة الفريدة... المشهورة بلامية العرب، للفصيح الماهر، والبليغ الساحر: الشنفرى بن مالك الأزدي»[١٢].

والصحيح أن الشنفرى عَلَمٌ من قبيل اللقب في علم النحو اشتهر به صاحب اللامية عند نسبتها إليه، أو عند ذكر بيت له من أشعاره الأخرى. أما الراجح في اسمـه فهو: شُمْس بن مالك بـن الأدرم[١٣]؛ والدليل على ذلك: أن تأبط شرًّا ابن أخت الشنفرى وأحد صاحبيه قد قصده بهذا الاسم في البيت الأول من قصيدته مَادِحَهُ: [الطويل]

وإني لَمُهْدٍ من ثنائي فقاصدٌ به لابن عمِّ الصدق شُمْس بن مالك[١٤]

ويُقـوِّي هذا ما ذكره ابن جنـي في المنصف أن: «الشنفرى لقـبٌ، واسمه شمس، شاعر جاهلي من بني الحارث بن ربيعة، وهو ابن أخت تأبط شرًا»[١٥].

أمـا عـن نَسَبه فإن مصادر ترجمـة الشنفرى تُجمِعُ على أنـه أزْدِيّ النَّسب، ولعـلَّ خـير من بيَّن نسبه ابن الكلبي؛ حيث قال: «فَمِـنْ بني الحارث بن ربيعة بن الأوس[١٦] بـن الحجر بن الهنـو[١٧] بـن الأزد[١٨]: الشنفرى الشاعـر؛ قتلته بنو سلامان بن مُفرجٍ»[١٩].

عاش الشنفـرى في القرن الأخير من العصر الجاهلـي، في القرن السادس الميـلادي تقديرًا، وقد قُتِل أبوه وهو صغـيرٌ ولم يأخذ قومه بدمه؛ لذا نشأ طريدًا مطالِبًا بثأر أبيه.

وصاحـب تأبط شرًّا -وهو خالـه في بعض الروايات- والسُّليـك بن السُّلكة، وعمـرو بن بـرَّاق، وغيرهم من صعاليـك العرب، فتمردوا علـى أعراف القبيلة، واتخذوا طرائـق تخالف ما كانت عليه مجتمعاتهم؛ فكانـوا يُغِيرون على القبائل سلبًا ونهبًا وقتلًا، ويتخذون المفازات والجبال ملجأً.

عاش الشنفرى مدة علـى هذه الحال حتى قتلته بنو سلامـان بعد أن أثخن فيهـم قتلًا، ويمكـن القول إنه مـات في أواخر القرن السادس الميـلادي أو مطلع القرن السابع الميلادي قبيل ظهور الإسلام سنة ٦١٠م، والله أعلم بالصواب.

والشنفرى من أشهر العدائين الفُتَّاك حتى أصبح مضرب المثل؛ فقيل: أعدى من الشنفرى، وهو من رآبيل العرب أيضا، وهم من تلدهم أمهاتهم وحدهم.

وعدَّه النُّقاد من أقران الطبقة الثانية لفحول شعراء الجاهلية[٢٠].

المبحث الثاني: شعر الشنفرى وتوثيق لاميته

أولًا: شعر الشنفرى

للشنفرى ديوان شعر كان لا يزال باقيًا عند محمود بن أحمد العيني (٨٥٥هـ) حسـب روايته[٢١] دون الإشارة إلـى صانعه، ولا نعرف عنه شيئًا اليوم إلا النسخة المختصرة بكتبخانة خسرو باشـا بإستنابول، والتي اعتمد عليها الميمني في جمع شعر الشنفرى.

وفي هذا دليل على أن شعر الشنفرى وجد عنايةً كبيرة من صُناع الدواوين.

غير أن ابن عطاء الله المصري يسوق خبرًا على قدر من الأهمية في ذلك الشأن في سياق حديثه عن اللامية وفضلها ورواتها قال: «وقيل إن عبد الملك ابن قُريب الأصمعي ممن أخذ هذه القصيدة في جملة ديوان الشنفرى مع شعر الهُذليين رواية ودراية عن إمامنا الشافعي رضي الله عنه»[٢٢].

وإن سلَّمنا بصحة هذا الخبر فيمكن أن نفيد منه أمرين:

الأول: أن الإمام الشافعي كان ممن رووا شعر الشنفرى، بل ديوان الشنفرى، فأخذه عنه من الرواة فيمن أخذه: الأصمعي وغيره.

الثاني: أن ديوان الشنفرى كان معروفا قبل الإمام الشافعي (٢٠٤هـ)، والأصمعي (٢١٦هـ).

ومما يُفْهَم من هذه الأخبار أن شعر الشنفرى كان متداولًا معروفًا لدى رواة الشعر واللغويين وفحول الشعراء، وأنه لم يكن ضمن شعر الشعراء الذين جمع أبو سعيد السكري أشعارهم. لكن المصادر ذكرت له كتابين هما: أشعار فهم، وأشعار الأزد، ولعلهما مما ضاع من تراثنا ولم يصل إلينا.

وعليه يمكن القول بأن أبا فيد مؤرج بن عمرو السدوسيّ (ت ١٩٥هـ) هو أول جامع لشعر الشنفرى على التحقيق[٢٣]، والله أعلم بالصواب.

وأما من مال إلى القول بأن صانع شعره هو: عبد الله بن هشام بن أبي عمير النَّمَـرِيّ، الذي رُويت عنه أكثر أخباره وأشعاره، فهو قول بالظن، ورأي ينقصه الدليل المادي الحاسم.

ورواة شعر الشنفرى وأخباره من الكثرة والثقة بمكان عالٍ، وفي جملة هؤلاء: أبو العباس المفضل بن محمد بن يعلى الضبّيّ (ت ١٧٨هـ)، وأبو محرز خلف ابن حيان الأحمر (ت ١٨٠هـ)، وهما من أهم رواة شعر الشنفرى وأخباره، وأبو

فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٦هـ)، وأبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني الكوفي (ت ٢١٣هـ)، وعبد الملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٦هـ)، وأبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (ت ٢٣١هـ)، وعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ابن عطية الكلبيّ (ت ٢٣٩هـ)، وأبو المنهال عُيَيْنَة بن عبد الرحمن بن المنهال المهلبي الأزدي (ت نحو ٢٤٠هـ)، وأبو جعفر محمد بن حبيب البغداديّ (ت ٢٤٥هـ)، وأبوالفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور البغدادي (ت ٢٨٠هـ)، وأبو العباس أحمد ابن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ)، وأبو بكر الحسن بن دريد الأزديّ (ت ٣٢١هـ)، وعبدالله بن هشام بن أبي عمير النمريّ (ت٣٣٣هـ)، وأبوعليّ القاسم بن إسماعيل القالي البغداديّ (ت ٣٥٦هـ)، وأبو عبد الله حمزة ابن الحسن الأصفهاني (ت قبل ٣٦٠هـ).

وفي النصف الأول من القرن المنصرم وتحديدًا سنة ١٣٥٨هـ/١٩٣٧م اجتهد العلامة الهندي عبد العزيز الميمني الراجكوتي -رحمة الله عليه- فصنع للشنفرى ديوانا جمع فيه ما استطاع من شعره، سواء ما وجده من أصول خطية -نسخة الديوان المختصرة بكتبخانة خسرو باشا بإستانبول، وكذا مجموع بدار الكتب المصرية- أم ما جمعه من أمهات المصادر الأدبية المطبوعة في ذلك الوقت كالأغاني والمفضليات والحماسة وخزانة الأدب وغيرها.

والملاحظ أنه لم يدخل في ديوانه: اللامية والتائية[٢٤] والفائية[٢٥]، بل أشار إليهن إشارة[٢٦]، وقد فاته من شعره شيء ليس بالقليل.

ثم جمع شعره مرة ثانية طلال حرب في ديوان صغير، ولكنه اعتمد فيه على ما أورده الأصفهاني في الأغاني من شعر الشنفرى، وضَمنَّه اللامية والتائية والفائية، واعتمد في توثيقه الشِّعْرَ على الأغاني والمفضليات، ويقع الديوان في (٣٨) صفحة.

وفيه شيء كثير من التخليط والتصحيف والتحريف، وأخطاء بالغة في تحقيق الأعلام والمواضع كما فاته أيضًا شيء لا بأس به من شعر الشنفرى.

كذلك جمع شعر الشنفرى د. إميل بديع يعقوب معتمدًا على نشرة العلامة الميمني، والعديد من كتب التراث الشعري، وقد خرّج القصائد والمقطوعات بيتًا بيتًا لا قصيدة قصيدة، كما هو شائع وذائع في تخريج دواوين الشعراء، ورتّب مصادر التخريج هجائيًا[٢٧]، وصدر سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ويقع الديوان في (١١٨) صفحة.

أيضًا فقد حقق د.علي ناصر غالب العراقي شعر الشنفرى الأزدي برواية مؤرج بن عمرو السدوسي، وصدر عن دار اليمامة بالرياض، وبمراجعة د.عبدالعزيز بن ناصر المانع، وأشرف على طباعته الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله-، ط١، سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ويقع في (١٥٨) صفحة.

كما حقق شعر الشنفرى أحمد محمد عبيد الهنداسي في كتابه: شعر الشنفرى الأزدي: تحقيق ودراسة، منشورات المجمع الثقافي بأبو ظبي ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ويقع في (١٥٦) صفحة[٢٨].

ومن هذه المحاولات أيضا في خدمة شعر الشنفرى: ما قام به د. خالد ابن عبدالرؤوف الجبر في تحقيقه: شرح شعر الشنفرى الأزدي، لمحاسن بن إسماعيل الحلبيّ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

وقد صنع ملحقا لما وجده من شعر الشنفرى مما لم يرد في النص المحقق في ١٤ صفحة، وأتبعه بملحقٍ آخر فيما يُنسب للشنفرى ولغيره في خمس صفحات، وصدَّر نشرته بدراسة جيدة شغلت (٢٩) صفحة.

ومن آخر هذه المحاولات وأحدثها ما قام به أستاذنا الفاضل: أحمد ابن محمد بن عبيد الهنداسي بتحقيق: شعر الشنفرى الأزدي، بشرح: أبي المنهال المهلبي الأزدي (نحو٢٤٠هـ)، اختيار: محاسن بن إسماعيل الحلبي (ت٦٣٥هـ)، ونشرته هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ١٤٣٨/٢٠١٧م، ويقع في (٢٠٠) صفحة[٢٩].

ثانيًا: لامية العرب وتوثيق نسبتها

اكتسبت لامية العرب شهرة واسعة، وحازت إعجابا إنسانيا قلّ نظيره، فعارضها الفُرس والهنود، وترجمها الأتراك والإنجليز والفرنسيون والألمان والإيطاليون(٣٠).

وقد احتفى بها متذوقو الشعر العربي وناقدوه والمغرمون بالغريب المُشكل من علماء العربية، فتناولوها بالشرح والتعليق والإعراب والاستشهاد والتحليل والنقد، غير أنها تعرضت مثل كثير من أشعار الجاهليين؛ للتشكيك فيها، فذهب معظم الرواة إلى أنها للشنفرى، وقال ابن دريد: إنها لخلف الأحمر. والشائع أن خلفًا الأحمر ممن اتُّهموا بنحل الشعر(٣١)؛ فلعل ابن دريد يقصد أنه نحلها للشنفرى.

وشكك بعض المستشرقين مثل: فريتس كرنكو في اللامية بحجة أنها تفتقر لذكر أسماء المواضع والأعلام كما هي عادة الشعراء الجاهليين.

بَيْدَ أن تحليل القصيدة يثبت لنا أن شعر الصعاليك ذو طبيعة خاصة تختلف عن غيره من الأشعار، فلا يُتَعلّق بمثل هذا الرأي في الشك في كون القصيدة جاهلية.

يقول المستشرق جورج يعقوب: «إن موطن هذه القصيدة هو تلك المرابع في جنوب مكة بين الجبال التي تقع في شمال اليمن حيث مضارب الأزد قبيلة شاعرنا، إنني لا أفهم كيف يستطيع المرء أن ينكر هذه القصيدة التي تتنفس بعبير الصحراء، وترسم جاهلية العرب بكل نقاء، وتصور حياة رجل حمل أحقادًا أورثته إياها مظالم الناس، وعقوق الأخوة، وجَوْر العدالة، ويعزوها إلى رجل من بين أولئك اللغويين الذين يقتلون وقتهم جدلا في إعراب جملة صغيرة».

ورجح د.يوسف خليف كفة الشك في صحة نسبتها للشنفرى، واعتمد في رأيه على ثلاثة أدلة:

الأول: أن ابـن دريـد نسبها لخلف الأحمر، ومعلـوم أن ابن دريد قريب عهد بخلف.

الثاني: إغفـالُ أبـي الفرج الأصفهـاني ذكر اللامية إغفـالاً تامًّا رغم كثرة روايته لشعر الشنفرى، وأن لسان العرب حاد عن الاستشهاد بها رغم ورود شيء ليس بالقليل من شعر الصعاليك فيه.

الثالـث: أن اللامية طويلة طولاً غير مألوف في شعـر الصعاليك، الذي كان مقطعات متناثرة، إلى جانب قلة الاضطراب في رواية ألفاظها وفي ترتيب أبياتها، وهي ظاهرة غير مألوفة تماما في شعر الصعاليك.

ويبـدو الضعف ظاهرًا في آراء د.يوسف خليف، فقد ذكر أن لسان العرب لم يُورِد شيئًا من اللامية في استشهاداته، رغم وجودها فيه؛ فقد وردت ثلاثة أبيات من القصيدة، منها بيتان مع نسبتهما:

ولا جُبَّـأ أكْهَـى مُـرِبٍّ بعِرْسِـه ... يُطَالِعُها في شَأْنه كَيْفَ يَفْعَلُ

أو الخَشْرَمُ المَبعوثُ حَثْحَثَ دبرَه ... مَحابيضُ أَرداهُـنَّ سامٍ مُعَسَّلُ

وأَصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالسا ... فَرِيقَانِ: مَسْؤولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ

وذلك في مادة (كها)، (حبض)، (غمص)، وأورد عجز البيت:

وإن يـك إنـسًـا مـا كـهـا الإنـس تفعل

في مادة (كها).

- كمـا أن إغفال الأصفهـاني لا يعني أن الأصفهـاني أورد كل ما وجد من الأشعار العربية القديمة، فقد فاتته أشعار كثيرة بلا شك.
- وإن كان ابـن دريد نسبها لخلـف الأحمر فقد نسبها معظـم الرواة إلى الشنفرى، فلماذا لم يأخذ برأي غالبية الرواة ومال لقول الأقل؟!
- أمـا طول القصيـدة وقلة الاضطراب في رواياتها فهـي ميزة اجتمعت في

القصيدة أدى لتميزها ولا يعني بالضرورة نحلها، إذ إن كثيرًا من الشعر المنحول مضطربٌ في روايته.

وقد أورد إميل يعقوب في تحقيقه لديوان الشنفرى عدة أسباب تؤكد نسبة اللامية للشنفرى مما يدحض رأي من شكَّك فيها، منها: كثرة العلماء القدامى والمُحْدَثِين الذين نسبوها إليه، وتصوير اللامية للبيئة العربية الصحراوية القاحلة، وكون اللامية جاهلية العواطف والقالب، وورود اسم "الشنفرى" في القصيدة مرتين.

فإنْ تَبْتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَسْطَلٍ   لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرَى قَبْلُ أطْوَلُ

كما أن في بعض أبياتها جوازًا نعهده في الشعر الجاهلي من إبدال (مفاعلن) الأولى أو الثالثة في بحر الطويل بـ (مفاعيلن)، وهو جواز قد لا نراه في شعر الإسلاميين؛ لتحولهم عن طريقة الجاهليين في الإنشاد.

وكذا عدم التصريع في البيت الأول منها، ولعل عادة التصريع لم تكن متبعة في زمن الشنفرى، فتكون القصيدة من أقدم الشعر الجاهلي[٣٢].

ومن توفيق اللّه تعالى أن يسَّر لي الحصول -مؤخرًا- على نسخة محققة من شرح ابن أبي طيّ: المنتخب في شرح لامية العرب، وبعد مطالعتي مقدمة الشارح وجدت نصًّا مهمًّا، وسأنقله بطوله لأهميته في توثيق نسبة اللامية.

يذكر ابن أبي طي أنه قرأ اللامية على الشيخ رشيد الدين محمد بن علي ابن شهرآشوب السروي المازندرانيّ سنة ٥٨٥هـ، وحدَّثه باللامية وبهذا الحديث، قال -أي الشيخ-: قَدِمْتُ في سنة ٥٤٧هـ من مازندران؛ طالبا للحج بغداد -وكانت إذ ذاك آهلة بالعلماء- فحضرت مجلس الوزير عون الدين أبي منصور يحيى بن محمد بن هبيرة، في يوم الاثنين وكان يجلس لسماع الحديث، فعرض ذكر قصيدة الشنفرى.

فقــال ناسٌ: إنها ليست بشعر الشنفرى الأزدي، وإنما هي شِعرُ خلف الأحمر أستاذ الأصمعي، وكذلك أبيات ابن أخت تأبط شرًّا التي أولها : [المديد]

إنَّ بالشِّعْب الذي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِــيلاً دمُــهُ ما يُطَـلُّ

قالــوا: وكان خلفٌ شاعرًا مُجِيدًا يعمل الشِّعر الجيد، فإذا أنشده اتُّهِم فيه، فكان يَنْظِم أبياتًا ويعزوها إلى القدماء.

فقــال ابن هبــيرة: هذا كذبٌ ومُحــالٌ، ومَنْ خلفٌ حتى يُنْسَــب إليه مثل هذا الشِّعــر؟ وإنَّ في شِعْــرِه لبَنَّــةَ[٣٣] الحُضَّر ورائحة الأعاجم والخُلَعــاء، وإنَّ في هذا الشِّعْر لرائحة الجاهلية والشجاعة والقناعة.

فقال بعض الحضور: فما بالنا لا نجدها في أكثر دواوين الشنفرى؟

فقــال ابن هبيرة: العامَّةُ أخسُّ أو أسْقَطُ من أن يُجَادَ عليهم برواية مثل هذا الشِّعْر.

ثم قال: إنها عندي في أول ديوانه، ثم أمر بإحضار ديوان الشنفرى، فأُحْضِرَ، فــإذا هو بخَطِّ عبد الســلام البصري[٣٤]، وهو يقــول في أول الديوان: قرأت شعر الشنفــرى على الشيخ الأجلّ أبي الحسن علي بن عيسى بن علي الرُّمانيّ، بمنزله بالجانــب الشرقيّ بباب الميدان في درب أبــي مِحْجَن، يوم الأربعاء خامس محرم سنة خمس وستين وثلاث مئة [٥ محرم ٣٦٥هـ].

قــال: وأخبرني أنّه قرأه على أبي بكر؛ أحمد بن أبي سهل؛ محمد بن عاصم الحلواني[٣٥].

قــال: قرأت علــى أبي سعيد بن الحســين السُّكريِّ شِعْــرَ الشنفرى بن مالك الأزدي وشِعْرَ تأبَّط شرًا، فلم أجد اللامية في شِعْرِ الشنفرى.

فقلت: إن العامة تقول: إن اللامية ليست بشعر الشنفرى، وتقول إنها لِخَلفٍ.

فقال: خلفٌ أقلُّ من أن يُنْسَب إليه مثل هذا الشِّعْر، وكان كذابًا في روايته.

ثم قال أبو سعيد السُّكريّ: واللّه إنَّنِي قرأتُ ديوان الشنفرى على أبي الفضل الرِّيَاشِيّ ولم تكن اللاميَّةُ فِيهِ.

فقلتُ لـه: صَدَقَتِ العامَّةُ في قولها: إن القصيدة اللامية ليست للشنفرى وإنما هي منحولةٌ إليه، ويقولون: إنها لِخَلَفٍ.

فقال: كذب من يقول هذا إنّما العامّة أسقَط من أن يُجاد عليهم برواية مثل هذا الشّعر، ثم قال:

إذا شئت فألحقها بالديوان، ثم أملاني القصيدة من لفظه، فكتبتها.

ثم قال: هكذا أرويه عن الأصمعي/ اللامية ثم التائية ثم هذه الأبيات اليسيرة بعدهما.

قال: ثم أخرج إلينا أبو سعيد جزءًا لطيفًا جدًّا، والقصيدة مُلْحَقَةٌ في أوَّلِهِ، وفي حاشية ذاك الجزء بخط الرياشي: قرأ عليَّ ولدي أبو سعيد شعر الشنفرى، وأنا أرويه عن الأصمعيِّ.

قال: ثم أرانا ابن هبيرة الديوان، والقصيدة في أوله، وفي ذيله رواية ابن هبيرة عن أبي الحسين الورَّاق، عن محمد بن جعفر بن بُدَيلٍ الخزاعي الجرجاني، عن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التَّنوخي، عن أبي المنهال عُيَيْنَة بن عبد الرحمن المهلبي الأزدي، عن مُؤَرِّج بن عمرو السدوسي البصري الرَّاوِيَة، عن عبد اللّه بن هشام بن أبي عمير النَّمَرِيّ(٣٦).

وعليه، فإن الذي أميل إليه: أن اللامية صحيحة النسبة إلى الشنفرى، واللّه أعلم بالصواب.

المبحث الثالث: لامية العرب بين المخطوط والمطبوع

بعد الاطلاع على فهارس المخطوطات العربية وقواعد البيانات المتاحة،

توصلت إلى إحدى وثلاثين نسخة خطية من اللامية، وهي:

١. أحمد الثالث، ورقمها (١/٢٣٢٩) وتاريخ نسخها: ٧١٦هـ .

٢. أحمد الثالث، نسخة أخرى رقمها (٦٩١).

٣. أسعد أفندي، ورقمها (٣٥٤٢/ ٢٠).

٤. محمد سعيد خَالَتْ أفندي، ورقمها (٤/٧٦٩) وتاريخ نسخها: سنة ١٠٤٠هـ.

• هذه النسخ الأربع الأولى ذكرها فؤاد سيزكين في كتابه: تاريخ التراث العربي، مج (٢)، جزء (٢)، ص(٤٧-٥١).

٥. جعفر ولي الدين، ورقمها (٣٣٢) وتاريخ نسخها: سنة ٦٨١هـ.

٦. جعفر ولي الدين، نسخة أخرى رقمها (٨/٨٠٦) كُتِبت في القرن الثاني عشر الهجري.

٧. إزمير مللي، ورقمها (٦/٨٦١) وتقع في ثماني ورقات.

٨. كوبريلي، ورقمها (١٦٢٧)، ضمن مجموع (ورقة ١٤٠ ظ ـ ١٤٣ ظ).

٩. دار الكتب الوطنية بتونس، ورقمها (٢/٢٥٨٧).

١٠. جامع الزيتونة بتونس، ورقمها (٤٧٧٨) أدب، وتقع في ثلاث ورقات.

• هذه النسخ الست (٥-١٠)، ذكرها مؤلّفا معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، علي الرضا قرة بلوط وأحمد طوران قرة بلوط، (١/٧٥٠)، (٢/٢٣٢١).

١١. جامع القيروان بتونس، (م ٢٦٤٦ - رقم ١٣٢٣) أدب، ضمن مجموع، وتقع في عشر ورقات، بخط مغربي.

١٢. مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، (م ٧٢٠٣- رقم ٢/١٢٠٠) أدب، وتقع في ثلاث ورقات.

- هاتان النسختان (١١- ١٢) حصلت على بياناتهما من الشابكة، انظر: موقع الباحث في المخطوطات العربية والإسلامية.

١٣. فيض الله أفندي، ورقمها (١٦٦٢) ضمن مجموع.

- لم تُذكَر على أنها لامية العرب، بل ذكرها د.سيزكين خطأً على أنها شرح لامية العرب للتبريزي. انظر: تاريخ التراث العربي (٥٢/٢).

١٤. جامعة الملك سعود، ورقمها (٧١٩٣) من ص (١- ٥) ضمن مجموع يحتوى كذلك على لامية العجم للطغرائي، وروضة السلوان نظم إبراهيم ابن عبد الجبار الفجيجي، وخطها مغربي حسن، كُتِبت في القرن الثاني عشر الهجري تقديرًا.

- لم تذكرها فهارس المخطوطات، واطلعت على مصورتها في مكتبة شيخنا الفاضل: أبي يعقوب عبد العاطي محيي الشرقاوي الأزهري.

١٥. كتابخانة استان قدس رضوي بمشهد- إيران، ورقمها (٣٦٥٦٠/٢)، وتاريخ نسخها (١٢٦٤هـ).

- انظر: فهرس الأدبيات بمكتبة استان قدس رضوي بمشهد، محمد حسن نوري وآخرون (٤١٢/٧) نقلا عن: المخطوطات العربية في المكتبات الإيرانية، لأستاذنا د.ياسر محمد ياسين البدري، منشور ضمن: المخطوطات العربية المُهَجَّرة، ص(٤٨٩) وقد جاءت في البحث هكذا: [لامية العجم، المؤلف: الشنفرى، ثابت بن أوس اليمني الأزدي (٥١٠م)]. وهو خطأ طباعي ظاهر؛ إذ جاء قبلها لامية العجم للطغرائي، لذا لزم التنبيه.

١٦. دار الكتب المصرية، ورقمها (٦٦٥مجاميع) ميكروفيلم رقم (٥١٤٦)، وتقع في ثلاث ورقات.

- انظر: فهرس مجاميع دار الكتب المصرية، (٤/ ٢٧٠).

١٧. نسخة المكتبة البريطانية، ورقمها (OR. ٣٧٧٠/ ٢)، تاريخ نسخها (٦٦٦هـ).

١٨. نسخة ثانية بالمكتبة البريطانية، ورقمها (OR. ١٩٠٨)، تاريخ نسخها (١٠٧٢هـ)، وتقع في ١٢ لوحة، بخط الثلث الجلي.

١٩. نسخة ثالثة بالمكتبة البريطانية، ورقمها (٩٥٧٩/٨)، (القرن الثاني عشر الهجري ظنًّا)، وتقع في لوحتين بخط مغربي.

- حصلت على بيانات نسخ المكتبة البريطانية الثلاث من قاعدة بيانات مركز المخطوطات التابع لمكتبة الإسكندرية.

٢٠. الخزانة العامة بالرباط، ورقمها (د/ ١٢٥٩) ضمن مجموع، ٤ ورقات (١٨٦ أ- ١٨٩ ب)، بخط مغربي جيِّد، وعنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم (٢١٢٩).

٢١. الخزانة العامة بالرباط، ورقمها (١٦٠٦) ضمن مجموع، ٣ ورقات (٨٥ ب- ٨٧ ب)، بخط مغربي معتاد.

٢٢. الخزانة العامة بالرباط، ورقمها (١٦٣٩)، ضمن مجموع، ٣ ورقات (١٣٤ أ- ١٣٦ أ)، بخط مغربي حسن.

- هذه النسخ الثلاث انظرها في: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط (القسم الثاني)، (٢/ ٣).

٢٣. خزانة الزاوية الحمزية العيَّاشِيَّة، ورقمها (٨٣٥/ ٥) الرسالة (٥) ضمن مجموع، ٣ ورقات، بخط مغربي.

- انظر: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية، (٣/ ٧٨٤- ٧٨٥).

- مكتبة الأوقاف بالموصل، ورقمها (٩/٨)، ومنها صورة بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم (٢١٥٥).

٢٤. مكتبة المتحف العراقي، ورقمها (١/٣٢٥٩٨)، وتقع في ١٤ ورقة.

٢٥. مكتبة المتحف العراقي، ورقمها (١٠/٦٢٤٤)، وتقع في ٥ ورقات.

٢٦. مكتبة المتحف العراقي، ورقمها (٣/١١٢٢٨)، وتقع في ١١ ورقة.

- انظر: فهرس مخطوطات الأدب في المتحف العراقي، (٥٢٥- ٥٢٦).

٢٧. دار الكتب المصرية، ورقمها (٨٨٣) مجاميع طلعت، الرسالة (٢)، ورقتان (٢٤-٢٥).

٢٨. دار الكتب المصرية، ورقمها (٩١٢) مجاميع طلعت، الرسالة (٨)، ثلاث ورقات، (٧٠- ٧٣)، كُتِبت بخط نستعليق مجود، وتاريخ نسخها ١٢٣٤هـ.

٢٩. دار الكتب المصرية، ورقمها (٢٠٩) مجاميع طلعت، الرسالة (١٣)، ورقتان (١١٤- ١١٥).

- هذه النسخ الثلاث، انظرها في: فهرس مجاميع المكتبات الخاصة بدار الكتب المصرية، (٧/٤٥٣ - ٤٥٥).

٣٠. نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية، مجهولة المصدر، ورقمها (٦٩٤) أدب.

- هذه النسخة حصلت على بياناتها من قاعدة بيانات معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

أما عن نشراتها المطبوعة:

فيُمكن القول إن لامية العرب لم تحظَ بتحقيق علمي حسب قواعد النشر النقدي للنصوص التراثية منذ نشرتها الأولى وحتى الآن.

وقد ظهرت نشرتها أول مرة في ألمانيا، بعناية المستشرق الألماني روس، ونشرت في دورية: ZDMG، سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٣م، ثم في إستنابول ومعها شرح المبرد بعناية العبد رسول البخاري، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠هـ/١٨٧٩م (٣٧).

ثم في لندن، بعناية: J. W. Redhouse وذلك سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨١م.

ثم في الهند، بعناية أبي الصفا الرضواني، بمطبعة روز بازار، سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م.

ثم في القاهرة، بتصحيح محمد محمود بن التركزي الشنقيطي، بمطبعة الموسوعات، سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م.

ثم في بيروت مرتين؛ الأولى نشرها فؤاد أفرام البستاني سنة ١٩٦٣م في: كتابه الشنفرى، ضمن سلسلة الروائع، الإصدار رقم٢، والثانية بعناية محمد بديع شريف، بدار مكتبة الحياة، سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٤م[٣٨].

وتوالت بعد ذلك طبعاتها التجارية، وقد وقفت مؤخرًا -أثناء زيارة لمكتبة دار السلام بالأزهر- على نسخة من لامية العرب للشنفرى، بعناية د.صلاح الدين الهواري، طبعة المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. في كتاب من القطع الصغير ١٠٤ صفحة، والملاحظ أنه لم يعتمد على أي نُسَخٍ خطية في إخراجها.

المبحث الرابع: شروح لامية العرب المخطوطة

بعد مطالعة الفهارس وقواعد البيانات المتاحة استبعدت الشروح المجهولة أولًا، ورأيت تقسيم المادة التي حصلت عليها بعد ذلك إلى: الشروح المفقودة، تليها الشروح المخطوطة الموجودة، ثم الشروح المُضمَّنة غير المفردة.

أولًا - الشروح المفقودة:

١. شـرح أبي جعفـر النحـاس (٣٣٨هــ)، انظر: شـرح القصائـد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس، تحقيق د.أحمد خطاب (٢٧/١).

٢. شرح أبي زكريا يحيى بن علـي المعروف بالخطيب التبريزي (٥٠٢هـ). انظر: خزانة الأدب للبغدادي (٣٤١/٣)، بروكلمان (١٠٩/١).

٣. شرح صـلاح الدين خليل بن أيبـك الصفديّ (٧٦٤هــ). ذكره عصام الديـن بن عثمـان العمـريّ في كتابه: الروضـ النضر في ترجمـة أدباء العصر، تحقيق سليم النعيمي (٤٠٥/١).

ثانيًا - الشروح المخطوطة:

١. شـرح المختار بن عوف بن سليمان بن مالـك الأزدي السليمي البصري (١٣٠هــ)، ورقمها (٢/٦٥٠) الرسالة الثانية ضمن مجموع، ٨ ورقات. انظر: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزاوية العياشية، (٧٢٢/٣).

٢. شـرح أبـي العباسـ أَحمـد بـن يحيى ثعلـب (٢٩١هــ). لـه نسختان: المكتبـة الآصفيـة (٢٤٤/٢) ومكتبـة الفاتيكان (ثالـث/٣٦٤). انظر: جامـع الشروح والحواشـي (٧٨٧/٣)، تاريـخ الأدب العربي لبروكلمان (١٠٨/١).

٣. شرح منسـوب لأبي بكر بن دريد (٣٢١هـ)، ومنـه نسخة بمكتبة الدولة برلـين ورقمهـا (٧٤٠٨) ضمن مجموع أولـه رسالة المقصـور والممدود لابـن دريـد، ثـم شـرح لاميـة العـرب لمجهـول، ثم شـرح بانـت سعاد لأبـي البركات الأنبـاري، ثم قصيـدة ثائية لابن دريـد، وليس في شرح اللاميـة ما يشير إلى كونه لابن دريد، ولعل مـن نَسَبَه إليه نظر إلى أول المجموع وآخره. انظر: بروكلمان (١٠٧/١).

٤. قلـت: وعن هـذه النسخة مجهولة المؤلف حققـه د.محمود العامودي ونفاه عن المبرد ونسبه للتبريزي!!

٥. شرح محمد بن حسـن إليجك التركيّ توفي بعد (٦٩٨هـ). واسمه: عقد درر الأدب في شـرح لاميـة العـرب، ومـن نسخه الخطيـة نسخة بخطه تحتفـظ بهـا مكتبة أيـا صوفيـا، ورقمهـا (٣١٤٥) في ٨٤ ورقة، وجامع الزيتونـة بتونـس ورقمهـا (١٠٠٣٠) في ٤٧ ورقـة، وجامعـة بطرسبرج ورقمها (٧٣٢)، ودار الكتب المصرية ورقمها (٨١/م). انظر: بروكلمان (١٠٨/١)، جامع الشروح والحواشي (٧٨٨/٣).

٦. شرح إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢هـ)، واسمه: شرح معاني لامية العرب. انظر: جامع الشروح والحواشي (٧٨٨/٣).

٧. شـرح أبـي البقـاء كمال الديـن محمد بن موسـى بن عيسـى الدَّمِيريّ (٨٠٨هـ). انظر: فهرس مخطوطات المجمع العلمي العراقي (٣٨٧/٢).

٨. شـرح لمحمد العصامـيّ الدمشقي (ت بعد ١١٠٣هـ). وله نسخة بخط المؤلف بمكتبة هامبورج رقمهـا (١٢١٩٢)، وله نسختان أخريان بمكتبة أسعـد أفندي رقمهما (٢٧٩٨)، والثانية (٢١٩٢) ضمن مجموع (١٧ب ـ٢٣ب)، مؤرخـة ١١٠٣هـ. انظـر: سيزكـين (٥٤/٢)، جامـع الشروح والحواشي (٣ /٧٨٨).

٩. شرح مهذب الدين أبي نصر محمد بن يحيى بن كرم النحوي أَلَّفه سنة ١١٧٠هـ. ومنه ثـلاث نُسَخ بمكتبة المتحف العراقـي أرقام: (٢٨٤٦٨)، (١٤٦٠١)، (٥٤٦١)، مكتبـة يوسـف آغـا بقونيـة رقمهـا (٥٩٩٨). انظـر: سيزكين (٥٥/٢)، نوادر المخطوطـات العربية في مكتبات تركيا (٢٩٧١/١)، جامع الشروح والحواشي (٧٨٨/٣).

١٠. شـرح سليمان بن محمد بن أحمد بن زيد بـن سليم أَلَّفه سنة ١١٩٢هـ. انظـر: فهرسـ المخطوطـات الأدبيـة في دار صـدام للمخطوطـات، ص(٣٩٠).

١١. شـرح أبـي الخـير عبـد الرحمـن بـن عبـد الله بـن حسـين السويدي (ت١٢٠٠هـ)، واسم شرحه: سكب الأدب على لامية العرب، ومن نُسَخه: مكتبـة المتحـف البريطاني رقمهـا (١٤١٥/٤)، المكتبـة الوطنية بفيينا رقمها (١/١٥٨٧). انظر: جامع الشروح والحواشي، (٧٨٩/٣).

١٢. شـرح عمر بـن الحسن بن مسافـر الشامي الأموي أَلَّفـه سنة ١٢٣٢هـ. ومنـه نسخة بمكتبة المتحف العراقي رقمها (٣/٣٠٢٣٧). انظر: فهرس المخطوطـات الأدبيـة في دار صـدام للمخطوطات، صـ(٣٨٩)، جامع الشروح والحواشي، (٧٨٩/٣).

١٣. شرح محمد بن أحمد المعسكري الجزائري (ت ١٢٣٨هـ)، واسمه: نهاية الأرب شرح لامية العرب. انظر: جامع الشروح والحواشي، (٧٨٩/٣).

١٤. شـرح محمـد سعيد بن عبـد اللطيف بن عبد الـرزاق البغدادي، كان حيًّـا سنـة ١٢٦٦هـ. ومنه نسخـة بخط المؤلف تحتفظ بها مكتبة المتحف العراقي رقمها (٢٠٦٩) انظر: فهرس المخطوطات الأدبية في دار صدام للمخطوطات، ص(٣٨٩)، جامع الشروح والحواشي، (٧٨٩/٣).

١٥. شـرح لمحمد بـن عبد الرحمن البطـاوري (ت ١٢٧٥هــ). انظر: جامع الشروح والحواشي (٧٩٠/٣).

١٦. شرح أحمـد بن محمد بن إسماعيل المعـا في التهامي الضحوي (ت نحو ١٢٨٠هـ). انظر: جامع الشروح والحواشي (٧٩٠/٣).

١٧. شرح الحسن بن أحمد المعروف بعاكش الضمدي اليمني (ت ١٢٨١هـ).

ومنــه نسخــة بدار الكتــب المصريــة رقمهــا (٨٤٦- أدب). انظر جامع الشروح والحواشي (٣/٧٩٠).

١٨. شـــرح لمحمد الخالدي الصفديّ (ت بعد ١٢٩٠هـ). ومنه نسخة بالمكتبة الظاهريــة رقمها (٦٢٥٧). انظــر: سيزكــين (٢/٥٤)، جامع الشروح والحواشي (٣/٧٩٠).

١٩. شـــرح محمــد بن أحمــد الطوكي (ت ١٣١٤هــ)، له حاشيــة على لامية الشنفرى. انظر: جامع الشروح والحواشي (٣/٧٩٠).

٢٠. شرح محمد الطيب بن محمد صالح بن محمد العلوي المالكي (١٣٣٤هـ). انظر: جامع الشروح والحواشي (٣/٧٩٠).

٢١. شـــرح محمد صديق بن محمد صالح الرامبوري (ت ١٣٣٤هـ). واسمه: الانتقــاد على العلامــة محمد الشنقيطي في ردِّه علــى عاكش الضمدي، ويقع في (٣٢٥) ورقة. انظر: جامع الشروح والحواشي (٣/٧٩٠).

٢٢. شـــرح أبــي بكر بن العربــي بن محمد البنــاني الفاســي (ت ١٣٣٥هـ). واسمــه: حــل المشــكلات المنتدب في شـــرح لاميــة العرب. ومنــه نسخة خطيــة بالخزانة الحسنية بالرباط رقمها (٢٠٦). انظر: جامع الشروح والحواشي (٣/٧٩٠).

٢٣. شـــرح بالفارسيـــة لغــلام حسين الشــيرازي المعــروف بقاموس كوشي (ت ١٣٣٩هــ). انظــر: سيزكــين (٢/٥٥)، جامع الشـــروح والحواشي (٣/٧٩٠).

٢٤. شرح لمحمــد بابا الصحـــراوي الشنقيطي (ت ١٣٤٢هــ). انظر: جامع الشروح والحواشي (٣/٧٩٠ ـ ٧٩١).

٢٥. شـــرح لمحمد المكي بن محمــد البطاوري (ت ١٣٥٥هــ). واسمه: هامية

الطرب بشرح لامية العرب. انظر: جامع الشروح والحواشي (٧٩١/٣).

٢٦. شــرح لعبد الكريم بن حسين الزين (ت ١٣٦٠هـ). انظر: جامع الشروح والحواشي (٧٩١/٣).

٢٧. شــرح لحكمت بن محمد شريف الطرابلسي (ت ١٣٦٤هـ)، واسمه: عود الطرب شرح لامية العرب. انظر: جامع الشروح والحواشي (٧٩١/٣).

٢٨. شــرح لمحمد بن باباه القنــاني الشنقيطي (ت ١٣٨٢هــ). انظر: جامع الشروح والحواشي (٧٩١/٣).

٢٩. شرح لعبد الرحمن بن محمد. واسمه: خلاصة الأدب على لامية العرب، ومنــه نسخة بمكتبة جامعــة إستانبول رقمها (٨٧٤) في ١٥ ورقة. انظر: سيزكين (٥٤/٢)، جامع الشروح والحواشي (٧٩٠/٣).

٣٠. شــرح لمؤلف يدعــى: المجوســيّ. ومنه نسخــة بالرباط - جــلاوي رقمها (١٤٢). انظر: سيزكين (٥٥/٢)، جامع الشروح والحواشي (٧٨٨/٣).

٣١. شــرح محمد بن علــي بن عبد الرحمــن، له حاشية علــى لامية العرب. ومنها نسخة خطية بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية في (٤٤) ورقة. انظر: جامع الشروح والحواشي (٧٩٠/٣).

٣٢. شرح اللاميات، لحسين بن عبد الجليل برادة. انظر: فهرس المخطوطات الأدبية بدار صدام للمخطوطات، ص (٣٨٨).

٣٣. مختصــر لمؤلــف مجهول، من شــرح ابن أبي طي (ت ٦٣٠هــ) المسمى: المنتخــب في شــرح لامية العرب، ومنــه نسخة خطية تحتفــظ بها مكتبة كوبريلي، رقمها (١٠٨٠). انظر: جامع الشروح والحواشي، (٧٨٨/٣).

ثالثا- الشروح غير المفردة:

تعرض بعض الشراح إلى شرح لامية العرب ضمن كتبهم التي احتوت نصوصًا أخرى غيرها، ومن ذلك:

١. شرح ابن طيفور البغدادي (٢٨٠هـ) في كتابه: القصائد المفردات التي لا مثل لها. وقد طُبع بتحقيق د. محسن غياض، منشورات عويدات- بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م.

٢. شرح لمؤلف مجهول من القرن الرابع في كتاب: المنتخب في محاسن أشعار العرب المنسوب للثعالبي. وقد طُبِع بتحقيق د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص(٢٩١-٣٠٢).

٣. شرح أبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد الحسيني المعروف بابن الشجري (٥٤٢هـ) في كتابه: مختارات شعراء العرب. وقد طُبع أولا بعناية: محمود حسن زناتي سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ثم طُبِع بتحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦١م، ص (٧٢-١٠٦).

٤. شرح عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) ضمن كتابه: خزانة الأدب. وقد شرح منها ثمانية عشر بيتًا، وقد قام بجمعها في سلك واحد وحققها د. محمود العامودي ونشرها بمجلة جامعة الأزهر بغزة، المجلد (١٣)، العدد الأول سنة١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

المبحث الخامس: شروح لامية العرب المطبوعة

بعد البحث توصلت إلى حصر هذه الشروح المنشورة للامية العرب على النحو الآتي:

١. الشـرح المنسـوب للمبرد (٢٨٥هـ). وقـد أحصيت له تسـع نسخ خطية وهي: المكتبة الظاهرية ورقمها (٢/٧٣٩١) عام، مكتبة جامعة برنستون (جاريـت/٨)، المكتبة الملكية ببرلين رقمهـا (٧٤٦٨)، مكتبة آيا صوفيا رقمها (٥٢ أدب)، مكتبة جامـع الزيتونة بتونس رقمها (٢٨٢٧)، وأربع نسـخ بالمكتبة الأزهرية رقمها: (٦٤٤٢ أدب ٧٠٢٠٢)، (٦٢٣ أدب ٧٢١٨ أباظة)، (٩٣١٩ أدب ١٣٠٠٨٣ طنطا)، (١١٨٦ مجاميع ٧٣٣٤ أباظة). انظـر: بروكلمـان (١/١٠٥)، جامـع الشروح والحواشـي (٣/٧٨٧)، فهرسـ مخطوطـات مكتبـة الأزهـر الشريـف، (١٨/١٦٨).طُبع هذا الشـرح لأول مـرة بمطبعة الجوائـب بالقسطنطينيـة بإستانبـول سنة ١٣٠٠هـ/١٨٧٩م، ومعه شرح الزمخشري، بعناية العبد رسول البخاري، وطبـع بعـد ذلك ضمن كتـاب: بلـوغ الأرب في شرح لاميـة العرب، وهو جمع لشروح كل مـن: الزمخشري والمبرد والعكبري وابن زاكور الفاسي وابـن عطـاء الله المصـري، (جمـع وتحقيـق) محمـد عبـد الحكيـم القاضـي ومحمـد عبدالـرازق عرفـان، دار الحديـث بالقاهـرة، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، وممـا يلاحـظ على هـذه النشرة المذكـورة اعتماد أصحابهـا علـى المطبوعات العتيقة لهذه الشروح الخمسـة دون أي نُسَخٍ خطيـة، كما وقع فيهـا تصرف في النص بإدماج هـذه الشروح الخمسة معًا: فكل ما يتعلق بالبيت الواحد ذُكِر تحته حسب ترتيب الشروح المذكور آنفا في سياق واحد، ثم البيت الذي يليه، وهكذا إلى آخر القصيدة.

٢. شرح أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ). واسمه: أعجب العجـب في شرح لاميـة العرب، ومن نُسَخه: مكتبـة أوقاف بغداد رقمها (٩٧٦٨)، دار الكتـب المصرية رقمهـا (١٥٨٣٤). انظر: جامع الشروح والحواشـي (٣/٧٨٧). صـدر أول مـرة بعنايـة: عبد رسـول البخاري

مـع الشرح المنسوب للمبرد وشرح ابن زاكـور الفاسي بمطبعة الجوائب سنــة ١٣٠٠هــ، ثم بعنايــة محمد أمــين الخانجي بالقاهــرة ط٢، سنة ١٣٢٤هــ، وأخــرى بعنايــة عبد المعين الملوحــي تحت عنــوان: اللاميتان (لاميــة العرب للشنفرى بشــرح الزمخشري، ولاميــة العجم للطغرائي بشــرح الصفدي)، وزارة الثقافة والنشــر بدمشق سنة ١٩٦١م، وحققه د. محمد إبراهيم حور، مطبعة سعد الدين بدمشق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣. شــرح أبــي البقاء عبـدالله بــن الحسين العكـبري (٦١٦هــ). واسمه: إعــراب لاميــة الشنفرى، ومــن نُسَخه: مكتبــة المتحــف العراقي رقمها (١٨٢٧٥)، ومكتبــة أوقــاف الموصــل نسختــان رقمهمــا (٥٧ /٢٢)، (٢٣/٢٣)، والأزهريــة رقمها (٣٣٨ مجاميع ١٠٦٦٦٢)، ونسختان بدار الكتــب المصرية رقمهمــا (٤٠٧٩)، (٨٧ شــ)، ومكتبــة الدولة ببرلين رقمهــا (٧٤٦٩). انظر: جامع الشروح والحواشي (٣/٧٨٧). طبع هذا الشرح أولاً في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٣)، الجزء الأول، ١٤٠٢هــ/ ١٩٨٢م، بتحقيق د.محمد خير الحلــواني، ثم نشره مستقلاً بدار الآفاق الجديدة ببيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤. شــرح يحيى بن عبــد الحميد الحلبــي الغساني المعروف بابــن أبي طيّ النجــار (٦٣٠هـ). واسمه: المنتخب في شرح لاميــة العرب، ومنه نسخة نفيســة بخــط المؤلــف بمكتبــة ديــر الأسكوريــال رقمهــا (٣١٤). ومنه مختصر المنتخــب، نسخة تحتفظ بها مكتبــة كوبريلي رقمها (١٠٨٠). انظــر: بروكلمان (١/١٠٨)، وتاريخ التراث العربي لسيزكين (٢/٥٣)، جامع الشــروح والحواشي (٣ /٧٨٨). وقد حققــه مؤخرًا : د. إبراهيم ابــن محمد البطشــان، ونشرته دار المنهاج بجُــدة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م في مجلد كبير[٣٩].

٥. شرح منسوب لمحمد بن عبدالله بن مالك: صاحب ألفية النحو (٦٧٢هـ). ومنه نسخة بمكتبة فيض اللّه أفندي تحت رقم (٢١٢٩) ضمن مجموع (٩٢أ-٩٦ب)، انظر: نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا (١٧٢/١)، وقد حققه د.محمود العامودي، ونشره بمجلة جامعة النجاح الوطنية في غزة، المجلد (١٤) العدد الثاني، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ولا تصح نسبته إلى ابن مالك؛ فليس فيه ما يدل على كونه له، لاسيما وأن المصادر التي ترجمت لابن مالك -على وفرتها وكثرتها- لم تنسب له هذا الشرح، والأمر يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة.

٦. شرح المؤيد بن عبد اللطيف بن سعد النَّقْجُوَانيّ (ت بعد ٩٨٣هـ). ومن نسخه الخطية: مكتبة المتحف العراقي رقمها (١٠٣٦)، والمكتبة العباسية رقمها (١٠٨)، ومكتبة جامعة ليدن رقمها (٢٧٥٨). انظر: سيزكين (٥٣/٢)، جامع الشروح والحواشي (٣/ ٧٨٨)، وقد حققه د.محمود العامودي ونشره بمجلة جامعة جرش للبحوث والدراسات بالأردن، في ٤٨ صفحة، المجلد (٣)، عدد (٢)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص (١٤٧-١٨٩).

٧. شرح أبي جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجي الماغوسيّ (ت بعد ١٠١٦هـ). واسمه: إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب، ومن نسخه الخطية: المكتبة الأحمدية بتونس رقمها (٤٧٦٧)، والخزانة العامة بالرباط رقمها (١/١٣٥). انظر: جامع الشروح والحواشي (٣/ ٧٨٨)، وقد حققه د.محمد أمين المؤدب في رسالة الدبلوم العالي بكلية الآداب جامعة الرباط بالمغرب في جزأين سنة ١٩٩٧م، انظر: من نوادر مخطوطات المكتبة المغربية، ص(١٩٤)، ونشره مؤخرًا بدار الأمان بالرباط وتوزيع دار الكتب العلمية بيروت.

٨. شــرح أبي الإخلاص جاد الله الغنيمي الفيومــي (بعد ١١٠١هـ). انظر: سيزكـين (٥٣/٢)، واسمــه: عنــوان الأدب بشــرح لامية العــرب، ومنه نسختــان بــدار الكتــب المصريــة رقمهمــا (٧٣٧٧)، (١٩٥)، ونسخــة بالمكتبــة العمومية بإستنابول (٥٤٧٤). انظر: جامع الشروح والحواشي (٧٨٨/٣). وقــد حققــه د.محمــود العامــودي، ونشره بمطبعــة المقداد بغزة- فلسطين ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٩. شرح محمد بن القاسم بن محمد بن زاكور الفاسي (١١٢٠هـ). واسمه: تفريــج الكُرَب عن قلوب أهل الأدب في معرفة لامية العرب، ومن نسخه: الخزانة العامة بالرباط رقمهــا (١٥٧)، والمكتبة الوطنية بتونس رقمها (٣٩٣٠)، ومكتبة الدولة ببرلــين رقمها (٧٤٧٠). انظر: جامع الشروح والحواشــي (٧٨٩/٣). وقد صدر أول مــرة بعناية: عبد رسول البخاري مــع الشرح المنسوب للمــبرد وشرح الزمخشري بمطبعــة الجوائب سنة ١٣٠٠هــ، ثم حققه د.محمود العامودي، ونشــره بمطبعة المقداد بغزة/ فلسطــين، ١٤١٥هــ/١٩٩٥م. وكذلــك علــي إبراهيم كــردي في دمشق ١٩٩٥م.

١٠. شــرح أبي البركات عبــدالله بن الحسين بــن مرعي الــدوري السويدي (١١٧٤هــ). واسمه: رشف الضَرَب بشــرح لامية العرب، ومنه نُسختان بمكتبــة أوقاف بغداد رقمهما: (٨٥)، (٤٠٠)، ونسختان بمكتبة المتحف العراقي ورقمها: (١١١٩)، (١٣٦٤). انظر: سيزكين (٥٤/٢)، وجامع الشــروح والحواشــي (٧٨٩/٣). وقد حققــه عصام عكلة عبــد القهار الكبيســي في رسالته للماجستير بكلية التربية قسم اللغة العربية جامعة الأَنبار بالعراق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١١. شرح عطاء الله بن أحمد بــن عطاء الله الأزهري المصري (١١٨٦هـ).

واسمـه: نهايـة الأرب في شرح لامية العرب، ومـن نُسَخه: مكتبة جامعة الإمـام محمد بـن سعود رقمهـا (١٠٦٠)، ومكتبة جامعة ييـل بأمريكا رقمهـا (٣٢٩). انظر: جامع الشروح والحواشي (٧٨٩/٣). حققه أولًا: د.عبـد اللّه عبيد الغـزالي، ونشـره في حوليات كليـات الآداب بالكويت الحوليـة ١٢، الرسالـة ٧٤، وذلـك سنـة ١٤١٤هـ/١٩٩١م. ثـم حققه بعـد ذلك د.محمود العامـودي، ونشره بدار البشـير، غزة – فلسطين، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٢. شـرح سليمان بن عبداللّه الشاوي العبيدي البغدادي (١١٤٠هـ). واسم شرحـه: سكـب الأدب على لامية العرب، ومن نسختـان بمكتبة الأوقاف ببغداد رقمهما (٤٠٥)، (٢٤٣١٦/: مجاميع)، ومكتبة المتحف العراقي رقمها (٣٠٢٤٣)، ومكتبة الدولة ببرلين رقمها (٧٤٧١)، ومكتبة متحف طـوب قابو سـراي رقمهـا (٧٣٦١). انظر: سيزكـين (٥٤/٢)، جامع الشـروح والحواشي (٧٨٩/٣). وقد حققه مهنـد مجيد برعي العبيدي في رسالتـه للماجستـير بكليـة اللغـة العربيـة جامعـة بغـداد بالعراق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م(٤٠).

١٣. شـرح محمد محمـود بن التلاميـد التُركـزي الشنقيطـي (١٣٢٠هـ). واسمه: إحقاقُ الحقِّ وتبريءُ العرب مما أحدثه عاكش اليمني في لغتهم ولاميـة العرب، ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقمها (١٨٤٦). انظر: بروكلمان (١٠٨/١)، سيزكين(٥٥/٢)، جامع الشروح والحواشي (٧٩٠/٣). وقد حققـه: رائد بن سعد الشلاحي، دار غراس– الكويت، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٤. شـرح الشيخ عبد القادر بن إبراهيـم المسعدي ت ١٣٧٨هـ، وكان الفراغ مـن تأليفه ضحوة الجمعـة لأربع عشرة ليلة بقين مـن شهر ذي الحجة سنـة ١٣٣٤هـ، وقد حققـه الأستاذ الحفناوي بن عامـر غول الحسني، ولاية الجلفة– الجزائر، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

المبحث السادس: الشروح المعاصرة والدراسات الحديثة

أولًا: الشروح المعاصرة للامية العرب

اهتم أهل العلم المعاصرون بهذه القصيدة وتقريبها لشداة الأدب، ومما وقفت عليه من هذه الشروح:

١. شرح الشيخ حمزة فتح الله ضمن كتابه: المواهب الفتحية، طبع بالقاهرة لأول مرة سنة١٣١٢هـ/ ١٨٩١م، وأعادت طبعه مكتبة التراث بالقاهرة، بتحقيق أستاذنا د.محمود إبراهيم الرضواني (١/١٦٤- ١٨٦).

٢. شرح فؤاد حسنين علي، وقدم لها شرحًا مقارنًا مع لغات سامية أخرى. في بحث نشره بمجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة)، في ٢٢ صفحة، المجلد (١٠) الجزء (١)، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٨م، ص (٤٥- ٦٦).

٣. شرح لامية العرب، د.عبد الهادي التازيّ. طبع بفاس سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م. انظر: معجم المطبوعات المغربية ص (٥٥).

٤. شرح محمد ناجي القشطيني ضمن كتابه: مختارات محمد ناجي القشطيني، دار الجمهورية بغداد، ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م، ص(٣٣٣-٣٧٤).

٥. شرح السيد إبراهيم بن عباس الرضوي الحسني نزيل حيدر آباد (ت١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، وقد فرغ منه سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م، ونشرته محققًا د.أسماء محمد حسن هيتو، دار الفارابي للمعارف- دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩، وخرج في ٢٤٥ صفحة.

٦. شرح محمد بديع شريف ضمن كتابه: نشيد الصحراء، مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م.

٧. شرح د. عبد الحليم حنفي ضمن كتابه: «شعر الصعاليك منهجه

وخصائصه»، ثم أفرد الشرح بعد ذلك في كتابه: «لامية العرب للشنفرى شرح ودراسة». انظر: شعر الصعاليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م، ص(١٦٠-١٧٨).

٨. شرح يوسف اليوسف ضمن كتابه: «مقالات في الشعر الجاهلي»، دار الحقائق- بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص(٢٠٩-٢٩٣).

٩. شرح د. محمد علي أبو حمدة في كتابه: التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى. طبع هذا الشرح بمكتبة الأقصى بعمان الأردن، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وهي رسالة من القطع الصغير في (٨٤) صفحة، ثم طبعه مرة أخرى بعنوان: في التذوق الأسلوبي واللغوي للامية العرب، بدار عمار بالأردن ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٠. شرح د. علي محسن مال الله ضمن كتابه: تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، بغداد، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص(٤٠٧-٤١٨).

١١. لامية العرب للشنفرى، بعناية ودراسة د.صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية ـ صيدا/ بيروت، في كتيب من القطع الصغير يقع في ١٠٤ صفحة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

١٢. شرح محمود أبو ناجي ضمن كتابه : «الشنفرى شاعر الصحراء الأبيّ». منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، ص(١٠٥-١٣٤)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م،

١٣. شرح لامية العرب (الشنفرية) للشيخ أحماد بن أبا الأبهمي الديماني. وقد فرغ الشيخ من هذا الشرح في رمضان ١٣٩٢هـ. ولكنه طُبِع في ربيع الآخر ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. ويقع هذا الشرح في ٢٦ صفحة.

١٤. شرح الشيخ محمد عبدالله بن محمد سعيد بن أُبيَّاه الشنقيطي المُلقب «بُومِيَّة». ضمن كتاب: الأمالي اللغوية في المجالس الكويتية المشتملة

علـى شرح قصيـدة كعب، ولاميـة الشنفـرى والمعلقات السبـع، قيدها د. وليـد عبـدالله المنيس، إصـدارات مجلة الوعي الإسلامـي بالكويت، العدد (١٠١)، ١٤٣٦هـ /٢٠١٥ م، ص(٧٣-١٢٤).

١٥. شرح وإعـراب لامية الشنفرى، عبـد الرحمن بن عوف كُـوني. وسمَّاه: جَـوْبُ جوفِ الفَرى بشرح وإعـراب لامية الشنفرى، وطبعته دار الميراث النبـوي بالجزائـر، في مجلد صغير يقع في ٢٥٢ صفحــة، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٦. شرح لامية العرب للشنفرى، د.محمد مطر سالم الكعبي، منشورات دار القلـم بدمشق، ط١، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ويقع في ١٧٦صفحة، في مجلدة لطيفة من القطع الصغير.

ثانيًا: الدراسات الحديثة حول الشنفرى ولاميته:

١. لاميــة العرب الكبرى، رضا الشبيبي. بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العربـي، دمشـق، المجلـد (٦) الجـزء (١١ ـ ١٢)، ١٣٤٥هــ/١٩٢٦م، ص (٥٥١ ـ ٥٥٤).

٢. دراســة في لاميــة العــرب للشنفــرى، لغزيـوي علي. مجلة دعـوة الحق المغربية، عدد (٢) السنة (١٥)، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص (٩٨- ١٠١).

٣. مـن شعرنا وشعرهم: الذئب بين الشنفرى والفرزدق والبحتري، ألفريد دوفينـي. بحث منشور بمجلـة: الآداب الأجنبية، سوريـا، عدد (١٩٦)، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص (١٧١ -١٨٢).

٤. لاميــة العــرب بـين النَّحـل والتوثيق، عــادل الفريجـات. بحـث منشور بمجلـة: المعرفـة- وزارة الثقافة بالجمهوريـة السورية، عـدد (١٩٦)، ١٣٩٨هــ/١٩٧٨م، صـ (١١١ ـ ١٢٤)، ثـم نشـره مـرة أخـرى في

كتابه: إضاءات في النقد الأدبي، منشورات دار أسامة- دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص (٥١ -٧٤).

٥. سريالية الصورة في لامية الشنفرى، ميّ مظفر. بحث منشور بمجلة الأقلام، السنة (١٨) العدد (٨)، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص (٢٤ـ ٢٩).

٦. لامية العرب: دراسة تاريخية نقدية، محمد مشعل الطويرقي. رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية- جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٧. لامية العرب للشنفرى، عبد العزيز إبراهيم. نشر ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٨. القيم العربية في لامية العرب (دراسة موجزة بمقدمة كتاب: بلوغ الأرب في شرح لامية العرب)، محمد عبد الرزاق عرفان. وهي مستلة من رسالته للماجستير كما ذُكِر في المقدمة انظر ص (٩)، وتقع في ٢٢ صفحة، دار الحديث ـ القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص (٢٦ـ ٤٧).

٩. لامية العرب أو رحلة التوحش: دراسة حول مفهوم الوحدة في النص الشعري، د. سعود دخيل الرحيلي. بحث منشور بمركز بحوث كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض، عدد (٢٢)، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، في ٦٥ صفحة.

١٠. لامية العرب للشنفرى، د.زينب عبد العزيز العمري. بحث منشور بمجلة: كلية الآداب ـ جامعة بنها، عدد (١)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص (٢٧ ـ ٦٨).

١١. الشنفرى ولاميته في ميزان الشاهد النحوي، د.عبد الله علي محمد إبراهيم. بحث منشور بمجلة: كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر فرع الزقازيق، عدد (١٥)، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص(٣٠٠ـ ٣٤٥).

١٢. رأيي في القصيدة المشهورة بلامية العرب، زكي ذاكر العاني. بحث منشور بمجلة آداب الجامعة المستنصرية بالعراق، العدد (٢٧)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٣. الصعلكة لدى الشنفرى ودلالتها الاجتماعية والنفسية، د.فضل بن عمار العمَّاري. بحث منشور بمجلة: كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود، المجلد (٨) العدد (٢)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص (٢٤٣ ـ ٢٧٨).

١٤. تحليل لامية الشنفرى، د.أحمد بن موسى الجاسم. ضمن كتابه: دراسات في الشعر الجاهلي: دراسة نصِّيَّة نقدية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص (١٤٧ ـ ١٩٧).

١٥. الراموز المقلوب الشنفرى أواخر القرن السادس الميلادي، أندريه ميكل. بحث منشور بمجلة: العلوم الإنسانية ـ البحرين، العدد الأول، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص (٢١٧ ـ ٢٢٨).

١٦. ملامح المرأة في شعر الشنفرى الأزدي: قراءة بيانية، وجدان عبد الإله الصايغ. بحث منشور بمجلة: العرب، المجلد (٣٤) العدد (٥ ـ ٦)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص (٣٥١ ـ ٣٦٧).

١٧. الجهود اللغوية والنحوية في شروح لامية العرب، بشرى عبد الرزاق العذاري. رسالة ماجستير بكلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٨. النص الجاهلي بين تلقِّيَيْن قديم وحديث: لامية العرب نموذجًا، د.عادل الفريجات. بحث منشور بمجلة: جذور ـ النادي الأدبي الثقافي بجُدَّة، المجلد (٢) الجزء (٤)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص (١٦٣ ـ ٢١٠).

١٩. عذابات الشنفرى: قراءة في سيرته وشعره، فاروق أسليم. بحث منشور بمجلة: المعرفة ـ وزارة الثقافة بالجمهورية السورية، السنة (٣٩) عدد (٤٤٥)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص (٢١٩ ـ ٢٣٨).

٢٠. نفوسٌ عزيزةٌ: قراءة نقدية في لامية العرب، د. إخلاص فخري عمارة. كتاب نشرته مكتبة الآداب - القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، في ٧٥ صفحة.

٢١. المسائل النحوية والتصريفية في شروح لامية العرب حتى أواخر القرن السابع الهجري: جمعًا ودراسة، أحمد بن عبد الله القشعمي. رسالة دكتوراه، بكلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٢. أزل تهاداه التنائف أطحل: قراءة في لامية العرب للشنفرى، مبروك المناعي. بحث منشور بمجلة: حوليات الجامعة التونسية، العدد (٤٥)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص (١٤١ - ١٥٦).

٢٣. قراءة في لاميات الأمم: العرب والعجم واليهود والهنود، د. محمود الربداوي. بحث منشور بمجلة: التراث العربي - سوريا، المجلد (٢١) العدد (٨٣ - ٨٤)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص (٨٨ - ١٢٣).

٢٤. توظيف البناء الصرفي في الشعر الجاهلي: شعر الشنفرى نموذجًا، د. طارق سعد شلبي. كتاب صدر عن دار زهرة المدائن - القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٥. شعر الشنفرى الأزدي: دراسة توثيقية وتحقيقية، محمود عبد الله الجادر. بحث منشور بمجلة: المورد العراقية، المجلد (٣٠) العدد (١)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص (٥٣ - ٦٠).

٢٦. صوت الجسد الفاعل في شعر الشنفرى، عبد الكريم يعقوب. بحث منشور بمجلة: جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية - سوريا، المجلد (٢٥) الجزء (١٨)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص (١١٩ - ١٤٠).

٢٧. أثر البيئة في بنية الشعر الجاهلي من خلال معلقة طَرَفة ولامية

الشنفرى، د.منى إبراهيم الدسوقي. بحث منشور بمجلة: كلية التربية (القسم الأدبي) ـ جامعة عين شمس، المجلد (١١) العدد (١)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص (١٤١ ـ ٢٠٦).

٢٨. اللغة الشعرية عند الشنفرى: دراسة وصفية تحليلية، البشير المناعي. مذكرة ماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب واللغات ـ جامعة الجزائر، العام الدراسي ١٤٢٦ ـ ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٦م، ٣٤ صفحة.

٢٩. شعر الشنفرى: دراسة أدبية من منظور لغوي، ابتسام حمزة العنبريّ. بحث نشر مفردًا في ٨٠ صفحة، وطبعه: مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٣٠. فكرة الانتماء في لامية الشنفرى الأزدي، د.جاسم بن صالح الدليمي. بحث منشور بمجلة: جذور ـ النادي الأدبي الثقافي بجُدَّة، المجلد (١١) الجزء (٢٥)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص (٦١ـ ٨٤).

٣١. مخطوطة غميسة لكتاب نادر في شرح لامية العرب للشنفرى الأزدي، د.عزة حسن. بحث منشور بمجلة: التاريخ العربي ـ المغرب، العدد (٤١)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص (١٣٧ـ ١٥٥).

٣٢. قراءة في لامية الشنفرى في ضوء علم اجتماع الأدب، د.عبدالله محمد عيسى الغزالي. بحث منشور بمجلة: رسالة المشرق ـ مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، في ٤١ صفحة، المجلد (٢٠) العدد (١ ـ ٤)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص (٢٤٩ ـ ٢٨٩).

٣٣. الجملة الاسمية في شعر الشنفرى: دراسة نحوية تطبيقية، أميرة أبكر خليل إسماعيل. رسالة ماجستير، بكلية اللغة العربية ـ جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٣٤. الذهنيــة الفردية بالمخيال الجمعــي: لامية العرب للشنفــرى أنموذجًا، د.عبد الفتاح أحمد يوسف. بحث مقدَّم لمؤتمر النقد الدولي الثاني عشر وعنوانــه: (تداخـل الفنون الأدبية) ـ قســم اللغة العربيــة وآدابها بكلية الآداب ـ جامعة اليرموك ـ الأردن، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، (١/٨٥٨ ـ ٨٧٩).

٣٥. لاميــة العــرب للشنفــرى: معجم ودراســة دلالية، د.ندى عبــد الرحمن الشايــع. أصدرتــه مكتبــة لبنان ناشــرون، في مجلدة صغــيرة من ١٦٧ صفحة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٣٦. الأسلــوب في لاميــة العــرب للشنفرى: دراســة في البنيــة اللغوية، رشيد بــن قسيمة رسالة ماجستير بقســم الأدب بكلية الآداب واللغات ـ جامعة محمــد خيضــر ـ بسكرة بالجزائــر، العام الدراســي ١٤٢٩ ـ ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩م، ١٨٠ صفحة.

٣٧. جدلية الأنــا والآخر في لامية العرب للشنفــرى، د.أسماء شمس الدين. بحــث منشور بمجلة: كلية الآداب ـ جامعة بنها، عدد (٢١) الجزء (١)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص (١٩ ـ ١٢٦).

٣٨. الشنفرى: الصعلوك الذي خلــع قومه، إبراهيم محمود الصغير . بحث منشور بمجلة: بونة للبحوث والدراسات- الجزائر، في ٧٢ صفحة، عدد (١١- ١٢) الجــزء (١)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص (١٥ ـ ٨٦). ونشره مرة أخــرى مختصــرًا بمجلة: عــالم الفكر- الكويــت، في ٣٢ صفحة، المجلد (٤٠) العدد (٣)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص (١٧٧ ـ ٢٠٨).

٣٩. ســؤال النص وإشكالية تقاطع النــزوع الإنساني مع المرجعيات الجمعية داخـل نص لاميــة العرب، د.عبــد الفتــاح أحمد يوسف. بحــث منشور بمجلــة: المعرفــة ـ وزارة الثقافة السوريــة، عــدد (٥٩١) السنة (٥١)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص (٣٧ ـ ٤٦).

٤٠. جدلية العلاقة بين لامية الشنفرى وسينية البُحتُريّ: لوحتا الذئب وأنطاكيا نموذجًا، د.حسن فالح بكور. بحث منشور بمجلة: اتحاد الجامعات العربية للآداب بالأردن، المجلد(٧) العدد (٣)، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص (٥٦٣ - ٥٩٠).

٤١. لامية العرب: توثيق وتأصيل، نزار عوني. بحث منشور بمجلة: المعرفة - وزارة الثقافة بالجمهورية السورية، السنة (٤٩) العدد (٥٦٦)، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص (٣١٦ - ٣٢٣).

٤٢. قراءة في لامية العرب للشنفرى الأزدي، د.أحمد درويش. ضمن كتابه: في النقد التطبيقي محاورات مع نصوص شعرية ونثرية، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص (١٣ - ٢٩).

٤٣. أبنية الأفعال وحقولها الدلالية في لامية العرب للشنفرى، د.صلاح سعد إمحمد الميلطي - د.مزيد نعيم. بحث منشور بمجلة: جامعة سبها (العلوم الإنسانية)، المجلد (١٠) العدد (٢)، ١٤٣٤هـ/٢٠١١م، ص (٨٥ - ١٠٢).

٤٤. لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر، باسم إدريس قاسم. بحث مطول نشر بمجلة التربية والعلم بالموصل، المجلد (١٨)، العدد الأول، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ٦٠ صفحة.

٤٥. فاعلية المعنى النحوي في إضاءة النصوص الشعرية: دراسة في لامية العرب للشنفرى، رشيد بن قسيمة. بحث منشور بمجلة: أبحاث في اللغة والأدب - جامعة بسكرة بالجزائر، العدد (٧)، ص (٢٣١ - ٢٤٧)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٤٦. لامية العرب بين النفي والإثبات، عبد اللطيف حمودي الطائي. بحث

منشــور بمجلــة: المجمــع العلمــي العراقــي، المجلد (٥٩) الجــزء (٢)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص (١٢٣ ـ ١٤٦)، ثم نشره مرة أخرى بمجلة العرب، جــزء (٧ـ٨) السنة (٥٣)، صفــر ١٤٣٩هـ/ نوفمبر٢٠١٧م، ص(٣٩٣ ـ ٤٠٦).

٤٧. التشبيــه في لاميــة العرب: دراســة نفسية، د.محمد أحمــد أمين أحمد. بحــث منشور بمجلة: الدراســات الإنسانية بكليــة الآداب ـ جامعة دنقلة بالسودان، العدد (٨)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص (١٨٧ ـ ١٩٩).

٤٨. دراســة نقديــة في تسميــة لامية العــرب، د. سيد محمــد موسوي. بحث منشــور بمجلة دراسات في اللغــة العربية وآدابها ـ إيــران، العدد(١١)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص(١٣١– ١٥٠).

٤٩. رؤيــة الإبداع الجمالية في لاميــة الشنفرى، د.منال عيسى. بحث منشور بمجلة: جامعة البعث للعلوم الإنسانية ـ سوريا، المجلد (٣٥) العدد (٩)، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص (١٥٩ ـ ١٨٨).

٥٠. لامية العرب بين التواصــل والقطيعة: مقاربة حجاجية، د.عبد الرحمن أحمــد إسماعيــل كرم الديــن. بحــث منشور بمجلــة: العلــوم العربية ـ عمــادة البحــث العلمــي بجامعة الإمــام محمد بــن سعــود الإسلامية، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص (١٣٧ ـ ١٩٣).

٥١. لاميــة العرب: دراســة نحوية نصيــة، د.عصام عبد المنصــف أبو زيد. بحــث منشور بمجلة: كليــة الآداب ـ جامعة طنطا، العــدد (٢٧) الجزء (١)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص (١ ـ ٥٠).

٥٢. لاميــة العرب: سيميائيــة الأمومة والسؤال الطوبــاوي: بحث في مسالك المعنــى، د.محمد موسى العبسي. بحــث منشور بالمجلة الأردنية في اللغة

العربيــة وآدابها، المجلد (١٠) العــدد (٢)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص (٧٩ـ ١٢٦).

٥٣. البنيــة الإيقاعيــة في لامية العــرب للشنفرى، د.خالد بــن ميلاد محمد العود. بحث منشور بمجلة: كلية الدعوة الإسلامية ـ ليبيا، العدد (٢٨)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص(٢٣٧ـ ٢٦٦).

٥٤. الإيقــاع الصوتي في لامية العرب للشنفرى: دراســة أسلوبية إحصائية، د.محمود حسين عبيد الله العزازمة. بحث منشور بمجلة: المشكاة للعلوم الإنسانيــة والاجتماعيــة ـ تصدرهــا جامعــة العلوم الإسلاميــة العالمية بــالأردن، المجلــد الأول العدد (٢)، رجب ١٤٣٥هــ/٢٠١٤م، ص (٤٩١ـ ٥٣٧).

٥٥. مظاهر التمرد في الشعــر الجاهلي: عنترة وطرفة والشنفرى أنموذجًا، د.سعدية حســين البرغثي. بحث منشور بمجلة: الثقافة والتنمية ـ وزارة الثقافــة المصريــة، السنة (١٥) العــدد (٨٣)، ١٤٣٥هــ/٢٠١٤م، ص (١٧٣ـ ٢٣٣).

٥٦. التشكيــل الاستعــاري والكنائــي في لاميــة العرب، د.محمــد أحمد أمين أحمــد. بحث منشور بمجلــة: العلوم الإنسانية- جامعــة السودان للعلوم والتكنولوجيــا، المجلد (١٥) العــدد (٢)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص (٢٢١ـ ٢٣٣).

٥٧. الذئــب والقطا في لامية العرب للشنفرى: دراسة تحليلية، د.عبد الجليل حســن صرصــور. بحث منشور بمجلــة: جامعة الأقصــى- غزة، المجلد (٩) العدد (١)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص(٢٧ـ ٥٣).

٥٨. دلالــة السيميائيــة في لامية العــرب للشنفرى: دراسة وتحليــل، شهريار

همتي، وجهانكير أميري، ومهدي بورآذار. بحث منشور بمجلة: إضاءات نقدية ـ جامعة آزاد الإسلامية بإيران، السنة (٤) العدد(١٤)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص(٦٩-٨٦).

٥٩. قراءة جديدة لنشيد الصحراء، عوريب كاظم مجيسر. بحث منشور بمجلة: كلية التربية الأساسية ـ الجامعة المستنصرية بالعراق، العدد (٨٨)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص(٢٠٩ ـ ٢٢٤).

٦٠. قراءة جديدة لنشيد الصحراء لامية العرب، إبراهيم علي شكر. بحث منشور بمجلة: العربية والترجمة ـ بيروت، العدد (٢٣) السنة السابعة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص(٢٠٣ ـ ٢١٦).

٦١. القيم الأخلاقية في لامية الشنفرى، انتصار مهدي عبد الله الصديق. بحث منشور بالمجلة العلمية لجامعة الإمام المهدي بالسودان، العدد (٦)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص (٥٣ ـ ٧٣).

٦٢. لوحة الذئاب في لامية الشنفرى، ظهير خضر الشعراني. بحث منشور بمجلة: المعرفة ـ وزارة الثقافة بالجمهورية السورية، السنة (٥٤) عدد (٦٢٠)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص (٢٥٣ ـ ٢٦١).

٦٣. الدلالة الصوتية في لامية العرب للشنفرى، رمضان محمود محمد. بحث منشور بمجلة: كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، العدد (٩٣)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص (٦٩ ـ ١٦٧).

٦٤. لغة الفردية والمكان: لامية الشنفرى نموذجًا، د.محمود سليم محمد هياجنة. بحث منشور بمجلة: دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية- الأردن، المجلد (٤٣) العدد (٢)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص (٧١٥ ـ ٧٢٥).

٦٥. الهجرة إلى عالم الوحش في لامية الشنفرى: دراسة لسانية نصية،

د.عاطـف محمد كنعان. بحث منشور بالمجلـة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد(١٢) العدد (٤)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص (١٤٠ - ١٩٠).

٦٦. الصـورة الشعرية في لامية العرب، د.البشـير إبراهيم أبو شوفة. بحث منشور بالمجلة العلمية لكلية التربية جامعة مصراته - ليبيا، المجلد الأول العدد (٥)، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص(٢٣٧ - ٢٦٦).

٦٧. تحديـد المعنـى في شـرح لاميـة الشنفـرى: دراسـة تحليليـة، د.طُلْبَـة عبدالستار مسعود. بحث منشور بمجلة الأندلس(إصدار خاص)، المجلد الأول العدد (٣)، ذو القعدة ١٤٣٧هـ/ سبتمبر ٢٠١٦م، في ٩٠ صفحة.

٦٨. نزعة الاغتراب في شعر الشنفرى في ضوء المنهج النفسي، د.عمر محمد إبراهيـم محمـد. بحث ألقـاه بالمؤتمر الـدولي الثاني: الـتراث العربي الإسلامـي: الرصيـد والعمـل والمثاقفة والحضـور، الـذي نظَّمه معهد المخطوطـات العربيـة بالتعاون مـع كل من: مركز تحقيـق المخطوطات بجامعـة قنـاة السويس ومركـز إحياء الـتراث العلمي العربـي بجامعة بغـداد، والمنعقد يومي الأربعاء والخميس ٥ - ٦ جمادى الثانية ١٤٣٩هـ/ ٢١ - ٢٢ فبراير ٢٠١٨م.

٦٩. لامية العـرب للشنفرى: دراسة لغوية وبلاغيـة، د.محمد المختار محمد المهـدي. ضمن كتابه: دراسات عربية في تراثنا الأصيل، كلية الدراسات الإسلاميـة والعربية - جامعة الأزهر بالقاهـرة، توزيع دار السلام، دون بيانات نشر، ص (٦٠ - ٨٤).

٧٠. التماسك النَّصي في لامية العرب، د.مطلق محمد مبارك المرشاد. بحث منشور بمجلة عالم الفكر - الكويت، العدد (١٧٨)، أبريل - يونيو٢٠١٩م، ص(٧ - ٧٢).

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة العلمية، وبعد هذه الارتحال الطويل أُلخِّص هنا أهم النتائج التي توصلت إليها:

- تباينت المصادر في تحديد اسم الشنفرى: فبعضها جعل الشنفرى علمًا عليه، وأما الآخر فقد عدَّ الشنفرى لقبًا له، والصحيح أن الشنفرى عَلَمٌ من قبيل اللقب في علم النحو اشتهر به صاحب اللامية. والراجح في اسمه هو: شُمْس بن مالك بن الأدرم.
- تُعدُّ لامية العرب للشنفرى من النصوص المحورية في الإبداع الشعري العربي؛ وتزخر مكتبات المخطوطات في العالم بعدد كبير من نُسَخها بلغت عدته: ٣١ نسخة خطية، محفوظة داخل عشرين مكتبة مفرَّقة في ثماني دول: سَبْع دُوَلٍ عربية وإسلامية (تركيا: ٩نُسَخ. مصر ٥ نُسَخ. العراق ٤ نُسَخ. المغرب ٤ نُسَخ. تونس ٣ نُسَخ. السعودية نسختان . إيران نسخة واحدة)، ودولة غربية واحدة وهي بريطانيا وتمتلك ٣ نسخ.
- اعتنى العلماء عناية كبيرة بلامية العرب، وتمثل ذلك جليًّا في كثرة شروحها التي بلغت ثلاثة وخمسين شرحًا: منها ٣٢ مخطوطًا، و٣ مفقودة، و١٤ مطبوعًا، و ٤ شروح غير مفردة، عدا الشروح مجهولة المؤلف.
- أحصيت ١٦ شرحًا معاصرًا للامية العرب، وكذا ٧٠ دراسة علمية؛ مما يدل أن لامية العرب شغلت العلماء منذ أول شارح لها وهو: المختار بن عوف بن سليمان البصري (ت ١٣٠هـ)، وحتى آخر شارح معاصر لها وهو: عبد الرحمن بن عوف كُوني في شرحه: جَوّبُ جوفِ الفَرى بشرح وإعراب لامية الشنفرى المطبوع بالجزائر سنة ١٤٣٦هـ. كما أن آخر

دراسة حولها: التماسك النَّصي في لامية العرب للدكتور مطلق محمد مبارك المرشاد كانت يونيو ٢٠١٩م.

والله أسأل أن ينفع بما كتبت، وهو وحده من وراء القصد.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

١. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: القسم الأدبي بدار الكتب المصرية بإشراف: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧٣م.

٢. إِنبَاه الرُّوَاة على أَنبَاه النُّحَاة، جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي. القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر. بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٤. تاريخ مدينة السلام = تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي. بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٥. خزانة الأدب ولُبّ لُبَاب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي. القاهرة، ط ٤، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦. ديوان الشنفرى الأزدي :

- تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي. بيروت، ط ٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- تحقيق: د. طلال حرب، دار صادر. بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٧. سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الحديث. بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٨. شرح المفضليات، أبوزكريا يحيى بن علي التبريزي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر- القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٩. شرح ديوان الحماسة، أبوزكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م.

١٠. شرح شعر الشنفرى الأزدي، محاسن بن إسماعيل الحلبي، تحقيق: د. خالد عبد الرؤوف الجبر، دار الينابيع - عمَّان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١١. شعـر الشنفـرى الأزدي برواية مؤرج بن عمرو السدوسـي، تحقيق: د.علي ناصر غالب، مراجعة: د.عبد العزيز بن ناصر المانع، أشرف على طباعته الشيخ: حمد الجاسر، دار اليمامة - الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٢. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام الجمحي، تحقيق: محمود محمدشاكر، دار المدني - جُدَّة، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٣. الطرائـف الأدبية، تحقيق: عبد العزيز الميمنـي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٧م.

١٤. العـين، الخليل بـن أحمد الفراهيـدي، تحقيـق: د.مهدي المخزومـي د.إبراهيم السامرائـي، وزارة الثقافـة والإعـلام العراقيـة - دار الرشيد بغـداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٥. فحولـة الشعراء (سـؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعـي)، تحقيق: د.أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية - بورسعيد، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٦. كتـاب الأصنام، لهشام بن محمد بن السائب الكلبـي، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٤، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٧. لسـان العـرب، أبو الفضل محمد بن مكـرم ابن منظور، عنايـة وتصحيح: أمين محمـد عبد الوهاب ومحمد عبـد الصادق العبيدي، دار إحيـاء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٨. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد

المولى ـ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث ـ القاهرة، ط٣، د.ت.

١٩. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: لجنة بإشراف الناشر، دار صادر ـ بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٠. المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، على هامش خزانة الأدب، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٢١. المنتخب في شرح لامية العرب، يحيى بن عبد الحميد الحلبي الغساني المعروف بابن أبي طيّ النجار، تحقيق: د. إبراهيم بن محمد البطشان، دار المنهاج ـ جُدَّة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٢٢. المنصف في شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف المصرية ـ إدارة إحياء التراث القديم، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

٢٣. نزهة الألباب في الألقاب، شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد ـ الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٤. نسب معد واليمن الكبير، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق: محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية ـ دمشق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٥. نهاية الأرب شرح لامية العرب، ابن عطاء الله المصري، تحقيق: د. محمود العامودي، دار البشير ـ غزة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٦. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

ثالثًا: المراجع

١. الأعلام قاموس تراجم، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط ١٥، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: د. السيد يعقوب أبو بكر، د.رمضان

عبـد التواب، د.عبد الحليم النجار، المنظمة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم - دار المعارف - القاهرة، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

٣. تاريخ التراث العربي، د.فؤاد سيزكين، ترجمة: د.محمود فهمي حجازي، د.عرفه مصطفـى، د.عمـر صابر عبـد الجليل، مطابع جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، ١٤١١ هـ/١٩٩١ م.

٤. تنـازع الأشعار في التراث العربي، د.حسـن عباس، دار الشاعر للطباعة - طنطا، ١٤٣٤هـ/ ٢٠٠٥م، ص (١٦٨ - ١٧٥).

٥. جامـع الشـروح والحواشي (معجـم شامل لأسمـاء الكتب المشروحـة في التراث الإسلامـي)، عبـد الله محمد الحبشـي، دار المنهاج - جُدَّة، طبعـة أولى للناشر، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م.

٦. جَـوْبُ جَوْفِ الفَرَى بشرح وإعراب لامية الشنفرى، عبد الرحمن بن عوف كوني، دار الميراث النبوي - الجزائر، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٧. الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د. يوسف خليف، دار المعارف - القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٨. الشنفـرى: قراءة جديـدة في أخباره وشعره، د. عمر بن غرامـة العمروي، نادي أبها الأدبي - عسير، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٩. العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

١٠. فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، (القسم الثاني - الجزء الثاني)، إعداد: ي.س.علوش، وعبد الله الرجراجي، منشورات الخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١١. الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الرشيدية، إشـراف وتنسيق ومراجعة: د.حميـد لَحْمَر، منشـورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية - الرباط، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٢. فهرس مجاميع المكتبات الخاصة بدار الكتب المصرية، تحرير ومراجعة: د.أحمد

عبـد الباسط هاشـم، دار الكتب والوثائـق القومية بالقاهـرة - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٣. فهرسـ مجاميع دار الكتب المصرية، تحريـر ومراجعة: د.عبد الستار الحلوجي، دار الكتـب والوثائـق القوميـة - القاهـرة / مؤسسة الفرقان للـتراث الإسلامي - لندن، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٤. فهرسـ مخطوطات الأدب في المتحف العراقي، إعداد: أسامة ناصر النقشبندي - ظمياء عباس، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

١٥. فهرس مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف، سقيفة الصفا العلمية - جُدَّة / مشيخة الأزهر الشريف - القاهرة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، المجلد (١٨) فنون: الأدب والسيرة والتاريخ والجغرافيا، المجلد (٢١) الأول في المجاميع.

١٦. لاميـة العـرب للشنفرى: شـرح ودراسة، د.عبـد الحليم حفني، مكتبـة الآداب - القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٧. المخطوطـات العربيـة المُهَجَّـرة، مجموعـة باحثين، تحريـر: د. خالد بـن قاسم الجريـان، مركـز الملك عبـد الله بن عبد العزيـز الدولي لخدمة اللغـة العربية - الرياض، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.

١٨. المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، د.محمد عيسى صالحية، راجعه: عصام محمـد الشنطي(ت١٤٣٣هـ)، معهد المخطوطـات العربية، القاهـرة، ١٤١٦هـ /١٩٩٥م.

١٩. معجـم الشعـراء مـن العصـر الجاهلي حتـى نهاية العصـر الأمـوي، د.عفيف عبدالرحمن، دار المناهل - عمان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٠. معجـم المطبوعـات العربيـة والمُعرَّبة، يوسف إليـان سركيس، مطبعـة سركيس - القاهرة، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م.

٢١. معجـم المؤلفـين: تراجـم مصنفي الكتـب العربية، عمـر رضا كحالـة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٧٦هـ /١٩٥٧م.

٢٢. معجـم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العـالم، علي الرضا قرة بلوط ـ أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري ـ تركيا، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.

٢٣. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، دار العلم للملايين ـ بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

ثالثًا: الدوريات والرسائل الجامعية

١. شعـر الشنفـرى الأزدي لمـؤرج السدوسي: قراءة نقديـة، أحمد بن محمد بن عبيـد الهنداسي، مجلة العرب، مج(٣٤) عدد (٩ ، ١٠)، ص ص (٦٦٢ ـ ٦٧٠)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م،

٢. لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر، د. باسم إدريس قاسم، مجلة التربية والعلـم بالموصـل ـ العـراق، المجلـد (١٨) العـدد الأول، ص صـ (١٢٩ ـ ١٨٧)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٣. لاميــة العرب بين النفي والإثبــات، عبد اللطيف حمودي الطائــي، مجلة العرب ـ الرياض، جزء (٧ـ ٨) السنة (٥٣)، ص ص(٣٩٣ ـ ٤٠٦)، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م.

٤. سكب الأدب على لامية العرب، سليمان بن عبد الله الشاوي، تحقيق: مهند مجيد برعــي العبيدي، بغداد، كليــة اللغة العربية ـ جامعة بغــداد، (رسالة ماجستير)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥. لامية العرب دراسة تاريخية نقدية، محمد مشعل الطويرقي، كلية اللغة العربية ـ جامعة أم القرى مكة المكرمة (رسالة ماجستير)، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٦. الشنفــرى ولاميته في ميـزان الشاهد النحوي، د.عبد الله علــي محمد إبراهيم. بحــث منشــور بمجلة: كليــة اللغــة العربية ـ جامعــة الأزهر فــرع الزقازيق، عدد (١٥)، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص (٣٠٠ ـ ٣٤٥).

خامسًا: مواقع الشابكة وقواعد البيانات

• قاعدة بيانات مخطوطات دار الكتب المصرية بالقاهرة.

- قاعدة بيانات مخطوطات مكتبة الأزهر بالقاهرة.
- قاعدة بيانات مركز المخطوطات ـ مكتبة الإسكندرية.
- قاعدة بيانات مركز الملك فيصل الخاصة بالمخطوطات.
- قاعدة بيانات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.
- قاعدة بيانات مركز عِلْم لإحياء التراث والخدمات الرقمية.
- قاعدة بيانات معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.
- قاعدة بيانات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.
- موقع الباحث في المخطوطات العربية والإسلامية.
- موقع دار المنظومة.

الهوامش

(١) انظر: لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر، د.باسم إدريس قاسم، مجلة التربية والعلم بالموصل، المجلد (١٨)، العدد الأول، ص(١٦٦-١٦٨)، الشنفرى ولاميته في ميزان الشاهد النحوي، د.عبد الله علي محمد إبراهيم، مجلة: كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر فرع الزقازيق، عدد (١٥)، ص (٣٠٠ ـ ٣٤٥).

(٢) من هؤلاء أبو العلاء المعري الذي نقل عنه الخطيب التبريزي رواية تُفسر هذا الاسم، انظر شرح ديوان الحماسة ص(٢٣). ونلاحظ أن ابن جني لم يتطرق في كتابه: "تفسير أسماء شعراء الحماسة" إلى تفسير اسم الشنفرى أُسوة بسائر شعراء الحماسة، ومنهم البغدادي في خزانة الأدب (٢/١٦)، وذهب د. شوقي ضيف هذا المذهب، العصر الجاهلي ص(٣٧٩).

(٣) انظر: عفيف عبد الرحمن، معجم الشعراء ص(١٢٧)، ود.جواد علي، المفصل في تاريخ العرب (٩/٦٣٧).

(٤) أورد البغدادي هذه الرواية عن تسميته، وقال: "وهذا غلط"، خزانة الأدب (٢/١٦).

(٥) هذه الرواية للتسمية منقولة عن بدر الدين العيني في شرح الشواهد الكبرى، قال البغدادي: "كما وهم العيني في زعمه أن اسمه عمرو ابن براق"، انظر خزانة الأدب (٢/١٦). وواقع الأمر أن هذا الاسم وثابت بن جابر هُما عَلَمَان لصاحبيه في الغزو، فثابت بن جابر الفهمي هو عينه تأبط شرًّا.

(٦) قال به ابن حجر العسقلاني في: نزهة الألباب في الألقاب (٤٠٨/١)، ومحقق منتهى الطلب (٣٩٧/٦)، والزركلي في الأعلام (٨٥/٥)، ومُحقق نهاية الأرب في شرح لامية العرب ص(٥).

(٧) انظر رأي البجاوي في شرح المفضليات التبريزي (٣٧٩/١)، ود.جواد علي في المفصل (٦٣٧/٩).

(٨) نسب مَعَد واليمن، (١٨٩/٢).

(٩) خزانة الأدب (١٦/٢).

(١٠) ديوان الشنفرى، طلال حرب، ص(٢٥).

(١١) اللسان (شنفر) (٤٢٠/٤).

(١٢) نهاية الأرب في شرح لامية العرب، ص(٣٠). والعجيب أن المحقق د.محمود العامودي لم ينتبه إلى رواية ابن عطاء الله الذي حقق شرحه، فجعل اسم الشنفرى في مقدمة التحقيق (عمرو بن مالك). انظر: نهاية الأرب، ص(٥).

(١٣) ينقل العبدري عن كتاب "العَدَّائِين» -وهو مفقود- بعضًا من أخبار الشنفرى، وهو الوحيد الذي ذكر اسم جده وشيئًا من أخبار والده. نقلا من: شعر الشنفرى الأزدي لمؤرج السدوسي: قراءة نقدية، لأحمد الهنداسي، ص(٦٦٢). ثم وجدت اسم جدِّه -هكذا بأَخَرةٍ- عند ابن أبي طي في شرحه للامية العرب. انظر: ص (٦٥).

(١٤) انظر: شرح لامية العرب، عبد الرحمن كوني ص(١٠)، وشرح ابن أبي طي، ص(٩٣).

(١٥) المنصف لابن جني (٤٣١/١).

(١٦) ذكرته أكثر المصادر: (الأواس) أو (الإواس)، وما ذُكر أعلاه نقلاً عن ابن الكلبي.

(١٧) جعلتهُ بعض المصادر (الهُنَيْء) على وزن كُلَيْب، كما في شرح الأنباري، ص(١٩٥).

(١٨) ذكرته بعض المصادر هكذا (الأسد)، وفسرهُ أكثرهم بأنه لُغَةٌ في الأزد بلغَة أزد شَنُوءة. قال ابن الكلبي: "فَوَلَدَ الغوث بن نبت درءًا، وهو الأسد، والأسد لغةٌ في الأزد"، انظر: نسب معد واليمن (٢/٢).

(١٩) نسب معد واليمن الكبير (١٨٩/٢).

(٢٠) انظر ترجمته وأخباره في: الأصنام ص (٣٩)، فحولة الشعراء ص(٥٥)، الأغاني (٢٠١/٢١)، سمط الآلي (٩٦/٢)، الوافي بالوفيات (٢٢٠/١٣)، الأعلام (٨٥/٥)، معجم المؤلفين (١١/٨)، الشعراء الصعاليك، يوسف خليف ص(٣٢٨) وغيرها.

(٢١) المقاصد النحوية، للعيني (٥٩٦/٤).

(٢٢) نهاية الأرب في شرح لامية العرب، لابن عطاء الله، ص(٣٠)، وذكرها السيوطي في المزهر (١٦٠/١).

(٢٣) انظر: شعر الشنفرى الأزدي، لمؤرج بن عمرو السدوسي، تحقيق د.علي ناصر غالب.

(٢٤) وهي قصيدة طويلة في ستة وثلاثين بيتا من بحر الطويل، أولها:

ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت   وما ودعت جيرانها إذ تولت

انظر: الديوان طبعة إميل يعقوب ص(٣١-٣٨).

(٢٥) وهي قصيدة من عشرين بيتاً من بحر الطويل، أولها:

ومرقبةٍ عنقاء يقصر دونها   أخو الضرورة الرجل الحفي المخفف

انظر: الديوان ص(٥٣-٥٥).

(٢٦) الطرائف الأدبية، للميمني، ص(٣١).

(٢٧) ديوان الشنفرى، إميل بديع يعقوب، ص(٢٣).

(٢٨) لم أطلع على هذه النشرة، وإنما علمت بأمرها من خلال نشرة أخبار التراث العربي عدد (٨٩) المجلد الثامن سنة ٢٠٠١م، ورأيت صورة الغلاف على الشابكة الدولية.

(٢٩) لم أطلع عليها بعدُ، وإنما علمت بأمرها من خلال الشابكة الدولية.

(٣٠) على سبيل المثال: ترجمها المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي سنة ١٨٢٦م، وترجمها المستشرق الألماني روس سنة ١٨٥٣م، وترجمها المستشرق الإنجليزي ريد هوس سنة ١٨٨١م، وترجمها المستشرق الألماني جورج ياكوب سنة ١٩١٤م. كما نقلت اللامية إلى لغات عدة، كالبولونية والروسية والإسبانية والبولندية والصينية والأُرْدِيّة وغيرها من اللغات. وقرروا تدريسها لطلاب المراحل الإعدادية في بلدانهم.

(٣١) انظر في تحقيق هذه الدعوى دراسة د.عبد اللطيف حمودي الطائي النافعة والمنشورة بمجلة العرب الجزء (١-٢)، (٣-٤)، (٥-٦) السنة (٤٨)، ١٤٣٣هـ/٢٠١١م.

(٣٢) ديوان الشنفرى، إميل بديع يعقوب ص(١٥ـ ١٩)، وللمزيد انظر: تنازع الأشعار في التراث العربي، د.حسن عباس، دار الشاعر للطباعة ـ طنطا، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠٠٥م، ص (١٦٨- ١٧٥).

(٣٣) البَنَّةُ: رِيحُ مرابض الغَنَم والبَقَرِ والظِّباء. وتقول: أجدُ لهذا الثَّوب بَنَّةً طيِّبةً من عَرْف تُفّاحٍ أو سَفَرْجل، والجمعُ: بنانٌ. انظر:العين للخليل، باب (النون والباء).

(٣٤) أبو أحمد عبد السلام بن الحسين القِرْمَيْسِينِيُّ (٣٢٩ـ٤٠٥هـ)، لُغوي أديب، وكان عالما بالقراءات، خطَّاطًا، تتلمذ على ابن جني، وحدَّث ببغداد وتولى الإشراف على دار الكتب فيها، وقد مدحه أبوالعلاء المعري بقصيدة في ديوانه. انظر ترجمته في: تاريخ مدينة السلام (١١/٥٧)، إنباه الرواة (٢/١٧٥)، بغية الوعاة (٢/٩٥)، الوافي بالوفيات (٢٠/٢١٤).

(٣٥) أخباريٌّ نسَّابةٌ أديبٌ، روى عن السُّكريّ كُتُبَه، وكان بينهما نَسَبٌ قريبٌ، روى عن المبرد وطبقته،

من كتبه: المجانين الأدباء، سكن بغداد وحدَّث بها، ومات بها سنة (٣٣٣هـ). انظر ترجمته: تاريخ مدينة السلام (٧٦/٥)، معجم الأدباء (١٨٧/٤)، الوافي بالوفيات (٣٩٤/٧).

(٣٦) انظر: المنتخب في شرح لامية العرب، لابن أبي طي، تحقيق د. إبراهيم بن محمد البطشان، ص(٥٢-٥٦).

(٣٧) من الطريف أن صاحب مطبعة الجوائب بالقسطنطينية يصف الشنفرى بالعلامة، فيقول: "لامية العرب للعلامة الشنفرى"، وهو وهمٌ منه حيث ظنَّ أن الشنفرى عالم من العلماء. هذه الفائدة نقلتها من شرح د. عبد الحليم حنفي للامية العرب ص(٧).

(٣٨) وللتفصيل في أمر هذه النشرات الأولى يُرَاجَع: معجم المطبوعات العربية والمُعرَّبة، يوسف إليان سركيس (١١٤٧/٢)، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، د. محمد عيسى صالحية (٣٩٧/٣ـ ٣٩٨)، (٣١/٥).

(٣٩) وللمزيد انظر: يحيى بن أبي طي الحلبي المؤرخ والأديب وكتابه: المنتخب في شرح لامية العرب، د.عمر عبد السلام تدمري، بحث منشور بمجلة تاريخ العرب والعالم- لبنان، مجلد (٣٥) عدد (٢٤٩)، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص (٣ـ١٨).

(٤٠) انظر: مخطوط سكب الأدب في شرح لامية العرب وأهميته في استقراء تاريخ العراق خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، د.علي بن حسين البسَّام، بحث منشور بمجلة الدارة السعودية في ٢٩ صفحة، المجلد (٣٥) عدد (٤)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص (١٥٥ـ ١٨٣).

متمِّم للمُستدرك على شعر زياد الأعجم

أ. مرزوق يونس

هــذا هو القسم الآخــر من «المستدرك علــى شعر زيــاد الأعجم»،وهو متمم للمستــدرك السابق الــذي نشرته مجلة العرب في عدديــن سابقين هما ٧ و٨ من السنة ٥٦، محرم وصفر ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م. يضم نصوصًا لم ترد في شعره المجموع والمنشور سابقا، على الرّغم من الجُهد الواضحِ الذي بذلهُ د. بكّار في العمل، وقد حرصــتُ فيــه -قدر الإمكان- على عــدم إدراج ما سبق نشره مــن شعر للشاعر، مــا عدا أَبياتًا قليلة أضفت لها أبياتًــا أو تعليقات جديدة كنت قد عثرت عليها في مظانّ مختلفة، فرأيت أن أُدرجها مشيرًا إلى فضل من سبق في اكتشافها، ليفيد منها الباحثون والدارسون، وعسى أن تأخذ مكانها عند إعادة الطبع من جديد.

وفيما يلي الأبيات المستدركة:

(١)

قَال زياد الأعجم[١]: (الخفيف)

إِنَّ خَـيرَ الــوُلاةِ حُـرّ كَـريم ... يد مَنْ كَان قَبلَهُ حِينَ كيدَا

(٢)

وقال[٢]: (الوافر)

وَمَـا مَـاتَ المُهَـلَّبُ مُـذْ رَأَيـنَـا عَـلَـى أعــوَادِ مِـنـبرِه يـزيـدَا
لَــهُ كَـفَّــانِ كـفُّ نـدًى وجُــودٍ وَأُخـرى تُمْطِـرُ العَلّق الحَّديـدَا

(٣)

وقَال[٣]: (الطويل)

ولـولا هـذيـلٌ أن أسـوءَ سُراتها لأَلجَمْتُ بالمقراض عَمْرو بن عائذ[٤]

(٤)

وقَال[٥]: (المتقارب)

قبيلـتهُ عيشُـهَا فِي الـكِرَى لِـئَـامُ الـمـفـاخِـرِ والـعُـنـصُـرِ[٦]

(٥)

وقال[٧]: (الوافر)

ببَذْلٍ فِي الأُمـورِ وَصِدْقِ بَأسٍ وَإِعـطَـاءٍ عَلَـى العِـلَلِ المَتَـاعَـا

(٦)

وقال في مُدرك بن المُهلب[٨]: (الوافر)

أَمُـدركُ لا عَـدمـتُـكَ كُـلّ يَـوم وَهَـذَا الْـيَـوم أَنـتَ فَـتَـى الـعَـتيك
كَفَفَتَ عَنِ الْمُهلّب خَيلَ عَمرو وَعَـمْـرٌو قَـدْ أَظَـلّ عَـلَـى أَبـيك
فلـمّا أَنْ رَأيــتَ الخَـيـلَ رَهْـوًا أَشَـرتَ مشارة الـرَّجل الحَنـيك[٩]
وَمِـلـتَ عَلِيهم بَالسَّيفِ صَلتًا وَقَـدْ كَسَروا الجَـنـاح مَـع الفَنيك

وَكُـنـتَ كـأَلـفِ مُـقـتَـتـلٍ مُـشـيـحٍ ... وَذَلـــك كـــان مـــن صُـــنـــعِ المَـلـيـك

فَرُمحُكَ في العَجاج كنمر غَاب ... وَحدّ السَّيف للبَيْض الحَبيك

وَقـومُـكَ وَالمُـلُـوك وَأَنــتَ دومًـا ... إذَا انْتَسَبُوا من أَولادِ المُلوكِ(١٠)

(٧)

وقال في الحُضين بن المنذر(١١): (الطويل)

يَسُدُّ حُضَينٌ بَابَهُ خَشْيَةَ القِرى ... بإصطَخرَ وَالشَّاةُ السَّمينُ بدرهَم(١٢)

فَإِنَّ رَقَاشًا وَسطَ بَكرٍ بن وَائِلِ ... عَـلاقَــة سُــوءٍ في إنَــــاءٍ مُـثـلَـمِ

(٨)

وقَال(١٣): (الوافر)

لَـعَـمـرُكَ مَـا بُـجـيـلَـةُ مِـن نـزَارٍ ... وَلا قَحطَانُ فَانظُرْ مَن أَبُوهَا

المنسوب:

(١)

وقال في مرثية طلحة الخُزاعي(١٤): (الخفيف)

نَـضَّـرَ الـلّـه أَعـظُـمًـا دَفَـنُـوهَـا ... بسُجستانَ طَلحَةَ الطَّلحَاتِ(١٥)

(٢)

وقال يشكر المنذر بن الجارود(١٦): (الكامل)

مَا زلْتَ تُحْسِنُ ثُمَّ تُحسِنُ عَائِذاً ... فَـأَعُـوْدُ شَـاكـرَ نـعْـمَـةٍ فَـتَـعُـوْدُ

فَتَزِيْدُني نُعْمَى فَأَشْكُرُ جَاهداً ... فَكَذَاكَ نَحْنُ تَزِيْدُني وَأَزِيْـدُ(١٧)

وَتَقُوْمُ لِي كَرَماً إذَا أَبْصَرْتَنِي ... مُـتَـلَـقِّـيًـا وَالْـعَـالَمُوْنَ قُـعُـوْدُ(١٨)

(٣)

وقَال[١٩]: (الطويل)

ذكرتك والخطيُّ يخطِر بيننا | وقد نَهَلَتْ منا المثقّفة السُّمْرُ[٢٠]

(٤)

وقال زياد الأعجم، وقيل: عبدالرحمن بن الحكم، يمدح معاوية[٢١]: (الطويل)

أَتَتْكَ العِيْسُ تَنْفَحُ فِي بُرَاهَا | تَكَشَّفُ عَن مَنَاكِبِهَا القطوعُ[٢٢]

بِأَبيَضَ مِنْ أُمَيَّةَ مَضْرَحِيّ | كَأَنَّ جَبِيْنَهُ سَيْفٌ صَنِيعُ[٢٣]

(٥)

وقال[٢٤]: (الطويل)

فأنتَ امرؤٌ إمَّا ائتمنتك خاليًا | فخنتَ وَإِمَّا قلتَ قَولًا بلا علمِ

فأنتَ من الأمرِ الذي كنت بيننا | بمنزلةٍ بينَ الخيانةِ والإثمِ[٢٥]

(٦)

وقال[٢٦]: (الطويل)

وَفِي الحِلْمِ وَالإِسْلامِ لِلْمَرءِ وَازِعٌ | وَفِي تَركِ طَاعَاتِ الفُؤاد المُتيَّم

بَصَائِرُ رُشدٍ لِلفَتَى مُستَبِينَةٌ | وَإِخلاصُ صِدْقٍ عِلْمَهَا بِالتَعلُّمِ[٢٧]

وبعد، فلستُ أَزعم أَنّ ما التقطتهُ من شعر -وهو قليل- كلُّهُ للأعجم؛ فثمّة أَبيات مُتَنازعة قد يُشكّ في عزو بعضها إليه؛ لذا أثبتها في قسم المنسوب.

ولا مندوحة من الإشارة هنا إلى بعض الملاحظات وإضافات التخريج على

المستدرك السابق الذي نشرته مجلة «العرب» في: العددين ٧-٨، من السنة ٥٦، محرّم وصفر ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م. وهي:

- القطعة (٢) يضاف: البيت لجرير في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»[٢٨]، و«الآداب الشرعية»[٢٩]؛ ولم أجده في ديوانه[٣٠]. وعليه فمكانهُ في المنسوب.
- القطعة (٣) وهي من الطويل، ويضاف: البيت الأول فقط بلا عزو في: «شرح ما يقع في التصحيف والتحريف»[٣١]، وجاءت رواية الصدر فيه: «فوَاللّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لسَائِلٌ»، وهي أسلم وبها يتم الوزن.
- القطعة (٤) يضاف: لزياد الأعجم في: «آداب الملوك»[٣٢]، وفيه: «إن المشاور» وهو تصحيف.
- القطعة (١) من المنسوب يضاف: لزياد الأعجم في: «رسالة الصاهل والشاحج»[٣٣]، و«ما يُعوَّل عليه في المضاف والمضاف إليه»[٣٤].
- القطعة (٣) من المنسوب يضاف: للخليل بن أحمد الفراهيدي في: ديوانه[٣٥].

الهوامش

(١) كتاب الفتوح: لابن أعثم الكوفي (٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط١، (١٩٩١م)، ١٥٤/٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: للذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: مأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٩٨٢م)، ٥٠٤/٤.

(٣) جمل من أنساب الأشراف: للبلاذري (٢٧٩هـ)، حققه وقدم له: سهيل زكار - رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ط١، (١٩٩٦م)، ٢٥٣/١١.

(٤) وورد البيت بلا عزو في: أساس البلاغة، للزمخشري (٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٨م). مادة: (قرص) ورواية العجز فيه "لأَلجَمْتُ بالمقراص بشر بن عائذ".

(٥) المثلث: لابن السيد البطليوسي (٥٢١هـ)، تحقيق ودراسة: صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد للنشر، بغداد، (١٩٨١م). ١٢٠/٢.

(٦) الكرى: كرى الدّواب.

(٧) شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لابن مالك الطائي الأندلسي (٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا - طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (٢٠٠١م)، ٤٤٣/٢، وهو في: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: حسن هنداوي، دار كنوز اشبيليا، ط١، (٢٠١٣م)، ٧١/١١، ومنهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق وتقديم: شريف عبدالكريم النجار - يس أبوالهيجاء، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، (٢٠١٥م)، ١٠٩٤/٣.

(٨) الأنساب: للعتوبي الصحاري، تحقيق: محمد إحسان النص، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ط٤، (٢٠٠٦م)، ٦٣٦/٢. ووردت الأبيات١-٣، ٥، ٧ في: الصحيفة القحطانية: لحميد بن محمد بن زريق (١٢٩١هـ)، تحقيق وتقديم: محمود بن مبارك السليمي - محمد حبيب صالح - علال الصديق الغازي، وزارة التراث والثقافة سلطنة عُمان، مسقط، ط١، (٢٠٠٩م)، ٩٩/٢.

(٩) ورد في الصحيفة القحطانية: "أشرت إِشارة الرجل الحنيك".

(١٠) ورد في الصحيفة القحطانية: " بأولاد الملوك".

(١١) تصحيفات المحدثين: لأبي أحمد العسكري (٣٨٢هـ)، دراسة وتحقيق: محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط١، (١٩٨٢م)، ٦١١/٣. وورد البيت الأول فقط في: خزانة الأدب: لعبدالقادر البغدادي (١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، (١٩٩٧م)، ٣٨/٤.

(١٢) ورد البيت في استدراك (الأشقر) ص٣٠١ عن: "الأوائل"، وفيه "بأصخر".

(١٣) طبقات الشافعية الكبرى: لأبي نصر بن علي السبكي (٧٧١هـ)، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو - محمود محمد الطناحي، دار احياء التراث العربية، القاهرة، (١٩٦٤م)، ٤٢٢/٧.

(١٤) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري: أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨٩٣هـ)، تحقيق:

أحمد عزو عناية، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، (٢٠٠٨م)، ٣١٨/١.

(١٥) البيت لعُبيد الله بن قيس الرقيات في: ديوانه، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، (د. ت). ص٢٠، وهو مطلع قصيدة.

(١٦) الأنس والعرس: أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (٤٢١هـ)، إعداد وتحقيق: إيفلين فريد يارد، دار النمير، دمشق، ط١، (١٩٩٩م)، ص٤١٦؛ وفيه بلا عزو — عدا البيت الثالث- ص٣٣١.

(١٧) البيتان ١-٢ لجحظة البرمكي في: المنتخل ٣٤٢/١، والدر الفريد ١٥٥/٩؛ وفيه: الثاني فقط ٢٠٦/١٠ وأخلّ بهما ديوانه تحقيق جان عبدالله توما، دار صادر، بيروت، ط١، (١٩٩٦م).

(١٨) الأبيات لابن الجارويد في: سفط الملح وزوح الترح: لسعد الله بن نصر بن سعد الدجاني (٥٦٤هـ) تحقيق: خالد أحمد السويدي، مؤسسة بين النهرين للإنتاج الفني والثقافي، دمشق، ط١، (٢٠٠٥م)، ص١٣٠. رواية العجز في سفط الملح: "متلقيا والأميون قعود". ووردت القطعة في استدراك (ناجي) ٣٤٢ عن: مخطوط "الأنس والعرس" دون الإشارة إلى تنازعها.

(١٩) شرح المشكل من شعر المتنبي: لعلي بن إسماعيل بن سيده (٤٥٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا - حامد عبدالمجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٧٦م)، ص٢٠٧.

(٢٠) البيت لأبي عطاء السندي في: شعره، صنعة قاسم راضي مهدي، مجلة المورد، بغداد، مجلد ٩، عدد٢، (١٩٨٠م)، ص٢٨٣.

(٢١) تهذيب إصلاح المنطق: للخطيب التبريزي (٥٠٢هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ط١، (١٩٨٣م)، ص٣٨؛ وهما في: لسان العرب: لابن منظور، مادة (قطع).

(٢٢) ورد البيت الأول فقط في استدراك (الأشقر) ص٣٠١ عن: شجر الدر.

(٢٣) البيتان لعبد الرحمن بن الحكم في شعره، صنعة: إبراهيم بن سعد الحقيل. مجلة العرب، الرياض، مجلد ٤٠، العددان ٧-٨، (٢٠٠٥م). ص٥٢٦-٥٢٧.

(٢٤) إحياء علوم الدين: للإمام الغزالي (٥٠٥هـ)، تحقيق ومراجعة: اللجنة العلمية بمركز دار المناهج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المناهج للنشر والتوزيع، جدة، ط١، (٢٠١١م)، ٥٥٧/٥.

(٢٥) البيتان لعبدالله بن همام السلولي في: شعره، جمع وتحقيق ودراسة: وليد محمد السراقبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، (١٩٩٦م)، ص١٠١.

(٢٦) الفوائد المحصورة في شرح المقصورة: لابن هشام اللخمي (٥٧٧هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١، (١٩٨٠م)، ص٣٦٦.

(٢٧) البيتـان لكُثـير عزة في: ديوانه، جمعـه وشرحه: إحسان عباس، دار الثقافـة، بيروت، (١٩٧١م). ص٣٣٤. وهما في استدارك (الأشقر) ص٣٠١، عن: فصل المقال.

(٢٨) لأبـي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا – مصطفـى عبد القـادر عطا، راجعـه وصححه: نعيـم زرزور، دار الكتب العلميـة، بيروت، ط٢، (١٩٩٥م)، ٧/ ١٤٦

(٢٩) لعبـد الله محمد بن مفلح المقدسي (٧٦٣هـ): حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وقدم له: شعيب الأرناؤوط – عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، (١٩٩٩م)، ٣/٣١٣.

(٣٠) تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣، (١٩٨٦م).

(٣١) لأبـي أحمـد العسكـري (٣٨٢هـ)، تحقيـق: عبد العزيز أحمـد، مكتبة ومطبعـة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط١، (١٩٦٣م)، ص٤٠٩.

(٣٢) لأبي منصور الثعالبي (٤٢٩هـ)، تحقيق: جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (١٩٩٠م)، ص١١٨.

(٣٣) لأبـي العلاء المعرّي (٤٤٩هـ)، تحقيق: عائشـة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط٢، (١٩٨٤م)، ص٣٣٣.

(٣٤) لمحمـد الأمـين بن فضـل الله المحبي (١١١١هـ)، تحقيـق: عبد العزيز بن صالـح العقيل – سعود ابـن عبد الله آل حسين، جامعـة الإمام محمد بن سعـود الإسلامية، الرياض، ط١، (٢٠١٠م)، ص٢٥٨٠.

(٣٥) صنعة: حاتم الضامن، دار صادر، بيروت، (٢٠١٢م)، ص٤٧.

عبدالله بن محمد الشايع

(١٣٥٥-١٤٤٠هـ/١٩٣٦-٢٠١٨م)

عرفت الأستاذ المؤرخ والباحث الدؤوب عبدالله بن محمد بن إبراهيم الشايع، مع ضيوف المهرجان الوطني للتراث والثقافة السنوي، والتقيت به في (خميسية) مركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي. وفي مراجعاته البحثية بمكتبة الملك فهد الوطنية، دعوته للتسجيل معه في برنامج (التاريخ الشفهي للمملكة) فرحب وكان لقاؤه في ١٤٢٥/١/٩هـ، وشرح مهمته وهو تصحيح أخطاء بعض المؤرخين الآثاريين في ذكر بعض المواقع الجغرافية في المملكة، وأنه بعد تقاعده المبكر عام ١٤٠٧هـ تفرغ لهذه المهمة وهي تحقيق المواضع التاريخية في بلادنا، ومسارات طرق الحج والتجارة القديمة. وقبل ذلك استعرض بإيجاز سيرته العلمية والعملية، قائلاً:

- ولدت في بلدة الشعراء عام ١٣٥٥هـ.
- تلقيت تعليمي الابتدائي بمدرسة عفيف، وحصلت على شهادتها عام ١٣٧٢هـ.
- التحقت بالمعهد العلمي بالرياض، وحصلت على شهادة المرحلة الثانوية عام ١٣٧٩هـ.
- درست في كلية اللغة العربية مدة سنتين.

أما الحياة العملية فهي:

- عملـت معلمـاً في مدرسة عفيف عام ١٣٧٢هـ لمدة أربـع سنوات، انتقلت بعدهـا للعمل برئاسة القضاء –قبـل أن تصبح وزارة العدل– منذ عام ١٣٧٩هـ حتى ١٣٨٢هـ.
- انتقـل عملي من رئاسـة القضاء إلى وزارة العمـل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨٢هـ حتى عام ١٣٩٠هـ.
- انتقلت للعمل في المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية منذ إنشائها عام ١٣٩٠هـ.
- طلبـت الإحالة على التقاعد المبكر عـام ١٤٠٧هـ، وكان آخر عمل توليته بالمؤسسة أمينًا عامًّا لمجلس الإدارة.

وبعـد التقاعـد بـدأت بالتنقل بـين المواقع والمواضـع التي ذكـرت بالمعلقات وبمعاجـم البلدان للتأكد من صحتها، وقد استطعـت خلال سبعة عشر عاماً من تأليـف تسعـة كتب، كلها تـدور حول تلك المواقـع الجغرافية الأثريـة التي مر بها المعنيـون مرور الكرام، ولم يتأكـدوا من صحة بعضها أو نقـل بعضها من بعض، وتكـرر الخطأ، فآليت علـى نفسي أن أبذل جهدي وأدلو بدلـوي، فإن أصبت فلي أجران، وإن أخطأت فلي أجر واحد.

بـدأت بتأليف كتـاب (نظرات في معاجم البلدان.. تحقيـق مواضع هامة في نجـد) صـدر عام ١٤١٣هــ ١٩٩٣م، وذكـرت في مقدمته: "... ولـما كانت مهمة القيام بتحديد الأماكن الصحيحة لتلك المواضع يعتورها بعض المصاعب، خاصة وأن مـن قام بتحقيقهـا لهم باع طويل في هذا المجال، فقد تطلب الأمر مني إلقاء نظرات متأنية في معاجم البلدان القديمة، وكذا المراجع التاريخية، ومعاجم اللغة العربية، ودواوين الشعراء المعروف عنهم كثرة ذكر الديار والمواضع...".

وهذا تطلب مني رحلات كثيرة إلى تلك الأماكن للبحث وتطبيق ما تجمع لدي من نصوص.. وبدأت أحدد الأماكن بدقة مدعمة بالصور الفوتوغرافية، واختتم مقدمته بقوله: ".. شَرّقَتُ بـ (ثهمد)، وغَرّبْتُ بـ(هضبة القليب)، وأشملت بـ(هضب متالع)، وأجنبت بـ(إمّرة). كما أرجعت (قُطَيَّات) إلى أفحوصتها في وضح الحمى (حمى ضرية)، وذلك بعد إجلاء (الخنافس) إلى مكانها في شمال الجزيرة العربية".

وقال: إن السبب الذي دفعه لتتبع تلك المواقع والتأكد من صحة ما ذكره المعجميون هو أن أستاذ الأدب العربي –أثناء دراسته بالمعهد العلمي– قد استشهد ببيت شعر لـ (أبي البقاء الرندي) في رثاء الأندلس.

دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاءَ له هوى له أحد وانهدَّ ثَهْلَانُ

وعند شرحه للمواضع الواردة بالقصيدة قال: أحد وثهلان: جبلان حول المدينة المنورة، فقلت هامساً: يا أستاذي أوافقك على أن (أحداً) جبل من جبال المدينة، أما (ثهلان) فإنه يبعد عنها كثيراً... فلم يلتفت إلى ما قلته... فكررت له القول، وأكدت وجوده في نجد وقد ذكره الشعراء... وأنا ولدت في قرية في سفح هذا الجبل يظللها ظله بعد العصر لقربها منه، عند ذلك أخذته الدهشة فابتسم وقال: إذن أنت أدرى.

وهذا يذكرني بما كان للشيخ حمد الجاسر في بداية عمله بالتدريس بينبع، وهو يشرح لطلبته عن جبل رضوى، فقال إنه يقع بالقرب من المدينة المنورة وهو سهل ترقى إليه الإبل، فأشار الطلبة إلى الجبل بجوارهم، وقالوا: إنه يصعب على الإبل صعوده، فخجل الشيخ من نفسه وآلى على ألا يتكلم أو يكتب عن موضع إلا بعد الوقوف عليه والتثبت من صحته، ولهذا استمر بالبحث والتقصي حتى خرج (المعجم الجغرافي للمملكة).

فكان للشايع ما كان للجاسر، فقال الشايع: «.. وقد حرصت كل الحرص

علـى إلقاء نظرات فاحصة ودقيقة على ما كتبه مؤلفو عصرنا عن تلك المواضع، ووجهة الخلاف بينهم حولها..».

وفي العام التالي ١٤١٤هـ أنجز كتاب (نظرات في معاجم البلدان)، وقدم له أستاذ آثار الجزيرة العربيــة وتاريخها قبل الإسلام (البروفيسور) عبدالرحمن الطيـب الأنصـاري، بمقدمة وافية، احتفــى وأشاد بما قام به المؤلـف.. وبعد أن استعرض أهم كتب المؤرخين الذيـن أخطؤوا في بعض المسميـات وأماكنها، وما قام به ياقوت الحموي من نقد وضبط وتوثيق في (معجم البلدان)، قال إن الشيخ محمـد بن بليهد في (صحيح الأخبار) قد حـاول وجدَّ واجتهد وعلى مدى خمسة عشـر سنـة (١٣٥٥ وحتى ١٣٦٩هـ)، وكان سيكتفي بجزأين مـن الكتاب إلا أنه استمـر بذكر القصص والأخبار والقصائد التي حدثت له وقيلت في تلك المواقع، ولـذا أكمل الجزء الخامس، وانتقده الدكتور الأنصاري بأنه لم يوفق في أن ينظم المواضـع خلال دراستها على حروف المعجـم ليسهل الوصول إليها، كما أشاد بما فعلتـه مجلـة العرب وصاحبهـا الشيخ حمـد الجاسر من تبني مشـروع (المعجم الجغرافي المطول للبلاد العربية السعودية).

عـاد بعد ذلك ليشيد بما قـام به عبدالله الشايع بتأليـف كتاب (نظرات في معاجـم البلدان) قائلاً: «وهو الكتاب الذي يعالـج مؤلفه خلافاً بين الجغرافيين المحدثـين حول تحديد أماكن اختلفوا فيها وفي تطبيق النصوص بشأنها، ويهتدي في عمله هذا بشيئـين: محاولة تفسير نصوص الجغرافيين القدامى والمتأخرين، وبالرحـلات الميدانيـة التي يرى فيهـا ويشاهد ويطبـق، ثم يصل إلـى ما يعتقد أنـه الصـواب في تحديد المكان، مع مراعاة عوامل الزمـن في تغيير صورة المكان أو اسمــه أو سكانه... وبتحقيق هذه المواضع يمكن أن نقول: إنه أبلى بلاء حسناً، وحقـق مبتغـاه وجنى ثمرة سـوف يستفيد منها الباحثون، فيكـون بذلك حقق ما لم يستطـع تحقيقــه مـن سبقه لظـروف علميــة... والأستاذ الشايـع لم ينصف

الجغرافيين القدامى فقط، بل أنصف بعض المحدثين في مواقف كثيرة من أمثال الشيخ محمد بن بليهد والشيخ حمد الجاسر.

وإذا كان الشيخ حمد الجاسر يعتبر رائدًا لكوكبة من الباحثين الجغرافيين وصاحب مدرسة متميزة، فإن الأستاذ عبدالله الشايع يعد رائدًا لمرحلة جديدة في مجال البحث الجغرافي على المواضع في المملكة العربية السعودية؛ لأنه استطاع أن يستفيد من مصادر قديمة وحديثة ورسائل علمية متقدمة، ورحلات ميدانية يعد لها الإعداد الكامل، ومن هنا فإننا أمام بزوغ فجر مدرسة علمية حديثة سيصبح لها دورها في الوصول إلى المواضع وتحديدها بكل دقة».

هذا وقد عدَّد عناوين مؤلفاته بعد كتابه الأول (نظرات في معاجم البلدان) الأول والثاني والثالث ١٤١٣-١٤١٥هـ.

١. عكاظ: الأثر المعروف سماعاً المجهول مكاناً. ١٤١٦هـ.

٢. مع امرئ القيس بين الدخول وحومل. ١٤١٨هـ.

٣. بين اليمامة وحَجْر اليمامة. ١٤١٩هـ.

٤. أعلام الطرق القديمة بين خيال الباحثين والواقع. ١٤٢٠هـ.

٥. الطريق التجاري من حجر اليمامة إلى الكوفة. ١٤٢٣هـ.

٦. الطريق التجاري بين حجر اليمامة إلى البصرة. ١٤٢٤هـ.

وكل هذه المؤلفات قد نشرها بنفسه بالرياض.

وقد اختتم الجزء الثاني من (نظرات في معاجم البلدان.. تحقيق مواضع في نجد)، متألماً ومتحسراً على ما أكلته مصانع الرخام والخزف من هضاب كان يستدل بها، وهي علامات ذكرت في الشعر القديم كهضبة (ثَهْمَدَ) التي تقع بجوارها برقة خولة التي قال فيها طرفة بن العبد في مطلع معلقته:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد　　　تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

والتـي سبـق أن رآها كما وصفت من قبل، وعندما عاد لها بعد بضع سنين لم يجد إلا بقاياها فقال: «ولست ضد الاستفادة من المصادر الطبيعية التي حبا الله بلادنا بالكثير منها مثل جبل الرخام الثمين، ولكنـي ضد عدم ترشيد هذه الاستفادة.

فكان بودي أن يقتصر أخذ الرخام من الجبال الكبيرة؛ لأن الأخذ منها لن يغير من معالمها كثيراً، أما الهضاب الصغيرة فتترك؛ لأنها مظهر من مظاهر بلادنا الغالية حيث ألفها الناس وأحبوها فهم يستدلون بها في أسفارهم، وقد تغنى الشعراء قديماً بتلك الهضاب ومرابعهم حولها...».

هـذا وقد أفردت له المجلة الثقافية (ملحق الجزيرة) في عددها (١٦٨٧٢) بتاريخ ١/٤/١٤٤٠هـ- ٨/١٢/٢٠١٨م ثلاث صفحات رثته فيها، وكتب عنه الأساتذة: مسعود المسردي، وعبدالعزيز الشايع، وسعد الماضي، وسعد اليحيان، وعبدالله السهلي، وعبدالله البارقي، وذكروا ما يتصف به من صفات حميدة وأخلاق عالية وتواضع جم، وقالوا إنه (عاش بهدوء ورحل بصمت)، وسموه (شيخ البلدانيين)، وتتبع مسعود المسردي أعماله وخصه بـ(ببليوغرافيا لمقالات وأبحاث الشيخ عبدالله بن محمد الشايع المنشورة في الصحف والمجلات)، أما عبدالله السهلي فقد تناول بالتفصيل رحلاته وتحقيقاته ومحاضراته، واستعرض بإيجاز كل مؤلفاته وهي:

١. نظرات في معاجم البلدان ٣ أجزاء.

٢. مع امرئ القيس بين الدخول وحومل.

٣. بين اليمامة وحَجْر اليمامة (تحقيق طرقها القديمة وأعلامها المثيرة).

٤. أعلام الطرق القديمة بين خيال الباحثين والواقع.

٥. الطريــق التجاري من حَجْر اليمامــة إلى الكوفة إلى مكان التقائه بدرب زبيدة من وراء لينة.

٦. الطريق التجاري من حجر اليمامة إلى البصرة.

٧. في أرض البخور اللبان.

٨. في أرض الشجر الأحقاف.

٩. أطلــس الشواهــد الأثرية على مســارات طرق القوافــل القديمة في شبه الجزيرة العربية.

١٠. طريق الأخرجة من (فيد) إلى (المدينة المنورة).

وكانــت وفاتــه رحمــه الله صبــاح يــوم الجمعــة ١٤٤٠/١/٢٥هــ الموافــق ٢٠١٨/١٠/٥م، هذا وقد أقام له مركز حمد الجاسر الثقافي ندوة تأبينية صباح يــوم السبت ١٤٤٠/٥/١٣هــ الموافــق ٢٠١٩/١/١٩م بعنوان: (العــالم البلداني عبــدالله الشايع: رحلاته.. وآثاره)، شارك بها الأساتذة: سعد الماضي، وعبدالله السهلي، ومسعود المسردي القحطاني.

محمد بن عبدالرزاق القشعمي

العرب
مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
ج١١ و١٢ س ٥٧
الجماديان ١٤٤٣هـ
كانون الأول-كانون الثاني/ديسمبر-يناير ٢٠٢٢م
تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــــدد

arab@hamadaljasser.com

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الحادي عشر والثاني عشر - السنة ٥٧

الجماديان ١٤٤٣ هـ

كانون الأول-كانون الثاني/ديسمبر-يناير ٢٠٢٢م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - طريق الإمام سعود بن عبدالعزيز - حي الشهداء

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكون البحث داخلاً ضمن اهتمامات المجلة، وهي الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة، وحسن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة في ملف (word) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤١٨

ردمد (ISSN) : ٢٦٧١- ١٣١٩

الفهرس

لقاء الكبار:

(بينَ علي جواد الطّاهر وحمد الجاسر مواقف ودلالات)

أ.د. نادية غازي العزّاويّ

(الكِبـار) مصطلـحٌ مقصودٌ في العنوان، يُـرادُ بهِ ارتكازُ الـثّراءِ المعرفيّ في شخصيّـةِ العـالِم على قاعـدةٍ عريضةٍ مـن النّبل الأخلاقـيّ و الرِّفعـةِ في القِيم والسّلوكِ معًا.

والمتَأمِّـلُ في تاريـخِ العلومِ والمعارف سيتنبّهُ حتّمًا إلـى فاعليّةِ لقاءاتِ الكبار بعضِهـم ببعضٍ؛ بكلِّ مـا تنطوي عليهِ مـن أبعـادٍ حقيقيّةٍ واعتباريّـة، شخصيّة وعلميّة؛ لأنّها لقاءاتٌ استثنائيّة لأشخاصٍ استثنائيين.

هـل نحتاجُ إلى أمثلة؟ لقاء : أبي نواس وخلف الأحمر، أبي تمّام والبُحتريّ، جـلال الدين الرّومـيّ وشمس التّبريزيّ، ابـن جنّي والمتنبيّ، الحـلاّج والشّبليّ، ماسينيـون ومحمود شكـري الألوسيّ، ميّ زيـادة وجبران خليل جـبران، العقاد والمازنيّ وشكريّ... وأمثلة أخرى، لنْ يكونَ آخرَها لقاءُ الطّاهر والجاسر.

حيثيّـاتُ اللقـاءِ بينَهمـا تكشفُ عن مُشْـتَركاتٍ نفسيّـةٍ واجتماعيّة وفكريّة كثيرة، منها:

١. الإيمـانُ بالعلـمِ قيمةً عُليَا في الوجود، والانصـرافُ الكليّ إلى تحصيلهِ بمُتعةٍ وصبرٍ ودأبٍ واسْتغراق كاملٍ.

٢. التّرفّـعُ عن الصّغائر، وعـن كلّ مايمكنُ أن يَشـينَ شخصيّةَ العالِم من آفاتٍ قديمة جديدة، عرّجَ عليها القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ في أبياتهِ الشّهيرةِ التي هي كنفثةِ المصدور حين قالَ:

ولمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ إنْ كانَ كُلَّما ... بَـدا طَـمَـعٌ صـيَّرْتُـهُ ليَ سُـلَّـما
وما زِلْتُ مُنْحازًا بِعِرْضيَ جانِبًا ... مِنَ الـذُّلِّ أَعْتَـدُّ الصِّيانَةَ مَغْنَما
إذا قيْلَ: هـذا مَنْهَلٌ، قُلْتُ: قد أَرى ... ولـكنَّ نَفْسَ الحُـرِّ تَحْتَمـلُ الظَّما
ولَمْ أَبْتَذِلْ في خِدمةِ العِلْمِ مُهْجتي ... لأَخْـدِمَ مَـنْ لاقَيْتُ لكنْ لأُخْـدَما
ولو أنَّ أهلَ العِلمِ صانُوهُ صَانَهُمْ ... ولـو عَظّمـوهُ في النُّفوسِ لعُظِّما
ولـكـنْ أهـانـوهُ فـهَـانوا ودَنَّـسـوا ... مُحيَّاهُ بالأَطْماعِ حَتَّى تَجَهَّما[1].

حُبّ العربيّة والإيمانُ بعظمةِ ما قدّمتْه الحضارةُ العربيّة الإسلاميّة للبشريّة، مع الانفتاحِ الواعي والمدروس على منجزاتِ الحضارةِ الجديدةِ، فثَمَّ فرقٌ في حساباتِهما بين الاستفادةِ المشروعةِ من الجديد الوافد على وفقِ أسسٍ مدروسة، وضمن مساحاتٍ كفيلة بتحقيقِ التّلاقح المرجوّ، وبين المُحاكاة الفجّةِ التي تُجهِز على خصوصيّة الهويّةِ، وتحوِّلها إلى مِسْخٍ باهت.

٣. رفضُ المجاملات في الجانبيْنِ الإنسانيّ العام، والعلميّ الخاصّ، إلى حدِّ القسوةِ أحيانًا، وهو ليسَ بأمر هيّن إذا أخذْنا بعين الاعتبار تواطؤَ النّاسِ على قبولِ التّزييفِ والتكلّفِ والكذبِ والتملّقِ السّائدِ حتّى بينَ أهلِ العلمِ.

٤. العِصاميّةُ في بناءِ الذّاتِ، وتأثيثُ مجدها الشّخصيّ بالمثابرةِ والتواضعِ.

٥. الزّهدُ بمُتع الحياةِ وملذّاتِها الزّائلة لصالحِ مُتعِ المعرفةِ الباقية.

هذا غيضٌ من فيضٍ، والتّفصيلاتُ الأخرى المشتركةُ أغْنى وأعْمَق.

بدأتِ الحكايةُ بمقالٍ نشرهُ الطّاهرُ عام ١٩٨٥م بعنوان: (العرب في عامها العشرين)، ومقالاتُهُ كانَ الجمهورُ يَنتظرُها؛ ففيها فوائدُ ومعلوماتٌ دقيقةٌ، ومكتوبةٌ بلغةٍ شفيفةٍ كأنَّها لغةُ الشّعر، فضلًا عمَّا فيها من تحليلٍ للظواهرِ والشخصيّات، كمقالِهِ هذا الذي سَبَرَ فيهِ جوانبَ منَ شخصيّة الجاسر، وعناصرِ تَميُّزِها، ومنها: العِصاميّةُ، والمثابرةُ، والإصرارُ على تحويلِ عواملِ الإحباطِ إلى عواملِ تعزيزٍ وتعضيد، والاستمرارُ في الإنجازِ وعدمِ التلكّؤ، وتنوُّعُ اهتماماته ومجالاتِ عمله، وقد شفع كلَّ ذلك بمواقف خبَرَها في الجاسر عن كثب، ولَمَسَ ما وراءَها مِن إرادةٍ وشجاعةٍ أثارتِ إعجابَه وتعجُّبهُ معًا: «عَجيبٌ أمرُ هذا الصّبي المُسمَّى حمد بن محمد الجاسر مُذ هَجَرَ البرود إلى الرّياض، إلى مكة، ومُذ صارَ مُعلِّمًا وقاضيًا ومُشْرِفًا ومُديرًا للتعليم، ومُديرًا لكليتيِّ الشّريعةِ واللغة العربيّة... وقد هجرَ الوظيفةَ نحوَ ما هو أجملُ منها وأجْدى، إلى صحافةٍ رائِدةٍ في الرّياض (اليمامة)، ومطبعةٍ أولى (مطابع الرّياض)»[٢].

ويَرصدُ في الجاسر ذكاءَهُ الفطريّ الذي أثْرَتْهُ القراءةُ المنظَّمةُ والجادة، والبحثُ المستمرُّ عن المخطوطاتِ و الكتب في ضروبٍ من العلم متنوّعة، فتساءَلَ: «هذا هو الجاسِرُ ضمنَ ظروفِهِ بينَ قديم درسِهُ وحديثٍ استلحَقَهُ، وقد بَذَّ كثيرينَ ممّن درسَ في الغربِ وعلى مناهِجِهِ في أعلى الجامعاتِ؟ تُرى...كيفَ كانَ يكونُ الجاسِرُ لو تهيَّأ لهُ أنْ يَدرسَ -مع قديمِهِ- جديدًا في السّوربون أو كمبرج من موادِ الفلسفةِ وتاريخ العالم، وأدب العالم، إلى جانبِ ما وعاهُ وتمثَّلَهُ من شؤونِ الجزيرةِ تاريخًا وجغرافية وأدبًا؟ لقد رأيْت الرّجل -دائمًا وأبدًا- أكبرَ من

البيئـةِ التي تحتويه، وأوسعَ أُفُقًا من الدائرة التي تحيطُ بِه، ولو كانَ في السّوربون أو كمـبرج لَمَـا اختلَفَ الأمـرُ، ولما حالتِ الحـالُ، وربّما ضاقَ أستـاذٌ في باريس أو كمبرج بأفق تلميذٍ جاءَهم من البرود»[٣].

وعلى رأسِ قائمةِ مزايا الجاسرِ عندَهُ ريادةُ المشـروعِ الصحفيّ في المملكة، ودَأْبُـهُ في تنميتِهِ وتطويرِهِ فَـ: «بعدَ اليمامةِ ومطابعِ الرّياض ونشْرِ المقالاتِ وإلقاءِ المحاضـرات واقتناءِ المطبوعِ النّادرِ، والمخطـوطِ الذي لايعرفُهُ غيرُهُ، قرَّرَ وهو في عزِّ الكهولة أنْ يُنشِئَ دارًا يُسمّيها دارَ اليمامة للبحثِ والتّرجمةِ والنّشْر، ويُصدرَ مجلـةً يدعوها «العرب» ...ولانستطيعُ –أنا ولا أنـتَ– أنْ نُدْرِكَ عظمَ المشروع... ومتاعبَه ومخاطرَه»[٤].

ومع الصّحافـةِ ومتطلّباتها الشّاقـةِ «تتوالى الكتبُ مؤلَّفـة ومحقّقة وقطبُها الأول الأساسُ المعتمَد عليه منذ البدء هـو الشّيخ حمد الجاسر، وتتكاثر الأعداد فيها...ولولبُهـا الأولُ الرّكنُ الرَّكينُ مذ طرَأتِ الخاطرة هو الشّيخ حمد الجاسر. إنّ الشّيخ حينَ عزمَ وخطا ونفذ لم ينطلقْ مِن ذاتٍ غير ذاتِها في عزمِها وإرادتِها، ولم يستندْ على قلمٍ غير قلمِهِ في علمِهِ وفكرِهِ وكتبِهِ ومكتبتِهِ»[٥].

وهكـذا وثّقـتِ المشتركاتُ أواصـرَ اللقاء ليصـيرَ صداقةً على بُعـد الأمكنةِ وتراخي السنينِ المفعمةِ بالمصاعب والمصائبِ الشخصيّة والعامة بينَهما، صداقةٌ عـبَّرَتْ عـن نفسها بوضـوح في مواقـف مُنصِفة اتّخذَهـا الجاسـر في التّصدّي للأصـواتِ النّشـاز التي سَعَتْ علـى صَفَحاتِ مجلةِ العربِ الغـرَّاء إلى النّيْل من الطّاهر وإهانتِهِ والتّجاوزِ عليه، فأسْكَتَها. وظلّ الطَّاهرُ يؤلّفُ ويَنشر ويُحاضِرُ في العراق وفي خارجِهِ، وظلَّ صاحبُهُ يؤلّفُ ويَنشُرُ ويحاضِرُ في السّعودية وخارجها.

ثـم ّرحلَ الطّاهر عـام ١٩٩٦ م، وكانَ يمكنُ أنْ ينتهـي الأمرُ عندَ هذا الحدّ

الطبيعـيّ المحتوم، ولكنَّ الجاسرَ استشعـرَ بحاسّة الإنسان -أوَّلًا- إلى وقفة وفاءٍ بحـقّ صاحبِـه، وبحاسةِ العـالم -ثانيًا- إلى وقفةِ تكريم لهُ، فـكانَ أن التَفَتَ إلى تحقيـقِ رغبـةٍ قديمةٍ عندهما في إعـادة طبعِ كتاب الطَّاهـر (معجم المطبوعات العربيّـة في المملكة العربية السعوديّة) الصّـادر في بغداد عام ١٩٨٥ في جزأيْنِ، فأعادَ طبْعه طبعةً مزيدة في أربعة أجزاء، و خصّص مُلحقًا في آخر الجزءِ الرابع في رثـاء صاحبِه، جمـعَ فيهِ المقـالاتِ والقصائدَ المنشورةَ في رثائـه في الصّحف العراقيّـة آنذاك، ومَنَـحَ كلَّ مَنْ رثاه ممّن وردتْ مادّتُـهُ في الملحق نسخةً مجانيّة من الكتاب كذكرى.

وصدَّرَ الملحقَ بتقديم مؤثّرٍ، تحدَّثَ فيه عن أهميّة الكتاب ومَزاياهُ -والجاسرُ ليـس سهلًا في نقدِه، ولا سَخيًّـا في إطلاقِ نعوت القبولِ والرِّضا في تقييمه العلميّ والمنهجـيّ- ومـع ذلك وصفَ هذا المعجمَ بأنَّهُ: «أوفـى وأشْملُ وأوسعُ ما أُلِّفَ عن الحركةِ الفكريّةِ الثقافيـة العلميّة من جميع جوانبها... وأنَّه أوضحُ وأجلى صورة لواقـعِ تلك الحركة، مع التجرّدِ التام عن كلِّ ما لايَمُتُّ إلى الحقيقةِ المتوخّاة فيما يحويِه مِن آراء»[٦].

ويَلتفتُ الجاسرُ بحسِّهِ النّقديِّ اليقظِ إلى سمةٍ خاصّة جدًّا في المعجم تتعدّى الإحاطـةَ بالمـادة، والدِّقـةَ في إيراد بيانـاتِ الكتب وتراجـمِ مؤلّفيهـا، إنّها لمحةٌ وجدانيّة تكمـنُ في إيحاءِ الكلمات، وتُسْتَشعَر من ظلالِ المعاني، يقول عن أسلوب الطاهـر في تدبيج هـذا الكتاب: «... ويُحِسُّ القارئ لتلك اللَّمَحـاتِ الفكريّة أنَّ المؤلفَ يُعايشُ أهلَ هذه البلاد، لا بفكره ودراسته فحسب، بل بروحه وإحساسهِ، ومايَتَّصفُ به من صدقٍ وإخلاص ومحبَّةٍ لهم»[٧].

ويتطـرَّقُ في التّقديم أيضًا إلـى بداية الصّداقة بينهمـا، وإلى عواملِ غِناها

وديمومتِهـا، قالَ: «كانـت صلتي بالدّكتور الطاهر قد توطّدتْ خلالَ ما يقربُ من ثلاثـين عامًا... لقـد أدركتُ منذ الوهلـةِ الأولى من اجتماعـي بالدكتور الطّاهر -رحمـه اللّه- أنّنـي أمامَ طرازٍ آخرَ مـن العلماء الذين سَعِـدْتُ بمعرفتِهم ممّن امتـازَ بسماحة الخُلـق، ورحابةِ الصّدر وشِدَّةِ التواضع، بحيـث يُحسُّ جليسُه أنه يحـادث لِدةً مِن لِداته لا يفضُلُهُ بأيّةِ ميزةٍ، مـع ما اتّصفَ بهِ من سعةِ المعرفة في جميعِ جوانبِ الثقافة، والترّفعِ عن كلِّ ما يخدِشُ كرامةَ العلمِ من قولٍ أو فعلٍ»(٨).

وتحدَّثَ عـن مرضِه وموتِه بحـزن وأسى؛ لأنّ خسارةَ العلمـاءِ ليستْ بالأمر الهـيّن، والعِوضُ فيهـم ليسَ يَسـيرًا، واصِفًـا متابعتَه لحالتـهِ عن بُعـدٍ؛ بسؤالِ أصدقائـهِ وتلامذتهِ، قـالَ: «وقد اتصلتُ بهِ بعد ذلك محـاولا أنْ أتَحسّس برفقٍ وبدون إثـارةٍ أيّ شعور لديهِ بتأثُّر صحته، فـكانَ يُجيبُني باقتضاب: إنني بصحة حسنة، وأمارسُ الكتابةَ والقراءة كغيري، وهو في كلِّ ذلك يُغالبُ ما يُحِسُّ بهِ مما يَقُضُّ مضجعَهُ ويُنغِّصُ حياته، مِن أَلَمِ ذلكَ الدّاءِ العُضال»(٩).

ويذكرُ الجاسر أيضًا تفصيلات صغيرةً بينَهما، ولكنها غنيّة في دلالاتِها من مجرياتِ الصّداقة بينَ الكِبار، من ذلكَ مثلًا أنَّ الطاهرَ كتب رسالة إلى صاحبه يبـثّ فيها رغبتَه في إعادة طبع هذا المعجم مشترِطًا أنْ: «تُثبت ملاحظاتُ الشيخ حمـد الجاسر في مكانِها كاملةً مـن صلب الكتاب، وحسْبُ الكتابِ فخرًا أنْ يتولّى الإشـرافَ ولو مِن بعيد، على إعادة طبْعِهِ، مَنْ هو أعْلمُ من مؤلفه». وحقّق الشيخُ رغبـةَ صاحبـه، ولكنّهُ أثبتَ في الطبعـة الجديدة الملاحظةَ الآتيـة: «كانَ ذلكَ لو تمَّ طبـعُ الكتابِ وعَرْضُهُ على مؤلفه، أمَا وقد تـوفّي فقد رأيْتُ من الأمانة العلميّة وحِفاظًا على أصْلِ المؤلف وضْعَ ما أَضَفْتُهُ في هوامش الكتاب»(١٠).

أقــولُ : أينَ هذا ممّــا يشيعُ بينَ صغــار المؤلفينَ من السّرقــات، والادّعاءات الفارغة، والاعتداء على الحقوق العلميّة والأدبيّة؟

رحِمَ اللّهُ الكبيرينِ كِفاءَ ما قَدَّما مِن دروسٍ في سيرتِهما الشخصيّةِ والعلميّة النّاصعة:

ذي المَعالي فلْيَعْلوَنْ مَنْ تعالى　　　هــكــذا هــكــذا وإلاّ فــلا لا

تُليــت هــذه الورقة في ندوة «علي جــواد الطاهر» يوم الاثنــين ٤/٣/ ٢٠٢١م بمعرض الرياض الدولي للكتاب.

الهوامش

(١) شعر القاضي الجرجانيّ، صنعة د. عبد الرّازق حويزيّ، ط٢، مصر ١٤٢٤هج/٢٠٠٣ م: ١٣٩.

(٢) أساتذتي ومقالات أخرى، علي جواد الطّاهر، دار الشّؤون الثقافيّة العامة، بغداد ١٩٨٧م: ١٦٤.

(٣) المصدر نفسه :١٧٠.

(٤) المصدر نفسه: ١٦٦– ١٦٧.

(٥) المصدر نفسه: ١٦٧.

(٦)معجم المطبوعات العربيّة في المملكة العربيّة السّعوديّة، : ١٧٢٣.

(٧) المصدر نفسه :١٧٢٤.

(٨) المصدر نفسه :١٧٢٨.

(٩) المصدر نفسه: ١٧٢٥– ١٧٢٦.

(١٠) المصدر نفسه: ١٧٢٦.

رَدُّ الضَّالَّة الصِّقِلِّيَّة:

الكشف عن مُصَنِّف مُعْجِز أحمد المنحول

د. محمّد بن عبدالله العزَّام

(١) تمهيد:

اقتنيـتُ في عام ١٩٩١ نسخة من كتاب «معجز أحمـد»، الذي نشره المرحوم عبدالمجيـد دياب منسوبًا إلى أبي العلاء المعـرِّي، وأدركتُ لأوَّل نظرة أنه منحول عليـه؛ لأنَّ كلَّ شـيء فيه يخالـف الثابت المعتـاد في مصنَّفات الشيـخ. وسرعان مـا نشر محمـد عبدالمجيد الطويـل مقالةً بهـذا المعنى (عالم الكتـب، ١٩٩١)، فأدليـتُ دلوي ونشرت مقالة طويلة (عالم الكتب، ١٩٩٣)، ثم مقالة ثانية (عالم الكتـب، ١٩٩٤)، ثم ثالثة (عـالم الكتب، ١٩٩٧). وأشـرتُ في المقالة الأولى إلى مقالـة الطويل، وإلى كتاب السعيد عبادة «أبو العلاء الناقد الأدبي»، المنشور عام ١٩٨٧، مع أنَّني لم أطَّلع عليه إلى يومنا هذا.

وتهدف هذه المقالة الرابعة إلى إثبات ثلاث مسائل:

(١) إثبات العلاقة النصِّية الواسعة بين المنحول والتكملة.

(٢) أسبقيَّة المنحول.

(٣) أن أبا علي الصقلِّي هو مؤلِّف الكتابين.

وقد أسميته بالمنحول اختصارًا. وأعني بالمشرق في هذه المقالة: المشرق الأعجمي، فارس والرَّيّ وخراسان وما وراءها..

(٢) خلاصة المقالات السابقة:

كسرتُ المقالة الأولى على إثبات أنه ليس للمعرِّي. ورجَّحت في الثانية أن المعرِّي لم يصنِّف شرحًا باسم «معجز أحمد»، وأنَّ ابن أبي الإصبع توهَّم أنه اسم اللامع العزيزي، وقلَّده ابنُ خلكان، وقلَّد المتأخِّرون ابنَ خلكان.

ومما يُستدرك على المقالتين: أن نظرية الإعجاز لم تخطر للمعرِّي في شرحه الكبير «اللامع العزيزي»، الذي أملاه في شيخوخته، ولم يصف بيتًا قطّ بأنه معجز؛ بل انتقده في بضع مواضع؛ فلا يستقيم الظنّ بأنه صنَّف كتابًا باسم «معجز أحمد». بلى، نُسب إليه قولٌ بأن أحدًا لا يستطيع إبدال كلمة بأحسن منها. وهذا ليس قولًا بالإعجاز، وليس له صدًى في اللامع ولا غيره، والذين ذكروه لم يسمعوا بمعجز أحمد.

وكذلك يخلو المعجز المنحول من معنى الإعجاز في شعر المتنبي.

وقد اقتربت في الثالثة من تعيين مصنِّف الكتاب، وهي بعنوان «أَضْواءٌ جديدة على معجز أحمد المُزَوَّر وكتابِ التكملة لأبي عليّ الصِّقلِّي»، وهذا رابطها:
https://bit.ly/2MovuOR

وهذه خلاصتها لأنها كالأساس لهذه المقالة الرابعة:

ذكرتُ أن التناصّ بين الكتابين «قويّ جدًّا»، وضربتُ له أمثلةً وافية من نصوص طويلة، وعبارات مسجوعة، وشروح نادرة، وأخطاء في الرواية والشرح، واتِّفاقٍ في ترتيب مسائلَ شرح البيت الواحد، ومعرفة أشياء وجهل أشياء؛ وقلتُ: «لا تكاد صفحة من التكملة تخلو من جُمل توجد في المنحول بحروفها أو باختلاف يسير، وكلٌّ منهما مُفيد جدًّا في تصحيح الآخر وتفسير إشاراته».

وذكـرتُ صِـلات أخـرى بينهما: (١) عـدمُ إشـارة الشارح إلـى مصنّفاته وأشياخـه وحكاياته (٢) قلَّـةُ روايته عن علماء عصره (٣) عـدمُ توثيقه لبعض نقولـه (٤) وقوفُـه على شروح المخزومـي وأبي القاسم الأصبهـاني وابن فُورَّجَة (٥) عـدمُ وقوفه علـى شرحي الواحدي والمعـرّي (٦) ذُكر أبـو العلاء نقلًا عن كتـاب ابن فُورَّجَة فقط؛ وفي ذلك بعض الدلالـة على خروج التكملة والمنحول من إقليـم واحـد وعصر واحد (٧) على شرح المعرِّي ترتيبُـه للقصائد على التواريخ (٨) شرحُـه للأبيـات بالطريقـة المدرسيَّة: الإعـراب وشرح الألفـاظ، ثمّ شرحُ المعنــى بكلمة «يقول كذا»، أو «المعنى كذا» (٩) معرفتُه بالنحو والإعراب والقوافي (١٠) ضعـفُ تفسيره للإشارات التاريخيـة والجغرافية في شعر المتنبي، وخاصة ما يتَّصل بالشام والعراق.

ولم أجـد في الكتابين أيَّ إشارة إلى غـير المشرق الأعجمي، ولا واقفًا عليهما مـن غير المشارقة؛ ولم أجـد في التكملة تلويحًا إلى صقلِّية ولا غيرها من الأقاليم المغاربيـة، ولا روايـةً عـن علي بـن حمزة (راويـة المتنبـي المتوفَّـى بصقلِّية عام ٣٧٥هـ). فترجَّـح عندي أنَّ التكملـة مشرقيَّة، وقلتُ: «ينبغـي أن يكون الصِّقلِّي قـد عاش في فارسـ أو خراسان في القـرن الخامس، والأقرب عنـدي أنَّه صنَّف التكملـة في أواسط القرن»، ورجَّحتُ أن يكـون قد انتقل هو أو أسلافه من صقلِّية إلـى المشرق. وقلتُ عـن مصنِّف المنحول: «ينبغي أن يكون من تلك البلاد، ويجوز أن يكون عاش في أواخر القرن الخامس فما بعده».

وأحسبُ أنني قد قاربتُ الصواب في معظم تلك النتائج.

وقد استفاد ناشرو بعض أجزاء التكملة من المنحول لتحرير النصّ في مواضع كثـيرة جدًّا، ولم يفطنوا إلى التناصّ، ولم يقولوا قطُّ: هذا التوافق المتكرِّر لافتٌ للنظر! ولا يزالـون يتوهَّمون إلى الآن أن التكملة مغاربيَّة صقليَّة، ويكتبون أوهامًا حول هذا المعنى لا دليل عليها إلا لقب المصنِّف.

(٣) أسبقيَّة المنحول لم تتَّضح آنذاك:

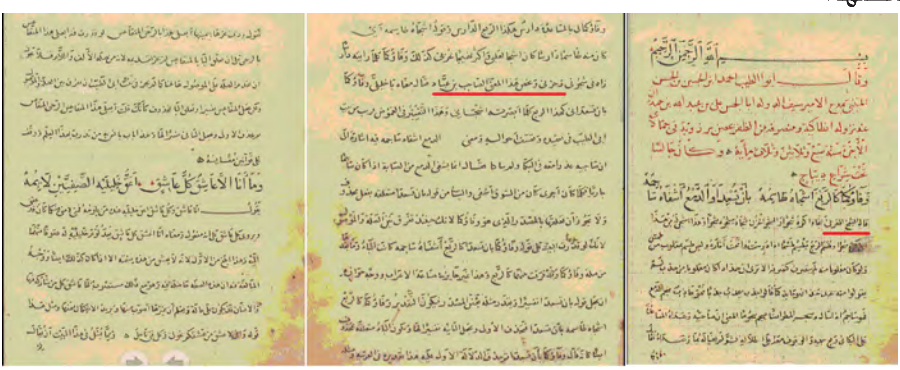
الذي لم أُوَفَّق إلى استنباطه آنذاك: أن المنحول للصِّقلي!

كان الغرض دفعَ نسبته عن المعرِّي، وأنَّ عباراته تشير إلى المشرق. ولم يظهر ما يدفع الافتراض الأصلي بأنَّ شرحًا كهذا -مجهولًا صاحبُه وعصرُه، ومقدّمته ضائعة- هو المتأخِّر، ولا أنَّه يحتاج إلى تكملة (ولكنَّ للنقص معاني أخرى)، وكنتُ وقفتُ عند إشارات الصقلِّي إلى شرح قديم، وتسمية كتابه بالتكملة، وقوله: «وأَتْمَمْتُ ما في يدك من شرح هذا الديوان ... وهذا حين أبتدئُ وأَبْنِي على ما عندك»؛ فلم تنعقد الصِلةُ بينها وبين هذا المنحول، مع عنايتي البالغة بالتناص الصلة بينهما! قدَّر اللّه وما شاءَ فعل!

وصرفني أيضًا أنَّ وقوفي كان على جزء التكملة الذي نشره أنور أبو سويلم، وكان كافيًا لنفي نسبة المنحول، ولم يكن كافيًا لمعرفة حقيقته وتسمية مؤلِّفه.

(٤) مفاجأة لطيفة:

ثمّ أذن اللّه بالفرج! كنتُ أطالع نسخةً من ديوان المتنبي (نسخة المكتبة الوطنية بطهران، رقم ٤٦٥٤-٥، المكتوبة عام ٩٠٥ هـ)، وإذا فيها نَقْصُ ورقة عند منتصف الديوان، ومقدار النقص أحد عشر بيتًا من السيفيَّة الأولى (لأنَّ عنوان الجزء الثاني كان على وجهها). فنقل الناسخ -أحسن اللّه إليه- تلك الأبيات مشروحةً في ثلاث ورقات، تبدأ بقوله: «قال الشيخ المغربي». وهذه صورة بعضها:



فلمَّـا قرأتها -بمعـزل عن المنحول والتكملـة- شعرتُ كأنَّني أقـرأ المنحول! واتَّضـح بعـد معارضتها بـه أنَّ الـكلام لا يطابق الـكلام، ولكنَّه أخـوه الشقيق! وتوقَّعـتُ أنَّ «الشيخ المغربي» هو أبو علـي الصقلِّي، الذي عقدتُ الصِّلة بينه وبين المنحول. ولمَّا حصلتُ على مخطوطات التكملة (لأنَّ السيفيَّات لم تُنشر بعد)، إذا بالورقات الثلاث منقولة منها. وعجبتُ لأنَّ ناسخًا في المشرق سدَّ ثَلْمَ الديوان من كتـاب «الشيخ المغربي»، كأنه معروفٌ عندهـم؛ وازددتُ يقينًا بأنَّه كان يعيش بين ظهرانيهم.

وكان من تصاريف الأقدار أن اشتملت الأوراق على ضوء يشير إلى المنحول، قـد يخفى إذا قُـرئ في المخطوطة الكاملـة، فسطعَ نورُه بوجـوده في ثلاث أوراق مستقلَّة! وصدق القائل: لا تُغني نسخةٌ عن نسخة! وذلك أنَّه قال في المنحول:

> ذكـر صاحبُ الجليل في تلخيص هـذا المعنى ما هو في العموم مثلُ كلام أبي الطيِّـب، فقـال: معناهُ: وفاؤكما بـأن تُسعداني، كهـذا الرَّبْع كلَّمـا أبصرتُه أشجاني.

وهـذا كلامٌ مضطربٌ، وتوهَّمـتُ في المقالات السابقة أن «الجليل» اسم شرحٍ مشرقيّ مجهول. فأشرق المعنى في عبارة هذه الأوراق:

> لخَّصَ هذا المعنــى الصَّاحبُ بن عبَّـاد فقال: معنـاهُ: وفاؤكما بأن تُسعـداني، كهـذا الرَّبْع كلَّمـا أبصرتُه أشجاني. وهـذا التفسير في الغموض قريبٌ من كلام أبي الطيِّب.

فالصواب «الصاحب الجليل ... الغموض».

وكان الصاحـب يلقَّـب ويُخاطب بالجليـل وكافي الكُفاة. قـال ابن فارس في مقدِّمة الصَّاحبي «أَوْدعْتُـه خزانةَ الصَّاحبِ الجليل كافي الكفاة»، ومدحه شاعرٌ فقال:

ولمّا مات حُمل إلى أصفهان ودُفن بها؛ فهو يُعتبر أصفهانيًّا، أي من الإقليم الـذي قدَّرنا أنـه مخرج الكتابين. فخرجنا من الظنّ بـأنَّ الصِّقلي كان يعيش في المشرق، إلى ترجيح أنَّه كان أقرب الشرَّاح إلى تراث الصَّاحب في أصفهان.

اتَّفـق الكتابـان علـى اقتباسـ كلام الصَّاحـب في هـذا الموضـع، وتسميته «تلخيصًا»، ونقده بأنه غامضٌ كلفظ المتنبي.

وفائـدةٌ حاسمـة: أن كلام الصَّاحب لا يوجد إلا فيهما! لا يوجد في رسالته «الكشف عن مساوئ المتنبي»، ولم يذكره الذين بثُّوا أقواله في شروحهم، وتوسَّعوا في إيراد تفاسير هذا البيت العويص. وسيأتي انفرادُ الكتابين بقول آخر له.

ولا يخفى أنَّ وضوح نصِّ التكملة يوحي بأنَّها المتأخِّرة.

وبذلـك اكتمل المسوِّغ العلمي لصياغة فرضيَّة هذا البحث: المنحول هو شرح الصقلِّـي القديم. ووصلنا –بفضل الله– إلى قناعة بأنَّ المصنِّف كان يأخذ ويَدَع مـن عبارات كتابـه القديم، ويزيـد وينتقص، أو ينقـل حرفيًّـا؛ وأنَّ التكملة هي كالطبعة الثانية من المنحول؛ وأنَّهما لمصنِّف واحد.

ولقـد كان يسرُّنـا أن تظهـر من المنحـول نسخةٌ منسوبـةٌ للصقلِّـي، أو نقلٌ صريـحٌ. ولكـنَّ حقائق العلم تُبنـى على الأدلَّة الموجودة (وهـي هنا كثيرة جدًّا)، ولا تنتظـر العثور علـى دليل قد لا يوجد أبدًا. ولسنا نعجـب اليوم لخمول الكتاب وجهـل الشـرَّاح والعلماء به؛ فهذا هـو الظنّ بشرحٍ طُلب إلـى صاحبه أن يصنِّف خـيرًا منـه. بل العجب مـن بقائه! وهذا الكتـاب محظوظ! شـرحٌ لا يمتاز بشيء خاصّ، كان مصـيره إلى الفنـاء، وبقيت منـه نسخة مخرومة ليسـ عليها اسم المصنِّـف؛ فخطر لورَّاق ماكر أن يسمِّيه معجز أحمد وينسبه إلى المعرّي، ويصنع منـه نُسَخًا مزوَّقة يصطاد بها الدنانير العثمانية؛ فطار صيته وانتشر في الآفاق،

وصـــار مرجعًا للعلماء، ونال بــه عبدالمجيد شهادة الدكتــوراه! ولا أزال أشتغل به ثلاثين عامًا!

ونـــال بعضُ حظِّــه عالمًا أديبًا جليلًا، ضاعت جميــع كتبه، وعثرنا بفضل الله علــى شرحه لديوان المتنبي في أثناء البحث عــن المنحول! وسوف نُعلن عنه قريبًا إن شاء الله. والحمد الله على توفيقه أوّلًا وآخرًا.

(٥) المنحول والتكملة صُنِّفا في فارس:

نظـرًا لأهميَّة الإقليم لما نحــن في سبيله، أجد من المفيــد اختصار الشواهد السابقة على مشرقيَّة الكتابين، وتعزيزها بشواهد جديدة:

- فهمــا يقتبسان من ثلاثــة شروح مشرقيَّة: الأصبهــاني والمخزومي وابن فُورَّجَــة، والفسر لشهرتــه؛ ولم يعرفا سائر الشــروح العراقية والشامية والمصرية والمغربية.
- ينفردان بالاستشهاد بكلام لأبي القاسم الأصبهاني (وسيأتي تفصيل).
- قــال في التكملة ١/ ٢٥، في سياق شهرة ديوان المتنبي: «أخبرني مَنْ أثق بــه قال: كنتُ بخُراسان، فصلَّيــتُ الجمعة في بعض مساجدها، فسمعتُ الخطيــب يُنشد في خطبته... إلخ». وقــال ٤/ ٦٣: «يتبيَّن [المَدَّ والجَزْرَ] في بحــر الهنــد وفارس وأنهار البَصْرة»، ولم يذكــر بحارًا مغربية. وقال صاحــب المنحــول ٣/ ٥١: «يُحكى عن سيِّد المؤيَّد بــاللّه قدَّس اللّه روحه قــال: كنــتُ أقرأ هــذه القصيــدة على المتنبّــي... إلخ». وهــذا المؤيَّد لم يفسِّــره ناشر المنحول، وهو أحمد بن الحسين بــن هارون الأفطح، أمير الزيديــة في الدَّيْلَم (على بحــر قزوين)، حكم عشرين عامًا، ومات سنة ٤١١هــ (الأعلام ١/ ١١٦). فمصنِّف التكملة يروي قول زائر خراسان، ومصنِّف المنحول يروي قول حاكم الدَّيْلَم.
- قــال فيهما: «الأَلْكَن: الذي يَصُبُّ كلامَــه في قوالب الفارسية» (المنحول

٢/ ٢٢٩، التكملــة ٣/ ٣٢)، وقــال: «البِرْسَــام سُرْيانيــة، ومعناهــا كذا» (المنحــول ٢/ ٢٣٣، التكملة ٣/ ٣٦). وقال: «الدُّمُسْتُق عند الروم: قائد الجيش، مثل الإِسْفَهْسَــلار عند الفُرْس» (المنحول ٣/ ١٧٤، التكملة خ/ ٢٠٩). وفسَّــر «ديــوان» بالفارسيــة، وذكر حكايةً لكســرى (التكملة ١/ ٢٨). فهذه أقوال كالسابقة، وسيأتي تفصيلها.

- وانقطــع الشكّ باليقــين، بمشافهة أبي علي الصقلّــي للشيخ العميد أبي بكر القُهِسْتاني الخراساني، كما سيأتي.

(٦) التناصُّ بين الكتابين:

لا تخلو صفحةٌ من الكتابين من كلمات وعبارات مشتركة، لا نستطيع حصرَها لكثرتهــا ولا يلــزم ذلك. فاخترنا طائفةً لعلَّها أدلُّ علــى المطلوب، وقد يكون فاتنا مــا هو أهمُّ مما أثبتا. ووضعنا خطوطًا للدلالة على النصوص المشتركة، من غير إملال القارئ بشرح وجوه الاتِّفاق، وأنها لا تقع بالمصادفة.

ومعيار التطابق: أن يتشابــه بناءُ الجملتين، ومضمونهما، وترتيبهما، وبعضُ كلماتهمــا التي هي من إنشاء الشَّارح، من غــير اشتراط التطابق المطلق. قال في المنحول ٣/ ٥٤ مثلًا:

> يقول: إن فَضَلْتَ الأنــامَ وعَلَوْتَهم وأنت من جُمْلَتهم، فليس ذلك بعَجَبٍ؛ فإنَّ المِسْكَ دَمٌ، ولكنْ يُخالف سائرَ الدِّماء ريحًا وطَبْعًا. وهذا من اختراعات أبي الطيِّب وفرائده.

ويقابله في التكملة خ/ ٢٥٢:

> يقــول: ليس بعجيب أن تَفْضُــلَ الناسَ بأفعالك، وتَبــينَ منهم بطباعك، وإن كنــتَ منهــم؛ فإنَّ المِسْــكَ دَمٌ، ولكنَّه مُخالفٌ للدِّماء ريحًــا وطَبْعًا. وهذا من اختراعاته وأعيانِ بدائعه.

فهـذا التوافق يتجـاوز القدرَ المعتاد بـين رجلين يشرحان بيتًـا للمتنبِّي، إلى التوافـق في الترتيـب والاستحسان، وفي معظم الكلمات، ويـكاد يقطع بأن مخرج الكلامين واحد، وأنَّ ما يقع بينهما من تغايُر هو من باب تحرير الكلام القديم.

(١)

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكِ سَدَّ مَسَامِعِي ... عَنِ العَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا العَذْلُ

قال في المنحول ١/١٦٦:

يقـول: كأنَّـك قد وكَّلتِ بـي رقيبًا منك يراقبنـي، من أن ألتفتَ إلـى اللُّوَّام، فكأنه سدَّ أذني عن دخول العذل فيها، فلا أسمعُ ما يقولون.

وهـو بحروفـه تقريبًا في التكملـة ١/ ١١٢، ولكنَّه أسقـط شاهدين ذكرهما في المنحـول، ونجـد عند التأمُّـل أنَّ إسقاطهما هو الصـواب؛ لأنَّهما لا يصلحان للموضع.

(٢)

لُصُوصٌ أطاعُـوا أَبـا مُـرَّةٍ ... بِـتَرْكِ الـرُّكُوعِ وتَـرْكِ السُّجُودِ

كَـأنِّي قُـرِنْتُ بِهِمْ فِي الجَحِيمِ ... أَرَى كُـلَّ يَـوْمٍ وُجُـوهَ الـيَهُودِ

البيتـان من قصيدة أبـي الطيِّب (أيا خَـدَّدَ اللهُ وَرْدَ الخُدود). ولم يَردا في نُسـخ الديوان المرويَّة، ولا في الشروح. ووردا في نسخ متأخِّرة، كأنَّهما من حواشي القرَّاء التي يُدرجها النسَّاخ في المتون، مع إشارات إلى الشكّ فيهما أحيانًا.

أنشدهمـا في المنحـول ١/١٩٧، وشَـرَحَ الأول فقط، (ولم يشرحـه أيُّ شارحٍ آخـر). وأنشده وحـده في التكملة ١/١٣٠ غـير مشروح، فانفـراد الكتابين بهذه الزيـادة الشاذَّة لم يقع بالصدفة، ويبـدو أن الصِّقلِّي وجدهما في نسخته فشرَح الأول، وشكَّ في الثاني لتكرار قافية «اليَهُود» في أصل القصيدة؛ ثم رغب عن شرح الأول في التكملة وأنشده غير مشروح. ولم يظهر لنا أقرب من هذا التخريج، على ما فيه من تركيبٍ.

(٣)

بِأَيِّ حُكْمِ زَمَانٍ صِرْتَ مُتَّخِذًا ... رِيمَ الفَلَا بَدَلًا مِنْ رِيمِ أَهْلِيكَا

قال في المنحول ١/ ٢٢٢:

يقول: بِأَيِّ حُكْمِ زَمَانٍ استبدلتَ ظباءَ الفلا بدلًا من الجواري التي كنَّ فيك، مثل ظباءٍ خالصة البياض. وهذا على عادتهم في نسب الحوادث إلى الزمان. ومثله للبُرْقُعيّ:

تَبَدَّلَ الرَّبْعُ من أَسْماءَ غِزْلانا ... وأَقْفَرَتْ من سُلَيْمى أَرْضُ حُلْوانا

الشرح في التكملة ١/ ١٤٥ مختلفٌ إلى الغاية، ولكنَّ شرح البيت السابق واللاحق متقارب جدًّا في الكتابين. فهذا شاهدٌ على ظاهرة متكرِّرة، أعني جَمْع المصنِّف بين التحرير والتغيير. ولا شكَّ في أنَّ الذي يشرح الديوان مرَّتين سيبدو له رأيٌ في أبيات كثيرة، والذي يعنينا هو مواضع الاتِّفاق الدالّة على شخص المصنف، دون مواضع الاختلاف.

فائدة: حرَّرنا أن البُرْقُعِيّ هو صاحب الزِّنْج، وأن هذا اللقب يتكرَّر في كتب المشرق الأعجمي (ومنها هذا المنحول)، ويندر في كتب المشرق العربي؛ في مقالة منشورة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (٧٢: ١٠٩-١١٦، ١٩٩٧).

(٤)

جَلَلًا كَمَا بِي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ ... أَغِذَاءُ ذَا الرَّشَأِ الأَغَنِّ الشِّيحُ؟

قال في المنحول ١/ ٢٣٩:

الجَلَل: الأمرُ العظيم ههنا، وهو أيضًا الأمرُ الهين. ونُصب بخبر «فليَكُ». والتَّبْرِيحُ: اسمه، من الشدَّة. والرَّشأ: ولد الظبية. والأغنّ: الذي يخرج صوتُه من الخَيْشوم. والشِّيح: نبتٌ معروف، وهو من نبات نَجْد، وهو يُنْعِم المواشي إذا رَعَتْه. وقوله: «فليَكُ» أصله «فليَكُن»، فحذف النون لسكونها،

وسكـون التــاء الأولى من التَّبْرِيـح، تشبيهًا للنون بحـروف اللين؛ لما فيه من الغُنَّـة. يقـول: ليكن التَّبْرِيـحُ والشدَّة عظيمًا كما بي. فتـمَّ الكلام ههنا. ثم استأنـف في المصراع [الثاني] متعجِّبًا مـن المشبَّه به فقال: أَغِذاءُ ذَا الرَّشَأِ الأَغَـنِّ الشِّيحُ؟ أي لفَرْط شبهه بالظَّبـي شَكَكْتُ فيه أنه ظبيٌّ في الحقيقة أم لا.

وقـد قيل إن أحد المصراعـين يُنافي الآخر. ولا مطعن فيـه؛ لأن المصراعين بمنزلـة البيتين، فكمـا يجوز أن يكـون أحدهما منقطعًا عـن الآخر فكذلك المصراعـان، وقـد ورد مثـالُ ذلـك في الأشعار. وقـد قيل في وجـه اتصال المصراعـين وجهـان: أحدهمـا: أنه بـيَّن في المصـراع الأول حالَـه في شدَّة التَّبْريح وبالَغ فيه، ثم بيَّن في المصراع الثاني: أنَّ من فعل به تبريحَ الهوى هو الرشـأ الأغنّ المنعَّم الذي رُبِّـي بالشِّيح. والثاني: أن معناه: إن كان في الدنيا تبريـحٌ، فليكن عظيمًا مثل ما بـي. ثم قال: أتظنون أنَّ من فعل بي هو الرشأ الـذي غذاؤه الشِّيح؟ ما هو إلا الرشأ الذي غذاؤه قلوبُ العاشقين وأبدانهم، فيا له من رشأ أغن!

وقد كان ما قال المتنبي على زعم بعضهم:

جَلَلًا كَمَا بِي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ	أَو لا فتَبْـرِيحُ الهـوى تَـرْوِيحُ
لله مِن رَشَـأٍ أغَـنَّ مُهَـفْهَفٍ	أَغِـذَاءُ ذَا الرَّشَـأِ الأَغَـنِّ الشِّيـحُ؟

ومعناه على هذا: ليكن التَّبْرِيحُ عظيمًا كما بي، وإلا فإنه تَرْويحٌ إذا لم يكن مثل تَبْرِيحِـي. ثم قال: للّه من رَشأٍ، ومعناه عجبًا من الرشأ الذي في صوته غُنَّة، مهفهفٍ: أي دقيق الخَصْر، غذاؤه الشِّيح: الذي يُنَعَّم به أمثالُه. فكأنه قال: كل ما حصل بي من التَّبريح فمن الرَّشأ الذي صفتُه هذه.

ويقابله في التكملة ١/ ٢٥٦:

الجَلَل ههنـا: الأمـرُ العظيم، وهـو أيضًا الأمـرُ الهين، وهو مـن الأضداد. والتَّبريـح: مصدر برَّح به إذا شدَّد عليه وجَهَده. والغذاء: ما يُرَبَّي به شيءٌ

مـن الحيوان. والرَّشـأ : الليِّن من الظبـاء. والأغنّ: الذي يخـرج نطقُه من الخَيْشـوم. والشِّيح : نبتٌ معروف وهو من نبات نَجْد، وخَاصِّيَّته أن يُنْعِم ما رَعَتْهُ من المواشي.

وقد نَقَدَ الصَّاحبُ هذا البيت فقال: «المصراعان يتبرَّأ أحدُهما من صاحبه تَبَرُّئي من آل سفيان أو من آل مروان». وقد كان ما قال أبو الطيب على زعم البُرْجِيّ:

جَلَلًا كَمَا بِي فَلْيَكُ التَّبرِيحُ ... أو لا فتَبْريحُ الهوى تَرْويحُ

لِلّٰه مِن رَشَـأ أغـنَّ مُهَفْهَفٍ ... أَغـذاءُ ذَا الرَّشَأ الأَغَنِّ الشِّيحُ؟

والتفسـير على هذا الوجه: ليكن التَّبْرِيـحُ عظيمًا كما بي، وإلا فإنه تَرْويحٌ إذا لم يكـن مثل تَبْريحي. ثم قال: لِلّه ذلـك الرَّشأ من بين الظباء، الذي في صوتـه غُنَّةٌ، دقيقُ الخَصْر، غذاؤه الشِّيحُ الـذي يُنْعِم أمثالَه. وقال من فسَّر هـذا الديـوان في مناسبة المصراعين، وهـو: أنه وصَف حالَـه وبالغ فيها في المصـراع الأول، ثـم وصف محبوبـه في المصراع الثاني بغايـة ما يوصف به المحبـوب. قـال : إن الذي بي مـن تَبْريح الهوى بنفسي وبـدني من أجل هذا الأغنِّ المنعَّم الذي رُبِّي بالشِّيح.

لم ينسـب في المنحول القولَ بتنافر المصراعين إلـى قائله، وعزاه في التكملة إلى الصَّاحب بن عبَّاد؛ فظاهر الحال أنه عرف قائله في الكتاب المتأخِّر. ولا يكاد يستقيم العكس: أن يُنسب هذا القولُ النادر إلى الصاحب في الكتاب المتقدِّم، وهو من أعظم أدباء عصره، وفيه آل سفيان وآل مروان، ثم يأتي بلا نسبة في الكتاب المتأخِّر.

وفي هذا الموضع شاهدٌ غريبٌ جدًّا: فالقول ثابتٌ للصاحب في رسالة الكشف المشهـورة (مع الإبانة للعميدي، صـ ٢٤٠)، وتناقله الناس، ولكن نقدًا لبيت آخر من شعر المتنبـي، ولم يُذكر شرحًا لقوله: (جَلَلًا كَمَا بِي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ)، منسوبًا ولا غير منسوب، إلا في هذين الكتابين! وأيضًا لم يذكره هذان الكتابان في الموضع الـذي أطبـق الناس عليه! فإمَّـا أن يكون الصِّقِلِّي قد غلـط في الاستشهاد به أوَّلًا

وثانيًـا، أو يكون الصاحب قد نقَّح رسالته بعـد أن طارت نُسخها في الآفاق، ونقل القول من موضع إلى موضع، وزاد أقوالًا كالقول الآخر الذي أوردناه سابقًا؛ فاطَّلع الصِّقِلّي على النسخة الجديدة؛ لأنه قريبٌ من خزانة الصاحب.

وفي هـذا النصّ إشارةٌ أخرى إلى أسبقية المنحول: فقد اعتذر للمتنبِّي بورود تنافـر المصراعـين في أشعار النـاس، وتكلَّف وجهين للتناسـب بينهما. وكان ابن فورجة قـد أورد الوجهين ونسـب أحدهما إلى القاضي الجرجـاني، والثاني إلى نفسـه، فأخذهما صاحـب المنحول على ترتيبهمـا؛ وأمَّا صاحـبُ التكملة فعكس ترتيبهما، وفصل بينهما بقوله: «وقال من فسَّر هذا الديوان». فالمنحول ينبغي أن يكون المتقدِّم، وجاء ترتيب الوجهين فيه على الصواب، فلمَّا صنَّف التكملة عكسَ الترتيبَ للمغايرة. وهذا أقرب من الاحتمال الآخر: أن يكون قد عكسَ الترتيبَ في الكتـاب القـديم، وعزا قول الصاحب إليه، ثمَّ جـاء بالوجهين في الكتاب الجديد علـى الترتيـب الصحيح، وحذفَ اسـمَ الصَّاحـب، وجملةَ «وقال مـن فسَّر هذا الديوان».

ووجـهٌ ثالث لا يقلُّ غرابةً عمَّا سبـق، وهو تشطيرُ بيت المتنبي لإزالة التنافر، ونسبةُ ذلك إلى المتنبي! فهذه الحذلقة لا توجد إلا في هذين الكتابين! وتخلو منها جميـع نُسخ الديوان وشروحه وسائر كتب الأدب (إلا النظام لابن المستوفي، الذي وقـف على التكملـة ونقل منها). وهـذه الغرابات المتراكبة في هـذا النصّ وحده كافية للقطع بخروج الكتابين من معين واحد.

ووجـهٌ رابع: أن عبارة المنحول «على زعـم بعضهم»، صارت في التكملة «على زعـم البُرْجِـيّ»، فهـذا من جنس أمثالـه: إيضاحٌ بعـد إبهام، ويتَّفق مـع أسبقيَّة المنحـول. وقد حرَّرتُ في المقالـة القديمة أن البُرجيّ هو أبـو القاسم الأصفهاني صاحـب الإيضاح، نسبه الصقلّي إلى محلَّـة في أصفهان. وهي قرينة أخرى على أصفهانيّة الصقلِّي.

(٥)

بَنُو العَفَرْنَى مَحَطَّةَ الأَسَدِ الـ ـأُسْـدُ وَلَـكِـنْ رِمَـاحُـهَـا الأَجَـمُ

قال في المنحول ١/ ٣٣٢:

العَفَـرْني: اسمٌ مـن أسماء الأسد، والأنثى: عَفَرْنـاة. ومحطَّة: جدُّ المدوح. وبنو: رُفـع بالابتداء، والعَفَرْني: جُرَّ بالإضافـة. ومحطَّة: بدلٌ من العَفَرْني، وهو في موضع الجرّ. والأسد: جُرَّ لأنه نعتٌ لمحطَّة. وجميعُ ذلك كاسمٍ واحدٍ مبتـدأ، والأسـد خبر الابتداء، كما تقـول: بنو أبي عبـدالله حمزة الظريف منطلقون.

والـكلام كله بحروفه تقريبًا في التكملـة ١/ ٢١٦. وهذه الجملة (كما تقول: بنو أبي عبدالله حمزة الظريف منطلقون)، من إنشاء صاحب الكتابين.

(٦)

لَوْلَاكَ لَمْ أَتْـرُكِ البُحَيْرَةَ وَالـ ـغَـوْرُ دَفِيءٌ وَمَـاؤُهَـا شَـبِـمُ

قال في المنحول ١/ ٣٣٥:

البحـيرة: تصغـير البحـر في الأصل، وإنما أنَّـث لأنه أراد بـه بحيرة الشام وطبريـة، والهـاء فيه لازمة له؛ لأنـه اسم هذا الموضع، وصـار علمًا كحمزة وطلحة. والغور موضع بالشام.

وقيـل معناه: لـولاك لم أترك البحـيرة ولم أترك ماءَها البـارد، وكذلك لم أفـارق الغور، مـع أنه مكان طيب دفـيء، وإنما فارقتُ هـذه المواضع مع أنها طيبــة لأجلك. وقيـل: الغور موطن الممـدوح. فيقول: لولا قصـدك لم أترك البحـيرة، وهي طيِّبة وماؤها عذب، ولم أقصد الغور، مع أنه دفـيء خالٍ من الطيب، لكن فضلك وكرمك وحبي لك، حملني على ذلك.

وقال في التكملة ١/ ٢١٩:

البحر مذكَّر، تصغيره بُحَيرة، وإنما أُنِّث لأنه اسمٌ لزم هذا الموضع، فوجب اتّباعه. وأراد بحيرة طبرية، والغور من الشام أيضًا. والشام على قسمين: فالشام الأعلى وهو ما كان منه في الجبال، والشام الأسفل وهو ما كان منه على ساحل البحر، والغور منه، وكان الممدوح مقيمًا بالغور. يقول: لولاك لم أترك البحيرة وهي طيّبة وماؤها شَبِمٌ، أي بارد، ولم أقصد الغور وهو دفِيء، أي حارّ.

نتجاوز تقارب الألفاظ والترتيب، لكن نشير إلى تكرار ثلاثة معان بترتيبها بكلمات مختلفة «تصغير كذا، بسبب كذا، لزوم كذا». ونتجاوز أيضًا انفراد الكتابين بالاعتذار عن تصغير بُحَيرة وتأنيثها، إلا قول صاحب التبيان «تَصْغِير بَحْرة، وَلَيْسَت تَصْغِير بَحْر»، وهي فائدة لغويَّة وجيهة، وتختلف عمَّا ههنا. كما نتجاوز تكرارَ كلمة طيّب أربع مرات في المنحول، ومرَّة واحدة في التكملة، وهو المنتظر ممَّن ينقِّح كتابًا أوَّل.

بيت القصيد هو الخطأ الجغرافي الناشئ من جهل المصنِّف بالشام. كانت طبريَّة قصبة إقليم الأردنّ، والغورُ يبدأ عند خروج النهر من بحيرتها إلى أن يصبَّ في البحر الميِّت.. ففسَّره في المنحول بتفسيرين متعارضين، وقال في الأول: «لم أفارق الغور»، وفي الثاني: «لم أقصد الغور»، ولم يستطع ترجيحًا، مع وضوح كلام المتنبي بأنه ترك البحيرةَ والغورَ، وسار إلى الممدوح في اللاذقية. وأراد ترجيحًا في التكملة، فرجَّح أنَّ الغور في الساحل، وأنَّه موطن الممدوح، وأنَّ المتنبي سار إليه!

فانظر كيف اتَّفق الكتابان على: (١) الجهل بالشام (٢) استشكال التصغير وتخريجه (٣) نقل الغور إلى الساحل (٤) بعيدًا عن البحيرة (٤) أنه بلد الممدوح (٥) الغفلة عن تصريح المتنبي. والتفسير البديهي لهذه الأغلاط المتراكبة أن المصنِّف واحد، وظنَّ أنَّ خطأه هو الصواب.

(٧)

يُبْقَرُ عَنْهُنَّ بَطْنُهَا أَبَدًا وَمَا تَشَكَّى وَلَا يَسِيلُ دَمُ

في المنحول ١/ ٣٣٨:

يُبْقَر: أي يُشَقّ ... يقول: يُشَقّ بطنُ هذه البُحيرة عن بناتها التي هي السَّمَك، أي يُصطاد منها السَّمَك، ولا تشتكي من ذلك، ولا تتألَّم، ولا يسيل منها دم. وإن حملناها على السُّفُن، فمعناه أي يُشَقّ بطنُها عن هذه السُّفُن، وعلى الأوَّل قول ابن الرُّومي:

بناتُ دِجْلَةَ في فِنائكُم مَأْسورةٌ في كلِّ مُعْتَرَكِ

وفي التكملة ١/ ٢٢٠:

يُبْقَر: أي يُشَقّ. ومنه اشتقاق البَقَر؛ لأنها تَبْقر الأرض بالحَرْث، أي تشقُّها. وقيل: إنها سُمِّيت بقرًا لنمائها واتِّساعها في النَّسْل؛ يقال: تبقَّر الرجل في المال إذا اتَّسع فيه وكثر عنده. وهذا كما سُمِّيت الغنم ماشيةً؛ لأنها تمشي، أي تزيد وتنمي. قال: «والشَّاءُ لا يَمْشي مع الهَمَلَّع»، الهَمَلَّع: الذئب، إذا تُركت مع الذِّئب تصيَّدها، فانقطع نسلُها ولم يَنْمِ. والبطن مذكَّر، وذكر أبو حاتم أن تأنيثه لغةٌ. يريد أن السَّمَك يُصطاد منها، وجعل ذلك شقًّا لبطنها. يقول: فبطنُها يُشَقُّ، ويخرج منها بناتها وهي لا تشتكي من ذلك ولا تتألَّم ولا يسيل منها دم، بخلاف العادة لمن يُشَقّ بطنُه من الحيوان.

اخترتُ هذا الموضع لإيضاح أن نصّ التكملة تطويرٌ لنصّ المنحول، وليس العكس. فقد توسَّع في الشَّرح اللغوي وأجاد فيه، وحذف التفسير السخيف بالسُّفن، على أنه حذف بيت ابن الرومي، وهو شاهدٌ جيِّد على التفسير بالسَّمك. وهذا أحد الفوائد القليلة المحذوفة من التكملة، ويبدو أنَّ المصنِّف تعجَّل بحذف الشاهد مع التفسير المحذوف، ولم يفطن إلى أنه يشهد للتفسير الصحيح.

(٨)

يَشِينُهَا جَرْيُهَا عَلَى بَلَدٍ تَشِينُهُ الأَدْعِيَاءُ وَالقَزَمُ

قال في المنحول ١/ ٣٣٩:

... والقَزَم: سُقَّاط الناس ورُذُلهم. يقول: ليس لهذه البحيرة عيبٌ غير أنها تجري في بلدٍ أهله سُقَّاط. فقد اشتمل البيت على مَدْح البحيرة والبلد الذي تجري عليه، وذَمِّ أهله.

وفي التكملة ١/ ٢٢١:

... والقَزَم: سُقَّاط الناس ورُذالهم. وقوله يَشينها: أي يعيبها، والشَّيْن: العيب. يقول: ليس لهذه البحيرة عيبٌ غير أنها تجري على بلدٍ أهله سُفَّل سُقَّاط. وهذا مثل قول الناس في أصفهان: «جَنَّةٌ فيها كلاب».

لاحظ، فوق التطابق المعتاد، هذه الزيادة «أصفهان جَنَّةٌ فيها كلاب». فهي كأمثالها تشير إلى وطن المصنِّف وأسبقيَّة المنحول، ولو كان العكس لنقل هذه الفائدة النادرة.

(٩)

دَارُ المُلِمِّ لَهَا طَيْفٌ تَهَدَّدَنِي لَيْلًا فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِي وَلَا كَذَبَا

في المنحول ١/٣٣٩:

الإلمام: زيارة الطيف. والألف واللام في المُلِمّ بمعنى التي.

يقول: هذا الرَّبْع دار المرأة التي ألمَّ بها طيفُ خيالها، ألمَّ بها ليلًا، ويهدّدني الطيف بالهجران، على ما جرت به عادة المرأة، تعذِّب بالدلال، وتهدِّد بالهجران، فما صدقتْ عيني في الرؤيا؛ لأنها أرتني ما لا حقيقة له، ولا كذب الطيف بالتهدُّد؛ فإنه قال: لأهجرنَّك. فأصبحت والهجران واقع.

والكلام بحروفه تقريبًا في التكملة ١/ ٢٢٣، واتفق الكتابان على سلخه من الفتح لابن فورجة ٢٩.

(١٠)

وَكُلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ ... فِي مِلْكِهِ افْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا

شرح الكتابين متقاربٌ وغير متطابق (المنحول ١/ ٣٥٠ والتكملة ١/ ٢٢٩). فكأنَّه كتب شرحًا جديدًا، وأشار في المنحول إلى التناقض بين إثبات المصاحبة ونفيها، وحذفه من التكملة، وكتب نقدًا دقيقًا لقول ابن فورجة. وقوله لا يوجد إلا في التكملة؛ ففيه دلالة على أسبقيَّة المنحول.

(١١)

مَالٌ كَأَنَّ غُرَابَ البَيْنِ يَرْقُبُهُ ... فَكُلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعَبَا

قال في المنحول ١/ ٣٥٠: «نَعَبَ الغرابُ: إذا صاح ومَدَّ عُنُقَهُ، فإن مَدَّها قيل: نَعَقَ».

والصواب في التكملة ١/ ٢٢٩: «فإن صاح ولم يَمُدَّ عُنُقَهُ قيل: نَعَقَ». فكأنَّه صحَّح سهوَه الأول. وحذف هذا القول البارد «وقيل: أراد أن الغراب لا يَفْتُرُ من الصياح، فكذلك هو في العطاء».

(١٢)

التَّارِكِينَ مِنَ الأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا ... وَالرَّاكِبِينَ مِنَ الأَشْيَاءِ مَا صَعُبَا

استشهد في التكملة ١/ ٢٣٠ بقول الشاعر:

ولا يَرْعَوْنَ أكنافَ الهُوَيْنَى ... إذا حَلُّوا ولا رَوْضَ الهُدونِ

وسقط الشاهد من نسخ المنحول، وبقي في بعضها عبارةُ الإنشاد. فيبدو أن المصنِّف ترك مكانه فارغًا في شرحه القديم. وإن كان السقط من الناسخ (ولا دليل على ذلك)، فيدلُّ على أن الكتابين يصحِّح أحدهما أغلاط الآخر.

(١٣)

وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ ... تَعَالَى الجَيْشُ وَانْحَطَّ القَتَامُ

استشهد في المنحول ١/ ٣٦٠ بشاهد غير منسوب، لا يوجد في الشروح المشهورة، ثم نسبه في التكملة ٢/ ٦ لابن الرومي.

(١٤)

وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بَالعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ

قال في المنحول ١/ ٣٦٧:

الرَّغام والرُّغام: التراب. يقول: لست من هؤلاء الناس، وإن كنت أعيش فيما بينهم، بل جوهري يخالف جوهرهم، وطباعي تنافي طباعهم، كما أن الذهب يتولَّد من التراب، ومع ذلك جوهره يخالف جوهر التراب. ومثله قوله: «فإنَّ المِسْكَ بعضُ دَمِ الغزالِ»، ومثله: «فإنَّ في الخمر معنىً ليس في العنب» ...

ومعظم الكلام بحروفه في التكملة ٢/١٦، وفيه الشاهدان من شعر المتنبي.

(١٥)

وَلَوْ يَمَّمْتَهُمْ فِي الحَشْرِ تَجْدُو لَأَعْطَوْكَ الَّذي صَلَّوْا وَصَامُوا

قال في المنحول ١/ ٣٦٧ والتكملة ٢/١٦: «وهذا مأخوذٌ من قول الآخر:

ولو خَذَلَتْ أموالُه جُودَ كَفِّه لقاسَمَ من يرجوهُ شَطْرَ حَياته
ولو لم يَجِدْ في العُمْرِ قَسْمًا لزائرٍ لجادَ له بالشَّطْرِ من حسناتَه

والأبيات ثلاثة في المنصف ١/٤٩٩ والوساطة ٢٤٤ و اللامع ١٢٨٢ والتبيان ٤/ ٧٧، ونسبوها إلى أبي تمَّام، أو بكر بن النطّاح، وهي كما في ديوان أبي تمام ١/ ٣٠٩:

وَلَو قَصَّرَتْ أَموالُهُ عَن سَماحه لَقاسَمَ مَن يَرجوهُ شَطرَ حَياته
وَإِن لَم يَجِد في قِسمَةِ العُمرِ حيلَةً وَجازَ لَهُ الإِعطاءُ مِن حَسَناتَه
لَجادَ بِها مِن غَيرِ كُفرٍ بِرَبِّه وَآساهُمُ مِن صَومِه وَصَلاتَه

فالثاني يحتاج إلى الثالث. وأورد المنحول والتكملة بيتين لا يحتاجان إلى

ثالـث، برواية لا توجـد إلا فيهما، وتطابقـت عبارتهما حرفًا بحـرف، ولم يعرفا القائل.

(١٦)

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ ... وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفُ

استشهد الكتابان على هذا الخلل العروضي بشعر الربيع بن زياد دون غيره (المنحول ٢/ ٢١، التكملة ٢/ ٣١)، واستشهد الشرَّاح بشواهد غير شعر الربيع.

(١٧)

وَلَا الضِّعْفَ حَتَّى يَتْبَعَ الضِّعْفَ ضِعْفُهُ ... وَلَا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بَلْ مِثْلَهُ أَلْفُ

قال في المنحول ٢/ ٢٤، بعد الشرح المعتاد:

«ومعنـاه أنه أكثرُ من الخلق ثمانيةَ آلاف مـرَّة»، ولم يستسخف البيت. وقال في التكملـة ٢/ ٣٥: «أراد أن يزيـد [علـى أبي نواس] فجـاء بهذا الخُباط! ثـم صُرِعَ فقال: ولا الضِّعْـفُ ... البيت، ضاعَفَ اللّٰه عليه اللعنة! فقد تجاوز حـدَّ الثِّقَـل، وبلغ الغايةَ في الـبَرْد! وإنما يريد: أكثرُ من الخلـق ثمانية آلاف مـرَّة. ومثلُ هذا لـو رُزق السكوتَ عنه لكان قد صُنع له». وهذه إحدى وقفاته النقدية النادرة.

ولو قدَّرنا أنه تراجع عن الشتم واللعن، لما تراجع عن غثاثة البيت التي أجمع عليها الناس؛ وهذا النص دليل واضح على أسبقية المنحول.

(١٨)

فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِيًا ... وَلَكِنَّ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمْرَمُ

قال في المنحول ٢/ ٤٢:

يقـول: لـو كان قلبُه دارَهـا كان خاليًا كخُلُوِّهـا، ولكنَّ قلبـي وإن كان جاريًا

مجرى دارِها من حيث أنه مِحلُّها، فإنه مملوءٌ بالشوق، بل جيشُ الشوق فيه كثـير. ورُوي «ولَـوْ كَانَ قَلْبِي خَالِيًا كَانَ دَارَهَا»، وقيل: هـذا أَوْلى. ومعناه: لو كان قلبي عامرًا [كذا] بالشوق لكان دارَها؛ لأن جسمي ناحلٌ مثل رُسومها، وفؤادي محترقٌ كاحتراق أثافيها، غير أن جيش الشوق فيه عَرَمْرَمٌ.

وقال في التكملة ٢/ ٥٦:

هكـذا قرأْتُـه، ولا أزال أرى هذا البيت في أكثر النسخ «فَلَـوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِيًـا»، وهو غلط، والصحيح «فَلَوْ كَانَ قَلْبِـي خَالِيًا [كَانَ دَارَهَا]»؛ لأن غرضه أن يشبِّه نُحولَ جسمه بدُروس دارها، كما قال في موضع آخر:

ما زال كلُّ هزيم الوَدْق يُنْحِلُها والشوقُ يُنْحِلُني حتى حَكَتْ جسدي

يقـول: لولا أن قلبـي عامرٌ بالشوق لـكان مثل دارها؛ لأن جسمـي ناحلٌ مثل رُسومها، وفؤادي محترقٌ احتراقَ أثافيها.

نتجاوز مقارنة الكلمات إلى هذه الملاحظات:

• نصّ التكملة تطويرٌ لنصّ المنحول، وتحوَّلت عبارة «رُوي كذا» إلى «قرأْتُ»، ولا يُتَصَوَّر أن يعدل عن التصريح إلى الإبهام. وكانت تلك الرِّواية «أَوْلى»، فصارت هي الصحيحة؛ فهذه وأمثالها من أمارات زيادة علمه وثقته بنفسه.

• لم نجـد في مخطوطـات الديـوان المُتقنـة، ولا في الشـروح، إلا الرِّوايـة المشهـورة «فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِيًا»، ولا يقال إنها خطأ، والمعنى واحدٌ على كلّ حال. فهذه الرِّواية من مفردات الصقلِّي أو غرائبه، وها هي في المنحول!

(١٩)

فَتَبِيتُ تُسْئِدُ مُسْئِدًا في نَيِّهَا إِسْآدَهَا في المَهْمَهِ الإِنْضَاءُ

قال في المنحول ٢/ ٨٥:

... وإعرابـه: تبيـت: من أخوات كان، واسمه ضمـير الناقة. وتسئد: فعل في

موضـع نصب لأنه خبر تبيت. ومسئدًا: نصب على الحال من الضمير الذي في تبيت، وهو اسم الفاعل، وفاعله الإنضاء، وهو مرفوع به؛ لأن اسم الفاعل يعمـل عمل الفعـل. وإسآدها: نُصب؛ لأنه وصف مصـدر محذوف، كأنه قد أسـأد مثل إسآدها، والضمير في إسآدها راجع إلـى الناقة، والناصب قوله: مسئد.

معنـاه: أن هـذه الناقة تسرع في السـير والمهمة. والإنضـاء يأخذ من الناقة وينقصـ منها، مقدار ما تنقص هي من المهمـة. ومثله لكشاجم في الشمعة قوله:

تكيد الظلام كما كادها فتفنى وتفنيه في الموقف

الإعـراب والتفسـير وبيت كشاجـم بترتيبهـا في التكملـة خ/ ٥٥، مع بعض التحرير.

(٢٠)

أَمِنَ ازْدِيَارَكِ فِي الدُّجَى الرُّقَبَاءُ إِذْ حَيْثُ كُنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ

قال في المنحول ٢/ ٨٠:

أمـن: فعل ماض، من الأمن، والازديار: افتعال مـن الزيارة. والدُّجى: جمع دُجْية وهي الظُّلْمة. وضياء: رفع بالابتداء وخبره مقدم عليه، وهو قوله: حَيْثُ كُنْتِ. يقـول: إن رُقباءك أَمِنـوا أن تزوري أحدًا في الظـلام؛ لأنَّ كلَّ موضع تكونين فيه مُضيءٌ بنور وجهك. ومثله قول الآخر:

طـارقٌ نَمَّ عليه نورُه كيف يُخفي الليلُ بدرًا طَلَعا

ويقابله في التكملة خ/ ٥٣:

ازديـارَكِ: أي زيارتـك إنسانًا، فحذف المفعولَ، وهو افتعـالٌ من زارَ، وأبدل التاء دالًا لتقارُب الراء والدال في المَخْرج. والدُّجى: جمع دُجْية وهي الظُّلْمة،

ومثله دُمْية ودُمًى. والمعنى: أن رُقباءك أَمِنوا عليكِ أن تَزوري أحدًا في سواد الليل، لأنَّ كلَّ موضع تكونين فيه مُضيءٌ من نور وجهكِ. يُخاطب بذلك حبيبَه الـذي شبَّب به. وجعلَ حَيْثُ اسمًا، وهو لا يُستعمل إلا ظرفًا. ومثل قوله: (إِذْ حَيْثُ كُنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ) قولُ الآخر:

لَيْـلي بـوجهك مُـشْـرِقٌ وظـلامُه في الليـل سـاري
فالنـاسُ في غَسَقِ الظَّـلامِ ونحـن في وَضَـحِ النَّهَـار

اجتمـع في هـذا المثـال التطابق في عدد كبـير من الكلمات، وتغيـير الشاهد الـذي أطبق عليه الشرَّاح (طارقٌ ... طَلَعا)، إلى بيتين لا يوجدان في الشروح، مع بقـاء جملة الإنشاد (ومثله قول الآخر). وما أرتاب في أن الصقلِّي قد تعمَّد تغيير الشاهد المشهور إلى شاهد نادر، ليمتاز الجديد عن القديم.

(٢١)

مَنْ يَهْتَدِي فِي الفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي القَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعَرَاءُ

قال في المنحول ٢/ ٩٠:

تقديـره: مَنْ يهتـدي في الفعل إلى ما لا يهتدي إليـه الشعراء في القول حتى يفعله. فالشعراء: رُفع بقوله: ما لا يهتدي. وأما يهتدي ففيه ضمير الممدوح، وكذلك في حتَّى يفعلَ. وفي هذا البيت وجوهٌ:

أحدهـا: أن مَـنْ يصلـح أن يكون بمعنى الـذي، موضعه رفـعٌ بخبر الابتداء المحذوف، أي هو الذي، وما بعده إلى آخر البيت صلة، والضمير العائد إليه مستترٌ في الفعل الذي يليه.

والثـاني: يصلـح أن يكـون استفهامًا، أي مَـنْ يفعل هذا غـيرُه؟ وهو مرفوعٌ بالابتداء وما بعده خبرٌ عنه.

والثالث: أنه حذفَ حـرفَ الجر من يهتدي وعدَّاه إلى المفعول. والأصل: مَنْ

يهتدي في الفعل إلى ما لا يهتدي. فحذفَ إلى، وأوصل الفعلَ إلى المفعول.

والرابع: أن ما في قوله «ما يهتدي» يصلح أن يكون بمعنى الذي، وأن يكون نكرةً موصوفة. أي يهتدى في الفعل إلى شيءٍ لا يهتدى إليه الشعراء.

والخامس: أنه حذف الضمير الراجع إلى ما، وهو قوله: إليه. وهذا لا يجوز إلا في ضرورة؛ لأنه من صلة ما. وإنما يجوز حذفه إذا كان متصلا بالفعل كقولك: ما شربته ماءٌ، وما شربت ماءٌ. فأما إذا انفصل الضمير فلا يجوز حذفه.

المعنى: أنه يهتدى في الفعل إلى ما لا يهتدى إليه الشعراء بالقول، حتى يفعله هو، فإذا فعله اهتدوا إليه.

وفي التكملة ٢/ ١١٢:

تقدير البيت: مَنْ يهتدي في الفعل إلى ما لا يهتدي إليه الشعراء في القول حتى يفعله.

وفي هذا البيت وجوهٌ من العربية:

منها: أن مَنْ يصلح أن يكون بمعنى الذي، وموضعه رفعٌ لأنه خبرُ ابتداء محذوف، أي هو الذي، وما بعده إلى آخر البيت داخلٌ في صلته، والضمير العائد إليه مستترٌ في الفعل الذي يليه. ويصلح أن يكون استفهامًا على معنى التقدير، أي مَنْ يفعل هذا غيرُه؟ وموضعه رفعٌ بالابتداء وما بعده خبرٌ عنه. ولا يحتاج إلى صلة؛ لأن ما إذا كانت استفهامًا لم تحتج إلى صلة.

ومنها: أنه حذفَ حرفَ الجر من يهتدي وعدَّاه إلى المفعول. والأصل: مَنْ يهتدى في الفعل إلى ما لا يهتدي. فحذفَ إلى وأوصل الفعلَ إلى المفعول، كما قال: (لم يَنْجُ إلا جَفْنَ سَيْفٍ ومِئْزَرَا)، أي لم يَنْجُ إلا بجَفْنِ سَيْفٍ ومِئْزَرٍ، يصف مُنهزمًا ألقى سلاحَه؛ وقول الآخر (كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ)، أي

كما عَسَلَ الثَّعْلَبُ في الطريقِ، فحذف حرفَ الجر، وأوصل الفعلَ إلى المفعول فنصبه.

ومنها: أن ما تصلح أن تكون موصولةً بمعنى الذي، وأن تكون نكرةً موصوفة. أي يهتدي في الفعل إلى شيءٍ لا يهتدي إليه الشعراء في القول.

ومنها: أنه حَذَفَ الضمير الراجع إلى ما، وهو قوله: إليه. وفي حَذْف هذا الضمير بين سيبويه والأخفش خلافٌ، ذهب سيبويه إلى أنه حَذَفَ الضمير مع حرف الجر حذفًا واحدًا، وذهب الأخفش الى أنه حَذَفَ حرف الجر أوَّلًا، فصار: ما لا يهتديه، ثم حذف الضمير بعد ذلك. وهذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر؛ لأن ضمير المفعول في صلة ما والذي إنما يجوز حذفه إذا كان متَّصلًا بالفعل؛ تقول: ما شربته ماءٌ، ويجوز: ما شربتُ ماءٌ تخفيفًا؛ لأنك قد جعلتَ أربعةَ أشياء اسمًا واحدًا، وهي: ما والفعل وضمير الفاعل، فجاز التخفيف، وإذا انفصل الضمير عن الفعل لم يَجُزْ حذفُه؛ لأنه صار بمنزلة اسم قائم بنفسه، تقول: الذي مررتُ به زيدٌ، ولا يجوز: الذي مررتُ زيدٌ، إلا ضرورة.

والمعنى: أنه يفعل أفعالًا لا يهتدي الشعراء إلى وصفها حتى يفعلها. وخصَّ الشعراء لأنهم أغوصُ على المعاني الدقيقة والأوصاف البديعة.

الشرحُ هو الشرحُ، والوجوه الخمسة هي هي بترتيبها. وزاد خلافَ سيبويه والأخفش ، وشاهدين؛ وهي من أمارات تأخُّر التكملة.

(٢٢)

حُسَامُ لِابْنِ رَائِقٍ الـمُرَجّى حُسَامِ الـمُتَّقِي أَيَّامَ صَالا

قال في المنحول ٢/ ١٤٨:

المُرَجَّى: في موضع الجر. ويجوز أن يكون صفةً مستأنفة للممدوح في موضع

الرفـع، والأول أولـى. وحُسَام المُتَّقِـي: جُرّ لأنه صفة لابـن رائق، وهو اسم جنسٍ بمعنى صفة. وابن رائق: قائدٌ كبـير، كان للخليفة المتقي بالله، وكان ابن عمَّار من قِبَل ابن رائق.

والمعنـى: أن ابن رائق سيفُ الخليفة، لمَّا صال الخليفـةُ على أعدائه وحاربَ بنـي البَريديّ في البصرة. وكان بدر حُسامًـا لابن رائق: أي كان يعتمد عليه في حروبه، وكان يقتل به أعداءه.

وقال في التكملة ٢/ ١٦٥:

ابـن رائق: قائدٌ كبير، كان للخليفة المتقي بالله، وكان ابن عمَّار من قِبَل ابن رائق.

والمعنـى: أن ابـن رائـق سيفُ الخليفـة، لمَّا صال علـى أعدائه وحـاربَ بني البريـديّ في البصرة وغيرهم. وكان بدر حُسامًـا لابن رائق: أي كان يعتمد عليـه في حروبه، وكان يقتل به أعداءه. وجـرَّ «حُسَامِ المُتَّقِي» لأنه نعتٌ لابن رائق.

التطابق حرفيٌّ تقريبًا بين الكتابين في الكلمات والترتيب والتاريخ.

(٢٣)

وَرْدٌ إذَا وَرَدَ البُحَيْرَةَ شَارِبًا ... وَرَدَ الفُرَاتَ زَئِيرُهُ وَالنِّيلا

نصّ المنحول ٢/ ١٦٩:

وَرْدٌ: اسمٌ للأسد، إذا كان يضرب لونُه إلى الحُمْرة. والبحيرة: بحيرة طَبَرِيَّة، وهـي مـن الأردنّ، وبينها وبين الفـرات أكثر من عشرة أيـام، وكذلك بينها وبين النيل. وشاربًا: نُصب على الحال. والزئير: صوت الأسد. والفرات: نهرٌ يجـري من بلاد الرُّوم، ويمرُّ في حدود الشام من قِبَل المشرق. يقول: إنه إذا وَرَدَ البحيرةَ ليشرب منها سُمِعَ زئيرُه من الفرات إلى النيل مع بُعْد المسافة.

في التكملة ٢/ ١٨٥:

أسدٌ وَرْدٌ: اسمٌ للأسد، إذا كان يضرب إلى الحُمْرة. والبحيرة: تصغير بحر، وأراد بحيرة طَبَرِيَّة، وهي من الأردنّ. والزئير: صوت الأسد. والفرات: نهرٌ يجري من بلاد الرُّوم، يمرُّ في حدود الشام من قِبَل المشرق. يعني: إنه إذا جاء البحيرةَ ليشرب منها سُمِعَ زئيرُه من على الفرات ومن على النيل، وبينهما مسافة بعيدة.

والتطابق كما ترى، وخاصَّةً تعريفه للفرات: نهرٌ يجري من بلاد الرُّوم، ويمرُّ في حدود الشام من قِبَل المشرق.

وتقدير المسافتين في المنحول قريبٌ من الصواب، وهو المتوقَّع ممَّن هاجر من صقلِّية ومرَّ بالشام في طريقه إلى المشرق.

(٢٤)

الْحُبُّ مَا مَنَعَ الكَلامَ الأَلْسُنَا وَأَلَذُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا

الشرحان طويلان في المنحول ٢/ ١٨٢ والتكملة ٢/ ١٩٧، وترتيب الكلام فيهما متطابق، ويشتركان في شاهدين وفي كلمات كثيرة. والتدقيق فيهما يوحي بأن شرح التكملة تحريرٌ وتجويدٌ لشرح المنحول.

(٢٥)

إِنِّي أَنَا الذَّهَبُ المَعْرُوفُ مَخْبَرُهُ يَزِيدُ فِي السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَارَا

قال في المنحول ٢/٢١٨:

يقول: إن كنتَ أردتَ إزالةَ التهمة عني فقد زِدْتُ أنا على التجربة، مثل الذهب الذي إذا سُبِكَ زاد للدينار دينارًا، وليس كلُّ ذهبٍ كذلك.

وقال في التكملة ٣/ ٢٠:

يقـول: إن كنتَ اختبرتَنــي وأردتَ إزالةَ التهمة عني فقـد زِدْتُ على التجربة وخرجتُ على الامتحان، مثل الذهب الذي إذا سُبِكَ زاد على الدينار دينارًا. والذهــب لا يزيــد في السَّبْــك، وإنمــا أراد: أني أنا ذهبٌ أزيدُ علــى السَّبْك، وليس كلُّ ذهبٍ كذلك.

الشــرح هو الشرح، وقوله: «ليس كلُّ ذهــبٍ كذلك» يدلّ على استعجام المعنى على صاحب الكتابين، مع ظهوره للشرَّاح، وهو أن الذهب المصفَّى أغلى من تراب الذهب.

(٢٦)

ضَاقَ ذَرْعًا بِأَنْ أَضِيقَ بِهِ ذَرْ ... عًا زَمَـانِي وَاسْتَكْرَمَتْنِـي الكِـرَامُ

قال في المنحول ٢/ ٢٢٢:

كان الفَصيــلُ إذا مشــى مع الإبل وكَلَّ عــن سَيْرِها، قالوا: ضــاقَ ذَرْعُهُ، أي قَصُرَ خَطْوُه؛ ثم قيل لكلّ مَنْ عجز عن شيء: ضاق قلبه به ذَرْعًا. وهو نصبٌ على التمييز. وضاق: فاعلُه زماني. واستكرمتني: أي وجدتني كريمًا. يقول: إن الزمــان ضاق قلبُه بسبب ضيق قلبي. وذلك إشارة إلى عظم حال نفسه. وقيــل: أراد أن الزمــان قَصَــدني بأحداثــه، فلمَّا لم يُمْكنــه أن يؤثِّر فيَّ، وأن يضيــق قلبي بسببه، ضــاق قلبُه عند ذلك؛ لعجزه عــن التأثير فيَّ، ووجدني الكرام كريمًا في جميع أحوالي.

وقال في التكملة ٣/ ٢٣:

وكان الفَصيلُ إذا مشى مع الإبل فكَلَّ وعَجِز عن سَيْرِها، قالوا: ضاقَ ذَرْعُهُ، أي قَصُــرَ خَطْــوُه وعَجِــز، ثم قيل لكل مــن عجز عن شيء: ضــاق به ذَرْعًا. وانتصابــه على التمييز ... واستكرمتني: وجدتني كريمًا. المعنى: أن الزمان قَصَدني بأحداثه، وأراد أن يُظهر عجزي عن احتمالها، فأعياهُ مني مرامُه، ووجدني الكرام كريمًا في جميع أحواله.

لا يشكّ الناظر أن أحد الكتابين كان منشورًا بين يدي مصنِّف الكتاب الآخر. وحذفَ التفسيرَ الأول، وهو سخيفٌ يستحقّ الحذف!

(٢٧)

دُونَ أَنْ يَشْرَقَ الحِجَازُ وَنَجْدٌ وَالعِرَاقَانِ بَالقَنَا وَالشَّآمُ

الشرح في المنحول ٢/ ٢٢٣ سطران، وفي التكملة ٣/ ٢٤ عشرون سطرًا. وهذا دليلٌ آخر على أنها المتأخِّرة. ولم نجد ما يدلّ على اختصار المطوَّل.

(٢٨)

كَتَبَتْ فِي صَحَائِفِ المَجْدِ بِسْمٌ ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسِ السَّلَامُ

الشرحان متقاربان، وفيهما عباراتٌ متطابقة وشاهدٌ لذي الرمّة. ويلفت النظرَ قوله في المنحول ٢/ ٢٢٦: «رُوي «كُتِبَتْ» على فعل المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله»، وقال في التكملة ٣/٢٩: «ومَنْ رَوى «كُتِبَتْ» على ما لم يُسَمَّ فاعله فقد غَلِطَ؛ وقد رأى قبله «بِسْمٌ» مرفوع، وخَفِيَ عليه هذا الوجه، فقدَّر أنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله».

فهذا التغليط لقول في المنحول دليلٌ على تأخُّر التكملة.

(٢٩)

إنَمَّا مُرَّةُ بْنُ عَوفِ بْنِ سَعْد جَمَرَاتٌ لَا تَشْتَهِيهَا النَّعَامُ

غَلط في الكتابين فقال: «جَمَرات العرب: قَيْسٌ وضَبَّة ونُمَيْر» (المنحول ٢/ ٢٢٧ والتكملة ٣/٢٩). وهو خطأٌ فاحشٌ من وجهين: (١) الجَمَراتِ عَبْسٌ ونُمَيْرٌ وضَبَّةَ ويربوع، (٢) قَيْسٌ لا تصلح أن تكون منها؛ لأنها اسمٌ جامع لقبائل كثيرة، ومن قبائلها عَبْسٌ ونُمَيْرٌ –وهما من الجمرات– وبنو مُرَّة قبيلة الممدوح. فتوسَّل المتنبِّي إلى دراهمه بأن جعل تلك الجمرات ممَّا يأكله النعام، وجعل بني مُرَّة

جمـرةً خيرًا منها! وتوهَّم الشارحُ أنـه أراد إدخالهم في جمرات العرب، وصحَّف «عَبْسًــا» إلى «قَيْس» لينــدرج تحتها بنو مُرَّة! وهذا الخطـأ المركَّب يقطع بصدور الكتابين من مصدر واحد.

(٣٠)

يَتَعَثَّرْنَ بَالرُّؤُوسِ كَمَا مَرَّ   بِتَـــاءَاتِ نُطْقِــهِ التَّمْتَـــامُ

قال في المنحول ٢/٢٢٩: «الأَلْكَنُ: الذي يَصُبُّ كلامَه في قوالب الفارسية»، وفي التكملة ٣/ ٣٢: «الأَلْكَنُ: الذي يَصُبُّ كلامَه في قالب الفارسية، نحو قول عبيدالله بن زياد: افتحوا سيوفكم! أي: جَرِّدوا سيوفكم؛ كما يقول العَجَمي إذا تكلَّم بالعربية: كُلِ الماءَ، وأنا الخبزَ يأكل! فيُجري العربيةَ مجرى الفارسية. والعِفْطِيّ: الذي يمزج العربية بالفارسية أو غيرها من اللغات». فلاحظ اللغة بالفارسية لديه، ومعرفته بقوالبها وبأساليب أهلها إذا تكلَّموا بالعربية، وأنَّ نصَّ التكملة أطول وأجود. هذا وبيت المتنبي لا يحتاج إلى هذا الاستطراد الذي تطوَّع به المصنِّف، ومع ذلك تطابقت سبعُ كلمات بترتيبها، وطال نصُّ التكملة لأنها اللاحقة.

(٣١)

مِنْهُ مَا تَجْلُبُ البَرَاعَـةُ وَالفَضْـ   ـلُ وَمِنْــهُ مَـا يَجْـلُبُ البِـرْسَامُ

قال في المنحول ٢/ ٢٣٣: «البراعة: الفصاحة. والبِرْسَام، بالسُّرْيانية: وَرَمُ الصَّدْر؛ لأن البِر: الصَّدْر، والسَّام: الوَرَم، وهو داءٌ يكثر فيه الهَذَيان». وقال في التكملة ٣/ ٣٦: «البراعة: الفصاحة. والبِرْسَام: مَرَضٌ حادٌّ يفقد العليلُ معه عقلَه ويكثر معه هَذَيانُه. وأصله بالسُّرْيانية برشام، أي ابن الموت».

انفــرد الصقلِّي بشرح تركيب الكلمة وأنها سُريانية. والصواب أنها فارسية، وأنَّ «وَرَمُ الصَّــدْر» المذكـور في المنحــول هو تفسيرها بالفارسيــة. ثم طرد الباب في التكملــة وفسَّرها بالسُّرْيانيــة. ولو كان المنحول هو المتأخِّر وعدل تفسيرها من السُّرْيانية إلى الفارسيَّة لأدرك أنَّها فارسية.

(٣٢)

فَقُلْ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا عَلَى تَعَبِي بِهَا شَــرْوَى نَقِيرِ

قــال ابن المستوفي في النظام «لم يفسِّر أحدٌ معنى «قُلْ» ههنا. وقال أبو علي الحسـين بن عبـد الله المغربي الصقلِّي في شرح قصائد مـن شعر أبي الطيب... إلــخ». وهذا التفسير الذي انفرد به الصقلِّي يوجـد في المنحول ٢/ ٢٣٧ والتكملة ٣/٤٠، قال: « قُلْ فيها ما شئتَ؛ فإنَّك لا تبلغ وَصْفَ شِدَّتها».

(٣٣)

وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِي وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدَ البَطَلَ القَرْمَا

من غرائب التداخل بين الكتابين أنَّه استشهد في المنحول ٢/ ٢٦٧ بقول عمرو ابن مَعْدَي كَرِب (تحيَّةُ بينِهم ضربٌ وَجيعُ)، وأنشده سهوًا تحت بيت المتنبي الذي قبل هذا. ثم نقل الكلام في التكملة ٢/ ٦٤ إلى الموضع الصحيح، وأنشد شاهدًا آخر:

أُسَيِّرُها على النُّعمان حتى أُنيــخَ عـلـى تحيَّـتـه بـجُـنْـدِ

وعزاه إلى النابغة الذبياني اغترارًا بذكر النعمان، والصواب أنه أيضًا لعمرو ابـن مَعْدَي كَرِب! ثم أنشد (تحيَّة بينهم ضـربٌ وَجيعُ) ولم ينسبه إلى عمرو مع أنه من أشهر شعـره! فأصلح اضطرابًا باضطرابين! وهذا دليلٌ ظاهر على تأخُّر التكملة عن المنحول.

(٣٤)

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهْيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي فَاضِلُ

قال في المنحول ٢/ ٢٨٤:

يقول: إذا رأيتَ الجاهلَ والناقصَ يذمُّني، فذلك دليلٌ على فضلي؛ لأنه إنما يذمُّنــي لأنه ضدِّي كمــا قيل: (والجاهلـون لأهلِ العلمِ أعـداءُ)، ومثله قول الشاعر: (وذو النَّقْص في الدُّنيا بذي الفَضْل مُولَعُ). ومثله قولُ الطِّرمَّاح:

وأنِّي شقيٌّ باللئام ولن تَرى شقيًّا بهم إلا كريمَ الشَّمائلِ

وفي التكملة ٤/ ١٨:

يقول: إذا رأيتَ الناقصَ يذمُّني، فذلك دليلٌ على فضلي، لأنه إنما يذمُّني من أجل أنِّي ضدُّه، كما قال: (والجاهلون لأهلِ العلمِ أعداءُ)، وهذا إنما يُروى للشافعي. ومثله قولُ الطِّرمَّاح:

وأنِّي شقيٌّ باللئام ولن تَرى شقيًّا بهم إلا كريمَ الشَّمائلِ

فالكلام متطابق، واستشهد في المنحول بعَجُز بيت عائر، ونسبه في التكملة للشافعي، ولم يعرف صدرَه فيهما. ولو كان الترتيب بالعكس لكان قد أسقط اسم الشافعي بعد معرفته، وهو احتمال لا تنشرح إليه النفس.

وهذا الشاهد نادرٌ جدًّا في كتب الشعر والأدب، ولم يستشهد به الشرَّاح. ويُنسب في كتب الزُّهد إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والصواب أنه لابن أبي الربيع الموصلي كما في أسرار البلاغة ٢٦٥.

وكذلك أورد (وذو النَّقْص في الدُّنيا بذي الفَضْل مُولَعُ) عائرًا مع شهرته لأبي تمَّام، وأسقطه في التكملة. على أنَّ نُسخ المنحول لا يُركن إليها، وهي فروعٌ لنسخة متأخِّرة؛ فقد يكون هذا الشاهد حاشيةً لقارئ، وأدخلها الناسخ في المتن.

(٣٥)

لَوِ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانَا

في المنحول ٢/ ٢٩٥:

... والبُعْران: جمع بعير. ونصبه يجوز من أوجه: أحدها: المصدر الواقع موقعَ الحال، أي ركبتُهم مثلَ البُعران، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. والثاني: بإضمار فعلٍ دلَّ عليه رَكِبْتُ، أي صيرتهم بُعرانًا. والثالث:

على التمييز؛ لأنَّ قوله: رَكِبْتُ الناس احتمل الركوبَ والاستيلاءَ والقَهْرَ، ففسَّره بالمعنى المقصود، ونصبه على التمييز، كقولهم: امتلأ الإناء ماءً.

وفي التكملة ٤/ ٢٦:

... والبُعْران: جمع بعير، مثل قَفيز وقُفْزان. ويجوز نصبُه من ثلاثة أوجه: إن شئتَ نصبته بإضمار فعل على الحال أو على التمييز. فأما الأول فإنَّه لمَّا قال: ركبتُ الناسَ كلَّهم، دلَّ على قوله صيَّرتهم، فأضمره. تقديره: لَو اسْتَطَعْتُ صيرتُ النَّاسَ بُعرانًا وركبتُهم. وتقدير الوجه الثاني: لَو اسْتَطَعْتُ صيَّرتُ النَّاسَ كلَّهم مثلَ البُعران، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. والوجه الثالث: أنه لمَّا قال: ركبتُ الناسَ كلَّهم، احتمل أن يكون بمعنى استوليتُ عليه وقهرتُهم، كما يقال: رَكِبَه الدَّين أي غلبه؛ واحتمل أن يكون بمعنى الركوب الحقيقي، وفسَّره بالمعنى المقصود.

التطابق كبيرٌ في الكلمات والمعاني، والأوجه النحوية الثلاثة هي هي، إلا إنه عكس ترتيب الأول والثاني، ولا توجد إلا في هذين الكتابين، والتكلُّف ظاهرٌ عليها. ولم يقف ابن جنِّي ولا غيره عند هذا الموضع.

(٣٦)

تَخَالُهُ مِنْ ذَكَاءِ القَلْبِ مُحْتَمِيًا ... وَمِنْ تَكَرُّمِهِ وَالبِشْرِ نَشْوَانَا

قال في المنحول ٢/ ٢٩٧:

قوله: مُحْتَمِيًا: من الاحتماء، وهو قلَّة الأكل. ومعناه: من فَرْط ذكائه كأنه مُحْتَمٍ من الطعام؛ لأن قلَّة الأكل تُحِدُّ الفهم وتقوِّي الحواسّ، كما أن كثرة الأكل تُعْمي القلب.

وقال في التكملة ٤/ ٢٨:

... المعنى: أنه ذكيٌّ حادّ الحواسّ كأنه مُحْتَمٍ. وإنما شبَّهه بالمُحْتمي؛ لأن

الحِمْيــة وقلّــة الأخذ من الطعام يُحِــدُّ الفهم ويقوّي الحواسّ، كما أن كثرة الأكل تُعْمي القلب وتُبَلِّد القريحة، ولهذا قيل: البِطْنة تُذهب الفِطْنة. وكذلك النَّشْوان يكون حَسَن الأخلاق سخيّ النفس، فلهذا شبَّهه في كرمه وبِشْرِه به.

وربَّما شبَّهوا الكريمَ بالمريض لفَرْط حيائه ولين خُلُقه، كما قالت الخنساء:

وَمُخَـرَّقٍ عنـه القَمِـيصُ تَــخَالُهُ ... وسْطَ البُيُوتِ من الحَيَاءِ سَقِيمَا

وقال آخر:

إِذا غَدا المِسْكُ يَجْري في مَفَارِقِهِمْ ... راحُوا تَخالُهُمُ مَرْضَى من الكَرَمِ

فشرح التكملة أطول وأفضل، وفيه زياداتٌ وشواهد.

(٣٧)

خَلَائِقُ لَوْ حَوَاهَـا الزَّنْـجُ لَانْقَلَبُــوا ... ظُمْيَ الشِّفَاهِ جِعَادَ الشَّعْرِ غُرَّانَا

في المنحول ٢/ ٣٠١:

الظُّمْيَ: جمع أَظْمى وظَمْياء، وهو أسمر الشَّفَة، وقيل: دقيق الشَّفَة. ويروى: «لُمْيَ الشِّفَــاهِ». والغُرَّان: جمع أَغَرّ، وهو الأبيض. يقــول: لهم خَلَائِق حسنة، لــو كانت في الزَّنْج لتحوَّلوا عن سوادهم وصاروا بِيضَ الوجوه، سُمْرَ الشِّفاه، جِعادَ الشُّعور. وإنما قال ذلك؛ لأن شِفاههم بِيضٌ وشُعورهم قَطَطٌ. والجَعْد: هو الذي دون القَطَط، وفوق الرَّجْل، والرَّجْل: فوق السَّبْط.

في التكملة ٤/ ٣١:

خَلَائِــق: خــبر مبتدأ محذوف، أي لهــم خَلَائِق. ظُمْيَ الشِّفَــاه: جمع أَظْمى وظَمْيــاء، وهو الأسمــر الشَّفَة؛ يريد اللَّمى وهو سُمْرةٌ تعلــو الشَّفَة، والعرب تستحسنــه. وجعــاد: جمع جَعْد، يقــال: رجلٌ جَعْد الشَّعْــر، وشَعْرٌ جَعْد، وهو ضــد السَّبْط. والغُــرَّان: جمع أَغَرّ، وهو الأبيض. يقــول: لهم خَلَائِق حسنة، لــو كانت في الزَّنج لتحوَّلوا عن سَجِيَّتهــم، وصاروا بِيضَ الوجوه سُمْرَ الشِّفاه جِعادَ الشُّعور. وإنما خصَّ الزَّنْج؛ لأنهم سُودٌ وشِفاههم بِيضٌ.

وممَّا يُسأل عنه في هذا البيت أن يقال: لِمَ قال: انقلبوا جَعْدَةَ الشَّعْر، والزَّنْج لا تكون شعورهم إلا جَعدَةً؟ والجواب ما قاله القاضي علي بن عبد العزيز في الوساطة: إن الشَّعْر الجَعْد هو المتوسِّط بين شَعْر الرُّوم والصَّقالبة من الرُّوم والبربر، وهو المحمود المُسْتَحَبّ. فأمّا شَعْر الصَّقالبة الرُّوم فيقال له سَبْطٌ ورَسْلٌ، وشَعْر الزُّنوج يقال له قَطَطٌ ومُفَلْفَلٌ ومُرَبَّبٌ، والجَعْد والرَّجْل بينهما.

طال الشرح في التكملة، واقتبس فيه هذا الاقتباس القيِّم من الوساطة. ومع ذلك اتَّفق الكتابان على قوله: «الزَّنْج شِفاههم بِيضٌ»! فلو كان الكتابان لرجلين، لصحَّح أحدهما قول الآخر.

(٣٨)

إنِّي عَلَى شَغَفِي بِمَا فِي خُمْرِهَا ... لَأَعِفُّ عَمَّا فِي سَرَاوِيلَاتِهَا

استشهد في المنحول ٢/ ٣٠٨ والتكملة ٤/ ٣٩ بعَجُز بيت العبَّاس بن الأحنف (عَفُّ الضَّميرِ ولكن فاسقُ النَّظَرِ)، دون صدرِه! ولم يستشهد به في هذا الموضع أيُّ شارح آخر. وقد استشهد ابن وكيع ٣/ ٧٦ (نشرتنا الجديدة الكاملة) بشواهد لأبي نواس وصريع وابن أبي زُرعة، ولم يورد بيت العبَّاس.

(٣٩)

تِلْكَ النُّفُوسُ الغَالِبَاتُ عَلَى العُلا ... وَالمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا

في المنحول ٢/ ٣١٢:

المعنى أنهم يغلبون الناسَ على المعالي فيحوزونها دونهم، والمجدُ يغلبهم على شهواتهم فيحولُ بينهم وبينها، فلا يأتون ما يلحقهم فيه عارٌ وشَيْنٌ؛ ويصرفون شهواتهم إلى اكتساب المجدِ والرِّفعةِ والعُلا.

وفي التكملة ٤/ ٤٣:

يعني أنهم يغلبون الناسَ على المعالي فيحوزونها دونهم، والمجدُ يغلبهم على

شهواتهـم فيحولُ بينهم وبينها، فلا يأتـون ما يلحقهم فيه عارٌ وشَيْنٌ. يشبه قوله:

أَمِــيرٌ أَمِــيرٌ عَـلَـيْـهِ الـنَّـدَى   جَـــوَادٌ بَـخِـيـلٌ بِـــأَلَّا يَـجُـودَا

فالكلام متطابق، وأضاف نظيرًا من شعر المتنبي.

(٤٠)

فَإِذَا نَوَتْ سَفَرًا إِلَيْكَ سَبَقْنَهَا   فَأَضَفْتَ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالَاتِهَا

قال في المنحول ٢/ ٣١٧، وتكرَّر في التكملة ٤/ ٥٠، بحروفه تقريبًا:

«ومـن روى بالتـاء، أي سَبَقَتْهَا، فقـد صَحَّفَ. ونَوَتْ: فعل الرجـال، وسَبَقْنَ للعِـلَّات، والهاء للرِّجال، وكذلك في مُضافهـا وحالاتها. والمُضاف: مصدرٌ، مـن قولـك: أضفت الرجل إضافـةً ومُضافًـا إذا قُمْتَ بضيافتـه. يقول: إن الرِّجـال إذا نَـوَتْ سَفَـرًا إلى لقائـك، سَبَقَتْهَا العِـلَّاتُ إليـك، فأنزلتَها في جسمـك وأَضَفْتَها قبـل أن تُضيف الرجال. وتقديـره: فأَضَفْتَ حالاتها، أي عِلَّات الرجال».

قـال الواحدي ٣٨٢: «وجميـعُ النـاس رَوَوْا سَبَقَتْهَا بالتاء. قـال ابن فورجة: والصواب عنـدي سَبَقْنَهَا بالنون». فقد خالف ابنُ فورجـة إجماعَ الرُّواة، وتابعه صاحبُ المنحول والتكملة، من غير تسميته، واشتطَّ فكتبها بالنون في المتن، وخطَّأ الرِّواية الصحيحة.

وهـذا الموضع، فوق دلالته المعتـادة، يكاد يدفع أن يكون السَّاوي قد رغب إلى الصقلِّـي بإتمام شرح لغـيره؛ فلو كان الأمر كذلك لـكان الصقلِّي قد تقرَّب إليه بالسَّطو على الشرح الأول، ولم يقل قطّ: أصاب أو أخطأ المصنِّف السابق. وواقع الحال أنه أخذ وترك بأسلوب الذي يتصرَّف في كتابه القديم كما يشاء.

(٤١)

وَتَـرْكُكَ فِي الـدُّنيَـا دَوِيًّـا كَأَنَّمَـا   تَـدَاوَلُ سَمْعَ الـمَـرْءِ أَنْمُلُـهُ العَشْرُ

قال في المنحول ٢/ ٣٢٢ والتكملة ٤/ ٥٦، حرفًا بحرف: «شبَّه الصوتَ الذي يكون في الحرب بصوت البخار الذي يسمعه الإنسانُ إذا سدَّ أذنيه بأنامله». وعزاه ابن المستوفي إلى شرح المخزومي، فاتَّفق الكتابان على أخذ هذا النصّ النادر من غير نسبته إلى المخزومي، كما حصل لقول ابن فورجة المذكور آنفًا.

(٤٢)

إِذَا الفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ   عَلَى هِبَةٍ فَالفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُكْرُ

قال في المنحول ٢/ ٣٢٣:

يقـول: إذا كان فَضْلك لا يرفعك عن قَبول صلـةِ ناقصٍ، حتى تحتاج إلى أن تشكره على هِبَته، فالفضل له، لا لك؛ لأن اليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى.

الـكلام في التكملـة ٤/ ٥٦ بقريب من نظمه وكلماتـه. ولا توجد الإشارة إلى اليد العليا والسُّفلى في الشروح الأخرى.

(٤٣)

قِرَانٌ تَلَاقَى الصَّلْتُ فِيهِ وَعَامِرٌ   كَمَا يَتَلَاقَى الـهُـنْـدُوَانِيُّ وَالنَّصْرُ

توحي عبارة المتنبي بقِران الكواكب عامَّةً، وكذلك فسَّرها الشرَّاح. لكن اقتصر الصقلِّي في المنحول ٢/ ٣٢٨ والتكملة ٤/ ٦٢ على قِران المشتري وزُحل خاصَّةً، وقال: «لأن قِرانهما يدلّ على مُلْكٍ عظيم».

(٤٤)

مُفَدًّى بِآبَاءِ الرِّجَالِ سَمَيْدَعًا   هُوَ الكَرَمُ المَدُّ الَّذي مَا لَهُ جَزْرُ

قـال في المنحـول ٢/ ٣٢٩: «بخلاف الأنهـار فإنَّه لا مَدَّ لها ولا جَـزْر»، وهو كلامٌ غريـب لا يحتـاج إليه البيـت المشروح. ثم قال في التكملـة ٤/ ٦٣: «يتبيَّن في بحر

الهند وفارس وأنهار البَصْرة». فيدلّ هذا التصحيح على تأخُّر التكملة عن المنحول.

(٤٥)

وَمَازِلْتُ حَتَّى قَادَني الشَّوْقُ نَحْوَهُ ... يُسَايِرُني فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ

قال في المنحول ٢/ ٣٢٩:

«يقول: ما زِلْتُ يُسايرني ذِكْرُه حتَّى قادني الشَّوْقُ نحوَه، أي ما زِلْتُ أَسْمَعُ بجُوده وكَرَمه حتَّى اشْتَقْتُ إلى لقائه فقَصَدْتُه». وعبارة التكملة ٤/ ٦٤: «أي ما زِلْتُ أَسْمَعُ بجُوده وكَرَمه حتَّى اشْتَقْتُ إلى لقائه فقَصَدْتُه»، فاختصر نصف الكلام لعدم الحاجة إليه، وأبقى إحدى عشرة كلمة متتابعة بحروفها.

وهنا نكتة صغيرة، ففي المطبوع «أي ما زِلْتُ أَسْمَعُ بخبره»، فاستغربتها لضعف الثقة بمحقِّق المنحول، فراجعت المخطوطات ووجدتها «بجُوده» كما في التكملة. وقد وجدتُ مرارًا أن التكملة تصحّح تصحيفات نُسخ المنحول.

(٤٦)

كَأَنَّكَ بَرْدُ المَاءِ لَا عَيْشَ دُونَه ... وَلَوْ كُنْتَ بَرْدَ المَاءِ لَمْ يَكُنِ العِشْرُ

قال في التكملة ٤/ ٦٥:

«المعنى: كلُّ أحدٍ مُفْتَقِرٌ إليك، ولا عيشَ له مع فَقْدك، كما أنه لا عَيْشَ له مع فَقْد الماء، بل هو أشدُّ إليك فَقْرًا؛ لأن الماء قد يُصْبر عنه عشرة أيام، وأنت لا يمكن الصبرُ عنك ساعةً».

وهو بحروفه تقريبًا في المنحول ٢/ ٣٣٠. وقد نقله ابن المستوفي كأنَّه من فرائد الصِّقلي.

(٤٧)

دَعَاني إِلَيْكَ العِلْمُ وَالحِلْمُ وَالحِجَا ... وَهَذَا الكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ

قال في المنحول ٢/ ٣٣١:

يقـول: دعاني إليك ما فيك مـن العلم والحلم والعقل. وقـد رُوى «والنُّهى»، والمعنى واحد. ونائلُك الذي تنثره بين يدي سُؤَّالك وتفرِّقه على الناس، وهذا الـكلام والنظـم للشعر الذي تقوله؛ لأنه رُوي أن المـدوح كان شاعرًا حَسَن الشعر. وقيل: أراد به كلامه الذي نظمه في مَدْحه وذِكْر أوصافه.

وفي التكملة ٤/ ٦٥:

أي: بعثنـي إلى قَصْدك ما فيك من العلم والحلم والعقل، ونائلُك المنثور بين يدي سُؤَّالك، وكلامي الذي نظمتُه في أوصافك ومدحك.

فـرَّق القولين في المنحول ثـم جمعهما في التكملة. ولـو كان الترتيب بالعكس لـكان قد قرأ عبارة التكملة واستقصـى أصلها فجعلها قولين، وسكت عن الإدلال بصنيعه!

(٤٨)

وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشِّعْرَ كُلَّهُ ... وَلَكِنْ لِشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِه شِعْرُ

قال في المنحول ٢/ ٣٣٢:

يعنـي: لمَّا أردتُ نَظْمَه فيك كان يُعين على مدحك فينظم نفسه افتخارًا بك. وقيـل: أراد أن حُسْن شعري يقوم مقامَ شعـرٍ آخر، فكأنَّ ذلك الحُسْن شعرٌ في شعري فيك.

وقال في التكملة ٤/ ٤٧:

المعنى: أن الشعر لما أردتُ نَظْمَه في مناقبك كان يُعينني على مدحك وينظم نفسـه لك افتخارًا بـك، أخذه من قول أبي تمام «تَغايَـرَ الشِّعْرُ فيه... إلخ». وقَلَبَ هذا المعنى أيضًا في قوله: «لم تُسْمَ يا هارونُ... إلخ».

فالشرح كالمتطابق، وحذف التفسير المرجوح، وأضاف شواهد.

(٤٩)

أَعَزْمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانْظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَؤُوبَا

خمسةُ أبياتٍ للمتنبي في وصف طول الليل، وشرحهما متقاربٌ في الكتابين، وبينهما كلماتٌ مشتركة كالعادة. والشاهد أنه أضاف في التكملة ٤/ ٧٣: «وهذه أبياتٌ في طول الليل، كلُّها حسنة وتشبيهات بديعة». وهذا الاستحسان لا يوجد في المنحول ٢/ ٣٣٩، فلو كان هو المتأخِّر لبقي فيه.

تنتهي هنا الأجزاء المطبوعة من التكملة، ونبدأ بالإحالة على نسخة ولي الدين.

(٥٠)

مِنَ القَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِأَنَّهُمُ يُسْدَى إِلَيْهِمْ بِأَنْ يُسْدُوا

قال في المنحول ٢/ ٣٨٤:

يقول: هو من قوم قسموا الشكر بيني وبينهم، فأنا أشكرهم على إنعامهم، وهم يشكرونني على قبولي منهم برَّهم. وهذا معنى قوله: لأنهم يسدى إليهم بأن يسدوا، أي أنهم يعدّون نعمهم على غيرهم نعمة على أنفسهم، فيشكرون مَنْ قَبِلَ نعمهم ويثنون عليهم، وهذا من قول التهامي:

ودعا لسائله وأعلن شكرَه حتى حسبنا السائلَ المسئولا

وكلُّه تقريبًا في التكملة خ/ ١٧٢، وفيها هذا الشاهد للتِّهامي عصريّ المصنف.

(٥١)

فَشُكْرِي لَهُمْ شُكْرَانِ شُكْرٌ عَلَى النَّدَى وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي وَهَبُوا بَعْدُ

قال في المنحول ٢/ ٣٨٥:

يقول: إني أشكرهم من وجهين: أحدهما على نِعَمهم عليّ، والثاني على شكرهم لي في قبول نِعَمهم، وهذه نعمة مجددة. هذا البيت من بدائعه التي لم يسبق إليه.

وكله في التكملة خ/ ١٧٢، وفيه هذا الاستحسان بنفس العبارة.

(٥٢)

إِذا ضَوْؤُها لاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً   تَدَوَّرَ فَوْقَ البَيْضِ مِثْلَ الدَّراهِمِ

الشـرح كالمتطابق (المنحول ٢/٤٠١، والتكملة خ/ ١٧٨). وفي التكملة حديثٌ طويل عن تفاضل الشعراء في وصف الجيوش، يُؤذن بأنها تالية للمنحول.

(٥٣)

مَا رَآها مُكَذِّبُ الرُّسْلِ إلا   صَدَّقَ القَوْلَ في صِفاتِ البُرَاقِ

قال في المنحول ٢/ ٤٨٧: «هذا البيت زائد»، وقال في التكملة خ/ ٢٠٦: «هذا البيت زائد لم يوجد في نسخة صحيحة».

ولا يوجد هذا البيت مشروحًا مع الشكّ فيه إلا في هذين الكتابين. وهو -مع سقوطه من من معظم النُّسخ والشروح - ثابتٌ للمتنبِّي، ويناسب السياق أتمّ المناسبة. ويبدو أنَّ المتنبِّي أسقطه لما فيه من تجاوز.

(٥٤)

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ   وَالدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ

قال في المنحول ٢/ ٥٣١:

المصراع الأول له معنيان: أحدهما: أن الناس إذا لم تكن فيهم متساوون، ليس لواحد منهم فضلٌ على صاحبه، فإذا حَضَرْتَهم فَضَلْتَهم فتفاوتوا بك، فصاروا المفضولين وأنت الأفضل. والثاني: أن الناس ما لم يروك فهم سواء، فإذا رأوك تفاضلوا في أقدارهم، فكل من رآك أكثر فهو أشرف، وكل من قَرَّبْتَ منزلته منك فهو أفضل. يريد: أن الناس إذا رأوه تعلَّموا أسبابَ الرياسة منه، واهتدوا بأفعاله إلى المكارم، فمن صَحِبه أكثر كان إلى السيادة أقرب.

وأمــا المصراع الثاني فمعنــاه: أن الأفعال التي تنسب إلــى الدهر من إعزاز وإذلال، وإحســان وإساءة، إنما هي عبارةٌ عنه وإنها تُنسب إليه بالقول، وإلا في الحقيقة فأنت فاعلها والمَعْنِيُّ بها؛ لأنك تفعل ذلك دون الدهر.

وقال في التكملة خ/ ٢٢٤:

يقول: الناسُ إذا لم يكن فيهم متساوون، ليس لأحدهم على صاحبه فضلٌ، فـإذا شَهِدْت فَضَلْتَهم فتفاوتـوا بك، فأنت الأفضل وهــم المفضولون. يشبه قولــه أيضًا: «رأيتُ عليًّا وابنه... إلخ». وفيــه وجهٌ آخر ذكره المخزومي، وهو أن النــاس ما داموا ممنوعين مــن رؤيتك متشابهون متســاوون، فإذا رأوك تفاضلــوا وتفاوتــوا في أقدارهــم، فــكل مــن رآك أكثر فهو [أشــرف]، وكل مــن خدَمك أطــول كان أرفع. يريد: أن الناس يتعلَّمون منــه إذا رأوه أسبابَ الرياسة، ويهتــدون بأفعاله إلى طرق المعالي، وكلّ من صَحِبه أكثر كانت آلة السيادة فيه أجمع. ينظر إلى قوله: «إذا منعتْ منك السياسةُ نفسَها... إلخ».

ومعنــى قولــه: «وَالدَّهْرُ لَفْــظٌ وَأَنْتَ مَعْنَــاهُ»، أي إن الأفعال التــي تُنسب إلى الدهــر، من إعــزازٍ وإذلالٍ ورفــع ووضع، أنــت فاعلها علــى الحقيقة، وهي تُنســب الدهر بالقول، وأنت المرادُ. كما قال الأحنــف لمعاوية: «أنت الزمان، إن صلحت صلح وإن فسدت فسد»، وفي الحديث: «لا تسبّوا الدهر فإن الدهر هــو الله تعالى»، يعني أن الموت والحيــاة والأفعال إنما هي [من] الله تعالى، ليس للدهر منها شيء.

ههنــا نقــلٌ مــن «فَتْق الكمائــم» لأبــي محمّد طاهر بــن الحُسين بــن يحيى المَخْزومــي البصــري أصلًا الرازي موطنًــا، المتوفَّى بعد سنــة ٤٢٠هـ. ولم يوجد هــذا الشــرح بعد، وقد وقف عليه كثيرون ونقلوا منــه. ووقف الصقلّي في المنحول والتكملة على نفس المواضع! ومضى نقلٌ آخر من غير تسمية المخزومي، ولا أرتاب بــأن فيهما نقولًا أخرى غــير منسوبة. ولم يقف سائر الشــرَّاح على المواضع التي وقف هو عليها.

وتكــرَّرت في هذه الجملة ظاهرةُ التوسُّــع في الشرح وتجويده وإضافة شواهد إليــه. وسقطت كلمــة «أشرف» مــن نسخة التكملــة، وأراد النـاســخ أن يكتبها في الهامش ثم نسيها، وها هي في المنحول!

(٥٥)

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ   بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ

في المنحول ٣/ ١٣:

[خاطبَ صاحبيه، وقد لاماهُ على البكاء على الرَّبع، فقال: وفاؤكما بإسعادي كالرَّبع أشجاهُ دارسُهُ. والطاســم والطامس بمعنى الدارس. وأشجاه: أشدُّه شجوا، والشجو: الحزن. أي: لا أبكي الرَّبْعَ وصرتُ أبكي وفاءكما معه!]

وقال الشيخ أبو الفتح ابن جني، وهذا لفظه أملاه إملاءً: طَسَم يَطْسِم طَسْمًا فهــو طاســم، إذا درس وانْمَحَتْ آثــارُه. وكذلك طَمَســ يَطْمِس فهو طامس. وسجم الدمعُ فهو ساجم: إذا سال.

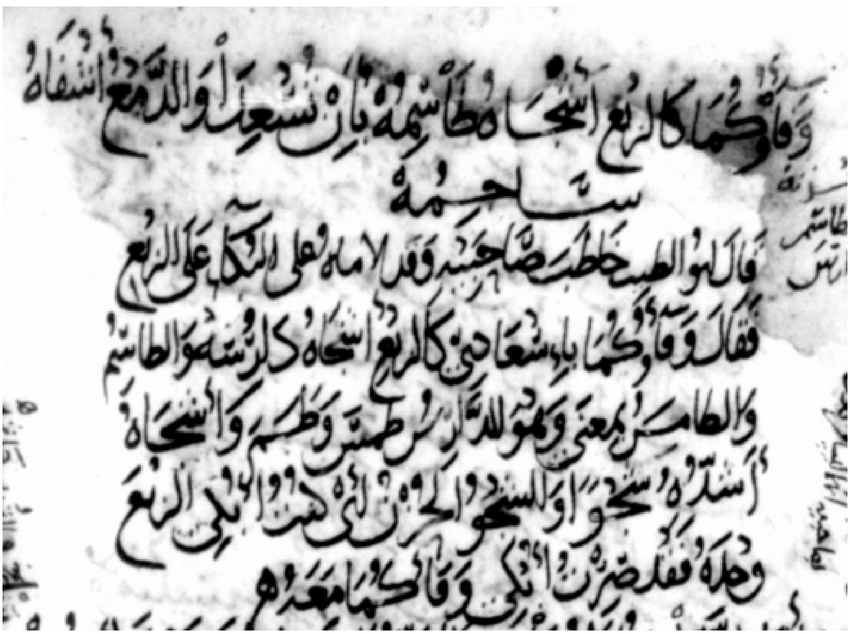
وقولــه: وفاؤكمــا خطابٌ للاثـنــين، وإنما كثر ذلك في كلام العــرب؛ لأن أقلَّ رِفْقَه عندهم ثلاثة؛ فلهذا قالوا: الواحد شيطانٌ والاثنان شيطانان، والثلاثة رِفْقَــةٌ. وربما يخاطــب الواحد بخطاب الاثنين والجماعــة تفخيمًا له، أو إذا أراد تكرير الخطاب.

وتفصيــل مــا حــكاه ابن جني عــن المتنبــي في معنــاه: أن صاحبيــه واعَداهُ بالمساعــدة في البكاء على رَبْع حبيبه، والوقوف معه على أطلاله، ثم لم يَفِيا بما واعداه؛ فقال: وفاؤكما بالمساعدة دارسٌ كهذا الرَّبع الدارس.

وقولــه: أشجاهُ طاسمُهُ: أي كل ما كان منه طامسًا كان أشجى بقلبي؛ كذلك وفاؤكما، كلما رأيتــه دارسًا زاد في شجوي وحزني. وذكر صاحبُ الجليل في تلخيــص هذا المعنى ما هو في الغموض مثــل كلام أبي الطيب، فقال: معناه يا خليليَّ وفاؤكما بأن تُسعداني، كهذا الرَّبع كلما أبصرتُه أشجاني.

وفي قوله: «والدمع أشفاه ساجمه» إشارةٌ إلى أن صاحبيه غدرا معه في البكاء، فقال: إنما يشفي الدمعُ من الصَّبابة إذا كان ساجمًا، وكلما كان أجرى كان الشوق أشفى. والباء في قوله: «بأن تُسعدا» متعلِّقةٌ بمحذوف، ولا يجوز تعلُّقها بقوله: «وفاؤكما»، لأنك حينئذٍ فرَّقت بين الموصول والصلة، لأنك إذا قدَّرت البيت على قوله: «وفاؤكما» بأن تُسعدا كالرَّبع أشجاهُ طاسمُه» كانت الباء وما بعدها صلة وفاؤكما، وقد فرَّق بينهما بقوله: «كالربع»، فيجب أن يُضمر بعد المصدر، وهو قوله: «وفاؤكما» ما يتعلَّق به، ويُجعل «بأن تسعدا تفسيرًا له». وتقديره: وفاؤكما بأن تسعدا، ثم يُحذف هذا ويُجعل الثاني تفسيرًا له. ومثل هذا كثير في صناعة الإعراب.

والجملة الأولى التي بين مربَّعين [خاطَبَ ... معه] منقوله بحروفها من لفظ أبي الطيب، ووجدها الصِّقلي في نسخته من الديوان. وها هي منسوبة إلى المتنبِّي في نسخة المتحف البريطاني المكتوبة عام ٣٩٨هـ، ربما قبل أن يُولد الصِّقلي:


وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه
قال أبو الطيب خاطب صاحبيه وقد لاماه على البكاء على الربع
فقال وفاؤكما بإسعادي كالربع أشجاه كل ... الطاسم
والطامس بمعنى وهو الدارس طسم وطمس والأشجاه
أشده شجوا والشجو الحزن أي كنت أبكي الربع
وحده فقد صرت أبكي وفاءكما معه

وإليك شرح هذا البيت في التكملة خ/ ٢٢٨، وهو المصوَّر في أول المقالة:

أشجاه: أكثره شجوا. الشجو: الحزن. شجاه يشجوه شجوًا، وهذا أشجى من هـذا، أي أكثر شجوًا. وطَسَم الرَّبعُ يَطْسِـم طَسْمًا وطُسومًا فهو طاسم، إذا درس وامَّحَتْ آثارُه. وطَمَس يَطْمِس طُسومًا فهو طامس: مثله، وليس باسم مقلوب من طَمَس مثل جَذَبَ وجَبَذَ، ولكنه أصلٌ بنفسه ...

وقولـه: وفاؤكمـا خطـاب الاثنـين، وإنمـا كثر خطـاب العـرب في أشعارها ومقاماتهـا للاثنين، كقـول امرئ القيـس... إلخ؛ لأن أقـلَّ رِفْقَةٍ عندهم في أسفارهـم ثلاثة؛ لهذا قالـوا: الواحد شيطانٌ والاثنـان شيطانان، والثلاثة رِفْقَـةٌ. قال عمر بـن الخطاب رضي الله عنه: لا يسافـر أقلُّ من ثلاثة، فإن مـات أحدهما صلَّى عليـه الاثنان وقامـا بأمره. فهذا وجـهٌ. وربما خاطبوا الواحد بخطاب الاثنين والجماعة تفخيمًا له وإرادة تكرير الخطاب، كقوله: يـا حرسيّ اضربـا عنقه، كأنّـه أراد: اضـربْ اضربْ. ومثـل قولهم: لبيك وسعديـك. وفي القـرآن ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾، فخاطب الواحد بخطاب الجمع، وهو كثير في كلامهم.

والمعنـى: أن صاحبيه واعَـداهُ بالمساعدة على البكاء في رَبْع حبيبه، والوقوف معه على أطلاله، ثم لم يَفيا له بما واعداه؛ فقال: وفاؤكما بالمساعدة دارسٌ كهذا الرَّبع الدارس.

وقولـه: أشجـاهُ طاسمُهُ: أي كل ما كان منه طاسمًـا كان أشجى لقلبي وأكثر تهييجًا لحزني؛ كذلك وفاؤكما، كلما رأيته دارسًا زاد في شجوي وحزني.

ولخَّـص هـذا المعنى الصَّاحبُ بن عبَّاد فقال: معناهُ: يـا خليليَّ وفاؤكما بأن تُسعـداني، كهـذا الرَّبْع كلَّمـا أبصرتُه شجاني. وهـذا التفسير في الغموض قريبٌ من كلام أبي الطيِّب في تعقيده وتعسُّف ألفاظه.

ومعنى قوله: «والدمع أشفاه ساجمه»، فيه إشارةٌ إلى أن صاحبيه غدرا معه في البكاء ولم يُباليا، فقال: إنما يشفي الدمعُ من الصَّبابة إذا كان ساجمًا جاريًا، فكلما كان أجرى كان من الشوق أشفى. والباء من قوله: «بأن تُسعدا» متعلِّقةٌ بمحذوف، ولا يجوز أن تعلِّقها بالمصدر الذي هو «وفاؤكما»؛ لأنك حينئذٍ تفرِّق بين الصلة والموصول، لأنك لو قدَّرتَ البيت على قوله: «وفاؤكما بأن تُسعدا كالرَّبع أشفاهُ ساجمُه» كانت الباء وما بعدها من صلة وفاؤكما، وقد فرَّقْتَ بينهما بقوله: «كالربع»، وهذا غير جائز في صناعة الإعراب. ووجهُ جوازه أن يُجعل قوله: «بأن تسعدا» تفسيرًا له، وتقدّر مثله بعد المصدر، فيكون التقدير «وَفَاؤُكُمَا بِأَنْ تُسْعِدَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ بِأَنْ تُسْعِدَا»، فتحذف الأولى وتجعل الثانية تفسيرًا لها، وتكون الباء متعلِّقةً بمحذوف أيضًا، كأنه قال: «وفاؤكما بأن تُسعدا»، ثم حذف الثاني لدلالة الأول عليه. هذا تقديره في العربية. ومثل هذا البيت قول الآخر: «أبعليَ هذا بالرَّحى المتقاعِس» ... إلخ. وهذا بابٌ يأنس به من تدرّب بهذا العلم ووقف على قوانين مقاييسه.

فهذا الشرح الطويل يختلف عن الشرح الأول، ويبدو للمدقِّق أنه بَسْطٌ وتطويرٌ له، وليس مختصرًا منه. وقد التمس فيه وجهًا لتعليق باء «بأنْ تَسْعَدا» بكلمة «وفاؤكما»، فكأنَّ رأيًا بدا له في الكتاب اللاحق. وأسقط شرح أبي الطيب. وكلُّ ذلك من شأن الذي يشرح الديوان للمرَّة الثانية. وذكرنا أن قول الصَّاحب لا يوجد إلا في هذين الكتابين.

وقد تراجع في التكملة عن تلقيبه الجليل، كما لو يحصل مع الذين تقادمت وفياتهم؛ وقد يكون في ذلك بعض الدلالة على تأخُّر التكملة (مع أنه غير لازم).

وقوله: «الواحد شيطان ...» كان عائرًا في المنحول، ونُسب في التكملة إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه؛ فيكون الصِّقلِّي قد عزاه إليه في الكتاب اللاحق.

ولا بأس بالإشارة إلى زعم محقِّق التكملة أن أبا علي الصقلِّي شيعي، لأن في عباراته محبَّةً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه!

(٥٦)

بَلِيتُ بِلَى الأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتِمُهْ

قال في المنحول ١٦/٣:

يدعو على نفسه بالهلاك إن لم يُطِل الوقوفَ على أطلال دار المحبوبة. وقد عيب عليه هذا البيت، وقيل: هذا يدل على تَحَمُّله مع دناءة همَّته، وعِظَم خَطَر الخاتم في عينه، وإلى كم يكون وقوفُ الشحيح على خاتمه ولو كان ألأمَ الناس، حتى يُجعل ذلك غايةَ الوقوف على أطلال دار الحبيب؟ وأحسن ما يمكن أن يقال: إنما أراد: أنا أقفُ بها وقوفًا زائدًا على عادة من وقف قبلي على أطلال حبيبه، كما أن وقوف الشحيح إذا ضاع خاتمُه يكون زائدًا على وقوف غيره، وطلبُه له أشدَّ. وقيل: إنما خصَّ الخاتم لأنه ربما كان فصُّه كثيرَ القيمة، جليلَ الخطر، و[ما] هذه صفته فالوقوف على طلبه يدوم، والبحث عنه يطول من كل واحد، وهو من الشحيح أكثر، ومنه أطول.

ويقابله في التكملة خ/ ٢٣٠:

دعاءٌ منه على نفسه، أي إن لم أقف على أطلال حبيبي مُتحيِّرًا مثله، وأبلاني اللهُ مثلَ بلاها. وقد عيب عليه هذا البيت، وقالوا: ما عبَّر إلا أبو الطيِّب عن ذات نفسه وعِظَم خَطَر الخاتم عنده! وقيل: هذا يدل على تَحَمُّله مع دناءة همَّته، وعِظَم خَطَر الخاتم في عينه، وإلا فكم عسى أن يكون وقوفُ الشحيح على خاتمه ولو كان ألأمَ الناس، حتى يُجعله غايةَ لوقوفه على أطلال أحبابه؟ والمعنى سخيف، وأحسن ما يُوَجَّهُ أن يقال: إنما أراد أن أقف بها وقوفًا زائدًا على عادة من وقف قبلي على أطلال حبيبه، كما أن وقوف

الشحيح إذا ضاع خاتمه يكون زائدًا على وقوف غيره، وحرصُه على طلبه أكثر، وطلبُه له أشدَّ. وهذا مثل قول الآخر:

رُبَّ ليلٍ أَمَدُّ من نَفَسِ العا شقِ طُولًا قطعتُه بانتحابي

ومعلومٌ أن النفَس لا يمتدُّ قدر عُشر ساعة من الليل. وإنما أراد: رُبَّ ليلٍ مُتجاوزٍ في طوله عادةَ طول الليالي، زائدٍ عليها كزيادة نفَس العاشق على نفَس السَّالي.

وقال آخرون: إنما خصَّ الخاتم لأنه ربما كان فصُّه جليلَ الخطر كثيرَ الثمن، فقد يكون في الفصوص ما يساوي ألف مثقال وأكثر، وما هذه صفته فالوقوف على طلبه يدوم، والبحث عنه يطول من كل أحد، وهو من الشحيح أكثر وأبلغ.

وعجز آخرون عن التمحُّل لهذا البيت، وردِّ شغب الطاعنين عليه، ففرُّوا إلى تغيير الرواية وتصحيف البيت، فقالوا: إنما قال «وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ جَاثِمُهْ» ... إلخ.

ففي التكملة، علاوةً على تطابق الألفاظ وترتيب المسائل، إضافاتٌ كثيرة ومهمَّة لا توجد في المنحول (وبعضها من كتاب ابن فورجة ص ٢٩٧).

(٥٧)

وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ أَعَقُّ خَلِيلَيْهِ الصَّفِيَّيْنِ لَائِمُهْ

قال في المنحول ٣/ ١٥ (وصحَّحنا سؤالَ أبي الطيب وجوابَه من المخطوطات):

الصَّفيَّيْن: الذي يُصْفِّي لك المَوَدَّة من الغشّ، فيكون بمعنى المُصَفِّي، فَعيل بمعنى مُفَعِّل. يقول: أنا عاشقٌ، فقال: كلُّ عاشقٍ أَعَقُّ خليليه الصَّفِيَّيْن مَنْ يَلومه، فمن لامَني منكما كأنه قد عقَّني. ورُوي: وما أنا إلا عاشقٌ كلَّ، بنصب

الـلام. ومعنـاه: أنا عاشقٌ كلَّ عاشـقٍ يَعُدُّ لَوْمَ خليليه لـه عُقوقًا منهما إليه، وهذا أبلغُ من الأوَّل. ومثل هذا [قوله]:

وَإِنِّي لَأَعْشَـقُ مِـنْ عِشْقِكُمْ نُـحُـولي وَكُـلَّ فَـتًـى نَـاحِـلِ

وقـد سُئل أبو الطيب عن هـذا فقيل: إن الخليل الصَّفيَّ لا يكون عاقًّا، وأَفْعَلُ لا يُضـاف إلا إلى ما هـو بعضُه؟ فقال: إذا لامَ لم يكـن خليلًا مُصافيًا عند العاشـق لأنه قَصَدَ إساءته. فكأنه قـال: وكلُّ عاشقٍ إذا لامه خليلُه كان أَعَقَّ له من عدوِّه. والشعر أكثره [اتّساعٌ] ومجازٌ.

ويقابله في التكملة خ/ ٢٣٠:

الصَّفِيّ: الذي يُصْفِي المَوَدَّة من الغِشّ، فيكون فَعيل بمعنى مُفَعِّل. ومثله قول الآخر: (أَمِنْ رَيْحانَة الدَّاعي السَّميعُ)، يريد: المُسَمِّع. يقول: أنا عاشقٌ، وكلُّ عاشقٍ أَعَقُّ خليليه عنده مَنْ يَلومه، فمن لامَني منكما كأن قد عقَّني. ويُروى: وما أنا إلا عاشقٌ كلَّ عاشقٍ، بنصب اللام لأنه مفعول. ومعناه: أنا عاشقٌ كلَّ عاشقٍ يَعُدُّ لَوْمَ خليليه له عُقوقًا منهما. وهذا أبلغُ من الأوَّل، لأنه لا يعشق إلا مَنْ هذه صفتُه إلا إذا كان هو أيضًا كذلك. ووجهُ المبالغة فيه أن هذه الصفة حاصلـةٌ فيه، وهو مع ذلك مُسْتَصْـوِبٌ لها عاشقٌ لكلّ من يشاركه فيها. [و] الإنســان قد يكون على حالةٍ، ويعلم أن غيرهـا أصوبُ منها ويريد الانفكاك عنها. ومثل هذا قوله:

وَإِنِّي لَأَعْشَـقُ مِـنْ عِشْقِكُمْ نُـحُـولي وَكُـلَّ فَـتًـى نَـاحِـلِ

ومما يُسأل عنه في هذا البيت أن يقال: لمَ قال: أَعَقُّ خَلِيلَيْه الصَّفِيَّيْنِ؟ وأفعلُ إنما يُضاف إلى جملةٍ هو بعضُها وواحدٌ منها، والخليل الصَّفيَّ لا يكون عاقًّا، وإنمـا كان الوجـهُ أن يقول: أَعَقُّ المُسيئينَ إليـه لَائِمُهُ؟ فالجواب عنه ما قاله أبوالطيب وقد سُئل عن هذا المعنى فقال: إذا لامَ لم يكن خليلا مُصافيًا عند

العاشق لأنه قَصَدَ إلى إساءته، فكأنه قال: كلُّ عاشقٍ إذا لامه خليلُه كان أَعَقَّ له من عدوِّه. والشعر أكثره اتّساعٌ ومجازٌ.

والتطابق ألفاظًا وترتيبًا في هذا الشرح الطويل لا يحتاج إلى بيان. وفيه أشياء لا توجد إلا في الكتابين (هذا أبلغ، سُئل أبو الطيب). وفي التكملة زياداتٌ مهمَّة تُشير إلى أنها الشرح المتأخِّر، وتمنع أن يكون المنحول مستخرَجًا منها.

ولاحظ في عبارة المنحول أن المتنبِّي سُئِلَ بغير أداة الاستفهام؛ وفي عبارة التكملة أنه لم يُسأل، ولو سُئِلَ –هو أو غيره– لقيل: لِمَ قال كذا؟ فلا شكَّ بأنَّ عبارة التكملة فيها إصلاحٌ من الجهتين لعبارة المنحول المضطربة.

على أنَّ سؤال المتنبي وجوابه لا يوجدان في أي مصدر آخر. والصواب أنهما لابن جنِّي! وعبارته «وفيه شُبْهَةٌ يُسأل عنها... إلخ»، وأجاب بجوابٍ سديد وآيات وأشعار. فتراجع الصِّقِلِّي عن دعوى السؤال فقط، وأصار العبارةَ هكذا «ومما يُسأل عنه... فالجواب ما قاله أبو الطيب». فصحَّح نصف غلطه في كتابه القديم.

وهذا التحرير الجزئي قويّ الدلالة على طبيعة العلاقة بين الكتابين، ويكاد يستحيل أن تتحوَّل عبارةُ التكملة إلى سؤال وجواب للمتنبِّي.

(٥٨)

وَكُنْتُ إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً سَرَيْتُ فَكُنْتُ السِّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهْ

قال في المنحول ٣/٢٧: «وهذا البيت من بَدائع هذه القصيدة، وسيِّدُها وواسِطَةُ قِلادتها». وفي التكملة خ/ ٢٣٧: «هذا البيت سيِّدُ هذه القصيدة وطِرازُ حلَّتها».

وتلوين للكلام هكذا، مع اتِّحاد الموضع والمعنى، هو من النوع الذي يقع في كتابين لمصنِّف واحد، للتحسين والمغايرة.

(٥٩)

فَإِنْ تَفُقِ الأَنَـامَ وَأَنْـتَ مِنْهُمْ فَـإِنَّ الـمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الـغَزَالِ

قال في المنحول ٣/ ٥٤:

يقول: إن فَضَلْتَ الأنـامَ وعَلَوْتَهم وأنت من جُمْلتهم، فليس ذلك بعَجَبٍ، فإنَّ المِسْكَ دَمٌ، ولكن يُخالف سائرَ الدِّماء ريحًا وطَبْعًا. وهذا من اختراعات أبي الطيِّب وفرائده.

وفي التكملة خ/ ٢٥٢:

يقـول: ليس بعجيـبٍ أن تَفْضُلَ الناسَ بأفعالك وتَبِينَ منهـم بطباعك، وإن كنـتَ منهـم؛ فإنَّ المِسْـكَ دَمٌ، ولكنَّه مُخالفٌ للدِّماء ريحًـا وطَبْعًا. وهذا من اختراعاته وأعيانِ بدائعه.

هـذا مثالٌ آخـر لتلوين الألفـاظ مع اتّحـاد المعنى والترتيـب والاستحسان، كالذي يقع من المصنِّف الواحد.

(٦٠)

رِوَاقُ الـعِزِّ فَـوْقَـكِ مُسْبَطِرٌّ وَمُـلْـكُ عَـلِـيٍّ ابْـنُـكِ فِي كَـمَـالِ

قال في المنحول ٣/ ٤٤: «يقول: لم تَموتي حتَّى رَأَيْتِ رُواقَ عزِّ ابنك مُمْتَدًّا ومُلْكَهُ كاملا»، وفي التكملة خ/٢٥٢: «يقول: لم تَموتي حتَّى رَأَيْتِ في ابنك ما كنتِ تَهْوَيْنَ، فرَأَيْتِ رُواقَ عزِّه مُمْتَدًّا ومُلْكَهُ كاملا، ولم تخرُجي من دُنياكِ بحَسْرَةٍ في قلبكِ».

الشرحـان متطابقان. وكان ذكر في المنحول أنَّ ابن جنِّي استقبح «مُسْبَطِرّ»، وسلخ دفاعَ ابن فورجة عنها وشواهده عليها، وحذف ذلك من التكملة.

وَإِنِّي لَأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ ... نُحُولِي وَكُلَّ فَتًى نَاحِلِ

تبدأ عبارة المنحول ٣/ ٥٦ والتكملة خ/ ٢٥٣ بقوله: «من فَرْط عشقي»، ثم تفترقان: ففي المنحول ستة أسطر، وفي التكملة ثلاثون سطرًا، وكلامٌ طويل عن أنواع العشق، وعشرةٌ شواهد بعضها نادر، أهمُّها قوله:

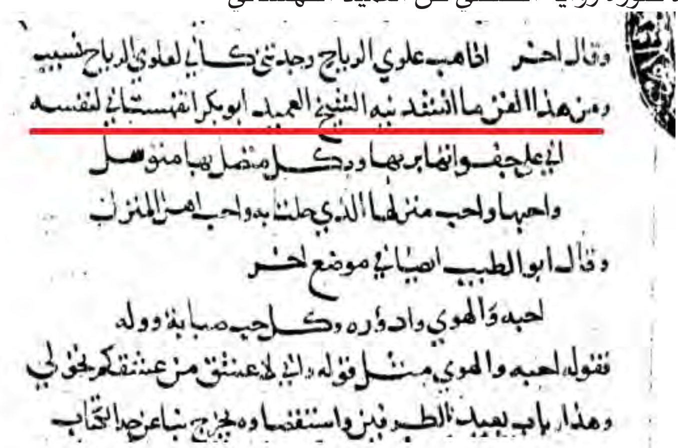
ومن هذا المعنى ما أنشدنيه الشيخ العميد أبو بكر القُهِسْتاني لنفسه:

إنِّي على جَفَواتها بَرٌّ بها ... وبكلِّ مُتَّصِلٍ بها مُتوصِّلُ

وأُحبُّها وأُحبُّ منزلها الذي ... حَلَّتْ به وأُحبُّ أهلَ المنزلِ

... وهذا بابٌ بعيدُ الطَّرفين، واستقصاؤه يخرج بنا عن حدّ الكتاب.

وهذه صورة رواية الصقلي عن العميد القُهِسْتاني


ومن هذا المعنى ما أنشدنيه الشيخ العميد أبو بكر القهستاني لنفسه
إني على جفواتها بر بها وبكل متصل بها متوسل
وأحبها وأحب منزلها الذي حلت به وأحب أهل المنزل
وقال أبو الطيب [illegible]
لحبه والهوى وأدواره وكل حب صبابة وولة
تقول لحبه والهوى مثل قوله وإني لأعشق من عشقكم نحولي
وهذا باب بعيد الطرفين واستقصاؤه يخرج بنا عن حد الكتاب

رواية الصِقلّي عن العميد القُهِستاني

القُهِسْتاني أديبٌ خراساني مشهور من رجال الدولة الغَزْنوية، وانقطعت أخباره بعد عام ٤٣٥ هـ، فنقدِّر وفاته بسنة ٤٤٠. وقد ترجم له الثعالبي ولم يترجم للصِّقِلِّي، وقد نستنبط من ذلك أن الصِّقِلِّي لم يشتهر إلا بعد وفاة الثعالبي سنة ٤٢٩ هـ.

وهذا النصّ يمحو أيَّ شكٍّ في موطن الصِّقِلّي وعصره، ويقطع بأنَّه استوطن المشرق في النصف الأول من القرن الخامس. وإن تعجب فاعجب «لمحقِّقي» التكملة، يملأون مقدِّماتهم بالكلام الإنشائي عن صقلِّية بناءً على اللقب، ولم يقرأوا هذا النصّ القاطع؛ لأنه ليس في الأوراق الأولى التي يشتغلون بها.

وظاهرٌ أنَّ الصِّقِلّي قد لقي القُهِستاني بعد تصنيفه للمنحول، ولا يستقيم العكس.

(٦٢)

بِـضَـرْبٍ يَـعُـمُّـهُـمُ جَـائِـرٍ لَـهُ فِـيـهِـمُ قِـسْـمَـةُ الـعَـادِلِ

الشرح في الكتابين متقارب، وبينهما الاشتراك المعتاد. لكنَّه فسَّر «قِسْمَةُ العَادِلِ» في المنحول ٣/ ٦٣ بأربعة تفاسير بلا ترجيح، واختار الثالث منها بلفظه في التكملة خ/ ٢٥٦. وفي هذا الاختيار لأجود الأقوال دليلٌ على تأخُّر التكملة.

(٦٣)

فَإِنَّ الحُسَامَ الخَضِيبَ الَّذي قُـتِـلْـتُـمْ بِـهِ فِي يَـدِ الـقَـاتِـلِ

فسَّره في المنحول ٣/ ٦٥، ثمَّ قال: «وقال ابن جنِّي: أراد بالسيف سيفَ الدولة، والقاتل: هو الخليفة... إلخ». وحذف هذا التفسير السَّخيف من التكملة خ/ ٢٥٧.

(٦٤)

وَإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضٍ عَارِضًا أَيْـقَـنْـتُ أَنَّ الـلَّـهَ يَـبْـغِي نَـصْـرَهُ

ختم شرحَه في المنحول ٣/ ١٤٠ بقوله: «وفي قافية البيتين اضطراب ... والكلام في هذا المعنى يطول، وموضعه كتاب القوافي. وقيل: القافية رائية، وقد جاء مثل هذا في الشعر القديم، وقد تركت ذكره لئلا يطول». ثم كتب في التكملة خ/ ٢٩٢ نحو عشرة أضعاف الشرح السابق، وختمه بقوله: «والحمدُ للّٰه فقد فَنِي اللَّوْحُ واسْتَرَحْنا من الهَذَيان». فيبدو أنه اختصر العبارة في المنحول؛ لأنه سيصنِّف كتابًا في القوافي، وأطال في التكملة؛ لأنه صنَّف الكتاب أو جمع مادَّته فنقل منها.

(٦٥)

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِ وَأَقْتَلُهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلا حَرْبِ

ختم شرحَ القطعة في المنحول ٣/ ١٥٢ بتعريف الإجازة، وضرب لها مثلًا من شعر أبي العتاهية، وقال إنَّ إجازة المتنبي لم تلتزم بغرض القطعة المُجازة. وكرَّر ذلك كلَّه في التكملة خ/ ٢٩٦، مع إضافات أهمُّها ثلاثة أبيات نادرة لشاعر متأخِّر. ولم أجد شيئًا من ذلك في أي شرح آخر.

(٦٦)

يَطَأْنَ مِنَ الأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلْنَهُ وَمِنْ قِصَدِ الْمُرَّانِ مَا لَا يُقَوَّمُ

شرحُه في المنحول ٣/ ١٥٢ ليس بالطويل ولا القصير، وذكر وجهين في إعراب «لَا حَمَلْنَهُ». ومما قاله: «وهذا كقوله: فداءَه، أي يستحق أن أقول له: جُعلت فداءه»، فالعبارة غامضة بعض الغموض. وأطال الشرح جدًّا في التكملة خ/ ٢٩٩، ومما ذكره أوضح أن المقصود قوله: (جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهَمُ فِدَائِي). وهذا كالقاطع بأسبقيَّة المنحول.

(٦٧)

فَهُنَّ مَعَ السِّيدَانِ فِي الْبَرِّ عُسَّلٌ وَهُنَّ مَعَ النِّينَانِ فِي الْبَحْرِ عُوَّمُ

الشرح سطران في المنحول ٣/ ١٥٣. وطال جدًّا في التكملة خ/ ٣٠٠، وذكر حكايتين عن استشهاد سيبويه وأبي علي الفارسي بشعر بشَّار، وقال: «وإنَّما ذكرتُ لك هذا لتعلمَ أن الناس قرودٌ يحاكي بعضُهم بعضًا». فهذا وأمثاله كلامُ رجل نضج، واستحكم علمُه، وتأهَّل لمقارعة الكبار.

(٦٨)

كَأَجْنَاسِهَا رَايَاتُهَا وَشِعَارُهَا وَمَا لَبِسَتْهُ وَالسِّلَاحُ الْمُسَمَّمُ

قال في المنحول ٣/١٥٧:

وقيل: في معنى البيت وجوه، أحدها: أن هذا الجيش كثيرٌ مختلف، اجتمع فيه كلُّ أمَّةٍ من الجند. وكما اختلفتْ هذه الأجناد، كذلك اختلفتْ شعارُها وأعلامُها وسلاحُها، فكل طائفة على هيئة مخالفة لغيرها من الطوائف، كقوله في موضع [آخر]: «تجمَّعَ فيه كلُّ إنسٍ وأمَّةٍ». هذا ما ذكره المخزومي.

والنصّ طويلٌ جدًّا، وفيه أقوالٌ كثيرة، ونُسب هذا القول منها للمخزومي وآخر لابن جنِّي.

واكتفى في التكملة خ/ ٣٠٣ بتفسير المخزومي ولم ينسبه إليه:

والمعنى: أن هذا الجيش تجمَّعَ فيه كلُّ أمَّةٍ من الجند. فكما اختلفتْ أجنادُه فكذلك اختلفتْ راياتُه وأعلامُه وسلاحُه، لكل أمَّةٍ علامةٌ وسلاحٌ يخالف الأخرى.

فانفرد الكتابان بالوقوف عند هذا القول للمخزومي. وهذا التراجع عن نسبته لا يتَّفق مع تأخُّر التكملة عن المنحول. ولكن مضى قولٌ له غير منسوب في المنحول ونُسب في التكملة، فهذا بذاك! وقد يكون للصقلِّي عذرٌ وجيه في التراجع.

(٦٩)

رَضِينَا وَالدُّمُسْتُقُ غَيْرُ رَاضٍ ... بِمَا حَكَمَ القَوَاضِبُ وَالوَشِيجُ

قال في المنحول ٣/ ١٧٤:

«الدُّمُسْتُق عند الرُّوم: قائد الجيش، مثل الإِسْفَهْسَلار عند الفُرْس. والقواضب: السُّيوف. والوَشيج في الأصل: أصول الرِّماح وعُروقها التي تَنْبُت عليها الرِّماح، ثم سُمِّيَت الرِّماح بمَنْبِتها. يقول: نحن رَضينا بما حَكَمَت السُّيوف والرِّماح، والدُّمُسْتُق غَيْرُ رَاضٍ بذلك؛ لأنها حَكَمَتْ لنا بالظَّفَر والنصر، وعلى الدُّمُسْتُق بالقتل والهزيمة».

وشرح التكملة خ/ ٢٠٩ يكاد يكون نسخةً منه:

«الدُّمُسْتُق عند الرُّوم: قائد الجيش، مثل الإسْفَهْسَلار عند الفُرْس. والقواضب: السُّيوف القواطع، الواحد قاضب، وهي في الأصل صفة ثم غلبت حتى صارت بمنزلة الاسم. والوَشيج: أصول الرِّماح وعُروقها التي تَنْبُت عليها الرِّماح، ثم [سُمِّيَت] الرِّماح بمَنْبِتها. يقول: نحن رَضينا بما حَكَمَت السُّيوف والرِّماح؛ لأنها حَكَمَتْ لنا بالنصر والظَّفَر، والدُّمُسْتُق غَيْرُ رَاضٍ لأنها حَكَمَتْ عليه بالهزيمة والقتل».

فهذا التطابق في خمس وأربعين كلمة متتالية، مع إضافات قليلة وتغيير شكليّ في ترتيب بعضها، تفسيره أن أحد الكتابين كان بين يديه وهو يصنِّف الآخر.

(٧٠)

وَأَنَّ دَمًا أَجْرَيْتَهُ بِكَ فَاخِرٌ وَأَنَّ فُؤَادًا رُعْتَهُ لَكَ حَامِدُ

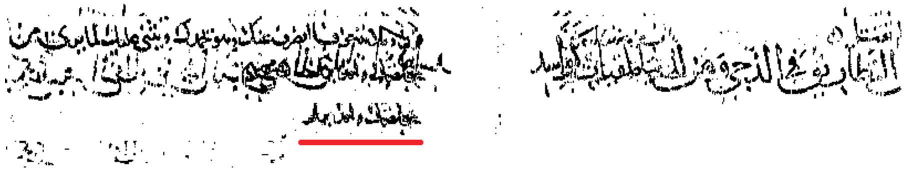
قال في المنحول ٣/ ٢١٢:

يقول: من شَرَف الإقدام أن كلَّ دَم تُجريه يفتخر بك، وكلَّ إنسانٍ قتلتَه أَكْسَبْتَه شَرَفًا، وكلَّ فُؤادٍ خَوَّفْتَه ومَلأْته خوفًا يحمدُك ويثني عليك؛ لما يرى من شجاعتك وإقدامك.

وفي التكملة خ/ ٣٣٦:

أي من شَرَف الشَّجاعة أن قتلتَ إنسانًا أَكْسَبْتَه شَرَفًا ... وأنَّك إذا رغبت قتلَ قِرْنٍ ومَلأْته خوفًا انصرف عنك وهو يحمدُك ويثني عليك؛ لما يرى من [شجاعتك وإقدامك].

ههنا شيءٌ طريف في مخطوطة التكملة، غير التشابه المعتاد: انطمست كلمتان بسبب انعكاس حِبْر الصفحة المقابلة، وبعد معالجة الصورة ظهرت الكلمتان «شجاعتك وإقدامك» كما في المنحول!



(٧١)

وَلِلْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَراته   سُكُونُ عَزاءٍ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ

قال في المنحول ٣/ ٢٢٤:

الواجد: الحزين. يقول: كلُّ جازعٍ على مصيبةٍ فآخرُ أمره السَّلْوة والسكون، إما صبرًا واحتسابًا، وإما تعبًا وملالًا. ومثله لمحمود الورَّاق:

إذا أنت لم تَسْلُ اصطبارًا وحِسْبَةً   سَلَوْتَ على الأيّام مثلَ البَهائمِ

ومثله لأبي تمّام:

أتصبرُ للبَلْوى عَزاءً وحِسْبَةً   فتُؤْجَرَ أو تَسْلو سُلُوَّ البهائم

الشرح والشاهدان في التكملة خ/ ٣٢١، وزاد حكايةً لمجوسيّ عزَّى سفيانَ بن عُيينة، وشاهدًا نادرًا لبعض المتأخِّرين.

(٧٢)

نَزَلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً   لِـمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا

قال في المنحول ٣/ ٢٢٦:

الأكوار: جمع كُور، وهو الرَّحْل. وكرامةً نُصِبَ لأنه مفعول له. ورَكْبًا: على الحال، أي نُلِمَّ به راكبين، وأصله عن أن نُلِمَّ به، فحذف عن. ويجوز أن يكون معناه كراهةً أن نُلِمَّ به، أو ألا نُلِمَّ به، فحذف. والهاء في عنه وبه للرَّبْع. يقول: لما أتينا الرَّبْع نزلنا عن رواحلنا، كرامةً لأهله ورَفْعًا لقدره عن أن نُلِمَّ به راكبين. ومثله للمعرّي:

يا شاكيَ النُّوَب انهضْ طالبًا حلبًا	نُهوضَ مُضْنًى لحَسْمِ الدَّاءِ مُلْتَمِسِ
واخْلَعْ حذاءَك إن حاذَيْتَها وَرَعًا	كفِعْلِ موسى كَليمِ اللّه في القُدُسِ

وقال في التكملة خ/ ٣٢٢:

الأكوار: جمع كُور، وهــو الرَّحْل. والرَّكْب: أصحاب الإبل. ونَصبَ كرامةً لأنه مفعــول [له]. يقول: لما أتينا هذا الرَّبْع نزلنــا عن رَواحلنا كرامةً لأهله، ولم نُلِمَّ به على ظهور الإبل. ومثله قول المعرّي:

ياشاكيَ النُّوَب انهضْ طالبًا حلبًا	نُهوضَ مُضْنًى لحَسْمِ الدَّاءِ مُلْتَمِسِ
واخْلَعْ حذاءَك إن حاذَيْتَها وَرَعًا	كفِعْلِ موسى كَليمِ اللّه في القُدُسِ

فالتطابق كما ترى، والاستشهاد بشعر المعرِّي كما ترى.

وقد ذكرنا في المقالة الأولى أن ناشر المنحول صحَّف «المعرِّي» إلى «العَمْري»، وزعم أنه شاعر هُذَلِي مُخضرم يذكر القدس وحلبًا، ونسب الكتاب كله للمعرِّي!

(٧٣)

لَقَدْ لَعِبَ البَيْنُ المُشِتُّ بِهَا وَبِي	وَزَوَّدَني فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَّا

الشــرح طويلٌ في الكتابين (المنحــول ٣/ ٢٣٠ والتكملة خ/ ٣٢٤)، وعبارتهما قريبــةٌ من التطابــق، وفيهما قول ابن فورجة في حَيرة الضَّــبِّ عن جُحْرِه. وعقَّب عليــه في التكملــة وحدها فقــال: «وهذا معنًى حَسَــنٌ واستنباط بديــع»، وأضاف شذرات أخرى، وكلّ ذلك من أمارات تأخّرها عن المنحول.

(٧٤)

أَتَى مَرْعَشًا يَسْتَقْرِبُ البُعْدَ مُقْبِلا	وَأَدْبَــرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ القُرْبَا

قال في المنحول ٣/ ٢٣٥:

يقــول: أتى الدُّمُستُق مدينة مَرْعِش وهــو مسرورٌ، لطَمَعِه فيها، فكأنَّ الأرضَ

تُطْوى له، والبعيدَ يَقْرُب عليه، فلمَّا قَصَدْته وَلَّى مُدْبرًا وهو شديدُ الغَمّ، وطال عليه الطريقُ فصار قريبُه بعيدًا. ومثله:

أرى الطّريقَ قريبًا حينَ أسلُكه ... إلى الحبيبِ بعيدًا حين أنصرفُ

ومثله لتَوْبَة:

وكنتُ إذا ما زُرْتُ لَيْلى بأَرْضِها ... أرى الأرضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها

تكرَّر هذا القول بتمامه، بترتيبه وشواهده ومعظم ألفاظه، في التكملة خ/ ٣٢٦.

(٧٥)

وَلَكِنَّهُ وَلَّى وَلِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ ... إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الجَنْبَا

قال في المنحول ٣/ ٢٣٧: «لمَّا اشتدَّ الطِّعانُ وَلَّى وقد امتلأ قلبُه خوفًا، وكلَّما ذكرَ سَوْرَةَ الطَّعن لم يُصَدِّق أنه سَلِمَ منها، فيَلْمَسُ جَنْبَهُ هل هو صحيحٌ أم مَطْعون». وهو بحروفه كلمةً كلمةً في التكملة خ/ ٢٢٨.

(٧٦)

قال في المنحول ٣/ ٢٤٠ (واختصرنا بعض الأقوال):

فَحُبُّ الجبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى ... وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الحَرْبَا

النفسَ: منصوبةٌ بحُبِّ في الموضعين؛ لأنه مصدر، فيعمل عملَ الفعل وأورده: فعلٌ فاعله ضمير الحُبّ.

(١) يقول: كلُّ أحدٍ يطلب لنفسه البقاء، فالجبانُ يحذرُ لقاءَ الأقران، ويستعمل الخوفَ إبقاءً على نفسه وطلبًا لنجاته. والشجاع يطرح نفسه في المَهالك، ويباشر القتال، طلبًا لاستبقاء النفس بدفع الشرِّ والأعداء عن نفسه، وإبقاءً للذكر الجميل بعده. والقصدُ منهما واحد، وهو طلب الحياة، والسعيُ مختلف.

(٢) ... (٣) ... (٤) ... (٥) ...

وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالفِعْلُ وَاحِدٌ   إِلَى أَنْ تَرَى إِحْسَانَ هَذَا لِذَا ذَنْبَا

معناه: (١) ... (٢) ... وفي جميع هذه الوجوه يكون البيت متَّصلا بما قبله.

(٣) وقد قيل: إنَّه منقطعٌ عمَّا قبله، ومعناه: أنَّ الرجلين ربَّما طلبا أمرًا من وجهٍ واحد، فيُرزق هذا ويُحرم الآخر؛ فيكون ذلك الفعل إحسانًا لأحدهما يُرزق به، وذَنْبًا للآخر يُحرم لأجله. ومثله لآخر:

يَخيبُ الفتى من حيث يُرزق غيرُهُ   ويُعْطى الفتى من حيث آخرُ يُحْرَمُ

ثمانية أقوال في شرح بيتين، من غير اختيار للقول الراجح، وإعرابٌ لا يخفى على المبتدئين. يقابله في التكملة خ/ ٣٢٨:

فَحُبُّ الجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى   وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الحَرْبَا

يقول: كلُّ أحدٍ يسعى ليدفع عن نفسه الضَّرَرَ، أو يجلب لها النفع. فالجبانُ يَفِرُّ ويحذرُ لقاءَ الأقران، إبقاءً على نفسه وطلبًا لنجاته. والشجاع يتورّط الحربَ ليدفع عن نفسه شرَّ عدوِّه. فالقصدُ منهما واحد، وهو طلب الحياة، والسعيُ مختلف.

وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالفِعْلُ وَاحِدٌ   إِلَى أَنْ تَرَى إِحْسَانَ هَذَا لِذَا ذَنْبَا

يقول: إنَّ الرجلين ربَّما طلبا أمرًا من وجهٍ واحد، وسعى كلٌّ منهما كما سعى صاحبُه، فيُرزق أحدهما ويُحرم الآخر؛ فيكون ذلك الفعل إحسانًا لأحدهما يُرزق به، وذَنْبًا للآخر يُحرم من أجله.

فاختار قولين من الأقوال الثمانية، بنفس عبارتها تقريبًا. وهو مثالٌ لما ذكرناه مرارًا من إتقان التأليف، وهو هنا بالاختصار وحذف الأقوال المرذولة. وما أرتاب بأنَّ الساوي هو الذي رسم ذلك للصقلّي.

(٧٧)

تَصُدُّ الرِّياحُ الهُوجُ عَنْهَا مَخَافَةً وَتَفْزَعُ فِيهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الحَبَّا

قال في المنحول ٣/ ٢٤٠:

يقول إنَّ الرِّياح لا تَجْسُر أن تمُرَّ بها، وتخافُ الطَّيْرُ أن تَلْقُط منها الحَبَّ ... والمصـراعُ الثاني ضعيفٌ؛ لأن الطَّيْر في كلِّ موضعٍ تَفْزَعُ أن تَلْقُط الحَبَّ، فلا وجه لعَطْفِه على الرِّياح.

وفي التكملة خ/ ٣٢٨:

حتَّـى إنَّ الرِّيحَ لا تَجْسُـر أن تَمُرَّ بها، والطَّيْرَ تخـافُ أن تَسْقُط على أرضها فتَلْقُـط منها الحَبَّ ... وهذا المصراعُ ضعيفٌ؛ لأن الطَّيْر في كل موضع تَفْزَعُ أن تَلْقُـط الحَبَّ، فلا وجـه لذكرِه وعَطْفِه على الرِّياح التي لا يردُّها شيءٌ ولا تَنْثَنِـي عن وَجْـهٍ. ولو اتَّفق له أن يقـول: ويَرْجِعُ عنها السَّيْـلُ، لكان قد طبَّق المَفْصِل وأصاب الغرضَ.

فالكلامـان كأنَّهمـا واحـد، وزادت التكملة اقـتراحَ عبارة بديلـة. وقد سُبق الصقلِّي إلى وصف المصراع بالضَّعف، فزاد عليهم بشرح موطن الضَّعف، وكرَّره في الكتابين. وهذا النقد ليس بشيء؛ بل المعنى أن الخوف أصاب الريح والطير.

(٧٨)

يَـرُدُّ يَـدًا عَنْ ثَـوْبِهَا وَهُـوَ قَـادِرٌ وَيَعْصِي الهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدُ

قال في المنحول ٣/ ٢٩٩:

... يقـول: إذا خَلَـوْتُ معها رَدَدْتُ يدي عنها وأَمْسَكْتُهـا عن ثوبها، ولو أردتُ لقَدِرْتُ منها على ما اشتهيتُ، وإذا رأيتُ طَيْفَها في النوم عَصَيْتُ الهوى فيه وعَفَفْـتُ عنــه، فحالي في النوم مع الطَّيْف كحـالي في اليَقَظة معها. ومعناه:

أن الفاحشــة لا تَخْطُر ببالي، لاستعمال العِفَّــة في اليَقَظة؛ لأن الإنسان إنما يــرى في المَنَام ما حَدَّثَتْــهُ به نفسُه في حال اليَقَظة. وأخــذ منه التِّهاميُّ هذا المعنى فقال:

إذا ما أراد الطَّيْفُ تَقْبيلَ ثغْرِهِ ... ثَنَى وَجْهَهُ عن لَثْمِهِ بلثامِهِ

فكيف يُرَجَّى منه حالَ انتباهِهِ ... حُنُوًّا، فهذا فِعْلُه في مَنامِهِ

وقال في التكملة خ/ ٣٣١:

... يقــول: إذا خَلَــوْتُ بهــا أَمْسَكْتُ يدي عنهــا، ولو أردتُ لقَــدِرْتُ منها على مــا اشتهيــتُ. وإذا رأيتُ طَيْفَهــا في النوم عَصَيْتُ الهوى فيــه وعَفَفْتُ عليه، فحــالي في النوم كحالي في اليَقَظة. والمعنى: أن الفحشاء لا يَخْطُر ببالي ولا تحدِّثني نفسي فأَحْلُم بها في نومي، لأن الإنسان إنما يرى في نومه ما تحدِّثه به نفسُه ويجري في وَهْمه مُتَيَقِّظًا. وتَبِعه التِّهاميُّ فقال:

إذا ما أراد الطَّيْفُ تَقْبيلَ ثَغْرِهِ ... ثَنَى وَجْهَهُ عن لَثْمِهِ بلثامِهِ

فكيف يُرَجَّى منه حالَ انتباهِهِ ... حُنُوًّا، وهذا فِعْلُه في مَنامِهِ

وقوله: «يَرُدُّ يَدًا عَنْ ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ» من قَوْلُ مُسْلم بن الوليد:

أَخَذْتُ لِطَرْفِ الْعَيْنِ مِنْها نَصِيبَه ... وَأَخْلَيْتُ كَفِّي في مَكانِ الْمُخَلْخَلِ

نَهاني عَنها حُبُّها أن أَسُوءَها ... بِلَمسٍ فَلَم أَفتِكْ وَلَم أَتَبَتَّلِ

ليس بين الكلامين على طولهما فَرْقٌ يُذكر. ولا يوجد الاستشهاد بالتِّهاميُّ إلا فيهمــا، وهو استشهادٌ جيِّدٌ فريد. واتَّفقا على كلمــة «حُنُوًّا»، مع أَنَّ رواية الديوان الصحيحة «صُبُوًّا»، والصَّبْوة ضدُّ العفاف، فالظاهر أن التصحيف من الصقلِّي.

وزاد في التكملــة الاستشهاد بشعــر مسلم بن الوليد، وهــو أيضًا شاهدٌ جيِّدٌ فريد، ويدلّ على تأخُّرها عن المنحول.

(٧٩)

شَيْبُ رَأْسِي وَذِلَّتِي وَنُحُولي وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكَ شُهُودِي

أَخَّرنا هذا النصّ لأنه يختلف عن جميع ما مضى!

فقد شرحه في المنحول ١/ ٧٥ بقوله:

يقول: أربعةُ أشياء شاهداتٌ لي على هَواك، وهي: الشيب – لحلوله قبلَ أوانه ونزوله في غير زمانه –، وذُلّي في هواك، ونحول جسمي، وانسكاب دموعي؛ والله تعالى أمرَ في القضاء بالشاهدين، ولي أربعة شهود. وهذا مثل قول القائل:

مَنْ ذا يُكَذِّب في شُهود أَرْبَعًا وشُهودُ كلِّ قضيَّةٍ اثنانِ
خَفَقانُ قلبي واضطرابُ مَفاصلي ونُحولُ جسمي وانعقادُ لساني

كنت استشكلت البيتين الشاهدين، لشُهرتهما على الألسنة في عصرنا، وجهل جميع الشرَّاح بهما، ولا سيَّما الذين صنَّفوا في سرقاته كالعميدي وابن وكيع، ومع أنَّهما سرقةٌ فاضحة! ثمَّ لم أجدهما إلا في كتابين متأخِّرين جدًّا: ألف ليلة وليلة وتزيين الأسواق. ولم ينسبهما الشيخ الراوية عبدالله بن خميس رحمه الله في الشوارد ٢/ ٥٧٦، مع سعة حفظه واطلاعه. فخطر لي أنَّهما دخيلان على النصّ من حواشي القرَّاء.

وهذا شرح الصِّقلّي في التكملة ١/ ٦٣:

يقول: أربعةُ أشياء شاهدةٌ لي بوَجدي لك، وهي: الشيب الذي عاجلني قبلَ أوانه يشمل رأسي، وذُلّي في هواك، ونحول جسمي، وانسكاب دموعي؛ والله تعالى أمرَ في كلّ قضاء بشاهدين.

وهذا الشرح كالمطابق، ويخلو من الشاهدين؛ فلا أشكّ الآن بأنهما حاشية قارئ. فانظر كيف تصحِّح التكملة أخطاء نصِّ المنحول!

(٧) عبارات قصيرة مشتركة:

عثرنا في الكتابين، عَرَضًا من غير استقصاء، على طائفة من الجُمَل القصيرة المتطابقة أو المتقاربة جدًّا. فرأينا إثباتَ بعضها إتمامًا للفائدة وتعضيدًا للنصوص الماضية، ولو كان في ذلك بعض التطويل، ومن شاء فليتجاوزها. واكتفينا بإيرادها من المنحول، مع وضع خطوط تحت الكلمات المشتركة، والتعليق عليها عند الحاجة:

- الفئة: الجماعة، وأراد بها العشاق. وقوله: أضلَّها اللّه: أغراها بالضلال، أو وجدها ضالَّةً، والظاهر أنه مُتَعدٍّ ضلَّ. والمعنى: أنها همَّت بالضلال فأضلَّها اللّه (المنحول ١/ ٢٠، التكملة ١/ ٣٦). وفي عبارة التكملة ترجيح «والأجود أنه مُتَعدِّى ضلَّ».
- سُئِل المتنبي عن قوله: «أقربُها منك عنك أبعدُها»، فقال: أقربها منك سمعًا وأبعدها عنك طاعةً (المنحول ١/ ٢٠، التكملة ١/ ٣٦). و هذا السؤال وجوابه من مفردات الكتابين.
- الصراة: نهر ببغداد مشتقٌّ من الفرات (المنحول ١/ ١٤٤، التكملة ١/ ١٠١). فلاحظ التعبير عن خروج النهر بالاشتقاق.
- يقول: إنَّ نقابها يُشرق لإضاءة وجهها من تحته، كما يُشرق الغيمُ الرقيق من تحت القمر (المنحول ١/ ٣١٥، التكملة ١/ ٢٠٥). ملاحظة: جعلها المحقق «فوق القمر» خلافًا للأصول.
- فحذف أن وأبقَى عملها .. فإن لم تَثِق بقولي وأردتَ اختبارَه فكن عدوَّه أو مالَه، لترى ما يفعل بك من الإبادة والإفناء؛ لأن عادته إهلاكُ أعدائه وتفريقُ ماله (المنحول ١/ ٣٤٨، التكملة ١/ ٢٢٧).

- الطِّنْب: الحبل الذي يُشَدُّ به الخيمة. قوله: هامَ: أي تحيَّر وأصابه الجنون من العشق. يقول: هام قلبي بأعرابية سَكَنَتْ من القلب بيتًا ليس له أطنابٌ وأوتاد، بخلاف بيوت أهل البادية. وقيل: إن معناه أنها مَلَكَتْ فؤادي بلا مشقَّة، فكانت كمن سكن بيتًا لم يتعب في شدّ أطنابه (المنحول ١/ ٣٤٢، التكملة ١/ ٢٢٤). وعزا القول الثاني في التكملة إلى ابن جني.

- جوهري يخالف جوهرَهم، وطباعي تُنافي طباعَهم، كما أن الذهب يتولَّد من التراب، ومع ذلك جوهره يُخالف جوهرَ التراب (المنحول ١/ ٣٥٧، التكملة ٢/ ٢).

- وكلّ اسم في آخره ياءٌ مشددَّة، إذا نسبتَه حذفتَ منه الياء التي كانت فيه، وألحقتَ به ياء النسبة. مثالُ ذلك أنك [إذا نسبتَ إلى كُرْسِيّ، قلت: رجلٌ كُرْسِيّ] (المنحول ١/ ٣٧٠، التكملة ١/ ٢٠). ملاحظة: سقط ما بين الحاصرتين من التكملة مع أن السياق يحتاج إليه، وبقي في المنحول.

- الوادي: مجرى السيل في البادية (المنحول ٢/ ٢٩، التكملة ٢/ ٣٨). لاحظ التقييد بالبادية.

- المَذاقة: الذَّوق، ويجوز أن يكون طعم الشيء المَذوق ... يقول: هو في حال الرضى حلوُ الأخلاق، فإذا تغيَّرت لغضبٍ عادت حلاوته مرارة (المنحول ١/ ٣٤٨، التكملة ١/ ٢٢٨). وكان قد قال: «بحيث لو كانت مما يقطُر فقَطَرَتْ في الماء لم يشربه أحدٌ لمرارته»، فجوَّد عبارة التكملة هكذا «لو مازجت الماءَ لم يقدر أحدٌ أن يشربه».

- يقول: إنه إذا وصل إلى منزلة صعبة يُقَصِّر عنها من يطلبها، فإنه

لا يرضى بها وطلب منزلة أعلى (المنحول ١/ ٣٥٠، التكملة ١/ ٢٣٠).
لاحظ الاتِّفاق على عطف الماضي على المضارع «يرضى، وطلب»، وهو دليلٌ على النقل المباشر.

- قال ابن جني: هذا البيت هو البديع الفَرْد من هذه القصيدة (المنحول ٢/ ٣١٩، التكملة ٤/ ٥٢).
- كيف تعجبون من إصابته الغرضَ يَرْميه؟! وهو يرمي الغيبَ بظنِّه فيصيبُه؟! (المنحول ٢/ ٣٤٤، التكملة ٤/ ٧٧).
- نُكِبَتْ: أي قُلِبَتْ على رءوسها. ويروى نُكِتَتْ بالتاءين، وهو في معنى الأول. والكنانة: الجعبة. واسْتَبَنَّا: أي تَبَيَّنَا وعلِمنا. والنُّدوب: جمع نَدْب، وهو أثر الجَرْح (المنحول ٢/ ٣٤٥، التكملة ٤/ ٧٨).
- الأفواق: جمع فُوق، وهو الحزّ الذي يجري في وَتَر القوس. يقول: إذا رمى سهمًا، ثم رمى سهمًا آخر، أصاب به فُوقَ الأول، فلولا انكسارُ الأول لاتَّصل الأول بالثاني، وبالثاني الثالث، فصار من ذلك قضيبًا (المنحول ٢/ ٣٤٥، التكملة ٤/ ٧٨).
- القَشيب: الجديد والهاء في فيه تعود إلى مَنْ، وفي زمانه إلى المَجْد ... يعني: أن المَجْد مات منذُ قديم وذهب زمانُه، ثم انتقلت روحُه فيك، فعاد حيًّا وصار زمانُه جديدًا (المنحول ٢/٣٤٧، التكملة ٤/ ٨٠).
- اللام في لأُصْبِحَ متعلِّقة بقوله «ولا دَانَيْتَ» أي إنما دَعَوْتُ لك بالسلامة والبقاء لتأمنَ نفسي أن تنالك مصيبةٌ كما أَمِنْتُ أن يلحقك عَيْبٌ (المنحول ٢/ ٣٤٩، التكملة ٤/ ٨٢).

***

أطلنا بإيراد النماذج والشواهد، وبقي ممَّا جمعناه كثيرٌ، وممَّا لم نجد

حاجةً لجمع كثيرٌ! وقد أبصر القارئ فيها أمورًا ظاهرة للعيان:

- أن التداخل بين الكتابين كبيرٌ جدًّا، لا يُفسَّر بوقوع الحافر على الحافر.
- أنهما يشتركان في فرائد ونوادر كثيرة لا توجد إلا فيهما، وروايات وشواهد شعرية ونثرية ووقفات نقدية، وأخطاء علمية.
- لا يوجد فيهما ما يدعو للظنّ بأن المصنِّف غير المصنِّف، لا من جهة الزمان، ولا الإقليم، ولا المصادر، ولا أيّ صفة أخرى.
- أن التكملة أكثر إتقانًا، وأن معظم مواضع الزيادة والإطالة وتطوير النصّ توجد فيها. مع العلم بأنَّ نُسخ المنحول لا يُوثق بسلامتها من إضافات القارئين.

(٨) مقدِّمات القصائد:

أثبت مصنِّف المنحول مقدّمات القصائد التي كتبها المتنبي في نسخة ديوانه، وفيها كثيرٌ من أخباره، ويطول بعضها إلى بضع صفحات. واختصرها في التكملة إلى سطر أو نصف سطر لكلّ قصيدة، كما فعل أصحاب الشروح الأخرى (ما عدا ابن الإفليلي).

وهذه الحال تتلاءم مع أسبقيَّة المنحول. فإما أن يكون الصِّقلِّي قد أدرك بالتجربة وتقدّم العمر أن باب رواية الأخبار غير باب شرح الأشعار، أو يكون الساوي قد أوعز إليه بالاختصار.

(٩) الشَّواهد المشتركة وغير المشتركة:

تشير شواهد الكتابين وترتيبها في الموضع الواحد إلى أن المصنِّف واحد، وأن المنحول هو الأسبق. فقد اتَّفقا على إيراد شواهد نادرة لا توجد في الشروح المشهورة. وتزيد التكملة شواهد كثيرة جدًّا.

ونظرًا لضخامة الكتابين وكثرة الشواهد، اكتفينا بإحصاء شواهد السيفيات الخمس الأولى (المنحول ٣/ ١٣–٧٠؛ التكملة خ/ ٢٢٨–٢٦٠)، وهي نحو جزء من ستة عشر جزءًا من الديوان، فهي عيِّنة إحصائية عشوائيَّة كافية. فجاءت النتائج كالتالي:

- مجموع الشواهد تحت هذه القصائد الخمس: ٨١ شاهدًا.
- الشواهد المشتركة بين الكتابين (في نفس المواضع): ٩ شواهد.
- شواهد المنحول: ١٩ شاهدًا، ٩ مشتركة + ١٠ فريدة .
- شواهد التكملة: ٧١ شاهدًا، ٩ مشتركة + ٦٢ فريدة .

وفي الشواهد التسعة المشتركة آيتان: قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾، وقوله تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾، وقول عمر رضي الله عنه: (الواحدُ شَيْطانٌ، والاثنان شَيْطانان، والثلاثة رِفْقَة). فتضاف إلى النصوص المتطابقة.

وتفسير هذه الطَّفرة الكبرى في شواهد التكملة أنَّها جزءٌ من تحرير المصنِّف لكتابه القديم، ولا يستقيم افتراضُ العكس، بأن يكون المنحول هو المتأخِّر فيأخذ تسعةَ من التكملة ويتركَ اثنين وستين أكثرها نادر. وأما شواهد المنحول العشرة التي أعرضت عنها التكملة، فلعلَّها حُذفت للمغايرة، أو لأنَّ في الشواهد الجديدة ما يغني عنها، أو لأي غرض آخر.

ويلفت النظر أيضًا أن عدد شواهد الفسر كانت ستَّة في المنحول فصارت اثنين في التكملة (مع شاهدين جديدين)، على الرغم من الزيادة الكبرى في عدد شواهدها، فلعلَّ ذلك كان جزءًا من سعي أبي علي الصِّقِلِّي لإتقان شرحه وإرضاء السَّاوي المصنَّف له الكتاب.

ونظرنا في الشواهد من زاوية أخرى، فاستخرجنا من فهرس أعلام المعجز

المنحـول ٤/ ٦٣٣ أسمـاءَ الشعـراء العباسيـين غـير المشاهـير، فوجدنا معظم شواهدهم في التكملة في نفس مواضع الاستشهاد. وهذه بعضها:

- أبو الشيص (المنحول ٢/ ٤٨٣، التكملة خ/ ٢٠٦).
- أبو العلاء المعرِّي (المنحول ٣/ ٣٨٣، التكملة خ/ ١٣٧).
- ابن بابك (المنحول ٢/ ٥٤٢، التكملة خ/ ٢٢١).
- بكر بن النطاح (المنحول ٢/ ١٥، التكملة خ/ ٢٢).
- التهامي (المنحول ٢/ ٣٨٤، التكملة خ/ ١٧٤).
- التهامي: ٢/٤٣٢، التكملة خ/ ١٩٠).
- التهامي (المنحول ٣/ ٢٠٠، التكملة خ/ ٣٢٢).
- سلم الخاسر (المنحول ٣/ ٢٠٠ غير منسوب، التكملة خ/ ٣٢٣).
- الطرماح (المنحول ٢/ ٢٨٦، التكملة خ/ ١٣٣).
- كشاجم (المنحول ٢/ ٨٥،، التكملة خ/ ٥٥).
- كشاجم (المنحول ٣/ ٢٢٠، التكملة خ/ ٣٣١).
- محمود الوراق (المنحول ٢/ ٢٠٠، التكملة خ/٩٩).
- محمود الوراق (المنحول ٢/ ٢٢٤ ، التكملة خ/ ٣٣٣).

فتُضاف هذه الشواهد إلى النصوص المتطابقة.

(١٠) مصادر الكتابين:

تتَّفق مصادر الكتابين إلى حدٍّ كبير، وهي:

- الفسر.
- كتاب الربعي.
- رسالة الصاحب بن عبَّاد.

- وساطة القاضي الجرجاني.
- كتاب المخزومي.
- كتاب ابن فورجة.

ولم نجد في أحدهما مصدرًا مهمًّا لم نجده في الآخر.

ولا يصحّ قول سزكين ٤/ ٣٦ بأنَّ التكملة «لعلَّها تكملةٌ لشرح ابن سيدة»، ولا استنتاج محقِّقها ١/ ١٢ بأنَّ الصقلِّي رجع إلى شروح المعرِّي والواحدي وابن سِيدة.

(١١) أقوال الصِّقلِّي في مقدِّمة التكملة:

ثم ننظر في العلاقة بين الكتابين على ضوء أقوال الصقلِّي في مقدِّمة التكملة، نظرًا لضياع مقدِّمة المنحول. وأهمَّ ذلك قوله بعد البسملة والحمدلة:

كتب الشيخُ الإمامُ أبو علي الحُسَيْن بن عُبَيْد الله المَغْرِبيّ الصقلِّي، إلى حامد ابن أبي بكر المؤدِّب السَّاوي:

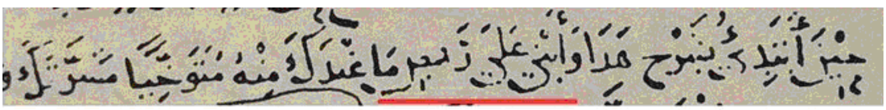
هذا -أَلْهَمَ اللهُ رُشْدَكَ، وشرحَ بالخير صَدْرَك، وجعلَ العلمَ عُنوانَ فَخْرِك، وحُلَّةَ جَمالِك- كتابُ «التَّكْملة وشَرْح الأبياتِ المُشْكِلة»، من ديوان أبي الطيِّب المتنبِّي، وإبانة مَعانيه وتفسيرِ الغَريب من ألفاظه، وإيضاح الغامض من إعرابه، وإيرادِ طَرَفٍ من سَرِقاته ونظائره، والتنبيهِ على غُرَر قلائده، وعُيونِ محاسنه.

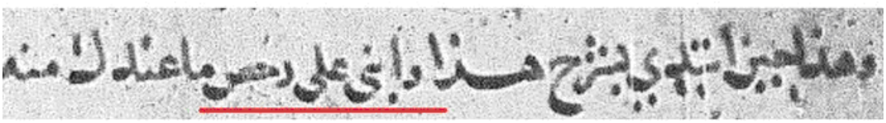
حَذَوْتُه على مِثالك، وتَبِعْتُ فيه نُقَطَ رُسومك؛ لما عَلِمْتُه من صِدْقِ رغبتك، وشِدَّةِ حرصك، من غير داعيةٍ تَبْعَثُك، وهِمَّةٍ تَسْمُو بأَرَبك، ما خلا مَحَبَّةَ الأدب والاتِّسام بمَيْسَمه، ومُناسبةَ الفضلِ والارتياح لمَناسِمه؛ ونَفْسٍ تَأْنَسُ بالعِلْم فتُحاول إحياءَ وَسْمه، وتَنْبو عن الجهل فتَتَطَيَّر باسمه. وحين شاهدتُ منك الخيرَ والخُلُقَ الكريم، هانَ عليَّ العناءُ في التماسِ مَطْلوبك، وإرصادُ الفكر إلى تَحْصيل مَحْبوبك، وأَتْمَمْتُ ما في يَدِك من شَرْح هذا الديوان،

سيِّـد الدَّواوين، وأمير أشعـار المُحْدَثين. أَكْثَرُهـا فنونًـا، وأَسْحَرُها عُيونًا، وأَبْعَدُها سرًّا، وأَعْمَقُها بَحْرًا، وأَعْذُبُها ماءً، وأَلْهَبُها رَوْنَقًا وبَهاءً ...

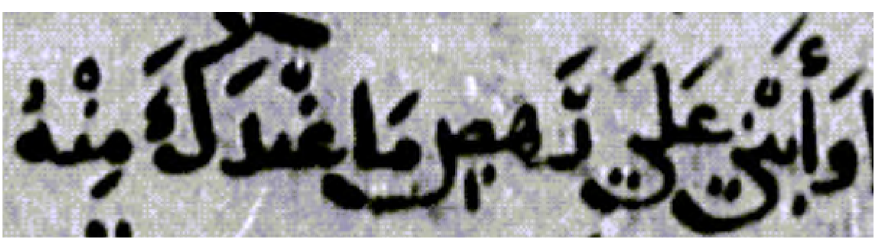
وهـذا حينُ أبتـدئُ بشَرْح هذا، وأَبْنِـي على رَهْص مـا عندك منه، مُتَوَخِّيًا مَسَرَّتَك، ومن اللّه أَسْتَمِدُّ التوفيقَ والمَعُونةَ ...

عبارة «رَهْص ما عندك منه» قرأها المحقِّق أنور أبو سويلم «بعض ما عندك منـه»، وهي قراءةٌ خاطئة. وقد ظهرت في نموذج إحدى النسختين كأنَّها «رَبص»، علـى الراء فتحـة وعلامة إهمال، ثم حـرف كأنَّه باء غير منقوطـة، لكنَّ رأسها مستديـر إلى اليسار قليـلا، ثم صادٌ جليلة واضحة. وظهـرت في نموذج النسخة الأخرى «رحص»، الحروف الثلاثة واضحة ولكن غير مشكولة. وها هي صورتهما من مقدِّمة المحقِّق:


حين أبتدئ بشرح هذا وأبني على رَبص ما عندك منه متوخيا مسرتك و


مبتدئا بشرح هذا وأبني على رحص ما عندك منه

فقلَّبنا الكلمة على وجوهها، واستعنَّا بالعلماء، ولم نصل إلى قراءة مستقيمة. فحصلنا على صورة أخرى من نسخة أحمد الثالث، ووجدناها واضحة، «رَهْص» بالهاء. وهي قراءة مستقيمة، فالرَّهْص أساس الجدار، أي عِرْقُه الأسفل الذي تُبنى فوقه سائر العُروق. قال في أساس البلاغة «إذا بَنَيْتَ جِدارًا فأَحْكِمْ رَهْصَهُ».


وأبني على رَهص ما عندكَ منهُ

فهـذا تصريحٌ مـن الصِّقلِّي بأنَّه صنَّـف التكملة على ما رَسَـمَ له أبو حامد السَّــاوي، مُتَوَخِّيًـا مسرَّته، وجعل «ما عند السَّاوي منــه» أساسًا كأساسِ الجدار. ومعنى «منه»: أن القديم بعضُ هذا الجديد وأساسُه. وقال قبل ذلك: «وأَتْمَمْتُ ما في يَدك من شَرْح هذا الديوان»، فجعل الجديد إتمامًا للقديم، وسمَّاه بالتكملة.

فـلا نعجـب بعد هـذا التصريـح إذا تشابهـت نصوصٌ كثـيرة في الكتابين، لأنَّ الساوي إنَّمـا طلب تحرير الشرح الأوَّل. ولا نعجـب أيضًا إذا حذف الصِّقلِّي نصوصًا حسنة لطلب المغايرة. وقد يخطر لنا أنَّه قد يتأثَّر بأهواء الساوي ونظرته إلـى المتنبي، كأن يستحسن بيتًا أو يستقبح بيتًـا، فيجتهد الصِّقلِّي لإحكام المعنى الذي قصد إليه.

ولعـلَّ السَّاوي رسم له أيضًــا أن يتوسَّع في شرح الأبيات المشكلة، وهو ما نراه ماثلًا في التكملة، ويكون هذا تفسير بقيَّة العنوان «وشرح الأبيات المشكلة».

وبيـت القصيد أن السَّــاوي لم يقل: أتمم لي شرحَ فـلان. ولم يقل الصِّقلِّي: سأبنـي علـى شرح فلان. وتخلـو التكملة بالمرَّة مـن أيّ إشارة إلـى الشرح الأَوَّل وصاحبه، ولو بالثناء عليه أو النقد له. بل اتَّفق الرجلان على أنَّ المقام لا يستدعي تسميتـه. فظاهر الحال أنَّ السَّاوي قال ما معناه: اصنع شرحًا خيرًا من شرحك الأوَّل، واجعلـه كذا وكذا. ولا بأس أن نستنتج من صنيعهما أنَّ الصِّقلِّي قد صنَّف الشرح القديم باسمه.

وأقول أنا: لم أَرْضَ عن هذا المنحول عندما قرأتُ سطورًا منه، واستغربتُ أن يخطر لغيري أنه للمعرِّي! وقلتُ في المقالة الأولى:

> جـرى على تقديم الكلام على الإعراب والتوسُّع فيه أحيانًا، ثم يشرح ألفاظَ البيت أو بعضها، ثم يفتتح شرحَ المعنى بكلمة «يقول»، وقد التزم بهذا النمط الرتيب في جميع الكتاب. وقد لا يتعرَّض للإعراب أو الغريب، ولكنَّه يحافظ علـى شرح المعنى وكلمـة «يقول» في جميع الحالات. وكثير جدًّا مما أعربه أو فسَّر غريبه ومعناه: لا يخفى على المبتدئين!

وأمَّا مَنْ له في هذا الكتاب رأيٌ آخر، فعليه أن يقدِّم نصوصًا وبراهين تنسف هـذه القرائن، ثم يقـترح مصنِّفًا آخـر. ولم نجد، بعد ممارسـة الكتاب ثلاثين

سنة، أيَّ دليل يشير إلى غير الصِّقلِّي. وقد نُسب إلى أبي العلاء المعرِّي في القرن الحادي عشر، لأجل التِّجارة، وهي نسبةٌ باطلة بالتأكيد.

(١٢) لا يصحّ إلا احتمالٌ واحد:

إذا ذهبنا إلى منهج السبر والتقسيم، أي حصر الفروض وإسقاط الساقط منها، نجد أربعة احتمالات نظريَّة، وهي من حيث الواقع اثنان، ثم لا يصحّ منها إلا أسبقيَّة المنحول وكونه للصِّقلِّي.

(١) فالاحتمال المتبادر إلى الأذهان، والذي خطر لنا في المقالات القديمة: أن يكون الصقلِّي قد صنَّف تكملةً لشرح قديم، ثم جاء شارحٌ متأخِّر -بعد مائة سنة مثلًا- فصنع المنحول. وهذا الاحتمال يسقط بأنَّنا -بعد النظر ثلاثين سنة- لم نجد دليلًا على أسبقيَّة التكملة، ولا تأخُّر المنحول عنها ولا سَلْخه منها؛ ولا أنَّ المصنِّف غير المصنِّف. ووجدنا أنه يشاركها في مئات العبارات الإنشائيَّة المعتادة، ويترك المئات من فوائدها وشواهدها النادرة. وكذلك لم نجد أي مسوِّغ للافتراض بأنَّه متأخِّر عن عصر الصقلِّي إلا هذا الظنّ بأنه سلخ التكملة، وهذا الظنّ لم يقُم عليه أيُّ دليل، بل قام الدليل الكافي على أنَّه أقدم منها.

ويسقط أيضًا من طرف خفيّ، بأنَّه يفترض أن عدد الكتب ثلاثة بهذا الترتيب (A) شرحٌ سابقٌ يُراد تكملته (B) التكملة (C) المنحول. وهذا خللٌ منطقي يُسَمَّى شَفْرة أوكام (Occam's razor)، أي إفساد الفروض العلميَّة بعناصر لم يثبت وجودها. ومن المقرَّر في منهج البحث العلمي أن الفرضيَّة البسيطة هي الصحيحة ما دام أنها تكفي لتفسير القضيَّة، ولا يُلجأ إلى الفرضيَّة المركَّبة إلا إذا وُجدت في القضيَّة عناصر لا تفسِّرها الفرضيَّة البسيطة. والحاصل ههنا أنَّ (C) يصلح أن يكون (A)، ولا يوجد أيُّ دليل على التغايُر، بل على التطابق، وقد فرغنا من ذلك! ونزيد ههنا أنَّ التغايُر يحتاج إلى مصادفة عجيبة: أن ينسى الصقلِّي والسَّاوي تسميةَ الشرح المراد إكماله، وينسى مصنِّف المنحول أن يشير إلى نفسه بإشارة تفيد أنَّه غير الصقلِّي!

فهذا الاحتمال يسقط لأنه عجز عن إثبات نفسه.

(٢) أن يكـون المنحول هـو الشرح السابق على التكملـة، وكلاهما للصقلِّي، ولا يوجـد شـرح ثالث ولا سرقة ولا غشٌّ للسَّاوي، وطالما صنَّـف الإنسان كتابين أو أخـرج كتابًـا مرَّتين. فهذا الاحتمال البسيط –أي غير المركَّب– هو الذي يجب المصـيرُ إليه، وهو الذي يفسِّـر جميع الوقائع ونصوص الكتابـين بأيسر تفسير: رجـلٌ طُلب منـه أن يصنع شرحًا أحسن مـن شرحه الأول، فاتَّفـق الشرحان في نصوصـ كثيرة، وانفرد الأخير بمزيد من الإتقان، وسكت السَّاوي والنـاس جميعًا لأنـه لم تقع سرقـة. ولم يظهر ما يسوِّغ الشكّ في هذه النتيجـة، وليس وراءها إلا الجري وراء السَّراب والخَبْط في بَيْداء الأوهام.

وبقي احتمالان لا مسوِّغ لذكرهما إلا الاستغراق النظري:

(٣) أن يكـون الصقلِّي قد صنَّف المنحول بعد التكملة، وكلاهما غير الشرح القـديم. وفي هذا الاحتمال جميـع آفات الاحتمال الأوَّل، ويزيـد عليه فسادًا بأنَّ المنحـول دون التكملة جودةً وإتقانًا، مع أن التأخُّـر يقتضي العكس. وإن قدَّرنا أن الشرح القديم له أيضًا فيكون قد صنَّف ثلاثة شروح!

(٤) أن يكون المنحول لغير الصِّقلِّي، والشرح الذي عند السَّاوي له أو لغيره، فأغار على المنحول وهو يصنِّف التكملة.

وهذا الاحتمال يُسَلِّم بأسبقيَّة المنحول على التكملة! أي يقطع نصفَ الطريق إلـى نسبة الكتاب إليه. وهو أيضًا كالاحتمال الأوَّل من جهة عدد الكتب (ثلاثة)، ويزيد عليه اتِّهامَ الصِّقلِّي بالسرقة، مع أنَّه يصرِّح بالبناء على شرح سابق! ويكون قد غشَّ السَّاوي وخاطر بضياع الجائزة! ولم يفطن السَّاوي والعلماء والشرَّاح إلى السَّرقة! وأنَّه صنع شرحًا جيِّدًا بعد إغارته على شرحٍ دون ذلك!

فلا يبقى إلا أن هذا المنحول هو شرح الصِّقلِّي القديم، وهو الفرض المطلوب إثباته، والحمد لله ربّ العالمين.

(١٣) إشكال غريب في التكملة:

نختم هذا البحث بإشكال غريب في التكملة.

فنسخة وليّ الدين مكتوبة عام ٥٧٠هـ، بعد وفاة الصِّقلِّي بنحو مائة سنة. وهي ٣٤٠ ورقة، وأوّل ورقتين منها لخطبة الكتاب، ثم يبدأ في منتصف الورقة الثالثة بالقصيدة السادسة والخمسين من ديوان المتنبي (أَحَقُّ عَافٍ بدَمْعِكَ الهمَمُ)، وتنتهي النسخة بالقصيدة التسعين بعد المائة (ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حِسَانَهَا)، وفي خاتمتها إشارة إلى بدء الجزء الثاني بالقصيدة التي تليها (وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ)؛ فهذا الجزء الأول يخلو من خمس وخمسين قصيدة أو ثمانمائة بيت. ولا يوجد ما يشير إلى سقوط أوراق منها ولا من أصلها الذي نُقلت منه، بل بدأت المقدِّمة وجميع القصائد بدايةً طبيعيَّة وانتهت نهايةً طبيعيَّة (كما يظهر في الصورة التالية).



وأمـا نسخة أحمـد الثالث فلا يُعرف تاريخهـا، ولكنَّها عتيقـةٌ أيضًا، وأكثر إتقانًـا. وهـي ١١٨ ورقـة، منها ورقتـان لخطبة الكتـاب مطابقـة لسابقتها، ثم القصيـدة الأولى (أَبْلَـى الهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بَـدَني)، إلى القصيدة الخامسة بعـد المائة (أَقَلُّ فَعَـالي بَلْهَ أَكْثَرَهُ مَجْـدُ)، وفي خاتمتها أنَّ الجـزء الثاني سيبدأ بالقصيـدة التالية (أَمَّا الفِرَاقُ فَإِنَّـهُ مَا أَعْهَدُ)؛ فالموجود منها ١٨٥٦ بيتًا، وفيها الأبيات الثمانمائة التي لا توجد في النسخة السابقة.

ففي النسختين ٣٠٢٢ بيتا من جملة شعر المتنبي البالغ ٥٣٠٠ بيت تقريبًا.

وظاهـرٌ من تجزئة نسخة وليّ الدين أنَّها كانت في جزئين، لأن مقدار الجزء الباقـي يقـارب مقدار الجزء الضائع. وأمَّا نسخـة أحمد الثالث فكانت في ثلاثة أجزاء، لأن الضائع منها يقارب ثلثي الديوان.

لا يبدو أنَّ الصِّقلي قد أخرج الكتاب مرَّتين، وحذف خمسًا وخمسين قصيدة مـن النسخـة الأولى؛ فلا بدَّ من الوفـاء بالوعد للسَّاوي، ولا تكـون التكملة تكملة إلا بذلـك، ولم يعتـذر عـن إسقاطها في خطبة الكتـاب. فلا يبقـى إلا الظنّ بأنَّ تلـك القصائد سقطت من أصـل نسخة وليّ الدين، وتصادف أنَّ الخرم بدأ عند قصيدة وانتهى عند قصيدة، فرأى الناسخ أن يجعل الكتاب جزئين.

(١٤) نُسَخة ثالثة من التكملة:

في الظاهريـة جزءٌ من نسخة قديمـة في ١٧٥ ورقة، برقم ٦٧١١، من القرن السابع أو الثامن. وهذه صفته من فهرس عزَّة حسن:

شرح ديوان المتنبي أيضاً :

جزء يغلب على ظننا أنه الجزء الثاني من شرح لديوان المتنبي ، فقد كتب في أعلى الورقة ١٤ « الرابع عشر » أي الكراس الرابع عشر من الكتاب ، وتكون الكراسات ١ – ١٢ هي الجزء الأول .

وقد خُرِمَت من أوله بضع ورقات ، وكذلك من آخره . فضاع بذلك اسم المؤلف ، ولم نعرفه . وقد كتب على الورقة الأولى منه بخط حديث بقلم الرصاص : « أغلب الظن أنه شرح الإفليلي ، وهو نادر الوجود » ، وهو أبو القاسم إبراهيم بن محمد المعروف بالإفليلي النحوي المتوفى سنة ٤٤١ .

أول الموجود منه : « . . . كما يذهب الماء بالعطش . والسلسال : الماء العذب الذي يتسلسل في الحلق . . . » .

ثم البيت التالي مع شرحه :

إنما الناس حيث أنت وما النا ... سُ بناسٍ في موضع منك خالِ

— ٢٧٥ —

وهو آخر بيت من قصيدة .

وبعد ذلك تبدأ قصيدة في مدح أبي علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب مع شرحها ، مطلعها :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء ... إذ حيث كنت من الظلام ضياء

وآخر الموجود منه البيت التالي مع بقايا من شرحه :

. . أمثلة تدور حياتها ... كمماتها ومماتها كحياتها

وهو من قصيدة سقط أولها من الكتاب بسقوط بعض الأوراق قبل الورقة الأخيرة ، والقصيدة

نسخة قديمة قيمة ، مقروءة ومصححة ، وفي حواشيها بعض الشروح والتعليقات في أوائلها بخط مغاير . وقد تهرأت أطراف بعض الأوراق في أولها وآخرها ، فذهبت بذلك بعض الكلمات والسطور .

الخط معتاد قديم ، من خطوط القرن السابع أو الثامن . أبيات المتنبي مكتوبة بخط أكبر .

١٧٥ ق ٢٢ س ٢٠ × ١٣ سم

الرقم ٦٧١١

(انظر كشف الظنون ١/٨١١ ، والأعلام ١/٥٩) .

وقرأتُ في الشبكة أن تمام الجملة في تلك النسخة هكذا «كما يذهبُ الماءُ بالعطَش.والسَّلْسَالِ: الماءُ العَذْبُ الذي يتسلسل في الحَلْق، ينحدرُ انحدارًا سهلًا. أي أنت في حالٍ مثل السَّمّ القاتل، وفي حالٍ أحلى من الماء العَذْب».

فلمَّا زُرت مكتبة الأسد بدمشق أُحضرت لي نسخةٌ رقمها ٦٧١٦، لم أكن أعرفها وليست في الفهرس، ولكنَّها نفس النسخة واختلف الرقم لسبب من الأسباب.فنقلتُ منها شرح ثمانية أبيات متفرِّقة أخرى، ووجدنا النصوص التسعة بحروفها في التكملة.

فلتُصحَّح نسبتُها في فهارس المكتبة.

(١٥) نَصٌّ من جزء التكملة الضائع:

وقفتُ في طُرر نسخة الإسكوريال من ديوان المتنبي على نصوص من الجزء الضائع. والنسخة فارسية مُسندة متقنة من نسخ العلماء، كُتبت عام ٥٨٨هـ. والطُّرر بخطٍّ غير خطّ المتن، وفيها دليل آخر على شيوع شرح الصقلِّي هناك.

(٨١)

خِطْبَةُ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ وَإِنْ كَانَتِ الْمُسَمَّاةُ ثُكْلا

وفي شرح الصِّقلِّيّ: الثُّكْل: الحزن على فَقْد الولد والحميم. ونَصَبَه لأنه مفعولٌ ثانٍ للمُسَمَّاة؛ أي: قد كانت الخِطْبَةُ تُسَمَّى ثُكْلًا.فالخِطْبَةُاسمُ كان، وتُسَمَّى:خبرُه، وفيه ضمير الخِطْبَةُ، وموضعه رَفْعٌ لأنه مفعولُ ما لم يُسَمَّ فاعله.

في شرح الصِّقلِّيّ: الثُّكْل: المفعول الثاني، ثم أقام الاسمَ مقامَ الفعل. والمعنى: أنَّ موت الأخت والبنت يجري مجرى الخِطْبَةُ للميِّتة، وإن كان الناس يُسَمُّونه ثُكْلًا. أي الحِمام قد خطَب منك أختَك فلم تقدر على ردِّه.

الخطّ واحد والقلم واحد ، ولكنَّ الجملة الثانية مكتوبة في ناحية أخرى من الصفحة. وهذا نظيرهما من المنحول:

ثُكْلا: نَصَبَه لأنه مفعولٌ ثانٍ للمُسَمَّاة. التقدير: وإنْ كانت الخِطْبَةُ تُسَمَّى ثُكْلًا. فالخِطْبَةُ المُضْمرة اسمُ كان، والمُسَمَّاة: خبرُه، وفيه ضمير الخِطْبَةُ،

وموضعـه رَفْعٌ لأنه مفعولُ ما لم يُسَمَّ فاعله. وثُكْلًا: مفعوله الثاني. يقول: إنَّ هذا الموت يجري مجرى الخِطْبَةُ من الحِمام للمرأة، وإن كان الناس يُسَمُّونه ثُكْلًا. يعني: الحِمام قد خطَب أختَك فلم تقدر على ردِّه.

فأوَّل نصّ المنحول يطابق الحاشية الأولى، وآخـره يطابق الثانية. ومجموع الحاشيتـين يطابق نصّ المنحول وترتيب الكلام فيـه، وتكرَّرت فيه وفيهما عبارةُ المفعـول الثاني! ولا شكَّ بأنَّ التكرار من الصِّقلي، ونقله الكاتب كما هو، وضاقت الصفحة بالنقول، فكتب بقيَّته في رأس الصفحة، بعيدًا عن بيت المتنبي، على غير عادته.

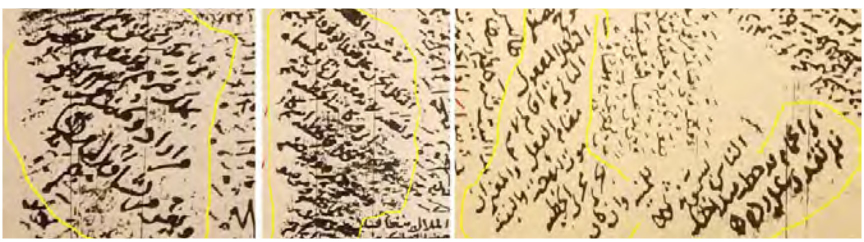
(٨٢)

يَا مَلِيكَ الوَرَى المُفَرِّقَ مَحْيًا وَمَمَـاتًـا فِـيـهِـمْ وَعِــزًّا وَذُلا

أي: يا مَلك الخلق [الذي] يملك ضَرَّهم ونفعَهم، ويُحيي من أراد ويُميت من أراد، ويُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء.

ولم تُنسـب هذه الجملـة إلى الصِّقلـي، ولكنَّها مكتوبة بنفسـ الخطّ والقلم قريبًا من الجملة السابقة. وهي أيضًا تشبه نظيرها في المنحول:

فلعـلَّ باحثًـا أو مفهرسًـا يستعين بهـذه الجُمل لاكتشاف الجـزء الأخير من التكملة.



وآخـر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلـى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع:

التكملة وشرح الأبيات المفـردة، للصقلِّي (١–٥)، الجزء الأول بتحقيق أنور أبـو سويلم (عمّـان: دار عمَّـار، ١٩٨٥)، وأربعـة أجزاء صغـيرة بتحقيق ماجد الجعافرة وآخرين (عمّان: جامعة اليرموك، ١٩٩٣).

التكملة خ (نسخة ولي الدين المخطوطة)، مع النصّ على نسخة أحمد الثالث في مواضع الرجوع إليها.

الفتـح على أبي الفتح، ابـن فورجة، بتحقيق عبدالله الفـلاح (بريدة: نادي القصيم الأدبي، ٢٠١٩).

الكشف عن مسـاوئ المتنبي، للصَّاحب بن عبّاد، بتحقيق إبراهيم البساطي (مع الإبانة للعميدي).

اللامع العزيزي، للمعرِّي، بتحقيق عبدالله الفلاح (١٤٣٦ هـ).

معجـز أحمد، المنحول على المعرِّي، بتحقيق عبدالمجيد دياب (دار المعارف، ١٩٨٦).

فهارس السنة السابعة والخمسين

أولا: الكُتّاب والمعلِّقون

ثانيًا: الموضوعات العامة

ثالثًا: الأعلام

رابعًا: القبائل والأسر والجماعات

خامسًا: الكتب والمجلات والصحف

سادسًا: المواضع